

إدلب

البلدة المنسية ..!!

مدونة ابو عبدو

الجزء الأول

المؤرخ
فايز قوصرة

تصميم الغلاف
محمد كمال رحيم

١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م



الإهداء

إلى جدي لأمي الشيخ

(محمد راغب الطباخ)

الذي أرخ لحلب،وأول من طبع عن تاريخ ادلب ..أهدي عملي هذا...

كان خالي(رحمه الله) اللواء الجوي (محمد أسعد مقيد) الذي تقاعد عام ١٩٨٠م من المؤسسين للقوى الجوية قد وضع كتابا بعنوان(مسيرتي في الحياة تاريخ مالم يؤرخ له الآخرون) طبع عام ٢٠٠٥م.قد أهدى الكتاب (إلى روح جدي لوالدتي العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ. مؤرخ حلب ومؤلف موسوعة إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء-سبعة أجزاء-الذي علمني الإيمان والأمانة وكرم الأخلاق والكرامة))..مع عرض موجز لحياة الجد..المهم قوله((عندما قام حسني الزعيم بانقلابه حملني جدي رسالة موجهة للزعيم مما قاله فيها((إنني أبارك الخطوة التي خطوتها والجرأة التي أقدمت عليها،ولكن لايغرنك ما أصبت من نجاح،فالنجاح الحقيقي هو في الأعمال الصالحة،واعلم أن الدنيا زائلة،وأن مجد الحاكم يبنى بالأعمال القويمة لا بالقوة،وأن العنف قد يرهب الشعب،ولكنه لايكسب قلبه واحترامه..)) أضيف إلى مذكراتي قول الشيخ محمد نافع شامي لي حين كنت شاباً: كان جدك أستاذي في المدرسة الخسروية في حلب، ولعل العروق تنقل فتكون مثل جدك))

المقدمة

بعد جهد نصف قرن يظهر هذا الكتاب, الذي وصفته ب (كتاب العمر)إذ ظل معي كخيالي يركض ورائي لإظهاره إلى الوجود، وأنا أتريث, خشية الخسارة، كما في كتبي السابقة. لكن الله سبحانه ،والحمد لله هيأ لي من يشجعني لإظهاره, فكان هذا الكتاب. أهنيء نفسي, وأعتذر للأخرين عن التأخير.. فكم انتظروه إحين كنت أتردد إلى المركز الثقافي بادلب في صغري، كنت أسمع أن الكثير من رواده يطلب مرجعاً عن تاريخ ادلب، ولخلو المكتبة من مرجع (كافٍ وافٍ) يقع السائل في حيرة، حتى وصل بعضهم إلى القول: إن إدلب بلا تاريخ.. ولم يكن هناك غير رسالة جامعية لنيل الإجازة في الآداب لـ (مفيدة بيطار) وهي دراسة بشرية اقتصادية (جغرافيا) قدمتها في العام الدراسي ٦٣-١٩٦٤م. قد قالت إنها لم تحظ بشيء، ولم تستعن بمؤلف سابق ،مع مواجهة صعوبات في تجربتها الأولى، ولكنها لم تطلع على رسالة أخرى سبقتها إليها رجاء وحيد دويدري (جغرافيا) عام ١٩٥٧م والتي نالت درجة الدكتوراة فيما بعد، إلى جانب مجلة العمران التي صدرت في عدد خاص عن محافظة ادلب عام ١٩٦١م وإن كانت المجلة لم تقدم الجديد بعد، بل هي تكرار لما سبق أن نشره جدي الشيخ(محمد راغب الطباخ) في كتابه (سير إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) عام ١٣٤٥هـ-١٩٢٥ م وخاصة في الجزء الثالث منه في نبذة تاريخية، قدمها كل من(الشيخ كامل الكيالي ،والمفتي برهان الدين العياشي) وإن كانت معلومات الكيالي هي الأقوى والأصح، فإنه لا يقلل من شأن جهود العياشي مع جدي, إذ قدم له الكثير من المعلومات عن شخصيات ادلبية نشرها في كتابه في الجزء الأخير- السابع, قد كان يتردد إليه كثيراً وينزل عنده كما روى لي خالي (ابنه) ليُقام له حفل استقبال يليق بمقامه في كل زيارة، وبكل أسف ضاع الكثير مما كان لديه، رغم متابعتي هذا الموضوع معهم، حتى مع احفاد العياشي.. وكأنني وجدت الطريق مسدوداً ، إلى أن فتح الباب أمامي في الوصول إلى مركز الوثائق التاريخية بدمشق، وبمساعدة مديرته المرحومة

د.دعد حكمت الحكيم. توالت زياراتي لأضطلع على سجلات الأوامر السلطانية ومعظمها بالعثمانية، وأتابع المترجم أولاً بأول، ثم أنقل ما له علاقة بمحافظة ادلب.. إنه كنز حقيقي أغفله مثقفوا حلب ،وللأسف.. وكم كنت أنوه لهم في المناسبات الاطلاع عليها ودراستها، ففيها الكثير مما يوضح تاريخ حلب في العهد العثماني، وحتى لا يكرر بعضهم الآخر!! كذلك تابعت الاطلاع على سجلات المحكمة الشرعية بحلب وهي الأكثر، واستعنت بدراسة د. خضر أحمد عمران عن ولاية حلب في النصف الأول من القرن ١٧م (رسالة ماجستير) ثم النصف الثاني منه (رسالة دكتوراة) تعرفت عليه هناك وهو يعدها بإشراف الدكتور عبد الكريم رافق (ابن ادلب) والذي أبان لي أهميتها وكيف سيكون دوري كرائد أول في سلك هذا الموضوع التوثيقي، وأنه سيأتي اليوم الذي يقرر منحي درجة الدكتوراة الفخرية، إذا أنجزت شيئاً، كان لتشجيعه لي الحافز الأول للمتابعة، أيضاً نوه إلى تلافي هفوات غيري في المقارنة التاريخية ،مع الرجوع إلى المصادر الأجنبية، وكان ذلك كذلك في تحقيقي الدائم لنصوص الرحالة، فكان مشروعي الأول الرحالة في محافظة ادلب في جزئين، على أن يليهما جزء ثالث، لكن الظروف وتبدل منهجي العلمي، لم أنجزه , بل أصبحت أنا الرحالة في زيارة المواقع الأثرية، وقراءة من سبقني كـ البعثة الأمريكية، وفوغوية ،وبرشم، وماترن، وتشالنكو، وغيرهم.. وحين كنت التقي بالإثنين كل منهما يهنئني على كل إنجاز، واعتبراه قفزة في تاريخ المنطقة. أما د. دعد الحكيم (مديرة المركز ،وهي من ادلب إبنة الطبيب حكمت الحكيم)فقد كانت (تطردني) من مركز الوثائق التاريخية بدمشق قائلة: كفى فقد أخذت الكثير، غيرك قدم رسائل جامعية ،ونال الشهادات العليا بعد عدة وثائق، وأنت تعود إلينا غير مرة! فقلت لها: أنت ابنة إدلب ومعك (تاريخ) وهذه البلدة ليس لها تاريخ موضوع، بعد فهناك (جوع ثقافي) في ذلك! واليوم أتذكرها رحمها الله- قد أصابت، وأنا اقترب من السبعين, إذ بدأت أوثق ما جمعته على الحاسوب، لكن كل وثيقة بحاجة إلى وضعها في موضوعها الخاص بها وتحليلها، فهل يطول عمري في تحقيق أمنيتها الإسراع في الإنجاز، وأنا الذي كنت أشغل نفسي في متاهات لا داعي لها، أهمها البحث عن لقمة العيش، إذ لم أجد الدعم اللازم في إنشاء مؤسسة

علمية لتحقيق أمنيتها ،ورغبتي في وضع تاريخ لإدلب وآثارها.. فالآن بدأت أشعر بضياع الأيام وتقصيري!! حاولنا تأريخ معظم جوانب الحياة في إدلب وما حولها. عسى حققنا, بل وضعنا حجر الأساس لتأريخ إدلب, لذلك اسميته(إدلب.. البلدة المنسية!) كون من سبقني لم يؤرخ لها, مع أن من ألقا بها(الأزهر الصغير) وهي حقاً كذلك إن كنا قد قصرنا في جانب, فهو من حق غيري إتمامه, ونحن لنا عذرنا, فلم نجد عبر حياتنا ذلك الدعم لمشروعنا الثقافي

(إدلب.. بوابة الحضارة السورية)

خطة هذا الكتاب في التركيز على المدينة, لكن لا يمكن إغفال المنطقة, فكلاهما مرتبطان سكانياً ،وإدارياً ،واقتصادياً. بعد جهد جهيد قررنا تجزئته إلى أكثر من جزء- للظروف الاقتصادية التي نعيشها فكل شيء غالٍ- الأول حاولنا تقديم أضخم المعلومات وأغناها, لكن الجزء التالي أيضاً غني بالمعلومات عن الحياة العمرانية والاقتصادية كالأسواق والخانات ، والثالث في المدن والقرى المجاورة،ولا نسبق الأمور.. كل في حينه ..

كما لا يسعني إلا أن أشكر كل من قدم الدعم لي, أو ساعدني في وثيقة, أو معلومة تخدم مشروع الكتاب، وأخص الصديق الخلوص(عبد اللطيف جباس-أبو محمد)الذي وقف إلى جانبي في التوثيق والإخراج مشكوراً ..

فايز قوصرة- ادلب – سورية-مطلع٢٠١٩م

ملحق:حين نتكلم عن ادلب في بعض النصوص القديمة نقصد (ادلب الكبرى –الشمالية) إلى العصر الوسيط،فهناك تداخل غير واضح المعالم ،كون الموقعين متجاورين ،ويحملان نفس الاسم؟!

تنويه :قد نشرنا بعض أبحاث هذا الكتاب في كتابنا (من إبلا إلى ادلب) وهي في أصلها من كتابنا هذا (إدلب ..البلدة المنسية!)..نعيد نشرها هنا،كون الأول فد نفد،وأيضا ترابط الأبحاث في هذا الكتاب،هي الأفضل في توصيل المعلومة إلى القارئ

تعريف المواقع في هذا الكتاب:

حول إدلب: بطيما- فرادغين حسفايا, حراجة ،وهي قرى دائرة شرق إدلب ٠٠ معراتا ،وماغون قرى دائرة جنوب إدلب بكفالون- مرتين هاب اليوم برج هاب (حصن)مواقع لقرى غرب إدلب حربتا (حصن)غرب إدلب العصر الوسيط...حصون قرية دائرة بين إدلب ،وبنش بروما قرية دائرة شمال إدلب ..بدبلي قرية دائرة غرب إدلب تل رمان: موقع قديم ووسيط غرب إدلب .. دانيث: تل أثري شرق ادلب

*** ترقبوا : محتوى الجزء الثاني ،والثالث***

في الجزء الثاني : نتحدّث عن الحياة الصناعيّة .. ويشمل المعاصر , والمصابن , والصناعات الأخرى .. أمّا الحياة العمرانيّة فنتحدّث عن الأحياء والأزقّة والبيوت المميّزة..

في الحياة الإقتصاديّة نتحدّث عن اقتصاد ادلب .. إضافةً إلى تجارة العقارات.. فهناك الأسواق والخانات..

في الحياة الثقافيّة نتحدّث عن أعلام ادلب في كافّة المجالات ممّن أثبتوا حضورهم الثقافي في زمنهم ..

كما نتحدّث عن التراث الشعبي في الألعاب ،والأهازيج ،والأمثال .. إضافةً إلى صور لروّاد الفن الشعبي , ولم نغفل الحديث عن الحمّامات .. كونها قد كانت مهمّة في حياة المجتمع ..أمّا الجزء الثالث : فيتحدّث عن القرى الدائرة والحاليّة المحيطة بادلب (مرتين – حراجة – بطيما – بكفالون – حسفايا – فرادغين – دينيت – مسطومة .. وغيرها) .

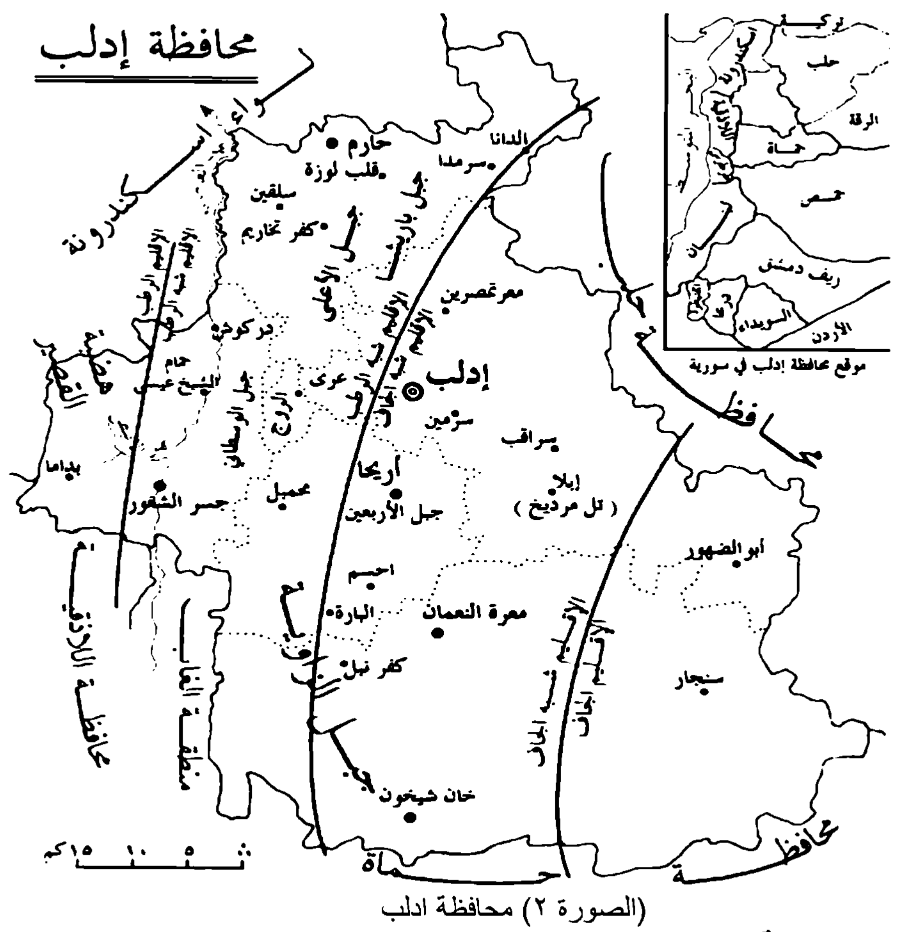
كان لابدّ من الحديث عن المدن المجاورة لها كـ (معرة مصرين ،وسرمين ،وبنّش وتفتناز (مع تيزر) وغيرها .

الفصل الأول – الحياة الجغرافية

أولا - الموقع والتضاريس : تقع محافظة ادلب الى الشمال الغربي في الجمهورية العربية السورية(الصورة١) . مركز المحافظة مدينة ادلب ،سميت باسمها عام ١٩٦٠م ،بعد أن كانت أكبر قضاء في سوريا. وهي ايضاً مركز منطقة ادلب- (الصورة٢) تحدها شمالاً منطقة حارم وشرقاً محافظة حلب وجنوباً منطقة معرة النعمان وريحا، وغرباً منطقة جسر الشغور ومنطقة حارم . تتشكل منطقة إدلب من ناحية قرى مركز إدلب والنواحي التالية (أبو الظهور ،سراقب ، بنش ، تفتناز ، معرة مصرين وسرمين).عدد سكانهاعام ألفين = / ٣٤٣٦٧٧ /أي بنسبة ٢١.٢ من سكان المحافظة . مساحة منطقة إدلب = ١٤٥٤ كم ٢ . يحدهاسهول حلب في الشرق، وجبال باريشا والأعلى (وجبل السماق) من الشمال للغ في الغرب وجبل الزاوية في الجنوب بمساحة قدرها ١٤٥٤ كم مربع .يحدها شرقاً ناحية الزربة بمنطقة جبل سمعان، ومن الشمال ناحية الأتارب بمنطقة جبل سمعان في محافظة حلب ،ومنطقة حارم، ومن الغرب منطقتا حارم، وجسر الشغور وريحا، ومن الجنوب منطقتا ريحا، ومعرة النعمان . وأما السهل الواقع إلى الشرق من إدلب فقد دعي في العهد العثماني باسم سهل إدلب لبروزها في القرن السابع عشر ...فيها اكتشفت مملكة إبلا وعلى أرضها قامت حضارتها، تلتها حضارات بركا – نوخاشي وحزرك .. وغيرها لتكون بحق مهد الحضارات ، تشارك في بناء العالم الإنساني ، على أسس دبلوماسية حضارية شعارها السلم والبناء .مر فيها ملوك وأباطرة وهم يتجهون إلى الشرق، كذلك الرحالة مروا ليصفوا حضاراتها ،وطبيعتها ،وسكانها ،كما أشار اليها الرحالة الفرنسي(نيبور) حين زار المنطقة،وهي خريطة قديمة للمنطقة،تعود إلى عام ١٧٨٣م قد نشرها الرحالة حين زار أنطاكية والمنطقة.تشير إلى المدن الكبرى أنطاكية-حلب- قنسرين بينما ذكرت ادلب..Adlib..وغيرها (الصورة٣-٤) وكما سيرد..



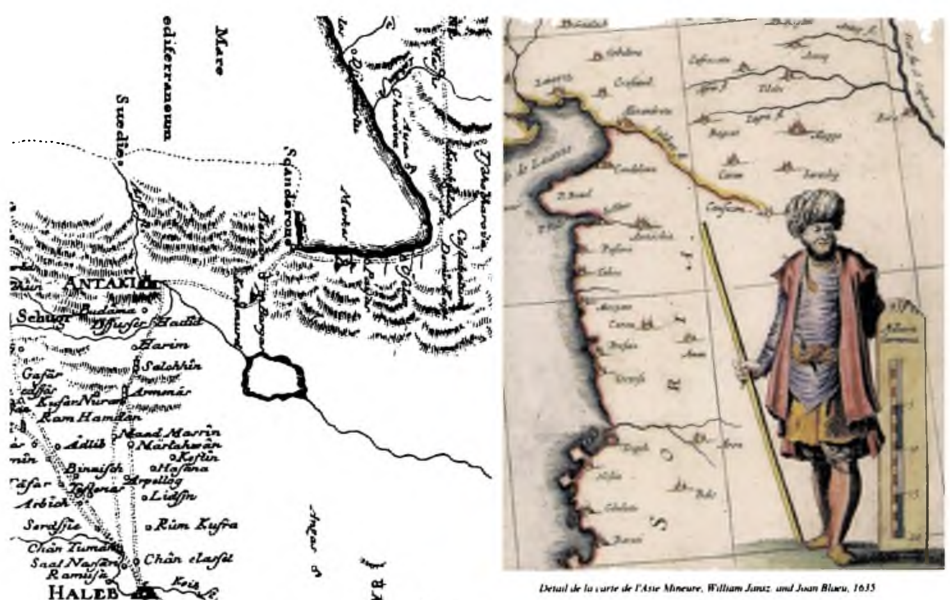
(الصورة -١) خارطة سوريا



(الصورة ٢) محافظة ادلب

موقع إدلب الحالية : تبعد عن دمشق ٣١٥كم ،وحلب ٥٩كم ،ولاذقية ١٢٧كم، وحماة ١٠٦ وحمص١٥٣كم، ورقة ٢٧٧كم. تقع وسط أرض منبسطة تتخللها بعض المسيلات التي تنحدر ببطء نحو الشمال والشرق وترتفع قليلاً من الجهتين الغربية والجنوبية بعدالاطلاع على الوثائق المختلفة, أوضح لكم موقع جبل السماق. صح يطلق على جبل الأعلى(أحد جبال حارم ،التي كلها قي القديم تسمى جبل السماق) لكن هناك كتلة جبلية أخرى أطلق عليها جبل السماق ،وهي التي تقع غرب جنوب إدلب وتتصل بجبل الزاوية، وجبل الأعلى بشكل غير مباشر ،لكن حين انتشرت المذاهب الدعوية الدرزية,

والاسماعيلية في هذين الجبلين اختلط الأمر، فكانوا يقولون الاسماعيلية (أوالدرزية) انتشرت في المنطقة في جبل السماق,



Detail de la carte de l'Asie Mineure, William Jansz. and Joan Blaeu, 1635

(الصورة ٣) أقدم خريطة للمنطقة ١٦٣٥م

(الصورة ٤) خريطة توضيحية ١٧٨٣م (الرحالة نيبور)



(الصورة ٥) وادي في جبل السماق



(الصورة ٦) كهوف في سفح جبل السماق

وقد تكون القرية كـ قميناس ومسطومة هي منطقة غير جبلية كـ (كفر لاتا) الاسماعيلية حتى سميت زمناً موقعها في جبل السماق، مع إنها في الحقيقة

الجغرافية لا تتصل به... هل تصدق بأن قرية بسنقول(هي في قلب جبل السماق) كانت مركز دعوة درزية, حتى أهل بسنقول لا يعرفون ذلك؟!

إذن يمكن القول تقع في جبل السماق, وفعلاً وادي القلعة عند معترم هو في منطقة جبلية ،هي في الحقيقة الموقع الأصلي ل جبل السماق، وبسنقول في الأعلى للغرب ..آمل توضحت الصورة عندكم. الصورة لجبل السماق الحقيقي عند معترم إلى الغرب الشمالي ،وهذا الجبل يطل على سهل الروج،أو هو الجبل الواقع شرق سهل الروج ١ (الصورة٥-٦) للجبل من الداخل وبتراء ادلب(كما اسميها) في كهوفها القديمة ،كنا أول من سلط الضوء عليها ،وهي من عجائب ادلب!!!

أما إدلب فتمتد فوق هضبة مصدوعة في الجهة الشمالية في نقطة تقاطع خط طول ٣٦.٧° شرقاً وبدرجة عرض ٣٥.٩° شمالاً وترتفع إدلب /٤٤٦/ م عن سطح البحر أطلق عليها بوركهارد - ١٨١٢ م - حين زارها(أثينا الشرق) لموقعها النزه الجميل، وتوسطها بين التين و الزيتون !

ثانيا - جيولوجياً : أي وصف طبيعة أرضها،وحقيقة تكونها، فهذا موضوع ليس في مجالنا ، ولكن خير من درسه الدكتورة رجاء وحيد دويدري في رسالتها الجامعية (إدلب دراسة إقليمية) عام ١٩٥٧م،وهي أول امرأة من إدلب تحصلت شهادة الدكتوراه في الجغرافيا تقول :(يمكن تقسيم هذه ال وقسم غربي بالنسبة لمدينة إدلب، فالقسم الشرقي يتألف تقريباً من سفح واحد يميل ميلاً سريعاً نحو سهل .أما القسم الغربي فيتألف من عدة هضاب منبسطة الأعلى تفصلها وديان جافة، وادي الحاج خالد في الشمال الغربي ووادي الجوز ووادي البط في الجنوب .. وينتهي القسم الغربي بسفح شديد الانحدار مع سهل الروج تحده وديان كثيرة .. وتقع هذه الدولين في جنوب تل قشلان على ارتفاع ٤٠٠ م من سطح البحر . وبين هذين القسمين توجد حوضة صغيرة نشأت على مرتفع في وسطها مدينة إدلب قديماً)) منطقة إلى قسمين: قسم شرقي





الصورة (٧) ادلب طبوغرافيا

وتتابع في حديثها عن التربة ((هو إن المنطقة ثلاثية التركيب بشكل عام ،تتألف من الكلس المسامي،أو الحواري العائد للميوسين إدلب نرى أن الصخور الميوسينية الكلسية المنفذة مغطاة بالمارن. وحيث إدلب في داخل حوض مغلق يسود فيها المارن تحت التربة السطحية... مما يجعل التربة خصبة لاحتوائها على الترب الزراعية اللازمة والضرورية من مارن وكلس... وهي تعطي أجود المحاصيل وأكثرها مردوداً من حبوب ومزروعات صناعية ...). (الصورة٧).

ثالثاً- المناخ : إن منطقة إدلب الواقعة في إقليم البحر المتوسط الجاف، تحدث فيه الأمطار الشتوية كغيرها من مواقع الشمال السوري .. ولكن حرارة

المنطقة معتدلة في جميع فصول السنة بالمقارنة مع باقي مناطق القطر . ونسبة الرطوبة متوسطة إلى عالية، ونادراً ما تكون نسبتها قليلة، ويتم هذا في شهري تموز - آب حيث تهبط الرطوبة في منتصف النهار وأحياناً إلى ١٥-٢٠% وهي تقع في مرحلة انتقالية الرومي السائد في الساحل والمناخ الصحراوي السائد في الداخل وترتفع درجة الحرارة صيفاً ونادراً تصل إلى ٤٠ ْ ولكن معدلها الوسطي في الصيف ٣٠ – ٣٦ ْ . وأما في فصل الشتاء فنادراً ما تهبط إلى دون الصفر، وتكون محصورة بين ١٨ – ٤ ْ . ويمكن القول أن شهر كانون الثاني هو أشد شهور الشتاء برودة وقد تهبط تحت الصفر، وكما حدث عام ١٩١١م ، و عام ٤٩ – ٥٠ أي هبطت الحرارة إلى ١٥ تحت الصفر . و كم عرض جدي شكواه من نتائج هذا الصقيع على الزيتون في إدلب - إن هذا الصقيع يأتي من هبوب الرياح في جبال طوروس.. وقد أدى إلى يباس شجر الزيتون في معظم الأراضي.. ولكن وجود الأشجار المحيطة بها يؤدي إلى جفاف هوائها ووقوعها إلى الشرق من الفتحة التي يخترقها نهر الكبير الشمالي، بنسائم البحر الغربية في مختلف الفصول، ويؤدي كل هذا إلى جعل شتائها لطيفاً، وهواء صيفها عذباً، مما يخفف من شدة الحر، وأحياناً نشكو من كثرة الهواء وشدته وخاصة في شهر تموز .. ويمكن القول إن الرياح بشكل عام خفيفة السرعة محصورة بين ثلاثة أشهر في فصل الشتاء، ونهاية الخريف وأول الربيع أي خفيفة السرعة، وفي هذه الفترة تكون غربية وأحياناً جنوبية وشمالية غربية، معظمها يظل محصوراً بين ٢٦٠ ْ - ٢٥٠ ْ .. وهذه الرياح جافة لكنها تمتاز بنقاء هوائها لوقوع المنطقة في غابة من أشجار الزيتون ،ولا يوجد أرق، وأنعش من نسمات هوائها في الصيف، وكأنك في متنزه كونته الطبيعة، وأحبه الإنسان ! وحول هطول الثلج فنادراً ما يتم هطوله كل بضع سنوات، وربما بلغت كميته عشرات السنتيمترات كما حدث في شتاء ١٩٥٠ م وكما حدث عام ١٩٨٣ م إذ هبطت الحرارة إلى ٥ ْ تحت الصفر مع هطول الثلج خمس مرات، وصار الشتاء بارداً جداً.. وفي عام ١٩٨٥ هبطت الحرارة إلى ٦.٥ ْ تحت الصفر مع استمرارها ليلاً ونهاراً دون المعدل من ٢٠ / ٢ / حتى ٦ / ٣ / ١٩٨٥ م وهي حالة شاذة كادت تودي بشجر الزيتون، ولكنها مرت بسلام. وكذلك هطلت في شتاء ١٩٩٢م

في أكثر من يوم وكذلك في شتاء ١٩٩٣م ومن تاريخ الأحداث الجوية حصول صاعقة أواخر عام ١٩٧٠ ضربت رأس مئذنة جامع الروضة في الجهة الغربية .. ومما وقع سابقاً أنه في سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م وكما ذكر الشيخ شعيب كيالي حدث شتاء شديد (برد وثلج) وتزايد حتى كاد يمنع من الدخول والخروج وقال بهذه المناسبة:

شتاء برده أمسى **	و أخــرس وصــفه الحبــر
جليــد مثــل صــخر أو **	وثلــج مكفهــر لــن يــذوبا
وأرض تزلـــق الأقـــدام	وبـرد يجعل الولدان شيبا
يسايل عنه خلى قلت أرخ	شــتاء بــارد أعــي القلوبــا
فيكــون المجمــوع ١١٦٠	٨١ ٢٠٧ ٧٠٢

وتشير الوثائق إلى حصول البرد القارس سنة ١١٧٠ هـ فهاجر الكثير من أبناء المنطقة، مما أدى إلى ارتفاع شديد في الأسعار وخاصة سعر لحم الضأن فصار الرطل بـ ١٧ بارة وفي عام ١١٧٣ هـ تلفت أشجار الزيتون في المنطقة نتيجة البرد القارس، مما اضطر إلى إرسال وفد كبير من أهالي سرمين إلى قاضي حلب يطلبون منه الرحمة والتريث في تسديد الأموال الأميرية... وأما هطول لمطر فيبلغ المتوسط السنوي بين ٤٠٠ – ٥٦٠ مم، وقد تختلف أحياناً هذه النسبة .. فمثلاً المتوسط السنوي بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٦٤ بمعدل ٤٧٧ مم وبلغت عام ١٩٧٧ أقل من ٤٠٤ مم وأعلاها ٦٠٠ مم عام ١٩٨٦ . وأحياناً يهطل المطر في أيلول كما حدث عام ١٩٣٥ م (٤ مم) وعام ١٩٥٥م (٧ مم) حتى قيل على لسان العوام (لا يخرج أيلول إلا، والتراب مبلول !) .

رابعاً- المياه : سيرد الحديث عن الآبار في إدلب الكبرى ، وأما في المنطقة ،فسيرد الحديث عن كل موقع كان فيه نهر، كنهر سبعين عند تل السلطان ،أو مياه الروج ،أو عين مارتين،أو مياه عري في سهل الروج.

من المعروف إن الإمبراطور هادريان في القرن الثاني الميلادي جاء إلى المنطقة ثلاثة مرات ، وأمر بفتح قنوات ، طالما حي الصليبة هو الأكثف في الصناعة ، فلابد من المياه ، مصدرها طبيعي، ولعلها قادمة من حربتا، وعين مارتين غرباً، وتتجه إلى الشرق . في قرية حراجة شرق جنوب إدلب ب ٢ كم كان هناك نبع ماء لسقي الدواب والقوافل. في مسطومة جنوب ادلب اكتشف خزان مياه عام ١٩٨٨ م وقنوات توزيع وكما سيرد ...أما السبل فمن عنده أكثر من بئر يسقي الآخرين، أو يشتري الماء للسبيل . نعود إلى إدلب الصغرى فمن المؤكد تاريخياً وجود ينابيع فيها في العهد الروماني قرب الدير وذكر(أوليفر) في زيارته سرمين وإدلب عام ١٧٩٤((أن المياه لم تكن كافية للري إذ جف عدد كبير من الينابيع ..)) وكان آخرها بئر الشهيد شمال ساحة البازار بير الشهيد : كان يقع قرب الرمادة الغربية في الحي الغربي وهو الذي ذكره(بوركهارد ٩حين زار ادلب ١٨١٢م بقوله " وهو نبع ماء يتدفق منه ماء مالح قليلاً ،أخبرني الرجل الذي نظف قعر البئر العميق، حيث ينبع الماء أنه وجد فتحتين في الصخر متقاربتين، من إحداهما ينبع ماء حلو، ومن الأخرى ينبع ماء مالح وقدر عمقه ٥٠ متراً))[١] وكان آخرها بئر الشهيد شمال ساحة البازار ،وهذ البئر تعمل عليه ٤ بكرات يطلقون عليها سربس، وينتحون الماء منه بالبرادي وهو وعاء من جلد خفيف الوزن، وأرجح أن هذا النبع كان يستخدم لصالح دير دلبين، نظراً لمجاورته المدفن البيزنطي، وسمي فيما بعد بئر الشهيد نسبة إلى لقب الشهيد الذي أطلق على محمد باشا الكوبرلي ، وكما أفادتنا الوثائق العثمانية الرسمية بذلك وبكل أسف طمر هذا البئر في ستينات القرن الماضي، مع أنه كان يخدم البلد , إذ كان تجار القش لصنع الحصير يرشونه من ماء هذا البئر , وكذلك حمامات ادلب وخاصة حمام سريابا , وفيه سقط ابن خالتي فيه (سميح الشيخ إبراهيم عام ١٩٦١م) وليجدوا جثته بعد يومين .. وبقربه تم اكتشاف مدفن بيزنطي فيه نقوش كما هو في القرى الأثرية في الجبال . سمي بالشهيد نسبة إلى محمد باشا الكوبرلي الصدر الأعظم (١٦٥٦ – ١٦٦١م) وهو لقب أطلقه عليه السلاطين العثمانيون لخدماته

---

(١) - الرحالة ١ / ٥٨ .

الجلى، ولأسرته في بناء الدولة العثمانية، وحمايتها , ففي عدة وثائق في الأوامر السلطانية يرد كلمة الشهيد عند ذكره ،كما في بحثنا عن الأوقاف في هذا الجزء، و الصابون في الجزء الثاني..قد ورد في الوثائق ذكر " أوقاف الشهيد محمد باشا في خان الصابون سنة ١١٦١هـ " و " أوقاف الشهيد محمد باشا سنة ١١٦٤هـ " في ولاية حلب " أوقاف الحرمين والشهيد محمد باشا سنة ١١٣٦هـ " . وقد ظل السلاطين يخاطبون هذه الأسرة بعد وفاتهم بكلمة الشهيد , وكما وجدنا في المرسوم السلطاني سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤ م في موضوع الجزية بذكر الصدر الأعظم الشهيد مصطفى باشا كوبرلي وكذلك (المشير السر عسكر عبد الله باشا كوبرلي) الذي كان على رأس حملة عسكرية فأصيب وأحضروه إلى ادلب ،ويتوفى فيها ليدفن في الغرفة المربعة،مع بشير آغا ناظر أوقاف الحرمين الشريفين،والمسمى المسجد باسمه أيضا قد سمي هو بـ (الشهيد) وننوه إلى وجود مقام طلي بالبياض سمي بالشهيد إلى الغرب منه بجوار زاوية سفلو، يضاء ليلا بشكل دائم يدعى بـ (ولي الشهيد) وقد شاهدته حين كنت صغيراً ،إلى جانب قبور العثمانيين في مسجد بشير آغا !!! كان ينزل إليه بدرج بعمق ٤٠ مترا وعليه (سربس) ٤ بكرات ينتجون منه الماء باستخدام الدواب و (الراوي) وهو وعاء من جلد خفيف الوزن .. وقد أكد كثيرون ما رواه (بوركهارد)بوجود نبعين , حتى إن هذا النبع يسير إلى الشرق نحو حمام سريابا حيث يوجد بئر آخر يزودها بالماء أيضاً ، وننوه كذلك أن موقع هذا البئر يدعى بـ (المنلا) .،وفي ادلب حين يقومون بحفر بناء جديد في ادلب القديمة سيجدون بقايا جباب لم تعد تستخدم اليوم ومؤخراً في مطلع ٢٠١١م في حي الصليبة تم هدم أحد الأبنية (معصرة عبادي والدكاكين المجاورة)، فظهرت جباب عميقة إلى جانب الهارب (كما يسمى عند كبار السن) في رواياتهم عنه، وكما حدث في عملية حفر البناء القديم لخان الرز المهدوم غربي المعصرة ، في ظهور قنوات مياه ظلت المياه تسيل فيها رغم محاولاتهم سد مجراها،



(الصورة ٨) قناة الهارب

(الصورة ٩) نتح الماء من البئر

(الصورة ١٠) نقل المياه بالضرف

(الصورة ١١) بائع ماء

وقد شاهدت بنفسي في شهر حزيران تدفق المياه في قنوات المياه القديمة في الطبقة السفلى من بناء معصرة العبادي (الصورة٨) في أكثر من حفرة، وصبهم مجبول الإسمنت فوقها، كي يتابعوا البناء، إن هذه القنوات تثبت ما يلي:

أولاً: وجود مياه نبع في ادلب وثانياً: قِدم ادلب، فهي قنوات تنظم مجاري المياه فيها، وهي غير بعيدة عن سور دير دلبين الواقع مباشرة شمالها. نضيف معلومة أخرى عن الهارب في إنه كان هناك مياه نبع شرق خان الوزيرين في زقاق المارتيني (دار قصر مارتيني) والذي كان يزود ليس السوق، والخان، بل حتى طاحونة عبدان القديمة شرقيها .ومن الدعاوى الغريبة في نظرنا اليوم، وهي أمر هام حينذاك لأهمية المياه، فخزان الماء والمسمى عندهم بـ الجب (بئر ماء) وهو الحفرة الخاصة في كل بيت ومنشأة صناعية، وقد يكون هناك أكثر من جب، أحدهم لماء الشرب وآخر للغسيل وثالث للتصريف الصحي يُعزَّل حين الضرورة .نعود إلى الدعوى المقامة سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م من قبل "أصلان بن محمد بن عبدي بيك على أخيه حول جبين قرب جبانة الغربية هما متروكات والده فصلت أنهما لجميع الورثة" مع حضور شهود على ذلك أي أن المشكلة حلت في أن الجبين ملك للجميع ونتساءل هل هما بالذات ما كان يسمى بـ بير الشهيد نسبة إلى محمد باشا الكوبرلي والملقب بالشهيد، والذي كان فيه نبعا ماء وصفهما لنا بوركهارد حين زار ادلب عام ١٨١٢ بقوله " لا يوجد سوى نبع وحيد في البلدة ، ذي

ماء مالح قليلاً ولا يستعمل أبداً، فقط في الفصول الشديدة الجدب. أخبرني الرجل الذي نظف قعر البئر العميق ، حيث ينبع الماء ، أنه وجد فتحتين في الصخر متقاربتين، من إحداهما ينبع ماء حلو ، بينما من الأخرى ينبع ماء مالح .." والذي شاهدته مرات بحكم معيشتي الأولى في الحي الغربي، إذ كانوا يأخذون الماء منه إلى الحمامات في ادلب (الصورة ٩)، ولرش القش المستخدم في صناعة الحصر بادلب، إذ بجواره كان يباع القش، وسوق الحصر يقام يوم الأربعاء من كل أسبوع ،فتتجمع نساء ادلب لبيع منتجاتهن في صناعة الحصر. أو يمكن أن يكونا غير هذا البئر لأن بئر الشهيد لم يكن بعيداً عن الجبانة الغربية المذكورة في نص الدعوى! وكذلك في غرب الحي الغربي كان يوجد نبع ماء أقيمت عليه ناعورة - مكان حي الناعورة - وظلت بقاياها إلى الخمسينات ولكن هذه الينابيع الصغيرة لا تكفي غير قلة قليلة من السكان، وهم في ازدياد ، فلجأ الأهالي إلى حفر الآبار وتجميع المياه فيها، وكان لكل حمام بئر خاص به، ومن لم يكن عنده بئر في داره يلجأ إلى شراء الماء، وقد اضطر القيمون على المساجد إلى إغلاقها لتقنين الماء . ومن النوادر أن ضرب المثل بقولهم (من توضأ في إدلب، فليعصر لحيته!) وفي سجلات الأوقاف ما قبل الستينات موقوف في المنطقة الأولى سبعة صهاريج ماء آبار، وفي سوق الساحة التحتانية سبيل ماء ، وفي الثانية موقوف بئر خيري، وفي الثالثة موقوف بئرين ، وفي الرابعة صهريجين ماء، وسبيلان. إن قلة المياه وتوسع البلدة وكثرة سكانها دفع أهاليها للتفكير في جلب ماء عين مارتين وكان الطبيب الشيخ أحمد الحكيم (ت ١٣١٨ هـ) قد راودته هذه الفكرة ((ولم يوفق في مسعاه وأودع هذه الفكرة إلى ولده الطبيب محمد حلمي وابن أخيه حكمة .. واشتركا هما ومفتي البلدة الشيخ برهان الدين أفندي العياشي وقائم مقامها وطنينا توفيق بك الحياني في السعي وتم ذلك سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م وتم ذلك مناصفة بين الأهالي ومجلس بلدية إدلب بكلفة ١٢ ألف ورقة سورية وتعادل ٢٨٨٠ ليرة عثمانية(١)) وقد كانوا ينقلون الماء في أوعية جلدية يسمى الضرف ويبيعونها إلى سكان البيوت (الصورة١٠-١١) ثم حين وصلت أنابيب الماء أولاً إلى سبل عامة عبر حنفية كبيرة من الطراز العثماني.. وضعوا سبلاً عامة ليعبئ من يريد ماء الشرب فقط ،وفي ساعات

معينة، وأتذكر قرب خان الفقراء ومسجد الساحة / جبلاد حنفية ضخمة سوداء ،وفي ساحات البازار وضعوا حنفيات، اثنتان أولاً عام ١٩٥٠م,


(الصورة ١٢) نقل المياه وصبها في الخوابي

ويحمل الماء في تنكات على كتف بائع المياه إلى البيوت لتفرغ في جرار فخارية تسمى (الخابية / الخابي) بصناعة ادلبية (الصورة١٢)

وأتذكر حمل الناس الماء في صفائح، أو ضرف في ساحة البازار، والتي لم يكن فيها غير صنبورين ولمدة ساعتين، و بالتناوب (الصورة١٣) ولما لم تكن هذه المياه كافية إلا للشرب فقط، وبعد ازدياد السكان ، وتوسع البلدة تم التفكير بجلب مياه عري في سهل الروج ،وبمساهمة من الأهالي أيضاً، وتم ذلك صيف عام ١٩٥٠م، ثم تم توسيع الشبكة مرة أخرى عام ١٩٦٠ – ١٩٦٢م من قبل بلدية إدلب، ومنذ عام ١٩٧٦ قامت مؤسسة مياه إدلب بتأمين المياه، وتوسيع شبكة توزع المياه . ثم سميت باسم المؤسسة العامة لمياه إدلب - أريحا . وهذا المشروع الجديد مؤلف من مضخات كهربائية ،وآلية متطورة،



(الصورة١٣) ساحة البازار عام١٩٥٠م اول توصيل المياه.في الخلف السوق القديم ، وباب خان القيصرية

ويعطي في المرحلة الأولى ١٨٠٠م مكعب في الساعة حتى ١٩٩٠ م وفي المرحلة الثانية ١٨٠٠ م مكعب أخرى وليكفي حتى عام ٢٠٠٠ م . ومن الطرائف عن قلة المياه بإدلب زيارة وفد من العلماء، والمشايخ إليها سنة ١١٤٠هـ برئاسة الشيخ محمد مفتي طنطا المصري، وحين تجولوا في البلدة وجدوا المساجد مقفلة حذار من أخذ الفقراء للماء الخاص بالطهارة ،فكتب على باب أحد المساجد:

عرج ركابك إن مررت بإدلب فيها الجوامع قفلت أبوابها
والماء لو تبقى فما من مانح واحفظ أخي نصيحة من ناصح

ملحق_خزان مسطومة : تفع قرية مسطومة ،و التل الأثري جنوب ادلب ب٣كم..في عام ١٩٨٨م تم اكتشاف خزان الماء مصادفة ، إذ جاءت صاعقة على شجرة زيتون فهبطت ،فإذا تحتها خزان ماء بعمق ١٥م ومساحة ١٠،٤×٧م رجحوا التوزيع إلى الناحية الشرقية إلى دانيت .(الصورة--١٤ - ١٥ -١٦)



(الصورة١٤) خزان مسطومة-القرن٢م

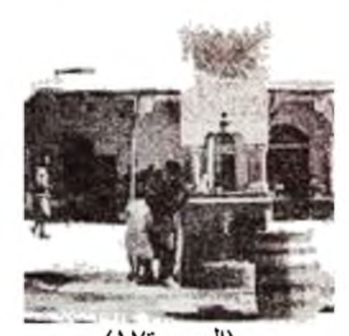
(الصورة١٥) خزان مسطومة-القرن٢م

(الصورة١٦) خزان مسطومة-القرن٢م

يقع الخزان جنوب التل الأثري ، على شكل مستطيل قناطره على ثماني ركائز (١٠٢ سم) مبنية بالقرميد ،بالإضافة إلى جدرانه المحمية بقطع القرميد . ونجد مثل هذا الخزان في محافظة الرقة .رجح الصيادون في المنطقة وجود شبيه له كل ١٢ كم خاصةً عند جب/خزان تل الرمان غرب إدلب.قد يكون عائداً إلى القرن ٢م زمن الإمبراطور هادريان(١١٧-١٣٨م) قد زار المنطقة ثلاث مرات ليضع الخطط لإنشاء مبان ومرافق عامة جديدة ،فقد حظيت انطاكية باهتمامه (إذ كان والياً على سورية سابقاً)وخاصة موارد المياه ،وانشأ عند دافني (جنوب أنطاكية)خزاناً محكم الصنع لحفظ مياه الينابيع الشهيرة والتحكم فيها عام ١٢٩م. وأقدم ذكر لهذا الخزان ورد عند ابن العديم في (بغية الطلب في تاريخ حلب في حديثه عن جبل السماق- ص٤٢٣) في قوله ((وقراه نزهة عامرة, وفي بعضها ماء نبع وعيون وأكثرها من ماء المطر. وفي قراها قرية يقال لهاإصطمك(الاسم القديم لها- قوصرة -) فيها مصنع عظيم للماء من بناء

الروم, مبنى بالحجر الهرقلي على قناطر محكمة البناء, وهو من عجائب العمائر..)) ..معلومة هامة: كان يوجد قرية منابيع /ينابيع شرق إدلب ،ولوجود الماء عسكر عندها الجيش الإسلامي ضد الفرنجة ، اليوم هي خراب ، ولا يصدقنا أحد لولا المصادر التاريخية العربية والإفرنجية ،راجع كتابنا (من إبلا إلى إدلب) ، فصل الحروب الصليبية .

خامساً: السُّبُل: كان في وسط ساحة البازار(الصورة١٧) قسطل ماء أثري عثماني يشبه قسطل محطة الحجاز بدمشق في شكله (الصورة١٨) وهو الذي أشارت إليه السالنامة العثمانية لسنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م في إحصائها باعتباره إنجاز رسمي ، مع أنه كان يوجد سبل أخرى، ولكن منجزة من قبل الأهالي .كما ذكرت وجود(حنفيتان عامة) أتذكر إحداهن عند مسجد ساحة الحجاز،ولونها أسود بنقوش نافرة وضخمة !



(الصورة١٧)
السبيل العثماني في ادلب-مطلع القرن٢٠م



(الصورة١٨)
سبيل الحجاز في دمشق-مطلع القرن٢٠م

ومن الطريف أن بعض وجهاء إدلب سعوا إلى التنافس في بناء السبل رغم قلة المياه فيها كعمل من أعمال الخير :

١- سبيل في زقاق دويدري ١٢٨٦ هـ/١٨٦٩ م ولا ندري من أقامه.٢

٢- سبيل في زقاق الميري أقامه عوض جوخدار ١٢٨٩هـ .

٣- سبيل الحكيم أقامته (صاحبة الخيرات حنيفة بنت السراج ١٣٠٢ هـ) بقرب جامع الحمصي.

٤- سبيل وقف لجامع ابشير آغا ١٣٠٢ هـ: يقع هذا السبيل في الجزء الشمالي من أبنية جامع بشير أغا (سوق الغزل) كان مواجهاً لمدخل (خان طويقة) فوقه لوحة حجرية هي أوضح وأفضل لوحات تدشين السبل، مربعة الشكل، والكتابة موزعة في ستة حقول (١- ذا منهل قد نبني / نفتحي لدار الميعاد . ٢- من مات يوصى قد حي / بحديث ذي الأحاد ؟ ٣- تان يخبرهب طابه / يرجو رضا خذ سعيه سنة ١٣٠٢هـ) = ١٨٨٥م (الصورة١٩).



(الصورة٢١) نقوش سبيل حربا	(الصورة٢٠) سبيل حربا-١٣٠٩هـ	(الصورة١٩) لوحةسبيل سوق الغزل-١٣٠٢هـ

٥-

٦- سبيل الشهيد - مجاور لزاوية سفلو - أقامه عبد الرحمن قوصرة كوقف ١٣٠٥هـ

٧- سبيل حربا في الحي الشمالي مجاور لزاويتهم نقر فوقه لوحة جميلة (سبيل وقف الحاج محمد حربا ابتغاء وجه الله ١٣٠٩) ١٨٩٢م.
(الصورة ٢٠- ٢١-). يعتبر أجمل سبيل في ادلب لنقشه الجميل المميز.

٨- سبيل ربيع في الحي الشرقي عند المنشر وغرب حمام الذهب. وشمال زاويتهم نقر فوقه(بني هذا السبيل لروح مصطفى ربيع ١٣٠٦هـ) (الصورة٢٢).

٨- سبيل بطل في الحي الغربي ١٣١٠هـ .

٩ - سبيل معلم في الحي الشرقي نقر فوقه (صاحب الخيرات* معلم زادة الحاج محمد آغا - ١٣٢١ هـ) .

١٠ - سبيل الكيالي يقع قبل جامع الجوهري تحت السيباط نقر فوقه : حب رضا خيري سك السيد ٢- الجامع كيالي أفندي ١٣١٠ هـ (الصورة٢٣ -٢٤) .

١١- سبيل في سوق النجارين بناه ... ؟ ومعظم هذه السبل لا تستخدم، لوفاة من يهتم بها ولعدم الحاجة إليها . اليوم.. كلنا يتذكر بائع السوس في لباسه الشعبي الجميل، إذ كنا نشرب منه ،بعد توقف السبل!



(الصورة٢٢) سبيل اربيع ١٣٠٦هـ

(الصورة٢٣) سبيل الكيالي



(الصورة٢٤)نقش سبيل الكيالي١٣١٠هـ

خامسا- الزلازل، والنوائب في المنطقة

- ٥٢٦ م زلزال في المنطقة .
- ٥٢٨م زلزال آخر في المنطقة تلاه طقس قاس خارق للعادة وبدأ الناس يتضرعون إلى الله.

- ٥٤٠ م الفرس يسلبون كل خيرات المنطقة . . . ويخربون فيها .

- ٥٤٢ م طاعون يأتي من مصر ويفني الكثير من السكان في هذه المنطقة.

- ٥٥١ م زلازل .

- ٥٥٣ م طاعون بقري دام سنتين ، أدى إلى نقص في حيوانات الجر

وتقليص المساحات المزروعة .

- ٥٥٧ م زلازل .

- ٥٥٨ م ظهور طاعون جديد .

- ٨٣٥ م / ٢٢٠ هـ زلزلة دامت أربعين يوماً في المنطقة .

- ٨٤٦ م / ٢٣٣ هـ زلزال شديد في المنطقة .

- ٨٥٩ – ٨٦٠ م / ٢٤٥ هـ زلزال أدى إلى هدم ١٥١ بيتاً في إنطاكية

وشمال سورية٩٢١ م / ٣٤٩ هـ كثرة الثلج والجليد بشكل لم يعهد في المنطقة من قبل وتجمد كل شيء فماء النهر تجمد ويبس شجر الزيتون .

- ٩٧٢ – ٩٧٣ م /٣٦٢ هـ زلزلت بلاد الشام وهدمت الحصون وسور وبعض أبراج إنطاكية وقعت ، ومات بعض الناس تحت الردم وهلك خلق كثير .

- ٩٩٢ م / ٣٨٢ هـ زلزال في المنطقة .

- ١٠٠٣ م / ٣٩٣ هـ زلزال في الشام والعواصم والثغور ومات الكثير تحت الهدم .

- ١٠٣١ – ١٠٣٢ – ١٠٣٣ – ١٠٥٦ م قد تعرضت المنطقة إما للقحط أو الغلاء نتيجة الجفاف أو للطاعون أو للجراد أو للزلازل .

- ١٠٦٨ م / ٤٦٠ هـ سحاب وسيل يقلع الشجر ويحرك الصخر بوادي بني عليم.
- ١٠٩١ م / ٤٨٤ هـ حدثت زلزلة عظيمة بالشام لم يسمع بمثلها وخرج الناس من دورهم خوفاً من عودها. ووقع من سور إنطاكية ٩٠ برجاً .
- ١٠٩٤ م / ٤٨٧ هـ زلازل في النهار والليل على دفعات لم يسمع بمثلها.
- ١١١٤ م / ٥٠٨ هـ زلزلة في ٢٩ تشرين الثاني أدت إلى هدم سور بل أكثر قلعة زردنا والأتارب وما حولها وحتى أمير إنطاكية روجيه يشرف شخصياً على ترميم قلاع إمارته . ويحصل برد ومطر في هذه السنة !
- ١١١٧ – ١١١٨ م / ٥١١ هـ زلزلة (عن العظيمي).
- ١١٢٠ م / ٥١٤ هـ ريح شديدة هائلة بنواحي الجزر، خرب بها كنائس ومعاقل، وقلعت الكثير من شجر الزيتون .
- ١١٢٣ – ١١٢٤ م / ٥١٧ هـ حدثت زلزلة (عن العظيمي).
- ١١٣٧ م / ٥٣٢ هـ زلازل ببلاد الشام، خربت الكثير من البيوت لا سيما في حلب وعند آخرين حدثت سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م أي تواصلت إلى ٨٠ زلزلة وهلك ٢٣٠ ألف من هذه البلاد من شيح وتل عمار وتل خالد وزردنا والأتارب.
- ١١٤٩ – ١١٥٠ م / ٥٤٤ هـ زلزلت الأرض زلزالاً شديداً في المنطقة.
- ١١٥٦ م / ٥٥١ هـ زلازل عظيمة خربت حلب وبلادها وفي رواية أخرى بانهدام مواضع كثيرة في ناحية حلب وانهدام بعض مساكنها.

- ١١٥٧ م / ٥٥٢ هـ زلزلة بالشام خربت الكثير من البلاد وأهلكت العباد، أشدها بحماه والمعرة وحصن شيزر والبارا وتهدمت الأسوار والقلاع وفي رواية كفر طاب و أفاميا و ما والاها وإلى مواضع من حلب . وقال آخر " وأما حلب فهدمت بعض دورها وخرج أهلها "

- ١١٥٨ م / ٥٥٣ هـ زلزلة روعت حلب وبلغت عظمتها في وضح النهار وعادت ليلاً وأخرى آخر الليل وقد أصابت المنطقة وتضررت الأتارب ودامت الزلزلة إذ حدث قبلها دوي عظيم ثم تأتي بعده حوالي أربعة مرات.

- ١١٥٩ م / ٥٥٤ هـ زلزلة عظيمة في ضحوة النهار، تبعتها أخرى ليلاً أشد منها .

- ١١٧٠ م / ٥٦٦ هـ زلزلة ببلاد الشام لم يسمع بمثلها و ضربت إنطاكية وجبلة واللاذقية وحلب وتم الخراب في نواحي الفرنج ونواحي نور الدين أي في منطقة إدلب وفي رواية أخرى ٥٦٥ هـ أدت إلى خراب البلاد .

- ١١٧٤ م / ٥٦٩ هـ ارتفاع الأسعار مع كثرة الغلال (الحنطة والعدس والقطن) .

- ١١٧٧ م / ٥٧٣ – ٥٧٤ هـ حدث غلاء وقحط شديد في البلاد .

- ١١٩٩ م / ٥٩٦ هـ حدثت زلزلة بالشام عظيمة .

- ١٢٠٣ م / ٦٠٠ هـ زلزلة عظيمة .

- ١٣٢٣ م / ٧٢٣ هـ في الشام زلزلة ورياح .

- ١٣٤٣ م / ٧٤٤ هـ زلزلة ببلاد حلب الضحايا ٥٧٠٠ نسمة وتكررت ..

- ١٤٠٣م/ ٨٠٦ هـ زلزلت حلب وأعمالها زلزلة شديدة وخربت أماكن كثيرة .. وزلزلت زلازل كثيرة متفرقة طوال السنة، وكانت الزلزلة

بالجبهة الغربية منها أكثر .

- ١٤٠٤م / ٨٠٧ هـ حدثت زلزلة بحلب ولم تفسد شيئاً وحدثت أخرى وانتشرت في عدة أماكن حولها (ومنها منطقة إدلب) .
- ١٤٠٨ م / ٨١١ هـ حدثت زلزلة عظيمة في نواحي بلاد حلب وطرابلس فخرب من اللاذقية وجبلة . وخربت شغر وبكاس كلها وقلعتها ومات جميع أهلها إلا نحو خمسين نفساً .
- ١٦٤٦ م / ١٠٥٦ هـ طاعون في المنطقة ... وفي إدلب الصغرى أصيب به الشاعر أبو السعود الحلبي الكوراني .
- ١٦٦١ م / ١٠٧١ هـ طاعون في بلاد الشام أهلك الكثيرين وقحط عم القطر .
- ١٦٦٥ م / ١٠٧٥ هـ طاعون أهلك البيوت وكذلك في عام ١٦٩٢ م الطاعون في بلاد الش ١٧٥٩ م / ١١٧٣ هـ حصل البرد القارص، ويبس شجر الزيتون فنزح الكثير من السكان .. وكذلك حدث زلزال شديد عم البلاد واتصلت الزلازل كل أسبوع مرتين.
- ١٧٧٠ م / ١١٨٤ هـ اشتهر البرد حتى تجلد نهر العاصي أياماً ويبس شجر الزيتون والموجود الآن جديد أي في هذا العام .
- ام ١٧٩٤ م / ١٢١٠ هـ يباس الزيتون في المنطقة خاصة إدلب و سرمين نتيجة الصقيع وحرقت الأشجار بكميات كبيرة، وأدى إلى الفقر الفاحش في المدينة كما وصفه لنا أوليفر في زيارته .
- ١٧٩٩ م / ١٢١٤ هـ انتشر الجراد في حلب وقراها و أصاب المحاصيل الزراعية في هذه المنطقة .

- ١٨١٦ م / ١٢٣٣ هـ طاعون في حلب وانتشر في البلاد .
- ١٨٢٢ م / ١٢٣٧ هـ في آب زلزال في إنطاكية وأعمال حلب وأصاب معرة مصرين وكذلك دركوش ومعرة النعمان وسلقين و إدلب وجسر الشغر ورام حمدان وأرمناز وسرمين وريحا وسرمدا وبلاد الحلقة (ناحية الدانا) وغيرها في سورية . والضحايا ٢٠ ٠٠٠ قتيل.
- ١٨٢٦ –١٨٢٧ م / ١٢٤٢ هـ انتشار الطاعون في المنطقة وهلاك السكان بكثرة.
- ١٨٣٢م / ١٢٤٧ هـ انتشار الجراد في المنطقة .
- ١٨٣٧ م /١٢٥٣ هـ الهواء الأصفر بالشام - إنطاكية - الجسر (عن بخاش) .
- ١٨٣٨ م / ١٢٥٤ هـ سقط الثلج الغزير، بمقدار نصف الشجر في معظم إدلب - ريحا - أرمناز .
- ١٨٥٢ م / ١٢٦٩ هـ في كانون الأول وذكروا (أن بإدلب خربت كتير نتيجة زعقة ووقعة امنا ؟) (عن بخاش) .
- ١٨٧٢ م / ١٢٨٩ هـ زلزال من إنطاكية إلى حلب، وضرب بعض المواقع في المنطقة.
- ١٨٥٤ م / ١٢٧٢ هـ آذار الأسبوع الأول صقيع وبرد في الجسر (عن بخاش) .
- ١٨٦٨ م / ١٢٨٥ هـ كان الشتاء شديداً وتوالى سقوط الثلج على حلب وأكثر أعمالها نحواً من أربعين يوماً، وانقطعت المواصلات ومات بعض الناس، وهلكت الألوف من المواشي .
- ١٨٩٧ – ١٨٩٨ م / ١٣١٥ هـ البرد الشديد في إدلب، لم يحدث مثله منذ خمسين سنة. وقتل رجل من البرد في إحدى

ضواحيها . وهزة أرضية في إدلب والجسر لم تعقب أضراراً، ولكنها ضربت جامع أرمناز.

- ١٩٠١ م / ١٣١٩ – ١٣٢٠ هـ انتشار مرض الهواء الأصفر في إدلب وجسر الشغر بعد حلب .
- ١٩٠٥ م / ١٣٢٣ هـ زلزال محلي أدى لضرب حلب .
- ١٩٠٦ م / ١٣٢٤ هـ برد شديد وأمطار غزيرة إذ مات عدة أشخاص على الطرقات من البرد وزوابع الثلج في إدلب و جسر الشغور.
- ١٩٠٩م/١٣٢٧هـ صقيع أصاب الزيتون بإدلب .
- ١٩٢٧م تساقط الثلج بغزارة، وموجات الجراد في المنطقة .
- ١٩٣٢م/١٣٥١هـ تساقط الثلج ووصل ارتفاعه إلى ثلاثين سم وأثر في الحياة الزراعية بالمنطقة.
- ١٩٤١ م / ٣٠ ذي القعدة ١٣٦٠ هـ حدثت هزة أرضية الساعة ١١ نهاراً بإدلب، واهتزت البيوت وجميع العمران لقوتها، ولم تحدث أضراراً (عن مذكرات ربوع) .
- ١٩٤٩ م / ١٣٦٩ هـ بسبب الصقيع الشديد يبس أكثر شجر الزيتون والتين واللوز في إدلب والمعرة وحلب وكثير من البلاد الشامية .. وبدأ التجار بنقل الحطب من إدلب
- ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٩ م / ١٠ جمادى الأول ١٣٧٩ هـ ظهر الغبار في إدلب وحواليها وطال أمده حتى أن الناس لا يرى بعضهم بعضاً، و أزعج الناس بدخوله مناخرهم، وظل يومان ... وبعد زواله هطلت الأمطار وغسلت الغبار وحدث مثله في العام التالي ١٩٦٠ وكذلك ١٩٦١.

- ٣١ كانون الأول ١٩٦٤ / ١٧ رمضان ١٣٨٣ جليد طال يومان ولم نر مثله وأثر على الزيتون حتى أن الجليد تشكل كأصابع البلور على الأشجار.
- ١٩٦٥ م / ١٣٨٥ – ١٣٨٦هـ في حزيران زلزال محلي ضرب حلب .
- ١٥ حزيران ١٩٦٨ م / ١٩ ربيع الأول ١٣٨٨ هـ مطر شديد على أرمناز دخل البيوت والجامع الكبير ومات غرقاً ثلاثة أولاد وامرأة.
- ١٩٦٩ م / ١٣٨٩هـ كوليرا تصيب منطقة إدلب وغيرها و يموت حوالي ٧٠ شخصاً .
- ١٩٧٠ م / ١٣٩٠هـ زلزال محلي متوسط .
- ٨ تشرين الثاني ١٩٧٣ / ١٤ شوال ١٣٩٣ هـ وقت العشاء زلزلة لمدة خمس ثوان لم تؤذ شيئاً .
- ١٩٨٦ م / ١٤٠٧ – ١٤٠٨ هـ في ٥ / ٥ زلزال ضرب مدينة حلب وغيرها .
- ١٩٩٣ م / ١٤١٥ هـ.في ٢١ / ٧ زلزال ضرب المنطقة بدون تأثير .

الفصل الثاني

في نشوء ادلب ونهضتها

أولاً - تكون إدلب الصغرى (إدلب الحالية) :

١- **مقدمة** : هل صحيح أن إدلب الحالية بلا تاريخ كما توهم بعضهم ؟ ترى أهي منسية في زواياه لم تلق الاهتمام من المؤرخين؟.. إن أي زائر لهذه المنطقة يدهش لكثرة المواقع الأثرية في المحافظة ويتساءل : عن هويتها وواقعها [١] .. هذه التلال الأثرية والحصون والأديرة والكنائس والمناسك والمعاصر والدارات والمدافن، والتي ازدهرت في عهود مختلفة، وخاصة في عهد إبلا ، ثم عصر السلام الذي ساد في العهد الروماني، وكان للاتجاه الديني الزائد الفضل في بناء معابد وأديرة وكنائس، تدعم الاتجاه نحو الاستيطان حولها في هذه المنطقة الغنية بذاكرة التاريخ .

٢- **الأصل الديني** : كانت قرية إدلب الحالية في أصلها هذا المعبد الوثني والمذكور في رقم إبـلا في قرية (لوبان) بمناسبة عرس (كيشدوت) أخت ملك إبـلا المعروف (إيبريوم) بمناسبة زفافها إلى ملك كيش في بلاد ما بين النهرين ،والتي فيها معبد (نيداكول) ويرسل العريس أخته (زانيب دولوم) = زنوبيا دولا = زينب دلال لتصبح كاهنة في هذا المعبد .. إذن زينب هذه إحدى الشخصيات الهامة في تاريخ إدلب، سليلة الملوك من بلاد ما بين النهرين و خادمة معبد إدلب .. وإن زواج هذا الملك من سلالة ملوك إبـلا، وإهداء أخته لأحد معابدها هنا، هو تزاوج حضاري، ودليل على وحدة المنطقة عبر آلاف السنين .. ونعود إلى الأهم كان لهذه القرية أهمية عند الجميع إذ لم تذكرها وثائق إبـلا فقط تحت اسم قرية Lu – ba – an لُوبان أو لُ-بَان في الألف الثالث قبل الميلاد .. بل كذلك ذكرتها نصوص حضارة ألالاخ - في سهل العمق بجوار أنطاكيا والتي حكمت هذه المنطقة وكما سيرد - تحت اسم Lu – ba – ni لباني أو لُبَنِ بالعبارة التالية *((قرية في أراضي حكمنا))*

---

[١] ليس هنا موضوع اهتمامنا بذلك .. للمزيد راجع كتبنا الرحالة وغيرها .

وأما حضارة أوجرت (أوغاريت) المطلة على البحر المتوسط ،فهي أيضاً حكمت هنا في هذه المنطقة ،وكما سيرد تفصيلاً - ولذلك وردت عندهم باسم لبانا Lu – ba – na بالعبارة التالية :((*في مصير تبعيتها ل- لابنيوما ...*)) .. وأيضاً في النصوص الفرعونية في العمارنة La – pa – na لَب – نا = لبَن في الألف الثاني قبل الميلاد[1].. كل هذه الدلائل تشير بلا شك إلى أهمية هذه القرية لوبان في الألف الثالث قبل الميلاد، ولبَن في الألف الثاني قبل الميلاد إذ وردت في جميع نصوص الحضارات القديمة في المنطقة وإن إهداء أحد ملوك العراق القدامى أخته لمعبدها، يؤكد على أهمية معبدها ومكانته في هذه المنطقة الهامة تاريخياً . ويمكن القول إن هذا المعبد قد ظل معبداً حتى بعد وقوع مملكة إبـلا بيد الحثيين ١٦٠٠ق.م .. وليتحول إلى معبد ديني لمملكة بركا والآراميين، ثم في العهد الروماني، والذين كانوا وثنيين .. ولتتكون (لْب) كقرية مرة ثانية بعد هدمها من قبل الحثيين، بعد أن كان لها الوجود الحقيقي في زمن مملكة ألالاخ .. وللتوضيح أكثر، تكونت القرية (لبن) في حدود منتصف الألف الثالث ق.م حول معبد نيداكول الابلائي، وكانت تحت سيطرة مملكة ألالاخ بعد تراجع مملكة إبلا ،ثم لمملكة بركا وكذلك كانت لزمن تحت مملكة أوجرت، وسنوضح هذا في الفصل التالي. وننوه إلى أن كلمة لبوم الاكادية تساويها لبـن في اللغات المجاورة كما نلفظ الآن كفرتخاريم = كفرتخارين و احسم = احسين . وتعني لبوم في الآكادية = البقعة وهي مسجلة في المسح الجغرافي زمن الانتداب الفرنسي في موقعين مجاورين لإدلب الحالية في شمالها وجنوبها - وكما سيرد - إذن فالاسم القديم ما زال حياً إلى الآن . وأخيراً يمكن القول إن قرية ليبو(س) ؟ في العهد الروماني - القرن الثاني قد تكونت في حي الصليبية على شكل صليب - وكما سيرد - وما المقبرة المكتشفة جنوبها - مكان القصر العدلي ومبنى المحافظة وسابقاً القشلة العسكرية العثمانية - واكتشاف الفخاريات والأواني الزجاجية من القرن الثاني الميلادي - في متحف إدلب - (الصورة٢٥)غير دليل أكيد على وجود قرية

---

[1] سجلات إبلا- المجلد٢ عام ١٩٩٣م- ص٣٣٤وعبلاء -ص١٦٧

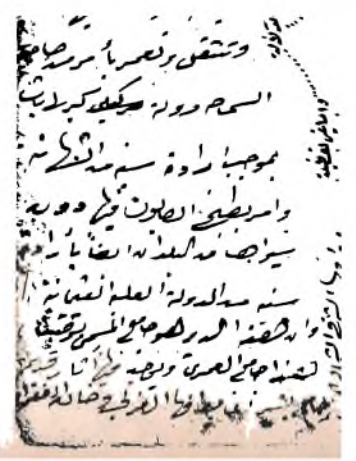
ليبو في هذا العهد .. وكذلك وجود بقايا قصر لأحدهم في حي الصليبة - القسم الجنوبي منه - من عواميد ونجفات وتيجان كورنثية ضخمة (الصورة ٢٦) تؤكد هوية هذا المكان، ومن خلال هذه النقوش والزخارف، فإنها ترقى إلى القرن الرابع الميلادي أوج ازدهارها في العهد الروماني .



(الصورة٢٥) قوارير المدفن الأقدم في ادلب-القرن٢م.متحف ادلب.



(الصورة٢٦) التاج الكورنثي المكتشف في حي الصليبة-القرن٦م



(الصورة٢٧) وثيقة الشيخ ربوع

٣- **الأصل الديري** :توصل الكثير من الباحثين إلى القول بنشوء الكثير من القرى حول الدير الذي كان نواة لها[1] و أصحاب الأديرة يختارون مواقعهم في المكان النزه الجميل، في ضواحي البلدان و بين الحدائق والرياض، ليتسنى لهم التأمل وعبادة الله، وممارسة أعمالهم الزراعية حول الدير .. وبدأت

---

[1] سيتوضح هذا الرأي أكثر وفي كتبنا الرحالة .. وكتابنا القادم " دليل أسماء بلدان محافظة إدلب وقراها " .

الأديرة في الانتشار في القرن الخامس الميلادي .. وأما (دير دْلبين) فقد تم اختيار موقعه في مكان المعبد الوثني القديم (نيداكول) في قرية (ليبو) فكان هذا الدير أصل البلدة الحالية المدعوة الآن إدلب وسابقاً إدلب الصغرى..

ويؤكد فرضيتنا هذه :

أ- ذكر اسم دير دلبين في الوثائق السريانية، ومشاركة هذا الدير في مؤتمري باتبو المنعقدين عام ٥٦٧ – ٥٦٨ م مع رهبان الأديرة المجاورة لإدلب الحالية .

ب- بقاء الاسم محوراً في الاسم الحالي إدْلِبْ وسابقاً إدليب وعند السكان والوثائق دير لب في العهد المملوكي وفي العهد البيزنطي دْلبين مفردها دْلبو والتي اشتملت على دير و لب بين اسم القرية والبناء الجديد .

ت- روايات السكان المتواترة عن أسلافهم، بأن أصل إدلب دير واقع في حي الصليبة في جامع العمري والذي هو في أصله معبد وثني ثبتت صحتها من خلال التوثيق العلمي . وقد قرأنا في مذكرات المرحوم الشيخ عبد الرحمن ربوع في النصف الأول من القرن العشرين نقلاً عن مخطوط قديم اطلع عليه، ولم يذكر اسمه، وهو مفقود الآن، ما يلي : *إن هذه البلدة تدعى دير لِب، وبجانب هذا الدير من جهة الشمال بمقدار كيلومترين يوجد بليدة صغيرة تسمى إذليب.. الآن فيها آثار قديمة من قبور وأساس عمران وفي المحل كولة مائية تسمى بوقتنا هذا الرام وإن هذه البلدة الصغيرة صار أهاليها ينتقلون إلى جانب هذا الدير المذكور وتعمر وتسكن [وكذلك] جميع القرى التي بجانب هذا الدير صار أهاليها تخرب وتنتقل وتعمر .. ويضيف*((.. وإن هذا الدير الجامع المسمى حالياً بوقتنا هذا جامع العمري ..))(الصورة٢٧)

ث- كما أن دراساتي الخاصة ومتابعاتي مع المهتمين بالآثار والباحثين الأجانب، وبعد الحفريات والمكتشفات الأثرية الأخيرة بإدلب، وخاصة بعد امتداد يد الجهل بهدم جامع العمري عشوائياً في خريف ١٩٨٨م أكدت فرضيتي هذه، وتطابقت المكتشفات مع روايات السكان . وتاريخياً نقول (في

القرن الخامس الميلادي قسمت الكنيسة الشرقية إلى قسمين، إذ ثار السريان المنوفيزيون على مجمع خلقدونية نحو قرن، إلى أن نظموا صفوفهم في طائفة مستقلة منذ عام ٥٤٣ م . وظلت الرهبانية نشطة في هذه الكنيسة مدة طويلة [١]. وهنا لن نعرض واقع هذا الانشقاق ومضمونه تفصيلاً، بل سيرد في الفصل الرابع . كذلك سعى أتباع هذا المذهب كي يقيموا مؤسسات دينية خاصة بهم، تبث معتقدهم وتثبته بين أبناء المنطقة، ولذلك فكر المسيحيون في يدّابي (إدلب الشمالية) المنشقين بإنشاء دير لهم وكنيسة خاصة بهم في موقع مناسب ،وقريب من أراضيهم، ليقيموا شعائرهم بلوترجياتهم [٢] الخاصة بهم، فاختاروا الموقع الحالي لإدلب الحالية في قرية (لب) ودعي هذا الدير باسم سرياني " دْلبين " [٣] وتضمنت الوثائق السريانية في متحف لندن اسم رئيس رهبان هذا الدير " دانييل أو دانيال " الذي شارك في مؤتمر الرهبان المنوفيزيين عامي ٥٦٧ – ٥٦٨ م وهم أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، والذي كان يتبعه معظم المسيحيين في المنطقة وأديرتها في كل من حراجة - قميناس - بنش - فوعا - نيرب - مسطومة- بدبلة - تل رمان، لأنهم وجدوا تمسكهم بهذا المذهب، أساساً لوحدتهم الوطنية وبقاء وجودهم كسريان عرب أمام جور بيزنطة، واضطهادها الديني لهم، وكما سيرد في الفصل الرابع . وما زال أبناء إدلب يلفظون الكثير من الكلمات باللهجة السريانية التي كانت سائدة قبل الفتح الإسلامي، كما أن بعض عائلاتها تحمل اسماً سريانياً، وهذا ما سنأتي على ذكره في فصل لاحق. وكذلك فإن بعض المواقع المجاورة تحمل

---

[١] مجلة المشرق مجلد ٣٤ عام ١٩٣٦ ص ٣٤٢ . عن هذا المجمع والانشقاق راجع هوامش الفصل الرابع .

[٢] ليتورجيه : مجموعة الطقوس الدينية والعناصر اللغوية والفنية والتقاليد الكنسية . وانظر بحث النصارى وطقوس اليعاقبة . في الجزء الثاني .

[٣] يروى نقلا عن مخطوط مفقود كان بيد الشيخ ربوع أن رهبان الدير كان لهم مذهب مغاير لمذهب نصارى إدلب الآن، ودون ذكر لاسم هذا المذهب وهذا القول صحيح بما اكتشفته بنفسي في الاطلاع على الوثائق الأخرى.

ذكريات لغوية أو تاريخية . ومجمل القول إن دير دْلبين يرقى تأسيسه إلى منتصف القرن السادس، بعد أن كان معبداً وثنياً من الألف الثالث قبل الميلاد .

٤- من الدير إلى جامع العمري : لقد ثبت اسم هذا الدير عند العرب المسلمين باسم (دير لِبْ) تحريفاً للاسم السرياني القديم، وظل الاسم الثاني للدير (العمري) مثبتاً في بناء جامع العمري، بعد أن كان كنيسة الدير . و لا تعني العمري كما توهم بعضهم إنه مسجد بني منذ أيام عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز، فالوثائق التاريخية تنفي هذا الخطأ الشائع، لأن المسيحيين كانوا الأغلبية في المنطقة حتى القرن الرابع الهجري، وكما سيرد .. لقد أصبح التجمع الديري بمستلزماته القائمة من أجل خدمته، هو الأساس والهوية حينذاك . وكلمة دير جاءت من دور، والتي تعني القصر والقلعة في اللغات العربية القديمة . عرفه المقريزي (الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به . والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة) و أطلق على الدير (خان النصارى) مع أنه كان أيضاً للمسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين.

كالخان تنزله وترحل غادياً   ويحل بعدك فيه من لا تعلم [١]

سبق أن بحثنا في الجزء الأول من الرحالة تردد الخليفة عمر بن عبد العزيز (ر) إلى دير شرقي قرب معرة النعمان(الصورة٢٨) وتردد الخلفاء والأمراء إلى الأديرة أمر يتطلب منا بحثاً خاصاً، ونشير إلى رواية الخالدي عن زيارة عمر بن الخطاب إلى المنطقة ولقائه براهب دير رُما نين في ناحية دانا منطقة حارم(.الصورة٢٩).. ، ويسأله أن يكتب له كتاباً في ترك خراج الدير والوصاة به))[٢]

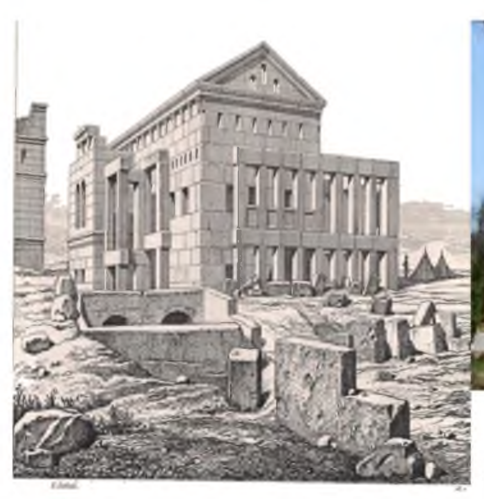
---

[١] الزيات - حبيب : الديارات ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨

[٢] انظر الرحالة ١/ ١٤١ وما بعد. وحول هذا الكتاب ورد في بحث الخانات ..ولكن حبيب الزيات ينكر صحة هذه الزيارة،بل هي مختلقة من قبل الرهبان للتخلص من التكاليف والجزيةص٤٠١ .



(الصورة٢٨) مبنى ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز في ديرشرقي-شرق معرة النعمان



(الصورة٢٩) بقايا دير ترمانين-القرن٦م- عن فوغوية١٨٦٢م

أما الراهب الساكن في الدير المنتسب إليه فيقال له ديّار وديراني وللراهبة ديرية وديرانية .والدير هو متعبد اختص أكثر بالمسيحيين...وفي تاج العروس (العُمر) بالضم المسجد والبيعة والكنيسة، سميت باسم المصدر لأنه يعمر فيها أي يعبد) . ويعلق حبيب الزيات على ذلك (وقد بحثنا كثيراً فلم نعثر على شاهد واحد يثبت استعمال العُمر بمعنى المسجد . و لا ندري ما الفرق بين هذا التحديد بين البيعة والكنيسة، إلا إذا أراد أن يعني بالكنيسة معبد اليهود . وعلى هذا يكون معنى العمر - على حد رأيه - بيت العبادة بالإطلاق لأهل الكتاب على السواء .. وليس في أقوال الكتاب والشعراء قديماً ما يؤيده . قال ياقوت في تفسير العُمْر (والذي عندي فيه أنّه من قولهم عمرت ربي أي عبدته . وفلان عامر لربه أي عابد . وتركت فلاناً يعمر ربه أي يعبده. فيجوز أن يكون الموضع الذي يتعبد فيه يسمى العمر . ويجوز أن يكون مأخوذاً من الاعتمار والعمرة وهي الزيارة ... ويقال عمرت ربي وحججته أي خدمته . فيجوز أن يكون العمر الموضع الذي يخدم فيه الرب), وفي مراصد الاطلاع أن الدير يسمى عمرا إذا كان مجاوراً للأماكن المعمورة وهو قوله (ما كان من مواضع المتعبدات التي فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فإنه يسمى العُمر) وينتهي

الزيات إلى القول ... والصحيح أن الكلمة من أصل آرامي بمعنى البيت والمنزل, ويوضح صاحب مراصد الاطلاع تعريف العمر مرة أخرى بقوله (والعُمر للنصارى أحد متعبداتهم، وهو كالدير إلا أن الدير هو الذي فيه قلالي، وهي مساكن للرهبان، وكأن الذي يكون حوله بستان يسمى عُمْراً) . [٢] ونخلص إلى القول بعد هذا التوضيح في أصل هذا اللفظ ومعناه إن موقع جامع العمري وما يحيطه كان في أصله موقع المنشأة الديرية التي أقامها رهبان دير دُلبين السريان المنوفيزيين . وكان الجامع هو كنيسة الدير وكما سيرد في دراستنا الأثرية عنه . وتوضحت لنا كلمة العمري ومصدرها، وعند أسلافنا كانت هذه الكلمة شائعة كموقع تعبد المسيحيين، فبدلاً من إطلاقهم اسم كنيسة العمري، حولوها إلى جامع العمري، الاسم الأول كنيسة الدير والثاني مسجد الدير هذا في المضمون، وفي التداول ظل اسم العمري محفوظاً في ذاكرة الأجيال كجامع العمري دون بعد للمضمون، غير ذكريات يرويها كبار السن و بلا تفاصيل دقيقة . وما أكثر المساجد التي يطلق عليها العمري وينسبها بعضهم خطأً إلى العمرين . ولابد من إقامة سور يحصن الدير، يدفع عنه شر الهجمات والمعتدين عليه (وقد تم اكتشافه جنوب الكنيسة حين هدم زقاق البوس)، ويشترط أن يكون فيه كنيسة يصلي فيها الديرانيون ،وأن يحتوي على صوامع تستوعب من فيه من رهبان .. ومما لا غنى عنه كالمخازن وبيوت الطعام وغيرها من المرافق . وأما الصوامع فهي قلالي الرهبان [١] ولا بد للراهب من صومعة يقيم فيها وحده . وهذه الصوامع تبنى وإن كان الدير قائماً في السهل، أو تنقر في قلب الجبل [٢] وما زال هذا الاسم محفوظاً في موقع الصومعة - ساحة هنانو الآن – بإدلب .ومن خلال

مراصد الاطلاع ٢ / ٩٦١ وفي تركيا دير مار جبرييل شرقي ماردين يدعى بالعمري .

[١] في تاج العروس القَلّ-ية بالكسر وشد اللام شبه الصومعة . ومنه كتاب عمر / ر / لنصارى الشام لما صالحهم أن لا يحدثوا كنيسة ولا قلية .

[٢] الشابشتي - أبو الحسن : الديارات ص ٣١ .

الدراسات الأثرية الأخرى، كان رهبان الدير يستثمرون ٢ – ٣ هكتار في الزراعة، وخاصة الزيتون، ومن الجائز يديرون معصرة، ولابد أنه كان لهم معصرة بإدلب قرب هذا الدير! وهي معصرة حسان في الوثائق العثمانية. [٣]
في موقع إدلب الحالية، النزه الجميل، بهوائه العليل وبساتينه كمنطقة البستان في الحي الغربي - بني هذا الدير بمنشآته الديرية التي جمعت الكنيسة والصوامع والمخازن وغيرها من المرافق . فكان هذا الدير مدرسة حضارية بكل فنونها وألوان ثقافتها، عاملاً مهماً في جذب السكان نحوه، من أتباع مذهبه - إلى جانب اتباع المذهب الأخر المؤيد لبيزنطة في إدلب الشمالية - فتكونت حوله قرية في حي الصليبة، أصغر من الأولى الشمالية . وفي مطلع الفتح الإسلامي أيدت قرية (دير) دْلبين - دير ليب - فيما بعد العرب الفاتحين، وساعدهم أحد رهبانها في تسهيل مهمة فتح إدلب الكبرى - انظر التفاصيل في الفصل الثالث - وظل هذا المذهب سائداً وهم في أمان، ولكن مع الزمن اعتنق بعض المنوفيزيين الإسلام، وخاصة بعد القرن الرابع الهجري، لاتصالهم المباشر والقوي مع المسلمين في الإدارة، منذ أيام معاوية، وللضغوط التي تعرضوا لها من مناوئي مذهبهم الخلقيدونيين أتباع بيزنطة، واحتد هذا الصراع في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، حين غزا الروم هذه المناطق ثانية , وهكذا كانت الكنيسة السريانية الوجه الوطني أمام كل محاولات التحول نحو بيزنطة . ثم فيما بعد وفي الحروب الصليبية - انظر تفصيل ذلك في الفصل السادس - تعرضت الكنيسة السريانية المنوفيزية إلى ضغوط أخرى، بل أشد من الفرنجة كي تتبع كنيستهم اللاتينية، فهاجر الكثير منهم إلى مصر والعراق ولبنان، حيث هناك الكنيسة الأقرب إلى مذهبهم، وأما من بقي فقد أسلم واحتفظ في تراثه بكثير من الذكريات الماضية، عن أسلافه، أو مواقعهم المقدسة. وبعد خروج الإفرنج و في العهد المملوكي، انتهت حياة هذا الدير وتحولت كنيسته إلى مسجد جامع دعي بالعمري، هذا الاسم الشائع في تلك العهود، واللغة الشعبية

---

[3] الزيات : الديارات ص ٣٩١ –٣٩٢ .

المحكية فيها كلمات سريانية، والسريان يسمون الدير بالعمر . وبما أن المنوفيزيين قد هاجروا، فقد أصبحت ممتلكاتهم عامة، وأصبح (حي الصليبة) المهجور المجاور للدير ملكاً عاماً، ولتبدأ فيه صناعة الصابون، والتي كانت مزدهرة في سرمين، وإدلب الشمالية، فتحولت إلى هذا المكان، والذي اختص بامتيازات خاصة في العهد العثماني . ومع الزمن تحول هذا الموقع إلى قرية تدعى ادليب (بالياء) الصغرى (أو اذليب وكلا الكلمتين بمعنى واحد قديماً) ولتشمل الاسم القديم لب - و- اذ - أو - اد الاسم الأقدم لإدلب الكبرى لأن الكثير منهم قد هاجر إليها فصار الاسمين معاً اسماً واحداً. وليكون اسم الحالية ادليب الصغرى ،والأخرى إدليب الكبرى . وإن كان اسمها الصناعي ادليب الصابون . وأقدم وثيقة عربية تذكرها هي وثيقة وقف محررة سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ – ١٤٥١ م تذكر (قاضي القضاة أبو الفضل محمد بن محمد ابن الشحنة أوقف قيراطان من أصل ٢٤ هي جميع القرية المعروفة بإدلب الكبرى من الغربيات مضافات حلب، حدها من القبلة أراضي قرية إدلب الصغرى ومن الشرق أراضي قريتي بطما و بهوذا[١].

وكذلك ذكرها ابن الشحنة ت ٨٩٠ هـ في تأريخه لحلب ولأول مرة حين عرف (حصن زردنا في بلد إدلب) أي أنها أصبحت في عهده يطلق عليها اسم (بلد)(٢) وأقدم نص وثائقي عربي لأحد أعلامها نجده في كتاب در الحبب في ترجمة الكفر رومي الإدلبي ٨٨٠ –٩٦٠هـ/١٤٧٥– ١٥٥٢ م) وأن أستاذه بإدلب يدعى عبد الله الميكائيل، أي قبل هذا التاريخ قد عاش هذا الأستاذ، ومن اسمه يمكن القول: إنه قد كان مسيحياً ،أو أسلم ؟!

ومما سبق نخلص إلى القول : أصبح يوجد قريتان إدلب الحالية ولتكون قرية وبلد في العهد المملوكي الأخير، وغالبية سكانها مسلمون . وأطلق عليها اسم

---

[١] الطباخ - سير - ٥ / ٣١٤ – ٣٣٢ ومقدمة كتاب ابن الشحنة الدر المنتخب طبعة دمشق ١٩٨٤ ص٢٧ .

[٢] ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧٧ حول هاتين القريتين انظر بحثنا القرى الداثرة .

قرية ادليب الصغرى، وأحياناً إذليب الصغرى. وأما إدلب الشمالية باعتبارها أكثر سكاناً وعمراناً من الحالية، أطلق عليها اسم قرية ادلب الكبرى، وسكانها مسلمون و مسيحيون من أتباع المذهب الأرثوذوكسي . وكلا القريتين تابعتان في هذا العهد إلى مملكة حلب في ولاية سرمين ،في بلاد الغربيات . ولكي لا نهضم حق الشيخ عبد الرحمن ربوع ابن إدلب في مذكراته حين ذكر((أن عمارة إدلب الصغرى، قد تم عام ٩١٨ هـ/١٥١٢ م))هو قول صحيح وقريب من شواهدنا ولا يلغي ما أثبتناه وثائقياً قبل هذا التاريخ، بل يؤكده، وبذلك نعتقد أننا قد أوضحنا اللوحة التاريخية لتحول هذا الموقع، من الدير إلى جامع العمري في قرية دير ليب إلى قرية إدليب الصغرى في النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي[١] .

٥- الدراسة الأثرية الميدانية: بعد هذا العرض التاريخي واللغوي نتساءل ماذا بقي من الدير، و أين كنيسته ؟

هذا السؤال المطروح حاول قبلنا الإجابة عليه الباحث الأثري الفرنسي (ج. تشالنكو) ، والذي جاء إلى المنطقة في الثلاثينات من القرن الماضي ، ودرس سورية الشمالية والمدعوة الكتلة الحوارية (بيلوس سابقاً) أشار إلى وجود دير دْلبين المذكور في اللوائح السريانية المنوفيزية في إدلب، ولكنه لم يحدد موقعه بشكل دقيق، بل علق قائلاً : من الوارد وجود كنيسة فيها غير ظاهرة (مختفية) وطراز تيجانها يشبه طراز تيجان الكنائس البيزنطية (ذات حدين) Deux zone كما في قصر ابن وردان [٢] , ويبدو أنه شاهد تيجان جامع العمري قبل تشويهها وطمس معالمها، وبمقارنتها مع غيرها خلص إلى هذا

---

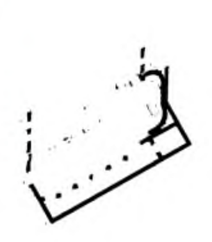
[١] المؤرخ ابن شداد (توفي ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م) لم يذكر إدلب في أعمال حلب - سرمين، بينما المؤرخ ابن الشحنة (ت٨٩٠) والذي نقل عنه كتابه أضاف إدلب..وبذلك تتطابق صحة فرضيتنا العلمية لتسد ثغرة أمام كل باحث عن تاريخ إدلب الحالية .

[٢] يقع قصر ابن وردان في محافظة حماه إلى الشرق ٦٠ كم فيه كنيسة من القرن السادس VAS 1/99 – 3/78, 79, 96 . .

الرأي . وقبل هدم الجامع بسنوات قمنا بدراسته عمرانياً .. تبلغ مساحته ٥٣٣ م مربع هيكل الحرم مبني فوق كنيسة من الطراز البازليكي كما في طراز بناء معظم كنائس المحافظة ذات الصفين من العواميد وبإدلب هي ذات الصحن المتكون من ثلاثة أروقة (أسواق) بعد كل منها ٣م، ويحمل السقف على قناطر حجرية قديمة قائمة فوق أعمدة تبعد عن بعضها، وعن الجدار مسافة ٣م، والقائمة في الجنوب والوسط والغرب، وتبدو علائم التيجان الكورنثية ذات الحدين القائمة في وسط الصحن،وغربيه و في هذا الصحن كان يجتمع المصلون، بينما الشطر الشرقي للكنيسة، والمدعو قدس الأقداس. (المذبح وملحقاته) فعلائمه غير موجودة[١]

(الصورة ٣٠-٣١) ولابد أن يكون هناك مدخل رئيسي غربي، ومدخلان آخران جنوبيان، أحدهما للرجال ،والآخر للنساء، ومعالمها غير موجودة أيضاً







(الصورة٣٠) الحرم الداخلي لجامع العمري قبل هدمه١٩٨٨م (الصورة٣١) تصور منظور كنيسة العمري إعادة (الصورة٣٢) لكنيسة(ديرلب)بعد هدم جامع العمري البقايا الأثرية

وبعد الهدم العشوائي، والمؤلم خريف عام ١٩٨٨م، تم هدم الجامع، دون أي اعتبار لقيمته التاريخية، كمعلم أخير لهوية إدلب التاريخية، فلم نتمكن من

---

[١]) راجع الرحالة ٢ / ١١ حول هذه المصطلحات الكنسية وغيرها.

تصويرغير بقايا البناء في العهد البيزنطي(الصورة ٣٢). وقد أصاب كبار سكان إدلب، وعوامهم بظنهم نورواياتهم، حين رووا أنه في أصله دير، أو كنيسة.. إذ ظهرت العواميد المتشابكة مع الأقواس، أي القناطر الحجرية الضخمة بدون ملاط، وهو أسلوب البناء السوري القديم ، كما وجدنا في خراب كفر البارا ورويحا وسرجلا وغيرها من القرى الأثرية . كما ظهرت تيجان أخرى تتوضع فوق الأعمدة الرئيسة، وإحدى الأحجار المنقوشة والتي كانت تستخدم هكذا في المعابد الدينية المسيحية . إن هذه التيجان المكتشفة في جامع العمري[١] وكذلك التاجين الآخرين المكتشفين عام ١٩٨٦ في حي الصليبة جنوب الجامع، نقوشها متشابهة وتعود لأواخر القرن الخامس الميلادي – مطلع القرن السادس، نقش عليها ورق الأكانت[٢] وهي معروفة في الكتلة الحوارية في سهل إدلب - الجزر - وتعرف أثرياً بذات الحدين أي طبقة فوق طبقة (دو زون بالفرنسية) وكما هو واضح في الصورة .ويبدو أن دير دُلبين كان من الأديرة الكبرى، إذ كانت هناك صومعة أو قلية لأحد نساكه في حي الصليبة إلى الجنوب الشرقي من الكنيسة[٣] في موقع يدعى الآن زقاق حسان وسابقاً زاوية حسان - حسب رواية الشيخ ربوع عن مخطوط مفقود بأنه كان ينزوي عن الناس في زاويته هذه ويشعل ضوءاً يشاهده أهالي إدلب الكبرى ويقولون انظروا لقد أشعل حسان الضوء ! ولابد أن يكون في زقاق حسان مكان صومعة الراهب كالبرج كما هو في سرفود وتل عقبرين[٤] وهذا القول

---

[١] عند هدم السقف الطيني المتوضع فوق القناطر الأثرية ظهرت الجرة الفخارية وهي الآن في متحف إدلب . وهذا أكد فرضيتنا العلمية، التي توصلت إليها قبل هذا الاكتشاف . وكان العمود الأسطواني المكتشف بقطر ٦٠ سم مما يشير إلى وجود الدير في هذا الموقع .

[٢] الأكانت نبات أو شوك معمر أوراقها سنبلية مخرمة، كانت تستعمل للتزيين موطنها حوض البحر الأبيض المتوسط وأوراقها مفصصة وأحياناً شائكة الجدران.وترمز في الرسوم المسيحية إلى السماء.

[٣] كثير من الصوامع الخاصة بالرهبان أو النساك تقع إلى الجنوب الشرقي من الكنيسة كما هو في صومعة ناسك الكنيسة الجنوبية في رويحا.انظر الرحالة ٢ / ٧٣ وكذلك الجزء الثالث والرابع - قيد الإعداد -

[٤] وفي حي الصليبة زقاق يدعى زقاق حسان . واسم حسان شائع في المنطقة كدير حسان في منطقة حارم ناحية دانا . وحول الأنوار التي تشع من محابس وقلالي الرهبان انظر

يتطابق وزمن الموجة التي سادت عن النساك حينذاك في المنطقة ونعود للتساؤل من هو حسان هذا ؟ ليس لدينا ما يفيدنا خبراً غير وجود موقع جنوب إدلب بـ ١ كم يدعى مزار الشيخ أبو الحسن/حسان - انظر بحث المزارات - كانوا يقصدونه للتبرك به، وأرضه وقف حتى الآن،ومن بقاياه الحجرية عرفت أن المكان يرقى إلى العصر البيزنطي. ذكره بوركهارد – ١٨١٢م - باسم حسان كضريح مقدس، وهو برأينا أحد رهبان دير دلبين الذين انعزلوا في الصومعة .. ولكن من المعروف دفن الرهبان داخل الدير، أو في الصومعة المخصصة له كما هو الحال في بناء ناسك داخل الدير، أو في الصومعة المخصصة له، كما هو الحال في بناء ناسك الصومعة المجاور للكنيسة الجنوبية في رويحا(الصورة ٣٣) ،أو في صومعة كوكنايا في جبل باريشا (الصورة٣٤)وغيرها كثير، وفي الوثائق الرسمية وجود معصرة ومصبنة حسان في العهد العثماني بإدلب الصغرى سنة ١١٣٩ هـ - انظر بحث المعاصر والمصابن - وكانت تقع بجوار الزقاق والزاوية التي كانت باسمه ،وذكرنا آنفاً وجود زقاق حسان في حي الصليبية ، ولعله مكان الراهب حسان ثم تم نقل رفاته فيما بعد إلى جنوب إدلب، وظل وقفاً إلى الآن وليصبح مؤخراً مقبرة إسلامية للسكان الجدد في المنطقة المجاورة له . كما حدث في عام ١٩٩٢ حين تم إزالة زقاق البوس خلف جامع العمري من الجهة الجنوبية وعند حفر أساس جديد، اكتشف سور الدير على بعد ٥٠ متراً من الجدار الجنوبي للكنيسة . وشاهدت بنفسي معالم هذا السور، وشاركني بعضهم فرحتنا، وقلت مخاطباً نفسي : حقاً إن كل ما توصلت إليه في دراساتي ، قد أظهره الواقع حتى ولو كان الحفر يتم عشوائياً . وكما قلنا لكل دير لا بد من

الجزء الثالث من الرحالة .. وقد مر الشاعر امرؤ القيس (٤٩٧ – ٥٤٥ م) في المنطقة، ووصف مصابيح النساك المنتشرين فيها في معلقته المشهورة : قفا نبك، وفي البيتين رقم ٣٩ و ٦٨ يقول :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها	منارة مُمْسى راهب متبتل
يضيءُ سناهُ أو مصابيح راهب	أمال السّليطَ بالذّبال المفتل

سور، وها هو السور(الصورة٣٥)، إذن وبلا شك هنا موقع دير دلبين .. ولا حاجة إلى المزيد من التأكيد ، وفي داخل هذا السور كانت حديقة أو بستان الدير ولابد أن بناء الدير كان إلى الشمال من الجامع . وفي عام١٩٧٠م تم اكتشاف مدفنين بيزنطيين إلى الغرب الشمالي من موقع الدير، عندما تم إزالة المقبرة الإسلامية الغربية الشمالية، ووجد تحتها هذين المدفنين،



(الصورة٣٣) منسكة الراهب في رويحا- القرن٥م

(الصورة٣٤) منسكة الراهب في كوكنايا- القرن٥م-عن فوغوية١٨٦٢م

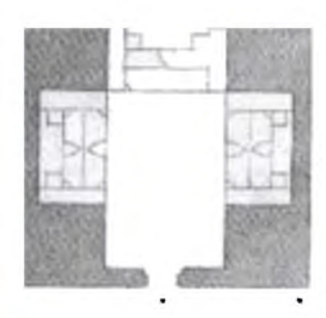
(الصورة٣٥) بقايا سور دير دلبين (ديرلب) جنوب جامع العمري

في كل منهما حفر في الصخر غرفة جنائزية قبوية، فيها ثلاث كوى لوضع الأجداث، فوقها غطاء حجري مسنن (أكروتير) يتقدمها رواق قائم على الأعمدة، يعلوها تيجان نقش عليها رسم الصليب ضمن قرص فيه حرفي ألفا و أوميغا [١] وترقى إلى عهد الدير.(الصورة٣٦) إن الرمز A = ألفا تعني أنا البداية والرمز W = أوميغا تعني أنا النهاية وهما من قول السيد المسيح في الإنجيل " أنا البداية والنهاية " وكذلك يجاور هذين المدفنين بئر عليه مبنى من

[١] حول الفا وأوميغا انظر الرحالة ٢ / ١١ وكذلك حول الكنيسة البازيليكية، انظر " قلب لوزة " من وضعنا .

العهد البيزنطي يدعى بير الشهيد - وللأسف أزيلت معالمه ليطويها النسيان كغيرها من المعالم الأثرية - ذكره بوركهارد - ١٨١٢ م - (كبئر عميق توجد فيه فتحتان متقاربتان، من إحداها ينبع ماء حلو ومن الأخرى ينبع ماء مالح) ولعله كان النبع الخاص بدير دلبين (وسمي بالشهيد فيما بعد) لأن الأديرة تبنى في المواقع النزهة بهوائها ومياهها . وهذا الموقع النزه أعجب فيما بعد محمد باشا الكوبرلي في العهد العثماني، ودفعه إلى منحه امتيازات خاصة به وسمي باسمه بئر محمد الشهيد.







(الصورة٣٦) نفش ،ومخطط المدفن البيزنطي في ادلب- القرن٦م

(الصورة٣٧)الجرة المكتشفة في جامع العمري-العهد المملوكي- متحف ادلب

ومما تقدم نخلص إلى القول: إن إدلب الحالية، كانت في أصلها معبداً وثنياً ثم تحول إلى دير في منتصف القرن السادس الميلادي، وحوله تكونت القرية في حي الصليبة والذي يحتفظ موقعه باسمه القديم، ومكتشفاته الأثرية البيزنطية كما سبق. وفي حلب حي الصليبة ، وهو خاص بالمسيحيين ، وفي اللاذقية حي الصليبة ،وغيرها . كثيرة هي الأديرة التي كتبت باسم الصليب أيضاً،

كدير المصلَّبة بظاهر مدينة القدس . وقد دعيت معرة النعمان باسم صليبة تنوخ ،بمعنى أن بها جمعهم المستكثر(١) وفي قصبة سرمين كان يوجد محلة الصليبة سنة ١٠٩٧ هـ / ١٦٨٦ م ولعلها كانت خاصة بمسيحيي سرمين، ويؤكد ذلك أيضاً، ومنذ سنوات اكتشف بإدلب مصادفة بعض الأعمدة والكتابات في هذا الحي، وبسعي من أحد المولعين بحب المال ، غير مكترث بجمع تراث بلده ، تم دفنها تحت البناء الحديث، وما زالت القنوات الرومانية القديمة – و المدعوة عند الأهالي بالهارب – تعرقل بعض أعمال البناء وتثير الحيرة!! وسبق أن ذكرنا اكتشاف تاجين كورنثيين ضخمين من القرن الرابع في هذا الحي، بعمق ٣ أمتار، وهي بقايا دارة ضخمة لأحد أعيان قرية دلبو في العهد البيزنطي، (١) مجلة الحوليات الأثرية السورية مجلد١٣ سنة١٩٦٣م-ص١٠٠ ،وخطط الشام لكرد علي٣٩/٦ وإن وجود جامع الكبير[١] في هذا الحي والذي يلي في القدم موقع جامع العمري، يؤكد بدلالة قاطعة أنه كان نواة قرية دْلبين، دير ليب في العهود التالية، وقرية إدليب الصغرى في العهدين المملوكي والعثماني[٢] بالإضافة إلى المعاصر والمصابن القديمة تحت الأرض - راجع بحث المعاصر والمصابن - وبالمقارنة والمعاينة مع القرى الأثرية الأخرى في القرن السادس، يمكن القول إن قرية دلبين مؤلفة من أربعين بيتاً مساحتها ١٢٠٠ متر مربع ،ويقطنها أربعمائة نسمة، يتبعون المذهب المنوفيزي، والذي سنوليه تفصيلاً في الفصل الرابع، وبنوا قريتهم حول الدير على شكل صليب، إذ كان تنظيم القرى والمدن على شكل صليب بتقسيمها إلى شارعين رئيسين الأول من الشمال إلى الجنوب Le Cadro Maximu فالشمالي يتجه إلى يدابي - أدابي (إدلب الكبرى) والجنوبي إلى دير سطمك (مسطومة) والثاني

---

(١) يروى تواتراً ونقلاً عن مخطوط قديم مفقود أن موقع جامع الكبير كان في أصله موقعاً دينياً، وله وقف خاص به وبراي - فايز - لعله الموقع الشرقي مكان المقبرة، والرمادة الشرقية والتي ظلت ملكاً عاماً - من ايام الوقف - ويقال فيه موقع القديس مارجرجس والذي دعي مؤخراً شيخ والو، وظل موجوداً حتى الثمانينات ومار جرجس هذا قد يكون هو راهب دير نيرب والذي انتقل فيما بعد إلى دير دلبين بإدلب ؟ ! انظر هوامش الفصل الرابع .

(٢) عند حفر أساسات أبنية حي الصليبة عثر على فخاريات قديمة، وبعد عرضها على خبراء البعثة الأثرية اليابانية العاملة في مسطومة قرروا أنها ترجع إلى العهد المملوكي .

يجتاز القرية من الشرق إلى الغرب Le decuManus Maior ويتقاطع هذان الشارعان بزوايا قائمة،، وبذلك قسمت القرية إلى أربعة أحياء رئيسية، ووزعت في شكل كان يدعى جزيرات Insulae [٣] وكان الدير يقع في وسطها، والمقبرة في زاويتها الشمالية الغربية كغرف تحت الأرض وننوه إلى زيارة بوركهارد - ١٨١٢ - ومشاهدته المغاور والحفر الأثرية ،والآبار القديمة . لا تشير الروايات إلى واقع هذا الدير، أو هذه القرية في الفتح الإسلامي،غير ما بحثناه سابقاً ،أو سنفصله في الأبحاث الأخرى، بأن أبناءها قد أيدوا العرب المسلمين لتخليصهم من جور بيزنطة، واضطهادها المذهبي لهم ... ومع الزمن بدأ سكانها يهاجرون، أو يعتنقون الإسلام في العهد المملوكي، وحولت كنيسة هذا الدير إلى مسجد جامع[٤] وخاصة عندما حرر السلطان الظاهر بيبرس إدلب الشـــمالية، وريحا [١] من الفرنجة سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، والحالية ظلت قرية صغيرة دعيت بإدلب الصغرى، تضاهيها إدلب الشمالية، والتي كانت تدعى إدلب الكبرى إلى مطلع العهد العثماني ... و أخيراً لا بد من التنويه إلى وجود ذكر لإدلب في الحروب الصليبية خاصة المراجع الأجنبية، فهل هي في إدلب الحالية أم الشمالية ؟ ! هذه المسألة لم تتبادر إلى أذهان الباحثين في هذه الحروب، ولم يلفت أنظارهم وجود قريتين باسم إدلب، وهي مسألة هامة نقف عندها بل نرجح إنها إدلب الشمالية للأسباب التالية :

١- لم تكن الحالية هدفاً للعرب المسلمين لأنهم كانوامن أتباع المذهب المنوفيزي، والذين تعاونوا معهم عند فتح البلاد، وفيما بعد في المسائل الإدارية، فتركوهم وشأنهم، واحتفظوا بعقيدتهم حتى العصور الوسطى، وكما سنبحث لاحقاً

---

[٣] مجلة الحوليات الأثرية السورية مجلد ٦ عام ١٩٥٦ ص ٦٣ .

[٤] و ستتوضح الصورة أكثر في الأبحاث القادمة : العهد البيزنطي والحروب الصليبية والعهد المملوكي والعثماني وبحث الواقع العمراني وتوزع البلدة وتاريخ المسيحيين في إدلب الكبرى والصغرى . في كتاب آخر .

[١] تشير الحوليات التاريخية، والكتابات الأثرية، إلى تحول بعض المعابد المسيحية إلى مساجد في العهد المملوكي ، بعد انسحاب الفرنجة وزوال نفوذهم وإسلام بعض أبناء المنطقة وخاصة أيام الملك الظاهر بيبرس راجع الرحالة ٢ / ٢٥٦ .

٢- بعد دخول الإفرنج بدأ سكان قرية دير ليب - إدلب الحالية - يهاجرون، على مراحل، ولذلك لم تكن هدفاً لأحد، وأما إدلب الكبرى فكان يقطنها المسلمون والمسيحيون من أتباع المذهب الأرثوذكسي .. وكانت هدفاً للفرنجة كي يأخذوها من المسلمين. بينما الصغرى، قرية ذات صبغة دينية وسكانها في هجرة، فالأهمية للكبرى الشمالية، والتي غزوها أكثر من مرة ...وكما تعرضت إدلب الشمالية - يدّابي - إلى تدمير الآشوريين ، فلا بد أنها تعرضت كذلك إلى بعض التدمير في الحروب الصليبية، وإلا لبقيت بعض المعالم الأساسية فيها قائمة حتى الآن !! وما أكثر الروايات المتواترة عن ذكريات هذه الحروب عند إدلب الشمالية وسكان الحالية يزورون شهداءها تمسكاً بجهادهم [٢] . واستكمالاً للبحث لا مناص لنا من الحديث عن إدلب الشمالية الدائرة، والتي كان لها دورها في الألف الثاني قبل الميلاد والعهد الروماني، وفي زمن الحروب الصليبية وننوه إلى أمر هام في تاريخ ادلب , حين الحفر في الأساس تم العثور على مدفنين فيهما بعض اللقى الأثرية كقوارير ملونة (مدامع في اللغة الأثرية) قد ترقى إلى القرن الثاني الميلادي ؟ نتساءل: هل هنا تقع المقبرة الرومانية الوثنية جنوب السور , والمقبرة المسيحية بعدها شمال السور، وغرب (دير دلبين) مكان المقبرة الغربية – انظر بحث المقابر والجبانات – الأرجح ذلك حتى الآن !! هناك ما يثبت وجود آثار مملوكية فيها كالحمام الصغيرة، ومئذنة جامع الكبير،وحرمه، تعودان إلى هذا العهد، وكذلك الفخاريات المكتشفة بقربه هي مملوكية،والأهم الجرة المكتشفة فوق القناطر الأثرية في جامع العمري بأربعة مقابض ،ونقش دائري نافر، قطرها ١٨٣ سم ،وارتفاعها ٨٣ سم ترجع إلى العهد المملوكي ،الأخير حوالي ٨٥٠، هـ وقت ترميم سقف هذه الكنيسة المهجورة وتحويلها إلى جامع، وقد وضعوا جرة الزيت، هذه لأن الزيت كان يمسح به للطهارة (الصورة٣٧).

---

[٢] ويؤكد فرضيتنا هذه تلك المزارات بجوار إدلب الكبرى والتي يقدسها السكان، ويتبركون بها، أسوة بأسلافهم، إذ احتفظوا بذكرياتهم التاريخية في مشاعرهم، وظلوا يقصدونها للزيارة كمزار الشيخ رداد والشيخ داود والشيخ موسى ... ...

الفصل الثالث

إدلب الكبرى ،أو الشمالية

تقع إدلب الكبرى إلى الشمال من الحالية بـ ١ كم في الطريق الذاهب إلى معرة مصرين . لم يبق من أثر لها غير الذكريات والأوابد الداثرة، والتي سنوالي الحديث عنها من خلال الفصول الأخرى . ولكننا نجزم الرأي أنها كانت أقوى من الحالية قبل العهد المملوكي، من خلال الوثائق والروايات المتواترة، وبما تمكنا من تحقيقه خلال دراستنا هذه في الفصل السابق

أولاً- في الوثائق القديمة : هي الداثرة ،فقد ذكرتها الوثائق القديمة ، ولكننا من حيث المضمون عنينا بها الشمالية في عصور ما قبل الميلاد، والعهد الروماني، وفي الحروب الصليبية، وأرجح هي المذكورة في وثائق إبلا " قرية أدابيكو " وفي نص آخر قرية أدابيج[1] في نصوص إبلا بأسماء أخرى بمثيلها(أأدا) في نص اقتصادي ، وهي أيضاً مذكورة عندهم كاسم آلهة (أدا) و (أدودولو) و(دودولو) وكما ورد تفصيلاً في بحث الاسم. وفي وثائق الآشوريين يدّابي/ أدّابي عام ٧٣٨ ق.م وكما سيرد في بحث الاسم ، وأرجح هي قد كانت عاصمة مملكة بركا / برقا في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، من خلال سياق الأحداث التاريخية ،وكما سيرد في الفصل التالي، وبعد العثور على النصب الهام فيها ،وللعلاقات الدبلوماسية مع غيرها ، كل هذا يؤكد أنها موقع هام (لعاصمة؟) لها دورها الحضاري لزمن طويل ،وفقدت أهميتها عبر الزمن ..سميت في العصر الوسيط (اذليب)(بالذال والياء) و (إذليب الكبرى)ثم(إدليب الكبرى)،ثم (إدليب الشمالية) و(محلة الشمالية) ، لأن الصغرى هي الحالية، حين تحولت من معبد ،إلى منشأة ديرية، إلى قرية دعيت(ديرلب) وباسم اذليب الصغرى أو إدلب الصغرى باعتبارها أحدث من الشمالية عمرانياً، وأصغر، فصارت الشمالية تدعى إدلب الكبرى، ومع الزمن زال لقب الكبرى والصغرى ، وكما ورد، وسيرد في أبحاث أخرى

---

[1] وترجمت عدابيك وبنفس المعنى تترجم لياء يدّابي - أدّابي عند الآشوريين عام ٧٣٨ ق م .

ثانياً- في الوثائق الوسطوية: ولعل أقدم وثيقة عربية تذكر الاثنتين ترجع إلى العهد المملوكي الأخير، تضمنت وقف ابن الشحنة ت ٨٩٠ هـ/١٤٨٥ وهي محررة في سنة ٨٥٤هـ /٥٠- ١٤٥١ م والذي كان يشغل منصب قاضي القضاة بحلب. (ومن جملة وقفه جميع الحصة الشائعة وقدرها قيراطان من أصل ٢٤ قيراطا، وهي جميع القرية وأراضيها بإدلب الكبرى من الغربيات مضافات حلب حدها من القبلة أراضي قرية إدلب الصغرى، ومن الشرق أراضي قريتي بطما وبهوذا[1]) وهي تحددهما في منطقة الغربيات التابعة لمملكة حلب، وكما سنذكر في بحث العهد المملوكي.

ثالثاً - في الوثائق العثمانية: في مطلع العهد العثماني وفيما بعد إبان حكم الكوبرلي ، بدأ سكانها يهاجرون إلى الصغرى لما تمتعت به من تسهيلات، وإعفاءات إدارية ومالية، وقد أشار إلى ذلك الشيخ ربوع في مذكراته بقوله ((من جهة الشمال بكيلومترين يوجد بليدة صغيرة تسمى إذليب ،وإلى الآن يوجد فيها آثار قديمة من قبور، وأساس عمران، وفي المحل كولة مائية تسمى بوقتنا هذا الرام . وإن هذه البلدة الصغيرة صار أهلها ينتقلون إلى هذا الدير المذكور - يقصد دير لب - وتعمر وتسكن)) . ومما يلفت النظر وصفه لها بـ "بليدة صغيرة تسمى إذليب [2]" (الصورة٣٨) . وأ قدم وثيقة عثرنا عليها غير اسم ادلب الشمالية، بل اسم(محلة ادلب الكبرى) للدلالة عليها، كما ورد في سجلات المحكمة الشرعية في حلب .. ((رقم السجل: ١ صفحة: ٨ وثيقة: ٧٠ تاريخ الوثيقة: ٨ شعبان ٩٤٣ هـ / ١٥٣٦م . ادعى عبد الرحمن بن محمد من محلة ادلب الكبرى قضاء سرمين على مبارك بن عبد الله أن له

---

[1] الطباخ - سير : ٥ / ٣١٤ – ٣٣٢ ومقدمة كتاب ابن الشحنة الدر المنتخب ص ٢٧ وحول بطما وبهوذا راجع بحث القرى والمزارع .. ويعود إلى هذا العهد علماء من إدلب الصغرى - راجع العهد المملوكي والتراجم، وهي أيضاً وثائق تشير إلى وجودها في هذا العهد . وحول الوثيقة الثانية الغزى ٢ / ٥١٩ .

[2] يتفق قوله هذا وقول الشيخ كامل الكيالي (كانت قبل الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن العاشر ذات محلتين إحداهما كبرى شمالية والثانية صغرى جنوبية، وإليها أشار المرتضى الزبيدي في كتابه تاج العروس فيما استدركه على صاحب القاموس حيث قال (ومما فات المصنف ذكر إدلب الكبرى والصغرى من أعمال حلب وثم انضمت الكبرى إلى الصغرى وصارتا كتلة واحدة) طباخ - سير : ٣ / ٢٧٧ .

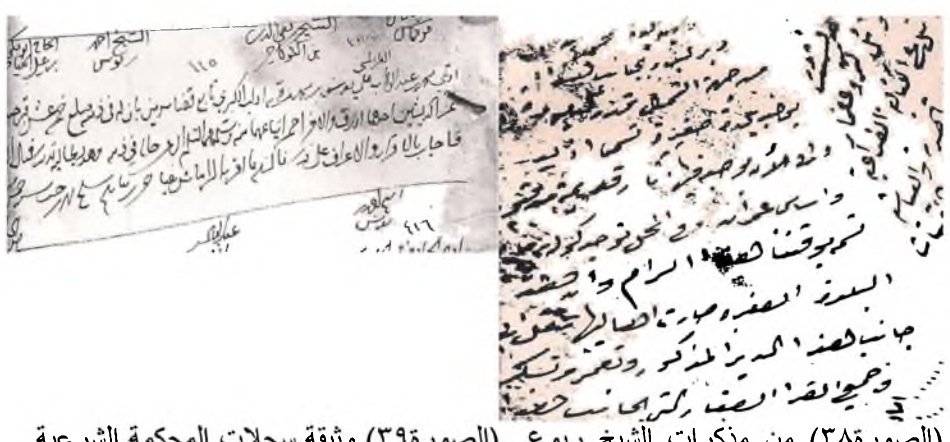
بذمته مبلغاً وقدره سلطانيان و ٨ قطع سليمانية، وعند سؤاله أقر بالمبلغ وأنه دفع سلطانياً واحداً و ٨ قطع فخرج على البيان)) وهذه أقدم وثيقة حولها..ويوثق قول ربوع هذا سجلات المحكمة الشرعية بحماة، فالوثيقة التي ترجع إلى سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ ــ ١٥٥٨ م تذكر قرية إدلب الكبرى التابعة لقضاء سرمين وأخرى سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٨٢ ــ ١٥٨٣ م

تذكر قرية إدلب الصغرى من قضاء سرمين[1].(وكذلك في سجلات المحكمة الشرعية بحلب) إحداها ادعاء الطرابلسي على يوسف بركات من قرية ادلب الكبرى تابع قضاء سرمين بأن له في ذمته خمسة وعشرين قبرصياً (عملة) ثمن اكديشين أحدهما أزرق والآخر أحمر ٩٦٥هـ/١٥٥٨م(الصورة٣٩) ولعلها أقدم وثيقة عن ادلب الكبرى في سجلات محكمة حماة الشرعية في السجل رقم ٩ وثيقة ٤١٥ تاريخها ٩٦٥هـ/١٥٥٨م مما يشير بدلالة إلى صلاتها التجارية معها حينذاك، وكما ورد في وثائق أخرى.كان أبناء ادلب الكبرى يتضامنون ويكفلون بعضهم مسلمون و مسيحيون في الوثائق المؤرخة في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((رقم السجل ١ صفحة ١٣٧ وثيقة ١٤٧٧ تاريخ الوثيقة: ٢٣ ذي القعدة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م . كفل السيد لأحمد بن السيد عبد الله الحسيني والحاج زين الدين بن إبراهيم والحاج عيسى بن اسكندر ورجب بن أحمد بنفس الحاج محمود بن خضر من قرية ادلب الكبرى بحيث كلما طلبه احضروه وسجل ذلك بطلب عبد القادر بن عمر)) . يبدو أن مسيحيي ادلب الكبرى حين كانوا يحجون إلى بيت المقدس يطلقون عليهم لقب الحاج كما ورد. وعند آل قصاص وثيقة تاريخها ١٣١٢هـ /١٨٩٤م تتضمن شراءهم أرضاً تقع في إدلب الشمالية فيها ١٣٠ شجرة زيتون من مالكها الخواجة ندرة ولد الخواجة حنا زيون من طايفة الروم القديم بإدلب الوصي على القاصرة ديبة بنت الشماس شحود زيون من الطايفة المذكورة من المحلة

---

[1] السجل رقم ٩ ص ٩٠ مضمونها (ادعى محمد بن عبد الوهاب الطرابلسي على يوسف بن محمد من قرية إدلب الكبرى تابع قضاء سرمين بأن له في ذمته مبلغ خمسة عشر قبرصياً ذهبياً من ثمن اكديشين أحدهما أزرق والآخر أحمر ابتاعهما منه ... سنة ٩٦٥ هـ) وهي برقم ٤١٥ والأخرى في السجل ١٢ ص ١٠٠ وسترد في بحث الحياة الاقتصادية .

الغربية بإدلب المحددة قبلة [بأرض] الخوري ايليا بن الخوري جورجي وشرقاً [بأرض] كيالي زادة، وغرباً طريق معرة مصرين، بمبلغ ٢٠٠ قرش ، ومما يلفت النظر في هذه الوثيقة إشارتها إلى امتلاك الخوري أرضاً تقع بجوار إدلب الشمالية، وأرجح وجود المسيحيين في إدلب الكبرى في الحي الجنوبي الشرقي وإلى الشرق من طريق معرة مصرين .



(الصورة٣٨) من مذكرات الشيخ ربوع ((دير لب ... إدليب ٩١٨ هـ تاريخ إعمارها... هذا الدير هو جامع العمري..))

(الصورة٣٩) وثيقة سجلات المحكمة الشرعية في حماة٩٦٥هـ (١٥٥٨م) تذكر قرية ادلب الكبرى.

وكان لهم بئر خاص بهم يدعى بئر العصافير يقع في جنوب البلدة . وقد ثبتته السجلات المساحية حين تم مسح الأراضي في الثلاثينات من هذا القرن.تذكرها كثيراً فالوثيقة المؤرخة في سنة ١٠٣٩ / ١٦٢٩ م تذكرها باسم قرية إذلب (بالذال) الكبرى التابعة لقضاء إدلب الصغرى[١] وكذلك كان يطلق عليها اسم اذليب وإدليب الكبرى كما كان يطلق على الصغرى أيضاً وكما سيرد لاحقاً في بحث تحول معنى الاسم . (الصورة٤٠) ففي الوثيقة المذكورة والمنشورة صورتها والتي ترجع لسنة ١٠٣٩هـ/١٦٢٩ م تقرر

(١) سح ١٥ ص ٤٣٠ و ١٥٢١ . سح = سجلات محكمة حلب الشرعية .

تنازل الشيخ اسحاق بن الحاج ناصر المشهور بالجعيوزي من أهالي قرية اذلب (بالذال) الكبرى التابعة لقضاء إدلب الصغرى بأنه يقر بتنازله عن استحقاقه بأراضيه الأربع في قرية يحمول من قضاء معرة مصرين [٢] .

(الصورة ٤٠)وثيقة تذكرقرية اذلب الكبرى(بالذال)التابعة لقضاء ادلب الصغرى سنة١٠٣٩هـ/١٦٢٩م

في المرسوم السلطاني الصادر من القسطنطينية إلى والي حلب وذلك في كشوف الضبط العائدة لضريبة السفرية في سنة ١١٩٢ هـ وبموجب دفاتر المأمور عليها مظلوم حسين آغا، والمبلغ الباقي عليها بعد تدقيق الحسابات ٣٠٠ غروش . ولم تشر الوثيقة حين تعدد القرى والمزارع إلى إدلب الصغرى، نظراً لإعفائها من الرسوم والتكاليف [١] إن هذا المبلغ الباقي بذمة سكانها والعاجزين عن تسديده إلى السلطة، كان أحد الأسباب التي دفعتهم للهجرة إلى إدلب الصغرى المعفاة من مثل هذه الرسوم . وأكد ذلك رسل بقوله (إن قرية شجر الزيتون - يقصد إدلب الكبرى - بدت وكأنها في عام ١٧٧٢ م ستهجر كلية بسبب الضرائب والرسوم المقررة عليها وعلى قرى ولاية حلب)

---

[٢] سح ١٥ ص ٤٣٠ و ١٥٢١ ويحمول سبق التعريف بها في الرحالة ١ / ١٠٠ وسترد في بحوث أخرى .

[١] سر - أ ١٥ ص ٦٤ و ٦١ . سر –أ = سجلات الأوامر السلطانية .

وبلغ انحدارها الكلي في مطلع القرن التاسع عشر[٢] ولتبقى ذكراها حكاية لا يصدقها أبناء إدلب الآن .

الدور الاقتصادي لادلب الكبرى: من الوثائق الأقدم في سجلات المحكمة الشرعية في حلب حول تبادل العملة ما ورد في ((رقم السجل: ١ صفحة: ٨ وثيقة: ٧٠ تاريخ الوثيقة: ٨ شعبان ٩٤٣ هـ / ١٥٤١م . ادعى عبد الرحمن بن محمد من محلة ادلب الكبرى قضاء سرمين على مبارك بن عبد الله أن له بذمته مبلغاً وقدره سلطانيان و ٨ قطع سليمانية، وعند سؤاله أقر بالمبلغ وأنه دفع سلطانياً واحداً و ٨ قطع فخرج على البيان)) .

لقد دلت الوثائق على أنه كان لها دورها الاقتصادي المتميز..ولا تخلو من المنشآت الاقتصادية ومن أهمها المصابن والمعاصر.. و تُورِّدُ إدلب الصغرى بالحنطة المفروضة للفقراء يومياً، ففي المرسوم السلطاني الصادر بتاريخ ١١٥١هـ/١٧٣٨ م المتضمن الموافقة على القوائم المفروضة على الزعامات والتيمارات في ولاية حلب [١]. وكانت حصص أراضي إدليب الكبرى سبعة مكاكيك حنطة من أصل ٤١.٧ وريد أهالي إدليب الصغرى [٢]. وظلت الحركة الاقتصادية فيها مزدهرة إلى أواخر القرن العاشر الهجري، حين كانت تابعة لقضاء سرمين وقبل ربطها إدارياً بإدلب الصغرى .. وأيضاً كان بإدلب الكبرى معاصر ومصابن... وهي المعروفة بمصبنة ابن قنطار، و هي وثيقة بيع مصبنة في ادلب الكبرى٩٩٠هـ (١٥٨٢م) ،وكما سنذكر في بحوث قادمة٠٠٠وكما

---

[٢] الرحالة ١ / ٥٥ و ٥٧ .

[١] عن الزعامات والتيمارات في ولاية حلب انظر فصل الحياة الاقتصادية في كتاب آخر

[٢] س - أ ٣ ص ٣٥٢ – ٣٥٥ و ٥٣٩ ونلاحظ في هذه الوثيقة ورود اسم إدليب بالياء في الاثنتين . والمكوك الحلبي كان يساوي في القرن الثامن عشر ٦١ كغ من القمح .

ورد في سجلات حلب ((رقم السجل ٥ صفحة ٢٥٩ رقم الوثيقة ٩٤٠ تاريخ الوثيقة: ١٧ جمادى الأولى ٩٩٠ هـ / ١٥٣٦م . اقر الحاج جلال الدين بن محي الدين بأنه باع لصلاح الدين بن احمد من قرية ادلب الكبرى من قضاء سرمين عشرة قراريط من المصبنة في القرية المذكورة المعروفة مصبنة ابن قنطار المشتمل على قدرين وجباب لخزن الزيت ومنافع وحقوق شرعية المحدودة الجهات بثمن ١٠٠ دينار وخاتم بفص مجهول القيمة قبض منها أربعين دينار والخاتم والباقي مقسط عليه كل ستة أشهر عشرين دينار بيعاً وشراء شرعيين)) .(الصورة٤١) ويؤكد ذلك علاقاتها التجارية مع حماة، إذ كانت حماه تجلب منها الصابون والحيوانات، كما في الوثيقة الواردة في سجلات محكمة حماه الشرعية، والمذكورة آنفاً سنة ٩٦٥ هـ ،وأخرى في ٩٨٨هـ الموثق فيها ذمة على أحد أبنائها وكفيله منها لأحد تجار حماة [٣] ،

(الصورة٤١) وثيقة بيع مصبنة في ادلب الكبرى٩٩٠هـ (١٥٨٢م)

[٣] السجل رقم ٩ ص ٩٠ والسجل ٢٢ ص ١٨٨ واسم المدعى عليه بن عبدو بن أبي الحسن وكفيله عبد الله بن علي المعروف بابن الزند من قرية إدلب الكبرى .

أي أن أبناء حماه يأتون إلى إدلب الكبرى لمزاولة التجارة فيها . إن علاقات سكانها المالية الواسعة كانت تؤدي أحياناً إلى وقوع خلافات بينهم،وبين أبناء القرى المجاورة، كالخلاف الذي وقع بين دائن من قرية إدلب الكبرى، و أهالي قرية الحراجة التابعة لقضاء سرمين سنة ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م بادعائه تأخرهم عن تسديد المبلغ المقرر عليهم [١](الصورة٤٢) بل امتد نفوذهم الاقتصادي إلى الشمال.

**

ومن الروايات المتواترة والمعاينة، وجدنا الباب الداخلي للحرم والمنبر في جامع المبلط قد أحضر من إدلب الشمالية وهما من العهد المملوكي . وكذلك يوجد فيه عمود بتاج منقوش يعود إلى الفن السائد في زمن الحروب الصليبية جلب من إدلب الكبرى . وكذلك اكتشف في حي الصليبية بعض اللقى الفخارية والتي تعود إلى العهد المملوكي ...

(الصورة٤٢)وثيقة تذكر قرية ادلب الكبرى، وقرية الحراجة التابعة لقضاء سرمين سنة ١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م

وأما المرأة فقد كان لها دورها المتميز في التعامل التجاري والاقتصاد، إذ ذكرت الوثيقة العائدة لسنة ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ ــ ١٦٦٤ م ملكية الحرمة آمنة بنت على الإدلبية لمعصرة زيتون في إدلب الكبرى التابعة لإدلب الصغرى،

---

(١) سح ٢٧ ص ٣٨٣ ولم تشر الوثيقة إلى تبعية إدلب الكبرى ولكنها بموجب الوثائق الأخرى تابعة لإدلب الصغرى . وأما الحراجة فهي قرية داثرة تقع شرق إدلب ب /٢/ كم .انظر ابحاثنا القادمة .

وتشتمل على ١٤ مخزناً وهي وثيقة بيع . ووثيقة أخرى في سنة ١٠٧٣ هـ تضمنت دعوى حول أرض تقع في إدلب الكبرى تملكها امرأة تدعى آمنة بنت على [١] وهي نفسها كانت مالكة للمعصرة مما يشير إلى ثرائها ونفوذها الاقتصادي(الصورة ٤٣)٠٠ كما كانت تؤجر فيها الأراضي الوقفية، إذ ذكرت وثيقة عقد الآجار والاستئجار لسنة ١٠٩٦ هـ (الصورة٤٤) وسنعود إلى وثائقها مرة أخرى، في البحوث القادمة،

(الصورة٤٣) وثيقة تملك امرأة لأرض في قرية إدلب الكبرى١٠٧٣ هـ

(الصورة٤٤) وثيقة تأجير وقف في قرية ادلب الكبرى التابعة لقضاء ادلب الصغرى١٠٩٦هـ

أحداث في ادلب الكبرى: وقعت إدلب الكبرى كما حدث في ولاية حلب ،وبلاد الشام كذلك، تحت سيطرة العسكر في القرنين السادس عشر، والسابع عشر، مستغلين الازدهار الاقتصادي في الريف، وذلك بسيطرتهم عليه من خلال إقراض أبناء الريف بالربا، كما أشارت الوثيقة العائدة لسنة ١٠٧٣ هـ / ١٦٦٢ ــ ١٦٦٣ م بأن على أهل قرية إدلب الكبرى التابعة لقضاء إدلب الصغرى ديناً والدائن أحمد باشا الشهير بمرعش زادة[١])أدام الله جلاله مبلغاً قدره ماية غروش أسدي بطريق الدين الشرعي على حكم الأجل إلى مضي شهرين كاملين ... ١٠٧٣هـ " = ١٦٦٣م . تفيدنا هذه الوثيقة إلى سكن ادلب الكبرى، و إعمارها في القرن السابع عشر وتابعة لقضاء ادلب الصغرى , وكذلك تعاملهم المالي حتى مع كبار الشخصيات الاعتبارية و الاجتماعية

---

[١] سح ٣٠ ص ١٠٢ - انظر بحث المعاصر . و سح ٢٧ ص ٤٧ و ٢٣٣٦ .

[١] سح ٢٠ ص ١٨٨ .

وإقرارهم بدفع ديونهم . . وكان فلاحوها يستدينون لتسديد ما عليهم من ذمة للخزينة ففي سنة ١٠٢٦ هـ /١٦١٧م استدان مجموعة من فلاحي قرية إدلب الكبرى تبلغ سبعة عشر فلاحاً من مصطفى آغا مبلغاً وقدره ٢٠٠ مائتين من القروش الأسدية لأجل دفعه في الديموس المطلوب عن قريتهم المذكورة لجهة الميري[٢] وكذلك في سنة ١٠٩٠هـ/١٦٧٩ م كان لسالم بن الحاج الشهير بابن البلاط على أهالي قرى بهودة و إدلب الصغرى وإدلب الكبرى وقرية بلاط ثمانية آلاف وسبعة وتسعون غرشاً أسدياً[٣]. وقدرها قيراطا من أصل أربعة وعشرين قيراطاً في جميع قرية إدلب الكبرى التابعة لقضاء إدلب الصغرى [٤] وحسب الموضوع .. ! وقع في أيدينا وثيقة تاريخها ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م في وثيقة عقد بيع " بين مرعي أحمد داوود ابن السيد محمد كجك و عمر ابن السيد محمد القصاص .. من الأرض الكاينة في مزرعة ادلب الشمالية جميعها بمساق فدان المحدودة قبلة ملك محمد ابن السم ومحمد البدوي بن الحاج صادق الجلف و شرقاً تين ملك البايع المرقوم وسعيد ابن السيد إبراهيم الغزال وشمالاً أولاد الحاج يوسف ناصر وغرباً ملك محمد سويد ابن شنتوت بجملة الحدود وكافة الحقوق والرسوم بثمن من الدراهم قدره وبيانه ثلاثماية قرض من المعاملة الصاغ السلطانية مقبوضة ... ٥ رمضان المبارك ١٢٨٢هـ " = ١٨٦٥م شهود : سالم بلون – تتنجي غزول – عطوني – الحجار – عمر شعار . محررها الفقير إليه عبد الرزاق احميداني . تدلنا على أن قرية ادلب الشمالية (الكبرى سابقا) قد أصبح موقعها يدعى مزرعة ادلب الشمالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر , وكذلك هناك عائلات كانت تقطن فيها، وكما ور د فيها من غيرها . في وثائق ضابطية ادلب بيان تحرير متروكات تاريخه١١٤٦هـ/١٧٣٣.م هي طبنجات وبندقية،مع عرض للألبسة الرجالية و

---

[٢] سح ١٠ ص ٤٧ و تا ٢٠ ذي الحجة ١٠٢٦ هـ .
[٣] سح ٣٦ ص ١٤٧ – ١٤٩ ذكرت الوثيقة بقودم خطأ من الناسخ بل هي بهوده وسيرد ذكرها في قرية إدلب وقرية بلاط بالقرب من سرمدا ، لها ذكر في العهد الوسيط. وانظر حول العسكر كتاب العسكر في بلاد الشام ص ٢٠٣ وما بعد ل- نوفان رجا الحمود . ولابن البلاط قطع أراضي بارض قرية إدلب الكبرى وديونه عليها ٧٧٤ غروشاً وربع، بموجب حجج.
[٤] سح ٣٥ ص ٢٩٨ ومدة الإيجار ست سنوات تشمل عقدين كاملين .

غيرها،مع وضع قيمتها بالغروش(جمع غرش) يلفت نظرنا وجود محمد بن عكيك من ادليب (بالياء)الكبرى.(الصورة٤٥).ولعل بيت العك في ادلب أصلهم من الشماليةإفي وثائق ضابطية ادلب وجدنا اسم الشيخ فضل في تثبيت إقرارتاريخه١١٤٦هـ/١٧٣٣م لفت نظرنا في شهود التوقيع اسم الحاج..من ادليب (بالياء)الكبرى(الصورة ٤٦)

(الصورة٤٥)وثيقة متروكات١١٤٦هـ/١٧٣٣م

(الصورة٤٦)وثيقةتثبيت إقرار تاريخه ١١٤٦هـ /١٧٣٣م وشهود

المقابر والمزارات: لم نتمكن من معرفة موقع أي مقبرة في ادلب الشمالية، قد يتمكن غيرنا في ايجاد مكانها، لاتصال الحالية بالشمالية...

- **مزار الشيخ رداد** : يقع جنوب ادلب الكبرى عند الرام مساحته ٢٢ م^{٢} وفيه مصلى مازال وقفاً , ويدعوه الاهالي ردان أيضاً لأنه رد الفرنجة عن البلدة (ادلب الكبرى) في الحروب الصليبية ، ولعله قبر أحد الفداوية المسلمين الذين كان لهم دورهم أيام الملك الظاهر بيبرس ، ولهم ذكر في سيرته وفي الكتب العائدة إلى هذا العهد ، وقد ذكر ابن الفرات في تاريخه مقام الشيخ محمد الرديني " أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس في ١٤

ربيع الأول ٧٩١ ه , وكذلك ورد في كتاب الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لـ نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري المتوفى سنة " وأورد الشيخ أحمد الرداد في كتابه واجبات الرحمة .. " وقد يكون هنا المقصود به الرداد المدفون في ادلب الكبرى , وقد يكون أحد الشهداء حين حاصر الفرنجة ادلب الكبرى فقتل دفاعاً عنها فسمى بهذا الاسم وردان كلمة سريانية تعني شيخ الغزل لأن ردن بالسرياني تساوي مغزل كانت الناس تؤمه في الربيع وتقدم له النذور. هناك ذكر للشيخ ردان في كتاب تاريخ ابن الفرات حـ ١ مجلد ٩ صفحة ٥٧ إنه في سنة٧٩١هـ /١٣٨٩م قصد السلطان الملك الظاهر مقام الشيخ محمد الرديني بقلعة الجبل)) فهل هذا المقام في ادلب الكبرى هو له حين مر في هذه المنطقة؟!



(الصورة٤٧) مبنى الشيخ داوود في ادلب الكبرى

- **مزار الشيخ داوود** : في الجانب الشرقي من الطريق نحو معرة مصرين . كان يقع في وسط ادلب الكبرى . مازال قائماً في شكله المربع وقبته(الصورة٤٧)... ولم نتمكن من معرفة هويته بل يروى انه يدعى الشيخ داوود الطيار لسرعته ومهارته وحركته الطائرة في القتال، وهذه بعض صفات المجاهدين الفداوية .وروي آخرون إنه كزميله الشيخ رداد

لقب بالمجاهد . ونرجح أنه كان أيضاً احد المرافقين للظاهر بيبرس في حملته الأخيرة وإخراج الفرنجة من المنطقة عام ٦٦٥ هـ/١٢٦٦م.

- **مزار الشيخ موسى** : يقع على طريق باب الهوا الى الغرب قليلاً شمال بهودة ، مؤلف من ليوانين بمدخلين ٥×٤ وغربه القبة التي دفن فيها . ويقال إنه موسى بن حسن النصار من المقربين لابراهيم الحوراني ، من المجاهدين زمن الصليبيين ، أو أنه من بلاد المغرب جاء مع صلاح الدين وتعرض لطعنة في هذا المكان . ولعله أحد مشايخ الشيعة من اسمه موسى بن حسن النصار.. وهذا مجرد تخمين ليس إلا ؟! وكان نذره المعاليق كما يقال ... وقبل توقفنا عند الوثائق التي ورد فيها اسم إدلب الكبرى في العهد العثماني تفصيلاً، ننوه ثانية إلى أن ذكر إدلب في الأبحاث القادمة قبل العهد البيزنطي، وفي الحروب الصليبية نقصد بها إدلب الكبرى ،وليس الصغرى، لأن إدلب الصغرى بدأ إعمارها في العهد المملوكي الأخير، وبشكل أخص في العهد العثماني، والكبرى انحدرت في هذا العهد، في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وآخر وثيقة ذكرتها ترجع إلى عام ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م باسم إدلب الشمالية، وليس بالكبرى، لأنها لم تعد كذلك...وقع في أيدينا وثيقة تاريخها ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م في وثيقة عقد بيع " بين مرعي أحمد داوود ابن السيد محمد كجك و عمر ابن السيد محمد القصاص .. من الأرض الكاينة في مزرعة ادلب الشمالية جميعها بمساق فدان المحدودة قبلة ملك محمد ابن السم ومحمد البدوي بن الحاج صادق الجلف و شرقاً تين ملك البايع المرقوم وسعيد ابن السيد إبراهيم الغزال وشمالاً أولاد الحاج يوسف ناصر وغرباً ملك محمد سويد ابن شنتوت بجملة الحدود وكافة الحقوق والرسوم بثمن من الدراهم قدره وبيانه ثلاثماية قرض من المعاملة الصاغ السلطانية مقبوضة ... ٥ رمضان المبارك ١٢٨٢هـ " = ١٨٦٥م شهود: سالم بلون – تتنجي غزول – عطوني – الحجار – عمر شعار . محررها الفقير إليه عبد الرزاق احميداني . تدلنا على أن قرية ادلب الشمالية (الكبرى سابقا) قد أصبح موقعها يدعى(مزرعة ادلب الشمالية) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر , وكذلك هناك عائلات كانت تقطن فيها وكما ورد في الكثير من الوثائق...

ثانياً- الدراسة الميدانية : وتفضل إدلب الكبرى الصغرى بوجود الينابيع والآبار، أحدها يدعى(البير) وله اسم آخر(نبع الحصن) وهذا له معنى خاص إذ قد يكون من بقايا قلعتها ؟! وآخر يدعى(بئر البريات) في الحي الشرقي، وهو بئر روماني قديم تنبع منه المياه، وكانت تعيش من بيع مياهه امرأة مسيحية والتنكة بقرش، ولعل اسمه اشتق من اللغة السريانية ويعني بيت المعجزة، وهو ذو دلالة على قدسية المكان وأهميته التاريخية، ويروى بأنه كان يكفي إدلب الصغرى ثلاثة أشهر .. ولعله البئر الذي كان يروي الحصن المجاور له ! وإلى الجنوب منه بئر آخر يدعى (المدويري) في حفرة مربعة الشكل مبنية بأحجار متناسقة، ويبدو أنه أيضاً بئر قديم يرجع إلى العهد الروماني، وهناك آبار أخرى بعضها نبع وأخرى جمع، وما زالت بقايا أجران المياه تشاهد في أراضيها .. وكان هناك سـبيل الغزالة، حولوه فيما بعد إلى بئر وهناك نبع العين إلى الجنوب نحو إدلب الصغرى كان يشرب منها الأهالي وسميت المنطقة المجاورة للعين باسم البقعة[1] وعند الحفر في أراضي إدلب الكبرى اكتشـف بقايا معاصر خاصة في موقع يدعى الحير غربيه مسجد ومصابن وحمامات، وإلى الشـمال اكتشف أحدهم بقايا عواميد تحت الأرض ونقوشاً لكتابة عربية قديمة. وإلى الغرب وجد كهف جنائزي فيه خمسة قبور على شكل نواويس، وغير بعيد أنها بقايا العهد الروماني البيزنطي..

لم أجد فيها ما يثير الاهتمام غير بعض الأحجار والآبار والمقامات وحكايات مروية . ومما وجدت فيها عمود الكنيسة بقطر ٤٨ سم وطول ١٦٠ فيه قناة ١١ سم تستخدم للخشب الفاصل مكان النساء عن مكان الرجال، مما يشير إلى بقايا كنيسة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي ؟ كما وجدت تاجاً لعمود سرياني وبقايا أثرية أخرى مثل

---

[1] كأنها مستنقع غابي صغير، فيه القش والقصب، موئلاً للوحوش الكاسرة منذ قرنين .

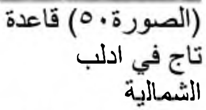


(الصورة٤٨) بقايا أثرية في ادلب الشمالية



(الصورة٤٩)عمود وبقايا الكنيسة؟في ادلب الشمالية





(الصورة٥٠) قاعدة تاج في ادلب الشمالية

عمود روماني وقواعد العواميد وشاهدت بنفسي بقايا تيجان كورنثية ونحوتاً نافرة بيزنطية.(الصور٤٨-٥٠) كما لم أتمكن من تحديد موقعها لمعرفة مساحتها بشكل كامل . وأما الروايات المتواترة فتؤكد أن نصارى إدلب الكبرى كانوا يمتلكون فيها أراض وإلى وقت متأخر حتى مطلع القرن العشرين.. وأنهم بدأوا بالهجرة إلى الصغرى تدريجياً نحو الحي الشمالي في زقاق الزهر والذي كان يدعى سابقاً زقاق النصارى ثم انتقلوا إلى الحي الغربي، كما سنذكر في بحث المسيحيون في إدلب .عند حفر قبر أخي زكريا وجدنا بقايا فخارية خزفية ،أرجح عباسية فهي ملونة, كما وجدوا ساكفاُ عليه نقش إسلامي منذ سنوات.... وتم إخفاء جميع هذه المعالم خشية حضور جماعة الآثار كما يقولون .. وفي عام ١٩٩٩ / ٢٠٠٠ م تم اكتشـاف نصب أثري بأربعة وجوه من الحجر الكلســـي الأبيض بعرض ٥٠ سم وارتفاع ١٦٠ سم، على وجهين لم ينحت شـيء، وعلى الآخرين نحت نافر ، الأول رسم نافر للحاكم بردائه وقلنسوته على رأسه ، وفي الأعلى نحت متشــابه على الجانبين يمثل هيبة الحاكم ، وفي يده صولجان وختم ورموز ملكية .. تظهريده اليسرى فوق بطنه(الرداء) ماسكاً لفافة. رأسه أصلع.نلاحظ في الأعلى نحت قد يمثل العجل ؟ فهل هذا نذر أم تمثيل للقاء رسمي؟! والنحت الثاني لرسول في يده رسالة والأخرى على صدره يحمل رسالة وهو وجه امرأة رفيعة المستوى ترتدي في أذنيها وفوق رأسها قلنسـوتها ، رداؤها المدرج على شكل هلال،ينتهي في الأسفل في ظهور ثنيات الثوب.في يدها اليسرى صولجان صغير(أولفافة مختومة كرسالة)فوق الثوب عند صدرهاحبسة أوملقط يربط ثوبها.في أذنيها قرط.رأسها مغطى بوشاح.... ولو تأملناه ملياً لوجدناه يمثل لوحة دبلوماسية قل مثيلها في العالم، مما يؤكد على أهمية الحدث والموقع، و يشير إلى وجود

أحد الأباطرة هنا وتلقيه رسالة من .. ؟ .. وليرسل جوابها مع هذا السفير ونظرة إلى لباسه تشير إلى أنه ســـيناتور (سفير أو مراسل على مستوى عال) .وبالمقارنة مع النحوت النافرة في آثار تدمر، سنجد تشابهاً بين شخصيته ولباسه، وأعيان تدمر ومستشاري ملكتها زنوبيا ....الوجه الأهم لتلك المرأة التي وقفت شامخة، رداؤها المدرج على شكل هلال،ينتهي في الأسفل في ظهور ثنيات الثوب.في يدها اليسرى صولجان صغير(أولفافة مختومة كرسالة)فوق الثوب عند صدرهاحبسة ،أوملقط يربط ثوبها.في أذنيها قرط.رأسها مغطى بوشاح....والوجه الثاني يمثل زنوبيا (الصورة٥٢) تحمل رسالتين الأولى لها، والثانية رد اورليان عليها خصوصاً بعض الوثائق تشير إلى وقوع معركة بين الفريقين إلى الشرق من العاصي . لقد أشارت الوثائق القديمة إلى أن زنوبيا قد بعثت برسالة إلى الإمبراطور أورليان مع أحد أعيانها الكبار و أصدقائها المخلصين، تضمنت لهجة قاسية أغضبته، وأرجح الوجه الأول يمثل الإمبراطور الروماني أورليان (الصورة٥٣) حين دخوله المنطقة عام ٢٧٢م لرد التدمريين عن المنطقة وكما سيرد في الفصل الرابع ولو نظرنا ملياً إلى ملامح وجه التمثال، لوجدناه غاضباً من هذه الرسالة، ولو قارنا الصورة هنا مع الصورة المنشورة في الفصل الخامس(٤٣-٤٤) لوجدنا تشابهاً واضحاً بينهما، إذن هو الإمبراطور أورليان بالذات غاضباً من الرسالة وصاحبها فمن هو هذا ؟ ذكر خالد أسعد مدير آثار تدمر في مقدمة كتاب (آثار تدمر) لـ (روبرت وود) ص ٢٩ : " كان من بين من أعدموا (لونجين) متهماً بأنه هو الذي حرر لها الرسالة المتعجرفة التي أرسلتها للإمبراطور . إن مواجهته لهذا المصير [أعدمه أورليان مع جميع أصدقائها المخلصين وأبقى عليها] وبمثل تلك الشجاعة لأمر كان يدل على أنه كان نموذجاً نادراً من الرجال في الشجاعة والعلم " . وهكذا يمكن القول بأننا قد تأكدنا أن الوجه الأول هو أورليان والثاني الملكة زنوبيا تحمل رسالتها ورد أورليان عليها، وكذلك فإن وجود هذا التمثال يؤكد على أن الإمبراطور أورليان قد عسكر في أدو (إدلب الكبرى) قبل انطلاقه إلى تدمر، أو بعد أسره لها مؤنبا ساخطا على ثورتها ضد روما وتلقيه رسالة زنوبيا ملكة تدمر، والمرسلة مع لونجين ورده عليها !



(الصورة٥١) النصب الأثري لنحت نافر في إدلب الكبرى- القرن ٣م (متحف إدلب)



(الصورة٥٢) الملكة زنوبيا تحمل الرسالة في يدها عام ٢٧٢ م

(الصورة٥٣) نحت الإمبراطور الروماني أورليان

وما زالت تشاهد بقايا تلة صغيرة في إدلب الكبرى، هي بقايا رجيع الصابون ،كما في تلتي إدلب الصغرى، وإلى جانبها كان هناك مصبنة كبرى . ويروون أن حاكم إدلب الكبرى زمن بيبرس يدعى صطيف الصابون لشهرتها في صناعته بوجود عدة مصابن فيها، إلى أن نازعتها إدلب الصغرى في ذلك ولنعد إلى الوراء إلى سنة ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م ونقرأ وثيقة بيع مصبنة ابن قنطار(الصورة٤١) - راجع بحث الصابون وفيه صورة عنها - تفيدنا هذه الوثيقة بتحديد موقعها، فقبليها طريق سالك وراء الباب، ولعله الطريق المتجه إلى إدلب الصغرى وبابها متجه نحو الجنوب، وشرقيها يقع بيت حسن بن شعبان وبيت الحاج محمد بن قورم وشمالها زقاق غير نافذ أي مغلق مجاوراً دار بيت حميدي وغربيها طريق سالك.. والذي اشتراها صلاح الدين بن الحاج العمر المعروف بابن قورم ويحدها شرقاً كما ذكرنا بيتاً للحاج محمد بن قورم[٢]. ومن الطبيعي أن تكون المصبنة مطلة على طريق تقع في الحي الجنوبي لإدلب الكبرى والذي كان له باب وهو الباب الجنوبي لسور بلدة إدلب الكبرى . وأما سكانها المسلمون فمن أتباع المذهب الشافعي، وحول مساجدها فلا تفيدنا الروايات وصفاً عنها، بل يقال إن عددها أربع مساجد، غير أن آخرها ظل قائماً إلى أواخر القرن الثامن عشر في الجانب القبلي، وقد شاهدت بقاياه . وكان فيها مسجد مملوكي أحضر منبره وأبوابه وبعض أحجاره إلى جامع المبلط بإدلب الصغرى، ونرجح أنه كان فيها كنيسة لاتينية وسطوية بناها الفرنجة حين احتلالهم إدلب الكبرى، وبعد مغادرتهم وخلوها من زوارها نقل بعض آثارها، ولم يبق منها غير عمود حجري مزخرف، ولعل بانيها أحد الأمراء من فرسان الصليبيين، كما يستدل من نقوش هذا العمود والموجود في جامع المبلط وله شبيه في قلعة سمعان في باحة جامع المبلط في الحي الشمالي في ادلب الحاليةً عمود أحضر من ادلب الكبرى يرقى إلى العهد المملوكي (زمن الحروب الصليبية القرن ١٢م) يعلوه تاج فيه أقراص مفتوحة ضمنها أشكال بيضوية في ثلاثة طبقات وتاجان آخران شبيهان به , وفي الجدار نقش إسلامي متميز على شكل قناديل فيها نجوم وحركات تموجيه

[٢] سح ٥ و ٩٤٠ ويروون أنه كان فيها ١٩ معصرة و ٤ مصابن ؟ !

ترمز إلى الإيمان السماوي (الصورة٥٤-٥٦) .هناك نقش آخر مميز على شكل اسطواني حلزوني وفيه المعنى نفسه , وأرجح هذه كلها من ادلب الكبرى .وتكثر في إدلب الكبرى المزارات والتي تحمل في ذكريات أبنائها أحداثاً تاريخية تعود إلى الحروب الصليبية، وخاصة أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك الظاهر بيبرس فعن كل مزار أو موقع بجوارها، يروي المزارعون ذكريات عن هذا القائد وأصحابه .. وهذا تطابق مصادفة مع النتيجة التي توصلت إليها حول إدلب المذكورة في نصوص الفرنجة بأنها إدلب الكبرى وليست الحالية، إذ لا يروي السكان عن أسلافهم أية ذكريات تشير إلى أحداث في إدلب الصغرى ترجع إلى هذا العهد، كيف لا وهم وأسلافهم حديثو العهد فيها ؟ ! بل ظل سكان إدلب الصغرى يقصدون مزارات إدلب الكبرى ويقدمون النذر حتى منتصف القرن ٢٠ . وهذا يعود لترسخ اعتقادهم بان لكل منهم حكاية يروونها عنه وعن جهاده ضد الفرنجة غزاة المنطقة، ورثوها رواية عن أسلافهم الذين هجروها . وسنوالي الدراسة عنها مرة أخرى في الفصول القادمة .



(الصورة٥٤)
عمود مزخرف للفرنجة ، القرن الثاني عشر الميلادي أصله من إدلب الكبرى
(حالياً في جامع المبلط)

(الصورة٥٥)
العمود بتاج من إدلب الكبرى القرن ١٢م (حالياً في جامع المبلط)

(الصورة ٥٦)
النقش الزخرفي من ادلب الكبرى
(حالياً في جامع المبلط)

الفصل الرابع

تفسير معنى اسم إدلب

لم تواجهني صعوبة البحث وجهد المتابعة كما واجهتني مشكلة البحث عن معنى اسم إدلب وأصله،وليس لنا بد من عرض جميع الآراء، والرجوع إلى تحول الاسم عبر العصور، إذ لا يمكن تفسير اسم أي بلدة بالعودة إلى اللغة العربية ،أو آخر اسم لها، فالاسم يتغير ويحور . - راجع مقدمة كتابنا " دليل أسماء بلدان محافظة إدلب وقراها قيد الإعداد – فلا شرح وتفسير بدون العودة إلى الجذور .. ذكر بعضهم ومن اجتمعت معهم[١] : إن إدلب كانت تسمى إدلب - إدليب بياء بعد اللام - إدلب - إدولب - أدولبو - أَدَوْلب - إدلب الشمالية - إدلب الصابون - إذلب - إذليب - دولبية - وادي لب - دير لب (الصغرى) . وأما الوثائق الرسمية المعروضة في طوايا هذا الكتاب ذكرتها : إدليب الكبرى و إدليب الصغرى وإذليب وإذلب و إدلب الكبرى وإدلب الصغرى وإدلب المعمورة، ووثائق أخرى ذكرتها باسم قصبة إذلب المحروسة (بالذال) سنة ١٢٥٠ هـ[٢] وفي لوحة تدشين خان الرز كتبت بالعثمانية

---

[١] أجريت سبراً للراي مع ٣٠٠ مواطن إدلبي حول معنى اسم إدلب وأصله لعلي أصل إلى نتيجة يتفقون عليها، فكانت الإجابة متضاربة وبعيدة عن التفسير العلمي بأن أصل الإسم (لب) قائد روماني في إدلب الشمالية قطعت يده قربها نتيجة معركة فدعوا المكان باسم إدلب أو أنه يدعى ايد ولبت يداه أي احترقت فدعوها باسم ايدليب وهي تفاسير عامية تخالفها حقائق التاريخ . كما بذلت جهدي في معرفة وجود قائد روماني في المنطقة حتى وصلت إلى أن حاكم سوريا في العهد الروماني يدعى أنيوس ليبو حوالي ١٦٢ م (انظر كتاب إنطاكية ص ١٣٤) ولكن إدلب موجوده قبل حكمه .

[٢] انظر وثائق السلطان العثماني في مرسومه الصادر سنة ١١٤٦ هـ ذكرها باسم (إدليب) وأخرى سنة ١١٥١ هـ باسم إدليب الصغرى وإدليب الكبرى . وسجلات المحكمة الشرعية بحلب العائدة للقرن الحادي عشر الهجري والعاشر في السجل الأول العائد للسنوات من ٩٤٣ – ٩٦١ هـ . وحول إدلب المعمورة أول وثيقة تذكرها سنة ١٠٢٧ هـ انظر بحث الصابون وغيرها .. وقد ظلت بعض الوثائق تذكرها باسم إدلب الصغرى إلى منتصف القرن التاسع عشر وكما سيرد ..

(اذلبي) وأما في العهد المملوكي قبل العثماني فقد ذكرت باسم إدلب الكبرى وإدلب الصغرى وذكرها ابن الشحنة في هذا العهد باسم بلد إدلب وننوه أن إدلب بلدتان عبر التاريخ إلى منتصف القرن التاسع عشر ليلغى اسم الشمالية (إدلب الكبرى) وليظل اسم الباقية من إدلب الصغرى إلى إدلب رسمياً منذ مِئة عام فقط ، وجميع الوثائق القديمة التي تذكر القسم الأول من الاسم فهي تشير إلى الشمالية وليس الحالية وإن كانت تجمع القسمين فهي الحالية . في الوثائق الآشورية ورد ذكر اسم يدابي Yadabi أو ادابي Iadabi، عام ٧٣٨ ق.م وهذا الاسم استمرار لاسم قرية أدابيكو أو أدابيج الوارد في وثائق إبلا ، إذن لا بد أن تكون هي إدلب الشمالية (الكبرى) وهي ذاتها الواردة في وثائق آلالاخ تحت اسم : Ya – ta – ha – ba = Ia – at – ha ba يتخابا = إيتَ-خابا وفي وثائق أوغاريت ياتبا = يادبا وهي نفسها أيضاً مذكورة عند الفراعنة على جدار معبد الكرنك تحت اسم يتخب = يدخب [١] و أما الحالية فقد ذكرتها الوثائق في إبلا تحت اسم لوبان وعند ألالاخ لبانى(أو) لُبَنِ وفي وثائق أوغاريت لُبانا وفي العهد الروماني لبو (س ؟) . وفي العهد البيزنطي حين اعتنقت إدلب الحالية المسيحية وأنشأت ديرها الخاص بها (مذهب الطبيعة المواحدة) فقد اختارت اسمها من لبَ إلى دْلبين بتسكين الدال في لغتهم السريانية وهي جمع مفردها دْلبو أي أنهم جمعوا بين اسم القريتين تحت اسم واحد .. وما زال الدال الساكن حياً في لفظنا (إدلب) وأما كيف جاء الألف ؟! فهذا طبيعي لأن العربية لا تسكن أوائل الكلمات، فالعرب حين جاءوا إلى هنا عربوها بلهجتهم وأضافوا الألف المفتوحة في أولها . هذا ما توثق لدينا تاريخياً، وتوضح أمامنا أنهما بلدتان، وليستا واحدة، وكل منهما اختصت باسم خاص بها، وكما عرضنا في طوايا الكتاب . ولكن قد يتساءل أحدنا كيف سنفسر الاسم ؟ هل بالرجوع إلى المعاجم العربية ! ؟ أم هي كلمة موغلة في

---

[١] راجع PRU - 1V. 14 أرشيف القصر الملكي في أوغاريت المجلد الرابع . المنشور من قبل نوغايزول وراجع Place names from the Kingdom of Alach (JNES) in the north Syrian list of Thutimose 3 : A Study in Historical topography : I - Michael C – Astour.

القدم ؟ ! وقبل تفسيرها عبر التحول التاريخي اللغوي الثقافي (الأثنوغرافي ، أو الأثنولوجيا) نتوقف قليلا مع من فسرها قبلنا ولعل المؤرخ الشيخ كامل الغزي كان أول من فسرها بقوله " إنها قرية كلدانية تواتر عن ثقاة أهلها أنها كانت تدعى (وادي لب) وضبطها الأستاذ شعيب الكيالي في بعض مؤلفاته بالذال المعجمة "[1] وهذا التفسير غير كاف، إذ عرف عن الغزي تفسيره كل اسم إنه كلداني، مع أنهم حكموا شمال جنوب العراق ولم يكن لهم هذا التأثير الحضاري هنا، وامتد نفوذهم في سوريا حوالي ستين عاماً . وهو لم يوضح لماذا هي كلدانية حتى أن الكثيرين نقلوا هذا الرأي خطأً وقالوا : إدلب كلدانية وهكذا .. وأما وادي لب فهو بالقول الذي نقبله كأحد الأسماء التي تواترت وليس تفسيراً لمعناها .. والأصح وادي لب هو الموقع الذي يتوسط إدلب الكبرى وإدلب الصغرى والمدعو الآن (البقعة) . وأما الأسدي (في القرن الماضي) فذكر تفسيرها برأيه " من الآرامية أسوة بكل مكان عرف قبل الفتح الإسلامي مركب من " ار " هواء و " د " أداة بين المضاف والمضاف إليه : شأن الآرامية، بعدها " لب " القلب أي هواء القلب، أي ينعش القلب، وحقيقتها كذلك، ويجمعون الإدلبي : أدالبة " [2] . والباحث الألماني لتمان وكذلك هونغمان، تبعهما تشالنكو في النصف الأول من القرن الماضي كتبوها دْلبين = شجرة الدلب كما فسروها[3] وهذا تفسير مقبول علمياً في اللغة السريانية بموجب الوثيقة التي اكتشفها (رايت) في المتحف البريطاني (الصورة٥٦مكرر) ، وشجر الدلب كان مزروعاً في المنطقة وكما ورد وسيرد .

---

(1) الغزي – نهر ١ / ٥١٩ .
(2) موسوعة حلب ١ / ٩١ .
(3) VASN 3 / 96 .

ولنتوقف قليلا مع تفسيرها اللغوي قبل التاريخي. ففي تاج العروس مادة دلب ذكر الزبيدي (الدلب : بالضم : شجر كذا في الصحاح، وقال ابن الكتبي : هو شجر عظيم معروف، ورقه يشبه ورق الخروع إلا أنه أصغر منه، ومذاقه مر عصف .. وفي الأساس : الدلب: شجر يتخذ منه النواقيس . تقول هو من أهل الدربة في معالجة الدلبة أي هو نصراني . وفي بعض النسخ الدلب بالضم: الصغار واحدته دلبة بهاء (وأرض مدلبة) . على مفعلة (كثيرته) وذكر الزبيدي بأنه قد فات المؤلف : إدلب كزِبْرِجْ وهما قريتان من أعمال حلب الصغرى والكبرى " [٤] . انتهى . وقد ذكرها المعري في شعره :



(الصورة ٥٧) دلبين-الاسم السرياني لادلب

في اللاذقية ضجة ما بين أحمد والمسيح
قس يعالج دلبة والشيخ من حنق يصيح
كل يصحح دينه ياليت شعري ما الصحيح

أما المعاجم الزراعية واللغوية أشارت إلى الدلب وهو شجر كبير من فصيلة الدلبيات قد يبلغ ارتفاعه ٣٠ متراً ويعتبر من الأشجار العظيمة ذات الورق العريض لا زهر له ولا ثمر . الواحدة دلبة .. خشبه صلد يستعمل في صناعة الأثاث . وأن أصله (دُلْب) سامي له أشباه بالآشورية والآرامية وهو جنس شجر للتزيين[١] وقد أشرنا في أكثر من مرة أن جبال إبلا كانت تصدر خشب الدلب إلى أنحاء المعمورة أي أن هذه الشجرة كانت منتشرة في المنطقة منذ الألف الثالث قبل الميلاد ولذلك نجد كثرة شيوع هذا الاسم في مناطق أخرى أخذوه من هنا. ولنتوقف في تعدادها : دلبيا قرية قرب سلقين ذكرتها الوثائق

---

[٤] تاج العروس ٢ / ٤٠٩ .
[١] انظر المنجد والموسوعة العربية الميسرة ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ وذكر ابن العجمي أن درب الدلبة به شجرة دلب فسمي بذلك . في هامش ابن العديم في زبدة ١ / ٧٣ .

العثمانية سنة ١١٤٧ هـ باسم قرية خرابة دلبي التابعة لقضاء حارم . وأشارت إلى طواحين دلبين الواقعة في خان طومان غربي حلب سنة ١١٨٧ هـ ووثائق أخرى ذكرتها باسم دلبية كمزرعة قرب قلعة خان طومان . وهنا نجد تشابهاً مع اسم إدلب حين كانت تدعى دْلبين في القرن السادس . ثم دْليب والمحرفة عن دْلبيا وفي حلب يوجد حمام كان يدعى حمام دلبة، وفي قرية مشمشان في منطقة جسر الشغور نبع يدعى (الدلبة) وفي منطقة حوران يوجد دير لبين وفي محافظة اللاذقية قرية كفر دلبة في ناحية صلنفة وقرب صفد وادي دليبة أو عين دليبة [٢] وفي لبنان بقضاء كسروان قرية دلِبتا والتي تعني الدلبة كذا (أشجار الدلب) واسمه العلمي Plantanus Orientalis ودليبة تصغير دلبة، و (عين الدلب) في لبنان - صيدا وكسروان وفي العراق يوجد دير لب (راجع تاج العروس وياقوت باسم دير لبي) . وذكره البكري الأندلسي (ت٤٨٧ هـ) باسم دير لبي بكسر اللام وتشديد الياء المعجمة بواحدة على وزن فِعْلى . ذكره الأخطل في شعره (انظر معجم ما استعجم ص ٥٩٥ .) ومما يلفت النظر تشابه اسم هذا الدير تاريخياً مع تحول اسم إدلب تاريخياً . وذكره ابن العديم الحلبي ١ / ٧٣ – زبدة – (إنه في أيام ولاية المنتصر سنة ٢٤٢ هـ وقع طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب (يسمى عند العامة الشوح) على دلبة بحلب، ولا يبعد عندي أن تكون الدلبة التي ينسب إليها راس الدلبة) وذكر صاحب نخبة الدهر (عين دليبة) وعذراً من القارئ أفضنا في العرض لكن هدفنا التأكيد على شيوع هذا الاسم العظيم في أنحاء الشرق الأدنى منذ أيام إبلاَ إلى أيام الرومان إذ يوجد فسيفساء في دافني قرب إنطاكيا تمثل شجرة الدلب ترقى إلى هذا العهد .. أي سر يكمن وراء شيوع هذا الاسم لتسمى الجبال باسمه والقرى والأديرة ، شيوعه لا يدل على أن شجر الدلب موجود في كل هذه الأمكنة بل له بعد آخر .. ونعود للقول إن الاسم يتبدل بعض الشيء حسب اللغات القديمة وعبر العصور ولكنه يظل يحتفظ بجوهر معناه فما معنى اسم إدلب ؟ يعرف الجميع أن الكثير من أسماء المواقع تقرأ بلفظين مختلفين حتى الآن كـ بْلين = ابلين أو ابليم كما في كفرتخارين

---

[٢] انظر المعجم الجغرافي السوري مادة أسماء القرى .

وكفرتخاريم . وريحا = أريحا و بْديتا = أبديتا واحسم = احسين و بْداما = ابداما و غْزاز = أعزاز وليس غريباً سماعنا أسماء إدلب المتواترة عن أسلافنا تتبدل لفظاً إدلب بألف أو بدونها كـ إذليب وادليب أو دير لب وهذه تقترب جميعاً من اسم دلبين كما هو وارد في الوثائق السريانية التي اكتشفها رايت في أواخر القرن التاسع عشر في المتحف البريطاني وإنه يقع في هذه المنطقة مع الأديرة المنوفيزية الأخرى في القرن السادس الميلادي.. ووجدنا وثيقة الشيخ ربوع تقول اسمها دير لب أي الحالية وهي في أصلها مكان دير.. وذكرنا في خان طومان كان يوجد طواحين باسم دلبين تارة وباسم دلبية تارة أخرى في نفس العهد يكرر هذا الاسم كما هو في اسم إدلب فدلبين مفردها دلبا فتكون إدلب في أصلها هكذا متوافقة مع أصل الجمع السرياني ففي هذه اللغة دلبين مفردها دلبو .. ومما يؤكد فرضيتي هذه عن تفسير معنى اسم إدلب لن يتم بدون الرجوع إلى جذره التاريخي قبل اللغوي .. فلنسر خطوة إلى التاريخ الأقدم .. في النصوص الآشورية وردت يدابي Yadabi بتحريف بسيط عن التركيب اللغوي السابق في اللغة الآشورية القديمة (إدو / لبو) وتعني بالعربية (يد القلب) وفي لقائي مع الباحث الإيطالي تشكرلي أستاذ اللغة السامية في إيطاليا في معاهد فلورنسا حين دعوته إلى إدلب لإلقاء محاضرة عن تاريخ المنطقة قال باللغة الآكادية - وهي أقدم من الآشورية - إن قلنا كان اسمها إيثولب فتعني ما يخص ولد ما هو عزيز وغالي . وإذا قلنا ايد = نهر - يد ولبو = قلب - مدورة - عزيز فيكون معناها (اليد الحاضنة أو المدورة)[(١)]
وفي لقائي في رومانيا - في جامعة كلوج مع أستاذ لغات عبرية ويونانية قديمة فسر معنى الاسم بعد أن عرضت له تحوله عبر العصور فقال إدلب تعني قلب بالعبرية وكذلك في اليونانية وحتى لو لفظناها إذلب فتعني قلب وجزيرة . هذا ما استطعت الحصول عليه في تفسيرات غيري ولكن أبدأ بالاجتهاد في تفسير اسمها إذا نظرنا إليها من بدئها بالألف فتفسر كما يلي:

[(١)] ALLE FONTI DE LLA CIVILTA - بالإيطالية ص ٣٦٣ و ٣٦٧ .أو نهر القلب .

- الألف حرف نداء البعيد معناه الماء في بعض اللغات القديمة فتعني هنا ماء شجرة الدلب .
- أو أن الألف تعني ع كما حدث مؤخراً في تفسير إسم إبلاً وكما قال لي تشكرلي الإيطالي أصلها أبلو وتعني المدينة المحصنة بينما غيره فسرها باسم عبلاء وتعني الصخرة البيضاء . إذن يمكن القول إن إدلب تعني عين شجرة الدلب. هذا في اللغات العربية القديمة ، وهو تفسير لغوي فقط .
- في اللغة الآرامية والتي كانت سائدة في المنطقة كل كلمة تبدأ بـ أ فتعني مفتاح الشيء فمعناها هنا (مفتاح شجرة الدلب) . وهنا نقترب من تفسير الأسدي فهي تفيد كل ما ينعش ويحيي هذا الشجر المعروف .. ولكن هذا كله تفسير لفظي فقط لا يأخذ بروح الاسم وأصله، فاللغة ليست ألفاظاً فقط، بل هي تعبير عن روح الإنسان وفلسفته في الكون والحياة .. ومن غير المعقول تفسير اسم لَ-بّ بمعنى اشتعل دون دخان، ومن استعاراتهم (لما سمع ها لخبر لب عقلو) ومن تشبيهاتهم (متل خشب الدلب لا بتشتعل ولا بتلب) وهذا دليل عامي على وجود شجر الدلب في المنطقة(الصورة٤٩)فضرب المثل به .. فتأمل ! ! وإذا اعتبرنا اسم إدلب مركب من إدْ - و - لب فيكون تفسيرها التالي .. في العربية يد تساويها إدو Idu في الآشورية (البابلية) و يَدْ Tu بالعبرية و إيدا بالآرامية وأدْ بلغات جنوب الجزيرة العربية والحبشة .. وأما لب في اللغة العربية فتعني لب،وقلب،وتساويها في الآشورية لِبو، وفي العبرية لب، وفي الآرامية لُبا، وتتضمن المعنى ذاته في العربية (لب وقلب) وفي لغات جنوب الجزيرة العربية والحبشة لبّ [1] أي أنها تعني بالآرامية إيد لبا و توافقها في العربية (يد القلب) فهل يتوافق هذا مع المعطيات التاريخية ! ! وكل مطلع في اللغة الآرامية - السريانية يعلم أن كلماتها تبدأ بساكن، لذا لم يقبل سكانها لفظها هكذا حين تعربوا،فأضافوا إليها حرف الألف من اسم دْلبين - دْلبا - دْلبو إلى إدْليب - إدلب إذن نخلص إلى القول أن الألف ليست في أصل الاسم السرياني وأصل هذا الاسم مؤلف من كلمتين د = دير و لبين = لب ديرلب وكما ذكرها الشيخ ربوع عن مخطوط قديم ولب هو الاسم الأقدم لإدلب الحالية، ففي وثائق إبلاً ذكر لبلدة لوبان ومعبدها الديني للإله نيداكول، لذلك حين تزوج ملك كيش (في بلاد ما بين

---

[1] تاريخ اللغات السامية ٢٩٢ ـــ ٢٩٤ والآراميون لعساف ص ١٩٣ واللغة السريانية لبرصوم
ص ٧٠ .

النهرين) من كيشدوت أخت ملك إبلاَ المعروف إيبريوم، حاول استرضاء الطبقات الشعبية هنا بإرسال أخته الثانية زانيب دولوم = زينب [دلول ؟ !] لتصبح كاهنة في معبد نيداكول في لوبان وهذا الاسم المنتهي بـ ن نجده أيضاً في اسم دْ/لبين وهكذا توضح لنا حقيقة أصل الاسم تاريخياً . وأما إذا أخذنا التطور التاريخي بعين الاعتبار فإننا نصل إلى النتيجة التالية .. فمن المتعارف عليه إن الكثير من أسماء البلدان والقرى والملوك والحكام اشتق اسمها من أسماء الآلهة القديمة أو حقيقة واقع الموقع كـ تل مرديخ باسم الإله مردوك وبابيلا قرب المعرة فتعني بيت الإله وبابل في العراق فتعني باب الإله وهكذا ... فإن من أسماء الآلهة في إبلا أدا / أدو دولو / دودولو وهو نفسه الإله هدد عند الكنعانيين والآراميين بينما يدعى بالآكادية آدد / أو / آدو وهو إله المطر والعواصف ويظهر عادة مع الثور والصاعقة ثم أصبح البعل الأعظم أي الإله الرئيسي كما عرف باسم مارتو واسمه مسجل في قرية مارتين ، وبرأي أن اسم إدلب في أصله الأصيل ليس شجر الدلب بل اسم لهذا الإله القديم والمعروف عند الجميع ومنه أطلق على اسم الجبال المجاورة وهو إله الزراعة والخصب والعطاء والحرب عند السـومريين (دلبات) [1]وهو نفس الإله هدد عند جميع السوريين وباسمه سمي حفيد سرجوم نارام سن أدد وكذلك توحد أرمان (حلب) و إبلا تحت راية رد أداد ويرد اسم قائد آخر في نصوص آشورية شمش أدد . وفي حلب كان لهذا الإله معبد تقام فيه الطقوس الدينية تحت اسم الإله هدد[2] وفي إبلا شخصية أسطورية تدعى آدو ومن أسماء أربابها هدد (عدا في لغتهم) وهو إله الطقس . ولكن مؤخراً وصل الباحثون إلى القول أن للإله هدد اسماً آخر هو أدُو وفي نصوص مملكة يمحاض (حلب) أن ملكها أبان المحبوب من أدو أي من الإله هدد . وما زلنا حتى الآن نستعمل اسم هذا الإله في تعبيراتنا (خيو أنْتِ مانك أدُو) أي لست في قوته أو قادراً عليه . ومثلنا الشعبي (ما في بالميدان غير حديدان) وتعني الأخيرة اسم الإله هدد = حدد = حديد أي ليـس هناك قوة أقوى من قوة الإله أو بمعنى أكثر (لا إله إلا الله !) - راجع بحثنا اللغة والتراث والتقاليد - ومن الغريب اجتماع الإسمين أدو = إله القوة

---

[1] دائرة المعارف للبستاني ١٩٥٨ ٢ / ١٥ .

[2] حتي - تاريخ سورية ١ / ١٨٦ . كان أحد ملوك دمشق الآرامية برهدد = ابن هدد . أهم معابده في منبج ويعني في كل اللغات السامية المالك والسيد والزوج ويرتبط اسمه بأسماء المدن والبلاد والمواقع في لبنان بعل – بعلبك انظر قاموس الآلهة والأساطير ص ١٨٢ وعن هذا الإله راجع الفصل الثالث وفصل الحياة الدينية .

و لب = معبد ومعناها هنا أن هذا الإله قد جاء إلى هذا المعبد أو هو معبد هذا الإله فتأمل ! ولكن بما أن إدلب تقع مجاورة لجبال إبـلاَ وفيها شجر الدلب، فمن المحتمل أن اسم إدلب اشتق من وجود هذا الشجر. وفي لغة إبـلاَ تلفظ كلمة دولبو = وتعني شجر الدلب أو شجر الملك أدد وكذلك ورد في الرقيم الطيني ت م - ٧٥ - ١٤٣٠ حكم ملكي يتضمن (أن المدعو آمور - دامور استولى بصورة غير شرعية على أراضي كل من قرية أبيجو وقرية أدابيكو Adabigu [١] وفي نص آخر يذكر مدينة أدَبيج Adabig وفيها يظهر عدة تجار، وكلتاهما واحد حسب المترجم عن الإيطالية وقد أكد لي آركي العالم في لغة إبلا هذا في لقائي الأخير معه وبعد حوار سُرَّ لمعرفتي موقع هذه البلدة بأنها هي إدلب الشمالية وليس الحالية بموجب دراساتي التاريخية والميدانية، وسجل عنده هذه النتيجة .. وهي نفسها قرية يدابي - أدابي عند الآشوريين .. فالاسم الإبلائي يمكن ترجمته يدابيكو، فالألف في لغة إبلا يمكن قراءتها يا[٢] وكذلك نفس الاسم ظل محفوظاً في لغة الفراعنة يتخب (يدخب) وفي آلالاخ يتخابا - ياتبا وفي حضارة أوغاريت والتي حكمت هذه المنطقة تحت سلطتها أسمتها ياتبا وهكذا توضح لنا أصل إدلب الكبرى الشمالية وتحوله عبر العصور وقبل إضافة لب اسم الحالية إليها في العهد المملوكي . وذكرنا سابقاً أن الحالية في أصلها كانت (معبداً للإله نيداكول في بلدة لوبان) كما ورد في رقم إبـلاَ أي اسمها لُ-بَ وحين تم الخلط بين اسم الاثنتين في العهد البيزنطي أصبحت الشمالية تدعى أودولُبِ - أوذوليب والحالية دْلبين . ولو فسرنا اسمها في أصلها الإبلائي لكانت أودو تعني خروف كما ورد في رقم إبلا ولب هي قلب أي تعني قلب الخراف، وفي الآكادية ليبوم = غنم إذن الشمالية تعني خروف أي أن الاثنتين تشتملان على نفس المعنى وهذا هو جوهر اسمها لأنها في أصلها معبدٌ، تقدم له الأضاحي ومنها المواشي . و لا نستبعد القول إن إدلب الكبرى قد كانت أحد الموارد الرئيسة في إنتاج الصوف. وقد ظل إنتاج الصوف معروفاً في المنطقة حتى القرن الثاني عشر الميلادي تحت اسم (الثياب الحفية) الشهيرة فيها، توارثاً عن أسلافهم الإبلائيين وكما سيرد.

---

(١) إبلا - عبلاء ترجمة طوير ص ١٦٠ و إبلا لمرعي ص ٦٨ .

(٢) أضواء جديدة على تاريخ وآثار بلاد الشام مترجم ص ٨٠ .

ومن الطريف أيضاً القول ما ورد في نص زراعي إبلائي حبوب بزار لقربة أأدا [٣]،وشخصية أسطورية تدعى آدو ومن أربابها هدد = آدو . وفي شجرة سلالة حكام ألالاخ (تل عطشانة) والذين حكموا هذه المنطقة يرد اسم زومي - أدو . وكلها قريب من اسم إدلب حسبما تواتر عن ثقاة أهلها أن اسمها كان يدعى أدولُب - اددولبو - دولبو .. وكلها تشتمل على اسم إدلب في مضمونه الحقيقي، وجذره التاريخي المقدس ..

ونتابع تحليلنا الطريف، وقد تكون قد جاءت من أودو = خراف + بي (قرية أدابيكو عند إبلا ويدابي عند الآشوريين) و بي هي إشارة سومرية يقصد بها الإله دجن وهي لقب، قد تكون اختصاراً من نوع خاص، لكلمة (بعلوم) التي تعني السيد وكما سيرد في فصل الحياة الدينية أي تعني هنا سيدة الخراف(الخاصة بالإله دجن) ومن الممكن أن تكون إدلب الكبرى في أصلها معبداً للإله دجن وكانت تقدم له الأضحيات من الخراف كما كانت بنش في أصلها معبداً مقدساً لملوك إبلا وكذلك دانيت = عدينو سابقاً وقد أوردنا أن الاسم دلب (كشجر أو موقع) ظل سارياً في معابد المنطقة ففي دافني قرب أنطاكيا(وضعنا كتاباً في تاريخها)والتي كانت مرتعاً للهو. ومعبداً للآلهة الوثنية الرومانية اكتشفت فسيفساء طبوغرافية تمثل شجرة الدلب،فمن غير المستبعد إحياء اسم الإله في هذا الاسم، فيكون بالتالي أصل اسم إدلب مشتق من أحد أسماء الآلهة القدامى وبالأخص إله الزراعة، وفي الزراعة تتجلى الأصالة والعطاء والخصب مما يتطابق و التفاسير السابقة بعض الشيء حين ذكرنا الماء، والعين، والمفتاح ،ويد القلب وجميعها ترمز إلى البدء أو الخصب أو العطاء(الصورة٥٧-٥٨) .. وإذا نظرنا إليها ككلمتين أد+لب باللغة الآرامية نصل إلى المعنى ذاته، بأن أصلها اسماً للإله هدد الذي كان المعبود الرئيسي ليس في إبلا بل وعند الآراميين ويسمى أيضاً أدد أو أدو Addu وهو إله الطقس والعاصفة والذي يرسل المطر و يخصب الأرض . وأخيراً يمكن القول إن هذا الإله المعبود موجود اسمه حتى الآن هدد = أدد أو أدو الإله، وقد ذكر آركي الإيطالي ومترجم رقم إبلا " إن أهم إلهين للطقس في نصوص إبلا هما

---

[٣] مجلة دراسات تاريخية عدد ٤٣-٤٤ ص١٨ .

خ-دّا وحدا (أدد) الخلامي و خِ-دّا اللو أو بي (lu- ub) " راجع بحث الحياة الدينية تفصيلاً - واسم إدلب يشتمل في جوهره على اسم إلهين في رقم إبلا[١].
وأما لب باللهجات (السامية) العربية القديمة فتعني قلب وبذلك يكون معنى اسمها (قلب الإله) .. و أما إذا جمعنا الكلمتين أدو = الإله هدد وتعني إله المطر ودلبا إله الزراعة فمعنى إدلب هنا إله المطر والزراعة أي أرض الخصب والعطاء المباركة من الآلهة (الصورة٥٩). وقد سبق القول إن اللغة ليست ألفاظاً فقط، بل هي تعبير عن روح الإنسان وفلسفته نحو الكون والحياة .. ولو عدنا إلى التفسيرات اللغوية السابقة وإلى التفسير التاريخي، لوجدنا اتفاقاً في المضمون مع أصل الكلمة، وإن اختلفت لفظاً، فالقلب يعطي الحياة للجسد، ومن الماء كل شيء حي والعين بصيرة الإنسان، والهواء والمفتاح كلها جميعاً وسائل أساسية للحياة .. والمطر روح أو قلب الزراعة وباتحادهما، يتم الخصب فوق هذه البقعة المسماة إدلب فهي لغة (القلب النابض أو حياة القلب) وزراعياً (الأرض المعطاء) وتجارياً (قلب الخراف أو سيدة الخراف والصوف ،أو مستودع الأخشاب) ودينياً (قلب الإله) أو (القرية المباركة من الآلهة) أو في أصل معنى اسمها وهي قمة الرأس (معبد إله القوة والطقس) .[١]

ملحق: فسر لي يعقوب حقوالذي أمه سريانية اسم ادلب بأن معناها نار كتبت كلهب . في هذا المكان يوجد معامل صابون وبحاجة لنار.

في الوثائق الفينيقية: والتي انتشرت ثقافتها هنا – يدعى حاكم بيبلوس (جبيل في لبنان) رب آدا= رب عدي. هذا الاسم مازال محفوظاً في موقع أثري شمال ادلب – ناحية دانا في تل عدا وتلعدى . مصدره هدد/ أدد آشهر الآلهة في

---

[١] حتى الآن في اللغة الفارسية (خدا) اسم للإله .

(١) - الصورة ٥٨ - الإله هدد إله الطقس والخصب والقوة، واقفاً فوق الثور المقدس، ويمسك بيديه الفأس المزدوجة وحزمة البرق. وتجدر الإشارة إلى أن القرون على الرأس ترمز إلى ربوبية الشكل الذي يحملها يعلو الإله المذكور شكل الشمس المجنحة، وهذا الشكل واسع الانتشار في عالم الشرق الأدنى. هناك كتابة حثية على الأوجه الثلاثة للنصب . يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد . متحف حلب .

الألف الأولى قبل الميلاد، هو ضمن اسم ادلب= أد/ و/ لب أي قلب الاله، وإله العواصف والرعد والمطر.

في لقائي مع الفونسو آركي قارئ رقم إبلا: سألته :إن اسم ادلب قد ورد عند الآشوريين باسم Yadabi يدابي/أدابي وفي ابلا Adabig وAdabiga ثم أدولبو فما رأيكم؟ أجاب الأرجح هي نفسها! وهل تعلم أن أم ملك إبلا دو-سي-جو قد ورد في نص عرسي لمنسوجات إبلا قد جلبها ملك أبارا إلى بلاد إبلا أجاب ممكن هي كفر البارا في جبل الزاوية! ولفظ بنش عند إبلا هو بانش وأن عاصمة نوخاشي قد تكون هي في تل خان شيخون تحت اسم أشخاني؟! وماذا تقولون في هذا النص:

Lu-Kar bahur sa (11)el-al (Ki)

يرد ذكر لوكار الفخار من مدينة تدعى إبال؟ أجابني هي بين حمص وسلمية. وعن اسم نيرار Nirar قال هي شمأل...ذكر الخوري السرياني برصوم أيوب في كتابه (الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية وشرح معانيها)) إلى أن إدلب قد تكون هي عين دلبي القرية التي التحق بها بمدرسة الصبيان فيها مارنرساي, وكان عمره سبع سنين, كما جاء في كتاب(ثقافة السريان في القرون الوسطى) ص٤٦من كتابه.. أضيف لعله دير دلبين(جامع العمري) الذي كاك بحق مدرسة تخرج منها الرهبان مار دانيال(دانييل)وحسان(أبو الحسن) وغيرهما .



(الصورة٥٨) شجرة الدلب في جبل الأعلى-قرية بنابل



(الصورة٥٩) الإله هدد إله القوة والطقس والخصب واقفاً فوق الثور المقدس-
متحف حلب –القرن١١ق.م

يمثل المشهد تعهد أمام بعل. يتقدم رجل رفيع المقام أمام ربين. يقف أمام المتعبد رب الطقس بعل، والمعروف بتاجه المزين بالقرون، ورأسه المدبب، وفي يده اليسرى دبوس أو فأس الثور بين الرب والمتعبد، وفوق قرص الشمس المجنحة. في الوسط شخص بقلنسوة ،فوقها طير قد يكون ربة الحب والحرب السورية – النصف الثاني من القرن ١٨ ق.م .

الفصل الخامس- في تاريخ المنطقة

التاريخ القديم إلى حكم السلوقيين:

(٦٠٠٠ ق.م – ٦٤ ق . م)

تمهيد : من الثابت تمتع هذه المنطقة، بأهمية خاصة في سورية، فهي مهد الحضارة القديمة، وصلة الوصل بين الشرق القديم والغرب، أي بلاد بين النهرين في العراق الآن، و بلاد العموريين في الغرب .. وكما سيرد لاحقاً .. ويوجد في المنطقة الكثير من التلال ،ومواقع الاستيطان في عصور ما قبل التاريخ، ولكن لماذا هجرت المستوطنات التي كانت تتوزع بكثافة فوق مثل هذه المنطقة الواسعة في نفس الفترة ،فيقول ماتييه[1] : ((*ربما كانت الحروب أو الأسباب الطبيعية هي التي سببت هجرة المدن والقرى*)) ومن هذه التلال تل مرديخ(الصورة٦٠) تل آفس ـ تل دينيت، تل مسطومة ، تل رمان ـ تل شمارون ـ تل قميناس والذي وجد فيه موقع يرقى إلى العصر الحجري الحديث . ويمكن القول: أن الدراسات حول هذه التلال أكدت أن المنطقة استوطنت منذ الألف السادسة قبل الميلاد ... صحيح أن الدراسات قد جاءت متأخرة حول هذه التلال، فإنها ستمدنا بوثائق جديدة عن التاريخ القديم في المنطقة . آخرها التي درست التلال في حوض الروج، ونحن نطلق عليه سهل الروج .نشرها اليابانيون في مجلة الحوليات السورية ٤٣ / ص ٢٦١ – ٢٦٥ نوجز".... وحول تل آفس (الصورة ٦١) والمكتشفات فيه فسيرد في بحث ناحية سراقب والتي تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد كمستوطنة مهمة مجاورة لموقع إبْـلا، مع غيرها من المواقع كـ بنش في مدافن الملوك.

---

[1] هو البروفسور باولو ماتييه رئيس البعثة الأثرية في تل مرديخ، والأستاذ في جامعة روما . بدأت عملها عام ١٩٦٤م أهم مكتشفاتها دار المحفوظات وكتابه Ebla an Empire Rediscovered. Printed in the U.S.A1979

وكتابه بالإيطالية عام EBLA LA CITTA RIVELATA1995



(الصورة٦٠) تل مرديخ- موقع إبلا واللقى المكتشفة فيه

(الصورة٦١) تل آفس شرق ادلب- منطقة سراقب

القسم الأول-الممالك القديمة:

أولاً - مملكة إبْلا = عبلة [١]

أجمع الباحثون على أنّ اكتشافها، أهم حدث تاريخي حصل في المنطقة، كونها إحدى أقدم الممالك وأعظمها ذات الأبجدية والتي ترقى إلى حوالي ٣٥٠٠ق.م. اكتشفت عام ١٩٦٤ من قبل البعثة الإيطالية برئاسة باولو ماتييه(الصورة٦٢) في موقع تل مرديخ إلى الجنوب من سراقب بـ ٥ كم ،وعن إدلب ٢٢ كم. وقد ساد الاسم إبْـلا على ترجمته الصحيحة عبلة، والتي تعني الشريط الضيق من

---

[١] إبـلا : بعضهم ردها الى العربية بمعنى عبلة إذ الألف تقلب الى العين وتصبح عبلاء = عبلة ولفظها الأصح "إبل" بعد لفظها عن لغة الأصل ... ولكنا إرتأينا كتابتها هكذا (إبلا) تمشياً مع الكتابة الشائعة للترجمة عن اللغات الأوربية EBLA ومن الخطأ كتابتها إيبلا

الحجارة البيضاء ، تحد أرضاً سمراء كما تنص عليه المعاجم العربية وهي في الواقع كذلك، فالصخور في جنوبها وللشرق ويمكن القول إن هذه المنطقة قد كانت تابعة لإبـلا في حال قوتها وللأكاديين فيما بعد، كونها سوداء، وفي غربها وشمالها بيضاء،وما زال الاسم محفوظاً في خراب عبلة في منطقة معرة النعمان جنوب شرق إبْـلا ! كانت تضم عدة مدن وبلدان في شمال سورية، ووصلت سيطرتها إلى جبال طوروس في الشمال، والبحر في الغرب، والفرات الأوسط في الشرق، وإلى الجنوب حتى سهول حمص " كان يتبعها اثنتين وخمسين مستوطنة "[1] فهي قد كانت الدولة العظمى أو العالمية في الألف الثالث ق . م وأهم مدينة في سورية الداخلية وبلاد الشام (الصور٦٣)



(الصورة٦٢) باولو ماتيية مكتشف ايبلا-

لوحات لآثار إبلا رسم الفنان سمير حميدي



(الصورة٦٣) قصور إبلا بعد الإكتشاف

وعلاقاتها الجيدة مع مدن الساحل أوغاريت ،و راميتا (لاذقية) ولم تكن لها مشكلات سياسية معها، وأقامت علاقات دبلوماسية واسعة، كالمعاهدة بين ملك إبْـلا ومملكة خمازي في شمال إيران.. ورد فيها طلب بلاط إبْـلا من ملك خمازي تزويده بجنود (مرتزقة) لأنه كان بحاجة إليهم لتقوية جيشه . وسلمت

---

(١) إبلا- مرعى ص ٢٤

لسفير خمازي في إبْـلا كي يبعث بها إلى ملكه .. علماً أن المدينة لم يكن لها جيش وطني . وتوطدت علاقاتها مع الممالك الأخرى بالمصاهرة كزواج ابنة ملك إبْـلا (اركب دامو) من حاكم إيمار وهي مسكنة عند الفرات ، و زواج ابن ملك ألالاخ من ابنة حاكم إبلا ،و كان الهدف تقوية الروابط بين السلالات،وغيرها من المصاهرات الملكية.. قد كانت تتمتع بقوة سياسية، واقتصادية كبيرة في شمال سورية، بل كانت تمثل القوة الرئيسة الوحيدة في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد . لكنها عاودت نهوضها مرة أخرى في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد كقوة اقتصادية مع الممالك الأخرى كبلاد الرافدين وشمال سورية ... وفي عهد سلالة لاغاش الثانية (٢١٦٤ ــ٢١١١ ق.م) كانت إبـلا شريكاً فعالاً لبلاد الرافدين، فقد استورد منها (جوديا)حاكم لاغاش أنواعاً من الخشب..(الصورة٦٤).. وهناك رقيم (الصورة ٦٥)كوثيقة عن تجسس سياسي من قبل ملك أدو Adu (ربما شــرق الفرات) [برأي كلينغل]ْبرأي قد يكون ملك إدلب الكبرى] [فاسمها القديم أدو] . وحاكم مَاري .. وبعد عدة مراسلات مع مَارَي، في محاولة منه لتشويه سمعة إبْـلا أمام شيوخ ماري، خلص إلى نتيجة مفادها " إن الصداقة مع إبْـلا ليست جيدة، ومن الأفضل إقامة صداقة جيدة مع مَارَي " ومن الجدير بالملاحظة أن الرقيم وجد بين محفوظات إبْـلا، ولعله أحضر حين احتلت مارى من قبل القائد الابلائي (إنا ـ داجان) بعد قيامه بحملة عسكرية ضدها، وفيه يفصّل احتلاله لعدة مدن، (بنى فيها أكواماً من الجثث في طريقه ويشير إلى هروب ملك ماري (أبلول ـ إل) لكن جيش إبْـلا لاحقه إلى نيما، حيث هرب إليها ليتمكن من القبض عليه . ويصف القائد في تقريره العسكري ـ طريق عودته، ويقدم إلى الملك تقريراً إضافياً عما قام به لتثبيت سلطة إبْـلا في المواقع التي احتلها .. ويمكن القول :ان ماري أصبحت خاضعة لملك إبلا و لعل مثل هذه النصوص تكشف لنا الوضع السياسي في شمال سورية قبل ٢٤٠٠ ق.م . خلال تلك الفترة أدى إلى تشكيل أولى الدول، ويؤكد (كلينغل) وهو من أفضل الدارسين لتاريخ سورية القديم " بحدوث تطور ، مع تغيرات في البنية السياسية باتجاه الملكية والسيطرة السياسية لبعض الأماكن المركزية، ومنها إبْـلا على

سبيل المثال، إذ كانت الوحدة الأكثر بروزاً وشهرة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية .. وكان توجهها الرئيسي باتجاه الشرق، أي باتجاه منطقة الفرات، وما خلفه . وخلال عهد آخر ملكين لإبْـلا ، كان هناك انحطاط في قوة مارى وسيادة سياسية واقتصادية لإبْـلا . ويبدو أن علاقاتها الاقتصادية الوثيقة أقيمت مع مصر في هذه الفترة " لم يسعف الحظ لمملكة إبْـلا بعد كل هذا التقدم الحضاري،إلا أن تتعرض لفتوحات الأكاديين إذ يذكر " شاروكين الأكادي (ماري و يرموتي و إبْـلا) في سياق حديثه عن حملته إلى غابة الأرز وجبل المعدن الثمين .. وادعى أن إبْـلا هي جزء من الأراضي التي منحه إياها الإله داجان الذي عبده شاروكين في توتول والتي اختصرت بأنها الأراضي العليا " وشاروكين هذا المعروف باسم سرجون الأكادي.. وأما حفيده نارام سن (٢٢٦٠ – ٢٢٢٣ ق . م) فقد جاء مرة أخرى بجيوشه ليضم هذه المنطقة إلى الإمبراطورية الأكادية، و يحاول تدمير معالمها الحضارية .. ويقول رقيم بأن الرب نيرجال أعطى نارام سن أرمان وإبلا ، وقيل إن نارام ذبح أرمان وإبلا وقيل إن الرب دجن أعطاه ريش أدد ملك أرمانوم في يده ... " ويبدو من عدة نصوص أنه قام بأكثر من حملة إلى هذه المنطقة.. قد دمر وأحرق إبـلا (الصورة٦٦)



(الصورة٦٤)تمثال جوديا- المتحف البريطاني.



(الصورة٦٥) أرشيف مكتبة رقم إبلا- متحف ادلب – إعادة تصور.



(الصورة٦٦) مسلة تمثل نارام سن منتصراً – متحف اللوفر-

ثانياً - مملكة يمحاض :

بعد انحسار نفوذ إبلا أصبحت المنطقة واقعة تحت حكم مملكة يمحاض وهي حلب الحالية ،وفي اكتشاف معبد في قلعتها(الصورة ٦٧) يرقى إلى الألف الأولى قبل الميلاد،والتي حكمت من قبل الحكام االعمورّيين ، وامتدت رقعتها حتى مملكة ألالاخ في سهل العمق بجوار إنطاكية (الصورة ٦٨) وكانت علاقاتها مع ملوك مَاري جيدة .



(الصورة٦٧)معبد إله العواصف هدد- في قلعة حلب

(الصورة٦٨)أسود حثية في ألالاخ- متحف أنطاكية

(الصورة٦٩) ياريم ليم-ملك يمحاض- متحف أنطاكية

ومن أشهر ملوكها ياريم ليم (الصورة٦٩) وحمورابي الأول، (ومؤخراً ترجم اسمه الأصح عمٌّ رافئ ومعناه الإله عم) اللذين حكما في النصف الأول من القرن الثامن عشر ق . م , والهدايا متبادلة بينهما ، وهناك كتابة تعرفنا على ملك يسمى ابان بن حمورابي ملك يمحاض، المحبوب من أدُو (الإله هدد)[1]. وكانت العلاقات الدبلوماسية والتجارية جيدة بين هذه المملكة وفرعها في ألالاخ ،و أوغاريتْ لولا تدخل المصريين الفراعنة، والحثيين التي مزقت صلة الجيران مع بعضهم، لينحاز كل منهما مع الآخر، أو يفرض عليه مثل هذا الموقف وكما سيرد لاحقاً .

---

[1] صوااف ١ / ٢٦ وعساف ٣٢٣ في آثار الممالك القديمة-

ثالثاً- مملكة موكيش- ألالاخ وحكم إدريمي : يمكن القول إن منطقة إدلب كانت تابعة أيضاً لمملكة ألالاخ، إذ تزودنا كما يقول كلينغل " بمعلومات " في الفترة الواقعة بين عصر محفوظات ماري وظهور الحثيين في سورية الشمالية لأول مرة، أي في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن عشر،ومنتصف القرن السابع عشر ق.م ، لقد كانت المنطقة إبان تلك الفترة خاضعة لملوك يمحاض، وكان ملوك ألالاخ يملكون قرى كثيرة في هذه المنطقة، وهذا لا يعني أن تلك المستوطنات ،ومحيطها كانت تشكل جزءاً من مملكة ألالاخ، فقد كان ملوكها أقرباء لملوك يمحاض، يديرون اقتصاداً عائلياً يضم عدداً من القرى المتناثرة،

وعليه فإن عددا من الأماكن المذكورة في نصوص ألالاخ لابد أن تكون واقعة في منطقة إدلب [١] وكما سيرد بعد قليل .. وعثر في إحدى الوثائق أن ولي عهد مملكة ألالاخ ياريم ليم الثاني الذي أصبح ملكاً على يمحاض طلب من ملك إبـلا يد إبنته كعـروس لإبـنـه.

رابعاً- نفوذ المصريين وحملة تحتمس الثالث :

يظهر من وثائق إبـلا أن علاقاتها مع مصر كانت جيدة ،ووطيدة ،وهذا موضوع له بحث خاص، في الحديث عن التأثيرات الحضارية بينهما . وما يهمنا هنا ،هو أن ملوك مصر فكروا ثانية بربط الشمال بالجنوب اقتصادياً، مع النفوذ السياسي على الممالك في الشمال السوري .(تحتمس الأول) أول من حاول احتلال سورية(١٥٠٤ ــ ١٤٩٢ ق.م) ومارس أعمال صيد الفيلة في بلاد (نيا)، (غرب إدلب) والتي كانت تؤلف جزءاً من مملكة يمحاض، وبعد مرور ٣٥ سنة من سقوط ألالاخ في يده يقوم تحتمس الثالث(الصورة٧٠) بغزو سورية حوالي (١٤٧٩ ــ ١٤٢٥ ق.م) محتجاً بوجود ثورة ضد المصريين في هذه المنطقة وإن كان الهدف جعل بعض المدن والقرى تابعة لمصر . قام بعدة حملات إلى هنا أهمها الثامنة، والتي سجل فيها أسماء القرى

والضياع [٢] .. وما يهمنا هنا هو مسارها في محافظة إدلب ..

وهذه المنطقة بالذات .. إذ سارت مع مجرى العاصي للشرق، حتى تناريا شمال شرق جسر الشغر ومنها إلى أرمناز فتل شمارون وأورم الجوز وإدلب وشمالها . وأطلق المصريون على المنطقة التي جرت فيها المعارك الأولى اســم (وعن) وتعني أراضي وعرة، هضاب، حراج . وفي العربية تعني أراضي صلبة أو بياض في الأرض والوعان خطوط في الجبال، وهذا الوصف ينطبق على المنطقة الواقعة غرب إدلب في الجبل المطل على سهل الروج ،من ريحا حتى السفوح الشرقية لجبل سمعان في الشمال . . نقف الآن عند أسماء المواقع التي ذكرتها



(الصورة٧٠) تمثال تحتمس الثالث

حملته ونقوم بعرض رأي بعض الباحثين، بالإضافة إلى رأينا، فنحن من حقنا إبداء الرأي، ولأننا أعرف بمنطقتنا، وكذلك ظهرت لدينا من جديد وثائق توضح عض غموضها، ما لم يظهر التنقيب الأثري عكس ما طرحنا هنا :

١- ذكرت موقع مدينة إ ـ ب ـ ر = إيبرا وحسب رأي اولبرايت هي إبلا وهذا تأكد فيما بعد .

٢- ت ـ ز ـ ف = تيزوفا أو تيثوفا وهي قرية معرزاف في منطقة ريحا.

٣- ش ـ ع ـ لا ـ ل = شعلال أو شيخ لال يفترض أنها موقع شللخ شرق إدلب .

٤- و ـ ل ـ م = وليميا هي أورم الجوز إلى الغرب من ريحا ويعلق الباحث عساف إذا كانت قراءة صحيحة الباحث هلك فنقترح أن تكون هي عين تل ألون الواقع شمال كفرميد وغربي عيتانا في منطقة الروج إلى الجنوب من

---

[١] الحوليات السورية ٢٦ / ١٩٧٦ بحث لعساف وحتى في تاريخ سورية ١ / ١٤٢ وغيرها .

تنارية . ولكني أخالفه وأرجح أورم الجوز، بموجب وثائق ألالاخ وكما سيرد لاحقاً .

٥- تى - ن - نو - را = تينورا = هي تنارية غرب إدلب وشمال شرق جسر الشغر.

٦- روجاب هي الروج وعند الآشوريين أرجانو (راجع دوسو) وعند ابن شداد في

العصر الوسيط ذكرها باسم الأرواج .

٧- ف - ق - ى = فوقيا هي الفوعا الآن لأنها في العهد البيزنطي فع .

٨- أ - ر - ف - ن - خ = اريببناخا أو أريفناخا أو أريبناخ قد تكون هي أربيخ التابعة لقرية معارة النعسان شرق تفتناز .

٩- ز - ر - ر - زو = زاروراشو يقترح تل زرتين غربي تفتناز بـ ٢ كم.

١٠-ش - م - أ - ر - و = شماراوا - أو - سماراوا هي موقع تل شمارون غرب إدلب.

١١-ف - أ - ل - ل = فأل أو فؤلول - فولو أو فؤول يفترض أن تكون فعلول في منطقة معرة النعمان أو هي عين تل فيلون جنوب غرب إدلب . ويفترض الباحثون أن فصائل من الجيش قد اتجهت نحو الشرق والجنوب الشرقي إلى مرديخ قبل وصولها إلى هنا . وقد يكون تم كل هذا بدون مقاومة، وتوزع زحف الجيش في عدة محاور .

١٢-ن - ت - ك - ن = ناتاكينا يقترح موقع نيتاك غربي سراقب حوالي ٧ كم، والموقع معروف الآن باسم النيرب ويتبع إدلب . وأنا - فايز - أقترح موقعاً آخر مجاور له هو كنكرين فمن المقترح أصلها كنكرو كمفرد لها وهي مجاورة باللفظ والمكان، وبذلك نقترب من رأي الباحث الأجنبي هلُك ! ؟

١٣-ل - ل - ك = الالاك (أو) آ - نر - ك = أنراكا أي ألاكا يظن بعض الباحثين هي الليكية أو الليقات ٢٨ كم شرق ريحا ويوافق عساف على هذا .. ويبدو أن الجيش قد زحف من النيرب - كنكرين باتجاه الجنوب نحو سنجار، وخاض معارك حولها، ومن سنجار اتجه نحو قلعة المضيق .. ولم نشر إلى ذلك تفصيلاً لبعدنا عن خطة بحثنا في منطقة إدلب .

١٤-ن - ر - ب = نيرب وهي في النصوص الآشورية نيرابو .
١٥- ي - ت - خ - ب = يتخب وفي نصوص ألالاخ يتخاب وعند أوغاريت + ألالاخ = ياتبا . وقد تكون هي إدلب حسب رأي استور، وأضيف - فايز - أنني أتفق معه ومع دوسو يذكر بأنها إدلب لأن كتابات تغلات فيلاصر تذكر يدّابي فيما بعد، مع آرّا = عرا وهي معرة النعمان تليها ليتاربي وهي أتارب شمال معرة مصرين، وكلتاهما تقعان بجوار يدّابي أو أدّابي وهي موقع إدلب الكبرى (الشمالية) - راجع بحث الاسم تفصيلاً.
١٦-ت - ف - ك - ن - ن = تفكانّا وقد تكون تفقاني المذكورة في نصوص ألالاخ ويظن هلك أنه تل طوقان . ويؤيد عساف هذا الرأي .وبرأي قد تكون تفتناز؟
١٧-منغناسا - منيغا = يرى عساف قد تكون هي جنوب غرب تل طوقان ١٥ كم باسم مزيان !
١٨-خ - ت - م = خاتوم أو ختوما يقول عساف قد تكون خربة خوين التابعة لخوين الشعر شمال شرق معرة النعمان وبرأي - فايز - قد تكون هي طعوم قلبت كما يلي : ت - خ - م = تخوم = طعوم إلى الشرق من إدلب .
١٩-ا - ع - ر - ش = أعراش أو ا - م - ر - ش = أمراشا لم يحدد هلك موقعها بينما استور من المحتمل أن تكون مرشو جنوبي مجرى العاصي الأسفل وأرجح - فايز - هي عرشين مفردها عرشو و الألف قد يزاد أو يحذف كما حصل في اسم إدلب . وهي تقع إلى الشمال من إدلب، والحملة مرت من هنا مما يتفق مع سير خط رحلتها .. وأضيف قد تكون هي (أورشو) المذكورة في النصوص القديمة " أن حاكم لا غاش (جوديا) استورد من أورشو من جبل إبلا جذوع دلب وجذوع صنوبر كبيرة "
٢٠-ت - ح - ر - ر = ثاجرو أو شاجرو وقد تكون هي التي ذكرت في المصادر الأشورية سجيلو مدينة في بلاد عنقي - أي تابعة لمملكة ألالاخ، وقد تكون سرجبلا الحالية في جبل حلقة ٣ كم شرقي قصر البنات حسب رأي استور .. وهذا (يقول عساف) بعيد جداً نحو الشمال وقد تكون هي سرجة الشرقية أو الغربية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من معرة النعمان .. وأعلق - فايز - على هذا الرأي هي سرجبلا في شمال إدلب وهي تتفق مع رقم ٢٢ – ٢٣ - ٢٤

ــ ٢٥ وجميعها في شمال إدلب تابعة لمنطقة حارم .

٢١- ن - ن - ر - م - ن - ن - ص = نوّرمنّاصا أو ن - ن - ر - م - ن - ن - ز = ننوز مانازي و أرجح - فايز - أنها هي أرمناز طالما مروا بالروج، وبشمارون، وأرمناز مطلة على الروج، وسمي أيضاً فيما بعد بـ روج أرمناز في العصر الوسيط ...

٢٢-ش - ت - خ - ب - ج = شتاخبج وهو اسم مركب من شيتا + خيبا وقد تكون هي دير سيتا ١٩ كم شمال إدلب حسب رأي استور . وهذا بعيد عن خط سير الحملة ويقترح (عساف) من الناحية اللغوية معرزيتا جنوب غرب معرة النعمان ١٢ كم . وإني أضيف - فايز - أتفق مع استور هي دير،أو درسيتا طالما ذكرت عرشين تحت اسم أعراش (رقم ١٩ هنا) .

٢٣-تارنو = ترنايا = ترنبة شرق إدلب وغرب سراقب برأي لأنها كانت تسمى في العهد العثماني ترنية وكذلك زمن الانتداب الفرنسي .

٢٤-نوشينا = نوثينا = تل نيشين وهي موقع دير سمعان الآن .. وهذا يتفق مع عرشين ودرسيتا .

٢٥-رورتايا = لولوس البيزنطية، وعند العرب ليلون وهي جبل سمعان الآن . وهذا يتفق مع ما سبق عرشين - درسيتا - تل نيشين ..

٢٦-اينو = (أو) عينو = عين = نبع ماء أرجح هي موقع تل منابيع شرق إدلب بـ ٢ كم . وله ذكر في العصر الوسيط والعثماني " قرية منابيع " وهذا يتفق مع سير الحملة، ولقربها من إدلب .

٢٧-تارامانانا = وهي ترمانين في ناحية الدانا، منطقة حارم . وهذا يتفق مع سير الحملة شمال إدلب . ونضيف من أبحاث أخرى في سجلات الفراعنة المصريين المواقع التالية.

٢٨-خاتيرادو = وهي حزرة ناحية الدانا .

٢٩-اتِنى = قال استور هي كفراتين شمال غرب ريحا وقد تكون (فايز) هي قرية أطمة شمال إدلب ناحية الدانا ؟

٣٠-نوراناشا بالمصرية = وهي كفر نوران شمال شرق إدلب .

٣١-آزنانو و أدنو = وهي حزانو في ناحية معرة مصرين شمال إدلب وهذا يتفق

مع سير الحملة . وأدنو قد تكون دانيت شرق إدلب .

٣٢-قورا = تمقارو (أو) تمقورا تعني في الآكادية تاجر كما يقول أستور وقد تكون هي تل باجر شمال شرق سراقب حوالي ١٥ كم .

إن هذا العدد من المدن، والقرى في منطقة إدلب،وما يجاورها، يشير بدلالة قاطعة إلى توطن سكني غني، لذا طمع في احتلالها جميع القوى الكبرى حينذاك من الحثيين، والميتانيين ،ثم الحثيين ثانية، ولينازعهم فيها أيضاً الفراعنة المصريين منذ تحتمس الأول (١٥٠٤ – ١٤٩٢ ق . م) إذ كان أول فرعون حارب في سورية، والذي " طالت حملته حلب وشمال سورية، وسببت في هروب أسرة أليم إليمّـا ،أو سهلت عودة إدريمي إلى شمال سورية " وكما عرضنا ذلك فيما سبق ... وأما تحتمس الثالث وحملته الثامنة فيمكن القول إنها كانت مظفرة كما يقول (كلينغل) لكن هذا النجاح لم يكن إلا مؤقتاً، إذ أنه أجبر على القتال خلال حكمه، ففي حملته التاسعة فتح أو أخضع ثلاث بلدات في نوخاشي، هذا إذا أثبتنا مطابقة الاسم الجغرافي ngs مع اسم البلد نوخاشي المعروف جيداً من المصادر المسمارية :...وفي حملاته التالية يظل مصطدماً مع الفرق العسكرية الميتانية، ويحقق بعدها الانتصارات " وفي حملته الثالثة عشرة يُذكر وجود تحتمس في نوخاشي، حيث تم أخذ أسرى وغنائم وحتى حاكم ألالاخ أرسل له هدايا .. " " ولكن فيما بعد ينسحب من شمالي سورية نتيجة الضغط العسكري الذي مارسه ملك ميتاني .. " كما أن التدخل الحثي يعود إلى المنطقة بعد مغادرة المصريين فهذا (توتفاليا) يقوم بنشاطات عسكرية في شمال سورية " وبعد نهاية عصر محفوظات ألالاخ، صارت النقوش المصرية وبعض الإشارات في الكتابات المسمارية الحثية المصادر الرئيسة لمعلوماتنا من رسائل تل العمارنة [1] إلى محفوظات أوغاريت " .. فهذا تحتمس أخذ يمين الولاء من الحكام المحليين، مع وجود عسكري، وكان

---

[1] تل العمارنة : موقع في مصر العليا عثر فيه على المراسلات المتبادلة بين الملوك المصريين والممالك التابعة لهم في سورية . سمحت بإعطاء فكرة عن تاريخ المنطقة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر ق . م .

الفرعون المصري يقوم في بعض الأحيان كما في حال تاكو حاكم نوخاشي، بتعيين حكام جدد، ينتمون إلى الارستقراطية المحلية، أي إنهم يتمتعون بمكانة قوية في المجتمع . " ونوضح أكثر أن تحتمس الثالث هو الذي نصب تاكو على العرش في نوخاشي بالإضافة إلى نفوذه في ألالاخ .. وبلاد نيا . ويمكن القول أيضاً أن التدخل الميتاني قد عززه الصلح المنعقد بين تحتمس الرابع وملك ميتاني بعد زواج هذا الفرعون من ابنته عام ١٤٢٠ ق . م [١] .. وكأن مصر هنا قد تخلت عن أطماعها في سورية الشمالية .. وهكذا أتيحت الفرصة لـ إيليم _ إليما في أن يصبح ملكاً على حلب، ولكن فيما بعد تحدث ثورة ضده أودت بحياته .. وفي حوالي عام ١٣٦٠ق.م غزا سورية شوبيلو ليوما (١٣٧٠ – ١٣٣٠ ق.م) والذي اعتبر المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الحثية (الصورة٧١)..

كما غزا سورية الشمالية خلال السنوات الأخيرة من حكمه مستغلاً انقسام الوضع في المنطقة بين نفوذين الميتاني والمصري .. " وكان يوجد حكام أو زعماء محليون لعبوا دوراً على المسرح السياسي، وتنافسوا في التجارة، لغنى هذه السهول زراعياً، وطرق القوافل إلى نهر الفرات أو البحر الأبيض . نعود إلى القول إن شوبيلوما ليوما هذا قد " قام بإغارته على هذه المنطقة الواقعة غرب حلب بما يسمى حملة العام الواحد " . لقد كان حكام المدن في هذه المنطقة يعلمون باستعداده " لغزوهم والقضاء عليهم، وإن أي تحالف فيما بينهم لن يقو على صد هجومه، فكيف وهم متفرقون .. صحيح أنهم طلبوا النجدة من مليكهم القديم في مصر الفرعون آمينوفيس الثالث في رسالة بعث بها ملك قطنة في سورية الوسطى يقول (سيدي أريد أن أعبر لك عن خالص حبي واحترامي ويشاركني في هذا الشعور ملوك : نوخاشي ونيا وزنزار وتونانار الذين هم فعلاً إلى جانبك ومن أتباعك) كانت مدينة قطنة [٢]لا تبعد كثيراً عن مدينة

---

[١] صواف ١ / ٣١ وكلينغل ١١٠ – ١١٥ – ١٢١ – و ألالاخ ١١٣ وغيرها .

[٢] موقع أثري يبعد ٢٠ كم شمال شرق حمص – الآن المشرفة .

قادش[٣] وواقعة ضمن النفوذ المصري ، وأما نوخاشي ونيا فقد أخذتا منذ أمد بعيد تحاولان الابتعاد عن النفوذ المذكور . " لقد حددنا مواقع نيا ونوخاشي ولكن زنزار و توننار هما ضمن حكومات الشمال السوري ! وبرأي (فايز) زنزار قد تكون شيزر (حماة) وتونانار هي تنارية الجبل الوسطاني؟ وأما الموقف المصري، فقد كان عاجزاً عن مد يد العون، لذلك بعث الملك الحثي للمصريين ساخراً مستهزئاً من فرعونهم الجديد! لقد كان يحكم نوخاشي أدو - نيرارى وترجمها آخرون ب [أداد - نيرار] وهو ابن الملك إيدريمي حاكم الآلاخ،



(الصورة٧١) شوبيلو ليوما- متحف أنطاكية

لعب دوراً هاما في الأحداث " إذ كتب إلى فرعون مصر، مذكراً بما قدم لمصر من خدمات، ويرجوه أن يخف إلى نجدته، كما وذكره بما قام به تحتمس الثالث من أعمال تضمنت توسيع مملكة جده تاكو ودعم سلطته، وإن الحثيين في هذا الوقت يهددون جميع الممالك التي كانت تابعة وتقف إلى جانب مصر، وإن الملك الذي يطلب الوفاء من أتباعه عليه أن يكون وفياً لهم ثم أضاف قائلاً (إذا كان سيدي لا يريد حقاً أن يغادر مصر فليتفضل بإرسال رسول من أعضاء مجلسه على رأس حملة عسكرية مؤلفة من جنود وعربات عسكرية) . وأما فرعون المذكور فبقي أطرشاً لا يحرك ساكناً . وأصبح الحثيون سادة الموقف .. ونعود إلى شوبيلو ليوما الملك الحثي وإلى حملته المسماة حملة العام الواحد والتي قدم لها مبررات " بأن ملوك هذه المنطقة قد طلبوا منه ذلك منهم (أدو نيراري) حاكم نوخاشي و(إتور-أدّو) حاكم

[٣] مدينة سوريه قديمة قرب حمص في موقع تل النبي مند. كانت موضع نزاع بين الحثيين والمصريين .

موكيش و(أكي ـ تيشوب) حاكم نيا .. وتمكن من احتلال حلب وموكيش وعين ابنه (تيليبينو) حاكماً على أهم مركز في شمال سورية (حلب) وسماه ملك .. وقدم له حاكم نيا خضوعه (كلينغل) يقول هو (أكي تيشوب) بينما (وولى) رئيس بعثة ألالاخ فيقول عن نص للملك الحثي قاله بهذه المناسبة (لقد استوليت على بلاد حلب وموكيش، وأما (تاكو ـ أوا) ملك ـ نيا فقد جاء إليّ في بلاد موكيش مستسلماً يطلب السلام " . " وهذا الملك في نيا لم يشترك في المعركة ضد الحثيين إذ عاد تاركا جيشه يحث الخطا ليفاوض الملك الحثي ويطلب منه الصلح الذي يعني الاستسلام دون قيد أو شرط . وأما بلاد / تاكو ـ أوا / فقاومت قبل أن تسقط بيد الملك الحثي الذي قال ما يلي : كان يقف وراء / تاكو – أوا / اخوه / آكي تيشوب / الذي جعل من بلاد نيا ومدينة نيا بلاداً مستعدة للحرب والمقاومة وأقام على إدارتها ستة حكام من النبلاء اجتمعوا عند (أكيا) ملك مدينة أراختو مع عرباتهم الحربية وجنودهم، ولكن شوبيلو ليوما يدحرهم ويأسر(أكي تيشوب) أخ (تاكو ـ أوا) والحكام النبلاء ويأمر بسوقهم إلى بلاده الحثية[1] .

نخلص إلى القول: أن شوبيلوليوما هذا قد أخضع المنطقة بكاملها تحت سيطرته وينصب (تاكب شاري) ملكاً على نوخاشي أو على جزء منها .. كما تمكن من أخذ ألالاخ ... وأبرم معاهدة مع تيتى ملك نوخاشي ـ يبدو أنها كانت تحكم بأكثر من ملك في أكثر من مدينة ـ والذي ثار ضد الحثيين فيما بعد، في نهاية حكم شوبيلو ليوما .. ولكن هذه الثورة تفشل.. إذن أصبح في هذه المنطقة ثلاثة كيانات سياسية متعاصرة قائمة فيها نوخاشي ونيا و بركا .

خامساً- مملكة بركا:

يقول كلينغل " كانت هذه السهول كثيفة السكان خلال الفترة التي نحن بصددها فبلاد برجا / بركا Parka - Barga/ المذكورة في عدد من النصوص المصرية والمسمارية، كانت تقع في منطقة إدلب الحالية . إذ تخبرنا وثيقة من

---

[1] ألالاخ ص ١٢١ – ١٢٢ وكلينغل ١٧٣ و ١٢٤ .

عهد مورشيلي الثاني ملك خاتي عاصمة الحثيين في الشمال ـ حوالي ١٣٢٠ ق . م على ذكر بركا حيث يذكر أن رجلاً يدعى عبير عادا / أبيرأتا / Abir atta قد نصب ملكاً عليها، وأوصى بأن يكون ابنه أرتيشوب ولياً لعهده وخلفاً له . ولكن وجود بركا كوحدة سياسية مؤكد منذ عهد رسائل العمارنة، وعلى الرغم من أن اسم الحاكم الذي بعث برسالة أي ملك بركا إلى والي أوغاريت، في الجزء الأساسي من النص مفقود وتاريخه غير معروف . لذلك يبقى التطور السياسي لبركا مجهولاً. وقد يعود أحد الأسباب فقر الوثائق بمعلومات عن بركا كونها مرتبطة بشكل وثيق مع نوخاشي، و أنها أحياناً كانت معتبرة ضمن منطقتها . أي أنها تنتمي إلى أراضي نوخاشي المذكورة في المصادر.. "[٢] انتهى كلام كلينغل. ونتوقف معقبين على كلينغل حسب استنتاجاتي الدراسية:

١- إني أتفق مع كلينغل بأن مملكة نوخاشي قد تطغى على مملكة بركا، أو تستحوذ على مواقعها التابعة لها .. ولكن أضيف أن الحاكم (أتّا ـ أدّا) هو نفسه قد كان حاكماً لمملكة بركا لأن اسمه مازال محفوظاً في الروايات المتواترة عن سكان إدلب الكبرى.. إن حاكمها كان يدعى أدولبو.. إذن إدلب الكبرى قد كانت عاصمة لمملكة بركا (برقا) .. أو قد يكون موقع حربتا المجاور لها للغرب الجنوبي بـ١كم في أوقات أخرى، والمذكورة في وثائق إبلا باسم بلدة حربا / حربات...

٢- ولو حللنا اسمه لوجدناه مؤلف من أبير = عبير وهو اسمه الأول وأدّا هي الاسم القديم لإدلب الكبرى ـ راجع تحليل الاسم ـ ومعناه هنا عبير حاكم أو ملك أدّا .. إذ موقع هذه المملكة أو عاصمتها في إدلب الكبرى الشمالية، وهي التي أطلق عليها في العهد الآرامي منذ الألف الأولى قبل الميلاد يدابي = أدابي وفيه محتوى آدّا وفي أصله عند الإبلائيين أدابيج أو ادابيكو و عند آلالاخ ياتبا = يادبا = أدبا .

---

[٢] الحوليات ٤٠ / ١٩٩٠ ص ١٧٠ وكلينغل ١٦٥ ــ ١٢٤ ــ ١٧٣ .

٣- في الروايات المتواترة عن ملاك أراضي موقع حربتا (ومنهم جدي)الذي روى لي أن حاكمها كان يدعى حرب بن عزائير وفي سيرة الملك الظاهر بيبرس ذكر لـ (عزائير) وكانت جميع ملوك الروم تهابه وله ولد اسمه حرب، مثل أبيه بالشجاعة، ولكنه أعقل من أبيه ،وتذكر السيرة مدينة تسمى البرق تقع في المنطقة.

٤- كذلك فإن السلطان بيبرس يقطع يد عزائير حين حاول اغتيالهن ويسرع هرباً إلى دير النحاس القريب من المدينة (حلب) ليعالج ،ويتمكن السلطان من أسره ليوضع في السجن، ثم يقتله السلطان . وأما حرب بن عزائير بعد نزاله مع البطل الفارس ابراهيم الحوراني، وتمكنه منه يطلب العفو لأن الإسلام دخل إلى قلبه .. ويصبح حرب كواحد منهم .. " هذه الرواية الشعبية في سيرة الملك الظاهر قد اختلط فيها الخيال الشعبي المتوارث تاريخياً، وأحداث الحروب الصليبية فهل نأخذ بها ؟ أم نأخذ بتحليلنا .. ؟ ! برأي هي متوارثة من أيام مملكة بركا ،وكما نبين هنا في هذا البحث . ولكن فيها دلالات لاسم مدينة (البرق) وهي نفسها تكون في موقع حربتا و المتوارث عن اسم مملكة بركا، وهكذا يمكن القول :إن هذا الموقع قد أصبح في زمن ما عاصمة مملكة بركا، أو المقر الصيفي لملكها عبير، ثم ملكها عزيرو .

٥- إن اسم ملك بركا ما زال محفوظاً في موقعين الأول قرية (عبريتا) شمال إدلب للغرب في جبل الأعلى ناحية كفرتخاريم وهي في حدود المملكة .. والثاني هو موقع حربتا وقلعتها والمذكورة في وثائق إبلا بلدة حربا - راجع البحث عنها فيما بعد - للغرب من إدلب الحالية بـ ٢ كم والذي وجدت فيه كهوف فيها قواعد (ركائز) مستطيلة وكتابة أرجح هي حثية ! كتبها الفرنسيون خلال الانتداب رسمياً في وثائقهم(Herbta et Abou zbir) حربتا وأبو زبير الأول يشتمل على اسم حربا المذكورة في وثائق إبلا كاسم لقرية - بلدة، و أتا وهي في أصلها من اسم الحاكم للمملكة = وفيها نفس

المعنى حربتا = القوة وأدا = أدو = هدد إله القوة . والثاني إما أنها تشتمل على اسم عبير إذا حذفنا الذال تصبح كذلك .أو قد يكون اسم أبو زبير في أصله المشابه لاسم عزائير لأن الألف في أصلها آ ـ آزائير والهمزة صارت عبر الزمن محل الباء ! فمن هو عزائير هذا ؟ ! هو نفسه حاكم مملكة أمُرُّ = عمورو (عزيرُ) والذي عقد معاهدة مع شوبيلو الملك الحثي ، فعاداه ملوك نوخاشي وبركا لخلافهم السياسي معه، وكما سيرد فيما بعد .. ولعله قد حكم هنا زمناً حاكماً لمملكة بركا .. إذ يروي السكان أن الحاكم لهذه المملكة كان يسكن إلى الغرب من إدلب ، في موقعها الغربي والمتميز، يفسر لنا لماذا مازال الاسم (عزيرو) محفوظاً في ذكريات السكان تحت اسم عزائير ! وهذا قد وضحته الوثائق الحثية أنه صار حاكماً على نوخاشي وبركا بدعم من الحثيين وكما سيرد، وكذلك يوجد موقع غرب عاصمته يدعى عري وفي أصله عزي = عزيو = أزيو .

٦- كتب د .عيد مرعي اسم هذه المملكة في كتابه عن إبلا بَرجئَو Barga'u وأنها كانت تتبع ملك إبلا مباشرة قد أصبحت في العصر البرونزي والوسيط والحديث ممالك مستقلة " وأضيف عليه وأصبحت عبر الزمن تلفظ (بقعة) في العصور الوسطى (أيام المماليك) وثبت هذا المسح (الطبوغرافي) الفرنسي خلال الانتداب لموقعين ،الأول بين إدلب الكبرى، والصغرى ، بالإضافة إلى روايات السكان عن وجود أسود، ومعارك فيها حين كانت مملكة، والثاني بين إدلب ،وبكفالون تحت اسم البقعة أيضاً .. ومن الطريف أن كلمة بقعة تعني في الآكادية (لبوم) أي أن الاسم في أصله ما زال محفوظاً، وشائعاً ثلاثة آلاف وخمسمائة عام، ولفظ بقعة الحالي يطابق لفظ بركا القديم في الشكل، والمضمون .. وأيضاً في موقع (برك الدهب) جنوب تل دينيت.

٧- وكذلك ما زال الاسم محفوظاً تحت اسم جبل الشيخ بركات ـ القسم

الجنوبي لجبل سمعان والمجاور لناحية الدانا الواقعة في حدود هذه المملكة .. وإنني أرجح إن هذا الجبل قد كان يدعى جبل بركا قبل شهرته باسم القديس سمعان ، وما خربة الشيخ بركات والمعبد الوثني وقد يرقى لعصر إبلا في قمته ، غير دليل أكيد على وجود هذه المملكة في هذه المنطقة .

٨- وكذلك هذا الاسم مازال محفوظاً في حارم للشمال من قلعتها(وادي البرك) وهي قد كانت تابعة لهذه المملكة، بل ثبت نفوذها في روايات السكان تواتراً أن (مغارات الحبيس المجاورة لها كان سجناً استخدمه الملك الكافر (عزائير) ذلك الملك الكبير في فتوحاته لبلادنا، وسجن فيه بعض الخصوم له في هذا السجن ؟ - وروى جدي أن حربتا وحاكمها عزائير كان فيها نفق يصل إلى قلعة حارم .. هذا الربط بين الرواية المتواترة ،والواقع الجغرافي ،والوثائق الحثية التي ذكرت في معاهدة عزيرو أن الملك الحثي قد أخذ أسرى من نيا، وهي المملكة المجاورة لحارم .. كل هذا يؤكد لنا بدلالة لا شك فيها أن موقع بركا كان في هذه المنطقة، والروايات السكانية فيها بعض من حقائق التاريخ توارثوه عن أسلافهم ! وأما عاصمتها قد تكون تراوحت بين إدلب الكبرى - و حربتاالتي تقع إلى الغرب منها ب٣كم. وتوضح لنا اسم حاكمين لها الأول من أبنائها عبير أدا ،والثاني عزيرُ = عزائير أصبح حاكماً على نوخاش ،وبركا بدعم من الحثيين وكما سيرد ! إن عبير أدا ملك بركا هذا قد كان له دور في صد هجوم تيتى حاكم نوخاشي عام ١٣٢٠ ق .م والذي ثار ضد الحثيين وكما سـيرد - إذ ذكره الحثيون في كتابة عندهم بأنه لو (وقف مع الحثيين بعد تلقيه وعداً من ملكهم مورشيلي الثاني سيحصل على ياروواتا Iyarwata والتي هي في الأصل لبركا .. لذلك وقف إلى جانب الحثيين ضد جاره ملك بركا ويبدو أن الأخير كان قد اعتدى على بركا باستيلائه على أرووتا = ياروواتا ..) وأرجح هي كفر عروق ضمن حدود المملكة - شمال إدلب في جبل

باريشا ـ انظر الرحالة ج ٣ منطقة حارم ـ وهي المذكورة عند الآشوريين تحت اسم جبل ياراقو وقد كانت تابعة في العهد العثماني لقضاء إدلب سنة ١٠٧٧ هـ .. بل لو حللنا اسمها لوجدناه مشكلاً من (عرو) لأن الألف قد تقرأ عين و أتا = أدّا و إدلب قد كانت تدعى حينذاك هكذا في عهد حاكمها عبير أدا . وما زال الاسم محفوظاً في قرية عري في الروج .

٩- كذلك نلاحظ أن هذه المملكة قد عاصرت عهد نيقمادو الثاني ملك (أوغاريت) و شارى كوشوخ ملك كركميش (جرابلس) وهذا في عهد عبير أدا من بركا.. كما أشار إلى ذلك عدد من نصوص حكم شوبيلو الأول ومورشيللي الثاني الحثي، العائدة إلى الربع الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

١٠- كما ذكر في وثائق إبـلا أسماء مدن منها (أديسوم باراكا) ولعلها أدو .

١١- (إدلب الشمالية) في مقاطعة بركا حينذاك , كما ورد الاسم في رقيم أن ابنة ملك إبلا زيميني بركو والمتزوجة من ملك بورمان (تل الرمان غرب).

١٢- أشار الباحث كرايلينغ أنه (ورد في مطلع الألف الأول ق .م في النصوص الآشورية بركا ـ ارجانا (أرجانو) ـ اشتماكو) أرجانا ولعلها هي موقع الروج أو عرشين واشتماكو هي ستمك ـ سطمك وكذلك حين غزا المنطقة شلمنصر الثالث الاشوري (٨٥٣ ق . م) قد ذكر استيلاؤه أدينو وبركا .. وأنها " مدن ملكية " إذن يمكن القول إن مملكة بركا هي من الممالك القديمة بعد إبْـلا والتي هي في موقع حربتا الثانية بعد أدا = إدلب الكبرى .. وأما أرجانو فهي الروج ، أو في موقع تل ريحا فيما ،إذا تم لفظها أرحانو أو أرحانا ؟! رأينا هذا تؤيده التنقيبات الأثرية فيما بعد أو تنفيه وأما أدينو فقد تأكد أنها دانيت = دينيت الآن ..

١٣- إن الرسالة المبعوثة من حاكم بركا إلى والي أوغاريت ، تشير بلا شك إلى العلاقات الدبلوماسية بينهما .. وقد تكون حربتا هي عاصمة مملكة بركا الثانية أو المقر الصيفي لحاكمها حين تولى حكمها هذا الحاكم وأصبحت تابعة لأوغاريت بدلاً من إدلب الكبرى طالما ذكرت في عهدهم باسم ياتبا = يدْب = إدْبَ. وفي وثائق اوغاريت تذكر المدن والقرى التالية:

١- إدلب = ياتبا (يدب)	٢- بنش = باناآش (بَنَآش)
٣- سرمين = شْرْمن	٤- روج = يرجب
٥- درسيتا = شِتا	٦- حزرة = خازيلو
٧- سرمدا = شلمى	٨- كفرنوران = نورانتي
٩- كفر كرميت ـ ميد = غبن غوبانا	١٠- صَخرين = زاحارّوا
١١- تل طوقان = بتركاني ؟ [١]	

ومن عرض هذه الأسماء الواقعة في منطقة إدلب القديمة ،إلى الشمال والجنوب والشرق منها، يشير بدلالة قاطعة إلى أن مملكة بركا قد ضمت لاوغاريت خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر ق.م . لكنها كانت تابعة للمصريين أو تحت نفوذهم قبل ذلك خلال النصف الأول ... وقد توصل الباحث د.علي أبو عساف في أكثر من مقال إلى القول في حديثه عن أوغاريت " عندما هاجمت موكش ونوخشي اوغاريت تقدم الحثيون، واحتلوا أراضي البلدين، وكسبوا غنائم كثيرة لم يأخذوها إلى حثى بل قدموها لنقم هدد ؟ "، " ومن خلال المعاهدة والاتفاقات الثنائية التي تلتها، والتي نظمت العلاقات بين أوغاريت والحثيين، نسمع لأول مرة عن خط سير الحدود الشمالية الشرقية لأوغاريت التي امتدت من إدلب إلى الروج فجسر الشغر

---

[١] اعتمدنا في مصادر هذه الأسماء على عدة مراجع أهمها بحث أستورالهام . وهذه المواقع سيتم شرح مواقعها ماعدا حزرة ـ وسرمدا في ناحية الدانا وصخرين وكفرميد في منطقة ريحا وكفرنوران في منطقة جبل سمعان بحلب.

(وبداما) واردو و البدروسية فجبل الأقرع "، " حكم نقم هدد فترة طويلة من الزمن... وحين حكم نقم عفا عقد معاهدة مع مورشيللي الثاني الحثي ... فقد قلصوا حدود أوغاريت .. وربطوها بنائب الملك المقيم في كركميش الذي أصبح المشرف الوحيد على شؤون بلاد الشام الشمالية [٢] أي أصبحت المنطقة تابعة لكركميش زمن الحثيين .

نخلص إلى القول : إن مملكة بركا المكتشف اسمها الآن وموقعها وبعض مدنها وقراها، كانت تضم في المصطلح الإداري الآن : ناحية قرى مركز إدلب و نواحي معرة مصرين والدانا ومحمبل وبنش وناحية قرى مركز ريحا وجبل الأعلى وجبل باريشا وحارم . وتجاورها الممالك التالية : غرب ـ شمال = موكيش _ ألالاخ (مملكة أمقى)، وغرب = نيا ـ نياقوبا . وشرق ـ جنوب = نوخاشي . وشرق شمال = أمائي وإنها قد كانت قائمة كمملكة منذ أيام الفراعنة والمكتشف اسمها في مصر (تل العمارنة) ـ النصف الأول من القرن ١٤ق.م.. والمذكورة في الوثائق المصرية الأخرى تحت اسم برْكا Brga وبرجو Brgou وهو الأقرب لاسمها في عصر إبلا بَرْجئو . ثم ذكرت في وثيقة حثية ١٣٢٠ ق.م ومن ملوكها عبير عادا / او / أدّا / أبير أتّا وابنه أرتيشوب وملك آخر، فقد اسمه قد راسل أوغاريت، وظلت قائمة إلى أن استولى عليها تغلات بيلاصر (تغلب بن آصر = الغالب برأي فهو اسم عربي = فايز) عام ٧٣٨ ق.م مع ادنّو = دانيت وأدابي = إدلب الكبرى . إذن ظل وجودها السياسي قائماً كمملكة أكثر من سبعمائة عام، وإن تفاوتت تبعيتها السياسية من الإستقلال إلى الحثيين أو الميتانيين أو المصريين أو أوغاريت، أو ممن جاورها من مملكة يمحاض أو ألالاخ . أو نوخاشي .. ولكن أرجح كان لها مكانتها من خلال الدراسة الميدانية لبقايا آثارها في كل من إدلب وحربتا والتلال المجاورة والتي ترقى إلى هذا العهد.

وأخيراً ندعو أصحاب الشأن لإطلاق اسمها على الشركات والمحلات العامة

---

[٢] عساف : نصوص من أوغاريت ١٤ ــ ١٥ و مجلة دراسات تاريخية العدد الأول ١٩٨٠ م

وإحياء أسماء حكامها بإطلاقه ثانية على الشوارع والمدارس في منطقة إدلب وحارم ونكون بهذا قد أعطينا جزءاً من حقهم علينا، بإحياء أمجادهم ثانية فنكون خير خلف لخير سلف!

سادساً- مملكة نوخاشي : [١]

والآن ننتقل إلى مملكة هامة أيضاً في منطقة إدلب وهي مملكة نوخاشي فهي في موقع ما يسمى الآن منطقة أريحا ومنطقة معرة النعمان وناحية سراقب وأبو الظهور وتفتناز يقول كلينغل" ذكرت في المصادر المكتوبة منذ عهد تحتمس الثالث الذي كان يحارب في هذه المنطقة . وتشير إحدى رسائل العمارنة إلى (جد) الشخص المرسل إليه، على أنه الفرعون الذي نصب المدعو تاكو Taku ملكاً على نوخاشي . ربما كان هذا أحد الزعماء الذين يعيشون في هذه المنطقة . وبعد ذلك وقعت منطقة نوخاشي تحت سيطرة حوري ـ ميتاني . وتعكس رسائل العمارنة احتلال المنطقة من قبل الحثيين في عهد شوبيلوليوما الأول . وتشير معاهدة تالمي تيشوب إلى حقيقة أن اراضي (؟) نوخاشي، قد أخذت من ملك ميتاني " انتهى كلام كلينغل .. ولنوضح اكثر أن تحتمس هذا كان يهدف إلى إنشاء امبراطورية، وسياسته هدفها تنظيم هذه المنطقة الموالية له من خلال احتلاله ألالاخ سلماً وتنصيبه (تاكو) حاكماً على مملكة نوخاشي الموالية لـ ألالاخ، وتعيينه حكاماً من الأرستقراطية المحلية بعد قسم الولاء له .. وهو الذي أطلق عليها " اسم نخاش" وتاكو هذا الذي نصبه عليها هو مؤسس السلالة التي تولت حكم ألالاخ خلال المئة عام المقبلة، ومن المرجح أن يكون تاكو هذا هو ملك ألالاخ، التابع لمصر حيث أصبحت مملكته واسعة تمتد من الفرات إلى البحر المتوسط، ومن الطرف الشمالي لسهل العمق نحو الجنوب عبر بلاد نحاسو وصولاً إلى جوار أفاميا، ولم تكن هذه المملكة الواسعة إلا عبارة عن تجمع سكاني ضعيف لا يملك القدرة على أن يكون مستمراً مقيماً، وقد توقع تحتمس الثالث المخاطر التي

---

[١] المرجع الرئيسي لهذه المملكة هو كتاب كلينغل ١٦٦ وما يليها وكتاب عساف آثار الممالك والمرجع السالف الذكر وكتاب ألالاخ لـ وولي ـ وبعض المراجع الأخرى .

تحيط بمملكة تاكو فأصدر قراره بتنصيب تاكو ملكاً على عرش هذه المملكة التي بدت مصر حامية لها، وأن مليكها ذو مكانة مرموقة " وفي المصادر أن تحتمس سيَّم جده كاهناً أكبر، إذ صب على رأسه الزيت المعطر المقدس . فأصبحت عادة المسح بالزيت من طقوس احتفالات التتويج ـ انظر بحث الحياة الزراعية .

كان شوبيلو ليوما الأول قادراً على إعطاء احتلاله لنوخاشي صفة الشرعية لدعم الملك المحلي شاروبشي الذي سمى نفسه خادم ملك ...

سابعاً- الممالك الآرامية،وغزو الآشوريين:

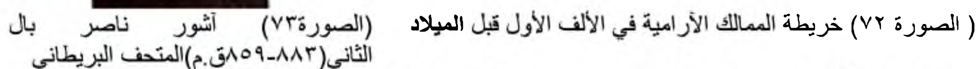
آ ـ مملكة حماة ـ لُعَشْ:

بعد انحسار النفوذ الحثي، قامت ممالك أخرى أهمها الممالك الآرامية في الألف الأول قبل **الميلاد** (الصورة٧٢) .ولعل اهتمامي بهم كونهم في أصلهم عرب رحل في منطقة شمالي الجزيرة العربية أو ما يعرف ببادية الشام، ولتوارثنا الكثير من ثقافتهم وكما سيرد .. وقد ظهرت أول إشارة لهم في القرن الرابع عشر ق . م في إحدى رسائل تل العمارنة تحت اسم الاحلامو وكانت سورية تتبع مصر سياسياً.. ويذكر المطران اسحق ساكا أن كلمة آرام لفظة سريانية جذرها روم وتعني المرتفع والعالي أو الجبل ،ونحن نشير اليوم إلى ورم باليد أي انتفاخ فيها .. [١]ولو تجولنا في محافظة إدلب لوجدنا أسماء آرامية حية في مواقعنا، و أسماء عائلاتنا ـ تل الرمان ـ الرام ـ كفرروما و رام حمدان، وأحب التنويه إلى أن مصطلح الآراميون عندي لا يغاير السريان، فهما اثنان في واحد،

---

[١] نصرى : شمس آرام ١٦ – ١٨ .





(الصورة ٧٢) خريطة الممالك الآرامية في الألف الأول قبل **الميلاد**

(الصورة٧٣) آشور ناصر بال الثاني(٨٨٣-٨٥٩ق.م)المتحف البريطاني

ولا داعي للخوض في هذا الموضوع، فله بحث آخر فصل الحياة الثقافية .. ولهم الفضل في إزاحة الحثيين عن المنطقة وما يهمنا هو لمن كانت منطقتنا تتبع في عهدهم ؟ ! لقد أسسوا عدة ممالك منها مملكة دمشق الآرامية ١٢٠٠ق.م ونحن كنا تابعين لمملكة حماة، والتي انتزعها الآراميون من الحثيين في أواخر القرن الحادي عشر ق . م تجاورها مملكة بيت آجوش وباتينا من الشمال، ومن الجنوب مملكة دمشق وفي الغرب وصلت إلى سلسلة جبال سورية الساحلية وإلى الشرق نحو البادية كان آشور ناصر بال الثاني (الصورة٧٣) من أوائل الغزاة الآشوريين إلى المنطقة، إذ عبر نهر أرانتو (العاصي) من كنولوا ؟ عام ٨٧٢ ق . م



(الصورة٧٤-٧٧) بوابة قصر بلوات،والكسوات البرونزية التي تمثل المعارك واسماء المواقع في المنطقة

وسار ما بين جبال ياراقو (جبل باريشا الآن) ويئتورو إلى نهر سنجورو (لعله نهر العاصي) ... ؟ وهكذا تمكن من إخضاع المنطقة وشمال سورية لنفوذه، دون آثار عميقة في المظهر السياسي .. ومع كل هذا ظلت مملكتنا هذه إحدى الممالك الكبرى (مملكة حماة الآرامية) ومن ملوكها إرخوليني [وترجم اركوليني أيضاً] وهو الذي اشترك مع اثني عشر ملكاً آرامياً سورياً، أهمهم بن هدد ملك دمشق الآرامية ،إذ جمعوا ســتين ألف جندي لصــد هجوم الملك الآشوري شــلمنصر الثالــث

(٨٥٨-٨٢٤ق.م) عند موقع قرقر جنوب جسر الشغر عام ٨٥٣ ق . م، ولم تكن المعركة حاسمة بين الطرفين .. ! وتشير حولياته إلى أنه قد غزا المنطقة واحتل Gilzu جلاسو (كفر جالس الآن أو تل جلاس ؟). وقد تمكن خلال السنة السادسة من عهده (٨٥٣ق.م) بالتوغل في منطقة حماه، والتي كان حاكمها إرخوليني بن براتاس (اسم حورى ؟) اعتلى العرش قبل عام ٨٥٣ ق . م وقاد عدة تحالفات، وقفت في وجه الهجمات الآشورية خلال الأعوام ٨٥٣ و ٨٤٩ و ٨٤٨ ق . م وفي ٨٤٩ يجتاز جبل ياراقو (جبل باريشا الآن) ومدناً لحماه ويحتل اشتماكو . وفي عام ٨٤٥ ق . م تذكر النصوص الآشورية ادينو Adennu و بركا Pargu – Barga وارجاناArgana " كمدن ملكية " لإرخوليني، والتي فتحها شلمنصر الثالث قبل معركة قرقر(٨٥٣ ق.م) مباشرة.. والجدير بالذكر أنه زار خلمان (حلب) وقدم الأضاحي للإله هدد (أدد) الحلبي وفي عام ٨٤٨ ق.م تم الاستيلاء على اشتماكو Ashtamaku وهي مدينة ينظر إليها ـ كما يقول كلينغل الألماني في بحثه القيم ـ على أنها تقع في منطقة إدلب الحالية، كما استولى على العديد من المستوطنات الصغيرة، بعد انحلال التحالف المعادي للآشوريين .. لنعود إلى زمن حكمه وحسب نقوش شلمنصر الثالث كانت منطقة إرخوليني مكتظة نسبياً بالسكان وتُذكر بركا [وقد حددها دوسو بين عدينو والروج وهي حربنا الآن وذكر الحدث عام ٨٥٤ ق . م] [١]و أدا Ada (إدلب الشمالية الكبرى)

[١] يقول دوسو ص ٢٤٣ في الهامش أقترح تل دانيت لـ أدينو وستمك لـ بركا وريحا لـ أرجانا .. ولكن التنقيبات الأثرية في تل مسطومة لم تظهر إلى ما يشير إلى أنها كانت

و أدينو Adennu = دانيت وقرقر(جنوب جسر الشغر) وارجانا أو أرجانو (الروج الآن) واشتماكو (تل مسطومة) بالتحديد كمدن رئيســية وبــاستثناء أرجــانا(أركــانا) رسمت هذه المدن على الصــفائح(الألـواح) البرونزية لبوابات قصر بلوات في العراق، وليرد اسم ادلب في أقدم الوثائق، قد نشرنا في كتابنا(من إبلا إلى ادلب)ورود اسم (أدابي/ يدابي) في وثائق الآشوريين، لكن هذا النص يردفيه اسم (أدا) في عهد (آشور ناصربال ٨٨٣-٨٥٩ قبل الميلاد) إليكم الوثيقة (الصورة٧٤-٧٧)..في المتحف البريطاني بلندن عمل فني رائع ،هو الكسوة البرونزية لبوابات قصر بلوات (امجور بيل القديمة) المقر الصيفي للملوك الآشوريين. تقع شرق الموصل ،بنى فيه آشورناصربال قصراً ريفياً أقام فيه من بعده ابنه شلمنصر الثالث. غطيت بوابات القصر بشرائط طويلة من البرونز نقشت فيها مشاهد حربية من معارك هذين الملكين،

نأخذ ما يهمنا فيه في بحثنا هذا في الجناح الأيسر

١- أ: الهجوم على مدينة برجا Parga السورية بكبش هجوم يحميه نبَّالة. معسكر مستطيل للآشوريين، عربات حربية، نبَّالة، ورماة حراب في هجوم على مدينة أدا Ada في سورية

ب-مدينة قرقر المحتلة على العاصي. الأسرى والغنائم تعرض أمام شلمنصر الذي يجلس على عرشه. عربات حربية ومعسكر مستطيل . . .

٦-أ: الجزية المجلوبة من ملك أو نقي في وادي العاصي. معسكر مدور. ب-جزية ملك أو نقي. معسكر مستطيل.

عاصمة مملكة بركا . وقد يكون تل ريحا عاصمة مملكة أرجانا (الروج) لأن ناحية الروج ظلت قائمة في العهد العثماني، ومعظم قراه هي تابعة لريحا ، أو قد تكون في موقع حربتا غرب إدلب .

الجناح الأيمن

١-أ: حصار وهجوم على اشتاماكو عاصمة حماة - حصار وهجوم على حماه ب- زحف من معسكر مدور على حماة أسرى من حماه)) **تعليقنا**: مدينة برجا Parga هي في منطقة ادلب- أدا Ada هي ادلب الشمالية -اشتاماكو هي تل مسطومة جنوب ادلب... وقد ورث عرشه ابنه (اوراماتيس) والذي أعاد تحصينات مدينته .. وتذكر نصوصه حلب أيضاً ونهاريما ؟ وبعض الأماكن في وادي العاصي .. ولكن الأشهر من ملوك حماه والمنطقة زاكير/زكّور - وما زال الاسم محفوظاً في آل زكور بإدلب، والاسم في أصله أحد آلهة إبـلا (زكير) - والذي عاصـــر الملك الآشـــوري (أدد) هدد نيراري الـــثالث ،(٨٠٩ – ٧٨٢ ق . م) والذي يعني اسمه العربي القديم نار الإله هدد = نار القوة والجبروت برأي (فايز)...

ب- مملكة حزرك – آفس : كان زكور رجلاً ذا باس وقوة، سعى إلى توسيع مملكته، فسيطر على مقاطعة لعش بين حماة وحلب واتخذ له عاصمة ثانية حزرك (ختركا) وأصبح يعرف بملك حماة ولعش .

ولكن أين تقع حزرك هذه ؟ بعضهم يقول إنها موقع تل آفس وبعضهم يقول حزارين وهي موقع تل أثري في جبل الزاوية، ناحية كفرنبل في منطقة معرة النعمان . وأما تل آفس فسنعود إليه في بحوث قادمة. إن طموح زاكير دفع ملوك " الدويلات الآرامية الأخرى وعلى رأسهم برهدد ملك دمشق إلى تحالف عسكري مع ستة عشر ملكاً، زحفوا نحو حزرك وختارِ(ك) كا بالآشورية - عن هونغمان - ولكنهم حاصروها وضيقوا عليها الخناق، إلا أنهم لم يفلحوا في فتحها فعادوا أدراجهم مكرهين يجرون ذيول الخيبة " [١] ويقيم زكور نصباً تذكارياً بهذه المناسبة حوالي عام ٨١٠ ق . م وقد تم اكتشافه عام ١٩٠٣ في آفس على الطريق العام بين تفتناز وسراقب وهو الآن في متحف اللوفر بباريس - فرنسا (الصورة ٧٨) .

---

[١] المطران شمعون - الممالك الارامية ص٨٨ وغيرها

من هو زاكير، أو زكّور هذا ؟ إنه آرامي الأصل اغتصب العرش " في مطلع القرن الثامن قبل الميلاد أو قبله بقليل، وفي عهده خرجت مملكة حماه عن الصف الآرامي، وأعلنت الولاء التام للآشوريين . وقد استفاد زكور من الدعم الآشوري في توسيع نطاق مملكته وضم دويلة لُعش إليها ..

كانت محدودة المساحة تقع بين مملكتي حماه و بيت آجوشي، وتتمتع باستقلال ذاتي وعاصمتها حزرك فهي خترِيكا في المصادر المسمارية ..

وفي نقشه الآرامي يتحدث عن الحرب الجارية مع الحكام السوريين وجنوب الأناضول بقيادة حاكم دمشق و يعتز بأعمال البناء التي قام بها في العاصمة حزرك وفي آفس التي كانت كما يبدو ـ مركزاً دينياً "

وتاريخياً يشير هذا النص " إلى أنه وسع مناطق نفوذه نحو الشمال بين حماه وحلب وإدلب والعاصي " وضم إليها إقليم لعش و عاصمته حزرك، مما دفع إلى غيرة الملوك منه ومحاصرته في عاصمته التي بناها وحصنها كما يقول، وأن هؤلاء الملوك الذين أقاموا حصاراً عليها ورفعوا سوراً أعلى من سورها،



(الصورة٧٨) نصب آرامي يمثل زاكير- مكتشف في تل آفس- متحف اللوفر

وحفروا خندقاً أعمق من خندقها، وها هو يرفع يده إلى الإله بعل شمين ويجيبه بواسطة العرافين والرسل : لا تخف ! لأنني جعلتك ملكاً، وأنا، سأقوم معك، وأنا سأنقذك من كل هؤلاء الملوك الذين فرضوا عليك حصاراً.. وهكذا يتم له النصر .. فيبني حزرك ثانية وكل الحصون في المنطقة ويبني كذلك بيوتاً للآلهة ويبني آفس ويهدد كل من يحاول الإساءة إلى نقشه أو ينقله إلى مكان آخر بأن الآلهة ستغضب عليه وليمجد اسمه زكور واسم بيته إلى الأبد[١] .
هذا وسنعود إلى زكور ونصبه الأثري في أبحاث لاحقة . وفي عامي ٧٦٥ و ٧٥٥ ق . م تذكر القائمة التاريخية الآشورية حملات على حزرك ولم تعرف الأسباب والنتائج بعد . ويعتقد الدكتور عساف في كتابه الآراميون – صفحة ٥٨ - أن تجلات فليصر الثالث [بلانصر] (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) خلال إحدى حملاته تشكل حلف ضده ولكنه يقضي عليه واحتل مدنهم ومنها هتاريكا (حزرك) عاصمة لعش وغيرها من مدن مملكة حماه التي شاركت المتحالفين معركتهم ضد الآشوريين . ويرجح بعضهم أن غزوته عام ٧٣٨ ق . م ذكرت اجتيازه جبل ياراقو (أو يراقي) (جبل باريشا الآن) في بلاد لوكهوني (هكذا أسموها) ومن مدنه يدابي مجتازاً مدنا تابعة لمملكة حماة أولها اشتماكو (تل ستمك) وذكروا حتاريكا (حزرك) في مقاطعة نوقودينا وهي الهدف الأول لهم .. ونرجح هي في تل حزارين في منطقة معرة النعمان [وكان قد عثر على بعض اللقى فيه تعود إلى هذا العهد] . وذكروا جبل حاسو (جبل الزاوية الآن وفيه حتى الآن ما زال الاسم محفوظاً في قرية حاس وخربة حاس) ومن مدنه ذكروا آرّا=عرّا وهي معرة النعمان . وجبل سربوا ومن مدنه أشخاني وقد تكون هي تل خان شيخون - انظر الرحالة الجزء الأول - أو قد يكون في موقع جبل السماق غرب إدلب واسمه كان يدعى عندهم هكذا سربوا ؟ ! وأما إشارتهم إلى يادابي/ادابي فيعتقد دوسو أنها قد تكون إدلب [٢] وأنا أرجح رأيه لورود هذا الاسم تواتراً - راجع بحث الاسم -

---

[١] اسماعيل – فاروق : اللغة الآرامية ص ٢٧ و ٢٠٦ وما بعد .

[٢] D: T. H. S. A P. 238 – 239 – 243 ومراجع أخرى .

ولورود قلب الياء إلى الألف في اللغات القديمة، وكما في أتارب المذكورة في وثائقهم اليتاربي وهي ليتاربا فيما بعد = أتارب الآن في شمال محافظة إدلب . وذكرت عندهم بركا وهي موقع حربتا الان غرب إدلب الحالية ١كم . وأما أدنو فيقول دوسو أنها قد تكون دانا غرب ترمانين أو دانا شمال معرة النعمان والآن وقد مضى على بحثه أكثر من ٧٥ عاماً، وبظهور معطيات جديدة في التنقيب الأثري توضح لنا أنها هي دانيث في العصر الوسيط والآن هي دينيت - راجع بحثنا عنها- .. وبموجب الوثائق السابقة واللاحقة قد ثبت في الغزو الثاني لشلمنصر، أنه بعد أن اتجه نحو جبال الأمانوس (حسب الخطة التقليدية) اجتاز جبل ياراقو (جبل باريشا الآن) وقصد المدن الخاضعة لمملكة حماة ويحتل أولى مدنها اشتماكو .. وإنني لأتفق مع دوسو في هذا الرأي، فالوثائق العثمانية التالية وضحت لنا معظم هذه المواقع وكما سيرد.. ومما تقدم نلاحظ في الوثائق الآشورية أن مملكة حماه لم تعد تذكر بل ذكرت هتاريكا/ حزرك وقبل هذا التاريخ وخلال الأعوام ٧٧٢ و ٧٦٥ و٧٥٥ ق . م ذكر الآشوريون أنهم هاجموا هتاريكا وحدها فمن المرجح أن لعش كانت قد انفصلت عن حماه بعد وفاة زكور أي قبل عام ٧٧٢ ق . م وأنها بقيت جزءاً من المملكة استهدفه الآشوريون في حملاتهم.. وكذلك تشير الحوليات إلى حملات مختلفة.. أربع منها شنها شلمنصر الرابع (٧٨٢ – ٧٧٢ ق.م) ويدعى شلمانوا شاريد و برأي (فايز) هو اسم عربي = سلمان الشريد = سلمان الرئيس أي الرئيس سليمان .. وحملاته هذه برأي الباحث في الآشوريات ساغس " في الحقيقة قد كانت إما أعمالاً دفاعية يقوم بها ولاة محليون أو هجومات تم تعظيم شأنها أو مناوشات حدودية " وأما كلينغل فقد أشار إلى حملته عام ٧٧٢ ق . م إلى ختاريكا .. وفيما يتعلق بآشوردان الثالث ٧٧١ – ٧٥٥ ق.م فتشير القوائم التاريخية إلى حملتين ضد ختاريك ٧٦٥ و ٧٥٥ ق . م صحيح أن المنطقة قد أصبحت الآن خاضعة للملك الآشوري، إلا أنها بقيت كياناً قائماً بحد ذاته، ولم تكن جزءاً متحداً مع الدولة الآشورية .... وتغير هذا الوضـــع في عهـــد تجلات فيلصر الـــثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م)، الذي بدأ بضم الأمارات السورية إلى قلب المنطقة الآشورية " ويمكن القول أن مملكة حزرك قد كانت هدف أولي

للآشوريين مدة ٥٠ سنة، وهي التي ذكرت في نبوءة حزقيال تحت اسم حدرك فصل ٤٨عدد ١٥ وفي سفر الأعداد ٣٤ عدد ٧ . وأخيراً فإن الممالك الآرامية لم تتوان عن الثورة على الحكم الآشوري بعد وفاة تجلات فيلصر الثالث الذي كان قد حولها إلى ولايات آشورية، بل أصبحت منطقة ختاريكا وحول آفس تحت السيطرة المباشرة للإدارة الآشورية واشترك في الثورة أرفاد (أرباد) ودمشق وصورا وربما ختاريكا في عهد شاروكين الثاني [صارغون الثاني] (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م) الآشوري .. هذه الثورة قادها (يوبيدي) ملك حماه بمساندة من مصر، وحدثت المعركة في قرقر عام ٧٢٠ ق . م [في نفس موقع المعركة زمن شلمنصر الثالث] جنوب جسر الشغر تطل على العاصي . وينهزم التحالف، وتتحول حماه إلى ولاية آشورية، وقد وصفه شاروكين بـ " شيطان حثي و لا يستحق العرش "، ويؤخذ يوبيدي أسيراً مع أسرته والعديد من محاربيه، ثم أحضر إلى بلاد آشور ليسلخ حياً. كما أحرقت (قرقر) مدينته المفضلة، وجندت الفرق الحموية في الجيش الآشوري، وفرضت الجزيات والضرائب، وجلب أناس من بلاد أخرى ليسكنوا في أرض حماه [وكذلك في هذه المنطقة .. !] وأما أرفاد المذكورة آنفاً فهي على الأرجح مكان تل رفعت إلى الشمال الغربي من حلب ٢٥كم .. وقد امتد نفوذ هذه المملكة إلى سراقب وشمالاً إلى اعزاز [١] و لا شك أنها تأسست منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد . وقد اكتشف تمثالان يعودان إلى هذه المملكة، وجدا في تفتناز " وسنعود إليهما في بحث تفتناز . لقد ظل الآشوريين يحكمون المنطقة حتى جاء الكلدانيون (البابليون الجدد) بمؤازرة الفرس الميديين عام ٦١٢ ق . م مع أن الفرس الأخمينيين قد ورثوا في عام ٥٣٩ ق . م الممتلكات البابلية في سورية . وأصبحت حلب مقاطعة فارسية يحكمها حاكم فارسي يدين له بالولاء معظم حكام المدن في سورية وبقي الحال حتى مجيء الاسكندر

---

[١] د . عساف : الآراميون عدة صفحات وآثار الممالك القديمة وكلينغل ٢١٢ – ٢٥١ و مراجع أخرى .

المقدوني عام ٣٣٣ ق . م [٢] و ننوه إلى أننا ذكرنا في كتابنا حارم إلى وجود بعض مخلفات العهد الإخميني الفارسي في قلعة حارم ونوضح إن اللغة الآرامية كانت هي اللغة الشائعة والمتبادلة بل استخدمت كلغة رسمية يضاف إليها نقد موحد ... ويمكن القول إن الآراميين أثروا ي المنطقة كل التأثير، وخاصة في الجانب اللغوي ،وأسماء المواقع فلغتهم أصبحت متداولة منذ القرن التاسع ق . م كلغة رسمية إلى جانب الآشورية !

القسم الثاني-العصر الكلاسيكي

أولاً- الغزو اليوناني والحكم السلوقي : في خريف عام ٣٣٣ ق . م خضعت المنطقة للحكم اليوناني ويقال القائد الاسكندر المقدوني (الصورة٧٩) مر في هذه المنطقة واجتاح جبل الزاوية وهو في طريقه إلى صور على طول وادي العاصي ..وأصبحت اللغة اليونانية لغة العلم.. ويصبح سلوقس نيكاتور (الصورة٨٠) أحد قواده حاكماً في هذه المنطقة عام ٣١٢ ق . م والذي أسس سلالة حاكمة إلى دخول الرومان،ولكن امبراطورية الاسكندر المقدوني تتجزأ بعد وفاته(الصورة٨١)،وقد كانت أولى المدن الجديدة التي أنشأها سلوقس(الصورة٨٢) هي سلوقية- بيريه التي كان مقرراً أن تكون العاصمة (داوني ص٤٦) كانت سلوقيا العاصمة الأولى في المنطقة والتي بناها سلوقس وجعلها العاصمة قبل أنطاكية (اليوم يسمى موقعها – جاوليك_كمتنزه سياحي بجوار السويدية٢كم)، وبعد وفاته ودفنه (الصورة٣ ٨)

أصبحت أنطاكية العاصمة . هنا تم إنشاء ميناء . بعد وفاة انطيوخس الثاني ٢٤٦ق.م أرسلت قوة بحرية لحل الصراع على العرش . احتل الأسطول سلوقيا بيرية ،ثم تقدم في نهر العاصي حتى وقف أمام أنطاكية مواجها إياها بقوة حربية أجنبية لأول مرة منذ إنشائها .. في النص وصف لجمال وادي العاصي. أقيم لها حفل استقبال على شاطئ النهر خارج باب المدينة . وهناك كان التجار اليونانيون قد استقروا للتجارة قبل تأسيس أنطاكية . من ١٤٩ إلى ١٤٧ق.م انضمت أنطاكية إلى سلوقيا بيرية في حلف لمحاولة إقامة نظام

---

[٢] شعث : حلب ص ٢٩ ــ ٣٠ .

شعبي.

مشهد عام لسلوقية بيريا نحو ٢١٩ قبل الميلاد :عانت سلوقية بيريا ، التي أنشأها سلوقس الأول ، على شاطئ البحر، من قربها من أنطاكية . [وقد قام المؤرخ اليوناني بوصف ألقها في القرن الثاني قبل الميلاد].

كان وضع سلوقية وطبيعة الأماكن المحيطة بها كالتالي . تقع على شاطئ البحر بين كليكية وفينيقيا ، يطل عليها جبل عال جداً اسمه كوريفايون koryphaion ، الذي يغطس جانبه الغربي بطرف البحر الفاصل بين قبرص وفينيقية ، غير أنه يطل ، بدءاً بمنحدراته الشرقية ، على أراضي الأنطاكيين والسلوقيين . تقع سلوقية على منحدر الجانب الجنوبي من الجبل ، يفصلها مجرى سيل عميق يصعب عبوره ، هابطةً ومتكورةً في منحنيات حتى البحر ، ومحاطة في معظم جوانبها بجروف





(الصورة٧٩)المؤلف بجانب تمثال الاسكندر المقدوني في اسطنبول

(الصورة٨٠) سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية

وصخور وعرة . في الأسفل ، عند الأماكن المنبسطة ، بطول البحر ، هناك الحي التجاري والضاحية ، المحميان بأسوار قوية جداً .



(الصورة٨١) خريطة توزع إمبر إطورية الإسكندر

كل المدينة مقامة بالطريقة نفسها ومحمية بسور مكلف جداً ومزدان بشكل رائع بالمعابد،والصروح الجميلة . في الجانب المطل على البحر ، هناك درج باتجاه البحر منحوت في الصخر، مع منحدرات وجبال بطول الطريق.)) لن نتوسع في الشرح،كوننا أعطيناها حقها في كتابنا(رحلة تاريخية مع نهر العاصي) ننتقل إلى عاصمتنا الثانية أنطاكية ،والتي مؤثراتها الحضارية موجودة في المنطقة ..


(الصورة٨٢) آثار سلوقية- رسم بارتليت١٨٣٦م


(الصورة٨٣) مدفن السرير الذي يضم رفاة سلوقس-عن بارتليت(الرسم١٨٣٦م)

وأصبحت العاصمة أنطاكية والتي تحكم القسم الشرقي من آسيا الصغرى إلى سورية من الفرات حتى المتوسط.يعتبرتاريخ ٣١٢ ق . م ميلاد الدولة السورية وبدء التاريخ السلوقي ... وبالنتيجة منطقة إدلب كانت عاصمتها أنطاكية(الصورة٨٤) ولغتها الرسمية اليونانية، وتاريخها هو التاريخ السلوقي ..صحيح هناك عاصمة قبل أنطاكية ،ولكن لم يطل الزمن فيها؟إيقول شيفمان ص١٢/الهامش٢ في كتابه المجتمع السوري القديم دمشق ١٩٨٧م((إن انيتغون قد شيد انتيغونيا على ضفة نهر العاصي عام٣٠٦ق.م وجعلها عاصمة دولته, فكانت مركزاً سياسياً وعسكرياً هاماً.. في عام٣٠٠ق.م بنى سلوقس الأول نيكاتور أنطاكية على نهر العاصي(الهامش٣) لقد كان لجزيرة ديلوس اليونانية علاقات وثقى مع الشمال السوري. الدليل تلك المراسيم التي صدرت من قبل سلطات ديلوس على شرف السوريين المقيمين هناك والمؤرخة في القرنين الثاني والأول ق.م (شيفمان١٧) في كتابه المجتمع السوري القديم دمشق ١٩٨٧م. تعد مدينة أنطاكية هي الأهم من بين١٦ مدينة حملت ذات الاسم، وقد بلغت أنطاكية أوج ازدهارها في عهد أنطيوخوس الرابع(١٧٥- ١٦٣ق.م) ذكرها شيشرون (القرن الأول ق.م) بانها مدينة ((ذائعة الشهرة، وفيرة السكان، ومركز للعلم الباهر، والفن الرفيع)). لكن بعد وفاته اصابها الركود الذي استمر حتى منتصف القرن الأول ق.م. وعند احتلال الرومان لسورية، وتحويلها إلى ولاية رومانية، أصبحت أنطاكية عاصمة لها، ومنطلقاً للجيوش الرومانية ضد أعدائها الفرس الذين هددوا على مر الزمن حدودهم الشرقية.

تعتبر أنطاكية على نهر العاصي رأس طريق الملاحة, ولا يستغرق بلوغها من البحر على طريق النهر إلا يوماً واحداً(داوني -٣٧) إننا نعلم أن الميناء نوصابوني آخر مصب نهر العاصي على البحرالمتوسط(الصورة٨٥-٨٦) ظلتا تزدهران في خلال القرنين الخامس والرابع ق.م, ولم يندثر الثغر القديم إلا عندما قام سلوقس الفاتح بإنشاء سلوقية بيرية في سنة ٣٠٠ق.م(دواني ص٢٨) وحتى عندما تبدلت حال أنطاكية من عاصمة ملكية هلينيستية إلى حاضرة إغريقية- رومانية, عاصمة لولاية من أهم ،وأقوى ولايات الامبراطورية الرومانية, فإنها ظلت إغريقية ،أكثر منها رومانية في ثقافتها وحياتها الاجتماعية. وأهمية نظام الحكم الروماني في أنطاكية بالنسبة لدورها

الأساسي في تاريخ المدينة, كانت أن القوة الرومانية بفضل ما جاءت به من الرخاء التجاري, وما حققته من الإبقاء على المدينة، مع قليل من التدخل الفعلي في حياتها الثقافية, كفلت استمرار التقاليد الإغريقية الهيلينية في المجالين الاجتماعي والثقافي (داوني ص٣٥٠) . تعد مدينة أنطاكية هي الأهم من بين١٦ مدينة حملت ذات الاسم، وقد بلغت أنطاكية أوج ازدهارها في عهد أنطيوخوس الرابع(١٧٥- ١٦٣ق.م) ذكرها شيشرون (القرن الأول ق.م) بانها مدينة((ذائعة الشهرة وفيرة السكان ومركز للعلم الباهر والفن الرفيع)). لكن بعد وفاته اصابها الركود الذي استمر حتى منتصف القرن الأول ق.م. وعند احتلال الرومان لسورية وتحويلها إلى ولاية رومانية أصبحت أنطاكية عاصمة لها، ومنطلقاً للجيوش الرومانية ضد أعدائها الفرس الذين هددوا على مر الزمن حدودهم الشرقية.. ويذكر المؤرخ سترابون في وصفه للمدينة ((أنها تتألف من أربعة أحياء محاطة بسور(الصورة٨٧) بناه الإمبراطور تيبريوس(١٤- ٣٧م). ولكل حي أيضاً سور خاص به، بني كل منها بفترات مختلفة. تراجانوس بإعادة إعمار المدينة وفق مقياس كبير، حيث تم إكمال البناء في عهد الإمبراطور أنطونونيوس التقي ١٣٨- ١٦١. وقد بني الشارع الرئيسي أكثر اتساعاً من الشارع السابق.)). (من كتاب آثار بلاد الشام خلال العصور الكلاسيكية- تأليف مأمون عبد الكريم- ص٥٦)



(الصورة٨٤) أنطاكيا منظر عام من الغرب عام١٨٨٩م-عن تايلور



(الصورة٨٥) صورة الميناء في مصب نهر العاصي١٨٨٩م-عن تايلور

(الصورة٨٦)المؤلف في نفس المكان مشيراً إلى مصب العاصي وجبل الأقرع(كاسيوس)

في عام ٨٣ ق . م يأتي الملك الأرمني ديكران ليكتسح هذه المنطقة (الصورة٨٨) وظل يحكمها إلى عام ٦٩ ق . م وليعود الحكم السلوقي ثانية إلى عام ٦٤ ق . م دخول القوات الرومانية إلى المنطقة بقيادة بومبي وليحتلوها.



(الصورة٨٧) بقايا سور أنطاكية- رسم بارتليت١٨٣٦م



(الصورة٨٨) نقد يمثل الملك الأرمني ديكران

ثانياً - العهد الروماني (٦٤ ق م – ٣٢٩ م) :

يعتبر عام ٦٤ ق . م من الأعوام الحاسمة في تاريخ سورية إذ تم فيها بدء الحكم الروماني " بقدوم القائد الرومـــاني " بومبي " إلى المنطقة (الصورة٨٩)، واحتلاله أنطيوخ (إنطاكية).. و فع (فوعا) وسرميوم (سرمين) و أدينو أوعدينو (دينيت) و أدابي (إدلب الكبرى) وقومناس (قميناس) وأستاماتو أو إستمك (مسطومة) وغيرها من قرى المنطقة.. وأنشأ أربع ولايات منها(ولاية سورية) وجعل عاصمتها إنطاكية التي منحها " الحرية في إدارتها كما فعل مع غيرها من المدن السورية . وقد أصدر قراراً آخر بأن تحكم سورية مباشرة من قبل نائب قنصل روماني " .. وهكذا يمكن القول بأن (أدابي) إدلب الكبرى والقرى المجاورة أصبحت تابعة لإنطاكية وتحت حمايتها..وليس لدينا تفاصيل عنها،وعن سورية الشمالية التي كانت تسمى

سورية العليا SYRIASUPERIOR الأمرّين .[1] واتخذ أبناء المنطقة تأريخاً جديداً لحوادثهم يبدأ من عام ٤٩ ق . م بداية العصر الأنطاكي، إذ منح يوليوس القيصر إنطاكية لقب(متروبول) وتعني أم المدن، مكافأة لها على مناصرتها له .ظلت المنطقة مرتبطة بعاصمتها في كل النواحي ..ولكن اللغة الآرامية أصبحت لغة التخاطب بين السكان، والتي ما زلنا نلفظ بعض كلماتها في أحاديثنا العامية. يعتبر الإمبراطور ترابانوس من الحكام الذين اهتموا بأنطاكية, وضواحيها, إذ كان فيها سابقاً عسكرياً برتبة نقيب,







(الصورة٨٩) الإمبراطور بومبي

(الصورة٩٠)القناطر المائية قرب دافني (حربية اليوم)

(الصورة٩١) الإمبراطور هادريان

وأبوه حاكماً على سورية. دخل أنطاكية في موكب رسمي سنة١٤٤م أمضى الشتاء فيها. أمر بإنشاء قناطر إضافية تحمل قناة لجلب المياه من دافني إلى أنطاكية,(الصورة٩٠) ووسع دار المسرح, وأنشأ حماماً على اتصال بالقناطر سمي باسمه(داوني١٣٠) في عام ١١٣م وقع زلزال في المنطقة ولكن الزلزال الأكبر والأشد الذي وقع في عام ١١٥م في عهد ترايانوس، إذ دام أربعين يوماً، ودمر معظم إنطاكية ،والقرى الأخرى . كل هذه المصائب أثرت على عمران القرى ،والمدن في المنطقة، فأزيلت بعض معالمها، وأدت إلى ضعف

---

[1] صواف : تاريخ حلب ص ٥٠ .

اقتصادها، وهجرة سكانها، وقد تكون إدلب إحداها . يبدو أن ولاة سورية كان لهم نفوذهم، فكثير منهم أصبحوا أباطرة منهم الإمبراطور هادريـــانــــوس (١١٧ – ١٣٨ م) (الصورة٩١) و الذي كان سابقاً حاكماً عليها، فزارها ثلاث مرات، ليضع الخطط لإنشاء مبان، ومرافق عامة جديدة ولتحظى إنطاكية ومنطقتها باهتمامه، وخاصة موارد المياه، فأنشأ عند دافني (حربية اليوم) قرب إنطاكية خزاناً محكم الصنع لحفظ مياه الينابيع الشهيرة والتحكم فيها(عام ١٢٩ م) وما زالت تشاهد هذه المنجزات في المنطقة، منها تلك القنوات السائرة بين القرى القديمة كالقنوات في سهل الروج لتصريف مياهه ـ وذلك قبل تجفيفه ـ والخزان الداثر في (حراجة)، وكالقناة الممتدة من سرمين إلى مسطومة، وما الخزان الروماني المكتشف مؤخراً فيها إلا من منجزات عهده (وردت التفاصيل عنه في بحث المياه) . ما أن تولى الإمبراطور الجديد (فالريانوس) الحكم عام ٢٥٣ حتى يبادر إلى الشرق لإعداد حملة ضد الفرس، فيحرر إنطاكية والمنطقة (٢٥٦ – ٢٥٨ م) وفي صيف ٢٦٠ م يخفق أمام الجيش الفارسي ،ويقع بين أيديهم ويستولي الفارسي سابور ثانية على المنطقة،بما فيها إنطاكية ، ويسعى إلى نهب مدنها، وينقل عددا كبيراً من سكانها إلى جنديسابور....؟ وفي إحدى حملاته نهب المدن السورية وضواحيها بيرويا (حلب) خالكيد (قنسرين) أوريم (أورم الجوز) لارميناز (أرمناز) إنطاكية [٢]

..ولتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ إنطاكية عاصمة المنطقة، إذ خلع عليها(أوكتافيان) لقب اغسطس، مما دفع المنطقة للاستقرار، والعيش في سلام، فعم الرخاء المادي سنوات طويلة .. وأصبحت إنطاكية من أجمل مدائن الشرق الهلنستي . إذ بلغ تعداد سكانها ستمائة ألف نسمة، وأصبحت بالتالي المنطقة و سورية بلداً رخياً تغبطه عليها ولايات الدولة الرومانية قاطبة . وكان معظم أهلها أحراراً، إلا من كان يقوم بالخدمة في البيوت . وكانت اللغة اليونانية هي السائدة في في خوزستان ، والجدير بالذكر أن مسيحيي المنطقة قد لقوا تأييداً منه فمنحهم حرية إقامة شعائرهم الدينية [١]

أنطاكية في القرن الرابع الميلادي: لم يكف (ليبانيوس) خطيب أنطاكية الوثني ، وأحد ألمع ممثلي النثر الإغريقي في النصف الثاني من القرن الرابع ، عن مدح مدينة كانت آنذاك أكثر حيوية من روما في قوله((أية مدينة لنا أن نقارنها بمدينتنا ؟.. إنها أكثر سعادة من أقدم المدن ، وتتفوق على أخرى عظمة ، وتتجاوز غيرها نبلاً ، وسواها أيضاً خصباً في كل منتجات أرضها . وإن كان لمدينة أخرى أسوار أطول ، فإنها تبزها وفرة في الماء ، وعذوبة في الشتاء، وكياسة في السكان ، وممارسة الحكمة ؛ وتتفوق في جمالها على المدن الأخرى الأكبر بما هو أجمل ما فيها ، الثقافة الإغريقية وفن الكلام . باختصار ، نجد بعضها بالمقارنة صغيراً ، وبلا ظرف ولطافة في اتساعها : هنا ، بالمقابل ، أراقت الإلهة أم إيروس الأناقة على المدى . هل غادرت هذه المدينة لتذهب إلى مكان آخر ولم تبزغ فيك ذكراها ؟؛ هل أتيت إليها من مكان آخر ولم تنس كل ماعداها ؟..)).

ثالثاً ـ دور تدمر في المنطقة :

ننتقل الآن إلى الحديث عن تدمر(الصورة٩٢) تلك الإمارة التي لاحظت ضعف الإمبراطورية الرومانية في الدفاع عن جبهتها الشرقية، و تعرض المنطقة لاحتلالهم ثانية، فقرر أميرها أدينت (اسمه حسب النصوص التدمرية) واسمه المؤغرق أوذاينانوس (حسب النصوص اليونانية في تدمر) " وعند العرب أذينة " أن يعرض على الرومان مساعدته التي رحب بها الإمبراطور الجديد غالينوس (٢٥٣ ـ ٢٦٨ م) ويتمكن جنود تدمر من رد الفرس على أعقابهم بعد نهر الفرات ،وحتى عاصمتهم برسبوليس، وأسر بعض أفراد الحرم الملكي. ويكافئ غالينوس أذينة عام ٢٦٢ م بمنحه لقب "زعيم الشرق"، وهو القائد الأعلى للقوات الرومانية في الشرق[١].ونظراً لضعف الإمبراطورية الرومانية شرع أذينة في بسط سيطرته على معظم مدن سورية، بما فيها منطقة إدلب ، حوالي عام ٢٦١ م ومتجهاً إلى إنطاكية ، تمكن من هزيمة

---

[١] النص التكريمي الوحيد الذي يشير إلى لقب (زعيم ؟ الشرق) هو الموجود في شارع الأعمدة قبل بلوغ مصلبة التترابيل (إلى يمين الناظر باتجاه التترابيل ... واللقب وارد في الآرامية متقننا وى مدنحا كله = مقوم الشرق كله أو مصلح الشرق كله) . ٠

(باليستاوكويتوس) الذي عمد إلى اغتصاب الحكم في إنطاكية[٢]. وبعد مقتل أذينة ٢٦٦ /٢٦٧ م خلفته زوجته زنوبيا، واسمها الآرامي الوطني هو = ب ت ز ب ى = بات زابي حسب النص التكريمي اليتيم ،الذي حظيت به زنوبيا، والمجاور للنص المذكور في الهامش (السابق) والتي تعتبر إحدى أعظم نساء العالم، في الاحتفاظ بالسلطة الفعلية بيدها، واسمياً بيد روما، وتعاون معها أبرز شخصية في إنطاكية أسقفها بولص السميساطي - والذي سنعود إليه ثانية - ووضع نفسه في خدمتها كمستشارها ،ومندوبها المفوض عنها في حكم إنطاكية . وهكذا ظلت المنطقة تحت سيطرة تدمر إلى أن ارتقى عرش الإمبراطورية القائد الشهير أورليان (٢٧٠–٢٧٥ م) . (الصورة٩٣).
وانتهزت زنوبيا الفرصة لتعلن استقلال تدمر استقلالا تاماً (٢٧١ م). وفي التاسع والعشرين من آب ٢٧١م صكت دار الصك بإنطاكية عملة تظهر فيها صورة أورليان (الصورة٩٤) ويظهر فيها وهب لات ابنها من أذينة متوجاً بالإكليل وعلى اسمه لقب أغسطس، بل إنها أرسلت جيشها للأناضول تحت قيادة زبدا[١] على الراجح فوصل حتى مضيق البوسفور[٢] ولكن المنطقة لم تهنأ بالاستقلال التام غير عام واحد إذ في العام التالي ٢٧٢ م يتقدم أورليان نحو المنطقة وقد عرضنا في الفصل الثاني وصفاً لنصب مكتشف في إدلب الكبرى نحت عليه رسم لشخصين وقمنا بتحليلهما مرجحين أنهما
للإمبراطور اورليان ولزنوبيا ملكة تدمر-انظر الصورة.. - وكان في إنطاكية قوة كبيرة من جيش تدمر على رأسها القائد زبدا ومعها الملكة زنوبيا نفسها تتربص قدومه، ولكنه يسلك الجانب الشرقي لبحيرة إنطاكية لكي يصل إلى الطريق الروماني - والذي ما زالت

---

[٢] داوني : إنطاكية ص ١٤٦ و ١٤٧ و حتى : تاريخ سورية ١ / ٤٣٧ و ٤٣٨ .
[١] ظهر اسمه مرتين على الأقل في النصوص التدمرية (زبدا) وباليونانية (زابداس) وعند العرب زبدة وتعني " هو الله أعطى" .
[٢] البنى : تدمر . ص - ٨٢ و داوني : إنطاكية . ص – ١٤٨ .



(الصورة٩٢) بوابة تدمر



(الصورة٩٣)الإمبرأطور اورليان





(الصورة٩٤) نقد يمثل وهب اللات ،وزنوبيا ،واورليان

تشاهد بقاياه عند تل عقبرين في سهل سرمدا ،والمسمى سهل الحلقة سابقاً- الواصل بين بيرويا (حلب) وإنطاكية ، ولكي يتسنى له مهاجمة إنطاكية من الشرق، وفي نقطة ما في الطريق شرقي نقطة عبور نهر العاصي يلتقي بقوة كبيرة من فرسان تدمر... ولما علم أورليان أنه مضطر لمهاجمة فرسان تدمر فصل مشاته، وأمرهم بعبور نهر العاصي وأمر فرسانه بالتظاهر بالانسحاب، وعدم الاشتباك .. وهكذا ارتد الرومان على الطريق الرئيسي جنوب عم Imma[1].. وعندما أخذت دلائل التعب تبدو على فرسان تدمر، انقض عليهم الرومان، ودارت الدائرة على التدمريين ويفرون إلى إنطاكية . وأما زبدا قائد جيش تدمر، فقد خشي من معرفة أبناء إنطاكية بذلك، فنشر في الناس أنه هزم أورليان وأخذه أسيراً، وعرض رجلاً يشبه الإمبراطور في موكب طاف شوارع المدينة، وقد نجحت الحيلة واستطاع زبدا وزنوبيا الهروب من إنطاكية مع بقية قواتهما ، واتخذ الهاربون الطريق المار بـ دافني(حربية اليوم) الـذي كان يؤدي إلى أباميا (أفاميا) و أبيفانيا(حماة) وحمص .. ولما علم أورليان بفرار زنوبيا فتحت المدينة أبوابها ورحبت بقدومه، وأعلن عفواً عاماً، كما أنه

---

[1] عم : سبق التعريف بها في كتابنا " حارم ... دمشق الصغرى " ص١٣ . وتدعى الآن ينى شهر – بركة وأما بوكوك الرحالة حين زار دانا (١٧٣٨) وسهلها رجح وقوع المعركة في سهل دانا – سرمدا شمال إدلب

تمكن من مؤخرة جيش زنوبيا عند دافني[٢] ليبيدها عن آخرها .. وانسحبت زنوبيا وزبدا إلى تدمر .. وحاصرها أورليان .. ولما علمت بأنها تحارب في معركة خاسرة حاولت الهرب، ولكن الخيالة الرومانية أدركتها وهي تحاول عبور نهر الفرات ، ومن خلال النصب المكتشف في إدلب الكبرى وتحليله (و انظر الفصل الثاني – إدلب الكبرى) نرجح أن زنوبيا بعد أسرها قد جلبت إلى هنا لتواجه أورليان، وتقام لها محكمة صورية فيها ،ثم أخذوها إلى إنطاكية لتعرض على الأنظار فوق ظهر جمل في مضمار سباق الخيل ،ثم أرسلت إلى روما مع أحد أبنائها لتعرض هناك ثانية على الناس[٣] إن هذا الحدث المأساوي وشجاعة زنوبيا يؤكد على إصرار أبنائنا الاحتفاظ باستقلالهم التام الذي لم يدم غير عام واحد ،وإن كانت المنطقة قد تمتعت بعطايا تدمر من الأعوام ٢٦١ – ٢٧٢ م[٤]. في عام ٢٩٠م و في شهر أيار زار الإمبراطور ديوقليسيان المنطقة متفقدا أحوالها ثم اتجه إلى حمص[٥]..أما مسكوكات زنوبيا الفضية والبرونزية، فقد حملت على مركز الوجه نقشاً جانبياً لرأسها يعلوه أكليل من أوراق الغار، مع عبارات لاتينية تذكر الملكة زنوبيا، بينما نجد على الظهر نقشاً جانبياً لرأس ابنها وهب اللات مكللاً بإكليل من أوراق الغار مع عبارات تذكر اسم وهب اللات ولقبه ((وتم ضرب العملات في مدينة أنطاكية وحمص لإصدار النقود التدمرية. سكت إنطاكية مسكوكات بمناسبة انتصار الإمبراطور أورليانوس على زنوبيا، كما قام هذا الإمبراطور في سنة ٢٧٤م، بإجراء تغييرات كبيرة في النظام النقدي التي ستظهر نتائجها بعد حوالي عقدين من الزمن، أعطت هذه الإصلاحات التي قام بها أورليانوس نوعاً من الاستقرار

---

[٢] دافني: إحدى ضواحي إنطاكية . تدعى الآن الحربيات كانت مرتعاً للملذات والتسلية والخلاعة لجمالها وكثرة مياهها . فيها معبد أبولون موديانا الذي بناه سلوقس . ومركز للألعاب الرياضية . قد ألفنا كتاباً عنها ،واللوحات الفسيفسائية المكتشفة فيها.بعنوان(دافني في التاريخ)

[٣] داوني : إنطاكية ص ١٤٨ و ١٤٩ وحتي : تاريخ سورية ١ / ٤٤٠ و (وِل ديورانت) في قصة الحضارة ٣٥٨/١١ و ٣٥٩ والبني في تدمر ص٨٠-٨٥ .

[٤] شاهدت خريطة بلاد الشرق المتوسط في زمن أورليان ٢٣٥-٢٨٤م تحدد خطوط دفاعه وهي أرمناز – ليتاربا (أتارب) خالكيس (قنسرين) اندرونا (اندرين) بارثيكا (البارا) (قبل أقاميا) أباميا .

[٥] مجلة الحوليات السورية ١٩٥٣/٣ ص١٢٩ .

الاقتصادي بعد الأزمة الاقتصادية التي عاشتها المنطقة منذ منتصف القرن الثالث الميلادي.))(من كتاب آثار بلاد الشام خلال العصور الكلاسيكية الدكتور مأمون عبد الكريم) .

رابعاً: العهد البيزنطي: ١--الدعوة المسيحية في المنطقة:

بعد ظهور السيد النبي عيسى ـ المسيح /عليه السلام/ نشط حواريوه ،و أنصاره في الدعوة إلى الديانة الجديدة (المسيحية).. ولما كانت إنطاكية ثالث مدينة في العالم، ومهيأة لهذه الدعوة الجديدة .. أرسل شيوخ القدس من أجل ذلك أول داع(برنابا) ليمكث فيها وينجح .. ثم تلاه بولص من طرسوس قرب أدنة، فيقيمان معاً سنة يعظون الناس للدين الجديد فآمن عدد كبير منهم[١] وهكذا ازداد عدد المسيحيين في أنطاكية، وانتشرت الديانة الجديدة في ربوع المنطقة، والتي كان يزورها برنابا، و بولص، وغيرهما في رحلاتهم التنصيرية البشارية وقد تعرض مسيحيو المنطقة إلى اضطهادات الوثنيين، والسلطة الحاكمة والتي لم تعترف بالدين الجديد بعد، وخاصة في عهد ديقيوس ٢٤٩ – ٢٥١ م ،كما تعرضوا للاضطهاد في عهد الإمبراطور فالريانوس ٢٥٣ – ٢٦٠ م، وبعد وقوعه أسيراً بيد الفرس تنفسالمسيحيون في المنطقة الصعداء، وتم انتخاب بولص السميساطي[٢] اسقفاً عام ٢٦٠ م، وهو الذي اتهم أنه تولى هذا المنصب بمساعدة ملك تدمر أذينة الثاني، ومناصرة زنوبيا. ويعتبر من الشخصيات الهامة في التاريخ اللاهوتي للمنطقة التي كان أسقفها، فتعاليمه

---

[١] داوني : إنطاكية . ص ١٥٩ . وأما برنابا فهو أحد حواريي المسيح . وله إنجيل باسمه . وورد في أعمال الرسل " أن برنابا خرج إلى طرسوس في طلب شاول. ولما وجده أتى به إنطاكية . وترددا معاً سنة كاملة في هذه الكنيسة وعلماً جمعا كثيراً حتى إن التلاميذ دُعُوا مسيحيين بإنطاكية أولاً (١١ : ٢٥ – ٢٦) . وأما بولص فهو أحد أكبر الدعاة في النصرانية . اسمه شاول . تنصر بعد ان كان يهودياً.

(٢) غردية :لويس وقنواتي، جورج: فلسفة الفكر الديني ٢ /٣٥٥ و داوني: إنطاكية ص١٧٥ ويقول عنه ابن حزم "كان بطريركاً بإنطاكية. وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، أنه إنسان لا إلهية فيه. وكان يقول لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس " انظر الفصل الرابع في (الملل والنحل) و محمد أبو زهرة في محاضرات في النصرانية ص١٦٦ .

كانت تدعو بإصرار إلى أن الله واحد، والمسيح بشر، فمهدت تعاليمه السبيل للمذهب الأريوسي الذي يقوم على إنكار اللاهوت في المسيح وتصوره إنساناً محضاً [1].. كما أن دخوله في الميدان السياسي متعاوناً مع زنوبيا ملكة تدمر، وكما ذكرنا آنفا، دفع كل هذا المجمعً الأسقفي الموالي للسلطة الرومانية ، والمنعقد في ٢٦٤ و ٢٦٨م إلى حرمانه وخلعه، ولكنه لم يأبه لهذاالقرار إلى أن تم خلعه رسمياً في عام٢٧١ م إذ طرده الإمبراطورأورليانس بعد تغلبه على زنوبيا. وبعد أن تم للمسيحية النجاح بشكل عام في عهد قسطنطين الأكبر٣٠٦ – ٣٣٧ م معترفاً بها كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية..

النزاعات في المنطقة:

وفي مطلع عام ٣٦٢ م يرسل الملك الفارسي سابور الثاني كتاباً إلى يوليان يطلب الاجتماع معه لتسوية خلافاتهما، ولكن الأخير رفض بعد أن أعد عدته لوضع الأمير هارميسداس الشقيق الأصغر لسابور على عرش بلاد فارس، والذي كان قد فر من بلاده في عهد قسطنطين الأكبر و أقام في إنطاكية، وقد وهبه الامبراطور عام ٣٢٣ م أراضي في منطقة باب الهوا، وهذا القوس والذي ما زال قائماً ـ واتخذناه شعار السلسلة التي نضعها ـ كان يعتبر الحد الفاصل لها (الصورة٨٦) إن هذا المذهب السرياني الثقافة قد ساد،و كان له التأثير الكبير في ثقافة المنطقة ولغتها، ونحن أحفاد هؤلاء، فمن حقهم علينا حفظ تراثهم ومعرفة تاريخهم .

---

[1] الأريوسية نسبة إلى أريوس، ليبي الأصل (٢٥٦ م ولادته) أصبح أحد كهنة الإسكندرية على يد لوقيانس الأنطاكي . قال عنه ابن حزم " ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى / ع / عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي خلق الله بها السموات والأرض . وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية، و أول من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس " بل الأصح انه مال إليهم وإن لم يعمل على نصرة مذهبهم. وانتشر مذهبه في إنطاكية وضواحيها ـ أي في محافظة إدلب الآن ـ وبمساعدة من أصحابه في مدرسة لوقيانوس الأنطاكي . و ظل مذهبه منتشراً في الشرق في القرن الرابع وعند القوط واللومبارد حتى القرن السابع . وقال عنه أحد مؤرخي السريان " إنه كان يميل إلى إنكار ألوهية المسيح، وأن الأب وحده يستحق أن يدعى الله وقال إن الإبن مخلوق خلقه الأب في أول خلائقه فليس هو مساوياً لأبيه في كل شيء " المطران اسحاق ساكا في السريان إيمان وحضارة ٢٨/٢

١- إن كثيراً من كلماتنا العامية وأحاديثنا وأهازيجنا في الأفراح والأحزان ذات مضمون سرياني . وسنعود إلى هذا الموضوع في فصل آخر .

٢-بعض من أسماء مدننا و قرانا مازالت في مضمونها سريانية، والتي أبقى عليها العرب المسلمون، تثبيتاً لهم واحتراماً لمواقفهم الوطنية وسنوضح ذلك في كتابنا القادم دليل أسماء بلدان محافظة إدلب وقراها ..

٣- كانت هذه الكنيسة في معظم مواقفها وطنية .. وبما أن منطقتنا تقع في إقليم العواصم والثغور، كان السريان مع المسلمين يداً واحدة ضد كل هجوم بيزنطي . والتاريخ يثبت أن المسلمين استعانوا بهم إدارياً وثقافياً، ونخص بالذكر معاوية وكما سنذكر لاحقاً .. هذا وقد توصلت إلى نفس النتيجة التي قررها الخوري اسحق أرملة السرياني بقوله " أما المسلمون في سوريا فليسوا في الأصل إلا من السريان المنوفيزيين الأقدمين " [١] وهو كسرياني يحاول تأكيد هويته، بينما توصلت إلى هذه النتيجة من خلال اطلاعي التاريخي، والدراسات الميدانية .. إن هذا الوضع وغيره جعل كنيستهم وثقافتهم سائدة حتى بعد الفتح العربي الإسلامي إلى القرن الثالث عشر الميلادي . ولو سقنا الحجج التاريخية في ذلك لاستدعى تفصيله كتاب خاص، وهذا ليس من اختصاصنا، وبعيد عن سير بحثنا ...

وختاماً : يمكن القول إن محاولات وضغوط الرهبان على أسقفهم ماريعقوب في مؤتمر الرقة، وما بعده في ألا يتهاون في مواقفهم، كان وراءهم شعبهم، لأنهم كانوا الممثلين الحقيقيين والواقعيين عن الجماهير قبل أن يكونوا رهباناً .. ولعل ما حدث دفعهم إلى تثبيت أمرهم، ولم شمل كنيستهم وليقرروا الدعوة إلى مؤتمرهم الهام في

المنطقة في العام التالي .لقد كان لهؤلاء النساك والرهبان في المنطقة دور هام في الحياة الاجتماعية , وتأثير على الأحداث السياسية حتى في العاصمة أنطاكية , وحين غضب الإمبراطور عليها بعد الفتنة التي وقعت في عام

---

[١] انظر مجلة المشرق عام ١٩٣٦ المجلد ٣٤ ص ٥٠٨ .

٣٨٧م , نتيجة الاستياء العام من الحالة الاقتصادية التي سادت في القسم الشرقي من الإمبراطورية , سعى أبناء أنطاكية إلى التواصل مع رهبان المنطقة قبل إجراء محاكمات الغاضبين أو الثوار فيها بإعلامهم عما جرى لهم " وفي أثناء المحاكمات , حدث أن عدداً من النساك الذين كانوا يعيشون في كهوف الجبال فوق أنطاكية غادروا مساكنهم وهبطوا إلى المدينة للتشفع لدى المندوبين ناصحين إياهما بأن يستحثا الإمبراطور على كظم غيظه والصفح عن المدينة . ويقال إن أحد هؤلاء الرجال الصالحين , ويدعى مقدونيوس استعطف هلبيخوس بأسلوب ممتاز الفصاحة " وفعلاً يتم مسعاهم في إقناع الإمبراطور ثيودوسيوس ويعفو عنهم وعن مدينتهم ويبسط رأفته عليها , وبإمكاننا القول لقد كان لرهبان الجبل تأثير فكري – اجتماعي حتى داخل العاصمة .

ب - مؤتمر الرهبان المنوفيزيين اليعاقبة ٥٦٧ و ٥٦٨ م : في المتحف البريطاني بلندن مخطوطات، ووثائق سريانية هامة، تتعلق بمناطقنا، نشر بعضها رايت في أواخر

ومن أهمها أربع وثائق تضمنت رسائل متبادلة بين أساقفة، وكهنة الأرثوذكس، المدعوين بالمنوفيزيين اليعاقبة ،مع ممثليهم في القسطنطينية. ومحتوى القضية يتعلق القرن التاسع عشر[١] وما زالت موضع اهتمام الباحثين، نظراً لأهميتها في الكشف عن واقع المنطقة إدارياً، وسياسياً،وثقافياً .." بالنقاشات الحادة التي أثيرت بشدة حول الثالوث المقدس، من قبل ثيودوس أسقف الاسكندرية، وهرطقة يوحنا أسكانيس التي انتشرت في مصر والقسطنطينية، وبدأت تهدد الكنيسة الشرقية، كما أنها وجدت لها الصدى في البلاط الملكي بمساندة أثناسيوس حفيد تيودورا. كل هذا وحذراً من نفوذهم في المشرق رسّم ثيودوس أحد أتباعه بولص بيت عكام والملقب بـ بولص الأسود على رئاسة بطريركية إنطاكية، ولكن بولص كان يأمل الاحتفاظ بكرسي الإسكندرية من أجله، والذي كان يريده أثناسيوس. إن هذا النزاع على رئاسة الكرسي، أخذ بالتالي يؤثر

---

(١) WRIGHT : A Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum, London, 1870 – 72 II, p704 – 708.

على النزاع الديني، وسبب نزاعاً أشد في بطريركية إنطاكية الشرقية نفسها. وتمكن أثناسيوس أن يشد نحوه الأساقفة كونون من طرسوس و أوجين من سلوقيا[٢]. ويمكن القول أن الوثيقة أو القائمة الأولى في هذا التاريخ ما هي إلا ميثاق أو صيغة إيمان مثبتة بإقرار رؤساء الأديرة الأرثوذكس الشرقيين، والذين خشوا نفوذ أثناسيوس على المنطقة ، مما دعا يعقوب البرادعي اسقف الرها و ثاودور أسقف بصرى إلى اجتماع عام لجميع رجال الدين، من رؤساء أديرة ورهبان و كهنة منوفيزيين يعقد في ديـر مار باس في بتبو بتاريخ ١٧ / أيار / ٥٦٧ م[١] ويلبي هذه الدعوة رهبان وكهنة سورية الشمالية المنوفيزيين من بينهم رهبان إدلب الحالية ،وحراجة، و فوعة، وبنش، وتل رمان، وبدبلة، ومسطومة، وقميناس، ونيرب ،وقنسرين، وغيرها (ص ٨٣) وبعد انتهاء اجتماعهم أعلنوا (صيغة الإيمان الخاصة بالمنوفيزيين) وتعاهدوا على التمسك بتعاليم أعلامهم الثلاث المنوفيزيين (سفيروس) الأنطاكي[٢] و (أنتيموس) أسقف

القســـطنطينية (ثيودوس) أسقف الإسكندرية, وأبدوا تماسكهم ووقوفهم إلى جانب بولص . ويلي هذه الصيغة تواقيع ٤٣ رئيس دير ثم توقيع كاهن وتوقيع عمودي[٣] .و أما الوثيقة الثانية فهي رسالة من مطارنة الأرثوذكس في

---

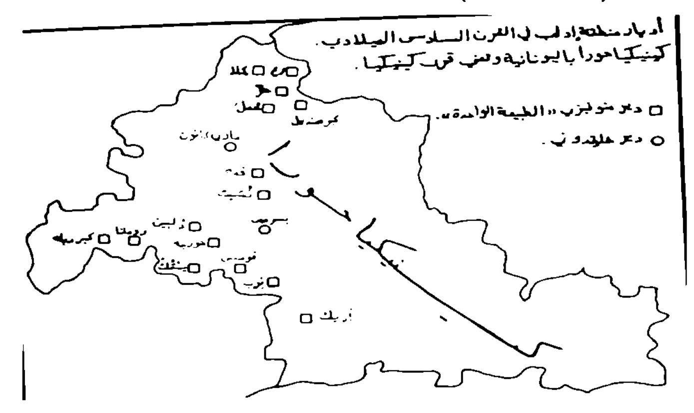
[٢] طرسوس قرب أضنة في تركيا، وسلوقيا هي السويدية الآن في لواء اسكندرون .

[١] تدعى الآن باتبو وهي قرية إلى الشمال الشرقي من مركز المحافظة ب ٢٥ كم، وتتبع الآن محافظة حلب ـ منطقة جبل سمعان وتعني بيت الأب، أي أنه كان موقعاً لرئاسة الأديار كلها ! وقد ذكره ابن العديم في بغية الطلب ١ / ٥٨٣ ــ ٥٨٤ باسم دير باتَبُوا كما كان يدعى دير طيايا وطباثا . وبصرى إحدى المدن الأثرية القديمة في حوران جنوب سورية وعاصمة الغساسنة فيها المسرح الروماني المشهور . والرها وتدعى الآن أورفا في تركيا وتقع بين نهري الفرات ودجلة . ظلت عاصمة الثقافة السريانية حتى القرن السابع الميلادي فتحها العرب عام ٦٣٩ م

[٢] يعتبر سفيروس بطريرك إنطاكية من عام ٥١٢ ــ ٥١٨ من الأعلام الأول لهذا المذهب، فهو الذي ضبطه معتدلاً في سورية بصيغته النهائية، كما أخذ بها من عرفوا باليعاقبة بعد ذلك . انظر تفصيل آرائه في فلسفة الفكر الديني لـ غرديه وقنواتي ٢ / ٣٣٠ .

[٣] العمودي هو الناسك الذي يقيم فوق عمود حجري زمناً عابداً ربه وانتشرت هذه الطريقة في الشمال السوري وأعظم وأشهر عمودي هو القديس سمعان في جبل سمعان . وأما هذا العمودي الموقع على هذه الوثيقة فهو عمودي كفردريان وسيرد ذكره في الرحالة

القسطنطينية لرجالهم الدينيين الأرثوذكس الشرقيين، يقدمون لهم التهاني على ميثاقهم العام في عام ٥٦٧ م، يعلموهم أخذهم به كمثال يحتذى في الكنائس المنوفيزية في طرسوس و سلوقيا . ويوقع عليها ١٦ رئيس دير وفي الثالثة إنه في هذا التاريخ يقرر يعقوب البرادعي السفر إلى القسطنطينية كي يجد حلاً لعودة السلام إلى الكنيسة، وحين يعود، يراسلوهم معبرين عن فرحتهم بعودة أسقفهم يعقوب إلى دياره سالماً . ومن بين الذين شاركوا بالتهنئة الأسقف أيوجين والأسقف كونون المعارضان سابقاً إذ يعودان إلى المذهب المنوفيزي .. إذاً نجحت مهمة يعقوب في رحلته بتهدئة الأحوال ولكن الشرقيين أشاروا إلى أن الحملة ضد بولص الأسود قد عادت.. ويوقع على الرسالة ١٩ رئيس دير وكاهن ! (الصورة٩٥)



(الصورة ٩٥) خريطة أديار المنطقة في القرن السادس الميلادي (منطقة كينيكيا حورا)

(خريطة أديار المنطقة عام ٥٦٧-٥٦٨م) الأديرة المنوفيزية بمنطقة إدلب في القرن السادس الميلادي :

الجزء الثالث . وعن هؤلاء العموديين قام صديقنا الأب باسكال كاستلانا مع زميل له إنجاز أحسن دراسة عنهم في المنطقة وفي سورية انظر كتابه: Pena Castellana : Les Stylites Syriens. Milano, 1985.

الموقع	الاسم القديم للدير	الراهب
إدلب	دْلبين	دانيال
قميناس	كومنس مناسس/ قومنس	أندريا = أندراوس
مسطومة	يستمك (اسطمك)	سرجيوس = سركيس
حراجة	حوراجة (حوراجة)	قزما
حراجة	ماراوسب (حوشب)	يوحنا (يوحنان)
تل الرمان	مار رومانا	رومانوس
بنش	نشيت (آنشت)	تيودور
داديخ	بيت مارا وسط في أديك	زينوب
فوعة	فعَ	حابشابا = عبد الأحد
حزانو	حْزّ = هزاز	نونا (نونوس)
تل صندل(كفر صندل)	كُبرصنديل	شمعون = سمعان
كفريحمول	حِمْلا (يحمل)	بولص
نيرب	بيت ماريوحنا في نرب	جورجيوس
بْدنْله	كُبردبلة	يوحنا
درسيتا	دْروسيت	مارفوقا
كللي	كَلا	حنانيا
راعة	رع	بارحابشابا
الأديرة الخلقيدونية بمنطقة إدلب في القرن السادس الميلادي		
سرمين	بسرمين	يوحنا الثالث
معرة مصرين	ماركانون	يوحانان

و أما الرابعة فتشير من جديد إلى كونون، و أوجين اللذين حركا موضوع الهرطقة في الشرق، ووزعت منشورات بالسريانية بعد أن كانت باليونانية بجهود يعقوب البرادعي ... وهكذا بدأ التشهير ضد بولص يعود من جديد، ولإيقاف ذلك أي الدعاية للتثليث قرر الرهبان الأرثوذكس عقد الاجتماع الثاني في ٣ كانون الثاني عام ٥٦٨ في دير مارباس في بتبو، ويرسلون صيغة

إيمانهم، كما في السابق إلى القسطنطينية ويوقع ٤٨ راهباً كرؤساء أديرة وثلاثة كهنة وخمسة نساك، وثلاثة عموديين، أحدهم يدعى بولص من كفر يحمول (وسيرد ذكره في أبحاثنا القادمة) وقد رغب العمودي يونان من كفردريان الحضور ولكنه لا يتمكن من ذلك إما لمرضه أو وفاته وسيرد ذكره في الرحالة الجزء الثالث. والذين وقعوا إما أنهم يمثلون أسماء الأديرة أو أسماء أمكنة إقامتهم(١). واللغة التي كتبت فيها هذه الوثائق الأربع فهي السريانية(٢) مما يدل على أنها لغة أصحاب هذه الأديرة، ولغة الشعب السائدة، وما زالت بقاياها إلى الآن في اللغة الشعبية الإدلبية.. بينما كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية .. والآن بعد هذه المقدمة المسهبة، لنبدأ بتحليل هذه الوثائق الأربع، وبما له علاقة بسير بحثنا ومنطقتنا موضوع هذا البحث . نجد توقيع دانييل أو دانيال راهب دير دلبين (إدلب الحالية) في الوثيقة الثالثة، وتسلسل رقمة السابع عشر. وتوقيع تيودور راهب دير نشيت ؟ (بانش - بنش) في الوثيقة الأولى وتسلسل رقمه ٤٥ .. ووقع حابشابا - والتي تعني عبد الأحد - رئيس دير فُعُ (فوعا) في الوثيقة الرابعة وتسلسل رقمه ٣٤ . وأما دير قميناس والذي كان يدعى دير قمص مناس أو مَنَسِ(١) فقد وقع رئيس الدير أندريا أو أندراوس في الوثائق الأربع، في الأولى تسلسله السابع وفي الثانية التاسع، وفي الثالثة التاسع أيضاً، وفي الرابعة السادس . وأما دير نيرب والذي يدعى في الوثائق دير بيت مار يوحن (يوحنان) في نِرب فقد مثله رئيس

---

(١) Documenta ad origines mono physitarum illustadas, ed J. B. chabot – Louvain 1965
ونشكر الأب باسكال كاستلانا الذي أفادنا بمعرفته حول هذا الموضوع وحوارنا العلمي معه ، وتطابق وجهات نظرنا :VASN ٣ / ٦٣ وما بعد.

(٢) يذكر الخوري اسحق أرملة السرياني في بحثه الملكيون بمجلة الشرق مجلد ٣٤ لعام ١٩٣٦ ص ٥٠١ إن عدد الأديرة التي أثبتها المخطوط في سوريا الجنوبية وورد في بحثه خطأ مطبعي الجنوبية والأصح في سوريا الشمالية ١٢٤ ديراً و وقع ١٠٦ رؤساء أسماءهم بالسريانية و ١٨ رئيساً وقعوا أسماءهم باليونانية . بينما آخرون قالوا كتشالنكو ٨٠ ديراً و ضو ٧٥ ديراً .. وهكذا

(١) برأي هونغمان دير قومِسِ مناسي في قميناز . وأما دير فوعا فمكتوب سِع وبرأي تشالنكو كتبت خطأ السين بدلاً من الفاء فهي فِعَ .

الدير جورجيوس[٢] إذ وقع في الوثيقة الأولى بتسلسل التاسع، وفي الثالثة الحادي عشر، وفي الرابعة السابع . وأما دير مسطومة فقد ذكرته الوثائق باسم اسطمك ووقع رئيس الدير سرجيوس على وثيقتين فقط، تسلسله في الأولى ١٤ وفي الرابعة ٢١ . وأما حراجة فقد كان فيها ديران شارك رهبانهما في الإجتماعين إذ وقع رئيس الدير قزما في الوثيقة الأولى برقم ٤٣ وباسم دير بيت حوراجة، إذ أن الدير الأول يدعى بهذا الاسم . وأما الدير الثاني فقد كان يدعى باسم بيت ماراوسب (حوشب) في بيت حورجة أو حورجا ووقع عنه راهبه الديراني يوحنان في الوثيقة الرابعة برقم ٢٩ . وما زال بعض هذا الدير قائماً إلى الآن ويدعى موقعه باسم مزار الشيخ يوسف الحراجي ـ راجع بحث حراجة ـ في الجزء الثاني .

وأما دير تل الرمان فقد كان يدعى دير مار رومانا ويوقع راهبه رومانوس في الوثيقة الثانية برقم خمسة وفي الثالثة برقم أربعة وأما دير بدبلة فقد كان يدعى كبردبلة = قرية دبلة ووقع راهبه يوحنان في الوثيقة الرابعة برقم ٣٨ [٣]

وتعقيبنا على هذا المؤتمر :

١- إن مشاركة هؤلاء الرهبان، وتثبيت وجودهم يشير إلى اتباع أبناء المنطقة المذهب المنوفيزي (الطبيعة الواحدة) ومن أنصار البطريرك يعقوب البرادعي والتابعين لأسقفية بصرى في حوران.

٢- كتاباتهم السريانية وتواقيعهم تؤكد أنهم عرب سريان، وتحدياً وطنياً لبيزنطة، ولغتها الرسمية اليونانية ...

٣- ولا يعني ذكر أسماء الأديار الأرثوذكسية ـ المنوفيزية[١] عدم وجود

---

[٢] في الجامع الكبير بإدلب كان يوجد مقام يطلق عليه العامة مارجرجس، ولعله هو نفسه راهب دير نيرب والذي انتقل فيما بعد إلى دير دلبين بإدلب ؟

[٣] انظر بحثنا الخاص عن بدبلة في كتاب آخر .

[١] إن هذا التنازع الكنسي والمعقد أوقعني في حيرة التوضيح للقارئ الكريم، فكل منهم يقول عن نفسه أنه أرثوذكسي، وهذا يتطلب شرحاً خاصاً يبعدنا عن متطلبات سير بحثنا، إلى جانب أن كل ملة تطلق على الأخرى المخالفة في الرأي معها صفات وأنها أصح من غيرها .. فالمنوفيزيون ـ اليعاقبة يسمون أنفسهم أرثوذكسيين أو سريان أرثوذكس، وكذلك ينكرون الأسماء السابقة عليهم، بينما أطلقوا على مخالفيهم أتباع بيزنطة اسم الخلقيدونيين ـ الملكيين أي أتباع كنيسة بيزنطة الرسمية .

أديار أخرى لا تتبع غير نحلتها، إذ ديرا معرة مصرين وسرمين كانا على غير نحلتهم، ولعلهما من مؤيدي مجمع خلقيدونية . وفي مخطوط سرياني مؤرخ في ٥٦٩ م يخاطب فيه أهل (بِسرمين قرتا) أي سرمين الحالية جماعة دير بيت مار يوحنان في نِرب أي نيرب الحالية[٢] مما يشير إلى وجود ديرين أحدهما دير سرمين يتبع المذهب الخلقيدوني - الملكي، ودير نيرب يتبع المذهب الأرثوذوكسي المنوفيزي ويحاول الأول استمرار الاتصال مع الثاني كي يسير وراء نحلته والتي تدعمها السلطة العليا وعلى رأسها بعد الامبراطور البيزنطي البطريرك يوحنا الثالث السرميني والمتواجد في بيزنطة وكذلك تشير الوثائق السريانية إلى وجود دير خلقيدوني في معرة مصرين وكما سنذكر في بحث تاريخ معرة مصرين في الجزء الثاني .

٤- إن وجود الأديار المتقاربة في هذه المنطقة بشكل خاص، وكثرة عددها في الشمال السوري بشكل عام، يشير بلا ريب إلى كثافة سكانية و اقتصاد مزدهر نعمت فيه المنطقة والتي طمع في خيراتها الغزاة ؟!

٥- كانت المؤسسة الديرية مركز إشعاع ثقافي، على رأسه هذا الراهب العلم، المتشبث في رأيه حتى " التزمت " متحدياً السلطات في عـقر دارها (القسطنطينية).. ولذلك كان نشطاً في الثقافة والاقتصاد، فجعل من ديره مؤسسة مستقلة .

٦- إن خير هذه الأرض الذي جذب نحوه السكان، وهذا الفكر السرياني الحضاري جعل الجماهير تقطن حول الأديرة، فتشكلت قرى كثيرة في الشمال السوري - وكذلك في إقليم أفاميا - حول أديرتها وحملت اسمها[٣] وخير مثال على ذلك إدلب الحالية - دير دلبين - والأبحاث الأثرية المستقبلية ستؤكد ما توصلنا إليه ما لم يثبت العكس[١]...

---

[٢] VASN – V- 3 – p 104.

[٣] راجع في ذلك كتابنا القادم دليل أسماء بلدان محافظة إدلب وقراها .

[١] من المصادفات أن الذي توصلت إليه نتيجة أبحاثي والروايات المتواترة عن سكان المنطقة، توصل إليها أيضاً الأب بطرس ضو الماروني في كتابه تاريخ الموارنة، فالحقيقة العلمية تجمع كل باحث، إذ ذكر في كتابه " ومعظم هذه الأديار كانت نواة تكونت حولها

ونخلص إلى القول : إن الريف تسوده الكنيسة الشعبية والمدن الكبرى تسودها الكنيسة الرسمية، لأنه حدث بعد هذا المؤتمر الهام المنعقد في المنطقة، أن تحرك اليعاقبة لنشر مذهبهم وتثبيته في الشمال السوري ، بحيث أصبح المذهب السائد في القرن السادس الميلادي ، وشكلوا رئاسة كنسية شعبية جماهيرية مستقلة عن بيزنطة ونفوذها السياسي عليهم ، وأرجح تسميتها بـ الكنيسة الشعبية وعلى الأخرى والتابعة لبيزنطة بالكنيسة الرسمية ، حسماً لتباين الأوصاف والأسماء على الجماعات المختلفة حول طبيعة السيد المسيح وهي تسمية تاريخية قبل أن تكون عقائدية ! .

٧- ولم تكن هذه المشاركة في المؤتمرين تعبيراً عن مشكلة دينية فقط بل كانت أيضاً تعبيراً عن رغبتهم بالاستقلال عن بيزنطة، وليست محاولات يعقوب البرادعي إعادة الود وتقريب وجهات النظر المتباينة، واحتواء الانشقاق، وتوحيد الصف الديني في الشمال السوري، ليست إلا إثباتاً لشخصيتهم الوطنية أمام جور بيزنطة، وإخفاقها في حل مشكلاتهم التي تفاقمت بمحاولاتها التدخل بشؤونهم الشخصية... وكما قال المؤرخ حتى " كانت هذه الانشقاقات إلى حد ما كما هو الأمر في ناحية اللغة تعبيراً عن اليقظة القومية وكان السوريون بانصرافهم عن حكامهم البيزنطيين لا يعود لأسباب تتعلق بالمبادئ فحسب، بل لأسباب سياسية واقتصادية أيضاً . وكان البيزنطيون أكثر استبداداً في حكمهم وأكثر جوراً في نظام ضرائبهم . فقد جردوا السكان الأصليين من السلاح، ولم يحترموا عواطفهم إلا قليلاً. وأظهروا حتى في المسائل الدينية تسامحاً أقل من تسامح أسلافهم الوثنيين))[٢] .

لقد كان لهؤلاء النساك والرهبان في المنطقة دور هام في الحياة الاجتماعية ,

---

قرى زراعية، ومجموعات سكنية مختلفة الحجم وكانت القرية المتكونة على هذا الشكل تتبع الدير عقائدياً و حضارياً . فالأديار المارونية كانت تتكون حولها قرى مارونية والأديار اليعقوبية كانت باعثاً لنشأة قرى يعقوبية، وهكذا نشأ ترابط مستمر بين الأديار والشعب " ١ / ٢٤٣ .

[٢] حتى : تاريخ سورية ١ / ٤١٠ .

وتأثير على الأحداث السياسية حتى في العاصمة أنطاكية , وحين غضب الإمبراطور عليها بعد الفتنة التي وقعت في عام ٣٨٧م , نتيجة الاستياء العام من الحالة الاقتصادية التي سادت في القسم الشرقي من الإمبراطورية , سعى أبناء أنطاكية إلى التواصل مع رهبان المنطقة قبل إجراء محاكمات الغاضبين أو الثوار فيها بإعلامهم عما جرى لهم " وفي أثناء المحاكمات , حدث أن عدداً من النساك الذين كانوا يعيشون في كهوف الجبال فوق أنطاكية غادروا مساكنهم وهبطوا إلى المدينة للتشفع لدى المندوبين ناصحين إياهما بأن يستحثا الإمبراطور على كظم غيظه والصفح عن المدينة . ويقال إن أحد هؤلاء الرجال الصالحين , ويدعى مقدونيوس استعطف هلبيخوس بأسلوب ممتاز الفصاحة " . وفعلاً يتم مسعاهم في إقناع الإمبراطور ثيودوسيوس ويعفو عنهم وعن مدينتهم ويبسط رأفته عليها , وبإمكاننا القول لقد كان لرهبان الجبل تأثير فكري – اجتماعي حتى داخل العاصمة .

جـ ـ الغساسنة ودورهم في المنطقة :حين آذنت دولة تدمر بالزوال، بدأت إحدى القبائل العربية تشق طريقها في حوران والبلقاء وهم بنو غسان من عرب اليمن وكان يحكمها وال تتولى بيزنطة تعيينه مباشرة، أو أمير من أمراء الغساسنة. من أشهر أمرائهم الحارث بن جبلة تولى أمارتهم في أيام جستنيان من عام ٥٢٩ – ٥٦٩ م ومنحه لقب فيلارْك = رئيس قبيلة وبطريق على أن يكون رئيساً على جميع القبائل العربية مكافأة له على حماية الحدود الشرقية لبيزنطة، ضد العرب اللخميين في الحيرة المجاورين للأمبراطورية الفارسية ... تنصروا خلال القرن الرابع، ثم اتبعوا مذهب الطبيعة الواحدة ـ اليعاقبة ـ ... وتشير المصادر إلى أن الإمبراطورة ثيودورا أرسلت إليهم اسقفين منوفيزيين هما ثاودور اسقف بصرى في حوران ويعقوب الملقب بالبرادعي اسقف الرها .

وأضحت عاصمتهم بصرى العاصمة الدينية للمنوفيزيين، وبنيت كاتدرائيتها عام ٥١٢ م ... حتى أن يعقوب البرادعي رسم مطراناً على الكنيسة المنوفيزية السورية أثناء وجود الحارث في القسطنطسنية .

في عام ٥٢٨ م ينشب القتال من جديد بين فارس وبيزنطة، فتدفع الأولى في

العام التالي في شهر آذار ٥٢٩ م عرب المنذر ـ من اللخميين وأمير الحيرة ـ بغارة سريعة على المنطقة، ليحرق قنسرين وقرى كثيرة في منطقتها وقرى أخرى في منطقة سرميوم (سرمين) وفي منطقة كيناجية [(١)]وهي منطقة الجزر في العصور الوسطى والتي تقع فيها إدلب ومعرة مصرين وفوعا وبنش .. وعاث في الأرض فساداً دون أن يصيبه عقاب ما.. وتمكنوا من الوصول حتى منطقة أنطاكيا، فأحرقوا الممتلكات وقتلوا عددا كبيراً من الناس ثم انسحبوا ومعهم أسراهم وغنائمهم قبل أن يتسنى للفرق الرومانية اللحاق بهم . [١] كما أن الانشقاقات في المنطقة قد دفعت بكسرى أنوشروان أو كسرى الأول إلى التفكير في غزوها ففي عام ٥٤٠ م قدم على رأس ٣٠ ألف رجل وأشعل النار في حلب، لأنها لم تستطع دفع الجزية التي عليها . ثم اتجه إلى أنطاكيا وينهبها في شهر حزيران ثم يحتل أفاميا ـ ماراً بمنطقة إدلب وفيما بعد خالقيس (قنسرين) ولكنها افتدت سلامتها بكمية من الذهب .. وبعد هذا الهجوم الفارسي حل وباء الطاعون في المنطقة عام ٥٤٢ م قادماً من مصر، والذي أفنى الكثير من السكان.. وفي عام ٥٤٤ م يأسر المنذر عاهل البيت اللخمي في الحيرة، أحد أبناء الحارث الغساني، إثر معركة بينهما، ويقدمه ضحية لآلهته الوثنية العزى (أي أفروديت).. وبعد عشر سنوات أي في عام ٥٥٤ في شهر حزيران ينتقم الحارث من المنذر الحيري ويقتله قرب قنسرين عند الحيار وهي المعركة المعروفة عند العرب بيوم حليمة، وهي ابنة الحارث، ويقال أنها بيديها دهنت جنود أبيها بالطيب قبل دخولهم المعركة فورد المثل السائر " ما يوم حليمة بسر " [٢] وفي الروايات الشعبية ان المعركة قد

---

(١) داوني : أنطاكية ٣١٦ ـ ٣١٧

(٢) حتى : تاريخ سورية ١ / ٤٤٨ وأحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٠ وتاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ١ / ٣٧ و ٣٩ و ٤٣ ومعظم المصادر العربية كابن الأثير ومجلة دراسات تاريخية . دمشق عدد ١١ كانون الثاني ١٩٨٣ وقنواتي : المسيحية ١ / ٥١ – ٥٢ ويؤكد الألماني نولدكه أن " حليمة هنا هو اسم مكان لا اسم امرأة، وإن ما يرويه العرب خبل ولكن ليس من التاريخ في شيء " . وفي روايات أخرى بالقرب من قنسرين وأخرى قرب الحيار والروايتان صحيحتان . وتوضيحاً يقع هذا المكان في المنطقة الواقع فيها الآن قصر ابن وردان في الضاحية الشرقية من محافظة حماة على

جرت في نواحي سرمين إلى الشرق وهذا مقبول، لأن سرمين كانت إحدى المدن الهامة في المنطقة إلى العهد البيزنطي . وما زال الكثير من أحفاد الغساسنة في المنطقة ! وأما المنذر الملقب عند الروم Alamandoros فهو الآخر غساني ابن الحارث بعد عام ٥٧٠ تولى الحكم بعده متبعاً سيرة أبيه في دعمه للمنوفيزيين ـ اليعاقبة ـ، هذا المذهب المخالف لبيزنطة، أدى إلى حصول الجفاء بينه وبين بيزنطة، فيرسل الإمبراطور رسالة إلى الحاكم الروماني للتخلص منه، ولكن الرسالة تقع بيده خطأً .. وبعد جفاء تسوى الأمور بينهما . وفي عام ٥٧٣ يأتي القائد الفارسي أدهرمهان على رأس قوة، تعاونهم قوة أخرى من العرب اللخميين ـ عرب الحيرة ـ ويشنون غاراتهم على سوريا، حتى وصلوا إلى المنطقة بما فيها أنطاكيا، والتي لم تكن أسوارها مرممة بعد الزلازل الواقعة عام ٥٥١ و ٥٥٧ ...طبعاً لن تتغاضى بيزنطة عن نفوذ الغساسنة هذا، وفي حفل تدشين إحدى الكنائس في حوارين قرب حمص، يعتقل الحاكم الروماني المنذر عام ٥٨١ م .. ولكن ابنه البكر النعمان يخلفه مقرراً الثورة ضد الرومان، والضرب في أعماق نفوذهم في سوريا الشمالية ويوجه عدة غزوات تحت قيادته من البادية، ومن الطبيعي أن يلجأ إلى أهل نسبه وعشيرته في هذه المنطقة، مستعيناً بمواقع حصينة من أهمها آرّا = معرة [النعمان] والتي سبق للإمبراطور الروماني فالنس فلافيوس تدميرها (٣٦٤ – ٣٧٨ م) في أواخر حكمه إذ في عام ٣٧٨ م يزور المنطقة، ويحارب أهاليها لأنهم من مؤيدي الآريوسيين وهو مع مجمع نيقية وكما ذكرنا آنفاً. حاول النعمان التصدي للقوات البيزنطية وحاميتها .. ولكن قائد القوات البيزنطية مانوس= ميناس Magnus تمكن من اعتقاله عام ٥٨١ م

بعد ٦٠ كم . وقديماً كانت تدعى هذه المنطقة حيار بني القعقاع (حيار بني عبس) وتعرف أيضاً بقنسرين الثانية . راجع ابن شداد في الأعلاق الخطيرة ٢ / ٢٨ ومعجم البلدان لياقوت وتاج العروس للزبيدي والغريب أن محققي كتاب الأعلاق الخطيرة لم ينتبهوا إلى الخطأ الوارد في المخطوط إذ ذكرا فيه : " وبه كان مقيل المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة " وهذا خطأ من الناسخ، والأصح : " وبه كان مقتل المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة " وقد تنبهنا لهذا الخطأ من خلال التقميش التاريخي بين النصوص .

وينقلـه إلى القسطنطينية (اسطنبول اليوم) حيث مقر الامبراطور وكما حدث لأبيه... وهكذا لا يسعف الحظ لا المنذر، ولا ابنه النعمان في محاولتهما السعي لاستقلال هذه المنطقة.. وإن الخاتم المكتشف في معرة النعمان في مطلع القرن العشرين برسومه وكتابته الواضحة (النعمان)، قد أعطانا ضوءاً بيناً على تاريخ المنطقة وحقيقة مصدر اسم النعمان المنسوبة إليه آرّا في العهد البيزنطي ،وبرأي مرجحاً ومتراجعاً على ما سبق أن عرضته في الرحالة / الجزء الأول في بحث معرةالنعمان.!

د-الأوضاع العامة قبيل الفتح الإسلامي: في عام ٦٠٦– ٦٠٧م اجتاح الفرس سورية ، واقتادوا إلى الأسر جموعاً كبيرة من الأهالي . وفي عام ٦١٠ – ٦٤١ م تولى الحكم هرقليوس، وهو المعروف عند العرب باسم هرقل ملك الروم، والذي يعتبر عهده عهد حروب ومنازعات بينه ، وبين الفرس الذين قاموا في أيار ٦١١م بغارة جديدة، وتقع في أيديهم أفاميا، ومنطقة إدلب وإنطاكية . ويقال أن خسرو الفارسي جمع كنوز الكنائس، وآثارها الفنية، وأرغم جميع المسيحيين على أن يصبحوا نسطوريين(١) . ولم يتوان هرقل في السعي لطرد الفرس من المنطقة، إذ قام بست حملات متتالية من عام ٦٢٢ – ٦٢٨م لطردهم، وعندما خلع خسرو في عام ٦٢٨م بادر ابنه إلى عقد الصلح مع البيزنطيين ،ثم الجلاء عن إنطاكية، والمدن الأخرى المحتلة، وأطلق سراح الأسرى الذين كانوا متواجدين في فارس(٢). إن هذه الأوضاع السياسية غير المستقرة والإقتصاد المنهار، والإنشقاق المذهبي، قد كانت من العوامل الرئيسة التي مهدت للفتح الإسلامي .وأما هرقل فحين علم بقدوم المسلمين اتّخذ من إنطاكية مقرّاً لقيادته ، ولكنّه ما لبث بعد موقعة اليرموك أن غادر إلى القسطنطينيّة مودّعاً إيّاها بكلمته المشهورة (سلام عليك يا سورية تسليم المفارق ولا يعود إليك روحي أبداً).حمّل المؤرّخون هرقل عبء خســارة سـورية ، فالمستشرق الهولندي(دي غوج) في بحثه العميق حول فتح سورية ، الصادر في أوائل القرن العشرين يُحمّل هرقل ضياع سورية ، بسبب سياسته الخرقاء ، بفرض تعاليم المجمع الخلقيدوني، والمنوثلية، بوسائل

شتّى من الاضطهاد ، وذلك مع إشارته إلى ازدياد الضرائب التي أثقلت كاهل سكان سورية ، مما حدا بهؤلاء السوريين إلى اليقين بأن سلطان العرب سيكون أكثر رحمة،وأشدّ حرية لمعتقداتهم ..ومن نصّه : ((لم يكن من أثر الفتح الاستيلاء على قطر غريب ، الغاية المباشرة منه جباية الضرائب من سكانه وإنما تحرير جزء من الوطن ، الذي كان رازحاً تحت الطغيان الأجنبي ، وبالتالي استعادة عدد عظيم من المواطنين المهيئين نفسياً لاشراكهم بالدفاع عن مجد الله ونبيّه))(٣).

القسم الثالث – من الفتح الإسلامي إلى الفتح العثماني:

أولاً- من الفتح إلى غزو الفرنجة: في سنة ١٧ هـ / ٦٣٧م اتجّه جيش المسلمين بقيادة أبو عبيدة بن الجرّاح يرافقه خالد بن الوليد إلى قنسرين وحاصرها .. وذكر البلاذريّ أن أبا عبيدة دعا أهلها - أي أبناء حاضر قنسرين - إلى الإسلام فأسلم بعضهم ، وأقام على النّصرانية بنو سَليح من بني قُضَاعة ، حيث تمّ إسلامهم فيما بعد في خلافة المهدي .ولمّا علم أبو عبيدة أن الروم سيجمّعون قواهم إلى الشرق من معرّة مصرين،والتي كانت إحدى البلدان الهامة ، اتجه نحوهم والتقى بهم في معركة ضارية انتهت بانتصاره، ومقتل اثني عشر بطريقاً من الروم رمياً بالنبال،(وتعني كلمة بطارقة PATRICES قواد الجيش البيزنطي) وسبى وغنم ، ثم اتجه نحو معرة مصرين، ففتحها على مثل صلح حلب .وبعد ذلك استطاع العرب فتح المناطق المجاورة الواقعة بين قنسرين وإنطاكية ، إذ تمكنت قواتهم من فتح سرمين ومرتحوان وغيرها من بلدان المنطقة وقراها ، سلماً (١) ..وتفيد الروايات المتواترة أن العرب المسلمين حاصروا ادّابي (إدلب الكبرى) وتمكنوا بمساعدة أحد رهبان دير دلبين المنوفيزي والمناوئ لبيزنطة ، من فتح البلدة وكغيرهم من سكان المنطقة ، طلب سكان إدلب الكبرى الصلح (٢) ..وأما موقع إدلب الحاليّة – إدلب الصغرى – فهو وكما ذكرنا من الأديرة المنوفيزيّة في المنطقة ، والتي رحبت بقدوم المسلمين تخلّصاً من ظلم بيزنطة وتعديها عليهم ، هذا الدير ، دير دلبين عند السريان المنوفيزيين ، ودير ليب عند المسلمين ، هو

والأديرة الأخرى ،كدير حراجة، ودير اصطمك، ودير قمناس ،ودير بْنَش، ودير فوعا ..وغيرها رحبوا بالعرب المسلمين ، وتم فتح هذه الأديرة صلحاً .

وقد نقل المؤرّخ الحلبي ابن العديم ((في كتابه بغية الطلب ١/ ٨٣ -٥٨٤ ،)): أن أبا عبيدة افتتح في وجهه ديارات حول قنسرين بصلح ، منها دير باثّبُو(أي دير باتبو شمال في عام ٦٣٨ م حاول هرقل استرداد المنطقة بإنزاله جيشاً غرب انطاكيا ،فثارت انطاكيا وقنسرين وحلب وحواضرهما٠٠ ولكن عمر / ر /يتدارك الأمر ويستردون قنسرين وحلب وأنطاكيا بغير عناء٠ أنظر سيديو :تاريخ العرب العام ص ١٢٤ وابن العديم :بغية الطلب ١ /٥٨٠ و٥٨٣

يروى عن سكان ادلب تواترا أنه كان لإدلب الكبرى أبواب وكان العسكر الرومي يفاجئ عسكر خالد في كل مرة من باب ،لكن المسلمين كانوا في حرز منهم كل مرة ،مما أوقع الروم في حيرة حتى راقبوا من يتعامل مع المسلمين ،فوجدوا راهباً اسمه لبيب ينسل ليلاً ليعلم المسلمين بخططهم ،فيلقون القبض عليه و يعدموه ٠٠ وأما اسمه أي يدعى لبيب فيقصدون هو من دير دلبين المنوفزي ممن رحبوا بقوم العرب المسلمين وهذه الرواية تتطابق مع الروايات الموثقة الأخرى ،وكون خالد أيضا كان والياً على قنسرين .

وقد أتينا على ذكره في الفصل السابق.ومما سبق وبما يلي من بحوث .. يؤكد فرضيّتي هذه أمور ثلاث:

١ - أنّ الوثائق السريانيّة : قد ذكرتها ، في حين أغفلتها كتب الفتوح الإسلامية ، لا لأنها لم تكن موجودة ، كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، بل لأنّه لم يجرِ فيها ما يستحق الذكر ، من معارك أو مفاوضات سلمية . فكتب التأريخ تذكر الحادث الأهم.. ١-عدم وجود بقايا أثرية في إدلب وقراها المجاورة ترقى إلى العهدين الأموي والعباسي. لكن هذا القول لا يمنعنا التعليق أنه يوجد في معرة مصرين وسرمين وفوعا وإدلب الكبرى آثار دراسة سيكشف عنها مستقبلاً فالمؤرخون ذكروا وجود أسوار أو بروج فيها وأنها قديمة ،والرحالة أشاروا إلى البقايا الأثرية تحت الأرض ولعلها من هذين العهدين ٠ وفي نحليا إلى

الجنوب الغربي من إدلب آثار مجد قديم من القرن الثاني الهجري فتأمل ! كما اكتشفت في حريتا عملة ترقى للعهد الأموي .

٢- لم يرد ذكر اسم إدلب وقراها المجاورة في حوليات هذين العهدين باستثناء سرمين ومعرة مصرين ذكرتهما مدونات العباسين ،وفيما بعد في عهد الإمارة الحمدانية وكما سيرد لاحقاً .

٣- إن وجود ذكر لإدلب وقراها المجاورة في مدونات العهد الأيوبي والحروب الصليبية، دلالة على بدء أهميتها بالتوطن السكاني أولاً ، وبالعمران ثانياً(٣).. ((ومن الأحداث مع الروم غزوة معاوية بن أبي سفيان سنة ٢١ للهجرة ، وصلح أبي هاشم ابن عتبة على كيليكية وإنطاكية ومعرة مصرين ، وجاشت الروم سنة ٢٤ هـ لجورج تشالنكو رأى ١ /١٤٣ يقول من المحتمل جداً أن الكتلة الحوارية في العهد الأيوبي استوطنها المسلمون في السهول الواقعة بين حلب وقنسرين٠٠) وبعد إطلاعي -كاتب السطور – على الكتابات المنقورة في مدافن المسلمين في المنطقة توصلت إلى النتيجة ذاتها ،ولكن ببعض التحفظ في جبل الزاوية في سفحه الشمالي وغيره من خلال الكتابات العربية ٠ وهناك دراسة لجانين سورديل حول توطن السكان في العهد الأيوبي ،توصلت إلى النتيجة ذاتها ، وكما سيرد فيما بعد ولكن أخالف تشالنكو الرأي بعد إطلاعي على الوثائق العثمانية وكما سيرد من الأحداث الهامة....

حتى استمدّ من بالشام من جيوش المسلمين من عثمان مدداً ، فأمدهم بثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة ، فدخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم،وشنّوا الغارات، فأصاب الناس ما شاءوا من سبي ، وملئوا أيديهم من المغنم ، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة [1]..))

غزو الإمبر أطور البيزنطي في المنطقة، وهنا يسعى سيف الدولة لمفاوضته صلحاً مع دفع الجزية ، ولكن نقفور يرفض ويشترط حصوله على نصف الشام مقابل ذلك . وبعد وفاة سيف الدولة في شهر صَفَرْ من ٣٥٦ هـ / شهر كانون الثاني ٩٦٧ م تبدأ الدولة الحمدانيّة بالضعف ، ويعود الروم إلى سابق

---

[1] - كرد على : خطط الشام١/١٠١

عهدهم في المنطقة ، إذ يخرج ملكهم نقفور فوقاس سنة ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م إلى شمال بلاد الشام ويحتل معرة مصرين ويخرب جامعها ..وأكثر دورها ، ولكنه يؤمن أهلها من القتل ، وكانوا ألفاً ومائتي نفس فيأسرهم ويسيرهم إلى بلاده , وفي رواية أخرى أنه غدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف وستمائة نسمة([1])، وكلف أخاه بطرس فوقاس بقيادة الجيش الذي تركه في المنطقة .
وهكذا يمكن القول : إن إدلب وما يجاورها , قد احتلها الروم البيزنطيون في ذلك العام ،لتدخل بذلك عهداً جديداً ، خاصة بعد أن تمكن هؤلاء من احتلال حلب التي كان يحكمها قرعويه ، وقد تم عقد اتفاقية هدنة بين الطرفين في صَفر ٣٥٩ هـ / ديسمبر ٩٦٩ م , وافق البيزنطيون فيها على أن يحكم حلب أمير مسلم لكن الشروط التي وضعوها جعلت من هذا الحاكم مجرد تابع لهم ، وتحت إشرافهم من هذه الشروط فرضهم الجزية على كل صغير وكبير من سكان البلدان التي شملها توقيع الهدنة ، ومبلغ هذه الجزية دينار ، قيمته ستة عشر درهماً إسلامياً ، وأن يحمل إليهم في كل سنة سبعمائة ألف درهم , ومن هذه البلدان : كفر طاب ، معرة النعمان, جبل السماق, معرة مصرين، قنسرين، والأتارب([2]),

ويبدو كما يتضح من هذه المعاهدة أن إدلب وقراها المجاورة كانت تابعةً ادارياً إلى معرة مصرين ، التي أضحت في عهد الحمدانيين من الحواضر الهامة .
ولكن سعد الدولة لا يعترف بالمعاهدة الموقعة بين قرعويه والروم ، وظلّ في معرة النعمان ثلاث سنين ، وبعد غارات متبادلة من الطرفين انسحب الروم سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م من الشام لانشغالهم بالحروب في آسيا الصغرى .

---

[1] - ابن العديم : زبدة ١ /١٦٣ ، سامر – فيصل : الدولة الحمدانية ٢ /٦٣ و١٩٥ .

[2] - ابن العديم : زبدة ١٥٨/١ وعند يحيى بن سعيد في تاريخه ص١٣٥ ما يقرب من هذا الوصف، وذلك في حوادث ٣٥٧ ه (أن نقفور نزل على معرة مصرين وأمن أهلها من القتل ،وكانت عددهم آلفا ومائتي نفس وسيرهم إلى بلاد الروم)وعند كرد علي في خطط الشام ٢٠١/١ (ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف ومائتي نسمة) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤ /١٨ .

بعد أن يعود سعد الدولة أبو المعالي بن سيف الدولة عام ٩٧٧م إلى حلب ليستقر فيها يولي عليها بكجور، و تقام الدعوة له وفي سائر أعمالها كمنطقة إدلب . وأما الروم فبعد انتهاء مشكلاتهم الداخلية ، يعاودون التوغل في بلاد الشام ثانية ، وذلك في سنة ٣٧١هـ / ٨١-٩٨٢ م الأمر الذي اضطر سعد الدولة إلى توقيع الهدنة معهم معترفاً لهم بالسيادة . لكنه عاد فنقضها وتمرد عليهم ، فيقبل عليه باسيل ملك الروم ثانية على رأس حملة تحاصر حلب , ويفتح حمص وشيزر .. وفي سنة ٣٨١هـ يتوفى سعد الدولة أبو المعالي ، فيفتح الروم الثغور والدروب وسرمين(١) ، ويقررون عقد معاهدة بين الطرفين حتى وفاة صاحب حلب سعيد الدولة أبو الفضائل بن سعد الدولة سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م ، ونضيف في سنة ٣٨٤هـ سعى البرجي الروم في الإغارة مع قوم من أنصاره على أعمال حلب ، فأسروا وسبوا وهربوا..ونزل البرجي والمليسنوس بالعساكر في الأرواج – أي الروج اليوم – ونزل على شاطئ النهر المعروف بالمقلوب - أي العاصي - مقابل عسكر الروم .. والنهر بينهما ... انهزم الروم وتخلوا عن البرجي ، وقُتل من عسكر الروم زُهاء خمسة آلاف .. وسميت هذه الواقعة بوقعة المخاضة ، وعاد البرجي والمليسنوس إلى إنطاكية(٢) . والجدير بالذكر أن هذه المنطقة قد نعمت برعاية الحمدانيين واهتمامهم ، وخاصة معرة مصرين التي كانت منتجعاً لهم فابتاعوا فيها الأراضي ، ويذهبون إليها أوقات راحتهم يمضون فيها بعض لياليهم ، فبنوا فيها القصور والدور ولذلك عُرفت باسم ذات القصور...أما بنو كلاب فيثبتون مواقعم في الشمال السوري ، وعلى الأخص في سرمين وحلب – كما سنذكر في بحث السكان – وفي كل هذا قال أبو نصر منصور بن تميم الزنكل السرميني من قصيدة يذكر فيها مآثر بني كلاب :

أليس هم ردوا ابن حمدان عنوة ... على عقبه لا يتقون العواقبا
أليس ابنه يوم الفنيدق قادهُ ... دُنين أبي كلبٍ وعَرَّاه سالبا

و بعد هذا الانتصار قويت شوكت أحداث حلب ,ويبدو أن بيزنطة أرادت استغلال هذا الوضع عن طريق واليها في إنطاكية, فأوعزت إليهم للتمرد على سلطة حاكم حلب ثمال بن صالح والملقب بمعز الدولة في سنة ٤٥٤هـ, ولكنهم

قرروا إرسال وفد منهم إلى إنطاكية للتباحث مع واليها على تسليم معرة مصرين أولاً, ثم التدرج منها إلى غيرها, قائلين له : (حزبنا في حلب و أصحابنا تحت أوامرنا) أي أنهم أرادوا إشعال الفتنة الداخلية, وإشغال ثمال في حرب داخلية كي يخرج من حلب إلى معرة مصرين و سرمين وغيرها, ثم يبدؤون بتسليم مقاليد السلطة بحلب ولكنه يعلم بخطتهم فيحضر منهم قوما و يقاتلهم([1]) .

ثانياً- غزو الإفرنج، واحتلالهم المنطقة : أصبحت إنطاكية التي استردها السلجوقيون عام ١٠٨٥ م من البيزنطيين، تحت حكم الأمير السلجوقي يغي سيان عام ١٠٨٧م ، حيث واتته الفرصة للاستقلال بها، بسبب الخلافات بين رضوان حاكم حلب ،وأخيه دقاق حاكم دمشق. ولكن قدوم الإفرنج أخل بموازين القوى في المنطقة، فيستنجد سيان بدقاق، بعد أن حوصرت إنطاكية من قبلهم مدة أكثرمن سبعة أشهر (الصورة٩٦) ومن خلال هذا الحصار قاموا بنهب القرى والضياع المجاورة لنهر العاصي، مع أنهم كانوا بحاجة إلى راحة، ولكن رؤساءهم قرروا في شهر تشرين الثاني ١٠٩٧ م متابعة زحفهم لاحتلال هذه المنطقة، ويغلب على تفكيرهم هجماتهم المثمرة والساحقة لاقتسام ضواحي المناطق المحيطة بإنطاكية. وأصبحت ناحية الروج تابعة للبروفنسيين (الجنود الريفيون في مقاطعة بروفنس في فرنسا) منذ هجوم بيير دوركس إلى أرضها، وبروفنس آخر يدعى دوبيليه، اخترق جبل السماق (غرب إدلب بعد مروره في سهل الروج) ثم جبل الزاوية نحو تل منس، ولكنه يستولي عليها، إلا أن الحامية الإسلامية في معرة النعمان تطرده منها ،كما أن قوات دقاق القادمة من دمشق تخسر المعركة أمام قوات بوهيمند وروبير بجوار البارا أواخر كانون الأول ١٠٩٧م ، " ولكن ابن العديم يقول: تفوقوا عليهم وقتلوا جماعة كبيرة خمسين رجلاً " وفي طريق عودتهم إلى معسكرهم اتجهوا شرقاً إلى الروج حتى وصلوا معرة مصرين، وتمكنوا من قتل من وجد فيها

---

[1] (١)زبدة٢٨٧/١،وإمارة حلب١٣٢.



(الصورة٩٦) حصار أنطاكية١٠٩٨م- منمنمة وسطوية



(الصورة٩٧) جامع معرة مصرين-العهد الأيوبي

وكسر منبر جامعها، ونهب كل ما وجد فيها من زاد وطعام))(الصورة٩٧) وفي شباط ١٠٩٨ م أرسل رضوان حاكم حلب قواته، تلبية لطلب سيان النجدة من سيده الذي استقل عنه، لكن الصليبيين تمكنوا من صدهم قرب جسر الحديد(الصورة٩٨) قبل إنطاكية، وتراجع المسلمون إلى حصن حارم (الصورة٩٩)، والصليبيون يتعقبونهم وتضطر حامية حارم إلى الفرار بعد أن تشعل النار في الحصن ،وهكذا يتم لهم الاستيلاء على حارم بمساعدة من أهلها الأرمن.. وأما يغي سيان، فبعد أن خسر إنطاكية هرب إلى أرمناز، ومعه خادم من غلمانه لكن الأرمن يعترضونه ،وهو في طريقه إليها ،ويقتلوه ويحملون رأسه إلى الفرنجة،وتقول رواية أخرى أنه خرج " من إنطاكية مع خلق عظيم ولم يسلم منهم شخص.أما هو فقد سقط عن فرسه عند معرة مصرين نحيث حمله بعض أصحابه وأركبوه ،ولكنه لم يثبت على ظهر الفرس ،وسقط ثانياً فمات ... " وأما العظيمي فقال إنه مات من العطش وهو في الطريق ... مما سبق نخلص إلى ما يلي:

١ - إن النواحي الغربية الشمالية من منطقة إدلب قد أصبحت بيد الفرنجة في عام ١٠٩٨م، وكان أكثرية سكانها من الأرمن المسيحيين، أو الأرثوذكس، ما عدا البارا فقد كان سكانها مسلمون .



(الصورة٩٨)جسر الحديد على نهر العاصي (الصورة٩٩) قلعة حارم من الجو(١٩٣٦م)

٢- إن تمزق ،أو تشتت القوات الإسلامية، وبالتالي هزيمتها يعود إلى عدم توحيد جبهتهم، فقوات دقاق المنهزمة قرب البارا لم تشأ التنسيق مع قوات رضوان القادمة من حلب، والتي تجمعت في حارم مما أتاح للفرنجة الاستفراد بكل منهما على حدة .

٣- يبدو أن المسلمين لم يكونوا على دراية تامة بإمكانيات القوات الإفرنجية، والتي بلغ عددها ثلاثون ألفاً في الروج، واتجهت نحو معرة مصرين، وما يجاورها، وهو عدد ليس بالقليل، إذا ما قورن بعدد القوات الإسلامية . وهذا ما حدث في حارم أيضاً ـ انظر كتابنا حارم دمشق الصغرى _ . بعد تحقيق هذه الانتصارات بادر ريموند لدعوة الأمراء الفرنج للاجتماع به في الروج، حيث حاول استمالتهم بالمال كي يقبلوا قيادته وزعامته ،وفي هذا الاجتماع تعادلت قوة ومكانة روبرت النورمندي مع جودفري الذي كان معه وقت اجتماع الروج نحو ألف فارس، وكان مجموع الحملة يتراوح بين ٤٢٠٠ و ٤٥٠٠ فارس و ٣٠ ألف من المشاة، يضاف إلى ذلك، ما اقتضته الحاجة من استخدام المدنيين ! وهكذا فإن نشوة الإنتصار

والرغبة في السيطرة على المنطقة دفعهم لتوجيه قسم من القوات نحو الجنوب لاحتلال معرة النعمان، أما القوات المتبقية في المنطقة، فقد تمكنت سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م من احتلال سرمين بعد احتلالها كلا [الآن كللي] وزردنا ... وحين علم رضوان ملك حلب بذلك توجه لاسترداد ما بيد الفرنجة في غربي حلب " فيقيم في الأتارب أياماً ثم يتوجه إلى (كلا) لإخراج الفرنج منها، فاجتمع من كان في الجزر وزردنا وسرمين من الفرنج وفي رواية إفرنجية (خرجت الحاميات الفرنجية منها بقيادة (بوهمند ، وبيمند) " وكان المسلمون في خلق، والإفرنج في مائة فارس، فقتلوا خلقاً وأسروا خلقاً والكسرة يوم الجمعة خامس من شعبان " " فانهزم رضوان واستبيح عسكره، وقتل خلق كثير، وأسر قريب من خمسمائة نفس، وفيهم بعض الأمراء في ٥ تموز ١١٠٠ م " هذا الإخفاق الذريع دفع برضوان للاستنجاد بحاكم حمص، في حين كان الانتصار دافعاً للفرنجة كي يتجمعوا ثانية بالجزر، وسرمين، وأعمال حلب لجمع الغلال، والعــدد، اســتعداداً لحصار حـلب في .... هـ وقيل حدث هذا قبل . وما يهمنا ذكره هنا أن الفرنجة، بينما كانوا يتقدمون لاحتلال مناطق أخرى، يهزمون بأرض مرعش (من الثغور) (الصورة١٠٠)، ويتم قتل معظمهم، وأسر قائدهم بيمند على يد الدانشمند في سنة ٤٩٤ هـ، ولذا راحوا يخلون المناطق التي احتلوها من أعمال حلب، تاركين جميع ما أعدوه، وهكذا يخرج إليهم رضوان ثانية، فيستولي على الغلال التي جمعوها، ثم ينزل سرمين، ويُقبِل جناح الدولة ـ حاكم حمص ـ إلى أسفونا ـ غرب سرمين ـ وبها جماعة من الفرنج، فيهاجمها ويقتل جميع من فيها ثم يسير إلى سرمين، لمباغتة جيش الملك رضوان، فينهبه، وينهزم رضوان وأكثر جنده، وتم أسر الوزير أبي الفضل بن الموصول وجماعة معه، وحملهم إلى حمص . ويبدو أن الخلاف قد دب من جديد بين الحكام المسلمين، الذين لم ينظروا للخطر المحدق بهم ، ولم يدركوا أهداف الحملة الصليبية فهذا رضوان يستنجد بجناح الدولة، لكن الأخير يلاحقه جنوده بدلاً من مؤازرته، والسبب أن " الحكيم المنجم الباطني " كان قد أوقع الخلاف بينهما، ولهذا طلبه جناح في سرمين لكنه ينجو منه فاراً إلى حلب . ويظل

جناح في سرمين مستغلاً لها بالإضافة إلى معرة النعمان وكفر طاب ،هذا الخلاف ساعد الفرنجة على استرداد معظم مواقع هذه المنطقة من المسلمين، ولم يبق في أيديهم غير حصن بسرفوث من عمل بني عليم سنة ٤٩٥ هـ (الصورة١٠١) كما أن الخلاف الذي استفحل بين حاكم سني عربي (جناح الدولة) وحاكم سلجوقي تركي شيعي إسماعيلي المذهب (رضوان)، وبينهما هذا الحكيم المنجم الباطني والذي سنعود إليه في بحثنا عن الاسماعيلية، قد أدى إلى ضعف الجبهة الداخلية خاصة بعد اغتيال جناح الدولة (٤٩٦ هـ) بحمص في الجامع من قبل ستة نفر أحدهم يعرف من أهل سرمين " انتقاماً لدخوله سرمين واستغلالها في السنة الماضية . وفي هذه السنة أيضاً مات الحكيم العجمي الباطني بحلب والذي كان ملاحقاً من قبل جناح الدولة في سرمين، وفر منه .



(الصورة١٠٠) قلعة مرعش

(الصورة١٠١) بسرفوت – نحت لأسد على صخرة

هذا الوضع استغله الفرنجة عند الفرات، حيث ساروا شمالاً إلى الفرات لكن خسارتهم في موقعة حران، أو البليخ، ساعدت رضوان لاسترداد القلاع والمدن الغربية من حلب حيث أرسل إلى أنصاره في الجزر، وغيره من

أعمال حلب يحرضهم على التحرك ضد الفرنجة ،والقبض عليهم ، وبمساعدة أهاليها المسلمين الذين انقضوا بالقتل على حكامهم الفرنجة "



(الصورة ١٠٢) كفر البارا صورة جويّة (الصورة ١٠٣) من آثار برج هاب ق .٢م

فوثب أهل الفوعة، وسرمين، ومعرة مصرين ،وغيرها على حكامهم الفرنجة " سنة ٤٩٦هـ . وهكذا اضطر الفرنج في بعض مواقعهم إلى طلب " الأمان من رضوان فأمنهم من القتل، وحملهم أسرى، ولم يبق بأيدي الفرنج غير الجبل ،و هاب و حصون المعرة ،وكفر طاب ... فوصل شمس الخواص وفتح ... وهرب من كان في كفر طاب، وبلد المعرة ،والبارة(الصورة١٠٢) إلى إنطاكية، وسلموها إلى رضوان وأصحابه ما خلا " هاب ".. " وهكذا يتبادل المسلمون والفرنجة مواقع هذه المنطقة بالحرب أو التسليم ففي هذه السنة ٤٩٦ هـ والتي كانت نواحي ـ الجبل ـ أي جبل السماق، وفيه حصن هاب ،أي غرب إدلب بيد الفرنجة.. (الصورة١٠٣) تم تحريرها منهم على يد شمس الخواص، وبقي حصن هاب في أيديهم إلى سنة ٥٤٣ هـ ففي سنة ٤٩٨هـ / ١١٠٤ م / يتم تنازل أرمن أرتاح(١) عن حصنها إلى رضوان للتخلص من جور الفرنجة، وحين يذهب رضوان لاستلام الحصن، يخرج طنكريد من إنطاكية لاستعادته، ويلتقي الجيشان ولكن فرسان المسلمين تهرب، وتترك راحلهم، ويقع القتل فيهم فلا يسلم منهم إلا القليل ـ قتل منهم ٣ آلاف فارس وراجل وهرب من بأرتاح من المسلمين ... ويقرر الفرنجة الزحف إلى

بلد حلب واحتلالها ... وهكذا احتلوا المنطقة ثانية من ليلون إلى شيزر، أي من سفح جبل سمعان (ناحية الدانا) إلى شمال حماه " وتبدل الخوف بعد الأمن والسكون، وهرب أهل الجزر، وليلون إلى حلب، لكن خيل الفرنج أدركتهم، فسبوا أكثرهم ،وقتلوا جماعة منهم، وكانت هذه النكبة على أعمال حلب، أعظم من النكبة الأولى على كلا . ونزل طنكريد على تل اغدى(تل عدى اليوم في ناحية الدانا –منطقة حارم)ـ من عمل ليلون، وأخذه ،وأخذ بقية الحصون التي في عمل حلب ، ويؤكد ابن العديم أن ((رضوان لم يبق في يده من الأعمال الغربية غير الأتارب)) أي منطقة إدلب بكاملها خضعت للاحتلال الفرنجي مجدداً ،والجدير بالذكر فإن حصن أسفونا ـ جنوب غرب سرمين ـ قد كان لبني منقذ حكام شيزر في حماه ،وأخذه الفرنجة منهم، لذا فقد دعا مرشد وسلطان من بني منقذ، التعاون مع الآخرين، وخاصة إحدى القبائل العربية لاسترداد هذا الحصن، وتتم المعركة في ٢٥ تموز ١١٠٤ م دون جدوى . والجدير بالذكر أن مدناً أخرى قلدت أرتاح كـ معرة مصرين وسرمين والمعرة ... وكذلك الحاميات الإفرنجية الواقعة على الحدود كالبارا، أحست بأنها قد تعزل، فلم يسعها إلا الانسحاب إلى إنطاكية، لكن أمير إنطاكية أعاد تجميع عساكره، واستطاع استرداد هذه المنطقة بسرعة ويبدو أن أهل سرمين الإسماعيلية استفحل أمرهم واشتد عودهم، إذ بعد قتلهم جناح الدولة ـ وهو زوج أم الملك رضوان وحاكم حمص انتقاماً ،وكما ذكرنا سابقاً، عادوا إلى أسلوب الاغتيال، فبعد عودة خلف بن ملاعب الذي اختاره أهل أفامية والياً عليهم، بمؤازرة من مصر قتلوه سنة ٤٩٩ هـ لكسره عسكر رضوان في سرمين وأسره أرباب دولته وديوان وزيره أبي الفضل بن الموصول... وفي سنة ٥٠٣ هـ / وفي رواية أخرى ٥٠٤ / تتم هزيمة أخرى للإفرنج عند الفرات، فكانت فرصة سانحة لرضوان ملك حلب، ليخرج إلى أعمالها / إلى نواحيها بلغة اليوم / حيث استعاد ما كان غلب الإفرنج عليه منها، وأغار على عمل إنطاكية، وغنم منه غنيمة وافرة، ولما علم بخبر عودتهم إلى حلب عاد إلى حلب، ووصل الإفرنج عقيب ذلك، فأفسدوا في عمل حلب، وقتلوا وأسروا خلقاً كثيراً.. " وأراد تنكريد تثبيت قوته في المنطقة، فأعد المجانيق لدك سور الأتارب، وأعطى الأمان لأهلها، ولكن حين طال الحصار، دك أسوارها وضايقها،

وملكها بالسيف وقتل منها ألفي رجل وأسر الباقين، وفي رواية أنه خرج منها من أراد الخروج، وأقام من آثر المقام ... ثم اتجه إلى حصن زردنا وفعل به كما فعل مع أتارب في ٥٠٤ هـ / كانون الأول ١١١٠ م ونتيجة لهذا التراجع في صفوف المسلمين، يقرر رضوان التصالح معه بعد أن خسر الأتارب، وزردنا على أن يرسل له من مال حلب في كل سنة عشرين ألف دينار مقاطعة وعشرة من أجود خيوله، إضافة إلى إطلاق سراح الأسرى، واستقرت الأمور على ذلك، وهكذا لم يبق بيد رضوان من الأعمال الغربية شيء أي أن كامل منطقة إدلب أصبحت بيد الفرنجة وتحت حكم تنكريد ... ولا يأتي عام ١١١١ م إلا و الجبهة الإسلامية في حالة تفكك تام، رغم إرسال قوات من الشرق الإسلامي .. وعلى العكس من ذلك نجد الإفرنج يعقدون اجتماعاً لتوحيد صفوفهم، إذ يستدعي تنكريد " أتباعه من سائر جهات إنطاكية، فيقدم إليه جاي الملقب بـالمعزة، من طرسوس والمصيصة، ورتشارد صاحب مرعش، وجاي المعروف باسم الزّانة سيد حارم، وروبرت صاحب السويدية، وروجر مونتمارين صاحب ،أو سيد هاب، ومارتن صاحب اللاذقية، وبونابلوس صاحب سرمدا، وبونز صاحب تل مَنَس وغيرهم ... " ودعاهم ليكون الروج قاعدة له للقيام بتحركات إضافية ضد العدو .. وهذا الموقع الممتاز الذي اختاره في روجيا (الروج) و المحاط بعدة حصون ظل فيه منتظراً وصول الملك بولدوين، وبرتراند أمير طرابلس، وبولدوين أمير الرها .. وما إن اتحد الإفرنج ،وتجمعوا حتى زحفوا باتجاه أفاميا(الصورة١٠٤)، حيث يتمكنون هناك الاحتكاك بالمسلمين المعسكرين في شيزر .. " (الصورة١٠٥) في عام ١١١٤ ليلة ٢٩ تشرين الثاني وقع زلزال شديد أحدث دماراً خطيراً في شمال سورية وهدم الكثير من القلاع والحصون، وأشرف روجر شخصياً على ترميم قلاع إمارته ،خاصة القريبة من عدوه ".. " وفيها هدم سور زردنا " من شدة هذا الزلزال .



(الصورة١٠٤) أفاميا- شارع الأعمدة

(الصورة١٠٥) قلعة شيزر- رسم لأحد الرحالة

ثالثا - معركة دانيث ١٥ أيلول ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ : لقد أشرنا إلى طلب أهل حلب النجدة من الأمراء الآخرين، ومن خليفة بغداد، أو من السلاجقة، بعد أن استفحلت شوكة الإفرنج في المنطقة، وتأكد خطر غزوهم ... أرسل السلطان محمد بن ملكشاه العساكر إلى حلب سنة ٥٠٩ هـ بقيادة برسق، لكن برسق هذا لا يتمكن من تجميع كل العساكر وتوحيدهم بسبب اختلاف قادتهم خشية من نفوذ عساكر السلطان في الشام حتى إن بعضهم فضل التعاون مع الفرنجة .. لهذا اتجه إلى كفر طاب(غرب خان شيخون) ليحاصر حصناً هناك بناه الفرنجة بجامعها، فاسترده وسلمه لبني منقذ " ... وعاد بعسكره إلى معرة النعمان، وانتشروا في أعمالها، ثم يقرر برسق الاتجاه نحو حلب، فيعسكر غرب سرمين يرافقه جامدار أمير الرحبة الذي يتركه إلى بعض الضياع المجاورة ... لكن بعض الروايات تقول((أنه عسكر قرب دانيث (الصورة١٠٦) وهناك رواية إفرنجية تقول / وهذا ما أرجحه / أن روجيه أمير إنطاكية تلقى في ١٤ أيلول معلومات تفيد بأن المسلمين (الصورة١٠٧)الذين لم يكونوا على استعداد للقتال بدؤوا يعسكرون في موقع للماء في وادي سرمين " وهي ترجمة نص لاتيني ترجم خطأ والصحيح أنه موقع قرية الينابيع شرق إدلب وغرب سرمين،وشمال تل دانيث، وكان من



(الصورة١٠٦) تل دانيث شرق ادلب

(الصورة١٠٧) منمنمة وسطوية تمثل معركة بين المسلمين، والفرنجة.

الطبيعي أن يعسكر برسق في موقع وسط كهذا، ولذلك وجدنا بعض جنوده يذهبون إلى مزارع سرمين وإدلب من أجل العلف ،كما روى ذلك مؤرخنا ابن العديم، والإفرنج .

وأما على الجبهة الإفرنجية فإن روجيه لم يشأ بعثرة عسكره، ولم ينتظر قدوم المساعدة من بلدوين أو من جهة بونز أو من طغتكين .. بل غادر إنطاكية مسرعاً بعد أن دعا بلدوين أمير الرها لنجدته. وبعد حصوله على مباركة بطريرك إنطاكية برنارد دوفالنس له ولجنوده في حفلة مثيرة في ١٢ أيلول ١١١٥ م للتبريك العام، وقد بعث معهم بقطعة من الصليب المقدس ... اتجه روجيه بعسكره جنوباً محاذياً نهر العاصي نحو قلعة الروج (شاستل الروج أو روجيا) " وهنا لي تعليق هام فهذه القلعة قد حار في أمر موقعها الباحثون الأجانب(غروسيه ، وكاهن ،ودوسو) وغيرهم ـ وأنا أرجح أنها موقع (قلعة) حربتا غرب إدلب بـ ٢ كم(الصورة١٠٧) لتوسط موقعها بين الروج وجبل السماق وفتحة الروج الغربي إلى السهل الشرقي بحيث أنها كانت تشكل نقطة مراقبة، ونحن و قد لاحظنا من خط سير الحملات الإفرنجية من إنطاكية أنها كانت تمر من الروج إلى الشرق نحو الجزر (معرة مصرين وغيرها) ولم نجد أي موقع آخر فيه هذه المواصفات من حيث الموقع، أو البناء غير هذا ـ (راجع بحث حربتا وقلعتها في الجزء٣) اختارها إذن روجيه بنفسه لتكون نقطة ملاحظة ،ورصدنفقد كانت محصنة بشكل جيد، وفي الحقيقة كانت مؤهلة

لذلك إضافة إلى موقعها في مرتفع يرصد الغرب، والشرق، والشمال، والجنوب(الصورة١٠٨) .. وكان برسق أيضاً يتجه شمالاً،



(١٠٨) قلعة حربنا من الشرق-غرب ادلب(حصن روجيا سابقاً)

ولكن في الداخل بخط مواز لحركة روجيه بشكل غير مباشر، وبعد تكليف جماعة الاستطلاع يهرول أحدهم من جماعة روجيه .. "ويبدو أنه بعد أن عسكر في الروج راح إلى جبل السماق الواقع في حدود إدلب، وسرمين جاء العسكر في برج هاب (هابا في وثائقهم) ولازم أحدهم حركة هذا الجيش الفرنجي، والتي كانت محجوبة عن عيون المسلمين المعسكرين في الغرب من سرمين بواسطة غابة فيلون، وكأنها غطاء للفرق العسكرية في جنوبي إدلب.

كما أن الفرنجة لم يتمكنوا من رؤية الأتراك [أي السلاجقة المسلمين] ، وكانوا يخشون اجتيازهم فقرروا الزحف بطحاً على بطونهم لكن أحد الخيالة المرسل كأول كشاف و يدعى تيودور برنفيل هب مهرولاً ومسروراً إلى قلعة الروج قائلاً " إن العدو قريب منهم وأنه قد شاهد جيش السلطان يجتاز الغابة في طريقه إلى تل دانيث قرب سرمين، حيث ينصبون الخيام بأمان زائد في غابات سرمين بدون أن يشك أحد بقرب الإفرنج منهم... "

وفي ١٤ أيلول ١١١٥م زحف جيش الإفرنج على الحافة الفاصلة بين الجيشين، وفي رواية لأحد مرافقي الحملة (أن الجيش النورماندي كان مسروراً لهذه المفاجأة المحضرة باسم الإله للسلاح والخيالة، هكذا بارك روجيه كل هذا بالصورة الأصلية للصليب الممثل للخيالة الذين امتطوا سروج

خيولهم واتجهوا نحو دانيث وقت الغسق ..." نظم روجيه فرق جيشه، بحيث تولى هو قيادة فرقته بالمركز، أي القلب، وتولى بودوان أمير الرها، قيادة الجناح الأيسر، وأما الجناح الأيسر إلى اليمين، فقد تولى قيادته (تركوبل ([1]) ، كما تولى قيادة المؤخرة روبير فلكوي، أو روبير بن فلك ،والذي قيل أنه سيد زردنا وحصن صهيون " ... "

وبناء على رواية ولتر، أعاد هيرمن بمهارة تركيب التشكيل الذي دخل به الإفرنج المعركة بحيث تولى بودوان قائد الجناح الأيسر شرف الهجوم، وتقدم على القلب، في حين ظل الجناح الأيمن، متمركزاً في مكانه أبعد من هذا إلى الخلف، وذلك لأنه عندما هاجمته مجموعة مؤلفة من ٣٠٠ تركي (أي مسلم)، مرت حسبما يروى لنا من وراء حربة القائد "

وبذلك اقتربت فرق الجيش المسيحي الثلاث، في صفوف منسقة من العدو، بينما قذف بالجناح الأيسر إلى الأمام، رد الجناح الأيمن إلى الخلف، وما أن بدأ القتال، حتى أصبحت نتائجه مضمونة بسرعة . ففي الجناح الأيسر، سرعان ما سحق الإفرنج القوة الرئيسة للأتراك، الذين انسحبوا إلى سفح تل خلف معسكرهم في حين احتل روجيه المعسكر نفسه .

وفي الجناح الأيمن فقط كان الإفرنج في حرج دائم ، فقد تراجع التركوبول الذين استخدمهم الإفرنج كرماة، وربما كانوا فرساناً أيضاً أمام الهجوم المضاد الأول للعدو، وتدافعوا بعنف في اتجاه الفرسان الذين تبعوهم .(الصورة١٠٩) ولفترة من الزمن انتشرت الفوضى في الصفوف المسيحية في هذا الجناح، ولكنهم، وبالقتال الذي لا يعرف الكلل، استطاعوا استعادة قوتهم، وأكسبهم نجاحهم الجارف في القلب، والميسرة نصراً حاسماً ... "

ومن الأسباب أيضاً أن جيش المسلمين لم يكن مهيأً لمواجهة هذا الهجوم الفجائي بعد أن كان غارقاً في فوضى الأمتعة التي أمامه ،والحيوانات، وكانت الفرق تتبعه لجمع الأمتعة بشكل سري ،فالسير في المنطقة كان يتم بأن تتماسك

---

[1] هم جند في خدمة الفرنج, أباؤهم أتراك أو عرب , وأماتهم يونان , وهم جنود استطلاع وفرسان .

أيديهم ببعض، ولم يخطر لبال أحدهم أنهم سيهاجمون هكذا بغتة . وفي رواية أن المسلمين كانوا لا يزالون يقيمون معسكرهم، والجنود لا يزالون يصلون تباعاً إلى أرض المعسكر، والخيالة ترتب أمورها، وغير مستعدة، ما عدا بعض حراس الجيش وقد أشرنا كيف أن برسق قد انفصل عنه بعض مساعديه الأساسيين نحو بزاعة، وآخرون ذهبوا إلى مزارع سرمين وإدلب للحصول على العلف والاحتطاب .

بحيث أصبح برسق بدون خبرة قادته " وتم هجوم الفرنجة غير المتوقع، فوثبوا عليهم من أعالي الأشجار، واندفعت الفرسان الفرنجة إلى الإنطلاق كالعاصفة إلى حيث كان المعسكر الخالي من المدافعين إلا من بعض حراس الجيش، ولم يكتمل إعداده بعد، فتم ذبحهم، وبلحظة أخذوا المعسكر، ولم يضع الفرنجة وقتهم في التفتيش، بل تابعوا هجومهم على الفرق التركية التي جاءت تباعاً، وبنظام مشتت وجدوا أنفسهم بكثافة غير متوقعة ... ويتمكن برسق من تجميع ٨٠٠ فارس حوله محاولاً الصمود في السهل، ولكن الفرنجة تمكنوا من رده في تل دانيث حيث كان (بودوان دوبوا) و (غى دوشتراري) في الجناح الأيسر وقد أخذوه بالمفاجأة الكبرى في المرة الثانية كما في الأولى بجناحهم حتى كاد أن يقضى على برسق لكنه تمكن من الصعود إلى التل، (أي تل دانيث) فأحاطوا به ومنعوه من النزول وقد استطاع رد العدو لفترة من الزمن، رغم يأسه من الخلاص من هذه المصيبة التي قاد جماعته إليها منتظراً الموت وسط الفرنجة، أي استشهاده في هذا المكان مقاتلاً ... وتمكنت جماعته من مساعدته على الفرار لكن الفرنجة لا يدعونه ويلاحقونه أثناء [الفرزق ... نص لاتيني قديم .. ؟] ولكنهم لم يتمكنوا منه ومن جماعته، وساروا إلى تل السلطان ويصف ابن العديم الموقف : " واستتر قوم في الضياع من العسكر فنهبهم الفلاحون وأطلقوهم، وغنم أهل الضياع مما طرحوه وقت هزيمتهم ما يفوت الإحصاء، وأخذ الكفار من هذا ما يفوق الوصف وغنموا من الكراع والسلاح والخيام والدواب و أصناف الآلات والأمتعة ما لا يحصى، ولم يقتل مقدم ولا مذكور .

وقتل من المسلمين نحو خمسمائة و أسر نحوها واجتمع العسكر على تل السلطان ..." وقد حاول تمبرك أمير سنجار(١) أن يجد لهم حلاً إذ جمع – كما ذكرنا قبلاً – ٣٠٠ فارس عند دانيث وجاء كنجدة إلى المركز الذي يقوده روجيه، ورغم انهيال السهام على فرسانه كالمطر، اتجه ضد الفرنجة ،والقبض عليهم ، وبمساعدة أهاليها المسلمين الذين انقضوا بالقتل على حكامهم الفرنجة " فوثب أهل الفوعة، وسرمين، ومعرة مصرين ،وغيرها على حكامهم الفرنجة " سنة ٤٩٦هـ .

وهكذا اضطر الفرنج في بعض مواقعهم إلى طلب " الأمان من رضوان فأمنهم من القتل، وحملهم أسرى، ولم يبق بأيدي الفرنج غير الجبل ،و هاب و حصون المعرة ،وكفر طاب ... فوصل شمس الخواص وفتح ... وهرب من كان في كفر طاب، وبلد المعرة ،والبارة إلى إنطاكية، وسلموها إلى رضوان وأصحابه ما خلا " هاب ".. ... ولم تمض شهور حتى مات برسق ألماً وغماً من جراء هذه الخسارة ولم يتمكن بعد هذه المعركة السلاجقة بإيران من استعادة الشام ولم يبق من خطر على الفرنجة إلا من الأمراء المستقلين والذين لا يشكلون عليهم أية خطورة تذكر لانقسامهم ومعاداتهم بعضهم الآخر



(الصورة١٠٩) خريطة القلاع والحصون في الحروب الإفرنجية(عن رونسيمان)

، والأهم من ذلك أن حلب أصبحت عاجزة عن منع اعتداء الفرنج عليها. وقد علق أحد المحللين الأجانب على هذا بالقول " إن انتصار روجيه أمير إنطاكية وضع حداً لسلسلة من الهجمات المضادة التي بدأت قبل خمس سنوات، وسعى رضوان لعقد الصلح ووافق على أن يتنازل عن كل ممتلكاته الواقعة بوادي نهر الاورنت , وأن يؤدي نهر العاصي(حروب صليبية) بإنتظام الجزية لتانكرد . ولم تنتهي سنة ١١٠٥م حتى امتدت أملاك تانكرد مرة أخرى جنوباً إلى البارة ومعرة النعمان .ولم يلبث الفرنج أن استردوا بعدئذ كفر طاب . وتولى أمرها فارس اسمه تيوفيل , الذي لم يلبث أن أضحى مصدر رعب للمسلمين في شيزر .فسار صوب الجنوب إزاء نهر الأورانت (نهرالعاصي) قاصداً مرج حصن الروج Chastel Rouge , بينما مضى برسق نحو الشمال , موازياً له ,إنما في داخل البلاد . ولم يعلم كل من الجيشين موضع الجيش الآخر , حتى قدم راكضاً إلى مرج حصن الروج من حملة استكشافية , فارس اسمه تيودور برنفيل , فروى أنه شاهد جيش السلطان يجتاز الغابة في طريقه إلى تل دانيث قرب مدينة سرمين . وفي صبيحة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١١١٥ , زحف جيش الفرنج على الحافة الفاصلة بين الجيشين , فانقضّ على برسق , بينما كان عساكره يسيرون مضطربين , دون أن يحفلوا بالنظام . كانت الدواب التي تحمل الأمتعة تسير في مقدمة الجيش , وتوقف بعض سرايا الجيش لإقامة الخيم ,يستظلون بها وقت الظهيرة , وصحب بعض الأمراء جماعات من الجند للاحتطاب والحصول على العلف من المزارع المجاورة , بينما توجّه آخرون للاستيلاء على البزاعة فلما نشبت المعركة لم يكن مع برسق خيرة قادته .بذل بونز , فيما يبدو , المساعدة لروجو , بعد أن وقع بينهما شيء من الشجار حول بائنة سيسيليا ,زوجة بونز و أرملةتانكرد , التي زعمت امتلاك جبلة , غير أنها اكتفت فعلاً بالروج أرزجان . انظر: حصن ارزغان شرق جسر الشغور William of Tyre XIV .5,p.612. وصحب الجيش بطرس رئيس أساقفة أفاميا ,وكان من قبل اسقفا للبارة ,ويعتبر اول اسقف للفرنج بالشرق. رينالد مازوار في طائفة من الفرسان ,فوصلوا الى بلد صغير, اسمه سرمدا ,يقع بالسهل.ولم ينج من جيش انطاكيا من القتل ,غير هؤلاء, اذ سقط روجر صريعا,وهو يقاتل ,عند قاعدة صليبه الضخم المحلى

بالجواهر . ومن حوله هلك فرسانه ,فلم ينج منهم الا عدد قليل ,واتاهم الحظ فوقعوا في الأسر .ولم تحل الظهيرة حتى انتهت المعركة... واشتهرت المعركة عند الفرنج باسم Ager Sanguinis(ساحة الدم). أما البرسقي زعيم القوى الإسلامية في بلاد الشام فقد بدأ بمهاجمة امارة انطاكية , فحاصر كفر طاب واستولى عليها في أيار ١١٢٥ م قبل وصول بلدوين الثاني ملك القدس وبعدها شرع في حصار زردنا , ولكن حين سمع بوصول نجدات إليهم , ترك حصار زردنا متجهاً إلى حصار اعزاز ..)) .. ويتم الاتفاق فيما بعد بهدنة بعد أن قام البرسقى بغارات محلية في مناطق سرمين، ودانيث عام ١١٢٦ م . ويمكن القول إن كفر طاب قد تعرضت مرات إلى الأخذ، والرد بين المتنازعين على النفوذ في المنطقة .. إذ جاء بوهمند الثاني إلى كفر



(الصورة١١٠) بقايا دير تلعدي – شمال ادلب- ناحية دانا- القرن٥-٦م

طاب لاستردادها , والتي سبق أن انتزعها آق سنقر أتابك الموصل وحلب عام ١١٢٥ م من امارة انطاكية اما الأتراك التركمان، فقد قرروا بعد مشاهداتهم الشقاق بين الصليبيين, جمعوا جموعهم وأغاروا على الأراضي الواقعة شرقي

نهر العاصي من ممتلكات نهر انطاكية , واتخذوا قواعد لأعمالهم الحربية في تلك الجهات، ومن القواعد الافرنجية التي استولى عليها زنكي عام ١١٣٥ م شرقي نهر العاصي هي زردنا، ومعرة النعمان،وكفر طاب، وتل غدي (تل عدى-الصورة١١٠- شمال دانا اليوم) ولم يَكد الصليبيون ينسحبون من اقليم شيزر، حتى أرسل زنكى قواته لمتابعة تحرير المنطقة...

رابعا - معارك التحرير، والاحتلال :

لعل ما حدث في دانيث كان له التأثير في موازين القوى لكن ذلك لم يظهر بوضوح إلا في نهاية عام ١١١٨م في شمال الشام، حيث صار للإفرنج وزنهم " ومع أنهم لم يؤلفوا حتى وقتذاك عدداً كبيراً من السكان، فإنهم تجهزوا بالسلاح، وأخذوا يشيدون الاستحكامات، وتعلموا كيف يهيئون أنفسهم للحياة، يضاف إلى ذلك أنهم أضحوا متحدين. يعتبر روجيه أمير إنطاكية أعظم الأمراء المسيحيين في الشمال دون منازع، و كما يقول رونسيمان " وعلى الرغم من أن الأمراء المسلمين كانوا يتفوقون عليهم في القوة العددية، فقد سادت بينهم الفرقة والحقد . ولم يخفف حدة الفوضى إلا ما جرى من التحالف بين طغتكين أتابك دمشق، و أيلغازي الأرتقي، وبذا رجحت كفة الفرنج قليلاً على كفة المسلمين " ولكننا نجد الأحوال تتبدل في سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م بعد اتفاق أهالي حلب على استدعاء إيلغازي بن أرتق للدفاع عن المنطقة حيث يتمكن هذا من جمع العساكر ويتحد مع طغتكين وينهضان في ١١ آب لاسترداد ما في يد الفرنجة من حصون بعد أن أعد لذلك جيشاً قوياً يزيد تعداده عن أربعين ألفاً . وبعد قنسرين تنتشر سراياه في أعمال الروج يقتلون ويأسرون الفرنجة، حتى إنهم تمكنوا من استرداد حصن قسطون في سهل الغاب ... ثم اتجهوا إلى حصن الأتارب " الذي بادرت حاميته الصغيرة إلى الإذعان، مقابل الحصول على أمان بالمضي إلى إنطاكية، وفي اليوم التالي يتوجه إلى حصن زردنا والتي كان أميرها روبرت الأبرص وعند العرب القومس الأبرص (روبارد) في طريقه إلى إنطاكية، وحين علم بالهجوم على حصنه أرسل في طلب بلدوين (عند العرب بغدوين) ملك القدس يستنجده على الخروج لإنقاذ حصنه مبيناً أن المسلمين مشغولون بالغنائم وعودتهم إلى

أهلهم .. وأما حصن زردنا والذي كان قد حصن وأحكمت عمارته من قبل الإفرنج، فقد تم حصاره حتى طلبت حاميته الأمان مقابل الإبقاء على حياتهم ,فأمنهم المسلمون وسيروهم إلى إنطاكية، وفي الطريق " لقيهم بعض التركمان فنهبوهم وقتلوا بعضهم ومضوا إلى أهلهم " وفي رواية إفرنجية " أنهم قتلوهم حالما أطلوا من أبواب البلدة)) .. " ... وبعد أن يعين إيلغازي أحد أصحابه حاكماً عليها قرر تعقب الفرنجة ويتوجه بفرقه نحو دانيث .. وأما بلدوين ملك القدس/ وعند الفرنجة الفرنسيين بودوان الثاني / فيلبي دعوة صاحب زردنا الإفرنجي ليس من أجل زردنا، بل انتقاماً لموت روجيه أمير إنطاكية ، وخسارة الإفرنج الكبرى في معركة ساحة الدم في ٢٨ حزيران ١١١٩م التي وقعت في موقع البلاط قرب سرمدا وذهب فيها معظم الجيش الإفرنجي ولم نتعرض لها في سياق بحثنا ... بل قد بلغ الأمر أنه دعا أمير طرابلس (بونز) لمرافقته بحيث صار عندهم (٢٠٠ خيمة وراجل كثير و ٤٠٠ فارس ورجال ...) وفي طريقهم مروا بقلعة الروج (قلعة حربتا) كما ذكر بعض المؤرخين بعد أن جاؤوا عن طريق سهل الروج ،ومرورهم ببعض مواقعه . وفيها عرفا أن المسلمين كانوا في أتارب ،ونواحي زردنا، ويتم تقدم جيشهم نحو هاب ثم يقرران إقامة معسكرهم عند تل دانيث في ١٣ / آب ١١١٩ وفي صباح اليوم التالي حين علما بسقوط زردنا،ثم معرة مصرين، وسرمين يقرران أنه من الأفضل الابتعاد قليلاً باتجاه إنطاكية، وفعلاً يتم ذلك ،ويتجه جيشهم نحو حامية هاب لتوقع بلدوين مهاجمة إيلغازي له . وأما إيلغازي فقد كان قد شكل فرقاً تتجه إلى دانيث لتحريرها منهم، ولصد قوات بلدوين وفي رواية أنه أي بلدوين أخذ سرمين، وفي أخرى((أن ذلك تم بعد نصرته قرب هاب وتل باشر... " ويبدو أن إيلغازي يعلم بتحركهم فيقرر مباغتتهم، وهم نيام قرب قرية هاب . ونقف هنا قليلاً لنقول مؤكدين أننا اكتشفنا هذا الموقع بالمتابعة الطبوغرافية والوثائق التاريخية، والروايات المتواترة لدى سكان الناحية التي تقول أنه في هذا المكان " جرت معركة قوية وسال الدم إلى الركب " وتبين أنه موقع قرية بحاصد جنوب إدلب، وشرق هاب، وغرب دانيث - راجع بحثنا عنها بالوثائق في كتاب لاحق - وحين بدأ الزحف الإفرنجي نحو هاب في فجر ١٤ آب ١١١٩م يشن المسلمون عليهم هجماتهم الأولى ويصف لنا (المستشار ولتر)

الترتيب الذي انتظمت فيه السرايا اللاتينية ففي روايته حول " القتال التالي تظهر ميزات الأتراك التكتيكية المعتادة : الهجوم من كافة الجوانب واستخدام الرمي بالسهام، والقذائف عند بدء خوض القتال، والهجوم اللاحق بصورة التحامية في محاولة لفرض الحسم . كان لدى الإفرنج ثلاث سرايا من الفرسان في المقدمة، وخلفها العدد الوافر الكامل من الجنود المشاة . وتمركز بونز أمير طرابلس مع فرقته في الجناح الأيمن، وروبرت فولكوي مع قوة من الفرسان الإنطاكيين في الجناح الأيسر، في حين شكلت السرايا الأخرى التي قدمتها إنطاكية، المؤخرة. واتخذ الملك مع أتباعه مركزاً تسنى له أن ينقل منه المساعدة إلى أي جزء من الميدان . والحقيقة أن قدرته على التحرك في ذلك اليوم لصالح الإفرنج . إذ شن الأتراك هجومهم الأول على المشاة اللاتين، الذين أظهروا لفترة من الزمن قدرتهم الاعتيادية على المقاومة . على أن العدو سرعان ما شتت سرايا الفرسان المتقدمة الثلاث، التي حمت وتلقت الحماية من الجنود المشاة، الذين تمركزوا خلفهم . وبتجريدهم من مساندتهم، تكبد المشاة إصابات فادحة ... وكان حرس الأجنحة قد اختفوا أيضاً . وكانت الفرقة التي يقودها (بونز) قد سحقت سحقاً تاماً كقوة محاربة . ولم يلبث أن فر العديد من فرسانه لينشروا أخبار الهزيمة اللاتينية في هاب وإنطاكية وحتى طرابلس . ودفع آخرون في اتجاه السرية التي يقودها الملك في حين واصل (بونز) وبضعة من أتباعه القتال . وفي الميمنة، كان (روبرت فلكوي) قد هزم الجنود الذين يواجهونه مباشرة وعقب المطاردة لم يعد إلى القتال، وإنما اتجه على حصانه إلى قلعته في زردنا التي لم تعد مؤخراً فقط ملكاً للتركمان . وتمت المحافظة على مقدرات المسيحيين بمهارة ونشاط الملك بولدوين، الذي قاد التعزيزات إلى حيث كانت الحاجة لها أشد ما يكون . وواجه الهجمات في كل من مقدمة ومؤخرة الصفوف اللاتينية، ونتيجة لجهوده فقط سمح له العدو بالسيطرة على ساحة القتال... " ويعلق (دولبروك) محاولاً (البرهنة على أن السرايا لم تزحف في صف جنباً إلى جنب، بل في طابور، وليس هناك أية وسيلة للحكم بين هذه التفسيرات المختلفة... " و(كوهلر) " اعتبر دون إبداء أسباب مقنعة، أن سرايا الإفرنج الأمامية الثلاث هي حرس المقدمة ، وأنها كانت تسحب إلى المؤخرة في مرحلة مبكرة من المعركة ... "... وقد لاحظ

شهود العيان اللاتين أن المسلمين كانوا يبدؤون حروبهم وهم على مدى إطلاق القوس، وفيما بعد ليفرضوا الحسم، يقتربون على نحو متلاحم ... ويمكن مشاهدة نفس المرحلتين في معركة ساحة الدم قرب سرمدا وهاب وفي حطين .. "(١) وأما (غروسيه) وهو أفضل من أرخ للحروب الصليبية يشير إلى أن " الفرنجة التجؤوا إلى المرتفعات المغطاة بالغابات جنوب إدلب، لتوقعهم أنه باستطاعتهم تغطية المنطقة الجنوبية نحو معرة النعمان، وبالإمكان تصيد الجيش التركي المعسكر في الشمال في زردنا لأنهم لم يأخذوها بالهجوم ! في فجر ١٣ آب تمركز معسكر بلدوين في تل دانيث ظناً منه أن الجيش التركي ما زال في زردنا.. ولكن الحقيقة أن التركمان كانوا قد بدؤوا يحومون حول الفرنجة وراحوا يرمونهم بالسهام وكان بودوان الثاني[هو نفسه بلدوين] قد أعطى الأوامر المشددة بأن يكون الجيش انضباطياً، وملتحماً. وأما جبهة العدو ـ يقصد المسلمين ـ فقد بدؤوا يشعرون أنهم في حالة ضعف ونقص في الموارد، حتى أن شيخ البدو دبيس(٢) يقرر عدم إمكانية أخذ المدن الكبرى من الفرنجة، فيرحل نحو الجزيرة يرافقه بدو، و تركمان من الذين تبرؤوا من المسؤولية حباً بالغنائم ... وأشار المترجم المرافق للحملة الصليبية " وليم الصوري " أنه في يوم ١٤ آب حدثت معركة قررت مصير سورية .. فالأتراك نقلوا ليلاً كل قوتهم ووضعوها أمام دانيث ليضمنوا تفوقهم العددي الكبير. أما بودوان الذي كان تحت إمرته سبعمائة فارس ،فقد قسم جيشه إلى ٨ أقسام، منهم فرقة الجناح الأيمن بأمرة أمير طرابلس . وبحركة الفرسان الخفيفة (رشق السهام) حاول الأتراك تخويفهم، ولكن التكتل الإفرنجي تلقى هذه المداهمة بصبر، وتحول إلى التحام مواجهة، وتمكن الفرنجة من سحب الفرقة التالية اليمنى تحت إمرة أمير طرابلس من المعركة،والذي هجم على جسم جيش بونس،مع أنه لم يترك وحده، إذ كان محاطاً بجماعة يأتمن إليهم، وقاوم وسط الأتراك الذين اقتحموا الجناح الأيمن، فقلبوا خطوط الفرسان التي كان بودوان وضعها لحماية عساكرهم المتميزين . وكانوا مكلفين في جمع الأموال من قبل الإسكدرون ولديهم خسارة كبيرة ... إن بودوان مع الفرق الجديدة التي هيأها للمعركة بجهده الشخصي حصل على النصر ويبدو أن زعيمي الفئتين لم يشتركا في المطاردة، إذ أن قائد معسكر ساحة المعركة لم

يصمد مع عساكره، مع أنه وجد جماعة من فرسانه المنتصرين فهجموا متتبعين المسلمين باتجاه حلب ... " كما أن الجناح الآخر من الفرنجة (الاسكندرون) والذي قد خسر في بدء العملية جماعته من الأقاليم وغيرهم، هربوا نحو برج هاب (هابا عندهم)، وآخرون نحو إنطاكية مع أن ملك القدس قد بقي مع بعض الناس، وهذا ما دفع بعض المؤرخين العصريين للقول إن الجيشين قد خسر كل منهما الواحد أمام الآخر. وحقاً فإن ساحة المعركة بقيت لملك القدس، ولا أحد ينكر هذا، وهو حسم الموقف بوقته بهروب الأتراك نحو تل السلطان . وهذا ما جعل ابن الأثير (المؤرخ العربي) ينخدع إلى النهاية بتتبع المعركة من جانب البروفانسيين(هم الذين ينسبون إلى مقاطعة بروفانس في فرنسا) في أول الأمر، ثم فيما بعد المغامرة التي جاءت لروبير سيد صهيون(١) وزردنا، إذ أثناء معركة دانيث خسر مع جماعته خسارة تامة، بعد أن كان قد دفع فرقة الشام وحمص إلى الهروب مع أنها جابهتهم ،وفي فرحهم بالنصر، تصرف دون حكمة بانفصاله عن الملك وراح نحو بلدة زردنا آملاً استردادها ثانية، وحين رأى فيما بعد أنها صعبة المنال، عاد مع قلة من رجاله إلى دانيث، إذ به يقع بين قوة كبيرة من إيلغازي وطغتكين وبموافقتهما تم توزيع عناصرهم باتجاه برج هاب، فاضطر إلى الفرار إلى جبل السماق - أي غرب إدلب الآن - ثم إلى منطقة الجزر (عن رواية الإفرنج) وهناك وقع حصانه فأمسك به العرب وسلموه لايلغازي .. في النهاية لم يكن بودوان أقل خسارة من إيلغازي وطغتكين، أي بانسحابه إلى زردنا وأتارب وحلب .. لكن العسكر الإفرنجي الهارب أول المعركة، أكثر القرويين والمشاة أوقفوهم ولاحقوهم إلى برج هاب .. لكن بودوان الثاني أسرع بالتراكض معلناً لهم الانتصار طالباً منهم الرجوع للانضمام إليه، ولكن حتى لا يصيبهم الخزي ثانية قرروا عدم العودة ... بودوان بعد مشاهدة نقص الماء والغذاء في معسكر دانيث دفعه للرجوع عن معركة برج هاب لكنه جمع الهاربين ... وفي صباح اليوم الثاني عاد مع جيشه إلى أرض المعركة على حصانه ،لكي يدفن الموتى ،ويرفع الجرحى مشرفاً بنفسه في أداء واجبه، وتنفيذ أوامره، وتمكن من تقدير انتصاره الذي دفع ثمنه غالياً. في الواقع قد تمكن من قتل ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ مسلم ماتوا، ومات بين الفرنجة من ٥٠٠ – ٧٠٠ مغوار و ١٠٠ فارس ... "

ويجب التنويه إلى أن بلدوين كان قبل عودته لحرب المسلمين ثانية قد استرد سرمين ومعرة مصرين بالأمان ولم يبق في يد المسلمين غير أتارب وزردنا [وفي رواية أخرى استرد الفرنجة زردنا] أي أن سرمين ومعرة مصرين [وزردنا] لم تبق في أيدي المسلمين غير شهر ونصف ... وقد أثر هذا الوضع في معنويات المسلمين، لكنهم في ذات الوقت كبتوا عواطفهم أمام هذا الواقع المؤلم، لكن في حقيقة الأمر كذلك، كان بودوان متأثراً لما حصل في دانيث والتي كان فيها أسرى لهم تحت حراسة المسلمين التركمان، وبلا شك ولأن قوتهم مشتتة رغم كثرتهم، أخذ هو مبادرة الهجوم السابق . " وفي عودته من الجنوب بعد استيلائه على بعض الحصون ك كفرطاب وكفرروما (الصورة١١١-١١٢) وشيزر، عاد إلى سرمين ومعرة مصرين بعدما أسر المدافعين عن كل المنطقة التي مر بها، حتى وصل إلى المواجهة، حيث لم يتوان عن أخذ هذه الناحية، لأن الفرنجة في إنطاكية، تمكنوا بعد عدة أشهر من استردادها . " وفي الحقيقة أن بودوان بعدما تمكن من تحطيم القوى في معرة النعمان وريحا وإدلب أراد العودة إلى إنطاكية ليحتفل بالنصر . هذا الملك استعاد كل المنطقة التي تخصه بما فيها زردنا ١١٢١ وأتارب ١١٢٣ م ... وأما الجيش الإسلامي بقيادة إيلغازي قرر مغادرة الساحة بانتظام نحو حلب، ومن خلفهما عدد كبير من الأسرى، ومن بينهم صاحب زردنا روبرت الأبرص كما سماه العرب، الذي قتله طغتكين فيما بعد،



(الصورة١١٢) رسم لحصار حصن في المنطقة- منمنمة وسطوية

(الصورة١١١) جسر قديم في كفر روما

رغم أنه كان صاحبه سابقاً ... ونضيف معلقين :

١- لم يكن إيلغازي وحده ،بل شد أزره طغتكين بعساكر من دمشق وحمص، وطغان أرسلان (فيمن بقي من الخواص).

٢ - يشير ابن العديم (إلى أنهم قتلوا أكثر الرجالة وبعض الخيالة وغنموا أكثر ما كان معهم)

٣ - إن صاحب زردنا قد عاد أدراجه بعد هزيمة الفرنجة إلى دانيث على أمل السعي لاسترداد زردنا، لكنه وجد موازين القوى اختلفت تماماً، فاضطر للهرب إلى جبل السماق - أي غرب إدلب - على أمل الوصول إلى قلعة الروج [حربتا] أو برج هاب .. وهناك يسقط عن فرسه بقرب قرية مرتين (١) فيقبض عليه قوم من أهلها ويحملوه إلى إيلغازي بظاهر حلب " .

٤ - في وثيقة الجامي التي نشرها (كلودكاهن) " ٥١٣ هـ فيها انكسر الفرنج على جبل السماق " و(دوسو) ذكر " قلعة روجيا - الروج - أخذها العرب ١١١٩م " وهذا يطابق الخبر الأول إن قلعة الروج بيد المسلمين، وهاب بيد الفرنج .

٥ ـ للحقيقة كما يبدو، فإن كلاً منهما ادعى النصر ليرفع معنويات قواته ، لكن الواقع كل منهما خسر الكثير من قواته وعتاده، بل خسارة المسلمين أكثر لفقدانهم حصونهم في الجنوب ومعرة مصرين وسرمين، ولن يتحقق النصر ثانية إلا بقيادة الزنكيين فيما بعد ... وفي سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م يقرر نجم الدين إيلغازي رفع المكوس عن أهل حلب لكسب ود الجماهير، بحيث زاد المكوك والرطل والذراع، والمؤن والكلف، وأبطل ما جدده الظلمة من الجور والرسوم المكروهة، وقوبل ذلك بالشكر والثناء .. وفيها هدم قلعة زردنا ... ويبدو أن التركمان حين توقفت المعارك مع الفرنجة، ضاقوا ذرعاً لعدم حصولهم على الغنائم، وكما حصل في السنة السابقة، بالإضافة لإساءته إلى بعضهم، فتفرق عسكره، وبقي القليل موزعين في أعمال حلب .. وحين لاحظ الفرنجة هذا الموقف الحرج له، خرجوا إلى دانيث، ولكن طغتكين وعسكر دمشق يمدون له الأزر والمساعدة، بتشكيلهم فرقة مقاومة للفرنجة " في ألف فارس وراجل كثير ... فدار الترك حولهم ولم يخرج منهم أحد، وكرهوا عودتهم على أعقابهم فتكون الهزيمة، وساروا نحو معرة مصرين لا ينفرد منهم فارس ولا راجل ... " وأشرف الترك على أخذهم، ومن خرج منهم قتل، ومن وقفت دابته تركها وأخذت،، ولا يقدرون على الماء وهم في حالة الهلاك، و إيلغازي وطغتكين يردان الناس عنهم بالعصا، فنزلوا بقرب معرة مصرين، وعاد الترك عنهم إلى حلب، وعادوا إلى إنطاكية ... " وأخيراً تتم المهادنة بينه وبين الإفرنج بحيث كل فريق يكف أذيته عن الآخر وتتم المصالحة في آخر سنة ٥١٤ /١١٢٠م على أن " لهم معرة النعمان وكفر طاب والجبل والبارة، وضياعاً من جبل السماق برسم هاب ـ أي تحت إمرة هاب ـ وضياعاً من ليلون برسم تل اغدي ـ شمال الدانا الآن ـ " وكذلك تنازل لهم عن زردنا (١) ولكن الفرنجة يغدرون ببنود المعاهدة، إذ يخرجون إلى فلاحي هذه المنطقة ويقبضون على الكثير منهم ويعاقبوهم ويصادرون أموالهم، وغلاتهم، وكل ما لديهم للقوت، إذ لاحظوا أن قرى المسلمين قد عمرت لاطمئنانهم إلى الصلح . في سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م حاول الفرنجة الهجوم نحو ربض الأتارب، وتمكنوا من قتل جماعة وأحرقوها وأسروا من لم يعتصم بالقلعة " وهذا شكل خرقاً عملياً لبنود المعاهدة وخشية من هجوم المسلمين نحو زردنا،

عمروا قلعتها والتي كان يحكمها كليام بعد أبيه الأبرص .. وفي رواية أخرى أن سليمان بن إيلغازي سلمهم إياها ولذلك أسرع الفرنجة إلى عمارتها ومن ثم اتجهوا إلى تدمير كفر نواز(٢) بقيادة جوسلين أمير أورفا، وهو نفسه الذي كان قد احتل زردنا سابقاً وتسوء العلاقة بين إيلغازي وابنه، ويرغب بمعاقبته على تفاهمه مع الفرنجة فيحاول استرداد زردنا، وفعلاً حاول مهاجمتها دون جدوى، ومما دفع بلدوين بالعودة إلى شمال الشام صيف ١١٢٢ م، وهكذا فإن إيلغازي خضع للأمر الواقع، بأن صالح الفرنج " على ما يريدون، فصالحوهم على سرمين ،والجزر، وليلون، وأعمال الشمال على أنها للفرنج، وما حول حلب للفرنج منه النصف " . في عام ٥١٦ هـ/١١٢٢م يقرر إيلغازي محاصرة زردنا، وحين سمع صاحبها بذلك دعا أصحابه للاجتماع طالباً منهم الصبر على الحصار لمدة خمسة عشر يوماً، حتى يتمكن من نجدتهم، ومن ثم يغادرها طالباً العون، وإذا انقضت المدة بدون عودته إليهم، فإنه سيفديهم بكل ما يملك أي يدفع دية دمهم . قائلاً لهم والله لكم علي من الشاهدين، لئن لم يخلصكم إلا إسلامي إنْ قبلَه أسلمت على يديه لخلاصكم . " وخرج حتى وصل إلى بغدوين صاحب إنطاكية، فأخبره بعبور إيلغازي وبما بلغه من قصده زردنا فقال : " مذ حلفنا له وحلف لنا ما نكثنا، وحفظنا بلده في غيبته ونحن شيوخ، وما أظنه يَغْدُر، بل ربما قصد طرابلس أو قصدني في القدس، لأنني ما صالحته إلا على إنطاكية وأعمالها، بل يجب أن تعود إلى أفامية وكفر طاب وتكشف ما يتجدد " فعاد وكشف الأمر، وسيَّر إلى بغدوين فأعلمه بنزوله على زردنا، فصالح صاحب طرابلس، وشرط عليه الوصول إليه . ووصل إنطاكية واستدعى جوسلين، ونصب المسلمون أربعة مجانيق على زردنا وأخذوا الفصيل الأول، فوصل الفرنج بعد أربعة عشر يوماً من منازلة المسلمين لها، فنزلوا تحت الدير (١) وبلغ الخبر إيلغازي، فترك زردنا وتوجه نحوهم، فنزل نواز، وطلب أن يخرج الفرنج من المضيق إلى السَّعة فلم يخرجوا فرحل إلى تل السلطان ... " . وهنا يتابع الفرنجة سيرهم في ربض الأتارب إلى نواز إلى دانيث حيث ينزلون فيها، وظلوا مدة ولم يأتِ المسلمون لمناوشتهم فعادوا إلى بلادهم .. حينها يأتِي إيلغازي لينزل زردنا مهاجماً حوشها الثاني، أي أحد استحكاماتها الدفاعية، ويتمكن من قتل جماعة من

الفرنج دون استردادها، لأن الفرنجة عادوا لصده فرحل منها إلى الفنيدق ـ وهي غرب معرة مصرين ،وفي رواية أخرى يرحل إلى نواز، فأقام فيها ثلاثة أيام يزاحف الفرنج، وهم لا يخرجون إلى الصحراء ... واتفق أنه أكل طعاماً أدى إلى مرضه، فاشتد عليه ،ونقل إلى حلب للتداوي، ثم مات ،وخلفه بلّك الذي نجح في أسر جوسلين ،ثم في أسر بلدوين صاحب إنطاكية،ولم يبق في الحكم زمناً طويلاً ، إذ مات في السنة التالية ،وخلفه تمرتاش ووافق على فك أسر بغدوين ،وهو نفسه بلدوين بواسطة ابن منقذ، وسلمه إليهم بعد دفع فديته، وبعد تسليمه الأتارب،وزردنا والجزر، وكفر طاب ،وكانت فديته ثمانين ألف دينار، ولم يقدم منها غير عشرين ألف سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م، ولكنه ما إن فك أسره حتى جمع عساكره، ونقض هدنته، وحاصر حلب مدة طويلة، إلى أن تمكن قسيم الدولة البرسقي من تحريرها، ونزل إليها ليصبح حاكماً لها بعد أن ابتعد الفرنجة عنها ... وفي سنة ٥١٩ هـ يرحل البرسقي إلى تل السلطان، ليقيم فيه ثلاثة أيام ثم يرحل إلى شيزر وكفر طاب ويحررهما ثم يعود شارعاً في حصار زردنا، لكن إنطاكية تستنجد بالملك بلدوين الثاني فيسرع إليها جالباً معه أمير طرابلس وأمير الرها ، لكنه يترك حصار زردنا متجهاً إلى حصار اعزاز عام ١١٢٥ م لعلمه بقدومهم ومعهم ١٢٠٠ فارس و ٢٠٠٠ من المشاة، لإنقاذ زردنا وبعد معركة اعزاز وهي إحدى المعارك الكبرى، تحل الهزيمة بالمسلمين ... ويتم دفع فدية الأسرى الفرنجة في حلب من غنائم هذه المعركة ثم تتم المهادنة بين الفرنجة والبرسقي بعدها على أن يناصفهم في جبل السماق وغيره مما كان بأيدي الفرنج " ... ونضيف من مصادر أخرى عربية وإفرنجية إلى حوادث هذه السنة " إن فرقة وافرة من عسكر التركمان، غارت على أطراف الإفرنج ونالت منهم، واستظهرت عليهم، وخاف الإفرنج، وعلموا أنه لا طاقة لهم بهذا الجمع، وأيقنوا بالهلكة ... ونشبت فرقة من التركمان في فريق منهم، وهم راحلون فغنمت من أثقالهم ودوابهم غنيمة وافرة ... وكانت هذه الغارة قد جاءت من معرة مصرين ... " وفي السنة التالية يقرر الإفرنج العودة عن التزامهم بالمعاهدة ـ المهادنة ـ بقولهم (ما نصالح إلا على أن تكون الأماكن التي ناصفنا فيها في العام الماضي لنا دون المسلمين) وبعد تبادل الوفود للمفاوضات بدون نتيجة يقرر سنقر النزول في قنسرين استعداداً للسفر

إلى سرمين، ونشر عساكره في الفوعة ودانيث، بينما الفرنجة نزلوا حوض معرة مصرين وظلوا فيها زمناً إلى أن نفدت مؤونتهم، وعادوا أدراجهم ... وكذلك عاد البرسقي ... وتم اغتياله غدراً في هذه السنة... وفي سنة ٥٢٣ هـ يتولى حكم حلب زنكي آق سنقر فيتفرغ لمحاربة الفرنج ويستطيع تحقيق النصر فيفتح معرة النعمان وكفرطاب والأتارب وزردنا وتل أغدي ـ هي تل عدي اليوم . ويبدو مما سبق أن المسلمين كانت بيدهم دانيت ـ الفوعة فقط في هذه المنطقة ،والآن أضيفت إليها زردنا هذا الحصن الهام والذي استعصى على إيلغازي فمات دون تحقيق أمله في تحريرها(١). بينما لم تتحرر بعد المواقع التالية : سرمين ومعرة مصرين وهاب، ويتحقق هذا لمن خلفه من أسرته الأبطال . وفي سنة ٥٢٤ هـ يقع خلاف بين ملكة إنطاكية وأبيها بغدوين، وتكون الفرصة سانحة للمسلمين بالهجوم نحو ربض الأتارب، وربض معرة مصرين ... لكن نجدة بغدوين لا تحقق الأمل في تحرير معرة مصرين . ولولا حضور ملك بيت المقدس لكانت المنطقة بكاملها تحت سيطرة عماد الدين زنكي، ذلك أنه كان مغتاظاً من وجود الصليبيين غرب حلب، حيث كانوا يلحقون الأضرار بفلاحي المنطقة ـ كافة أعمال حلب الغربية ـ وتعرضوا لعدة غارات منهم، وجمعوا فيه خيرة فرسانهم لوجود مدن هامة فيها وحصون قوية (زردنا ـ هاب ـ أتارب ـ الروج) ويبدو أنه اتجه أولا إلى حصن الأتارب، لكن الفرنجة شكلوا جيشاً ضخماً من كل مكان لصده، وحين علم زنكي بذلك استشار قادته ما العمل ؟ ! وكان إجماعهم الانسحاب، وترك الحصن، لأن لقاء الصليبيين في بلادهم مجازفة لا تحمد عقباها، لكنه أجابهم " إن الفرنج متى رأونا قد عدنا من بين أيديهم، طمعوا وساروا في أثرنا، وخربوا بلادنا، ولا بد من لقائهم على كل حال" وقرر التحرك نحو ربض معرة مصرين عله يفلت من تجمعهم ولكنهم يتابعونه ويلتقي الطرفان وتكون معركة قاسية تنتهي بانتصار المسلمين وقتل و أسر عدداً كبيراً من الصليبيين . ثم يعود أدراجه إلى حصن الأثارب ليفتحه عنوة، وقتل وأسر معظم أفراد حاميته، ثم أمر بتخريبه . وفي رواية أخرى أنه جلب معه ألفي فارس وهوجمت معرة مصرين ـ وهي للفرنج ـ فنهبت وقتل من فيها ... ويشير المراقبون أن المسلمين بعد هذا الانتصار بدأت ترجح كفتهم في المنطقة وفي

سنة ٥٢٦ هـ يتمكن الملك كليام من فتح رام حمدان ،وهو نفسه حاكم زردنا بعد أبيه وما أن تدخل سنة ٥٢٧ هـ حتى يقع الخلاف بين الفرنجة دون المعتاد، وتنشب بينهم مناوشات، ويقتلون بعضهم وكانت النتيجة أن صاحب زردنا خارج حصنه مع بعض خيوله، ويصادفه جماعة من التركمان، يظفرون به ويقتلونه ومن معه ... وفي سنة ٥٢٨ يأتي إلى المنطقة صاحب القدس وبعد جمعه العساكر اتجه إلى نواز [والتي سبق أن دمرها جوسلين أمير أورفا سنة ٥١٥ هـ] وفيها أيضاً أغار سيف الدين سوار على الجزر وحصن زردنا وأوقع بالفرنج على حارم واتجه إلى بلد المعرتين أي معرة مصرين ومعرة النعمان ... وعاد بالغنائم إلى حلب ثم عاد وأغار على زردنا وأوقع هناك بسرية من الفرنج... وما إن تطل سنة ٥٢٩ حتى يعيد زنكي انتصاراته الجديدة، لشعوره أن هذه المنطقة ستهدده باستمرار إن لم يحررها كما أنها الخط الدفاعي الحامي لإنطاكية وتقرر تقوية عساكره ... وما إن تطل سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م حتى يسير إلى بلاد حلب فيفتح أتارب في رجب ثم يفتح زردنا ثم تل اغدي ثم معرة النعمان وكفر طاب وفي المراجع الأجنبية أنها سقطت في يد زنكي دون خروج الجيش اللاتيني إلى الميدان لإنقاذها ... كما أنه حرص على عودة أهاليها ورد أملاكهم ودورهم... وهكذا إن هذه المدن كانت سببا للكثير من القتال الشديد خلال العقدين السابقين. في سنة ست وثلاثين وخمسمائة يتحرك الفرنجة إلى بلد سرمين ويتمكنون منها، فيخربون فيها وينهبوها، ثم تحولوا للإغارة على جبل السماق ولا تشير الوثائق إلى أي موقع أغاروا فلابد أن تكون قلعة الروج أو مرتين أو دانيث ... ولكن كورانسيز يذكر إغارتهم على سرمين وإدلب . وفي سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ – ١١٤٨ م يتم فتح هذه الحصون من قبل نور الدين زنكي بسرفوث وكفر لاتا وهاب والبارا وفي رواية ـ بلد بصرفوث .وننوه أن والده قتل قبل عدة أشهر، فعاود سيرة والده في تحرير هذه المنطقة وكان الفرنجة قد أخذوا كفرلاتا سنة ٤٩٣ هـ ويتابع جهوده لتحرير هذه المنطقة في سنة ٥٤٣ هـ ويتحقق أمله في تحرير هاب والتي عجز الآخرون من قبله في تحريرها لوقوعها في مرتفع شاهق ومنحدر غربي سحيق نحو الروج ... وفعلاً يتابع سيره فيما بعد نحو الروج ويحرر حصن إنب ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م بعد قتال عنيف وأسره لخلق

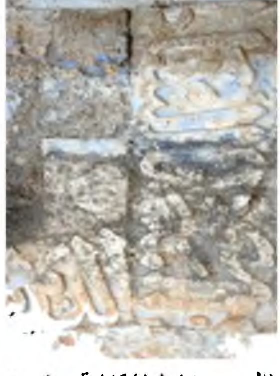
كثير منهم ... وهذا الحصن يقع جنوب سهل الروج في السفح الغربي لجبل الزاوية ... وكانت أيضاً حادثة مقتل أمير إنطاكية ريموند وفي سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م يتمكن التركمان من أسر جوسلين وهو في الصيد والذي كان يمتلك قلاعاً شمالي حلب ، وهو الذي غزا هذه المنطقة كما ورد سابقاً ومنها زردنا، ثم يسلموه إلى نور الدين، وارتاح المسلمون لأسره فقد كان " شيطاناً عاتياً من شياطين الفرنج شديد العداوة للمسلمين ... طالما نصحه نور الدين ونكث بعهده وغدر ... وتيسر بعد أسره فتح حصون منها البارة،وتل خالد ،وكفر لاتا، وكفرسوت، وحصن بسرفوث في جبل بني عليم " إن تحرير هاب المستعصية وغيرها دفع بالشعراء إلى مدح نور الدين ومنهم
الشاعر " أحمد بن منير " من نواحي حلب في قصائد مطولة منها :

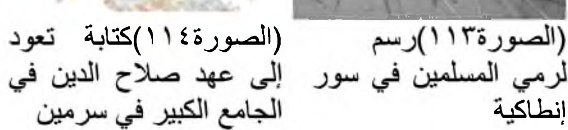
و"هاب"و" قورس "و"   ذممت وأنت للجلى ذمامُ
بكفرلاتا   كأن مطار أنسره غمامُ
صدمتهم بأرعنَ مُرجحِنَّ   لهم طيفاً يروع به منامُ
وأية ليلة لم تلف فيها   ـت عقد " البرنس " ببيض
وفي " كفر لاثا " وهاب حللـ   خذم
ويوم بَسَرفود جرعتهم   أجاجاً أغصهم واصْطلم
و " بارتهم " أذّنت أنها   أبارتهم فلْيُلبوه وا بذم

ومدحه أيضاً في قصيدة أخرى حين فتح حصن إنب في الروج :
وسقى البرنسَ وقد تَبَرْنَسَ ذِلّةً   بالروج مما قد جنت غدراته
وبعد دخول سنة ثمان وأربعين وافق مجير الدين صاحب دمشق التعاضد والتعاون مع نور الدين للجهاد، واجتمعا في الشمال السوري " بعد أن ملك نور الدين الحصن المعروف " بافليس [بافليش] وهو في غاية المنعة والحصانة، وقتل من كان فيه من الفرنج والأرمن، وحصل للعسكر من المال والسبي الشيء الكثير
لم يعثر المحققون بعد عن موقع هذا الحصن ، وأرجح أنه آفيس لتشابه الاسم فالباءزيادة طبيعية في كثير من المواقع = قرية - بيت " وحسب سير الحملة من الشمال السوري، وقد يظهر التنقيب الأثري في هذا التل رأينا المطروح للمناقشة ؟!!. وفي سنة ٥٥١ هـ يتفقد نور الدين المنطقة بعد ترتيب أمورها،

وتقرر الهدنه بينه وبين ملك الإفرنج لمدة سنة كاملة .. لكن الإفرنج يعودون إلى نقضها. وفي سنة ٥٥٢ هـ يتوجه " الملك العادل نور الدين إلى ناحية حلب وأعمالها لتجديد مشاهداتها والنظر في حمايتها " لعلمه بتداخلات الفرنج في المنطقة وعبثهم فيها ... وبعد أخذه حصن شيزر يعود إلى سرمين لوصول النبأ إليه أنهم يريدون أخذها لغيابه نحو الجنوب ... وفيها [١١٥٧ م] مرض مرضاً ظل يعاوده ... " ولكن المرض يظل يعاوده وفي هذا العام ١١٥٧ م يحاول الفرنجة أخذ قلعة الروج دون جدوى . وفي سنة ٥٦٩ توفي نور الدين وفي سنة ٥٧١ هـ/١١٧٥ م يتمكن جماعة من أهل الموصل بالدخول إلى حلب ووقتها كان السلطان صلاح الدين في تل السلطان ومعه " جمع كبير " بعد عودتهم من دمشق، متعبين وعطشى، فألقوا بنفوسهم على الأرض دون حراك... وأشار عليه أحد القادة بقتال هؤلاء المتمردين فأجابه قائد آخر بقتالهم في الغد لعلمهم بوصولهم إلى تل السلطان أيضاً ... وفي اليوم التالي يصطف كل منهما للقتال ... وتمكن " صاحب إربل من كسر ميسرة السلطان بنفسه فانكسروا بين يديه، فلم يقف منهم أحد، فأسر جماعة من أمرائهم الأكابر ... فمنّ عليهم وأطلقهم، واستولى السلطان على جميع مخيمهم ... " وفي رواية أخرى أن سيف غازي صاحب الموصل كان قد سبق وصول صلاح الدين في هذا الموقع وتم النصر له ولم يقتل غير رجل واحد وتسلم ما بحوزتهم وفرقها ... " ورأى في السرادق طيوراً من القمارى والبلابل والهزارات والببغاوات في الأقفاص، فاستدعى السلطان مظفر الدين الأقرع، ـ وهو أحد ندماء سيف الدين ـ فقال له خذ هذه الأقفاص، واذهب بها إلى سيف الدين وسلم عليه عنا، وقل له : عد إلى اللعب بهذه الطيور، فهي أسلم لك عاقبة من الحرب " (١)
وكم حزّ في نفسي ألا أجد نصوصاً شافية وافية عن دور صلاح الدين في المنطقة، ولعل الوضع كان مستقراً في زمنه إذ ورث هذه المنطقة من الزنكيين ،وكانت قد تحررت في معظمها، وهذا ما ساعده على تركيز اهتمامه بالشام، ومصر. ويشير كتّاب سيرته إلى وفاته سنة ٥٨٩ هـ بعد أن حرر الكثير من القلاع والحصون







(الصورة١١٣)رسم لرمي المسلمين في سور إنطاكية

(الصورة١١٤)كتابة تعود إلى عهد صلاح الدين في الجامع الكبير في سرمين

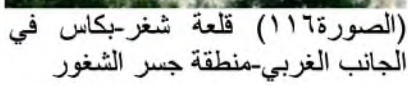
(الصورة١١٥)كتابة في قلعة بكاس(حصن شغر-بكاس)غرب الجسر في زمن الظاهر غازي بن صلاح الدين

ومنها سرمين ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م وأكد هذاالرحالة (كورانسيز) الذي زارها ١٨٠٩م :أن صلاح الدين كان قد حرر سرمين وإدلب التي تبدل أسيادها عدة مرات (الصورة١١٣ -١١٤)... وذكر ابن شداد أن سرمين ومعرة مصرين كانتا في يده ... ونتمكن من معرفة أخذهم سرمين بعد نزول نور الدين فيها، ونرجح أنهم أي الفرنجة أخذوها بعد وفاته (٥٦٩هـ) ـ ببضعة سنوات ، أي ظلت في أيديهم أكثر من خمس عشرة سنة إلى أن تمكن صلاح الدين من تحريرها وتظل بأيدي المسلمين. وفي سنة ٦٦٢ هـ يتمكن الفرنجة من أسر والي سرمين شجاع الدين مع أنه كان رســـولاً بعثه الأمير ناصر إليهم فأســـرته فرقة أخرى من الفرنجة ...وبعد صلاح الدين تولى حكم المنطقة ابنه الظاهرغازي،والذي كان يرافقه حين حرر هذه المنطقة من الفرنجة (الصورة١١٥)... وفي سنة ٥٩٠هـ تظهر جماعة (الياروقية) وزعيمهم (دلدرم) صاحب تل باشر ـ قلعة شمالي حلب ـ يتحامقون معه ويقصرون في خدمته، ويعظمون زعيمهم وكأن السلطان لعبة، وفي أيديهم من الإقطاع خير ضياع جبل السماق، وغيرها وهذه أول إشارة إلى الإقطاع في منطقة إدلب ...، وإنهم كانوا هكذا منذ أيام أبيه صلاح الدين قد قصروا في خدمته ... لهذا اعتقل مقدمهم في قلعة حلب، " وأخرج الباقين عن حلب وقبض إقطاعاتهم ...

" ونضيف معلقين، يبدو أن صلاح الدين هو الذي أقطعهم إقطاعات في هذه المنطقة، لتستمر هذه السيرة فيما بعد عند المماليك والعثمانيين... ولا ننسى أيضاً أن الفرنجة كانوا يتبادلون الإقطاعات ـ راجع بحث الإقطاع في الحياة الزراعية ـ وفي سنة ٥٩٤ هـ يتمكن الظاهر بن صلاح الدين هنا نقول: الظاهر فقط /تمييزاً عن الظاهر بيبرس، والذي سندعوه في كتاباتنا بـ (بيبرس البندقداري)فقط، من استرداد شقيف الروج (قلعة حربتا) من أولاد غرس الدين قلج ،والتي كانت بيده بعد تمردهم حين توفي والدهم ،وامتنعوا من تسليمها إلى الملك الظاهر، فخرج إليها ونازلها، وأخذ عليها النقوب واستنزلهم منها ... ولكنه يصالحهم ويكرمهم " بعد صفحه عن جرمهم، ويجري لهم المعيشة السنيّة، وتقدم عنده منهم سيف الدين علي بن قلج .وفي سنة ٥٩٧ هـ يخرج صاحب حماة إلى ناحية الروج عله ينهب شيئاً لكن الظاهر يرده . وفي سنة ٦٣٨ هـ يفد الخوارزمية إلى المنطقة، ينهبون ما فيها، ويحرقون الأقوات التي في القرى ومن أهم ما سرقوه كان في سرمين " إذ دخلوا دار الدعوة [الاسماعيلية] وكان قد اجتمع فيها أمتعة كثيرة للناس، ظناً منهم أنهم لا يجسرون على قربانها، خوفاً من الاسماعيلية، فدخلوها قهراً ونهبوا جميع ما كان فيها ورحلوا إلى معرة النعمان، ونزل العسكر مع الملك المنصور على " تل السلطان ثم رحلوا إلى ... " والخوارزمية هؤلاء من عسكر جلال الدين، وعاصمة ملكه تبريز، وقد تعاونوا مع الروم ثم تركوهم، ونزلوا جهات حمص، كما مروا بالروج بعد حارم (٦٤٢ هـ) وهم في طريقهم إلى غزة . وفي سنة ٦٥٧ هـ اتجه التتر إلى حلب وملكوها وأخرجوا أهلها إلى شرقي حلب، فأفنوا عليهم بالسيف، واستولوا على اعزاز وخربوا قلعتها، واستولوا على حارم، وقتلوا أهلها عن آخرهم وسبوا النساء، وملكوا حلب وأعمالها [أي هذه المنطقة] نحو أربعة أشهر .

خامسا ـ العهد المملوكي : الآن ننتقل إلى عهد آخر، وهو عهد المماليك، وخاصة الظاهر بيبرس (٦٥٩ – ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ – ١٢٧٨ م) والذي حقق انتصارات مذهلة في ربوع البلاد، ضد الغزو الأجنبي من التتار، والإفرنج وضد كل فئة تريد الاستقلال لوحدها، وبذلك حقق الوحدة الوطنية . وما زال العوام يروون قصصاً عن بطولاته، واستشهاد رجاله في المنطقة،

وخاصة بين إدلب الكبرى و إدلب الصغرى، أو بتسمية موقع باسمهم كما هو في اسم الشهيد الشيخ محمد المحرابي (ساحة المحريب الآن بجوار المتحف) أو البقعة بين البلدتين، والمسماة بوادي لب ،والتي قتل فيها بيبرس الأسد الذي كان يحوم فيها ؟ ! إنها حكايات كثيرة يمتزج فيها التخيل بالحقيقة . لكن بيبرس له وجوده هنا، وما دليلنا غير ما اكتشفناه من أوابد أثرية، هنا، وهناك في كتابة تشير إليه ...من أهمها نجفة المدخل الرئيسي للجامع الكبير في ريحا التي ترقى لسنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م راجع الرحالة ٢ /٢٥٦ ووجود وال في سرمين سنة ٦٦٢ هـ من قبل بيبرس هو شجاع الدين، والذي يسيره الأمير ناصر الدين رسولاً إلى الفرنج، لكنهم يعتقلوه ويحتفظ السلطان بيبرس بمكرمة لأهله " مما سبق يتضح أن بيبرس قد حرر سرمين قبل هذا التاريخ أي في عام ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م ومعها الفوعة ولكن الإفرنج لا يقفون صامتين ،ويحاولون استردادها منه بشتى الوسائل، ولا تنفع مراسلته معهم فيعتقلون رسوله إليهم شجاع الدين حاكمها، وفي العام التالي ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م يغزون سرمين مع المغول متعاونين معهم، فخصمهم واحد، ولكنه يستردها منهم بعد سنتين، أو ثلاث ،لأنه كان قد نزل سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م أفامية ومنها إلى جسر تحت الشغر وبكاس(الصورة١١٦) وحرر المنطقة من الغزاة ، لذلك تم ترميم جامع ريحا في السنة التالية ٦٦٧ هـ . (الصورة١١٧) ورد في موسوعة الحروب الصليبية لزكار جـ ٣٦ ص ٣٣٨ " إنه في عام ٧١٣هـ (١٥ كانون الثاني ١٢٦٤ -١٣كانون الثاني ١٢٦٥) حشد الملك هيتوم قواته مع أعداد كبيرة من الرجالة، وقام بتنظيم حملة ضد منطقة حلب، واستهدف أبراج معرة مصرين، وسرمين، والفوعة، وتمكن فقط من أخذ عدد ضئيل من الأسرى وقليل من الغنائم .."

(الصورة١١٦) قلعة شغر-بكاس في الجانب الغربي-منطقة جسر الشغور



(الصورة١١٧)النقش المكتشف في واجهة مدخل الجامع الكبير في ريحا-يرقى إلى عهد بيبرس.

وقد سجل ابن شداد كاتب سيرته (أنه كانت في يده ولاية الفوعة،ولاية سرمين، ولاية جبل السماق [أي إدلب وغربها وجنوبها ـ فايز] ولاية الأرواج [ناحية الروج] ولاية البارة (الصورة١١٨) ولاية كفر طاب ولاية معرة مصرين ولاية الشغر ولاية بكاس ولاية دركوش)..(الصورة١١٩) كما روى لنا ابن شداد معدداً فضائله " ومن وفائه للعُربان، وفاؤه للأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا،

(الصورة١١٨) حصن (أبو سفيان) في كفرالبارا-جبل الزاوية



(الصورة١١٩) دركوش- الجسر المملوكي فوق نهر العاصي (داثر)الصورة عام١٩٣٠م

فإنه كان قد انقطع إليه حال تنقله في البلاد، وتوغله عقبات الأهوال الشداد، فلما ملك أمره على آل فضل، وأقطعه سرمين ،وسلمية، وفوض إليه أمر النقرة"تفيدنا هذه الرواية أن العربان قد ساعدوه في شدائده، ومعاركه، فلم ينس هذا لهم،خاصة آل فضل مهنا، وسنعود إليهم في فصل آخر ـ وارجح النقرة

هي دير نقيرة،وهو قرية دير شرقي في منطقة معرة النعمان والذي أتينا على ذكره في الرحالة الجزء الأول... وفي سنة ٦٧٠ هـ يحصل الخلاف بينه وبين الاسماعيلية، لأنه كان قد أبطل دار دعوتهم سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م وكما ذكرنا في الرحالة ١ / ٣٩، وانعكس خلافه معهم، ليس في سرمين، بل وفي غيرها، ويستمر في مضايقة حصونهم لأنهم كانوا قد اتفقوا معه على تسليمها له، ويعطيهم بعض الإقطاعيات لهم كما حدث مع والدهم " لهذا يقرر الإمساك بوالي الدعوة والناظر في سرمين ،وكان لهم أقارب بالخوالي، فأشار عليهم الأمير سيف الدين بلبان الدوادار بمكاتبة أقاربهم بالتسليم، فحضر منهم جماعة، وأعطاهم السلطان خلعاً، ونفقات، وأجراهم على رسومهم " .
وتتعرض المنطقة إلى غزو آخر في سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ – ١٢٧٢ م إذ يفد التتار عن طريق عينتاب شمال حلب إلى سهل الروج وحصن قسطون بعد إغارتهم على حارم وفي الروج (قتلوا جماعة) ... " وفي سنة ٦٧٣ هـ يتحرك السلطان بيبرس قادما من حماة إلى نيرب سرمين ليقيم فيها مع ثقله " وبعض العسكر صحبه الأمير شمس الدين سنقرجاه الظاهري بنيرب سرمين ... " والظاهر أن التتر كانوا يرسلون تطلعات إلى المناطق قبل احتلالها أو غزوها إذ يعيدون الكرة في سنة ٦٧٩ هـ وفي ٧٠٠ هـ /١٣٠٠ م الغزوة الكبرى بقيادة قازان ... ودخلوا هذه المنطقة وظلوا فيها ثلاثة أشهر يدوسون بلاد سرمين ... فنهبوا من الدواب والأغنام والأبقار ما جاوز حد الكثرة، وسَبَوا عالماً كثيراً من الرجال، والنساء ،والصبيان . ثم أرسل الله تعالى على غازان وعساكره الأمطار والثلوج ... بحيث أمطر عليهم واحداً وأربعين يوماً، وقت مطر، وقت ثلج، فهلك منهم عالم كثير، ورجع قازان بعساكره إلى بلادهم أقبح من المكسورين، وقد تلفت خيولهم وهلك أكثرها " وفي رواية أخرى " إن قازان توجه من جبال إنطاكية إلى جبال السماق، وإنه عاد على قرون حماه وشيزر، فنهب وسبى عالماً عظيماً، وأخذ مالاً كبيراً من المواشي وغيرها... " وما يهمنا أن المنطقة في إدلب إلى الشرق، والغرب منها قد تعرضت لغزو التتر الرهيب، ومدة ثلاثة أشهر يعيثون فيها فساداً ليست بالقليل، فهاجر الكثير من سكانها، وضعف اقتصادها ... طبعاً ومما لا شك فيه أن المنطقة الشرقية، أي من سراقب إلى أبو الظهور كانت تتعرض إلى الغزو،

والاعتداء من قبل بعض المتمردين، أو العربان " حتى إن بني كلاب في سنة ٧٧٠ هـ، قد كثر فسادهم وقطعهم للطريق، بل إنهم أخذوا بعض الحجاج، فيخرج إليهم الأمير قشتمر نائب حلب بالعسكر حتى أتوا تل السلطان، فإذا عدة من مضارب عرب آل فضل، فاستاق العسكر جمالهم، و مواشيهم، ومالوا على بيوت العرب فنهبوها، فثارت العرب بهم و قاتلوهم، واستنجدوا من قرب منهم من بني مهنا، وأتاهم الأمير حيار وولده نعير بجمع كبير، فكانت معركة شنيعة، قتل فيها الأمير قشتمر النايب وولده وعدة من عسكره، وانهزم باقيهم، فركب العرب أقفيتهم، ولم ينج منهم عرياناً إلا من شاء الله، وكان ذلك وهناً في الدولة، جره إليها طمع عساكرها ... " انتهى الكلام(للمقريزي)... إنّ ضعف الدولة في أواخر العهد المملوكي، وانقساماتها دفع العربان إلى الطمع ،والاستيلاء ... بل تتكرر مثل هذه الحادثة لتمتد إلى وسط المنطقة إلى سرمين، والتي كانت في أوج عزها ،وقوتها الاقتصادية ،إذ كانت ولاية تتبعها قرى عدة منذ أيام بيبرس ـ راجع الحياة الإدارية ـ إذ يعاود نعير بن حيار الكرة ثانية ـ الأولى كما ورد سابقاً مع أبيه ـ بالهجوم في هذه المنطقة ويتمكن من نزول سرمين سنة ٧٩٢ هـ " ليقسم مغلها ـ أي مواردها ـ ولكن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهمندار(١)، والأمير طغنجي قاتلاه في عسكر كبير من التركمان، و أهل حلب، وأسروا ولده علياً في نحو المائتي رجل، وقتلوا جماعة كبيرة وهزموه، وسرقوا ابنه وأصحابه إلى حلب فقتلهم كمشبغا النائب، وسجن ابن نعير وجماعة ... إن القبائل العربية في المنطقة قد كان لها نفوذها حتى على حلب ... وتوضح هذا من أيام بيبرس إذ تمتع الأمير " مهنا آل فضل بالنفوذ والتقرب عنده حتى سمي بملك العرب وتضاعفت قيمته عند الملك المنصور قلاوون، وفي عهده كان كريم الأخلاق حسن الجوار مكفوف الشر ... وكان عنده ديانة وصدق، ولما مات ولى الملك المنصور بعده مهنا.. " وامتد هذا النفوذ إلى أيام قرا سنقر حاكم حلب والمنطقة (٧١٠ – ٧١١ هـ) إذ تودد إليهم وهاداهم وكان من أصحابه سليمان بن مهنا وأخوه بحيث تحولوا إلى أنصار له، ووقفوا إلى جانبه حين أراد السلطان عزله عن حلب، وامتد تأثيرهم إلى السلطان في طلب العفو عنه، فاستجاب لهم .. " ولم يكن العربان في بسط نفوذهم على المنطقة وحِدين، بل شاركهم التركمان والتمرلنكية أي

أصحاب تيمورلنك " ففي سنة ٨٠٣ هـ تحرك التمرلنكية في شمال حلب وبدؤوا الخراب فيها .. بل بلغ الأمر بهم أنهم بدؤوا يخلون المدن من سكانها كما فعلوا في حارم، وسرمين، وشيزر .. وحصل بمشاهدة من يشبك الدوادار ومن وافقه على ذلك ... " وكان يشبك هذا قد صار مدبر الأمر في دولة الناصر بن الظاهر - إمرة عشرة . وبين الأعوام ٨٠٦ – ٨٠٨ هـ يستفحل عصيان ابن الباز التركماني في المنطقة ،ويستولي عليها، باستثناء سرمين وكانت له البلاد الغربية كلها " إلى أن كسر قرب أرتاح من قبل حاكم حلب . فيهرب نحو إنطاكية، ويتبعه لكن حين علم أن الأمير نعير بن جبار متوجه لنجدة ابن الباز، يترك إنطاكية ويتوجه مع عسكره إلى مقابلة نعير، فيصل بلد سرمين، ثم قرية زيتان وتحصل بينهما وقعة، إلى أن يتم هزيمة ابن الباز في آخر الأمر طالباً العفو عنه (انظر عنه كتابنا حصن شغر ص ٢٣) . ويمكن القول أيضاً :إن المماليك حكام هذه المنطقة قد كانوا يسعون إلى التنفذ، أو تثبيت مراكزهم، واستغلالها، " ففي سنة ٨١٥ هـ يرسل طوخ نائب حلب عساكره إلى سرمين، وفيها آمَبَلاط دَوادار دَمُرداش فكبسوه، فثار عليهم هو، وشاهين الأيْدُكاري، ومن معهما من التراكَميين ،وقاتلوهم، وأسروا منهم جماعة كثيرة، وبعثوا بهم إلى الأمير دَمُرداش، فسجن دمرداش أعيانهم في قلعة بغراس - الآن في تركيا - وجدع أنوف أكثرهم، وأطلقهم عراة، وقتل بعضهم ... " هذا الصراع في المنطقة لم يهدأ ،إذ تكرر مرة أخرى ، ففي سنة ٨١٨ هـ يهزم قاني باي نائب الشام على مدينة سرمين ويقبض على بعض أتباعه، ويفر الآخرون والرواية في أصلها أن السلطان المملوكي جاء من مصر- غزة - دمشق - ليتجه إلى هنا، وتسبقه طليعة من أتباعه، وكان الأمير آقْباي الدوادار في عسكر من الأمراء وغيرهم فسار آقباي أمام السلطان - أي سبقه - على سرمين، وقد أجهدهم التعب من قوة السير، وشدة البرد، فلما بلغ قاني باي وانيال الصصلاني (نائب حلب المتمرد) وغيرهما من الأمراء مجيء آقباي خرجوا إليه بمن معهم من العساكر، ولقوا آقباي بمن معه من الأمراء ،والعساكر، فقاتلوه، فثبت لهم ساعة، ثم انهزم أقبح هزيمة، وقبضوا عليه وعلى الأمير يرسباي الدقماقي : أعني الملك الأشرف الآتي ذكره، وعلى الأمير طوغان دوادار الوالد، وهو أحد مقدمي الألوف بدمشق، وعلى جماعة

كبيرة، وتمزقت عساكرهم، وانتُهبت، وأتى خبر كَسْرة الأمير آقباي للسلطان فتخوف وهم بالرجوع إلى دمشق، وجَبُن عن ملاقاتهم، لقلة عساكره ،حتى شجعه بعض الأمراء أرباب الدولة، وهونوا عليه أمر القوم، فركب بعساكره من سرمين، وقد أدركهم ،واستفحل أمرهم، فعندما سمعوا بمجيء السلطان انهزموا ،ولم يثبتوا وولوا الأدبار من غير قتال خِذلاناً من الله تعالى لأمر سبق، فعند ذلك اقتحم السلطانية عساكر قاني باي وقبض على الأمير إينال الصصلاني نائب حلب، وعلى الأمير تمكن تمُر اليوسفي المعروف بأرق أتابك حلب، و ... و ... وفر قاني باي واختفى ... " وفي رواية أخرى توضح سبب تنافسهم على نيابة حلب، واقباي هو النائب الحقيقي من السلطان المملوكي يسبق حضوره إلى هنا مستعداً لاستقباله بمؤازرة نائب الشام معه، وعند تل السلطان يلتقي مع العصاة منهم المطالب بنيابة حلب الصلصلاني، وبعد قتال شديد يتم أسر اقباي، والموالين للسلطان، وحين علم السلطان بأن الهزيمة حلت بأنصاره و " ببركة مولانا السلطان المؤيد وسعادته التامة، وكان الأمر في هذا أن هؤلاء الشرذمة لما حصل ما حصل جاء الصريخ لمولانا السلطان، وهو على أرض سرمين، فعند ذلك نهض نهوض الأسد الكاسر الجافي، وأسرع سرعة الصحيح القوادم، والخوافي، فنزل على الخارجين المتمردين، الطريدين المتشردين نزول السباع على فرائسها المغروسة، وجعلهم حصائد مدكوسة مدسوسة، فلم يشعر إلا وهم في قبضته الشريفة ... " وبعد نصر السلطان يرسل خبراً إلى القاهرة . فدقت البشائر، وزينت الأسواق ... وفي حلب يستغل قرائُلك خلوها من عسكرها ... ثم يرحل عنها وكان نائبها يشبك (هو نفسه آقباي الدوادار) في الميدان وبأمرته ١٤٠ فارساً مشغولاً، ولدى وصول الخبر أن عسكر " قرا يوسف يدركه " وفي الصباح يتوجه لملاحقتهم وحربهم، إلى أرض ـ وطاة ـ بابلّة (١) يواقعهم بمن معه ويهزمهم أي لعسكر قرا يوسف، وبعد قتله وأسره جماعة منهم يقولون له " نحن جئنا للكشف عن خبر (قرائُلك) وقائدهم قرا يسوف في عينتاب " والذي هو بدوره اعتذر عن كل هذا ،وقدم هدية للسلطان اعتذاراً عما حدث، وقبلها السلطان مسروراً ... والظاهر مما حدث في المنطقة من تمردات ومناوشات أن تحولت إلى موضع اهتمام السلاطين المماليك، فيكثرون من زيارتهم إليها، في سرمين، وتل السلطان

..فها هو السلطان الملك المؤيد يزور المنطقة مرة أخرى ويزور تل السلطان في ليلة الثلاثاء السابع عشر من ربيع الأول ٨٢٠ هـ لينام فيها، وفي الصباح يستعرض العساكر فيها ... أي أنها لم تعد فقط موقعاً بسيطاً للنزول به، بل أصبح فيها حامية عسكرية تأمن شر المتمردين وتظل مثل هذه الحامية فيها، وفيما بعد في سراقب في العهد العثماني لحماية قوافل التجارة والحجيج من الاعتداء عليها . وليس لنا تعليق على هذه الأحداث سوى أن :

أولاً: عانت المنطقة من القلاقل، والاضطرابات بين المماليك أنفسهم، وأتباعهم ،كما عانت من وجود التركمان الذين ثبتوا ملكيتهم الزراعية في عام ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣ – ١٤٠٤ م .

ثانياً : حصلت بعض المدن على استقلاليتها كتابع لحلب، وليس للتركمان، أو غيرهم، وهذا كان واقع سرمين، وحارم، ودركوش .

ثالثاً : سمحت هذه الخلافات إلى تورط البدو بشن الغارات على قرى المنطقة، فاعتادوا على ذلك فيما بعد ...

رابعاً : تبدل الحكام السريع في هذه المنطقة ،فهذا اينال الصلصلاني نائب حلب الذي تمرد خلال فترة قصيرة من حكمه ليعين بديلاً عنه آخر بعد عدة أشهر من حكمه، أدى إلى ضعف السلطة، وضياع تبعية السكان، فكان تمهيداً لدخول العثمانيين وترحيب أبناء المنطقة بهم !

خامساً : كانت سرمين محط القوافل الرئيسي بعد حلب، ومن بعد تسافر إلى دمشق، لتبتعد عن تعديات البدو ... وهذا ما دفع نائب حلب " تنم سنة ٨٥٢ هـ إحداث خفراء ـ أي مرافقين مسلحين ـ عند خان طومان ليغفروا – أي ليحرسوا ـ القوافل إلى سرمين، وذلك لعجزه عن ضبط المملكة ... " وتستمر الاضطرابات والتعديات في الناحية الشرقية لهذه المنطقة لقربها من حلب، وسهولة أراضيها، وحين تحرك شاه سوار، وحسن الطويل ضد حلب، والسلطان، يرسل إليهما الأمير يشـــبك الدوادار سنة ٨٧٥هـ مع تفويضه بأمور البلاد الشامية والحلبية ـ ما خلا نيابة دمشق وحلب ـ ويتم له النصر وتخفق الفتن ... ولكنه حين عاد لنفس الأمر سنة ٨٨٥ هـ أخفق هذه المرة .

في سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م زار المنطقة الملك الأشرف قادماً من القاهرة ـ لأن هذه المنطقة في حكم المماليك كانت تابعة لحلب إدارياً وسلطوياً إلى

سلطان مصر المملوكي، وبعد زيارته حلب يصل إلى سرمين ليبيت فيها، والتقى فيها بـ الأمير قراجا نائب حماه الذي جاء لاستقباله هنا، وكذلك الأمير يشبك حاجب الحجاب بالشام ... ويبدو أن سرمين كانت إقطاعاً له، لهذا قدم أهلها بياناً بأضرارهم من هذا الإقطاع المجحف بحقهم ، ورفع ظلمه عنهم .
في سنة ٩٠٣ هـ يتمرد العاصي اقبردي الدوادار وبعد أن نهب بعض ضياع دمشق حاصر حماه ثم حلب مدة شهرين ثم اتجه إلى قراها وأحرق بعضها ... وفي سنة ١٤٩٨ م يغادر حلب نائبها الظاهر قانصوه إلى سراقب لتفقد أحوالها .

سادسا - خاتمة البحث : نخلص إلى القول من جملة ما سبق: أن وضع هذه المنطقة، لم يعرف الاستقرار خلال مائتي عام،، بل، وأكثر، فلا الخليفة العباسي له وجود حقيقي هنا، ولا الخلافة الفاطمية في مصر، حتى ولا السلاجقة استطاعوا إثبات وجودهم الحضاري هنا، فهم رجال حرب، اعتادوا عليها مع البيزنطيين، والأرمن في الشمال، لذلك كان سكان هذه المنطقة في حيرة من أمرهم، خاصة بعد حضور الإفرنج إلى هنا، ما إن يتبعوا حلب، حتى يستيقظوا ليكونوا تابعين لإنطاكية الإفرنجية ، وقد ذكر(ريتر) الألماني (منذ زمن الحروب الصليبية تعرضت المنطقة إلى الهدم، والتدمير من الجنود الصليبيين ، وذلك تم من قبل قادة أمثال بلدوين ... ولا يذكر غير سرمين، ومعرة مصرين كموقعين لم يتعرضا للفناء ، وذلك لاحتمال قيامهم بخيانة لصالح الصليبيين)(١) ولكن قوله هذا يخالفه ما عرضناه سابقا: إن معرة مصرين ثارت أكثر من مرة ، كما أن إدلب الكبرى رفضت التعامل معهم، مما دفعهم للانتقام منها، وتدميرها لذلك أغفلها المؤرخون . وهذا الفلاح المسكين المرتبط بأرضه، توزعته أهواء الطامعين بخيراته، لذلك بحث عمن يحميه ، فوجده في الدولة العسكرية القوية ، وكان ذلك كذلك في قبوله بقيادة عماد الدين زنكي، ثم نور الدين، ثم صلاح الدين، وبيبرس، لكنها وحدة لم تدم طويلاً لنزاعات من خلفهم ....
ثم يأتي الخطر المغولي، لكنه لم يطل لاعتناقهم الإسلام، بل ظل الخطر الإفرنجي حتى نهايته ٦٩٠هـ / ١٢٩١ م عن الديار الإسلامية ... والذي شكل

بعده غياباً في الضعف الإداري ـ راجع بحثنا عنه ـ وكذلك التركيبة السكانية غير المستقرة ـ راجع بحثنا في هذا الكتاب ـ و أيضاً الضعف الاقتصادي لعدم ثبات الدخل الزراعي منذ دخول الإفرنج لتبدل تبعيته، وللنفوذ الإقطاعي الإفرنجي، والإسلامي غير المستقر أيضاً، فالاقتصاد القوي بحاجة إلى استقرار سياسي وهذا كان بعيداً عن تحقيقه في هذين القرنين ... وكذلك تحول المذاهب الدينية اليعاقبة إلى مذاهب أخرى، أو الصليبيين الذين لم يغادروا ،إلى الإسلام ، وكما سيرد فيما بعد ... أعقبه صراع المماليك على السلطة فتارة سرمين بيد هذا، أو ذاك، أو الصراع المذهبي فيها، وفي غيرها ..كل هذا ساعد بشكل مباشر على دخول العثمانيين إلى هنا، وترحيب السكان المحليين، وزعمائهم بهم، وكأن الخلاص، والأمن سيتم تحقيقه على أيديهم !.
وأقدم وثيقة عربية تذكرادلب الكبرى هي وثيقة وقف محررة سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ ـ ١٤٥١ م تذكر(الفضل محمد قاضي القضاة أبو محمد ابن الشحنة أوقف قيراطان من أصل ٢٤ هي جميع القرية المعروفة بإدلب الكبرى من الغربيات مضافات حلب، حدها من القبلة أراضي قرية إدلب الصغرى ومن الشرق أراضي قريتي بطما و بهوذا[١].

وكذلك ذكرها ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ)في تأريخه لحلب ولأول مرة حين عرف (حصن زردنا في بلد إدلب) أي أنها أصبحت في عهده يطلق عليها اسم (بلد)[٢] وأقدم نص وثائقي عربي لأحد أعلامها نجده في كتاب در الحبب في ترجمة الكفر رومي الإدلبي ٨٨٠ ــ٩٦٠هـ/١٤٧٥ــ ١٥٥٢ م) وأن أستاذه بإدلب يدعى عبد الله الميكائيل، أي قبل هذا التاريخ قد عاش هذا الأستاذ، ومن اسمه يمكن القول إنه قد كان مسيحياً أو أسلم ؟ !

ومن خلال دراستنا الأثرية الميدانية، ومن الروايات المتواترة والمعاينة، وجدنا الباب الداخلي للحرم والمنبر في جامع المبلط قد أحضر من إدلب الشمالية وهما من العهد المملوكي . وكذلك يوجد فيه عمود بتاج منقوش يعود إلى الفن السائد في زمن

---

[١] الطباخ - سير - ٥ / ٣١٤ ــ ٣٣٢ ومقدمة كتاب ابن الشحنة الدر المنتخب طبعة دمشق ١٩٨٤ ص ٢٧.

[٢] ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧٧ حول هاتين القريتين انظر بحثنا القرى الداثرة .

الحروب الصليبية جلب من إدلب الكبرى . وكذلك اكتشف في حي الصليبة بعض اللقى الفخارية والتي تعود إلى العهد المملوكي وأخيراً الحمام الصغيرة ومئذنة جامع الكبير تعودان إلى هذا العهد، وكذلك الفخاريات المكتشفة بقربه هي مملوكية والأهم الجرة المكتشفة فوق القناطر الأثرية في جامع العمري بأربعة مقابض ونقش دائروي نافر قطرها ١٨٣ سم وارتفاعها ٨٣ سم ترجع إلى العهد المملوكي الأخير حوالي ٨٥٠ هـ وقت ترميم سقف هذه الكنيسة المهجورة وتحويلها إلى جامع وقد وضعوا جرة الزيت هذه لأن الزيت كان يمسح به للطهارة .

القسم الرابع-العهد العثماني -٩٢٢ ــ ١٣٣٥ هـ / ١٥١٦ ــ ١٩١٦م:

أولا- واقع المنطقة، و إدلب في القرن السادس ،والسابع عشر.م :

بينّا سابقاً الوضع المتردي في المنطقة، نتيجة الحروب الخارجية،والنزاعات الداخلية، التي أدت إلى تدهور الأوضاع في جميع الجوانب، هذا الجو هيأ لقوة جديدة تدخل المنطقة، وهي الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول (الصورة١٢٠)، بعد معركة مرج دابق شمال حلب في ٢٤ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٣ آب ١٥١٦ م، بين الجيش العثماني والمملوكي، ويتم النصر للأول، ويتابع سيره نحو حلب((ويدخلها بقبول أهلها، وبعدئذ توجه نحو دمشق وفي الطريق مرّ بسرمين وقد تم تسليمه مفاتيح عدة مدن وقلاع منها ريحا ومعرة ...و ... وانضمام بعض القبائل إليه حوالي ٧٠ قبيلة وجعل من حلب إيالة (ولاية) قسمت إلى سبعة سناجق، وكما سيرد في فصل الحياة الإدارية . وأما الوزير المفوض في حلب من قبل السلطان كمال جلبي أفندي، فقد كان قد حصل من مخالفي القانون في كل من خان طومان وسلمين (سرمين) وريحا وإدلب وبكفالون وأنطاكيا ســبعين ألف قرش أي ما يعادل خمسة آلاف أقجة .))[1]ولم نتمكن من معرفة سبب طلب هذا المبلغ، ولكن يبدو أن هذه البلدان لم تكن مؤيدة للسلطان لنفوذ المماليك فيها وخاصة سرمين . ويؤكد ما سبق أن والي حلب قراجا باشا قد تعرض إلى حالات (تمرد) على السلطة العثمانية الجديدة بعد وفاة السلطان سليم ٩٢٦ هـ، إذ خرج إلى " قرية سرمين وقرية داديخ

ونهبهما، فخرج إليه أمير شيزر من جهة الغزالي فأخذ منه جميع المكسب وغنم منه جماعة، وجهز رؤوسهم إلى دمشق، ودخل نائب حلب إليها مكسوراً ... " إن حاكم دمشق جان بردي الغزالي قد تولى ولاية الشام، ولكنه كان يتحين الفرصة للثورة على العثمانيين، لأنه في الأصل موال للمماليك، لذلك بدأ يعين حكاماً من قبله على بعض المدن السورية كـ حماه. وفي عام ١٥٢٠ م خرج الغزالي إلى حلب ليعزل واليها قراجا باشا، والذي دافع عنها وتمكن من صده لتلقيه النجدة من العسكر العثماني، كما أن الأمير علي باك ومن معه وصلوا إلى سراقب،((وأقاموا بها ثلاثة أيام، فأخبروا أن الغزالي بحماه، فرجع الأمير علي باك إلى بلاد سرمين ونائب حماه ونائب طرابلس إلى حلب))[٢] . ويبدو مما سبق أن سرمين وريحا وإدلب وبكفالون قد أيدت الغزالي، وبعد تراجعه عن المنطقة فرض على هذه البلدان هذا المبلغ.. ويتولى السلطنة سليمان القانوني(الصورة١٢١-١٢٢) بعد سليم ، وفي مطلع حكمه حاول أهل حلب والمنطقة التمرد، ولكنه قمع حركتهم بقوة، واكتفى بقتل زعماء الثورة ! ! ! كانت سرمين إحدى أكبر وأقوى المدن في المنطقة في العهد المملوكي (ولاية سرمين) قد أصبحت في عهده تسمى سنجق (سلمين) إذ ذكرها جلبي في رحلته الأولى ١٠٥٨ هـ وذكر سنجقها سلمة . وفي رحلته الثانية ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١م باسم سلمين Selimen ولأن الوثائق العثمانية الرسمية ذكرت أريحا في سنجق سلمين سنة ١١٣٥ هـ ،وكما سيرد تفصيلاً في فصل الحياة الإدارية . لقد كانت سرمين إحدى المدن ذات الوزن السياسي والاقتصادي والسكاني وحتى الديني عبر العصور، ولذلك جعلوها المركز الرئيسي فيها، فهي تقع غرب الولاية، والدرع الواقي لها بعد إنطاكية والممر الرئيسي والرسمي لكل المواكب والقوافل التجارية والحجيج من دمشق، وإليها إلى حلب.

---

[١] إعلام الورى ص٢٣٣-٢٣٥. ورحلة اوليا جلبي.





(الصورة١٢٠)رسم السلطان سليم الأول يخوض معركة.حكم(١٥١٢-١٥٢٠م) (الصورة١٢١)السلطان سليمان القانوني. حكم(١٥٢٠-١٥٦٦م) (الصورة١٢٢)المؤلف في جامع السلطان سليمان في اسطنبول

ثانيا- آل كوبرلي ودورهم في المنطقة : حين كنت صغيراً وشاباً أسمع بالكوبرلي كشخصية هامة في المنطقة، وتروي الروايات عنه كأنه أسطورة غير حقيقية، فمن مكذب ومن شاكك ومن لا يدري... وتشاء المصادفة أن تكون زوجتي المرحومة(ماريا بوشكاش) من منطقة(أردال) في رومانيا (ترانسلفانيا) في تاريخ أحداث بلدها تروي أيضاً ذكريات عن الكوبرلي وأنه كان حاكماً فيها ... وبعد الرجوع إلى المصادر التاريخية تبين أنه الشخصية نفسها التي كان لها دور هام، و حضاري في إدلب، و كان لها ذات التأثير على مجريات الأحداث التاريخية عندهم، وأنه كان هناك أكثر من كوبرلي، ليس عندهم فقط ، بل عندنا في تاريخ إدلب ،والمنطقة حتى جسر الشغر !

محمد باشا الكوبرلي : هو الجد الأعلى من الحكام ولد سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م وتوفي ١٠٧٢هـ / ١٦٦١ م ألباني الجنسية . كان رئيس جماعة الطباخين الخاصة في القصر العثماني ثم عين في دار الخزينة . عين والياً على طرابلس ١٠٦٥ هـ / ١٦٥٤ م والقدس ودمشق ١٠٥٨ هـ ١٦٤٨ م . حاز على رتبة وزير ١٠٦١ هـ ثم عزل ليذهب إلى كوبري . تولى الصدارة العظمى (رئيس وزراء) في الدولة العثمانية ١٦٥٦ –١٦٦١م (الصورة ١٢٣) في زمن السلطان محمد خان الرابع ١٦٤٨ – ١٦٨٧ م (الصورة ١٢٤).. لعب دوراً هاماً في استتباب الأمن في ترانسلفانيا برومانيا عام ١٦٥٨م بعد تمردهم عاماً كاملاً من قبل أهالي أردل، بالقوة العسكرية والدهاء السياسي. قضى على

تمرد حسين باشا في حلب ،وكذلك على تمرد إنكشارية دمشق . خدم الدولة بإخلاص ونشاط وحزم . ادعى المؤرخون أنه ظالم، ولكن لأسباب سياسية، اضطر أن يكون شديداً .ويذكر جلبي (أنه حين كان والياً على طرابلس أحسن إلى سكانها ,كما ضبط قلعة دمشق ووضع فيها ألفي عسكري .. ولاحق العاصين الذين كانوا يقطعون طريق قوافل الحج في صحراء الشام ,ولاحق العاصين كذلك حتى العريش , وشمالاً حتى المعرة وحلب , وعندما يضبطهم يفرض على العاصي أربعين أقجة [وحدة عملة]...)[1] لكن لماذا اهتم بإدلب والجسر وغيرها , كل هذا الاهتمام ولماذا انصب اهتمام من تلاه من ابنه أحمد إلى أحفاده إلى نسائهم بإدلب كل هذا الاهتمام ... الوثائق التي اطلعنا عليها، ولأول مرة تترجم من العثمانية وضحت لنا الصورة التاريخية وبعض الحقائق عن واقع إدلب . يروى تواتراً إن الكوبرلي أحب إدلب وهواءها فاقتنى أراضي فيها وهي قرية حديثة من عهده، ولكننا أوضحنا من خلال الوثائق أن إدلب موجودة كقرية قبله بل قريتان إدلب الصغرى وإدلب الكبرى ...

ولكن الكوبرلي مع ابنه احمد منحاها اهتماماً خاصاً كوقف للحرمين الشريفين، في بعض المنشآت المنجزة من قبلهم، ولحماية الحجيج القادم من الشمال إلى الجنوب ولكن متى زار المنطقة ؟ ! يروي مترجم سيرة حاجي خليفة صاحب كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون "[2] ... وفي سنة ١٠٤٣ هـ سافر مع الوزير الأعظم محمد باشا إلى مشتا حلب وحجّ إبان ذلك " إذن هذه المنطقة في طريقه حين كان والياً في دمشق،

---

[1] جلبي – سياحت مجلد ٩ / ص ٤٠١ و ٥٣١ استنبول ١٩٤١– ١٥/١ .

[2] استنبول ١٩٤١، ١٥/١ .



(الصورة١٢٣) محمد باشا الكوبرلي الصدر الأعظم(٩٩١-١٠٧٢هـ/١٥٨٣-١٦٦١م)



(الصورة١٢٤) السلطان محمد خان الرابع(١٠٥١-١١٠٤هـ/١٦٤٨-١٦٨٧م)

كما أن جسر الشغر في طريقه حين كان والياً في طرابلس .. كل هذه الزيارات جعلته يعجب بالموقعين ويفكر بواقعهما الاقتصادي وكيفية تنشيطه؟ وطالما أن الموقعين على طريق الحجاج، فالوقف هو نقطة البداية في إنجازاته العظمى، ثم " تفرغ الوزير صاحب الترجمة (عن المحبي) لإجراء الخيرات، فعمر الخان المعروف به في طريق قسطنطينة، بين اسكي شهر و أزنيق، والخان والعمارة العظيمة بقصبة الشغور(الصورة ١٢٥) ، والعمارات الكثيرة بإدلب [١] " فما هي هذه العمارات ؟ لقد وضحتها ما تواتر

---

[١] خلاصة الأثر ٣٠٠/١ .

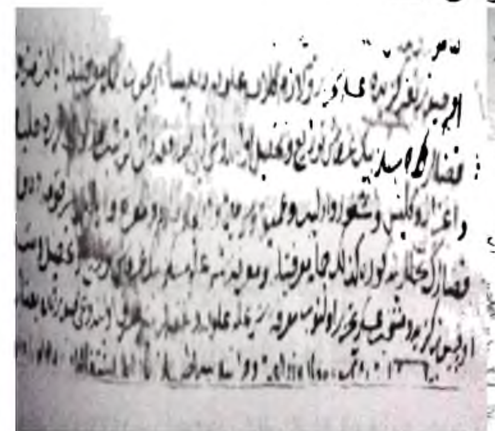


(الصورة١٢٥) باب خان الكوبرلي في جسر الشغور

(الصورة ١٢٦) أحمد فاضل باشا الكوبرلي بن محمد(١٠٤٥-١٠٨٧هـ/١٦٣٥-١٦٧٦م

عن سكانها ،والوثائق الرسمية ،أنه هو الذي أمر ببناء الأسواق فيها وخاصة سوق البازركان , وبعض الخانات والمساجد والسبل - انظر بحثنا عنها - وهو الذي أمر بتبليط أزقتها وبناء سورها، لحماية سكانها وأسواقها، بالإضافة إلى إعفائها من الرسوم والأعشار. كما أن ابنه أحمد(الصورة١٢٦) تابع تنفيذ أوامره ووصاياه بين الأعوام ١٦٥٨ – ١٦٦٥ م، ومن هذا التاريخ شهدت إدلب الصغرى عمراناً لم تشهده من قبل - انظر فصل الحياة العمرانية تفصيلاً في الجزء الثاني- ومن بعد عند إحداثها محافظة ،ولتدخل حياة جديدة ، ولم نتمكن من الحصول على المرسوم الأصلي، بل المراسيم التالية له بينت لنا حقيقة هذا الإعفاء ... فالأمر السلطاني الصادر من القسطنطينية باللغة العثمانية موجه " إلى والي حلب الوزير عبد الله باشا وإلى قاضي المسلمين في حلب حول أوقاف والي الأناضول المشير الوزير كوبريلي زادة عبد الله باشا المتولي الحالي على أوقاف جده وعمه، وجعلها حرة حسب الوثائق المخطوطة المتعددة المقرونة بالخط السلطاني و إعفائها من كافة التكاليف، وعدم التعدي على الرعايا الفقراء، وعدم ظلمهم ، مع العلم أن لهذه الأوقاف عائدات، وقد

حصلت بعض المظالم أثناء جبايتها وعرض ذلك



(الصورة ١٢٧) وثيقة السلطان العثماني في إرسال المدد إلى جبهة تبريز برئاسة (عبد الله الكوبرلي)سنة١١٣٧هـ-ادليب-سرمين-معرة المصرين وغيرها(سجل٢٢وثيقة٢٥٣)

(الصورة ١٢٨)وثيقة السلطان لتشكيل مفرزة عسكرية من ادليب،ومعرة المصرين،وسرمين،وغيرها١١٣٧هـ

قاضي إدليب للوزير المذكور، ولا سيما ما يتعلق بأوقاف العمق، وحسب هذا الأمر يجب أن يعمل بموجبه ، تعفى هذه الأوقاف من سائر التكاليف، وتترك حرة كما ذكرنا، ويراعى أثناء جباية العائدات جانب الفقراء لئلا يلحق بهم أي أذى .. حرر في أوائل رجب ١١٤٦هـ) = / ١٧٣٤م (الصورة ١٢٧ -١٢٨) وترسل المراسيم والتعليمات من كافة المسؤولين تأكيداً على هذا النهج في حماية أوقاف إدلب وأهلها من أي تظلم وكما سيرد في بحث الحياة الاقتصادية(في الجزء الثاني) وبحث الأوقاف في هذا الجزء، ومنها هذا الكتاب المرسل من قاضي حلب إلى والى حلب وكيل الوقف بتاريخ ١١٩٠ هـ " إلى الآغا وكيل أوقاف الصدر الأسبق كوبرولي محمد باشا في إدلب . بعد السلام نحيطكم علماً بأن الوقف المذكور مفروز القلم ،ومقطوع القدم، من كل الوجوه،وغير مقيدة برسوماتها، وعدم التدخل بشروطها وأمور رعاياها الخاصة ما عدا بعض الرسوم الخارجة [الطارئة] . وذلك بموجب الأمر العالي الوارد إلينا [يقصد أوامر السلطان] وكتابنا المرسل لحضرة الوزير والي حلب المقتضي عدم مخالفة الأمر بالتدخل والتعرض والعمل من أجل بيعها والسلام . قاضي حلب الشهباء) . ولكن هل تبقى الأمور على حالها، طبعاً لا .. سيضعف نفوذ آل الكوبرلي، والسلطان وولاة حلب سينشغلون عن

هذا الأمر، وستباع أوقافه أو تستولي عليها السلطات فيما بعد، كما حدث في خان الرز، والذي كان سراي الحكومة في العهد العثماني، وستؤول ملكيته إلى المالية لتبيعه باسمها مؤخراً ! وكما هو مؤكد في الوثائق والحوليات التاريخية وخاصة لوحة تدشين خان الوزيرين (خان الرز) ، إن أحمد باشا الكوبرلي ابنه، هو الذي دشنه بتوجيهات من والده محمد وهو الذي دشن أيضاً خان جسر الشغر بعد جامعها (الكوبرلي محمد) انظر الرحالة ٢ / ١٤٠ – ١٤٧ فمن هو ؟ - يدعى أحمد فاضل كوبريلي زادة ولد سنة ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م في كوبري(ألبانيا) تلقى علومه الأدبية على يد قره جلبي زادة وعبد العزيز أفندي . في سنة ١٠٦٩ هـ عين والياً على أرض روم فظهر كفايته وحمدت طريقته . وذكرته سالنامة الشام والياً على دمشق سنة ١٠٧٢ هـ ليحكم مدة سنة بلقب وزير، فاهتم بها وأصلح أنظمتها المختلة، وتقيد في أمور الأوقاف، وقمع أهل الفتن وهو الذي جاءه أمر لتولي إيالة حلب ، دون تسلمها متجهاً إلى العاصمة اسطنبول . ولما توفي والده ١٠٧٢ هـ ١٦٦١ م تولى منصبه كصدر أعظم للدولة العثمانية بتكليف من السلطان محمد الرابع والذي كلف أباه سابقاً .
جميع المؤرخين أثنوا عليه (صائب الرأي، كامل الفراسة .. ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين، و قانون الشريعة مثله، كان صعباً شديداً في أمور الشرع سهلاً في أمور الدنيا، كان حاذقاً مدبراً للملك، قائماً بضبطه . وملك من نفائس الكتب ..)
وأما كتبه التي جمعها فقد أوقفها لتكون مكتبة عامة مع تربته التي دفن فيها في ٢٢ شعبان ١٠٨٧هـ / ٣٠ تشرين الأول ١٦٧٦ م أي استمر في الصدارة خمسة عشر عاماً (الصورة١٢٩ -١٣٠) ... وما زالت مكتبته معروفة في اسطنبول تحت اسم مكتبة كوبرولو، وفيها من نفائس المخطوطات والوثائق ما لا يحصى ... لقد استلم مكان أبيه وعمره ٢٧ عاماً ، وبعد سنة دخل قلعة أردل في ترانسلفانيا (في رومانيا اليوم) حتى وصل إلى هنغاريا (المجر) ليحاصر قلعة ايوار مدة ٢٦ يوماً ويفتحها . عقد العديد من الاتفاقيات مع الدول، والتي نفعت الدولة العثمانية . كما فتح حصونا في بولندا وجزيرة كريت ... كل هذه المهام، لم تمنعه من الاهتمام بوصية والده في إقامة المنشئات والمؤسسات الوقفية في هذه المنطقة والتي بدأها والده في إدليب،والجسر، ودركوش، وسرمين، وحزانو، وأنطاكيا ، والعمق في نواحي أنطاكيا، وفي حلب وريفها - انظر بحث الأوقاف تفصيلاً لمنجزاتهما . في هذه الأسرة من تولى مناصب هامة أيضاً مصطفى باشا كوبرلي زادة ابن محمد باشا، والأخ الأصغر لأحمد فاضل باشا تولى الصدارة العظمى ١١٠٢ هـ/

١٦٩١ م استشهد في حملة على المجر بعد فتحه بلغراد،وله أملاك هنا، إذ تشير وثيقة تاريخها ١١٢٩هـ إلى ملكية زوجته حاكمة قادين [سيدة] بنت عبد الرحمن بموجب حجة شرعية ١١٢٥ هـ والتي صدقها القسام العسكري - أي اقطاع عسكري - في جوار إدلب من الغرب حتى مرتين وفيها ذكر للحفة التي ذكرها ياقوت - انظر الفصل الأول وما ورثته واشترته أمر لا يصدق، ويدل على ثرائها الفاحش . وكذلك تولى الصدارة العظمى قره مصطفى باشا عام ١٦٧٨ م، وحاصر فيينا عاصمة النمسا . وقطع رأسه ١٠٩٥ هـ . ومنهم نعمان باشا كوبريلي زادة ابن مصطفى عين والياً على أرض روم ،وأناضولين، وقندية، وغيرها،



(الصورة ١٢٩)المؤلف أمام البوابة (الصورة ١٣٠)المؤلف أمام تربة آل الكبرى لقصر السلطان العثماني في الكوبرلي في اسطنبول٢٠٠٤م
اسطنبول٢٠٠٤م(متحف طوب كابي الآن)

ثم أصبح قائداً عسكرياً في عدة ولايات . وكذلك تذكر الوثائق أيضاً عبد الله باشا كوبريلي زادة - وكما سيرد - وهو حفيد محمد باشا الأكبر تولى مناصب عسكرية هامة في زمن السلطان أحمد خان الثالث وكلفه بالسفر إلى تبريز لفتحها، وفي سنة ١١٤٨هـ نشبت الحرب بينه وبين الإيرانيين، وسقط شهيداً في تلك المعركة (هذه رواية سامي صاحب قاموس الأعلام العثماني) ولكن الوثائق الرسمية هي الأصحن إذ ذكرت وفاته في إدليب، ولعله جرح في المعركة ونقل إلى إدلب ليموت فيها، ويدفن في مكان أملاكه، حيث تشير الوثائق - وكما سيرد - إلى أوقافه بإدلب سنة ١١٤٨ هـ ،ومطالبة ورثته بحقوقهم بعد وفاته، كما في وثائق ١١٥٠ هـ وغيرها ... كان عبد الله هذا بالإضافة إلى رتبته العسكرية العالية، أديبا عالماً، نشر له ديوان شعر بالعربية في منتصف القرن التاسع عشر ببيروت، وسنعود إليه في عدة وثائق . ومن هذه الأسرة أيضاً أحمد باشا الكوبرلي الذي عين والياً على حلب ١١٥٩ هـ / ١٧٤٦ م وهو حفيد محمد باشا الأكبر . تولى الأناضول وعين قائداً للجبهة العسكرية الشرقية وكما سيرد في الوثائق، ومن الطبيعي أن يهتم بإدلب كونها تحتوي أملاك جده . لقد كان لهذه الأسرة دورها الهام ليس في المنطقة فحسب ، بل حتى في الدولة العثمانية لمدة تزيد عن مائة عام " مثلت فترة حكمهم مرحلة انتعاش، ومحاولة للإصلاح والوقوف في وجه القوى المعادية والمسببة للفوضى في الداخل والخارج ". إن محمد باشا الكوبرلي عميد الأسرة تولى الصدارة العظمى (رئيس الوزراء) في الدولة العثمانية ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٦م ، وكما ذكرنا في عهده اهتم بحلبن وإدلب خاصة، والجسر، وغيرها من الأماكن، وكان قد حدث في عهده ((أن خرج على الدولة العثمانية حسن باشا والي حلب، وتبعه ابن الطيار نائب الشام مع ٥٠٠ جندي، والوزير كنعانن مع عسكر عظيم انضم إليه من السكبان، وسبب خروجهم عليه حسداً منه ولكنه تمكن منهم سنة ١٠٦٩ هـ .)) وقد عرضنا نص جلبي حين زارها سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م قائلا فيها وقف لمحمد باشا الكوبرلي . وسنفصل واقع هذا الوقف في بحث خاص من هذا الكتاب . ويتميز النصف الثاني من القرن السابع عشر نهوض إدلب في جميع المجالات، وهي حالة استثنائية في ولاية حلب، والتي كانت تعيش في أحوال مضطربة وسيئة، فالكساد التجاري والغلاء والطاعون ثلاث مرات، وكذلك تظلم الولاة وتعسفهم، جعل الأوضاع غير مستقرة . كتمرد أحمد باشا وحصاره لحلب، وتمرد أبازة حسن باشا الجلالي، ومعه الجلالية ... وتمرد أمراء العرب كالأمير ملحم وغيره مستغلين انهماك الدولة العثمانية في حروبها مع النمسا وروسيا في شبه جزيرة القرم .

كلما وقعت الحرب مع الدول المجاورة يلجأ السلطان إلى التعبئة العامة، وطلب المساعدة والقوات من ولاياته - لطبيعة هذا النظام - ومن أهمها ولاية حلب . ففي سنة ١١٣٧ هـ/ ١٧٢٥ م تطلب القوات المرابطة في تبريز في بلاد العجم (إيران) برئاسة عبد الله الكوبرلي من السلطان المدد [الذخيرة والدواب] فيرسل أمره هذا من القسطنطينية العاصمة إلى والي حلب وعلى هامش الوثيقة بالعربية يعد ٣٩٠ دابة والمطلوب من معرة المصرين ١١ ومعرة النعمان ٢٢ وريحا ٢٢ وسرمين ١١ وحارم ١١ ودركوش مع قرى الدولة وناحية شغور ٧ وتيزين وجبل باريشا ٧ وإدليب ٢٥ ... ومهمة هذه الدواب نقل الذخائر والمعدات من مدينة حلب وإليها (الصورة١٢٧) ... وفي مثل هذه الظروف العصيبة يستغل الأكراد، والعربان، والتركمان في ولاية حلب انشغال السلطة بمشكلات الحرب ،فيهجمون على الأهالي ويتعدون عليهم، بل حتى على قوافل الحجاج (الصورة ١٢٨) لذا أصبح من الواجب تشكيل مفرزة عسكرية ليقدم العون الكافي كما كان منذ القديم تحت إمرة والي حلب رجب باشا، الذي أوجد هذه القوة، وكلف بشؤون الحج، وهيأ ٣٠٠ جندي بكامل أسلحتهم لتدارك الغارات التي تصيب الأهالي، وخص مبلغ ثمانية آلاف غرش تجمع من كل بلد حسب طاقتها، وتحمله من الوجهة الشرعية كي توزع على تأمين الجند مع مراعاة الفقراء، وعدم التعرض لهم لتأمين الأمن ذي الحجة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٥ م . سرمين ١٠٠ معرة المصرين ١٠٠ وتدفع إدليب ٨٠٠ غرشاً ثمناً لحمايتها من اللصوص، وهو مبلغ كبير بالمقارنة مع حلب التي دفعت ١٥٠٠ غرشاً وهذا يشير إلى أهميتها وقوتها الاقتصادية في هذا الزمن، إذ كانت في أوج ازدهارها الاقتصادي، ومن الطبيعي حماية أموالها من اللصوص . بعد مضي بضع سنوات، يصدر السلطان العثماني أمره إلى والي حلب ١١٤٦ هـ " لشراء مائة حصان من القرى لجر عربات المدافع، لتنقل المدافع الخمسين من الاسكندرونة إلى الموصل حيث يرابط وزيرنا السر عسكر كوبريلي زادة عبد الله باشا ... " ومن الطبيعي أن يطلب من إدلب دفع حصتها، ولكن قاضي (إدليب) يعترض للوزير كوبريلي والذي هو المشير والي الأناضول، وقائد الجبهة الشرقية ،ورئيس العساكر في الشرق، مبيناً أن إدليب معفية من كافة التكاليف، لأن فيها أوقاف جده، وعمه ،ولجعلها حرة. لذلك يصدر السلطان أمره بأن يكون كوبريلي زادة عبد الله باشا متولياً على أوقاف جده، وعمه ،وجعلها حرة حسب الوثائق المخطوطة . وقد عرضناها سابقاً مع صورة عنها لأهميتها في تاريخ إدلب والمنطقة - انظر بحث الأوقاف وغيره - لكي نقارنها مع غيرها من الوثائق , وفي قائمة أخرى تسجل الجمال المطلوبة من إيالة

حلب ٥٠٠ جملٍ تنفيذاً لأوامر السلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع سرمين،ومعرة المصرين، وإدليب كل منها عشرون جملاً، على أن ترسل إلى ساحل الاسكندرون ومنها إلى ديار بكر، لضرورة الاستعداد للحرب . وفي وثيقة أخرى يخصص ٢٣٠ بغلاً وحصاناً لنقل الذخائر والمهمات العسكرية العائدة للباشا كوبريلي . وقد جمعت من ... سرمين ١٥ معرة المصرين ١٥ وذلك بمعرفة الأعيان والوجوه ... " وهنا لا تذكر إدلب فهي معفاة . وفي السنة التالية يصدر السلطان أمره لجمع البغال من " ... سرمين والمعرة وأريحا وحارم، ويستدرك لوازم المعيشة من خبز ولحم وأرز وعسل وبيض وحطب وشعير، وتوزع بمعرفة الكتخدا والي حلب في ١٣ ذي الحجة ١١٤٧ هـ " وهنا أيضاً لا يرد ذكر إدلب، لأنها معفاة، فالوثيقة التالية الصادرة من السلطان تقول " أمر ملكي حول إعفاء التحصيل من الأوقاف العائدة لآل المشير كوبريلي زادة عبد الله باشا آمر عساكر الشرق، مع وجوب تحصيل مبلغ ثمانية آلاف قرش تأميناً لسفريات الشرق والمحافظة على الأمن صدر في أواخر ذي القعدة ١١٤٧ هـ ،" ولكن حين الحاجة، أو عجز الميزانية في الأزمات فإن السلطان يلح على قاضي حلب وجابيها ومحافظها والمباشر سنة ١١٥٦ هـ، بتطبيق فرمانه، وإخراج الدواب والجواميس وسائقيها، والتي لم يتم كما يجب تنفيذه، إذ تأخرت البلدان ... شغور وإدلب ... في إخراج ما يترتب عليها من الدواب وسائقيها، وذلك لأجل نقل المدافع والذخيرة الواردة إلى اسكلة إسكندرون ووصولها للتحرك إلى حلب ... " . وفي سنة ١١٤٨ هـ تتعرض إدلب للنهب والسرقة مِنَ ... ؟ ولماذا ... ؟ لنقرأ النص الرسمي للأمر السلطاني " فرمان حول تعيين مباشر موظف لتحصيل ثمن المنهوبات في بلدة إدلب . عين المباشر المذكور السيد عمر لجمع مائة ألف غرش ثمن المنهوبات بعد قتل السيد ابن عبد الكريم والحاج حسين وإلقاء القبض على المشبوهين بأمر والي حلب الوزير أحمد باشا . ١١٤٨هـ " " أمر سلطاني ... إلى قاضي إدليب لتحصيل المبلغ المذكور مائة ألف غروش وتسليمه إلى ورثة المقتولين سيد عبد الكريم والحاج حسين بمعرفة المباشر الخاص وعرض ذلك على السدة العلية وإخبار الباشا بذلك وإجبار المسؤولين بتسديد ما عليهم ودفعه للورثة ١١٤٨ هـ " يبدو أنهما من المسؤولين الكبار بإدلب، ومن المسؤولين على أوقاف الكوبرلي فمائة ألف غروش مبلغ يشتري عدة قرى، ويسرق هذا المبلغ الكبير، ويهتم به السلطان كمشكلة عليهم إعلامه بها أولاً بأول،وتحميل المسؤولية على حكام إدلب، لدفع المبلغ للورثة حتى ولو من جيوبهم ! ! ! فمن هما هذين الشخصين ! أفادتنا الوثائق السابقة لهذا الفرمان والصادرة قبل عام

بصدور الأمر السلطاني بتعيين مباشر لتحصيل الحقوق الشرعية للمستدعي عبد الكريم وأخيه الحاج حسين بن نعمة (نعمة أوغلي حاجى حسين) المطلوبة لعام ١١٤٧ هـ من أوقاف المتوفى الصدر الأعظم السابق محمد باشا كوبرلي في إدلب التي تبلغ عشرة آلاف غروش بعد إجراء المحاكمة، وبحضور السر عسكر عبد الله باشا ،وقاضي حلب، وإدلب للعمل بموجب الشرع، وعدم مخالفته بشيء بموجب أمرنا الشريف ١١٤٧ هـ " وأكثر من وثيقة تذكر حسين نعمة مع أخيه عبد الكريم قد أشرفا على أوقاف الكوبرلي وبناء وإصلاح بعض مساجده كجامع جبلاد - مسجد الساحة الآن - والمبلط والشيخ فتوح والحمصي - انظر بحثنا عن تاريخ المساجد في إدلب في هذا الكتاب - وفي نفس السنة يصدر السلطان أمره المتعلق بـ(حرية التصرف بأوقاف المتولي كوبرلي محمد باشا) ورفع المظالم ومنع التعديات على هذه الأوقاف وذلك بطلب من المشير أحمد باشا ومعها أوقاف عبد الله باشا الوزير المتوفي في إدليب صادر في أوائل ذي الحجة ١١٤٨ هـ " من هو عبد الله هذا الدفين بإدلب! وأين قبره ؟ إنه كما أشارت الوثائق الرسمية الأخرى " عبد الله باشا كوبرلي زادة والي الأناضول ورئيس العساكر في الشرق سنة ١١٤٦هـ وفي أخرى القائد العام لعساكر السلطان في الشرق برتبة المشير الوزير ووالي الأناضول، وهو الذي عرضنا آنفاً نبذة عنه، وهو من الشخصيات الهامة التي لعبت دوراً في توطيد السلطة في الأناضول وجبهة الحرب الشرقية (مع إيران) وفي منطقة إدلب إذ كانت له أوقاف بإدلب وغيرها سنحاول دراستها في بحث الأوقاف . وأما مكان قبره فهو في جامع بشير آغا تحت القبة المقامة فوق جدثه - انظر بحث المساجد وتاريخها - وتفيدنا الوثائق التالية إلى مقتل عثمان كتخدا المتزوج من مقدارة خانم وله بنات هن حفيدات المرحوم كوبرلي زادة عبد الله باشا، وقد سرقت أمواله البالغة ٦٥٠٠ غرش، كما جاء في شرح الوالي عثمان باشا إلى قاضي إدلب سنة ١١٥٠ هـ . ويتابع السلطان الأمر، للتمكن من ضبط الأموال المسروقة، وتم العثور عليها في حلب وكلس وإدلب، ومنها ما قد أرسل إلى الأستانة (العاصمة اسطنبول) وتم إخلاء الموقوفين لذلك ودعوة المباشر مصطفى آغا بعد تحصيل الموجود، لدى أقربائه، وكذلك موجوداته في حمص وحماه وبعلبك[هذا يدل على نفوذ آل كوبرلي وغناهم] مع طلب حراسة مشددة لحماية المحصل لصالح الخزانة من أموال عثمان باشا . ومن الأوامر الأخرى حول تكاليف الإمدادات الحربية، ففي قائمة ذكرت أن تدفع سرمين وأريحا ومعرة المصرين وحارم والحلقة وباريشا ودركوش والشغور (دون ذكر إدلب) المبلغ المعلوم سنة ١١٤٩ هـ، وآخر محرر في

سجلات حلب يتضمن " يجب تحصيل الإمدادات المالية بمناسبة حلول موسم السفر للعساكر السلطانية ،وضرب الأشقياء، لذا يطلب تجنيد كافة القادرين على الحرب وتأمين كافة المصروفات : سرمين ومعرة المصرين وحارم وأريحا كل منها ٣٩٠٠ جندي بينما باريشا وحلقة وشغور ودركوش كل منها ١٠٨٥ جندياً وفي سنة ١١٥٠ هـ يزور إدلب الشيخ العلامة الأدهمي الطرابلسي مع جماعة من علماء الأزهر، وينزلون في إحدى مصابنها ![1] وما ان تطل سنة ١١٥١ حتى تطلب الدولة العثمانية تكاليف السفر لحرب سنة ١١٥٢هـ مسبقاً من أجل حملتها على نمجة (النمسا) والمسقوفيين (أي الروس) وتسهيل ذلك بسرعة، يليه أمر آخر لتغطية مصاريف هذا الجيش، وبرضاء السلطان يدفع البدل عن كل ثلاثة أنفار ألف قرش (من مالكي القرى والمقاطعات) ومن الأهالي خمسون قرشاً عن كل نفر حرر ١١٥١ وقيد ١١٥٢هـ . ولكن المبلغ يعدل في السنة التالية إلى اربعين قرشاً . كما حدث وسيحدث استغلال بعضهم انشغال السلطات بالحروب الخارجية، بتعديهم على بعض القرى، من قبل الأشقياء من الأكراد والعرب - أي قبائل العربان- مستغلين هذه الظروف، لذلك يصدر مرسوم حماية هذه القرى، بفرض رسوم الحماية، ودفع راتب المتطوعين لحماية المدن والقرى، ولكن السلطان يصدر أمره بإعفاء وقف كوبرلي زادة عبد الله من جميع التكاليف سنة ١١٥١ هـ وهذا كما ذكرنا له وقف بإدلب وغيرها لذلك كانت إدلب معفاة . ومن الطريف القول ألم يكن هؤلاء يستغلون مثل هذه الظروف؟! كذلك ولاة الأمر، يستغلون مناصبهم، لمصالحهم الشخصية، فتصادر أموالهم، كالأمر السلطاني الصادر ١١٥٣ هـ (بمصادرة أموال الوالي المتوفي كنج علي باشا باعتباره استغل نفوذه وأخذ الرشاوى أثناء حكمه). وهو الذي تولى إيالة حلب سنة ١١٤١ هـ لنعد مرة أخرى إلى موضوع الحرب ومشكلاتها إذ لم يكن السلطان يصدر أوامره لجمع الإعانات في حالات الحرب، إذ يبدو أنه يصدر أمره المعاكس لتوزيع غنائم الحرب (أرزاق من إيران إلى الدولة العلية وهي خبز وغنم وأرز وبرغل و شعير وتبن وحطب، إذ وصلت سنة ١١٥٣هـ وهي حصة أهالي سرمين ومعرة مصرين ويجب تسليمها إلى أصحابها عن طريق خان الحجي بمدينة حلب بعد دفع نفقاتها) ولكن الأهالي لا يشعرون بهذا الهناء زمناً، إذ بعد سنتين ينقل والي حلب حسين باشا إلى حدود إيران للدفاع، لذا يجب تحصيل نفقات سفره، فيقرر على قضاء سرمين ٣٥٢٣ غرشاً (أصل

---

[1] انظر كتابنا الرحالة ٤٩/١

المال مع المصاريف) ومثلها قضاء معرة المصرين وقضاء أريحا [في الجدول إدلب معفاة] ولكن يبدو أن إدلب لن تطول مدة إعفائها إذ في سنة ١١٥٦هـ يطلب منها إرسال الدواب كغيرها . فسرمين ١٣ ومثلها معرة مصرين وحارم وأريحا بينما إدلب سترسل ثلاثين دابة . ولكن حين الحاجة أو عجز الميزانية في الأزمات، فإن السلطان يلح على قاضي حلب ،وجابيها، ومحافظها والمباشر سنة ١١٥٦ هـ، بتطبيق فرمانه، وإخراج الدواب والجواميس، وسائقيها، والتي لم يتم كما يجب تنفيذه، إذ تأخرت البلدان ... شغور وإدلب ... في إخراج ما يترتب عليها من اسكلة [أي ميناء اسكندرون] وصولها للتحرك إلى حلب " والسبب في التأخير لأنهما وقف للحرمين ،والأولى الإعفاء دون جدوى . وما إن يمضي العام حتى يطلب نقل مهمات المدافع من ميناء اسكندرونة إلى قلعة الموصل فتطلب جمالاً لحملها سنة ١١٥٧ هـ إدليب ترسل ٣٥ وسرمين ومعرة المصرين وريحا وحارم كل منها ثلاثين جملاً . ولكنهم أوصلوها إلى الرقة فقط دون بغداد، لذا يصدر الأمر سنة ١١٥٧هـ إلى قاضي إدلب بمتابعة تنفيذ مهمتهم حتى الموصل بسبب الحرب مع العجم . وبعد سنة أخرى يطلب من إيالة حلب نقل (مئة ألف كيلة ذخيرة ثلثاها حنطة وثلثها شعير من اسكلة اسكندرون إلى مرفأ بيرة جك وتدارك ٣٠٠ مكاري ودابة لنقلها ... إدليب الصغرى حنطة و شعير كيل استنبول ٩٠٠٠ بحساب المكوك ٣٢١ . وأما معرة المصرين فحنطة وشعير كيل استنبول ٤٢٠٠ بحساب المكوك ١٥٠ ومثلها سرمين وأريحا سنة ١١٥٨ هـ وفي سنة ١١٥٨ هـ تظهر طائفة اللوندات في المنطقة وهم المرتزقة الذين باعوا خدماتهم، وهم من الفرسان، وجندوا مثل السكبان[١] من بلاد الروم . كانت مهمتهم الأصلية حفظ الأمن ولكنهم يتغلبون على مهامهم الأساسية، لذا يقرر السلطان في مرسومه هذا مهمتهم الأصلية بقوله (حفظ البلاد وتأمين راحة العباد، إذا بها تنقلب إلى سفاكين، فاستوجب قطع رؤوسهم وإرسالهم إلى دار السعادة باسطنبول) ومراسيم أخرى تؤكد هذا الموقف، لأن تعدياتهم تجاوزت حدودها، فيرسل السلطان إلى حكام إدليب والمعرة بأن اسماعيل خان زادة [جده محمد باشا الكوبرلي، وهو المتولي على أوقاف جده الشهيد انظر بحث الأوقاف] يتظلم بعرضحال (أي استدعاء) بأن أمراء وسناجق اللواندة (ليوندة) يتداخلون بشؤون قرى تفتناز وتعوم التابعة لناحية إدليب وقرية

---

[١] السكبان : هم من العناصر المأجورة وهي كلمة فارسية سك = كلب و بان = صاحب أو حامي .

معصران في المعرة . في حين أن ضباط الوقف هم في الأصل المكلفون بنظارة هذه القرى الوقفية سنة ١١٥٨ هـ ..." وفي سنة ١١٥٩ هـ / ١٧٤٦ م أصبح والياً على حلب أحمد باشا كوبريلي زادة وهو حفيد محمد باشا كوبريلي جده الأعلى وعمه، والذي عرضنا بعضاً من نشاطه العسكري، وأنه كان والياً على الأناضول وقائد الجبهة العسكرية الشرقية للدولة العثمانية، ولكن ولايته لحلب لم تتم، لأنه اعتذر عن حضوره بسبب الشتاء، إذ عين بديلاً عنه أحمد باشا . لقد عدل السلطان عن تعيينه والياً على إيالة حلب، لأن الحرب في الجبهة الإيرانية قد بدأت لذا يلحق جدول ينظم المال المقروض على ١٢ مدينة (المبلغ ٥١ ألف غروش) لتسيير سوق الجيوش بقيادة الوزير أحمد باشا ففي ٢٥ محرم الحرام ١١٥٩هـ ستدفع قضاء سرمين وقضاء حارم وقضاء أريحا كل منها ٤١٨٠ غرشاً، بينما مدينة حلب ١٢٥٠٠ غرش، وإدلب غير مذكورة لأنها معفاة . وبعد سنتين يقرر السلطان إنشاء مستودعات للذخيرة والمهمات الحربية في قضاء إدليب وشغور بولاية حلب وتجلب من مداخر ومستودعات اسكندرون ٣ ربيع الأول ١١٦١ هـ " في سنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م بدأت تدب الفوضى في أطراف منطقة إدلب، إذ يأتي الأكراد والتركمان (ويقطعون الطرق وينهبون عباد الله في مناطق حارم والروج ودركوش أثناء سفر أبناء السبيل من الأهلين الفقراء ومرورهم، وسلب أموالهم) فيتابع السلطان هذا الموضوع شخصياً بإرسال أوامره مؤكداً دفع الأذى والاهتمام بالأمر جدياً، وذلك بتعيين خمس أغوات (الأعلام الخمس) لمنع هذه الأعمال بالسلاح ودفع خطرهم ...في سنة ١١٩٠ هـ يقرر على قضاء إدلب تسليم الحنطة، والشعير كمؤن يحتاجها الجنود المأمورون في طرف بغداد، وكذلك جمالاً، مع مكاريهم ترسل نحو جبهة بلاد العجم، فسرمين ١١ ومعرة مصرين ١٢ وقف إدلب ١٢ . وفي سنة ١١٩٣ هـ ١٧٧٩ م طلب ٢٥٠ جملاً لنقل الأحمال الثقيلة عن وقف إدلب وقضاء معرة المصرين وقضاء أريحا كل منها عشرة بينما قضاء سرمين تسعة . وفي كشف الضبط العائد لضريبة السفرية عن سنة ١١٩٢هـ السابقة استناداً إلى قيود دفاترها والمأمور عليها مظلوم حسين آغا ... قرية بكفالون ٤٦٦.٥ وسرمين ٩١٠ وقرية حراجة ٥٤٧.٥ وقرية نيرب سرمين ٣٥١ وقرية كفر جالس ٣٩٧ وقرية رامحمدان في ذمة أهاليها بحجة شرعية ٢٧٩٠ هذه متبقية عليها والمطلوب منها . قرية فرادغين وحصون وقراها ١١٩ وقرية نجارة ٣٩ وتفتناز وطعوم ٥٥ وقرية بكفالون ٤٧ وكفر حلب ومارتين ومن حراجة وقراها ٢٣٢ ونيرب سرمين الغربية ٦٨ وإدلب الشمالية ٣٠٠ وقرية سرمين ١٧٥ وقرية كفريا وتوابعها ١٧٣ سنة ١١٩٣ هـ ونلاحظ

هنا إعفاء إدلب الصغرى، بينما إدلب الشمالية غير معفية كما ورد ! ! ! وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ومطلع القرن الثالث عشر يستفحل نفوذ الإنكشارية في المنطقة مرة أخرى لذا يضطر والي حلب " عثمان باشا إلى دخول إنطاكية سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٧ م ثم يذهب إلى أرمناز ويقتل شيخها - أي شيخ القرية إذ كان زعيم القرية وكما سيرد في فصل الحياة الإدارية - وصادر منها أشياء حتى أتى إدلب وصادرها وخرب جميع القرى التي مر عليها، وما حول ذلك، إلى أن وصل إلى خان طومان".

ثالثا - إدلب في أواخر القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر :

إن أي نجاح اقتصادي سيتبعه نفوذ اجتماعي، وبالتالي التنفذ في السلطة لاستمرارية هذا النجاح، خاصة بعد التحولات التي طرأت على إدلب، وبنيتها الاجتماعية ،والاقتصادية، بانحسار نفوذ آل الكوبرلي فيها ،ومن تبعهم من أنصارهم وليقتصر على شؤون الأوقاف، وارداتها للحرمين الشريفين، وبعد تراجع إدلب الكبرى اقتصادياً، والتمركز التجاري في إدلب الصغرى .كل هذا سيثير الحساسية عند بعضهم، وكان من جملة العائلات المتنفذة آل جحا ليس في إدلب فقط، بل بسطوا نفوذهم على أراضي وقرى طريق إدلب - مسطومة وحتى ريحا، وأقاموا علاقات جيدة مع الدالاتية[١] في ريحا وجسر الشغر مدة ربع قرن .... وحين حصل الخلاف الحاد والدامي بين آل جحا ، وآل عياش نتيجة لعبة الجريد، كانت هذه حجة تمسك بها كل منهم لصالحه، بل كانت غايتهم التنفذ على رئاسة المدينة، إذ كانت السلطة العثمانية في حالة ضعف مالي وإداري بسبب الحرب مع روسيا . وفي سنة ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩م يرسل السلطان أمره إلى والي حلب وقاضي الشغور وإدليب خاصة، وإلى مديري المال في تلك المناطق لتحصيل الأموال اللازمة وإرسالها إلى جبهة الحرب ... وتطول الحرب بل تستمر سنوات أخرى إلى سنة ١٢٠٥هـ فيصدر السلطان أمره إلى " قاضي حلب بأن يبلغ كلاً من القضاة ونوابهم في كافة مناطق أريحا والشغور ومعرة النعمان وحارم وسرمين ودركوش وإدلب وبقية الجهات بتعيين سرناطورلي عثمان (من أصناف العسكريين الإنكشاريين)

---

[١] الدالاتية : مفردها دالاتي مشتقة من التركية وتعني الأهوج . أطلق عليها لشجاعتها واندفاعها في القتال . هم جماعة الجند الخاص . انظر الرحالة ٢ / ٤٥ .

بالتوقيع الهمايوني ولأخذ العلم بذلك إذ في السنة السابقة انتشر في الممالك الإسلامية مباشرين من الإنكشاريين، بموجب أوامر سلطانية من أجل موسم التأهب والنضال، لمواجهة الغزاة ... ولكن تبين أنهم يضيعون أوقاتهم، لذا ينبغي سوقهم إلى ساحات الوغى وينبغي على كامل الجيش السلطاني الهجوم على كفار موسكو (روسيا) لننتقم منهم)) .وهكذا نخلص إلى القول : إن الدالاتية (الإنكشارية) قد تقاعسوا عن الذهاب إلى جبهة الحرب وبدؤوا يتنفذون في مناطق تواجدهم . ولما كانت ريحا وجسر الشغر إحدى التجمعات العسكرية، كما لوحظ في الوثائق اللاحقة وكما سيرد، فإن نفوذهم قد زاد عبر السنين مستغلين انشغال السلطات بالسياسة الخارجية عن الداخلية، ومن الطبيعي استعانتهم بالعائلات الكبرى في المنطقة كآل رستم في جسر الشغر - وهذا له بحث آخر - وآل جحا في إدلب فالوثيقة التي اطلعنا عليها بتاريخ ٢٢ شوال ١٢٠٥ هـ = ١٧٩١م والمصدقة من إبراهيم النائب بقصبة إدلب الصغرى والمسجلة في ديوان المحكمة الشرعية بحلب بمجلس الشــرع الشريف(الصورة ١٣١) تفيد بما يلي : حضور ٦٤ ممثلاً عن عائلات قصبة إدلب الصغرى وإنهم من سكانها وقرروا لدى الحاكم الشرعي أن (عبد الرحمن ابن جحا) قد تحكم بإدلب وجمع حوله (الحشرات مثيري الفتن) [هكذا قالوا] وأصبح رئيساً للجماهير، بل ودليلاً لجنود الدالاتية الظالمين، بل بلغ به الأمر أن جمع جمهوره المؤيد له (ونهب أهالي محلة الشمالية والشرقية) وضرب بعض البيوت وبلغ به الطغيان وتمادى به الزمان واستولى على أملاك التجار في سوق البازاركان - انظر بحث الأسواق - ونهب راية الخواص والأعيان ... وفي ١٨ شهر شوال ١٢٠٥ هـ ضربوا بعض الناس في داخل السوق، وسلوا أسلحتهم، وجرحوا ثلاثة أنفار، ونحن قد ذهبنا إلى متولينا - أي حاكم إدلب - ليشفع عنده ،فأجاب- أي عبد الرحمن جحا " أنه قد أشهر السيف والحرب ... لذلك جئنا إلى الدولة العلية - أي العثمانية - طالبين المؤازرة بأن لا يسكن في الوقف الشريف جنوده ولا نتعامل معه في أي شيء ... بل ندر كل منهم المال لتحقيق طلباتهم هذه خمسة آلاف غروش يتولى تحصيلها والي حلب و ٢٥٠٠ لقائمقام الوقف الشريف وهو يتولّى تحصيلها " نعدد أسماء العائلات: الذين كانوا معارضين لنفوذ آل جحا ومؤيدين لآل عياش

(كيالي - عبد القادر أفندي المفتي جوهري - الشيخ خليل أفندي أمين الفتوى - جلبي خطيبي - محمد جلبي عياش زادة - باشى - نعمة - بطيخ - داغر - زيدو آغا بن السيد باكير آغا - قاسم آغا - مراد - الشيخ عبد الرحمن ... أولاد كشايا - قصاص - الواحد - حندوش - عطار - اقرعي زام - المرتاني - عقابية - إينال - خاتم - كحيل - بازارباش - هرمش - شريط- الشعار - خلاص - بركات - فحيل - حراجي - الأتاربي - سراق العلايق - حميدان - العبسي - الأسود - علاء الدين - حاج لطوف - الحايك - ناصر - قوبان - الرحابي - عرابي - معدل- الباقورة – عزوز- - حفار - معتوق - عصفور - حمرون - أبو ازبلي - ميجنة - قازان - الجميع من أهالي قصبة إدلب ونلاحظ في الوثيقة دفعهم المال للوالي وللقائمقام لتحقيق مطلبهم في إزالة نفوذ آل جحا، وتولية إدلب لمتسلم (حاكم) موال لهم! كما أن هذا الاتهام الشديد ضد نفوذ زعامة عبد الرحمن جحا في المنطقة، ويبدو أن السلطات لم تأخذ به بشكل حازم، إذ حدت من نشاط الدالاتية بعض الشيء، وباعتمادها فيما بعد متسلماً لإدلب هو محمد عياش [1] وهو نفسه المذكور في الوثيقة السابقة (محمد جلبي عياش زادة) كمواطن عادي ... وفي عام ١٨١٠م تقام لعبة الجريد في احتفال شعبي خاص يحضره الجميع - انظر فصل الحياة الاجتماعية وفيه صورة عن هذه اللعبة - وتأخذ دوراً جاداً، يؤدي إلى سفك الدماء الكثيرة، وتتم المشاجرة الأخرى حول منزل محمد عياش مع آل جحا، وطالما هو الحاكم فقد سعى إلى إخراج آل جحا من إدلب إلى ريحا وجسر شغر، حيث هناك وجدوا جنود الدالاتية حماة لهم، كيف لا وقد استعانوا بهم سابقاً، حين حصل النزاع بين عبد الرحمن جحا،والحي الشمالي، والشرقي منذ عشرين عاماً ، وقد ظل نفوذهم قوياً في المنطقة بعد انتهاء الحرب مع الفرنسيين حين حصار عكا، والروس في رومانيا، فانشغلوا بتقوية نفوذهم لمن يدفع أكثر، حتى أن(كورانسيز) الرحالة الفرنسي حين زار المنطقة ١٨٠٩ م حذره مرافقوه من دخول سرمين خشية من بطش الدالاتية . وقال (بوركهارد - ١٨١٢) أن كل آغا أصبح متنفذاً في منطقته حتى لو بدفع المال لشراء المنصب أو تجديده، كما حدث في

---

[1] هو محمد بن أحمد الإدلبي المشهور بالعياش (١١٧٠ – ١٢٣١ هـ) تسلم رئاسة إدلب لزمن قصير .

ص١١٢ – وثيقة تمثل وفد إدلب الصغرى في حلب لوضع حد للفوضى تاريخها ٢٢شوال ١٢٠٥ هـ .

(الصورة١٣١) وثيقة النائب في قصبة ادلب الصغرى١٢٠٥هـ=١٧٩٠م

إدلب ،وشغر بحيث أصبحت ريحا تحت حكم زعيم الدالاتية (سعيد آغا) وامتد نفوذه إلى جبل الزاوية، منذ تم طرده لـ محمد باشا منها، وصار حاكماً للجبل، وتحت إمرته ثلاثمائة رجل ومائة أرناؤوطي ألباني..ومن الطبيعي تعاونه مع طبّل علي زعيم الدالاتية في جسر شغر (حاكم الشغر) والذي كان تحت إمرته ستمائة رجل، ومع ميلي اسماعيل في قلعة المضيق، وامتد نفوذهم من إدلب إلى جوار حماهن ،وكان تدخل سعيد آغا بشؤون إدلب الداخلية بالاعتماد على العائلة الكبرى فيها آل جحا، وأعادهم إليها، وليزيح عن رئاسة إدلب محمد بن عياش ، ويضع مكانه أبو شاه أخ طبّل علي ، إن سعيد آغا هذا هو الذي بنى الحمام المعروفة باسمه حمام الآغا أو حمام الميري - انظر بحثنا عن الحمامات في الجزء الثاني - وهكذا فإن السلطات العثمانية كانت عاجزة عن تمرد هؤلاء، مستغلين ضعفها وانشغالها بالشؤون الخارجية، رغم الحاح متولي إدلب محمد عياش بعد لجوئه إلى حلب على الوالي لدعمه، فكتب إلى السلطان يعلمه بواقع الحال ويأتيه الجواب بعد عام وتتم متابعة الدالاتية دون القضاء عليهم كما هو واضح في هذا البيان الرسمي المرسل من السلطان (بيان عام ... حيث أن المغضوب عليه المدعو سعيد وأعوانه المتحصنين في قصبة أريحا فكان واجب الدولة القضاء عليهم، وبعونه تعالى في يوم السبت لقد جندت عدة آلاف من العساكر في حملة التفت حول هذه المنطقة، وذلك بسبب لجوء جماعة الموما إليهم إليه وإشعالهم النار في أطراف قرية كفر نجد [جنوب إدلب] واستيلائهم على المتاريس وحصولهم على أربعين أو خمسين قذيفة يدوية إضافة للقادمين على نجدتهم ويربو عددهم على الأربعمئة، وعلى الفور انقض نحو ألف جندي مسلم من فرساننا شاهرين سيوفهم حتى أطاحوا خمسة وثلاثين نفراً منهم ذهبوا طعمة لطغيانهم والحمد لله ... وبعد محاصرتهم للخائن المذكور والقبض عليه وعلى جماعته الأشقياء وعددهم يربو على التسعين، من الذين سينقض على رؤوسهم فهم الخاسرون، وبهذا بشرى لكم بهذه المحاصرة الساحقة للمقهورين والقضاء عليهم أجمعين بناء على البيان الصادر من ديوان حلب " ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣ م" ولكن الوثائق التالية تكذب ما جاء في هذا البيان، ولعل ديوان حلب أوهم السلطان (الصورة١١٩) أنه قد تم القضاء عليهم، والعكس صحيح، وإلا لما تابع السلطان بنفسه هذا الحدث،

ليصدر الأوامر التالية بعده إلى القاضي ... ونلاحظ أنه قد جرت أكثر من معركة بينهما، وأنهم في إحداها قد حاصروه مع جماعته التسعين عدة أيام دون جدوى، إذ تمكن من الهرب . ولم تكن السلطات عاجزة أمنياً بل مالياً إذ تصدر الأوامر لتغطية نفقات هذه الحملة تقسيطاً، وإعدام الشقيان سعيد و طبّل علي (علي الأعرج) [هكذا أسمته الوثائق العثمانية الرسمية] مع الاستيلاء على معداتهم من الأماكن التي كانا يتمركزان فيها، مع ضرورة عودة النازحين عن أراضيهم في قرى حلب [أي في منطقة إدلب وريحا] واتخاذ التدابير الزجرية على من يمتنع بالعودة، لأن الأمر يقضي ببقاء هؤلاء في مزارعهم ... " ويتبعه أمر موجه للقاضي لتأمين الذخائر المتطلبة لعشرة آلاف عسكري بجوار حلب على إثر عقوبة الإعدام المقررة لسعيد وطبّل علي الكتخدا، وإن المسؤول حسين آغا سوف يحضر عشرة آلاف من الفرسان والمشاة ليرابط بجوار حلب [أي في منطقة إدلب و ريحا] ويصدر الوالي بلاغاً عاماً لاتخاذ التدابير وتزويد الدور بالذخائر اللازمة على أثر قدوم سعادة قلندر باشا كبير الولاة في مرعش إلى ريحا حتى إن القاضي يتلقى أمراً من السلطان بالمتابعة مع كافة المسؤولين لشرح مضمون الأمر العالي بإعدام سعيد وطبّل علي وكل أعوانهم المتمردين ويربو عددهم الألفين، والذين تحصنوا بجوار أريحا وكفر نجد والشغور ولكن قوات السلطنة كانت مرابطة بقوتها في هذه المنطقة، مما أجبرت العصاة على الهروب بعد أن قاموا بتعدياتهم المستمرة وظلم الفقراء، والآن تم القبض عليهم " كما تم رفع كتاب من ريحا لإصلاح ما خربته الأحداث، ويوافق عليه مباشرة . مما سبق نستخلص : إن القوات السلطانية كانت في البداية غير قادرة على قمعهم، لذا طلبت العون من السلطان للموافقة على إرسال مدد من عشرة آلاف، ليست قليلة حينذاك كما اطلعنا على وثائق تليها مرسلة خلال الأحداث تفيد أن :

١- سعيد كان متولياً في أريحا أي حاكماً رسمياً وطبّل علي متولياً في جسر الشغر رسمياً .٢- قام الاثنان مع مجموعة من " الأراذل المتواطئين معهم للتعدي وقتل النفوس وهتك الأعراض وإتباع أنواع الظلم ... وقد وصلت إلى مسامع السلطان فغضب غضباً شديداً والتهب ناراً متوهجاً وطلب إعدامهما

وزمرتهما ... واتخاذ الإجراءات ... لتحصلوا على رضانا... " الكتاب موجه من العاصمة إلى قاضي حلب سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م. ٣- كما أن السلطان علم أن المدعو ولي حسن أو حسن المجنون الفار من السلطات والملتجئ إلى جهات الشغور، ويحميه محافظ الشغور ومتوليها طوبال علي (علي الأعرج) ... وتفيد التقارير الواردة (أن المتولي طوبال علي متواطئ مع أراذل الأشخاص إذ يجلبهم للقيام بأعمال السلب والنهب وقتل النفوس وهتك الأعراض واغتصاب الأموال ... ينبغي القضاء عليه وإراحة العباد ووجوب إعدامه بناء على أمرنا الشريف وإعلامنا ...) من كتاب السلطان إلى والي حلب في جمادى الأولى ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م .٤- كما أن والي حلب راغب باشا في نزاع مستمر مع الإنكشارية (الصورة ١٣٢) و انتظر دعم فرسان قبائل العنيزة له في حملته إلى أريحا والجسر، ولكنهم خذلوه في حملته ، لذا هزم مرة ثانية وأدت هزائمه إلى عزله في هذه السنة ١٢٢٨هـ ، وليتولى مكانه محمد جلال الدين باشا بن جوبان .وفي زخم الأحداث وشدتها يرسل والي حلب إلى قاضيها هذا النبأ السار (بولادة السلطان عبد الحميد خان . عمت الأفراح والمسرات بين الكبار والصغار،



(الصورة ١٣٢)جنود إنكشاريون



(الصورة ١٣٣) مروحة مسطومة القرن ٦ م – متحف اسطنبول



(الصورة١٣٤)صينية مسطومة القرن ٦ م – متحف اسطنبول .

ولزوم إقامة واجبات الصلوات والأدعية في المساجد من قبل المشايخ والزهاد، وإطلاق المدافع من القلاع والحصون مدة سبعة أيام مع ما يتضمن من ألعاب

نارية في حلب وجوارها . كما أنه يحظر - بهذه المناسبة - أخذ أو استيفاء بارة واحدة لقاء ما يدعى بالخدمات ... ١٢٢٨ هـ) ولا ندري هل أقامت إدلب مثل هذه الزينات وعمت الأفراح فيها لولادة ولي العهد، أم أنها بدأت تعيش عهداً جديداً بعد زوال نفوذ الدالاتية فيها، إذ تشير الوثائق إلى هزيمة سعيد وطبّل فراراً إلى قرية عندان شمال حلب، فيصدر الأمر بتزويد العساكر المتوجهة إلى محاصرتها بالعتاد اللازم ومنها عددين من مدافع جرخة) يليه أمر آخر بتحضير حملة قوية مسلحة وتجهيز ٢٥٠٠ من جنود المشاة و الفرسان ... ولكن سعيد يتمكن من الفرار نحو إدلب بعد إعلام جماعته في أريحا عن خطته الجديدة، وتعلم السلطات بذلك وتقرر إزالة كل وجود له بتطهير أطراف ريحا، مع تأهب أهالي إدلب والعساكر المتواجدين فيها لملاقاته من كافة الجوانب مع الحذر والدقة [هي تعابير الكتاب الرسمي] . ويبدو أنه عاد أولاً إلى منطقة ريحا قبل دخوله إدلب ... ومن الجدير بالملاحظة تكرار السلطات في كتبها موضوع تأمين الذخيرة، مما يشير إلى عجزها في ذلك مثال (... وسوف ترسل المدافع المطلوبة مع ذخائرها بعد إتمام إصلاحها في عندان وإيصالها إليكم في الوقت المطلوب، مع كميات الذخائر والطلقات اللازمة ونطلب عدم التكاسل ...) .. ماذا حدث لهما فيما بعد ... يبدو أنهما أدركا أن الأمور لم تعد بأيديهما ومن غير الإمكان تحدي السلطات أكثر من ذلك، ففرا إلى لبنان، إلى الأمير بشير الشهابي، ولم يقبل بهما لاجئين عنده زمناً طويلاً، خشية إغضاب السلطان فيعودا إلى نواحي حماه... ولكن السلطات ترسل له كتاباً تطلبهما فيه تحت اسم محمد سعيد متولي ريحا والطبل علي ضابط جسر الشغر ... وأن المشير محمد هلال الدين باشا قد حضر بالعسكر إلى قتالهما . [يقصد في منطقة ريحا سابقاً] فثبتا على قتاله حتى دارت عليهما الدائرة وغلبا فانهزما بأموالهما وعيالهما إلى بلادكم ... وإن دمهما مباح ... (صدر المرسوم من ديوان عكا) ويرد الأمير الشهابي بكتاب " أنهما قد حضرا إلى هذه البلاد ... ثم لم يعد يشاهدهم أحد " وفي الحقيقة أنهما خرجا إلى نواحي بغداد، أقاما مدة هناك، ثم رحلا إلى مصر

ونزلا على محمد علي باشا ، فقبلهما وشفع عند الدولة العلية فيهما، حتى تم العفو وأقاما عنده إلى ما شاء الله [١] وأما آل جحا فقد عاد لهم نفوذهم مرة أخرى، إذ شملهم العفو كما شمل غيرهم فيما بعد ، و محمد بن عبد الرحمن جحا يتولى منصباً دينياً في إدلب ويحصل على رتبة آغا ، ويصبح أحد الوجوه الرئيسة الممثلة لإدلب مع آل عياش ومرتيني وفنري وكما سيرد، بل ظل نفوذهم إلى نهاية الدولة العثمانية، لأن الكنز المكتشف في مسطومة ، في أرض نوري آغا جحا حوالي عام ١٨٩٠ م، قد أهداه إلى السلطان فيه صينية فضية عليها رسم السيد المسيح (الصورة١٣٣-١٣٤)، إذ شاهدتها بنفسي في المتحف باسطنبول من بين هدايا ملوك العالم للسلطان - انظر عنها بحث مسطومة - وهو نفسه يصبح نائب قضاء إدلب سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢م باسم محمد نوري أفندي - انظر فصل الحياة الإدارية - ثم أصبح عضواً في المجلس العمومي في حلب أيام الحكومة العثمانية باسم نوري آغا، وهو الذي سيكون مع وجهاء إدلب لتوديع (عسكر السفر برلك) وكما سيرد... في عام ١٨١٤م / ١٢٣١ هـ تحدث فتنة أخرى بإدلب دامت أكثر من ثمانية أيام، سببها عودة محمد بن عياش إلى حكم إدلب، بعد زوال وضعف نفوذ الدالاتية، وآل جحا، ولكن العامة لا تقبل به " فحصل تكدير العيش والطيش وأفول شمس الكمال والسيادة للشيخ محمد عياش زادة ... " حسب وصف محمد الكيالي معاصره ١٨١٥م . ولكي تهدأ الأمور لا بد من البحث عن شخصية يرضى بها الجميع، وهذا ما حصلن إذ نرجح عمر الكيالي لأنه " دخل سلك الحكومة وتولى نقابة الأشراف وصار (متسلماً) حاكماً إدارياً قضى مدة مديدة كان فيها مثال العفة والاستقامة والعدالة، وكان له النفوذ والسيطرة في طريقهما، ما لم يكن يقره من الحكام الإداريين في هذه البلدة حتى الآن تتناقل ..... قوة حزمهن والمساواة بين الناس في إحكامه بالعدل، وحفظ حقوقها " كانت تركة الحكم بإدلب ثقيلة ،إذ بدأت ثورات الفوضوية بإدلب ،وفساد الأعراب في ريفها عام ١٨١٦ م، والمدة الطويلة لنفوذ الدالاتية، وآل جحا ،لا بد من أن تترك أثراً

---

[١] سر - أ = رقم ٣٥ والوثائق ٩٧ و ٩٨ و ١٠٤ و ١٢٤ و ١٢٦ و ٢١٢ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٥ و ٢٤٠ و٢٤٨ والغرر الحسان لحيدر الشهابي ص ٩٢١ – ٩٢٣ والرحالة ١ / ٥٩ + ٦٧ و ٢ /٤٤ نقلاً عن بوركهارد / Bodman p 12 .

في بنية المجتمع، وخاصة على المسيحيين، الذين أيدوا آل جحا، مع أنهم يقطنون الحي الشمالي، ولم يوقع سابقاً أي واحد منهم على العريضة المقدمة إلى قاضي حلب، والآن حانت الفرصة [لتصفية الحسابات] من الفوضويين الذين اعتدوا لطرد المسيحيين في الحي الشمالي ، فحماهم حاكم البلد عمر الكيالي، وقال صاحب ترجمته (حتى إن المسيحيين المواطنين كانوا وقتئذ يلتجؤون إليه فيضم رجالها إلى رجاله ،ويوزع حريمها وأطفالها بحليها وما معها من الأموال، والأمتعة إلى بيوت أبناء عمه الكيالية، وقد سمعت ذلك من عدد من الطاعنين في السن من المسيحيينن ويذكرون ذلك " كانت أكثرية الحي الشمالي قد وقفت موقف المعارض، لنفوذ الدالاتية والحامين لآل جحا، والزعامة في هذا الحي قد كانت لآل الكيالي الدينية، والإدارية، لذا حماهم عمر الكيالي مع آل الكيالي، حفظاً لأهل الذمة، وبذلك سجل موقفاً وطنياً في الوحدة والترابط الاجتماعي، ولو اختلفت المذاهب , ودل على هذا ذكاؤه الإداري وخشيته على إدلب، وأبنائها من (الفوضويين) كما أطلق عليهم حينذاك . مثل هذه الحادثة،وتكررها، أدت إلى هجرتهم فيما بعد من هذا الحي، إلى الحي الغربي، وكما سيرد تفصيلاً في بحثنا (المسيحيون في إدلب) .
وطالما استطاع حاكم إدلب عمر الكيالي طرد بكجرية إدلب [الإنكشاريين] في عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦م فإنهم بعد خروجهم منها اتجهوا إلى خانطومان - غرب حلب - فإذا بوالي حلب يظفر بهم ويرسل منهم أربعة رؤوس إلى اسطنبول . وأما الأعراب فقد طغى فسادهم في جوار حلب، وجهات ريحا، وإنطاكية (١٨١٦ م) وكان الأمير مهنا البدوي الزعيم الأكبر للأعراب .((مما دفع السلطان لإصدار أمره إلى والي حلب أحمد باشا أن يقصد الأعراب في الصحراء ويوقع بهم، وأنفذ إليهم كتخداه عثمان آغا ورفقة بمقدار وافر من العساكر وكان العربان على ثمانية عشر ساعة من حلب فوصل إليهم وكسرهم وظفر منهم بأربعة وثلاثين شخصاً، قطع رؤوسهم وجهزها إلى استنبول، فسرت الدولة من ذلك وأرسلت لوالي حلب تشكراً واستقلالاً بولايته)). وأحيانا أخرى يطلب السلطان استئجار الدواب في حال ضعف اقتصاد الدولة كما حدث في سنة ١١٨٢ هـ ((في طلب استئجار ٥٠٠ جمل و كانت ادليب و الشغور قد استؤجر فيها ١٦ جملاً بينما معرة النعمان

٢٥جملاً)) لقربها من البادية و تتكرر الحرب مع العجم كما ورد في وثيقة مصدرها قاضي حلب بتاريخ ١١٩١ هـ فيكون توزيع الجمال المطلوبة لإرسالها ومن أجل صد اعتداءات العجم بإخراج ٣٠٠ مكارياً مع جمالهم فتكون حصة وقف الشغور ١٢ و قرى لدى شغور ٥ بينما دركوش ٥ فقط .) مع أنها في العام السابق ١١٩٠ هـ قد أرسلت المنطقة حنطة و شعير كمؤن للجنود المأمورين في طرف بغداد من حصة وقف الشغور ٠

رابعا - حملة نابليون بونابرت ،وتأثيراتها على منطقة إدلب :

حين قام الجنرال الفرنسي نابليون بونابرت(الصورة١٣٥) بالحملة العسكرية على مصر عام ١٧٩٨ م / ١٢١٣ هـ لم تقف الدولة العثمانية صامتة على هذا ، لأنه لم يقتصر على مصر، بل توجه إلى الشام بادئاً بعكا وحصاره لها، لهذا أدرك السلطان العثماني مدى خطورة هذه الحملة، فقرر إعلان النفير العام والحرب لصد الجيش الفرنسي وأصدر سنة ١٢١٣ هـ عدة أوامر سلطانية إلى والي حلب، حول هجوم بونابرت على مصر، معلناً النفير العام والتأهب للسفر إلى جهة مصر مع شراء ٤٠٠ جمل لتحميل الذخائر، والموزع عددها في ولاية حلب، وتكون حصة إدلب ١٦ جملاً بإشراف قاضي حلب الشهباء، كما أن بعض الأشقياء والمتمردين تحركهم نفسهم مستغلين انشغال السلطات بالاستعداد لجبهة مصر فيقررون نهب بعض القرى ، وهذا ما دفع بقاضي حلب إلى إصدار أوامره إلى سرمين، وأريحا، وسائر النواحي / ١٢١٣ هـ / محذراً من بعض العسكريين الأكراد والتركمان والعربان، الذين يتعدون عليهم وينزلون في قراهم بالعنف طالبين من الدور طلبات من الصعب تلبيتها، مما أوجب تشتت بعض الضعفاء، وهجرة القرى، محذراً من الإصغاء إليهم أو الدفع لهم، وبعدم إنزالهم عندهم كضيوف بعد العصر بل قبله، ومؤكداً على عودتهم إلى أوطانهم .... هو صحيح أن والي عكا أحمد باشا الجزار حين قرر بونابرت هجومه فإنه كما يشير الأمر السلطاني (فرمان) الصادر من القسطنطينية إلى والي حلب بإلحاق ولاية صيدا وطرابلس الشام ومصر إلى والي الشام القائد العام السر العسكري لجبهة مصر الوزير أحمد باشا الجزار، فقد تم شراء الشعير والدقيق له، لكن بعضهم لم يدفع قيمته بحجة أنها غير

تابعة





(الصورة١٣٥) نابليون بونابرت في لباس المسلمين (الصورة١٣٦) أقدم رسم لخان شيخون- العهد المملوكي

له، ومنهم أهالي إدلب ودركوش (أفادوا أنهم ينتمون للأقضية التابعة للسلطنة فيشملهم الإعفاء) ولكن السلطان يجيب في أمره هذا، إنه في الحالات القصوى للحرب لا توجد إعفاءات ولا يقبل اعتذار لذا فإنه يصدر أمره بعدم الإبطاء، وشراء ما يلزم وإرساله إلى القيادة العامة، وأمر آخر يتضمن الإسراع في سوق الجنود الإنكشاريين بمعرفة قاضي ريحا ومتسلم إدلب (طلب ٢٥٠٠ عسكري من ولاية حلب) . وفي أمر آخر يطلب جمع مؤونة الجنود (وهي قمح وشعير وبكسماء - الخبز الجاف) من ريحا و شغور ودركوش و إدلب . وتليها وثيقة أخرى تطلب جمالاً لنقل المؤونة من أريحا ومعرة مصرين وسرمين وحارم و باريشا .ويبدو أن السلطات العثمانية لم تكن مستعدة لهذا الطارئ بل هي إن لم تكن (مفلسة فهي عاجزة) عن نفقات هذه الحرب ومن عادتها كلما أعلنت النفير تحَمل ولاياتها هذا العبء، لأن طبيعة النظام العسكري المبني على الإقطاعات والإلتزامات والتيمارات تتطلب ذلك - انظر

بحث الحياة الإقتصادية - ولذلك يصدر السلطان أمره بشراء الذخائر التموينية للعساكر، بل ألزمت بها أصحاب الحوانيت والأعشار . وبلغ الأمر بتنظيم النزل والاستراحات التي تمر فيها العساكر كـ أريحا ومعرة النعمان، وتم منحهما اثني عشر ألف قرش لمديريها، ويتابع قاضي حلب إصدار تعليماته نظراً لسفر الجيش الهمايوني إلى الشام لمحاربة الإفرنسيين في مصر، ومرورهم في طريقهم إلى أريحا ومعرة النعمان وأقضيتها، مع بيان المساعدات الممنوحة لكل من قرى سرمين وأريحا ... وجسر الشغور ودركوش وإدلب لصالح إدارات المنازل الاستراحية [أي الفنادق] على الطريق الممتد من حلب إلى الشام، ويذكر البيان شراء ألفي رأس من الأغنام لتوزع بمعرفة محمد آغا المباشر على العساكر ويقرر على إدلب ١٦٣ رأساً وقضاء الشغور ٢٠٠ رأس وأريحا مع كفر نجد ونحليا ١٣٠ وقضاء دركوش ١٣٠ رأساً . ويبدو من الوثائق ان مكان تجمع الجنود قد كان في قرية الزنباقية غرب دركوش وأريحا ومعرة النعمان، والتي ألحقت مؤخراً بولاية الشام ١٢١٤ هـ . وفي هذا العام تتعرض المنطقة لموجة الجراد الذي أتلف المحاصيل الزراعية، فيصدر السلطان العثماني مراد الأول أمره بالعفو وتنزيل الذخائر المنوطة بهم في ١٧ محرم ١٢١٤ هـ . وكذلك يقرر إعانة زنباقية أريحا بـ ١٨ ألف قرش على قضاء إدلب ١٥٠٠٠ قرش، بل بلغ الأمر أن الجيش السلطاني المتمركز في خان شيخي (وهي خان شيخون-الصورة١٣٦) سنة ١٢١٤ هـ تحتاج إلى ١٠٠ رأس غنم ٢٥٠٠ قنطار تبن ٦٠٠ عربة حطب، ويقرر تحصيلها من قضائي سرمين وحارم ولكن لم تكن هناك إمكانية تحصيلهما من هذين القضاءين، لذا يصار إلى قطع أثمانها (عشرون ألف قرشاً) وكل هذه الأوامر يتم تنفيذها من قبل السلطان في العاصمة، إلى والي حلب أو قاضيها أو من قبل قاضي حلب مباشرة . ويقرر معاقبة بعض الفارين من العسكر وزجهم في سجن قلعة حلب الشهباء . ونظراً لهذه الأوضاع المضطربة، فإن السلطان العثماني يقرر مغادرة العاصمة متوجهاً إلى هذه المنطقة، للإشراف بنفسه والمتابعة المباشرة لميدان المعركة. ويصدر أمره من صحراء أنطاكيا (هكذا كتبت الوثيقة) إلى والي الشام السابق وزيرنا الحاج إبراهيم باشا (وتمدح إخلاصه وثقته به) لذا أصدرنا أمرنا

السامي بتوليكم إدارة شؤون ولاية حلب اعتباراً من ٣ ربيع الأول ١٢١٤ هـ نأمل بذل كل اهتمام لحماية وصيانة أموال وحياة الأهالي ورفع التعديات والمظالم عن المواطنين وتنفيذ تعليماتنا دون تحيز ... " ويتبعه أمر آخر يصدره السلطان من صحراء زنباقية (غرب دركوش)، نظراً لحصول أمور ضرورية للجيش، يطلب منه الهمة في القضاء على شرور المفسدين، وحماية وصيانة المواطنين وأموالهم ... " ويتابع السلطان سيره نحو الشام ويعسكر في المزة قرب دمشق ... وفي وثائق تالية تذكر توقيع معاهدة السلم بعد تراجع بونابرت عن حصار عكا . في وثائق تالية يرد ذكر لقلة المحصول بسبب الجراد ... ولكن إدلب والشغور وأريحا تنفذ ما عليها من مشتريات الدقيق ومواد تموين الجيش، وتصبح نسبة إدلب ٤٨٠ كيل دقيق والشغور ٦٠٠ وقضاء أريحا ٣٢٠ ويوضح بيان قاضي حلب من مشتريات مادة الشعير للجيش من ناحية سرمين ١٣٦٤ كيل وقضاء معرة مصرين ٢٦١٥ سنة ١٢١٥ هـ وأما السلطان العثماني فقد كان في صحراء يافا، حين علم بالمخالفات الواقعة في المنطقة لذلك أصدر أمره بوضع ضابط الإحتياط عبد الله رهن الإعتقال وحجز أمواله لمخالفته القانون . وهو ضابط سوقيات الإحتياط وكان له في منطقة إدلب أموالاً تم حجزها، وفي قرية أريحا سنة ١٢١٥ هـ . كما أنه تم تدارك جميع الجمال من المنطقة عن سنة ١٢١٤ هـ في ١٢١٥ هـ وذلك باستئجارها ١٨ جملاً من نفس إدلب ومن ديركوش عشرة، ومن أريحا عشرة ،أو إعطاء بدلاً عنها ١٥٠ قرشاً لكل جمل . وقد تم الشراء سنة١٢١٥ هـ لمصلحة الجيش ١٦٣ رأساً من الغنم في نفس إدلب وتم تسليمها إلى والي حلب . وقد عرضنا آنفاً رضاء السلطان عن والي حلب الوزير إبراهيم لأن معظم ولاة حلب كانوا يعينون برتبة وزير، للأهمية العظمى لولاية حلب ومكانتها في الدولة العثمانية ففي سنة ١٢١٥ هـ يوقع والي حلب هذا كتاباً بمناسبة تعيينه مجدداً والياً على ولاية حلب مخاطباً فيه ((إلى فضيلة محمد بك أفندي محصل ومتسلم حلب وإلى سماحة مفتي حلب قاسم بك وإلى العلماء والمدرسين الكرام وإلى قدوة السادات وكيل نقيب الأشراف، وإلى قائد الإنكشارية (عزت آغا) وإلى وجوه البلد والموظفين في الولاية، ننهي إليكم في سنة ١٢١٥ هـ تلطف صاحب الدولة السلطان المعظم بإصداره مرسوماً

يتضمن ببقائي في منصبي كوالي لولاية حلب ... آملين منكم ... بذل الجهد والتعاون معي لرعاية الأمن وحماية المواطنين)) . ولنعود ثانية إلى نتائج الحرب مع بونابرت، إذ نتج عنها عبء على الخزانة في الدولة العثمانية لذلك أصدر السلطان مرسوماً أرسله من القسطنطينية إلى حكام حلب، يتضمن جباية الضرائب على الأغنام والماعز عن كل رأس بارة واحدة وعن وقية السمن بارة ... و ... كل هذا لإيراد جديد للخزينة . ويذكر المرسوم أريحا - معرة المصرين - سرمين - دركوش - إدلب الصغرى - كفرطاي - معرة النعمان - حارم - ومحسوبة لعام ١٢١٦ هـ وسمي هذا برسم الميري . ويستغل بعض الإنكشاريين تردي الأوضاع في المنطقة فيصدر السلطان من العاصمة إرادة عليا لملاحقتهم، بعد خروجهم على النظام، فلا يسمح لهم بدخول مناطق حلب قطعياً حتى ترتاح الناس من شقاوتهم وظلمهم الخلق، بل يطلب السلطان تأديبهم وعدم الرحمة بهم بعد اليوم مع السعي لطردهم من كل مناطق حلب في سنة ١٢١٧ هـ وطالما استفحل أمر الإنكشارية، فإن رئيسهم لم يكن يعين من قبل والي حلب، بل من السلطان نفسه، إذ في سنة ١٢٢٠ هـ يصدر السلطان مرسوماً " بتعيين الخراط الأول سعد الله زيد مجده رئيساً لدار الإنكشارية في ولاية حلب ومناطقها لتأديب الحشرات في ولاية حلب أهل الشقاوات ...." وحين عودة الجيش الهمايوني (العثماني) يقرر القاضي الشرعي بحلب، بأن يدفع أبناء المنطقة مصروف إقطاعاتهم في المنطقة، حيث يقيمون في سرمين يوماً واحداً فيقدم لهم الدقيق والحنطة والأغنام والشعير والتبن، بل كتب القاضي أنه حصل من إدلب وأريحا وقصباتها عشرة آلاف غرش لصالح الجيش، ويبدو أن السلطان قد رضي عن والي حلب إبراهيم باشا في هذه المحنة العصيبة وجهوده في حلها، فيقرر تمديد ولايته لها بموجب المرسوم الصادر في ١٤ شوال ١٢١٨ هـ ورغم انتهاء الحرب مع الفرنسيين، فإن والي حلب وقاضيها يقرران ما يلزم من خيام للجيش الهمايوني (السلطاني) ومن الجمال قررا على إدلب ٤٥ جملاً، وفي أريحا مع قرية كفر نجد ١٢ جملاً، ولكن يلزم لتنفيذه مخاطبة النواب وإصدار الأمر العالي سنة ١٢٢١ هـ، وتليها وثيقة أخرى ما سلم لسفرية الجيش إلى مصر من معرة النعمان وقضاء شغور وقضاء دركوش سنة ١٢٢٢ هـ . وفي سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م ينقض

الروس معاهدة الصلح ويعلنون الحرب على الدولة العثمانية، ويهاجمون الأفلاق والبغدان (رومانيا حالياً) لذا يصدر السلطان مرسوماً بإعلان الجهاد المقدس، ويقرر على من لا يذهب إلى الحرب بدفع بدل ١٥٠ قرشاً، ويقرر سحب ١٣٠٠ فرد وكل ٥٠ فرداً من كل قضاء، وبمعرفة المباشر خلال عشرين يوماً، و على إثر استرحام الفقراء فقد قرر نائب حلب جعل بدل الخدمة ٦٠ قرشاً، فيقرر على قضاء معرة المصرين دفع البدل ٣٠٠ قرش، بينما قضاء إدلب فالبدل يتم فيه بتعهد أهالي القضاء دون دفع المال مباشرة في سنة ١٢٢٣ هـ، وأما في قضاء سرمين فيتم البدل بـ ٣٠٠ بتعهد أهالي حلب، بينما القرى التي هي في وضع اقتصادي ضعيف تعفى من هذا، كما حدث في ناحية " خان شيخون إذ هي في وضع خراب " هكذا ! . ولذلك فإن الوالي يصدر أمراً إدارياً بشراء ٥٠٠ جمل لمصلحة الجيش السلطاني ويقرر على نفس قصبة إدلب ٤٥ جملاً وقضاء دركوش ١٢ جملاً وعلى قصبة أريحا ناحية كفر نجد والنخيلة ١٢ جملاً بينما معرة النعمان ٣٠ جملاً وقضاء شغور مع القرى الأميرية ٣٥ جملاً . وبعد اطلاعنا على السجل ٣١ لسنة ١٢٢٣ وثيقة ٨٥ المتضمنة مشتريات الجيش في مصر من أساس ضريبة البدل عن أعوام ١٢١٣ – ١٢١٤ – ١٢١٥ هـ قرر على قضاء إدلب ١٥٦٩١ قرشا قيمة شعير ودقيق وخبز وقضاء أريحا وتوابعها ٨٤٨٥ من ٣٩٥٦٩٥ على مجمل ولاية حلب . ويلاحظ السلطان العثماني تقاعس الوالي عن تجهيز ما قد طلب منه سابقاً لذا يصدر أمره من اسطنبول في أواسط شوال ١٢٢٢ هـ بلزوم تجنيد اللواء الإحتياطي ليوضع تحت تصرف السلطان خلال وجوده في المشتى من أقضية ولاية حلب، ويرسل نسخة منه إلى قضاء قصبة (... أريحا - إدليب الصغرى ... و ....) وعلى أساس تجنيد ١٣٠٠ نفر من كل قضاء ٥٠ نفراً ... والملاحظ أنه لم يصار إلى تعبئة هذه الفئات بشكل كامل ... " إن دلالة هذا الأمر تشير إلى بدء ضعف الدولة العثمانية أمام هجمات الروس في رومانيا والتي كانت حينذاك تابعة للدولة العثمانية وفعلاً فإن الأمر السامي الآخر يرسل بعد سنة إلى والي حلب يطلب " العمل على إعادة الأمن والنظام إلى ربوع الولاية، بعد أن عمت الفوضى في أرجائها ... في ١٢٢٣ هـ " ثم تليها وثيقة أخرى مثلها تؤكد على ذلك، يتبعها بلاغ عام بمناسبة اعتلاء

السلطان الغازي محمود خان العرش، وللاحتفال بذلك في ولاية حلب . وفي سنة ١٢٢٤ هـ يصدر الأمر بتأمين خمسمائة دابة من أقضية ولاية حلب، لاعتداء الروس على حدود المملكة وقلاعها، يليه آخر لشراء الجمال وصد جيوش موسكو على نهر الطون (نهر الدانوب في رومانيا). وتتم الحسبة على أساس سنة ١٢٢٢هـ بسعر كل راس مهر أو جمل ١٥٠ قرشاً ... وأن اســتيفاء قيمتها غير ممكن التحصيل (قضاء إدلب ٤٠ وأريحا ١٢) تليها أوامر أخرى للتأهب والاستعدادات الجهادية في مصر ومخصصات الديار الحجازية السفرية ١٢٢٤ هـ " كل هذا يدل على عجز السلطات أمام غزو الجيش في الشمال الغربي الروس وأمام جبهة مصر في الجنوب، وعبء الولاية في تغطية نفقات الديار الحجازية . أي الحرمين الشريفين مكة والمدينة، لأن إدلب وغيرها، قد كانت توقف الكثير من وارداتها للحرمين - انظر بحثنا عن الأوقاف والرحالة الجزء الأول - . ولكن الحرب مع الروس تطول، ويدفع الأهالي الثمن كل عام، يقرر عليهم تغطية نفقات هذه الحرب، فتقرر على إدلب وأريحا وغيرها ما يلزم من الذخائر والبقسما (الخبز المجفف) في الأعوام التالية ... وفي وثيقة ١٢٢٤ هـ يطلب سوق ٢٥٠٠ فارس من الجنود العاملين قبل حلول الشتاء إلى جبهة الحرب مع الروس وأمر سلطاني لشراء خمسمائة جمل بعد تحصيل قيمتها وحشد ألفي جندي متطوع من شجعان الإنكشارية والإسراع بإرسالهم . وفي وثيقة قاضي حلب المتضمنة إعداد ٥٠٠ جمل في سنة ١٢٢٥ هـ تذكر إدلب وأقضيتها ٤٥ وأريحا ١٢ وقف الشغور ٣٥ قصبة ديركوش ١٢ تنفيذاً للمرسوم السلطاني لهذه السنة، ولكنه لا يتمكن من إرسال غير ٣٢ جملاً عن قصبة إدلب و ٨ عن قصبة أريحا و ٢٥ عن قصبة الشغور و ٨ قصبة دركوش ولكنه يرسل أموالاً لإمدادات السفر للحرب ١٢٢٤ ـ ١٢٢٥ ضد الروس و ٥٠٠ اقجة من قرية حفسرجة و ٨٠٠ من قصبة إدلب و ٥٠٠ من قرية كفر تخارين و ٢٥٠ من قرية كفتين . وبالمقارنة بين هذه المدفوعات نلاحظ القوة الإقتصادية لقرية حفسرجة بالمقارنة مع قصبة إدلب، وكذلك كفتين، كونها ذات قوة اقتصادية (خانات للمسافرين الأوربيين والحجاج القادمين من الشمال - انظر دراستنا عنها في هذا الكتاب - ومن الوثائق الطريفة التي اطلعنا عليها، ما ورد في هذه

الوثيقة، من خلال سوق الجنود إلى الحرب، وما حدث لشيخ قضاء إدلب الذي رفض الخدمة، إذ كان الشيوخ لا يساقون إلى الجيش، ويبدو أنه كان يدعي المشيخة، لذلك شهد أهالي إدلب بذلك، وحين رفض كان أمامه الموت و النفي وتم نفيه إلى لاذقية من قبل السلطات العسكرية ولكنه (يتوصل) إلى السلطان بشكايته فيرسل هذا الأمر من القسطنطينية إلى نائب لاذقية سنة ١٢٢٥ هـ (... من المعلوم بأن شيخ قضاء إدلب المدعو عياش ابن الشيخ محمد حمود لسوء حالته الصحية وضرورة نفيه وإقصائه عن منصبه عملاً بأمرنا الشريف أصيب بكره بعض الأهلين ... وقد تبين ... بإطلاق العفو عنه خلافاً لما سبق بأمر المتخذ من طرف الجيش الهمايوني لترحيله إلى الدار الآخرة أو نفيه وإقصاء الشيخ الموما إليه وقد أصدرنا مؤخراً أمراً عالياً يقضي برفع قيد الترقين العائد بهذا الشأن بعد إعلام وإخبار الجيش الهمايوني ... " وتعني هنا الجيش السلطاني ! كما اطلعنا على وثيقة أخرى فيها الطرافة، حول تحصيل المبالغ المطلوبة من والي الشام السابق الفار يوسف باشا والمضبوطة ... وبعضها كانت في ذمة شيخ إدلب (خمسة وعشرون ألف قروش) ولم يعترف الشيخ سوى ستة آلاف وخمسمائة قرش بموجب سند لديه، مما دفع بالسلطة لإبلاغ نائب إدلب الشرعي للمتابعة ... وكثيراً ما كان يتقدم الأهالي بالشكوى إلى السلطان في العاصمة (اسطنبول) حين يشعرون بعدم عدالة القضاء، أو نفوذ الوالي المستخدم لمصالح شخصية ، كالوثيقة التالية والمرسلة من قبل السلطان إلى والي حلب سنة ١٢٢٨ هـ " سبق للمدعو محمد بن هاشم الذي تقدم بعريضة إلى ركابنا الهمايوني معرباً بأن المدعو (ابن نعسان) الساكن في قضاء إدلب والمستلم منه أمانة منذ عام ١٢٢٦ هـ نحو ثلاثمائة عباءة وأربعة معاطف وخمسة وستين قطعة ذهبية مصرية وكان طلب منه التسديد على دفعات، ولكن مضى الوقت بالمماطلة .... بعد التحقق بتزوير المدعى عليه ....فيتوجب إحضار المرقوم إلى دارنا العالية لإنهاء الأمر، بناء على ما أمرنا وإشارتنا الشريفة " وحين يعلم السلطان بالواقع الاقتصادي السيء في المنطقة يصدر إعفاءه سنة ١٢٣٣ هـ من بقايا الذخائر والمترتبة لجيش مصر ورحمة من السلطان للفقراء بالإعفاء المتضمن الصادر عن بدلات تحصيلات إبراهيم محمود باشا وعبد القادر عثمان من أهالي الأقضية المبينة أهالي إدلب

١٤٥١٦ قرى حلب ٧٧٨٠١ وتضمن إعفاء نصفها رحمة بالفقراء ... وفي سنة ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م في شهر آب تقع الزلزلة الكبرى في المنطقة ولتصيب الفندق غرب معرة مصرين، ودركوش، ورام حمدان، وأرمناز، وسلقين ،وريحا ،وسرمدا، وبلاد الحلقة (ناحية الدانا) ومعرة النعمان وجسر الشغر، وإدلب ،إذ حدثت ليلة الأربعاء بعد مضي ثلاث ساعات من الليل السابع والعشرين من ذي القعدة وفي هذه المناسبة نظم الشيخ محمد تقي الدين المطلبي شعراً يصف فيه آثار هذه الواقعة، وأثرها على نفسه والبلاد منها :

زلازل ما سمعنا مثلها أبداً ولا زمان مضى في مثلها شُهدا

ولا كتاب ولا خبر بها وردا ولا سماء ولا جبْل لها رعدا

فكم خطوب بأرض الشام قد وقعت وفي حماه وحمص أعين دمعت

وفي المعرة كم من نسوة فجعت وأرض ريحا وسلقين لقد صدعت

أين القصير وأين الجسر يا سندي صاروا رميماً بلامال ولاولد

أفناهم الدهر والباقون في كمد وكم تحصنوا في حصن وفي زرد

فلم تفدهم وناعي الموت ناعيها

أرض الأتارب غارت ثم إبين ورام حمدان ليس الأمر بالهين

وإدلب هدمت وبلاد سرمين وبنش بعضها ومعار مصرين

وبلاد دركوش قد غارت بمن فيها

يا إدلب أين أنت من مواليك صرت خراباً وقد شتت أهليك

مالي أراكي وقد هدّت أعاليك أغالك الدهر أم شلّت أياديك
أم الزمان جنى أم خان واليها

مالي أرى اليوم في ساحاتها قطنت والدور خالية من بعد ماسكنت
والأرض ياليتها ماجت بهم ياليتها ركنت تلك الزلازل عليهم بعد ما أحزنت

نسائهم وابتلاهم في ذراريها

حيف على إدلب ماكان ألطفها في أهلها والنسا ما كان أظرفها
حلّت على بلايا لست أعرفها تستغرق الكتب لو كنت أوصفها

فالله باريهم قد خصّهم فيها

أفادتنا الوثائق أن إدلب قد تعرضت لتأثيراته كما حصل في الجسر، والتي مات فيها المتصرف محمد إبراهيم، لذا يصدر السلطان أمره بوجوب تجديد أوقاف كبريلي محمد باشا في الشغور وإدلب بعد الحصول على مصاريفها بمبيعات الرصاص (أوقافه المسجد الشريف - المدرسة - والعمارات والخانات وكافة خيراته التي هدمت بسبب الهزة الأرضية) على أن تباع بعلم المسؤولين بحلب سابقاً . إذ يوجد ٥٤ قنطاراً و ٧٦ قنطاراً حلبياً من الرصاص المحفوظ فيلزم صرف مائة كيس لإحياء الجامع والخان ومساكن الفقراء بعد إجراء الكشف بمعرفة مهندس أجنبي والهيئة الأصلية - توقيع السلطان سنة ١٢٤٠ هـ وفي سنة ١٢٤٠ هـ يصدر الكتاب المتضمن عمارة المتهدم من أوقاف كوبريلي محمد في إدلب والجسر وهي المدرسة - الجامع وخاناتها وعمارة الدكاكين وتعهد بها شريف اسماعيل آغا وفي وثيقة أخرى تشير إلى أن بعض الأبنية قد تضعضعت بعد الهزة الأرضية، لذا فهي بحاجة لتعميرها من ثمن الرصاص وذكرت أحد رؤساء الأبواب اسماعيل آغا لتعمير المطلوب وتغطية النفقات من قيمة الرصاص المستخرج لاستكمال البناء سنة ١٢٤٣ هـ مع أن هناك أمراً

آخر من السلطان إلى الوالي والقاضي بحلب في سنة ١٢٤٢ هـ بتعمير الثكنات بعد هدمها بالزلزال، والمصاريف تدفعها الأقضية بالتعاون مع النواب، أي أن نائب إدلب قد أشرف بنفسه على ما تهدم فيها . وأما المتعهد فقد ذكرناه في كتابنا الرحالة ٢ / ١٤٥ ودوره في ترميم خان الجسر ودار الحكومة فيها . وفي إدلب ضرب أيضاً الجامع الأقرعي بهذا الزلزال وليتم إصلاحه بسرعة سنة١٢٣٨ هـ راجع بحثنا عنه في هذا الجزء - بعد استتباب الأمور للدولة العثمانية تقرر إلغاء منازل الإنكشارية ومقراتهم، إذ يصدر السلطان أمره إلى والي حلب وقاضي أريحا (قرار إلغاء كافة المنازل والمقرات التابعة للإنكشاريين في أريحا التي لها خلال سنوات ٢٣٩ و ٤٠ و٤١ من أموال العوارض ألفان ومائة وسبعة وثمانون قرشاً ... والسلطة بحاجة إلى مال لإرسالها لهم) ووثيقة أخرى تذكر قضاء حارم ودركوش . وفي سنة ١٢٤٣ هـ تسجل موارد البدلات العسكرية عن إدلب وقرى نواحيها خمسة آلاف غرش . ثم تقع الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا فيأمر الوالي بجمع الأسلحة من نصارى الولاية ولتوضع في خان الوزير بحلب من أريحا - جسر الشغور - إدلب وهي بندقية - حقيبة بندقية - سيوف - غطاء السيف - خنجر طويل - خنجر عادي - شيش - بندقية تيمورية - جعبة تيمورية - سكين تيموري - غطاء السيف تيموري ، ومن الطبيعي طلب السلطات الدعم المادي للجبهة الشرقية ولتحصل على ثمانين ألف قرش من أقضية ولاية حلب منها : الشغور - إدلب - أريحا سنة ١٢٤٤ هـ وأما بيان ولاية حلب بتحصيل الأموال لجبهة أرضروم سنة ١٢٤٤ هـ لتأمين شعير وغنم وخلافه من ضريبة الدخل فكانت ٦١٥٠ من إدلب . وفي سنة ١٢٤٥ هـ يوقع قاضي حلب على بيان بدل الخدمة العسكرية والنفقات بناء على أمر السلطان، ولتحصل بمعرفة المباشر فتكون حصة التوزيع على المدن ١٧٥٠ إدلب ١٢٥٠٠ شغور - ١٠٠٠ أريحا ٤٠٠ دركوش وأما المبالغ المطروحة لتسديد النفقات فكانت ٨٣٠ أريحا ١٩٣٥ جسر الشغور ١٤٠٠ إدلب ٣٤٠ دركوش سنة ١٢٤٥ هـ .

هناك أمر سلطاني يصدر ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م بتجنيد اللواء الاحتياطي من الشغور وادليب الصغرى وديركوش وغيرها من كل قضاء ٥٠ نفر تحت إمرة

عدد من الضباط ، ولكن المشكلة تقع في أنه لم ينفذ هذا الأمر ويشدد السلطان بوجودهم قبل حضوره لتمضية الشتاء في المنطقة . هنا إشارة الى عجز السلطة المحلية على تلبية أوامر السلطان ، إذ في أمر آخر يطلب السلطان في العام التالي ١٢٢٣ هـ إعادة الأمن والنظام الى ربوع الولاية , بعد أن عمت الفوضى ، وفي سنة ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ – ١٨١٠ م تدخل الجيوش الروسية مناطق نهر الدانوب (رومانية) وتحتاج الدولة العثمانية الى الجمال والدواب لصد هذه الجيوش فيرسل السلطان عدة أوامر بذلك الى مناطق ولاية حلب ((ومنها جسر الشغور إحداها تذكر من قضاء الشغور ٣٥ جملاً أو مهاراً من أصل ٥٠٠ في التقرير إنطاكية ٧٠ وقضاء ادلب ٤٠ وقضاء ديركوش ١٢جملاً)) وفي العام التالي أمر آخر ((لشراء ٥٠٠ جملاً وبوجوب حشد ألفي جندي انكشاري للوقوف أمام كفرة موسكو والإسراع في إرسالهم وطبعاً يساهم قضاء الشغر في ذلك ، ووثيقة تذكر سوق فرسان من المنطقة، وأخرى دقيق وشعير وبقسماط[الخبز المجفف] ، ووثيقة أخرى يصدرها قاضي حلب لشراء٣٥جملاً من وقف الشغور سنة ١٢٢٥هـ))، وكذلك وثيقة في العام ذاته بيان باكمال المرسلة الى الحرب مع الروس ،وترسل قصبة الشغور ٢٥ جملاً الى جانب بعض القرى والبلدان الاخرى التي أرسلت أموالاً .ما سبق يشير بوضوح الى عجز الدولة الاقتصادي - فهي في حالة حرب طالت – لذلك لجأت الى الاستعانة بأموال الأوقاف كوقف الشغور بالذات لغنى هذا الوقف !!!

في سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ – ١٨٣٠ م يصدر الوالي في حلب بياناً ببدلات الخدمات العسكرية والنفقات ، المبلغ الإجمالي ٦٥٠٠٠٠ وحصص التوزيع على المدن ١٢٥٠٠ شغور بينما ادلب ١٧٥٠ ودركوش ٤٠٠ . هنا إشارة إلى القوة الاقتصادية لقضاء شغور لتدفع أكثر من ادلب ، وإلى ضعف دركوش الاقتصادي، ويؤكد ذلك وثيقة أخرى((بأن تسدد جسر الشغور ١٩٣٥ قرشاً وادلب ١٤٠٠ قرش ودركوش ٣٤٠ قرش،..))وهنا يقل الطلب لضعفها الزائد .وبمقارنة هذا المبلغ مع أمر سلطاني سابق بسنتين سجل موارد البدلات العسكرية هو عشرة آلاف, هنا اشارة الى زيادة الدخل من قبل شغور (كل ما دق الكوز بالجرة) يطلب من الشغر مالاً أو دواباً لصالح الحروب ، ففي سنة

١٢٤٤ هـ يطلب قاضي حلب مالاً لتأمين الجبهة الشرقية (أي بلاد فارس) ومن بين الأقضية قضاء الشغور ، أي في كل عام مرة أو مرتين تدفع لصالح الحروب .

خامسا- إبراهيم باشا المصري في منطقة إدلب، والنصف الثاني من القرن التاسع عشر:

في سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م وصل إبراهيم باشا المصري بن محمد علي باشا والي مصر إلى منطقة إدلب، بعد دخوله حماه بلا قتال، وهو متجه إلى حلب، مر بمعرة النعمان، ونزل ضيفاً فيها عند آل الجندي، واتجه إلى حلب ع / ط تل السلطان (الصورة ١٣٧-١٣٨ -١٣٩) ثم إدلب، ولكن يقال أنه أشهر القتال عليها، حين كان في سراقب بضربها بالمدافع، أو الدخول صلحاً، وبعد استسلامها له، أمضى يوماً عند آل الكيالي، واغتسل في إحدى حماماتها [١] و أبقى فيها جنوده النظاميين ففي موقع إدلب (٧٥٨ عدد المهندسين فيها) وجعل مركز إقامته الدائم في إنطاكية. ويبدو أن أهالي إدلب لم يكونوا مع إبراهيم باشا لتنفذ السلطة العثمانية فيها،لذلك كتب الشيخ صالح المرتيني سنة ١٢٥٧ هـ مقالة " هاجم فيها إبراهيم باشا، ووالده محمد علي رافضاً إلباس المسلمين الثياب الضيقة ذات الأزرار، ونسخ العمامة، والثياب التي تزين لابس الوقار، فصار المسلم أشبه شيء بالإفرنجي، وإنهم يقبضون على الشبان، إلى أن دخلوا بلدتنا المسماة بإدلب الصغرى، فصادفوا فيها حلول ركاب سير دار المملكة الآتي لمعاونة وزير عكا المتقدم ... ورتب الجزية في كل عام وسماها إعانة الجيش على الحرب ... فتؤخذ من الفقير في كل سنة من القروش خمسين، ومن الغني ذي الثروة خمساً من المئتين ... وظل يهاجمه في أخذه الأحجار ليبني بها قشلاً [ثكنة عسكرية] وإصطبلات للدواب حتى صارت رحباتها مواضع المزابل والأقذار ... ثم ذكر مجيئ حافظ باشا ومعه من العساكر مائة ألف، أو يزيدون، ومحاربته لإبراهيم باشا، وانكساره سنة

---

[١] هي حمام سريابا ويروى نكتة جرت معه والمكيس في الحمام فأعطاه ليرة دهب لظرافتها . أطلق عليه الأهالي اسم (برهو باشا)وأخفى بعضهم دوابهم في المغارات حتى لا يأخذها . ووجد بادلب فتاة قطع رأسها فقالوا (يا. يا برهو باشا إن كنت باشا بطالع قاتلها !!)

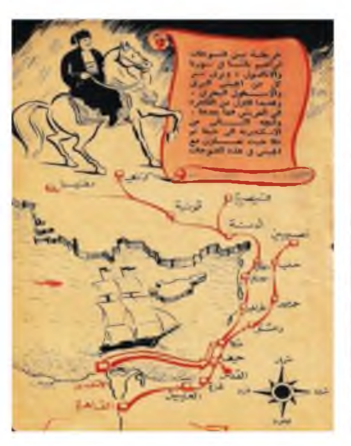
١٢٥٥ ... ولكن لم يتم رحيله إلى مصر إلا في سنة ١٢٥٦ هـ ... " وكذلك قرأنا في المجموعة الحمراء للشيخ حسن كيالي (مفتي إدلب) نقلاً عمن سبقه " إن إبراهيم باشا كان يجند في كل رمضان فرضاً على الناس فريضة من أولادهم يدخلهم في عسكره ... وفي سنة ١٢٥٦ هـ خلت هذه الديار من الدولة المصرية ... من غير حرب ولا قتال ...



(الصورة١٣٧)محمد علي باشا حاكم مصر



(الصورة١٣٨)ابرهيم باشا حاكم سورية



(الصورة١٣٩)خريطة توسع الجيش المصري

فلحقوا ببلادهم، وانهزم كثير من العسكريين المصريين، وأهل هذه البلاد وهي بلاد حلب والشام، ومروا في طريقهم على معرة النعمان فهدموها وحرقوا بما فيها، وكان أهلها قد هربوا إلى الجبال قبل وصول العسكر .." وخلال حكم إبراهيم باشا في المنطقة وقعت حوادث، منها ما ذكره نعوم بخاش " وهذه الجمعة قتلوا خرفان آغا متسلم الجسر، وأرسل إبراهيم باشا يخرب الجسر، ومعه أربع ضيعن وأرسل سماعيل بك، وأربع من الإسلام المتوجهين لكي يعطوا رخصة للعسكر نهب ، وقتل، وسبي ،وأيضاً معارة نسرين - أي معرة مصرين - والسفيرة وبابنس(هي بنش شرق ادلب وسيرمين أيضاً قتلوا مير آلاي وبين باشي وعدة نفر من العسكر ... والسبت أجا ثمانية روس من الجسر من عند ابن...[من ٧ – ١٣ تموز ١٨٣٩] يبدو من هذه الرواية أن إدلب لم تكن وحدها غير راضية عن حكمه بل تبعتها الجسر ونواحيها، وكذلك

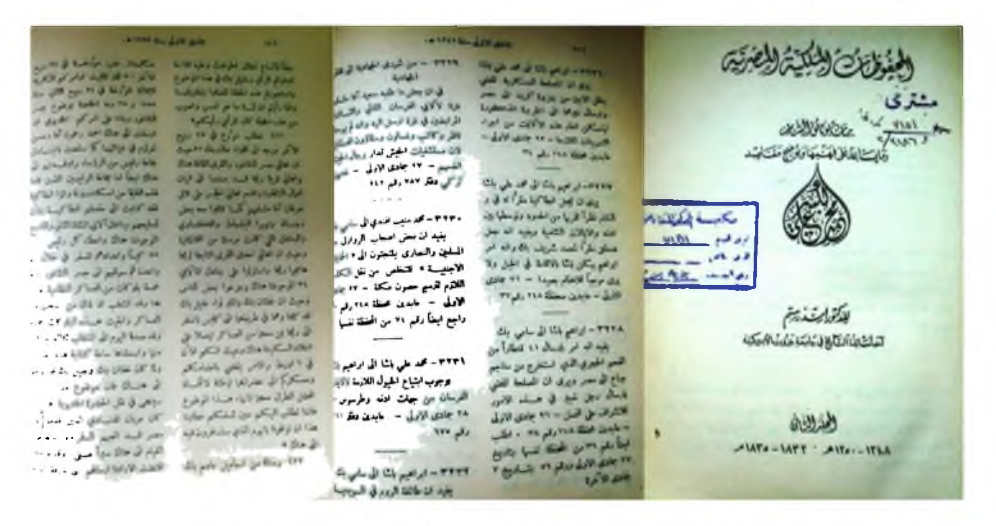
معرة مصرين وسرمين . وأما ثمانية روس فقوله مبهم هل قطعت في الجسر لترسل إلى حلب أم ثمانية من وجهائها ! ! وفي تشرين الثاني ١٨٤٠ " قالوا ناس إن ابن شريف متسلم حلب صار من قِبَل العصملّي ، وقاعد بالجسر،ومنتظر رواح المصري حتى يدخل لحلب ومعه مقدار ٢٥٠ نفر " إذن غادر المصريون المنطقة قبل مغادرتهم حلب، مع أن حكمهم لم يدم زمناً طويلاً وليعكس نتائج ظهر أثرها فيما بعد، وأول الوثائق المرسلة إلى نائب القضاء بإدلب بعد خروج المصريين، كانت أمراً سامياً، تضمن إعلان البشرى بولادة ولي عهد السلطان سمى (السلطان محمد مراد) بإقامة الزينات والأفراح، وإطلاق المدافع ليلاً نهاراً لمدة سبعة أيام في سنة ١٢٥٦ هـ) ... ومن النتائج التي ظهرت فيما بعد هذه الواقعة، إذ اضطر شيخ إدلب لدفع نفقات عرفية لمصلحة مدينة إدلب، ومن جيوب الأهالي، كما ورد في هذه الوثيقة في سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٤ م وهي كتاب من قاضي حلب إلى الوالي ((أعرض لدولتكم ما يلي : حضر الشيخ السابق لقصبة (إدلب) التابعة لولاية (حلب) السيد (عبد الرحمن منون أوغلي)[١] إلى مجلس الشرع وواجه السيد (الحاج أحمد بن الحاج طه فريد أوغلي) الوكيل العام الشرعي لكل من السادة (مصطفى بن بكور قطع = والحاج منصور بن سميع = وسعيد بن قحفظان = وطه بن الحاج عبد الله بركات = و محمود بن نعمة = والحاج زكور شربجي أوغلي = وعبد الرحمن دهمان وضيفه = وأبو بكر هرموش أوغلي = وقره محمد رحابي أوغلي = والحاج محمد جميل أوغلي = وحمود فالح أوغلي = والحاج محمد بالق أوغلي = والحاج عثمان جمالي أوغلي = وإبراهيم شكار أوغلي = و محمد سيد أوغلي = وعبد الرحمن بلسان أوغلي = وأحمد زكور أوغلي = وحمود زيدان أوغلي = وعوض خطيب أوغلي = ومصطفى بشّة أوغلي وكان ذلك بحضور كل من وجوه (إدلب) السيد (حسن أفندي عياش زادة والنائب السابق لإدلب الشيخ (بركات أفندي مرتيني زادة) و (محمد آغا فنري زادة) و (محمد آغا جحا زادة) . حيث ادعى (الشيخ عبد الرحمن بن اسماعيل) إنه خلال قيامه بمشيخة (إدلب) في الأول من شهر شوال لعام

---

[١] أوغلي = ابن في اللغة العثمانية

/ ١٢٥٤ / حتى غاية شهر رمضان لعام / ١٢٥٥ / أي خلال سنة اضطر خلالها لدفع نفقات عرفية وخلافها لمصلحة مدينة (إدلب) بحدود / ١٠٨٦٤٠ / قرشاً و / ٣٨ / بارة وقد سدد إليه من أساس هذا المبلغ / ٧٠٦١٦.٥ / قرشاً بموجب حوالة مالية أرسلت إليّ من أهالي البلدة وبقي لي بذمتهم مبلغ / ٣٨٠٢٤ / قرشاً و / ١٨ / بارة والشاهد على صحة أقوالي الصك الذي كتبه نائب (إدلب) بتاريخ محرم لعام / ١٢٥٦ / هـ . إنه يطالب بهذا المبلغ لإيفاء ما ترتب عليه من ديون في سبيلهم لدى التحقيق والبحث في الموضوع والسؤال من الوكيل الشرعي(الحاج أحمد الحاج طه) رد علي المدعي بأن المبالغ التي يطالب بها الأهالي قد استوفاها المدعي من التجار الذين كان يتعامل معهم والمتواجدين في مدينة (إدلب) من (القصاب ، وبائع الصابون ،بائع الملح ، وبائع الخضار، وبائع الخبز، حيث شكل رقماً قدره / ٩٥ ٠٠٠ / قرشاً . أنكر الشيخ عبد الرحمن هذه المقولة و أصر أن له بذمتهم مبلغ قدره / ٣٨ ٠٠٠ / قرشاً وعندما سئل (عبد الرحمن) عن الجهات التي أودع لهم فيها هذه المبالغ لمصلحة البلدة عجز عن تسميتهم وبدا للجميع انه يغالط في هذا الأمر . وعلى هذا الأساس بدأ التناقض في أقواله مما تسبب في إحراج (عبد الرحمن) ودفعه إلى التراجع عن دعواه وعدم مطالبته الأهالي بأي مبلغ وعلى هذا الأساس تم إسقاط الدعوى واتخذ قرار بفض النزاع بين الطرفين . نرفع هذا الإعلام للتفضل بالإطـلاع والأمر بما ترونه مناسـباً.. حررت في ٢/ جماد الأول / ١٢٥٩ / هـ ترجمة الخبيرة سهيلا يمليخا – في سجلات الأوامر السلطانية لولاية حلب في مركز الوثائق التاريخية في دمشق)) ..ولو قمنا بتحليل هذه الوثيقة لوجدنا عدم ثبوت إدعاء الشيخ منون على أهالي إدلب واشتمالها على أسماء بعض عائلاتها ووجوهها كـ عياش و فنري و جحا و مرتيني، والأخير شيخ والنائب السابق لإدلب أي كان حاكماً لإدلب، ويبدو أنه تسلمها بعد النائب عمر الكيالي - انظر فصل الحياة الإدارية - كما تبين لنا واقع إدلب خلال حكم المصريين لها إذ كان شيخها سنة ١٢٥٤ ـ ١٢٥٥ وما قد صرفه لمصلحة مدينة إدلب عرفياً أي في الحالات الاستثنائية، في عهد حكم إبراهيم باشا المصري، والذي قد عين في عهده هو و نائبها السابق بركات أفندي مرتيني زادة والتي تعني في اللغة العثمانية ابن . كما نلاحظ وجود

محمد آغا جحا بن عبد الرحمن (ويطلق عليه آغا مع محمد آغا فنري أيضاً) الذي كان في خلاف حاد مع آل عياش سابقاً، وكما ورد، و ها هو الآن يجتمع كأحد أعيان إدلب مع حسن أفندي عياش، مما يؤكد ما قلناه سابقاً إن العائلتين تصالحتا، وأصبحتا من وجوه إدلب وليتولى كل منهم مناصب هامة في تسيير إدلب لما فيه خيرها وخير أهلها، وكما نقول الآن بالعامية " رجعت المي لمجاريها"[1] . والوثيقة الأخرى برقم ٣٠٣ تاريخ ١٢٦١ هـ توضح لنا أيضاً بعض النزاعات وتدخل وجهاء إدلب لحل كل نزاع " من القاضي بحلب بثبوت الحجة الشرعية لـ الحاج حسن أفندي عياشي زادة الإدلبي بحق أحمد جليق أوغلي . ادعى أحمد أن الأرض له لأنه استصلحها ,


المحفوظات الملكية المصرية

مشترى

١٢٤٨ - ١٢٥٠هـ · ١٨٣٢ - ١٨٣٥م

(الصورة١٤٠)المحفوظات الملكية المصرية

(الصورة١٤١)من مضمون الوثائق المصرية

(لبصورة١٤٢) من الأأوامر الملكية المصرية

بينما قال حسن أنه قام بشرائها منذ ٢٧ سنة، وكانت تابعة لمزرعة صابونخاني باشا ويتصرف بها . واتفق مع أحمد أن يعطيه الثلثين، وجرى

[1] سر . أ ٥٢ و ٨٦ من ولاية حلب طعمة بن الحاج محمد بالإضافة إلى كل من الحاج عبد الله بن الحاج يوسف ساغتجي - ومحمد بن إبراهيم توتنجي . يؤكدون أن المزرعة من حق الحاج حسن أفندي ... وصدر الحكم على الفتوى المقدمة من الإفتاء ... وطلب من أحمد جليق عدم معارضة الحاج حسن أفندي العياشي . السيد اسماعيل فهيم قاضي حلب .

نزاع تدخل فيه نائب إدلب السابق، وبعض الوجوه . وعند حسن حجة شرعية للتصرف تاريخها ١٢٥٩ وطلب من أحمد بينة، فتقدم كل محمد آغا فنري زادة والحاج مصطفى بن علي بشّة، وأثبتا الحجة الشرعية . ومن الأهالي للحكم بينهما كل من الحاج محمد بن حمود بن الحاج عبد اللطيف قطع أوغلي - مصطفى بن أبو بكر وحسن بن الحاج.

الوثائق المصرية الرسمية: هي التي وثقها لنا د.أسدرستم- المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتابه(الصورة١٤٠-١٤١-١٤٢)... في الوثائق المصرية أنه تم الاستيلاء على حلب في وثيقة تاريخها صفر بلدان العرب في حوزة العزيز ثم يستشيره فيما يجب عمله بعد هذا هل يمضي الشتاء في حلب أم يزحف على الأناضول في ١٩ صفر ١٢٤٨هـ" وبالإمكان تحديد دخول ابراهيم باشا إلى ادلب حوالي هذا التاريخ تموز١٨٣٢ م. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) وتفيدنا الوثائق المصرية أيضاً إلى وصول القوات المصرية إلى تل سلطان (شرقي سراقب) في جمادى الآخرة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م وحين علم حاكم حلب محمد اينجه بيرقدار باشا هرب من حلب إلى ملاطية... ذكرت الوثائق المصرية أن حاكم حلب قد "أعلم محمد علي باشا بأخبار الزلازل في حلب ،وجسر شغور، وادلب نقلاً عن تقرير قنصل أسوج في حلب" سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م وفي الوثائق المصرية ذكر "التفشي الهواء الأصفر(الكوليرا) في حمص وسورية الشمالية سنة" محرم١٢٤٨هـ/١٨٣٢م مما يفيد لانتشاره في ادلب حينذاك. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم.

في عهد الحكم المصري لادلب , كان الحاكم الأعلى ابراهيم باشا المصري يخاطب حاكم ادلب في مذكراته باسم (متسلم ادلب) " لما اعرض الحاج علي اغا متسلم ادلب بخصوص مواده واستدعى الإفادة عن إقامتة بهذا الطرف هل بقي لها لزوم ام لا ففي المجلس لدة المذاكره رؤي من حيث ان دعاوي أهالي قصبة ادلب مع متسلمهم انتهت وظهر ان دعاوي المدعيه فارغة فقط صار الاستحسان ان يصير تحقيق مادة الرجاليه والاشجار والاعانه بطرف ادلب ويتحرر بذلك دفتر بعد التحقيق والتعداد وهذه المواد الباقيه اللازم تحقيقها لا

تخص متسلم ادلب فعلى هذا يلزم ان المتسلم المومى اليه يتوجه لمعاطات مصلحته واما بخصوص الاشجار المدعين بزيادتها وكذلك الانفار الساقطين من الاعانه والرجاليه فمن حيث لازم لتحقيق ما يلزم تحقيقه وتعداد ما يلزم تعداده بمعرفة مأمورين من المجلس وبالمداولة استحسن أنيكونوا(هكذا كتبت) المامورين لهذه المصلحة جناب أسعد بك وبهاء الدين افندي قدسي زاده " .وذلك عام ١٢٥٤/١٨٣٨ م ....في سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م ورد تقرير من حضرة البيك حكمدار إيالة حلب بأن أهالي القرايا (أي القرى) بدأوا يتقدمون بالشكاوى في حصول مغدوريه لهم بتمويل الإعانة في العام الماضي , بما فيهم " أهالي ادلب الآن مستدعين بأن حصل لهم مغدورية أكثر من غيرهم حيث فيئاتهم زيادة عن فيئاة أهالي القرايا وأن صار الكشف من خزينة حلب فوجد فيئة نفر القرايا غرش ٣٠ وفيئة أنفار نفس ادلب غرش ٥٢ ومن كون أن قبل الآن حينما صار إرسالها المامورين لأجل تعداد الاعانة كان تحرر استماره بمعرفة ناظر نظار القرايا .. " (المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) ...ومن الرسائل الإدارية الصادرة سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م "قضية خان عرضة الغلال في ادلب والمال المتوجب عنه" ومن الرسائل الإدارية في الحكم المصري سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م "رسالة تبحث في اقطاعات محمد عزيز في كفر نجد وسرمده وغيرها". وفي الوثائق المصرية ذكر "الاقطاع في جسر الشغور لـ محمد عزيز أفندي قاضي حلب الأسبق سنة ١٢٥٢هـ" =١٨٣٦م لم يكن عسكر ابراهيم باشا المصري يتمركز في ادلب، أيضاً في المعرة في سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م. ...لقد ورد في الوثائق المصرية في عهد حكم ابراهيم باشا في سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م "يوافق على اقتراح علي آغا قائمقام آلاى الفرسان الرابع ويجند نقل المدافع النحاسية الموجودة في جزيرة أرواد إلى مصر" هذه الوثيقة تفيدنا في أنه جعل من الجزيرة مركزاً عسكرياً لحملاته إلى بلاد الشام. ... كثيراً ما كان أصحاب الحرف بإدلب يتقدمون بتظلمات تكتب بما يسمى اليوم استدعاء أو طلب تظلم واعتراض, وفي عهد حكم ابراهيم باشا المصري تسمى(عرضحال) وكما هووارد في هذه الوثيقة سنة ١٢٥٤ه/ ١٨٣٨ه وهي توضح مدى استغلالهم من قبل متسلمهم بإدلب, الذي يأخذ أضافاً منهم بحجة أنها للميرى (أي مالية الدولة كضرائب) والحقيقة

قسم منها إلى(جيبه الخاص) لذلك قرر مجلس حلب التحقق في ذلك. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) .

[٣٦١] ((نمره ١٦ ورد تقرير من الخواجه جرمانوس بحري يذكر فيه ان قبل تاريخه كان تقدم عرضحال من الحدادين والسمانين والقصابين بإدلب للأعتاب(أي لمن يهمهم الأمر من المسؤولين) ويدعوا بأن متسلمهم عمال يأخذ منهم أصناف ولم يعطيهم منها فصدر الأمر العالي علي الاعراض خطاباً له بروية حسابهم فالذي حضر من الأصناف المذكورين الحدادين لا غير وحين الفحص على حساباتهم وجد مأخوذ منهم الحديد إلى جهتين جهة للميري وجهة إلى خاصة المتسلم وبحيث ان الحديد المأخوذ لخاصة المتسلم صار محاسبته بالمجلس والذي تبقى عنده دفعه لأربابه ثم حساب الحدادين مع الميري قد حصل بمعرفة جنابه وتحرر به قايمه وبموجبها تبقى لحدادين ادلب طرف الوكيل مبلغ ألفين وسبعمائة وتسعة وخمسين غرش وأربعة وعشرين باره فاقتضى أرسل القايمه بصورة الحساب لأجل تحصل عليها المطالعة وينظر بما يري موافق فلدى المذاكرة رؤي بحيث تطالعه قايمة الحساب المتضمن خصم الوارد [من الحدادين] من المطلوب منهم وعن الذي تبقى لهم فايض مبلغ ألفين وسبعمائة وتسعه وخمسين غرش وأربعه وعشرين بارة بطرف الوكيل وبما ان المحاسبة المذكورة حصلة قبل تاريخه وبذلك الوقت كان الوكيل عمال يقدم حساب مطلوب منه واستحسن تأخير تحرير الخلاصة لحين نهو تقديم الحساب والان من كون انتهى حساب المذكور فيلزم اصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك متسلم ادلب بخصم المبلغ المتبقي للحدادين طرف الوكيل منال المطلوب منهم بإدلب حيث حساب الوكيل انتهى وقر الراي عليه في ٤ جا سنة ٥٤ مجلس)).

[٣٤٥] ((نمره ١١ احيل لمجلس حلب العالي الشقة الواردة لحضرة حكمدار احالة حلب من حضرة ابراهيم بك مير اللوا سواري بلزوم ماية أقة صابون شهري إلى يدنجي الاي سواري من ادلب ويذكر سعادة حكمدار بك انه يلزم تحصل المذاكرة بتدبير ترتيب الصابون المرقوم فلدى المذاكرة رؤي من حيث أن صابون الذي يلزم الى عساكر المقيمين ببلاد ايالة حلب مرتب توريده على

مصابنجيه ادلب وحلب ونظراً لكون المعرة من طبراق الشام فكان لازم يكون الصابون الذي يلزم للمعرة يستحضر من الشام أو من طرابلس وعلى الخصوص مصابنجيه حلب وادلب دايماً يتضجروا من كثرة طلب الصابون الذي يلزم لعساكر المقيمين بحلب وايالتها من كثرته ومن المعلوم ان أقة الصابون بين الاهالي))....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم)

كانت جسر الشغور مركز ملتقى قوافل التجارة والحجيج من المسلمين والمسيحيين من انطاكية إلى الجنوب مارة بجسر الشغور, كون الخان فيها من أكبر الخانات, كذلك كانت هي آخر حدود ولاية حلب, وهي كذلك وكما تذكر هذه الوثيقة المصرية سنة ١٢٥٤هـ /١٨٣٨م هي على طريق ورأس قناق أي محطة تجارية هامة.

[٣٥٠] ((نمرة ١٢ أهالي جسر الشغور قدموا معروض مُحال منطرف سعادة حكمدار بك يتضمن بأن هذه السنة المباركة مطلوب منهم شونه كليه ومن حيث أن الجسر هي طريق الشاردين والواردين فيستدعوا أن يصدر الأمر بإبقا جانب من الشونه المطلوبة منهم بالجسر ويتعين لهم ناظر يتسلم الغلال ويسلم لأن من دون ذلك لا يقدروا ويحصل لهم زحمه من المارين بطلب قناقات واستدعوا النظر بذلك فلدى المذاكرة رؤي ان ماذكره أصحاب العرض في الحقيقة مضمحل حالهم وقريتهم على طريق ورأس قناق والذي يصل إليها لا يمكن أن يتحول لغيرها فعلى هذا ينبغي أن تحصل لهم المساعدة بإبقاء جانب غلال من الشونه المطلوبة من قضاء الجسر وتبقى تحت لزوم الصرف والباقي يحملوه الأهالي ويوردوه للشونه ويلزم أن يتعين معتمد من طرف متسلم الجسر ويتسلم الغلال التي تلزم للشاردين والواردين والباقي من شونة المطلوبة من قضا الجسر يرسلها لحلب ثم بحيث أن الغلال التي بدها تبقى تحت اللزوم بالجسر فمن حيث أن أهالي الجسر كانوا يدفعوا كراً مشالها لشونة حلب فيلزم أن يدفعوا مقابلة ذلك اجرة مناسبة للمعتمد الذي يعينه متسلم الجسر لتسليم الغلال وتسليمها ويلزم اصدار خلاصة بذلك لمتسلم الجسر الحاج علي آغا بالمبادرة للعمل على الوجه المشروح بترتيب معتمد بتسليم غلال بقدر

اللزوم ويصرفها للشاردين والواردين بموجب رجع مضبوطة وهو أيضاً حين يتسلمها يعطى بها رجع ثم من حيث أن المسموع عن بعض مأمورين من خيالة الميري وغيرهم يحضروا إلى القرا ويكلفوا الأهالي إلى عليق ومأكولات ودجاج والبعض يعطوا رجع والبعض لا يعطوا رجع وبحيث أن ذلك مخالف إلى أصول العدالة فينبغي منع ذلك وهو أنهُ يلزم إصدار خلاصات إلى متسلمين بلاد ايالة حلب ومتسلم حلب بأن حين يتعين مأمور لمكان فمثلاً إذا كان متعين من حلب لانطاكية فيعطى لهُ بوصلايه منطرف متسلم حلب للدانة بصرف عليق ومقدار خبز ثم من الدانة مثلاً لحارم أيضاً يعطى له بوصلايه بختم المتسلم المومى إليه خطاباً لحارم ومنها لشونة انطاكية وكل بوصلايه تبقى عند من يصرف له العليق والمأكولات ولما يرجع من انطاكية مثلاً كذلك يعطى بوصلايات بختم متسلم انطاكية باسم المحل الذي يأخذ منهُ العليق والذي لا يوجد معه بوصلايه بختم المتسلم فلا يصرف له شيء وكذلك عسكر الباشا بوزق يأخذوا بوصلايات من اغتهم بذلك وورقه من المتسلم بعدد الخيالة وأما إذا المأمورين أو الخيالة أجبروا الأهالي على أخذ عليق ومأكول بدون بوصلايه فحالاً يحضروا يخبروا المجلس والمجلس يعرض ذلك على الحكم لكي يترتب لمن خالف الأمر جزا ويكون العمل على هذه الصورة كما قر الرأي وهذه الخلاصة إلى الحاج علي آغا متسلم ادلب والجسر ليعمل بموجبها ويعين معتمد منطرفه ليتسلم ما يلزم صرفه من شونة قضا الجسر للواردين من العساكر وإرسال البقية لشونة حلب وبآخر السنة يصير المحاسبة في ٩ سنة ٥٤ مجلس ٦ ر سنة ٥٤ وتحررة خلاصه لناظر جبل سمعان نمرة ٥ وتحررة خلاصه لناظر قضاء حارم نمرة ٨ وتحررة خلاصه لناظر قضاء سرمين محمد آغا رفيعة نمرة ٨ وتحررة خلاصه لناظر قضاء الباب والجبول سعيد آغا نمرة٦ وتحررة خلاصه لمتسلم حلب نمرة٩ وتحررة خلاصه لمتسلم انطاكية نمرة ٤ وتحررة خلاصه لمتسلم كليس نمرة٣ وتحررة خلاصه لمتسلم عنتاب نمرة ٢ والجميع بتاريخ المذكور ليعمل بموجبهم)). وكما هو اليوم الآلية (سيارات_ دبابات) لها أهميتها في الحياة الاقتصادية والعسكرية, كذلك كان للخيول دورها في عهد ابراهيم باشا المصري, ولعل هذه الوثيقة توضح لنا دور ادلب وسرمين والجسر, في تامين خدمات لـ ((خيول العساكر المنصورة

)) كما وردت في وثائقهم الرسمية, والتي تنظم ضبط الأمور وتقديم الخدمات إليها في سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) [٣٧٠] ((نمرة١٠ سعادة البيك حكمدار ايالة حلب الافخم قدم تقرير للمجلس العالي يذكر فيه أن خيول العساكر المنصورة التي تنتقل من بلد إلى بلد ويقتضى لها صرف العليق والجرايه من القرايا الواقعين بالطريق فهو لاي قيامهم من بلد الذي يكونوا بها لا بد يكون بعلم متسلمها فالمتسلم يرتب قوناقات مبيتهم بالطريق وإلى كل قوناق يحرر تذكره مخصوصه باسم القرية التي تكون رأس قوناق ويبين فيها مقدار ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم).الذي يعطى من عليق وجرايه مع بيان الليلة التي يصادف مبيتهم بها لكي أهل تلك القرية من بعد أن يعطوا الذي يكون مكتوب لها يأخذوا التذكرة مظّهره بالوصل ويحضروها للشوره يحاسبوا بها والمتسلم يرسل علم خبر إلى ناظر شونة تلك البلدة في قوناقات الذي ترتبوا على المبيت لأجل الخيل التي تكون مأمورين وناظر الشونة يقيدوا ذلك عنده أولاً لأجل رفت مرتبهم من دفاتر الاستحقاق ثانياً يكون عنده علم القرايا حتى غذا الأهالي أحضروا له رجع يكون عنده خبرهم كي لا يحصل تعلل بقبولهم وبهذه الصورة يحصل الراحة لكافة الأهالي والمأمورين ويرتفع التشكي ويتنبه على ضباط الخيالة والعساكر بأنه يحرصوا جماعتهم كي لا يحصل تعدي من أحد منهم في هذا الترتيب وأن الذي يحصل منه مخالفة يترتب له جزاء لايق فلدى المذاكرة رؤي أن ما قرره سعادة البيك الأفخم مناسب وفي محله وبالحقيقة جميع ما أورده بتقريره مما لاح بفكره المنير وذهنه الثاقب فهذا موجبات استحصال الراحة للأهالي والمأمورين وقر القرار على اصدار خلاصات مشروحات من طرف البيك المشار اليه إلى مجالس الفروع لكي يصدروا افادات من طرفهم إلى متسلمين وحكام جهاتهم باعتماد العمل بموجب هذا الترتيب وكذا إلى جانب متسلم حلب ومتسلم الجسر ونظار الجهات كي يعلنوا جميع القرا بذلك ويجري العمل حسب القرار وهذه الخلاصة إلى مجلس انطاكية ليعمل بموجبها في ٢١ جا سنة ٥٤ مجلس ٢٠ جا وتحررة خلاصة إلى مجلس عنتاب نمرة٩ وتحررة خلاصة إلى مجلس كليس نمره٨ وتحررة خلاصة إلى متسلم حلب نمره١٦ وتحررة خلاصة إلى متسلم ادلب نمره ١٧

وتحررة خلاصة إلى ناظر قضا اريحا هاشم اغا نمره٣ وتحررة خلاصه إلى ناظر قضا سرمين محمد اغا رفيعه نمره١٠ وتحررة خلاصة إلى ناظر قضا جبل سمعان ناصر اغا نمره٦ وتحررة خلاصه إلى ناظر قضا حارم يوسف اغا نمره١٠ وتحررة خلاصة إلى ناظر قضا الباب والجبول سعيد اغا نمره٧))

القلاقل في عهد المصريين: كان تمركز القيادة العسكرية للجيش المصري في انطاكية وفي الوثائق المصرية الخاصة بالشام وثيقة تاريخها ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م بإرسال عساكر من مصر إلى المنطقة لدرء وصد محتمل للعساكر العثمانية فقرر إرسال ٢٠٠خيال إلى ادلب ومثلهم إلى الجسر واريحا. ١٨٢/١ المحفوظات....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) لم يكن الأمن مستقراً في عهده، وخاصة سنة ١٢٥٠هـ /٣٤-١٨٣٥م في وثيقة ذكرت "اضطراب الأمن في نواحي حلب واتخاذ الإجراءات الإدارية اللازمة".....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) يبدو أن ابراهيم باشا قد بدأ ببناء الثكنات العسكرية في حلب وادلب وغيرها في سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م وهذه الثكنة لم تكن تابعة عسكرياً إلى حلب، بل إلى انطاكية وكما ورد في وثيقة تقول "انطاكية هي مقر جلادة السر عسكر" ورد في الوثائق المصرية "ظهور الجراد في إيالة حلب سنة ١٢٥١هـ وكذلك ظل أثره في عام ١٢٥٢هـ" /٣٥-١٨٣٦م. .... وفي تقرير رفع إلى القيادة المصرية " في خلاصة الإنذار الذي وجهه الثائر يونس إلى أهالي القصير وما قاله هو إلى متسلم انطاكية رداً عليه: نخبركم لله الحمد الجسر ملكناه وحلب محاصرة وادلب قامت وعنيزة(يقصد عشائر عنيزة) مجاورة حلب والبلاد جميعها قامت" وذلك سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤ م....تشيرهذه الوثيقة المصرية إلى أن ادلب قد ثارت على الحكم المصري، وهذا ما أثبتته الوثائق الأخرى. ٤٧١/٢المحفوظات...يبدو أن السلطات المصرية بدأت تشدد قبضتها في المنطقة وكما ورد في كتابها (رتبة عسكرية) " على اسماعيل عاصم بك حكمدار حلب(أي حاكمها) وعلى محمد بك خفتان آغاسي بوجوب تأديب الأشقياء في ادلب وجسر شغور ونواحيمها في سنة ١٢٥٥هـ..." ٤ /١٢٥

...وفي تقرير رفع إلى القيادة المصرية " في خلاصة الإنذار الذي وجهه الثائر يونس إلى أهالي القصير وما قاله هو إلى متسلم انطاكية رداً عليه: نخبركم لله الحمد الجسر ملكناه وحلب محاصرة وادلب قامت وعنيزة(يقصد عشائر عنيزة) مجاورة حلب والبلاد جميعها قامت" وذلك سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤ م. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) تشير هذه الوثيقة المصرية إلى أن ادلب قد ثارت على الحكم المصري، وهذا ما أثبتته الوثائق الأخرى. ٤٧١/٢المحفوظات. يبدو أن السلطات المصرية بدأت تشدد قبضتها في المنطقة وكما ورد في كتابها (رتبة عسكرية) " على اسماعيل عاصم بك حكمدار حلب(أي حاكمها) وعلى محمد بك خفتان آغاسي بوجوب تأديب الأشقياء في ادلب وجسر شغور ونواحيمها في سنة ١٢٥٥هـ..." ١٢٥/٤ .... في قصر توافق١٨٣٩م ..أواخر عهدهم في سوريا.. .ومما يؤكد على انتشار الثورة ضد حكم ابراهيم المصري من الجسر إلى ادلب أو التنسيق بينهما، ولتمتد إلى جبل الزاوية، فقد كتب مختار قصبة اريحا عريضة يوضح فيها واقع الحال في نفس العام ((عريضة من إمضاء اختيارية قصبة أريحا مجهولة التاريخ هذا نصها: ولي النعم عالي الهمم كريم الشيم أفندم سلطانم أيد الله دولته بالعز والكرم معروض عبيدكم اختيارية قصبة أريحا انه في يوم الخميس بعد الشمس بساعة هجموا على أريحا مقدار زلام من أهالي قريا الزاوي (قرى جبل الزاوية) لأجل يأخذوا تفنك عساكر الجهادية (أي بواريد وبنادق العسكر)فأخذوه وما صار لنا اقتدار على ردهم كونهم غالب الناس في الحصاد وما صار لنا أمنية نستقيم في القصبة بل دشرنا عيالنا وأرزاقنا وجينا على ادلب منتظرين أمر سعادتكم الأمر أمركم والمراحم وأطال الله بقاكم أفندم ولا يخفي سعادتكم قتلت حرمة من نساء القصبة صابها رصاص في ظهرها والأمر لسعادتكم أفندم)) ١٢٥٥هـ/١٨٣٨م. ....وتؤكد رسالة من اسماعيل عاصم بك مؤرخة في ٢٥ ربيع الآخر بأنه قد سبق له أن بين ((أعمال الشقاوة التي يقوم بها أهالي جسر الشاغور (وكذلك) خطابات من قرية أريحا بأنهم قد قاموا بهجوم على داخل القرية فجرحوا الناظر وبعض الأهالي ونهبوا بنادق الألاى ٣٤ التي بقيت هناك وقتلوا إحدى النساء)) وإنه قد كتب إلى المير لواء عثمان بك يطلب منه بخبر وصوله إلى سرمين مع الأورط الست التي معه

(أي الكتائب العسكرية وليقوم بالتنسيق معه في إنهاء موضوع الثورة).ومن قراءتنا للوثائق المصرية التي تلت تبين لنا أن (جسر الشاغور) كانت هي المنطقة الأسخن والأشد في الثورة ضد الحكم المصري في إرسال الأسلحة والبنادق، وعدم إمكانية صرف رواتب العساكر. وأن " أمر جسر الشاغور ليس بالشيء المهم في ظل ولي النعم وسينهى في خلال بضعة أيام..." ٤/١٣٨ ....وتتطور الأمور بعد أيام، وفلاحو أريحا والمنشقين عن الجندية التي فرضها ابراهيم المصري دفع إلى إرسال " رسالة من امضاء هاشم ناظر قضاء أريحا مؤرخة في ٢٤ ربيع الآخر يفيد بها أن أحمد العبسي وأولاده وعدداً من الفرارين والفلاحين هجموا على أريحا وبعد قتال عنيف استولوا على السلاح الموجود في أريحا وفر هو بنفسه إلى ادلب. وقد ورد في هامش الرسالة أن ابن البدوي هو أصل المفسدة" ص٤/١٤٠....المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم). وفي خطاب آخر في ٢٥ ربيع الآخر موجه إلى اللواء عثمان بك حيث أن أهالي جسر الشاغور والقرى القائمة هناك وأهالي قرية اريحا قد عمدوا إلى اتيان أعمال الشقاوة وأقدم اهالي الجسر على قتل حرفان آغا متسلمهم كما قتلوا معه بعض رجاله ونهبوا البقسماط (الخبز المجفف) والكساوي (الألبسة العسكرية) والبنادق التي كانت مرسلة من اللاذقية، وحيث أن أهالي إحدى القرى التابعة لريحا هاجموا ريحا واستولوا على بنادق الآلاي ٣٤ الموجودة هناك وجرحوا بعض الناس وحيث ان خفتان بك والمير لواء خليل بك قد كلفا وهما في طريقهما إلى كليس بالسفر إلى أريحا بمن معهما من العساكر ليعملا على إخلاء السكينة هناك..." ...ولا يألو حاكم حلب في التأكيد للحاكم المصري بأنه سيتابع أوامر الخديوي بمتابعة موضوع جسر الشاغور بقوله "أرسلت إلى هناك أحمد رحمون آغا وحسن خرتوم في خيالتهما كما سلحت بالبنادق جماعة رئيس من الرؤساء وأفدتهم إلى هناك... فقد كتبت إلى متسلم انطاكية بشأن تسليحهم ببنادق آلابي المشاة الثاني والتاسع الموجودة هناك وإعطاء كل رئيس منهما ٢٥ كيساً وإعدادهم للسفر في خلال ليلة واحدة ثم سوقهم إلى جسر الشاغور وثمة خمسة بلوكات من العساكر النظامية بقيت هنا ... ولما كان خفتان بك وخليل بك قد توجها إلى هناك فإن موضوع جسر الشاغور سينهى في ظل الحضرة الخديوية.." ورغم هذا التأكيد

المطمئن، فإنه في تقرير آخر يذكر "أما عدد البنادق التي نهبت في جسر الشاغور فإنه غير معلوم إذا أنهم لم يوافونا بالعدد المنهوب منها والمظنون لدى العاجز أن عدد هذه البنادق ٤٠٠ ونيف وردفها إلى حلب نحو٣٠٠ والمنهوب نحو ماية ونيف" هنا يقر بعجزه في ضبط الموقف، والقضاء على الثورة لذلك يستعين بعساكر الهنادى التي جاءت من مصر عن طريق البحر، ولم تعد "قوات الخيالة التي ارسلت بقيادة رحمون آغا من جبخانتهم (بنادقهم) بالكافية، ومع ذلك دعمتهم خيالة حسن خرتوم مع جماعة الرئيسين الموجودين هنا وصرف لكل رئيس منهما ٥٠ كيساً ونبهنا عليهما وجوب إعداد عساكرهما هذه الليلة" لقد صرفوا الأموال لكسب الموالين لهم، ومع ذلك فإنهم لم يتمكنوا من إخماد ثورة جسر الشغور، والدليل في وثائق تالية في السعي لتجنيد المزيد وتأمين "٨٠٠ بندقية من بنادق الجهادية وأن توقدوهم لإخماد حركة جسر الشاغور ونظراً لوجود حسن خرطوم هناك أيضاً أرسلوه هو ورحمون لهذه الغاية ولا تعبؤوا بلفظة الأمان الأمان الأمان، بل اسحقوا هؤلاء الأشقياء واسمحوا بنهب أموالهم واعملوا على القضاء عليهم في أقرب وقت" ولم يكفهم إرسال اثنين من الرؤساء، تلاه أمر آخر "بإرسال ٣أو٤ منهم ويأتون من انطاكية مسلحين بالبنادق إلى جسر الشاغور" مع السعي الحثيث لإخماد الحركة هناك، وقرروا إرسال مدافع من اللاذقية، حتى ولو مدفع واحد مع نصف العساكر لقمع ثورة الجسر، وكذلك يحاولون قمع ثورة أريحا ففي كتاب وجهه حكمدار حلب (حاكم حلب) أنه حين كان في ادلب يوم الخميس ولقائه بأحد الضباط الكبار (الآلاى) و (الميرالاي خليل بك) ليقدم له تقاريره في قمع الثوار بأريحا فتمكنوا من قتل ٤٠-٥٠ شقياً وألقى القبض على سبعة منهم وهم أحياء، وبما أن الأمن ساد فقد التمس أهالي ريحا الأمان وأجيب طلبهم، وأعيدت إليهم ١١٥ بندقية وتعهدوا بتسليم بقية الأسلحة، مع فرار بعض الأشقياء (هكذا سمتهم وثائقهم) إلى جهة المعرة، كما فهم أنه "قد قتل نيف ومائة من الأشقياء وأن الخبيث المدعو كنج الذي هو أساس الفتنة قد قتل أيضاً وانتدب يوسف آغا لاستعادة ما تبقى من الأسلحة المنهوبة وبذلك تكون حركة ريحا قد أخمدت، ومع ذلك فإن الأشقياء السبعة الذين قبض عليهم، قد تمكن أحدهم من الفرار من (آلاى الطوبجية) ثم أمسكوا به، والستة صلبوا في ادلب

عبرة لغيرهم، وفي يوم السبت سيغادرون ادلب إلى جسر الشاغور لإعادة الأمن والنظام في ظل ولي النعم (الحاكم المصري)، وقرروا ادلب مكان تجمع القيادات للقضاء على ثورة جسر الشغور، وحين علم (أشقياء الجسر كما سموهم) بذلك ولوا الأدبار، والسلطات أكدت بألا يطمئنوا لمغادرتهم فقد يعودون ثانية ويتجمعون واصفين إياهم بأنهم "هكذا دأبهم في بلاد الشام وعليه فلا بد من تعقب هؤلاء الأشقياء والقبض عليهم ومعاقبتهم وقطع دابر حركتهم.. وهم مخلوقات كالخنازير" ويؤكد كتاب ملاحقتهم بالقبض عليهم والمبادرة إلى إعدامهم، مع الطلب "بجمع أسلحة جماعة جسر الشاغور حتى لا يبقى معهم مبراة (مطوة) فإذا ما قبض على كبارهم الذين هم رؤوس الفساد والفتنة عليك بتعليمهم (أي قطع رؤوسهم...). وفي وثيقة أخرى سنة ١٢٥٣هـ انتشاره في حلب وجسر الشغور وانطاكية وفي الوثائق المصرية أنه تم الاستيلاء على حلب في وثيقة تاريخها صفر ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م بقوله "بعد دخول جميع بلدان العرب في حوزة العزيز ثم يستشيره فيما يجب عمله بعد هذا هل يمضي الشتاء في حلب أم يزحف على الأناضول في ١٩ صفر ١٢٤٨هـ" وبالإمكان تحديد دخول ابراهيم باشا إلى ادلب حوالي هذا التاريخ تموز١٨٣٢ م.... ومما يؤكد على انتشار الثورة ضد حكم ابراهيم المصري من الجسر إلى ادلب أو التنسيق بينهما، ولتمتد إلى جبل الزاوية، فقد كتب مختار قصبة اريحا عريضة يوضح فيها واقع الحال في نفس العام ،، عريضة من إمضاء اختيارية قصبة أريحا مجهولة التاريخ هذا نصها: ولي النعم عالي الهمم كريم الشيم أفندم سلطانم أيد الله دولته بالعز والكرم معروض عبيدكم اختيارية قصبة أريحا انه في يوم الخميس بعد الشمس بساعة هجموا على أريحا مقدار زلام من أهالي قريا الزاوي (قرى جبل الزاوية) لأجل يأخذوا تفنك عساكر الجهادية (أي بواريد وبنادق العسكر)فأخذوه وما صار لنا اقتدار على ردهم كونهم غالب الناس ف بقاكم أفندم ولا يخفي سعادتكم قتلت حرمة من نساء القصبة صابها رصاص في ظهرها والأمر لسعادتكم أفندم،، ١٢٥٥هـ/١٨٣٨م. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) وتؤكد رسالة من اسماعيل عاصم بك مؤرخة في ٢٥ ربيع الآخر بأنه قد سبق له أن بين ،، أعمال الشقاوة التي يقوم بها أهالي جسر الشاغور

(وكذلك) خطابات من قرية أريحا بأنهم قد قاموا بهجوم على داخل القرية فجرحوا الناظر وبعض الأهالي ونهبوا بنادق الآلاى ٣٤ التي بقيت هناك وقتلوا إحدى النساء)) وإنه قد كتب إلى المير لواء عثمان بك يطلب منه بخبر وصوله إلى سرمين مع الأورط الست التي معه (أي الكتائب العسكرية وليقوم بالتنسيق معه في إنهاء موضوع الثورة).ومن قراءتنا للوثائق المصرية التي تلت تبين لنا أن (جسر الشاغور) كانت هي المنطقة الأسخن والأشد في الثورة ضد الحكم المصري في إرسال الأسلحة والبنادق، وعدم إمكانية صرف رواتب العساكر. وأن " أمر جسر الشاغور ليس بالشيء المهم في ظل ولي النعم وسينهى في خلال بضعة أيام..." ٤/١٣٨....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم)وتتطور الأمور بعد أيام، وفلاحو أريحا والمنشقين عن الجندية التي فرضها ابراهيم المصري دفع إلى إرسال "رسالة من امضاء هاشم ناظر قضاء أريحا مؤرخة في ٢٤ ربيع الآخر يفيد بها أن أحمد العبسي وأولاده وعدداً من الفرارين والفلاحين هجموا على أريحا وبعد قتال عنيف استولوا على السلاح الموجود في أريحا وفر هو بنفسه إلى ادلب. وقد ورد في هامش الرسالة أن ابن البدوي هو أصل المفسدة" ص ٤/١٤٠....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) وفي خطاب آخر في ٢٥ ربيع الآخر موجه إلى اللواء عثمان بك حيث أن أهالي جسر الشاغور والقرى القائمة هناك وأهالي قرية اريحا قد عمدوا إلى اتيان أعمال الشقاوة، وأقدم اهالي الجسر على قتل حرفان آغا متسلمهم كما قتلوا معه بعض رجاله ونهبوا البقسماط (الخبز المجفف) والكساوي (الألبسة العسكرية) والبنادق التي كانت مرسلة من اللاذقية، وحيث أن أهالي إحدى القرى التابعة لريحا هاجموا ريحا واستولوا على بنادق الآلاي ٣٤ الموجودة هناك وجرحوا بعض الناس وحيث ان خفتان بك والمير لواء خليل بك قد كلفا وهما في طريقهما إلى كليس بالسفر إلى أريحا بمن معهما من العساكر ليعملا على إخلاء السكينة هناك..." ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) ولا يألوا حاكم حلب في التأكيد للحاكم المصري بأنه سيتابع أوامر الخديوي بمتابعة موضوع جسر الشاغور بقوله "أرسلت إلى هناك أحمد رحمون آغا وحسن خرتوم في خيالتهما كما سلحت بالبنادق جماعة رئيس من الرؤساء وأفدتهم إلى هناك...

فقد كتبت إلى متسلم انطاكية بشأن تسليحهم ببنادق آلابي المشاة الثاني والتاسع الموجودة هناك وإعطاء كل رئيس منهما ٢٥ كيساً وإعدادهم للسفر في خلال ليلة واحدة ثم سوقهم إلى جسر الشاغور وثمة خمسة بلوكات من العساكر النظامية بقيت هنا ... ولما كان خفتان بك وخليل بك قد توجها إلى هناك فإن موضوع جسر الشاغور سينهى في ظل الحضرة الخديوية.." ورغم هذا التأكيد المطمئن، فإنه في تقرير آخر يذكر "أما عدد البنادق التي نهبت في جسر الشاغور فإنه غير معلوم إذا أنهم لم يوافونا بالعدد المنهوب منها والمظنون لدى العاجز أن عدد هذه البنادق ٤٠٠ ونيف وردفها إلى حلب نحو٣٠٠ والمنهوب نحو ماية ونيف" هنا يقر بعجزه في ضبط الموقف، والقضاء على الثورة لذلك يستعين بعساكر الهنادى التي جاءت من مصر عن طريق البحر، ولم تعد "قوات الخيالة التي ارسلت بقيادة رحمون آغا من جبخانتهم (بنادقهم) بالكافية، ومع ذلك دعمتهم خيالة حسن خرتوم مع جماعة الرئيسين الموجودين هنا وصرف لكل رئيس منهما ٥٠ كيساً ونبهنا عليهما وجوب إعداد عساكرهما هذه الليلة" لقد صرفوا الأموال لكسب الموالين لهم، ومع ذلك فإنهم لم يتمكنوا من إخماد ثورة جسر الشغور، والدليل في وثائق تالية في السعي لتجنيد المزيد وتأمين "٨٠٠ بندقية من بنادق الجهادية وأن توقدوهم لإخماد حركة جسر الشاغور ونظراً لوجود حسن خرطوم هناك أيضاً أرسلوه هو ورحمون لهذه الغاية ولا تعبؤوا بلفظة الأمان الأمان الأمان، بل اسحقوا هؤلاء الأشقياء، واسمحوا بنهب أموالهم، واعملوا على القضاء عليهم في أقرب وقت" ولم يكفهم إرسال اثنين من الرؤساء، تلاه أمر آخر "بإرسال ٣أو٤ منهم ويأتون من انطاكية مسلحين بالبنادق إلى جسر الشاغور" مع السعي الحثيث لإخماد الحركة هناك، وقرروا إرسال مدافع من اللاذقية، حتى ولو مدفع واحد مع نصف العساكر لقمع ثورة الجسر، وكذلك يحاولون قمع ثورة أريحا ففي كتاب وجهه حكمدار حلب (حاكم حلب) أنه حين كان في ادلب يوم الخميس ولقائه بأحد الضباط الكبار (الآلاى) و (الميرالاي خليل بك) ليقدم له تقاريره في قمع الثوار بأريحا فتمكنوا من قتل ٤٠-٥٠ شقياً وألقى القبض على سبعة منهم وهم أحياء، وبما أن الأمن ساد فقد التمس أهالي ريحا الأمان وأجيب طلبهم، وأعيدت إليهم ١١٥ بندقية وتعهدوا بتسليم بقية الأسلحة، مع فرار بعض

الأشقياء (هكذا سمتهم وثائقهم) إلى جهة المعرة، كما فهم أنه "قد قتل نيف ومائة من الأشقياء وأن الخبيث المدعو كنج الذي هو أساس الفتنة قد قتل أيضاً وانتدب يوسف آغا لاستعادة ما تبقى من الأسلحة المنهوبة وبذلك تكون حركة ريحا قد أخمدت، ومع ذلك فإن الأشقياء السبعة الذين قبض عليهم، قد تمكن أحدهم من الفرار من (آلاى الطوبجية) ثم أمسكوا به، والستة صلبوا في ادلب عبرة لغيرهم، وفي يوم السبت سيغادرون ادلب إلى جسر الشاغور لإعادة الأمن والنظام في ظل ولي النعم (الحاكم المصري)، وقرروا ادلب مكان تجمع القيادات للقضاء على ثورة جسر الشغور، وحين علم (أشقياء الجسر كما سموهم) بذلك ولوا الأدبار، والسلطات أكدت بألا يطمئنوا لمغادرتهم فقد يعودون ثانية ويتجمعون واصفين إياهم بأنهم "هكذا دأبهم في بلاد الشام وعليه فلا بد من تعقب هؤلاء الأشقياء والقبض عليهم ومعاقبتهم وقطع دابر حركتهم.. وهم مخلوقات كالخنازير" ويؤكد كتاب ملاحقتهم بالقبض عليهم والمبادرة إلى إعدامهم، مع الطلب "بجمع أسلحة جماعة جسر الشاغور حتى لا يبقى معهم مبراة (مطوة) فإذا ما قبض على كبارهم الذين هم رؤوس الفساد والفتنة عليك بتعليمهم (أي قطع رؤوسهم...).

- **التجارة مع المصريين :**عرف عهد ابراهيم الباشا المصري اهتمامه بالنواحي الاقتصادية ،خاصة القطن ،ولما كان قطن ادلب يمتاز بالجودة فقد أخذ معه فتيلة القطن الى مصر .كما استعان بعمال ادلب الى طرسوس (تركيا) ليزرعوا هناك فتيلة قطن ادلب ،كما أخذ عمالاً فنيين (حرفيين) من ادلب الى المدن الاخرى .

كانت ادلب، إحدى المدن الأهم في الشمال السوري في انتاج الحصر، ولعل هذه الوثيقة سنة ١٨٥٤هـ/١٨٣٨م توضح حقيقة كلامنا، في حال صادرات هذه المادة الاقتصادية التي كان يتعيش من انتاجها الكثير من العائلات، والعامل الأول فيها هو (المرأة الادلبية) العظيمة التي ساهمت بذلك كل المساهمة.

"ورد حافظة الحصر المأخوذة إلى جامع الكبير بمحروسة حلب عن يد السيد خليل قهرمان من عهدة الحاج علي آغا متسلم ادلب بتاريخ غرة شوال سنة ٥٣ جملة الحصر عدد ٢٦٧ فقط مايتين وسبعة وستون حصير عال من نفس ... بلغ قيمتهم غرش ٢٧٠٠ فقط ثمنهم الفين وسبعماية غرش لا غير وذلك عبارة عن ثلاثة الاف ذراع باعتبار ثمن الذراع ستة وثلاثين باره ومشروح على الحافظة من نايب ادلب السيد محمد راغب افندي وايضاً مشروح عليها من الشيخ عبد الرحمن افندي الموقت الناظر على الجامع الشريف بالوصل الحصر لجامع كما محرر اعلاه ثم تطالعت هذه الحافظة بالمجلس العالي ومحرر بها الفين وسبعماية غرش قيمة مايتين وسبعة وستون حصيره ادلبيه احتياج مفروشات الجامع الكبير الاموي بمحروسة حلب بما فيه اجرة المشال وذلك ثلاثة آلاف ذراع شطرنجي حساباً عن كل ذراع ستة وثلاثون فضة بناء على قرار المجلس أن هذه الحصره المأخوذة للجامع يعطى ثمنها مثل ما هي منشريه من اصحابها صوناً لصلوات الناس من حصول الكراهه وليس كل ذراع بستة وعشرين فضة كسائر الحصر المأخوذه للميري فبموجب ذلك يقتضي قبول هذا المبلغ المحرر في الحافظة الفين وسبعماية غرش على طرف الديوان ضمن المصروفات بالأبعادية وقد تحرر هذا الشرح بناء على القرار السابق ليجري العمل بموجبه في ١١ ج سنة ٢٥٤ محل ختم المجلس".إذن كانت جوامع حلب تشتري حصر ادلب وعلى رأسها الجامع الكبير ومن نوع عالي أي جيدة الصنع..."عن بيان ثمن اصناف مشتري من ادلب لاجل زراعة سعادة ولي النعم بخانتومان وجبل العيس سمسم كل رطل حلبي غرش ٤ اربعة غروش دره بيضة كل اردب غرش ١٠٩ باره ٤ فقط ماية وتسعة غروش واربعة فضة خروج كل شنبل غرش ٦٠ ستون غرش اصناف حديد كل رطل غرش ١٦ ستة عشر غرش حضرة الافندي المفخم كاتب الديواني السامي السر عسكري المعظم قدم تقرير إلى المجلس العالي بمحروسة حلب الشهبا أنه ورد شقه من علي اغا متسلم ادلب ومرسل صحبتها قايمه عن ثمن اصناف مشتري من أهالي ادلب لأجل زراعة سعادة ولي النعم بخانتومان وجبل العيس محرره صورة القايمة اعلاه بأسماء الاصناف المنشريه وأثمانها واستدعى الافندي المشار اليه موازنة اثمانها وإن كانت بمحلها فيصدر خلاصه بصرف

الأثمان لأربابها فلدي المذاكره رؤي أنه يلزم حضور ارباب الخبره بذلك والاستعلام منهم والمخابره معهم بخصوص موازنة الاثمان ويعمل بمقتضى الحال وبعد حضورهم تبين من تقاريرهم أن أصناف المذكورة أثمانها الأصلية الرايحبة بين الأهالي إن كان بادلب أو بحلب فهي بالزيادة عن مشترى الخزينة السرعسكرية ولا شك ولا ريب بأن الفرق الحاصل ما بين ثمن مشترى الخزينة وبين تقرير ارباب الخبرة هو المجهول رعايته للخزينة المشار إليها.)) ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) ولعل هذه الوثيقة توضح لنا مدى اعتماد الحكم المصري على انتاج ادلب من الصابون، لحاجة الجيش إليه، وكونه الأفضل في الجودة والسعر في سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م. وليشحن إلى أنطاكية مركز العسكر المصري .." من الستة غروش إلى السبعة غروش ونصف وللميري مقطوع الاقه ٣/٤ ٣ محمول الى محلاته فعلى هذا بحيث أن المطلوب إلى المعره بالشهر مابة اقه وان ذلك جزوى فيلزم يكون ترتيب ذلك من ادلب ويكون بسعر الاهالي وبما أن سعر قنطار الصابون الادلبي يسوى الان ألف غرش كما تحقق ذلك من ارباب الخبره وقد تكسر ذلك على حساب الاقه، وخص ثمن الاقه خمسة غروش، وثلاثة عشر باره وثلاثة جدد فيلزم ان يكون ثمن الاقه بخمسة غروش، وربع والثلاثة فضه ،وثلاثة جدد وتكون تحت فرق النشوفيه لا يكون يابس كالواجب وعلى هذا يلزم اصدار خلاصه ليشرح عليها حكمدار بك الى متسلم ادلب بارسال كل شهر ماية اقه صابون من ادلب للمعره بثمن كل اقه صابون بخمسة غروش، وعشره فضه، ويوخذ بذلك رجعه من امير الاي بالتقل والثمن كما مشروح وقر الرأي عليه في ٨ ر سنة ٥٤ مجلس ٦ ر سنة ٦٤ " .وتوافق ١٨٣٨ م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم).

(١٦) ومن الوثائق التي تؤكد على أهمية تجارة الصابون في ادلب تلك الصادرة في عهد ابراهيم باشا المصري في استعانته بكل انتاجها من أجل عساكره ومركز قيادته في انطاكية وكما ورد في ((مذاكرة بخصوص مشترى صابون إلى العساكر الجهادية الموجودين بانطاكية عن سنة كاملة ١٣١٦٠ اقه وقر القرار بمشتراها من ادلب من الان وان يكون توريدها إلى انطاكية شيء

فشيء والحال إذا كان الثلاثة عشر ألف اقه وكسور الصابون المطلوب إلى عساكر انطاكية هو كفاية سنة كاملة فكيف يصوغ الحكم بمشترى المقدار جميعه بأسعار الان مع ان بعد ثلاثة أربعة شهور يصير موسم الزيت وطبخ الصابون ومع كل بد ان أسعار الصابون تتنازل عن هذه الأسعار فإذا انشري المقدار بتمامه الان يحصل مغدوريه على جانب الميري بالأسعار وفي نشوفة الصابون أفلدى أيضاً وانه ينبغي ان الذي ينشرى الان من ادلب يكون كفاية للعساكر لحين طلوع الصابون الجديد فقط وعند ذلك يؤخذ كفاية من الصابون الجديد فلدى المذاكرة بالمجلس رؤي أن ما ذكره بحري بك بمحله وحيث مأخوذات الصابون في حلب إلى الالايات المنصورة هي شهري فقد كان أيضاً مأخوذات انطاكية من ادلب شهري يكون مناسب ويكون ذلك المأخوذات من الصابون إلى وقت موسم الزيت والطبخ فان وجد في الوقت المذكور هبوط أسعاره فيعود يؤخذ كفاية السنة حتى لا يحصل ضرر من ذلك لطرف الميري وذلك موافق إلى ما أشار إليه جناب المير المومى إليه وقر القرار على إصدار خلاصتين مشروحات من طرف سعادة حكمدار بك المحترم الواحدة إلى متسلم انطاكية في استلام الصابون من ادلب شهري على الوجه المشروح على الالايات والثانية إلى متسلم ادلب بإرسال الصابون كذلك لانطاكية على الوجه المشروح وعند هبوط أسعاره يعرض عنها إلى المجلس العالي حتى يعود يقطع الثمن ويؤخذ الكفاية وبناء عليه تحررة هذه الخلاصة من ديوان مجلس شورى حلب العالي إلى متسلم انطاكية ليجري العمل بموجبها حسبما قر القرار عليه بالمجلس العالي في ٧ش سنة ٢٥٤ مجلس ٤ منه وتحرر خلاصة لمتسلم ادلب نمره ٢٢)). افتدينا ولي النعم المشار إليه بأن ثمن الصابون يسوى بحلب بين الأهالي في السوق من ٦ إلى ٦ ١/٢ وقبله قطع بالمجلس ثمن صابون ادلبي المتقدم لانطاكية للالايات ٥ ١/٤ الاقه فصدر الأمر العالي الكريم من لدن المراحم الآصفيه خطاباً إلى سعادة حكمدار بك بأن يكون ثمن الصابون مثل ادلب، وأحيل ذلك الأعراض المتوج بالأوامر الشريفة إلى المجلس العالي بأن يحسب قيمة صابون الذي يقدموه مصابنجية حلب بقيمة ما قطع سابق إلى ادلب الاقة بخمسة غروش، وعشرة فضة فيقتضي إصدار خلاصه ليشرح عليها سعادة حكمدار بك إلى الخرينه العامرة بصرف قيمة الصابون إلى

مقدمين الأعراض عن كل اقة خمسة غروش وربع الغرش بمقتضى الامر السامي وقرار المجلس العالي في ٦ن سنة ٢٥٤ مجلس ٣ منهُ)).

ولعل هذه الوثيقة توضح لنا مدى اعتماد الحكم المصري على انتاج ادلب من الصابون، لحاجة الجيش إليه، وكونه الأفضل في الجودة والسعر في سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م. وليشحن إلى أنطاكية مركز العسكر المصري نمره١٩ أصناف مصابن ادلب قدموا معروض لسعادة حكمدار بك واحيل للمجلس يتضمن أنهم يقدموا الصابون اللازم إلى العساكر الجهادية المقيمين في عنتاب (وكذلك) للعساكر المقيمين بالمعرة والى أن صدر أمر لمتسلم ادلب بإرسال ثلاثة عشر ألف اقة صابون وكسور إلى انطاكية بسعر الواقع الاقه بخمسة غروش وربع وأنه ليس لهم قدره على اداء ذلك كونها محتاجه لمبلغ وافر وهم بدهم يشتروها من التجار مشترى وأنه يصير لهم مغدورية بذلك واستدعوا النظر بعدم مغدوريتهم فغب الكشف من قيودات المجلس وجد بالحقيقة بتاريخ ٢٧ جا سنة ٥٤ صدر خلاصة إلى متسلم ادلب بشراء ثلاثة عشر الف اقة صابون وكسور اللازمة لعساكر انطاكيه عن مدة سنه بسعر الاقه خمسة وربع فلدى المذاكره رؤي أن قول اصحاب العرض أنه يحصل لهم مغدوريه باعطاء الصابون إلى عساكر المقيمين بانطاكيه فهذا الصابون مشتراها منهم بسعر واقعها حيث بوقتها جلبوا دلالين الصابون وارباب الخبره وتصحح ثمن الصابون الاقة بخمسة غروش وربع بسعر الواقع فلم يبقى مغدرويه بذلك لمقدميه بل انما مقتضى العدالة يقتضي اصحاب العرض يسلموا الصابون بادلب ويشيلوه اهالي انطاكيه إلى الايات المقيمه بطرفهم ثم من حيث هذا الصابون المطلوب يجمع ثمنه مبلغ وافر فيقتضي كلما أخذ منهم شيء بمقدار عشرة آلاف غرش فيدفع لهم ثمنها شيئاً فشيء كي لا يتنغصوا التجار من تأخير الثمن وإن كان فيه مطاليب ميريه على ادلب فيلزم متسلمها يعطيهم ثمن الصابون والآ فيؤخذ ثمن الصابون من الخزينة العامره وينبغي اصدار خلاصة كي يشرح عليها حكمدار بك إلى متسلم ادلب باعطاء الصابون المطلوب من امناء مصابن ادلب لطرف انطاكيه بسعر الاقة خمسة غروش وربع حسب القرار سابقاً شيئاً فشيئاً وعند شراء الصابون يتحرر من متسلم

ادلب المومئ اليه إلى متسلم انطاكيه بارسال كراجيه(حمالين) يشيلوا الصابون لانطاكيه ويبادر متسلم ادلب المومئ اليه بصرفية الثمن على الوجه المشروح وقر الرأي عليه بالمجلس العالي في ٢٤ج سنة٥٤ مجلس ٢٤ منه"....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم). وهذه الوثيقة وغيرها تثبت مكانة إنتاج الصابون في ادلب, وليس كما ذكر الغزي في نهر الذهب بأن حلب قد كانت الأولى في انتاج الصابون وأهميته الاقتصادية, بل ادلب قد حققت الدرجة الأولى في ذلك, تقول هذه الوثيقة المصرية في سنة ١٢٥٤ه /١٨٣٨م.[٣٤٥] ((نمره ١١ احيل لمجلس حلب العالي الشقة الواردة لحضرة حكمدار احالة حلب من حضرة ابراهيم بك مير اللوا سواري بلزوم ماية أقة صابون شهري إلى يدنجي الاي سواري من ادلب ويذكر سعادة حكمدار بك انه يلزم تحصل المذاكرة بتدبير ترتيب الصابون المرقوم فلدى المذاكرة رؤي من حيث أن صابون الذي يلزم الى عساكر المقيمين ببلاد ايالة حلب مرتب توريده على مصابنجيه ادلب وحلب ونظراً لكون المعرة من طبراق الشام فكان لازم يكون الصابون الذي يلزم للمعرة يستحضر من الشام، أو من طرابلس، وعلى الخصوص مصابنجيه حلب وادلب دايماً يتضجروا من كثرة طلب الصابون الذي يلزم لعساكر المقيمين بحلب وايالتها من كثرته ومن المعلوم ان أقة الصابون بين الاهالي))....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم)._" من الستة غروش إلى السبعة غروش ونصف وللميري مقطوع الاقه ٣/٤ ٣ محمول الى محلاته فعلى هذا بحيث أن المطلوب إلى المعره بالشهر ماية اقه وان ذلك جزوى فيلزم يكون ترتيب ذلك من ادلب ويكون بسعر الاهالي وبما أن سعر قنطار الصابون الادلبي يسوى الان ألف غرش كما تحقق ذلك من ارباب الخبره وقد تكسر ذلك على حساب الاقه وخص ثمن الاقه خمسة غروش وثلاثة عشر باره وثلاثة جدد فبلزم انيكون ثمن الاقه بخمسة غروش وربع والثلاثه فضه وثلاثة جدد وتكون تحت فرق النشوفيه لا يكون يابس كالواجب وعلى هذا يلزم اصدار خلاصه ليشرح عليها حكمدار بك الى متسلم ادلب بارسال كل شهر ماية اقه صابون من ادلب للمعره بثمن كل اقه صابون بخمسة غروش وعشره فضه ويوخذ بذلك رجعه من امير الاي بالتقل والثمن كما مشروح وقر الرأي عليه في ٨ ر سنة ٥٤ مجلس ٦ ر

سنة ٦٤ " .وتوافق ١٨٣٨ م. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم).[٤٣٨] نمره ٢٠ محمد الخباز الادلبي قدم أعراض لسعادة حكمدار بك وأحيل لمجلس حلب العالي مأله ان باقي له أجرة الدقيق والخبيز مقدار سبعين اردب حنطة ويسترحم صرف الأجرة فلدي المذاكرة رؤي من حيث ان صنف الوقيد بإدلب ارخص من هذا الطرف وأجرة خبيز أولاد البلد ترتيب كل أردب ١١ غرش ٣باره وذلك بحسب الاراده الشريفة فيلزم يكون عشرة غروش أجرة خبيز الأردب الواحد وأما أجرة الطحن فيلزم أن تصرف للمذكور على حسب ما تصرف لدرويش الطحان كل أردب ١٠ غروش بإدلب ليس موجود طواحين ماء بل مدارات جميعها دواب وقر القرار على أن يصدر خلاصه ليشرح عليها سعادة حكمدار بك(حاكم حلب) إلى ناظر شونة (الغلال)الذخاير بحلب بمحاسبة أجرة الخباز المذكور على حسب المشروح عن كل أردب عشرين غرش عن الخبز وفي ١٦ ن سنة ٥٤ مجلس ١٢ ن سنة ٥٤» توافق ١٨٣٧ م (المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) .

يبدو أن أهالي ادلب قد ظلوا يقدمون الشكاوي عن واقع حالهم الاقتصادي ،بالإضافة إلى الشكوى السابقة في عدم وصول (الإعانة) الخاصة كما هو مستحق، كذلك قدم " حدادين قصبة ادلب معروض محال منطرف(هكذا كتبت هي وغيرها من التعابير) سعادة حكمدار بك يتضمن أن قبل تاريخه قدموا اعراض بطلب ثمن الحديد الذي لهم وبوقته ارسلوا للخزينة لاجل عمل حسابهم وقد تحرر الحساب بثمن مسامير البيطاريه المأخوذه منهم بحساب كل ألف بسمار بخمسة عشر غرش, والحال أن ثمن الرطل مقطوع بخمسة عشر غرش لأن الف البسمار تطلع زياده عن ستة آلاق حديد وثمن آقه حديد الخاميه بأربعة غروش الا ربع وإذا حوسبوا على سعر الألف بخمسة عشر غرش يصير لهم مغدوريه واستدعوا النظر بذلك فلدي المذاكره روي من حيث ان بتاريخ ٩ ص سنة ٢٥٢ كان انقطع ثمن رطل مسامير البيطاريه بخمسة عشر غرش ثم بعده بتاريخ ٧ ر سنة ٢٥٢ لما استدعى ناظر شونه المهمات قطع ثمن المسامير المذكوره فبوقته لما كشف عن الثمن المقطوع بتاريخ ٩ ص

سنة ٥٢ عن كل رطل بخمسة عشر غرض ووجد موافق صدور خلاصة لناظر شونة المهمات على هذا الموجب ولكن بالخلاصه المذكوره تحرر بها أن ثمن كل ألف بسمار بخمسة عشر غرض والحال أن اصل الثمن الرطل بخمسة عشر فهنا حصل السهو بتحرير الخلاصه على حساب الالف بخمسة عشر غرش كما اتضح الآن من كشف قيودات المجلس وحيث بالحقيقة حصل مغدورية لأصحاب العرض بذلك والآن اصحاب العرض المذكورين حضروا وقرروا أن اشغالهم تطلت ورضيو أن يخصم لهم ثمن البسامير الالف بخمسة عشر غرش إلى غاية تواريخ الرجع التي بيدهم ومن بعد ذلك فيكون الحساب على الرطل الحلبي بخمسة عشر غرض فعلى هذا بما أن أصحاب العرض رضيو بذلك فيلزم اصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك الى الخزينة بحلب باجراء حساب حدادين ادلب على ثمن المسامير بموجب الرجع التي بأيديهم باعتبار الألف وبتادي الثمن لهم ثم من بعد هذه الرجع يجري الحساب باعتبار الرطل الحلبي خمسة عشر غرش وأيضاً بما أن أغلب لزوم التطابيق والبسامير إلى الايات الخيالة فيلزم اصدار خلاصات مشروحات إلى حضرات امراء الايات الطوبجيه و٣ جي الاي سواري وخلاصة إلى متسلم ادلب باعطاء علم وخبر ذلك لهم بأن ثمن البسامير الذي صدر به خلاصات بتاريخ ٧ ر سنة ٥٢ بثمن الالف خمسة عشر غرش فهو سهوا ويعتبر الثمن المقطوع بتاريخ ٩ ص سنة ٢٥٢ على حساب الرطل الحلبي بخمسة عشر غرش وقر الرأي عليه وهذه الخلاصه للخزينة في ١١ ر ١ سنة ٢٥٤ مجلس ١٠ ر ١ سنة ٥٤ وتحرر خلاصه لخالد بك نمره ٣ وتحرر خلاصه إلى ٣ جي مير الاي سواري نمره ١ وتحرر خلاصه لمتسلم ادلب نمره ٦ " .

توافق ١٨٣٨م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) لقد تقدم أبناء ادلب بـ أعراض = استدعاء (عريضة) حول تظلمهم من سوء عدل توزيع غلال شونة (كلمة قبطية تعني الغلَّة) في خلال حكم ابراهيم باشا المصري للمنطقة، وتسلم الشكوى متسلم ادلب (حاكمها) سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م .

[٣٨٩]))نمرة ٢٠ سعادة البيك حكمدار ايالة حلب الافخم قدم تقرير بمجلس شورى حلب العالي يتضمن انه تقدم لسعادته أعراض من أصناف ادلب بالتشكي من توزيع غلال شونة عليهم وانهم أصناف وليس عندهم زراعات وانه يحصل لهم مغدوريه كليّة من ذلك حيث غلال الشونة في كل مكان موزعه على الزارعين ويلتمسوا تسويتهم بهذا الاصول وان سعادته حرر استعلام من متسلم ادلب عن حقيقة ما ادعوه أصحاب العرض فحرر المتسلم المومي إليه اعلام انه أغلب أهالي ادلب لهم مزروعات ولذلك صار توزيع غلال الشونة على مدد الرجالية عموماً ويذكر سعادة البيك المشار إليه ان هذا الترتيب يصل منه غدر وعدم راحة لأصناف البلدة لأن بالواقع إن ترتيب غلال الشونة فهو على الأراضي وأرباب الزراعات في كل مكان وإذا كلفوا الأصناف الذين ليس عندهم زراعات إلى ترويد غلال للشونة يلتزموا لمشتراها من أرباب الزراعات بأثمان عالية ويوردوها للشونه بأثمان الميري فمن ذلك يحصل عليهم فرق كلي وإنه يلزم أن تحصل المذاكرة بطريقة [مستحسنة] الذي يكون فيها التسوية والعدالة وإنه إن كان مناسب ان يكون توزيع غلال الشونة المرتبة على ادلب على أرباب الزراعات إن كان على الفدن أو على قياس الاراضي وبحيث ان المتسلم المومى إليه يذكر ان أغلب أهالي ادلب لهم زراعات فعلى كل حال الذي له زراعة يترتب عليه على مقدار الذي له فلدى المذاكرة رؤي انه ما تفضل بشرحه واستحسنه حضرة حكمدار بك المشار إليه فهو وجيه وبمحله ومن حيث أن غلال الشونة الموزعة على ادلب هي بالثمن ومن حين تشريف الركاب السامي عمال يدفعوها بكل سنه فيلزم انه بهذه السنة أيضاً يدفعوا المطلوب منهم كما كانوا يدفعوه في سنين الماضية وأما توزيعها يقتضي اليكون على أصحاب الزراعات كما تفضل به سعادة المشار إليه لا باعتبار تعداد الفدن وأما تعداد فدن ادلب فهذا لا يمكن ضبطه إلا في وقت الشداد وإنه ينبغي إصدار خلاصة كي يشرح عليها سعادة حكمدار بك أفندم المكرم إلى متسلم ادلب بتوزيع الشونه المطلوبة من ادلب عن هذه السنه على أصحاب الزراعات ليس على الاصناف بوجه التعديل والتسوية على حسب المزروعات وأما تعداد الفدن يكون بوقت الشداد كون لم يمكن ضبطه الآن كما قر الراي عليه بالمجلس

العالي في غرة بـ سنة ٢٥٤ مجلس ٢٨ ج سنة ٥٤)).توافق ١٨٣٧م نمرة ١٤
احيل لمجلس حلب العالي الشقة الواردة من الحاج علي اغا متسلم ادلب المتضمنة بان ورد له خلاصة مؤرخة في ١٣ ر سنة ٥٤ تتضمن تعيين ذات منطرفه ليتسلم جانب غلال من اهالي الجسر من شونتهم وتبقى تحت اللزوم لأجل صرفها للشاردين والواردين وان يعطى للذي يتعين لذلك اجره مناسبة من اهالي الجسر حيث ان الغلال التي لازم ابقاها بالجسر واذا أرادوا يحملوها للشونة يقتضي لهم اجره لمشالها وانه بحسب قرار المجلس اعرض ذلك على كم نفر فما قبلوا ويعتذروا بان الرجع التي يأخذوها من الشاردين والواردين بالذي يصرف ففي حين المحاسبة بالخزينة لم يقبلوهم وربما يكون رجعه من احد امراء الالايات متوجه لمحل بعيد فلأجل تلك الرجعة التي ما يقبلوها لا يمكن تغيرها حيث الذي يكون اعطاها لا يعلم محل مقصودة فبذلك تموت الرجعة المرقومة على المعتمد واستدعي المتسلم المرمى إليه النظر بذلك فلدي المذاكرة رؤي ما ذكره الحاج علي آغا صحيح انما من حيث ان المسموع بطرف المتسلم المومى إليه كاتب قبطي(يقصد مصري مسيحي) وله جامكيه من طرف الخزينه، ومن حيث ان كتاب القبط يعملوا كيفية الرجع التي تقبل بالخزينة فاذا صار القبض والصرف عنيد القبطي المذكور فهو مناسب ولأجل السلوك يطلب من الخزينة صورة الرجعة التي تقبل واذا انصرف شيء من المحل المرقوم فيؤخذوا الرجعات بموجب الصورة الواردة من الخزينة ولا محتاج للقبطي وعلى هذا يلزم اصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك إلى متسلم ادلب بإجراء العمل على الوجه المشروح كما قر الراي عليه بالمجلس العالي في ٤ جا سنة ٥٤ مجلس ٤ منه)).توافق ١٨٣٨م .

لقد ورد في الوثائق المصرية ذكر لخانات ادلب سنة ١٢٥٣هـ /١٨٣٧م " بأن خاناتها قد زاد إيرادها السنوي ٥٨٠٠ مارتى بعهدة خلف آغا تابع متسلم حلب , في موضوع مالي ولإرسالها إلى الخزينة العامرة وتحريراً سنة ١٢٥٤ هـ" (المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) لقد ورد كذلك ذكر لإدلب عن سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م حول تأمين كمرك الأمتعة المضبوط على ذمة الميري في أن هناك عجز عن العام الماضي ١٤٠٥٠ بيز إدلب

والتي هي بعهدة محمد آغا بازي .وحصل العجز كذلك في مقاطعة الدفعة والسقال وتم العرض على مجلس حلب , وظهر أن المقاطعة تضبط أقل مما قر عليه المزاد , لذلك تمت الموافقة على صاحب " المزاد الخواجة مخايل غضبان وبدون كفيل لأن حاله مستقيم وهو مضمون وينبغي إصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك للخزينة العامرة بتحرير شرطنامة الدمغة والسقال وبيز ادلب على ملتزميهم حسب الأصول .. " ....

كانوا يأخذون رسوم بيع الدواب كما يلي " صورة شرطنامة باج الخيل والحمير والبقر وقتبية الجمال الذي ترتب الان بالمجلس العالي يوخذ من المشتري عدا مشتري الميري برسم الباج من كل ماية غرش من ثم الخيل، وكذا البقر وكذا الحمير الكل سواء ستون فضه ولا يوخذ من مشتري الحمير وغيرهم رسم خارج عما ذكر وكل الذي يبيع من العامه في السوق يؤخذ منه كذلك والبيع للميري يكون في الديوان أو في السوق أو في غير محل حسبما تصدر الاراده بذلك ولا يوخذ باج من الذي يشتريه الميري يؤخذ من البايع باسم الدلاله التي كان يأخذوها الدلالين سابقاً من كل ماية غرش من ثمن الخيل وكذا البقر وكذا الحمير الكل سواء ماية فضة بحساب من كل غرش بارة واحدة سواء كان المشتري الميري أو غير الميري يوخذ قتبية في السنة مرة واحدة ثمانية عشر فضة ويعطي رجعه بالايصال من الملتزم لصاحب الجمل وذلك من كل جمل يحضر لهذه البلده من غير بلد ما عدا جمال عربان الايالة " .وتوافق ١٨٣٨ م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم).

في سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م ورد تقرير من حضرة البيك حكمدار إيالة حلب بأن أهالي القرايا (أي القرى) بدأوا يتقدمون بالشكاوى في حصول مغدوريه لهم بتمويل الإعانة في العام الماضي , بما فيهم " أهالي ادلب الآن مستدعين بأن حصل لهم مغدورية أكثر من غيرهم حيث فيئاتهم زيادة عن فيئاة أهالي القرايا وأن صار الكشف من خزينة حلب فوجد فيئة نفر القرايا غرش ٣٠ وفيئة أنفار نفس ادلب غرش ٥٢ ومن كون أن قبل الآن حينما صار إرسالها المامورين لأجل تعداد الاعانة كان تحرر استماره بمعرفة ناظر نظار القرايا

.. " ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) " نمره ٦ مصطفى اغا شيخبندر زاده قدم تقرير للمجلس العالي ذكر فيه انه من المعلوم اكثر قرايا الميريه تزرع صيفي وبكل سنه ينقطع زراعة الصيفي بدل عشر بوجه المقطوعيه ومن حيث في السنين الماضيه ترتب على كل قرية غرش معلوم عن بدل الصيفي بمعرفة النظار وجري ذلك بعد قيام البيادر بوجه التخمين فالان(هكذا كتبت) بحسب حلول وقت الصيفي وتوارد الفول والعجور والقرع وبعده يورد البطيخ والجبس ثم السمسم والقطن فيستدعي بأنه يحصل ترتيب على مقطوع الصيفي بوجه الحق وإذا وجدة قريه أو مزرعه بها للميري حصة فيكون القطع على قدر حصة الميري فلدي المذاكره رؤي ان ما ذكره (أغاسي) المومى إليه فهو مناسب وبمحله وحيث الان حل وقت الصيفي وصار موسمه وان هذه المصلحه تخص نظار القرايا المذكورين ان يدوروا على القرايا الميري والمزارع ويقطعوا عليهم مقطوع نظير مزروعات الصيفي المذكوره فيلزم يؤمروا انظار قرايا الميريه بمقطوعية الصيفي على قرايا الميري بوجه الحق من غير غدر الجانبين وينبغي اصدار خلاصات إلى نظار القرايا الخمسه بالمبادره للمقطوعية المذكوره على صيفي القرايا كما مشروح وقر الرأي عليه بالمجلس العالي وهذه الخلاصة: إلى محمد آغا رفيعه ناظر قضا سرمين ليعمل بموجبها في ٢٣ ر ١ سنة ٢٤٥ مجلس ٢٣ ر ١ سنة ٢٥٤ وتحرر خلاصه لسعيد آغا ناظر قضا الباب وتحرر خلاصه لمتسلم ادلب ايضاً بنمره ٩ وتحرر خلاصه ليوسف آغا ناظر حارم في نمره ٧ وتحرر خلاصه إلى ناصر آغا " .وتوافق ١٨٣٨ م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم)" نمره ٨ احيل لمجلس حلب العالي الشقه الوارده إلى سعادة حكمدار ايالة حلب من الحاج علي اغا متسلم ادلب المتضمنه استعفاه من مأمورية تعشير ومقطوع مزارع الميري بطرف ادلب واريحا والجسر وباريشا ودركوش الصادر له بذلك خلاصة حيث الان وقت تحصيل الاشوان واموال الباقيه على القرايا من عام الماضي واموال هذه السنة فيا ترى يباشر بتحصيل الاموال والشونه والا بتعشير ومقطوعية المزارع واستدعى اعفاه من مأمورية تعشير ومقطوعية المزارع فلدى المذاكره روي من حيث أن الحاج علي آغا متسلم ادلب اعرض بخصوص إعفاه من تحصيل

شونة قلعة المضيق وبوقته تبين أن الحق بيده وعفي عن تلك المأمورية وأحيلت إلى ناظر قضا اريحا محمد آغا رفيعا فالان استعداه بالعفو من مأمورية التعشير والمقطوعية لا يقبل مع وجود اخوته وابن اخيه من المساعدين له ويلزم أن الآغا المومي إليه يبذل الجهد باتمام هذه المأموريه كما هو حقه بحسب صداقته بالخدامه وينبغي اصدار خلاصه ليشرح عليها حكمدار بك إلى الآغا المذكور بالمبادره للعمل حسبما قر الرأي عليه بالمجلس العالي في ٢٤ ر ١ سنة ٢٥٤ مجلس ٢٤ ر ١" .وتوافق ١٨٣٨ م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) و" نمره ٧ الحاج علي آغا متسلم ادلب قدم معروض محال منطرف سعادة حكمدار بك يتضمن أن ورد له دفتر اشوان التي توزعت بهذه السنه على قضاوات متسلميته ومن الجمله قلعة المضيق والحال غير خافي أنه بسبب اقامته من مده بحلب لاجل المواد التي اقيمت عليه صار تعطيل لمصلحته والان توجه لتحصيل اموال سنة الماضيه والقابله فيا ترى يحصل على تلك الاموال والا يحصل شونه قلعة المضيق التي هي غير داخله بنظارته واستعدى اعفاه من تحصيل شونة قلعة المضيق فلدى المذاكره روي أن ما ذكره متسلم ادلب الحق بيده وبالحقيقة لمشغوليته مدة ثلاثة اشهر بهذا الطرف بدعاوى فارغة تعطلت مصلحته فعلى هذا بما أن محمد آغا رفيعا ناظر قضا سرمين هو قد الشغل وله سعي بزيادة عن غيره ونظارة اريحا تحولت لغيره فيلزم أن مطاليب قلعة المضيق جميعا تطلب منه من الان وصاعد ويبذل الجهد بذلك من دون قصور ولا فتور وينبغي أن يطلب دفتر شونة القلعة من متسلم ادلب ويحصله بوجه السرعه وإصدار خلاصه ليشرح عليها حكمدار بك إلى محمد آغا المومي إليه بالمبارده للعمل حسبما قر الرأي عليه بالمجلس العالي في ٢٤ ر ١ سنة ٥٤ ر١ مجلس ٢٤ ر ١" .وتوافق ١٨٣٨ م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم)

" ويذكر الآغا المومى إليه أنه لما كان مأمور بتعداد الفدن فعد فدن قرية بنش بلغوا ماية وسبعه وتسعين فدان وعد فدن (الطلحيه) لغوا تسعة فدن وبما أن الفدن المذكوره من بواطيل بنش يا ترى يترتب عليهم ارادب حكم فدن بنش أم يتخصص لها مبالغ بدل عشر سنة ٢٥٢ مارتي وتتعشر في سنة ٥٣ مارتي

فاستدعى النظر بذلك فلدى المذاكره رؤي من حيث الان كشف من الخزينه عن فدن قرية الطلحية التسعه ووجدوا غير داخلات ضمن فدن بنش وبما أن نمرة فدان بنش أربعة عشر اردب من ذلك التسعه حنطه والخمسه شعير وتحقق أنه ليس موجود فرق بين أراضي الطلحيه وأراضي بنش فعلى هذا ينبغي ترتيب ارادب على قرية الطلحيه المذكوره من ابتدء سنة ٢٥٢ مارتي وتكون نمرتهم حكم نمرة بنش ويتقيد على كل فدان تسعة ارادب حنطه وخمسة ارادب شعير وينبغي اصدار خلاصه ليشرح عليها حكمدار بك المحترم إلى الخزينه العامره بتمويل فدن قرية الطلحيه التسعه حكم نمرة بنش كما مشروح وقر الرأي عليه بالمجلس العالي في ٢٨ ر ١ سنة ٢٥٤ مجلس ٢٥ ر ١ سنة ٥٤ " .وتوافق ١٨٣٨ م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم)" من الستة غروش إلى السبعة غروش ونصف وللميري مقطوع الاقه ٣ ٣/٤ محمول الى محلاته فعلى هذا بحيث أن المطلوب إلى المعره بالشهر ماية اقه وان ذلك جزوى فيلزم يكون ترتيب ذلك من ادلب ويكون بسعر الاهالي وبما أن سعر قنطار الصابون الادلبي يسوى الان ألف غرش كما تحقق ذلك من ارباب الخبره وقد تكسر ذلك على حساب الاقه وخص ثمن الاقه خمسة غروش وثلاثة عشر باره وثلاثة جدد فبلزم انيكون ثمن الاقه بخمسة غروش وربع والثلاثه فضه وثلاثة جدد وتكون تحت فرق النشوفيه لا يكون يابس كالواجب وعلى هذا يلزم اصدار خلاصه ليشرح عليها حكمدار بك الى متسلم ادلب بارسال كل شهر ماية اقه صابون من ادلب للمعره بثمن كل اقه صابون بخمسة غروش وعشره فضه ويوخذ بذلك رجعه من امير الاي بالتقل والثمن كما مشروح وقر الرأي عليه في ٨ ر سنة ٥٤ مجلس ٦ ر سنة ٦٤ " .وتوافق ١٨٣٨ م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) [٣٦١] "نمره ١٦ ورد تقرير من الخواجه جرمانوس بحري يذكر فيه ان قبل تاريخه كان تقدم عرضحال من الحدادين والسمانين والقصابين بإدلب للأعتاب(أي لمن يهمهم الأمر من المسؤولين) ويدعوا بأن متسلمهم عمال يأخذ منهم أصناف ولم يعطيهم منها فصدر الأمر العالي علي الاعراض خطاباً له بروية حسابهم فالذي حضر من الأصناف المذكورين الحدادين لا غير وحين الفحص على حساباتهم وجد مأخوذ منهم الحديد إلى جهتين جهة للميري وجهة إلى خاصة

المتسلم وبحيث ان الحديد المأخوذ لخاصة المتسلم صار محاسبته بالمجلس والذي تبقى عنده دفعه لأربابه ثم حساب الحدادين مع الميري قد حصل بمعرفة جنابه وتحرر به قايمه وبموجبها تبقى لحدادين ادلب طرف الوكيل مبلغ ألفين وسبعمائة وتسعة وخمسين غرش وأربعة وعشرين باره فاقتضى أرسل القايمه بصورة الحساب لأجل تحصل عليها المطالعة وينظر بما يري موافق فلدى المذاكرة رؤي بحيث تطالعه قايمة الحساب المتضمن خصم الوارد [من الحدادين] من المطلوب منهم وعن الذي تبقى لهم فايض مبلغ ألفين وسبعمائة وتسعه وخمسين غرش وأربعه وعشرين بارة بطرف الوكيل وبما ان المحاسبة المذكورة حصلة قبل تاريخه وبذلك الوقت كان الوكيل عمال يقدم حساب مطلوب منه واستحسن تأخير تحرير الخلاصة لحين نهو تقديم الحساب والان من كون انتهى حساب المذكور فيلزم اصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك متسلم ادلب بخصم المبلغ المتبقي للحدادين طرف الوكيل منال المطلوب منهم بإدلب حيث حساب الوكيل انتهى وقر الراي عليه في ٤ جا سنة ٥٤ مجلس)).
....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) [٣٦٢] ((نمرة ١٤ احيل لمجلس حلب العالي الشقة الواردة من الحاج علي اغا متسلم ادلب المتضمنة بان ورد له خلاصة مؤرخة في ١٣ ر سنة ٥٤ تتضمن تعيين ذات منطرفه ليتسلم جانب غلال من اهالي الجسر من شونتهم وتبقى تحت اللزوم لأجل صرفها للشاردين والواردين وان يعطى للذي يتعين لذلك اجره مناسبة من اهالي الجسر حيث ان الغلال التي لازم ابقاها بالجسر واذا أرادوا يحملوها للشونة يقتضي لهم اجره لمشالها وانه بحسب قرار المجلس اعرض ذلك على كم نفر فما قبلوا ويعتذروا بان الرجع التي يأخذوها من الشاردين والواردين بالذي يصرف ففي حين المحاسبة بالخزينة لم يقبلوهم وربما يكون رجعه من احد امراء الالايات متوجه لمحل بعيد فلأجل تلك الرجعة التي ما يقبلوها لا يمكن تغيرها حيث الذي يكون اعطاها لا يعلم محل مقصودة فبذلك تموت الرجعة المرقومة على المعتمد واستدعي المتسلم المرمى إليه النظر بذلك فلدي المذاكرة رؤي ما ذكره الحاج علي آغا صحيح انما من حيث ان المسموع بطرف المتسلم المومى إليه كاتب قبطي(يقصد مصري مسيحي) وله جامكيه منطرف الخزينه ومن حيث ان كتاب القبط يعملوا كيفية الرجع التي تقبل

بالخزينة فاذا صار القبض والصرف عنيد القبطي المذكور فهو مناسب ولأجل السلوك يطلب من الخزينة صورة الرجعة التي تقبل واذا انصرف شيء من المحل المرقوم فيؤخذوا الرجعات بموجب الصورة الواردة من الخزينة ولا محتاج للقبطي وعلى هذا يلزم اصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك إلى متسلم ادلب بإجراء العمل على الوجه المشروح كما قر الراي عليه بالمجلس العالي في ٤ جا سنة ٥٤ مجلس ٤ منه ».توافق ١٨٣٨م....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) وهذه الوثيقة وغيرها تثبت مكانة إنتاج الصابون في ادلب, وليس كما ذكر الغزي في نهر الذهب بأن حلب قد كانت الأولى في انتاج الصابون وأهميته الاقتصادية, بل ادلب قد حققت الدرجة الأولى في ذلك, تقول هذه الوثيقة المصرية في سنة ١٢٥٤ه /١٨٣٨م.[٣٤٥] « نمره ١١ احيل لمجلس حلب العالي الشقة الواردة لحضرة حكمدار احالة حلب من حضرة ابراهيم بك مير اللوا سواري بلزوم ماية أقة صابون شهري إلى يدنجي الاي سواري من ادلب ويذكر سعادة حكمدار بك انه يلزم تحصل المذاكرة بتدبير ترتيب الصابون المرقوم فلدى المذاكرة رؤي من حيث أن صابون الذي يلزم الى عساكر المقيمين ببلاد ايالة حلب مرتب توريده على مصابنجيه ادلب وحلب ونظراً لكون المعرة من طبراق الشام فكان لازم يكون الصابون الذي يلزم للمعرة يستحضر من الشام أو من طرابلس وعلى الخصوص مصابنجيه حلب وادلب دايماً يتضجروا من كثرة طلب الصابون الذي يلزم لعساكر المقيمين بحلب وايالتها من كثرته ومن المعلوم ان أقة الصابون بين الاهالي »....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) كانت جسر الشغور مركز ملتقى قوافل التجارة والحجيج من المسلمين والمسيحيين من انطاكية إلى الجنوب مارة بجسر الشغور, كون الخان فيها من أكبر الخانات, كذلك كانت هي آخر حدود ولاية حلب, وهي كذلك وكما تذكر هذه الوثيقة المصرية سنة ١٢٥٤ه /١٨٣٨م هي على طريق ورأس قناق أي محطة تجارية هامة.[٣٥٠] « نمرة ١٢ أهالي جسر الشغور قدموا معروض مُحال منطرف سعادة حكمدار بك يتضمن بأن هذه السنة المباركة مطلوب منهم شونه كليه ومن حيث أن الجسر هي طريق الشاردين والواردين فيستدعوا أن يصدر الأمر بإبقا جانب من الشونه المطلوبة منهم بالجسر

ويتعين لهم ناظر يتسلم الغلال ويسلم لأن من دون ذلك لا يقدروا ويحصل لهم زحمه من المارين بطلب قناقات واستدعوا النظر بذلك فلدى المذاكرة رؤي ان ماذكره أصحاب العرض في الحقيقة مضمحل حالهم وقريتهم على طريق ورأس قناق والذي يصل إليها لا يمكن أن يتحول لغيرها فعلى هذا ينبغي أن تحصل لهم المساعدة بإبقاء جانب غلال من الشونه المطلوبة من قضاء الجسر وتبقى تحت لزوم الصرف والباقي يحملوه الأهالي ويوردوه للشونه ويلزم أن يتعين معتمد من طرف متسلم الجسر ويتسلم الغلال التي تلزم للشاردين والواردين والباقي من شونة المطلوبة من قضا الجسر يرسلها لحلب ثم بحيث أن الغلال التي بدها تبقى تحت اللزوم بالجسر فمن حيث أن أهالي الجسر كانوا يدفعوا كراً مشالها لشونة حلب فيلزم أن يدفعوا مقابلة ذلك اجرة مناسبة للمعتمد الذي يعينه متسلم الجسر لتسليم الغلال وتسليمها ويلزم اصدار خلاصة بذلك لمتسلم الجسر الحاج علي آغا بالمبادرة للعمل على الوجه المشروح بترتيب معتمد بتسليم غلال بقدر اللزوم ويصرفها للشاردين والواردين بموجب رجع مضبوطة وهو أيضاً حين يتسلمها يعطى بها رجع ثم من حيث أن المسموع عن بعض مأمورين من خيالة الميري وغيرهم يحضروا إلى القرا ويكلفوا الأهالي إلى عليق ومأكولات ودجاج والبعض يعطوا رجع والبعض لا يعطوا رجع وبحيث أن ذلك مخالف إلى أصول العدالة فينبغي منع ذلك وهو أنهُ يلزم إصدار خلاصات إلى متسلمين بلاد ايالة حلب ومتسلم حلب بأن حين يتعين مأمور لمكان فمثلاً إذا كان متعين من حلب لانطاكية فيعطى لهُ بوصلايه منطرف متسلم حلب للدانة بصرف عليق ومقدار خبز ثم من الدانة مثلاً لحارم أيضاً يعطى له بوصلايه بختم المتسلم المومى إليه خطاباً لحارم ومنها لشونة انطاكية وكل بوصلايه تبقى عند من يصرف له العليق والمأكولات ولما يرجع من انطاكية مثلاً كذلك يعطى بوصلايات بختم متسلم انطاكية باسم المحل الذي يأخذ منهُ العليق والذي لا يوجد معه بوصلايه بختم المتسلم فلا يصرف له شيء وكذلك عسكر الباشا بوزق يأخذوا بوصلايات من اغتهم بذلك وورقه من المتسلم بعدد الخيالة وأما إذا المأمورين أو الخيالة أجبروا الأهالي على أخذ عليق ومأكول بدون بوصلايه فحالاً يحضروا يخبروا المجلس والمجلس يعرض ذلك على الحكم لكي يترتب لمن خالف الأمر جزا ويكون العمل على

هذه الصورة كما قر الرأي وهذه الخلاصة إلى الحاج علي آغا متسلم ادلب والجسر ليعمل بموجبها ويعين معتمد منطرفه ليتسلم ما يلزم صرفه من شونة قضا الجسر للواردين من العساكر وإرسال البقية لشونة حلب وبآخر السنة يصير المحاسبة في ٩ ر سنة ٥٤ مجلس ٦ ر سنة ٥٤ وتحررة خلاصه لناظر جبل سمعان نمرة ٥ وتحررة خلاصه لناظر قضاء حارم نمرة ٨ وتحررة خلاصه لناظر قضاء سرمين محمد آغا رفيعة نمرة ٨ وتحررة خلاصه لناظر قضاء الباب والجبول سعيد آغا نمرة٦ وتحررة خلاصه لمتسلم حلب نمرة٩ وتحررة خلاصه لمتسلم انطاكية نمرة ٤ وتحررة خلاصه لمتسلم كليس نمرة٣ وتحررة خلاصه لمتسلم عنتاب نمرة ٢ والجميع بتاريخ المذكور ليعمل بموجبهم)). وكما هو اليوم الآلية (سيارات_ دبابات) لها أهميتها في الحياة الاقتصادية والعسكرية, كذلك كان للخيول دورها في عهد ابراهيم باشا المصري, ولعل هذه الوثيقة توضح لنا دور ادلب وسرمين والجسر, في تامين خدمات لـ ((خيول العساكر المنصورة)) كما وردت في وثائقهم الرسمية, والتي تنظم ضبط الأمور وتقديم الخدمات إليها في سنة ١٢٥٤ه / ١٨٣٨م. ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) [٣٧٠] ((نمرة١٠ سعادة البيك حكمدار ايالة حلب الافخم قدم تقرير للمجلس العالي يذكر فيه أن خيول العساكر المنصورة التي تنتقل من بلد إلى بلد ويقتضى لها صرف العليق والجرايه من القرايا الواقعين بالطريق فهو لاي قيامهم من بلد الذي يكونوا بها لا بد يكون بعلم متسلمها فالمتسلم يرتب قوناقات مبيتهم بالطريق وإلى كل قوناق يحرر تذكره مخصوصه باسم القرية التي تكون رأس قوناق ويبين فيها مقدار ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) يتبع...... .الذي يعطى من عليق وجرايه مع بيان الليلة التي يصادف مبيتهم بها لكي أهل تلك القرية من بعد أن يعطوا الذي يكون مكتوب لها يأخذوا التذكرة مظّهره بالوصل ويحضروها للشوره يحاسبوا بها والمتسلم يرسل علم خبر إلى ناظر شونة تلك البلدة في قوناقات الذي ترتبوا على المبيت لأجل الخيل التي تكون مأمورين وناظر الشونة يقيدوا ذلك عنده أولاً لأجل رفت مرتبهم من دفاتر الاستحقاق ثانياً يكون عنده علم القرايا حتى غذا الأهالي أحضروا له رجع يكون عنده خبرهم كي لا يحصل تعلل بقبولهم وبهذه الصورة يحصل الراحة

لكافة الأهالي والمأمورين ويرتفع التشكي ويتنبه على ضباط الخيالة والعساكر بأنه يحرصوا جماعتهم كي لا يحصل تعدي من أحد منهم في هذا الترتيب وأن الذي يحصل منه مخالفة يترتب له جزاء لايق فلدى المذاكرة رؤي أن ما قرره سعادة البيك الأفخم مناسب وفي محله وبالحقيقة جميع ما أورده بتقريره مما لاح بفكره المنير وذهنه الثاقب فهذا موجبات استحصال الراحة للأهالي والمأمورين وقر القرار على اصدار خلاصات مشروحات من طرف البيك المشار اليه إلى مجالس الفروع لكي يصدروا افادات من طرفهم إلى متسلمين وحكام جهاتهم باعتماد العمل بموجب هذا الترتيب وكذا إلى جانب متسلم حلب ومتسلم الجسر ونظار الجهات كي يعلنوا جميع القرا بذلك ويجري العمل حسب القرار وهذه الخلاصة إلى مجلس انطاكية ليعمل بموجبها في ٢١ جا سنة ٥٤ مجلس ٢٠ جا وتحررة خلاصة إلى مجلس عنتاب نمرة٩ وتحررة خلاصة إلى مجلس كليس نمره٨ وتحررة خلاصة إلى متسلم حلب نمره١٦ وتحررة خلاصة إلى متسلم ادلب نمره ١٧ وتحررة خلاصة إلى ناظر قضا اريحا هاشم اغا نمره٣ وتحررة خلاصه إلى ناظر قضا سرمين محمد اغا رفيعه نمره١٠ وتحررة خلاصة إلى ناظر قضا جبل سمعان ناصر اغا نمره٦ وتحررة خلاصه إلى ناظر قضا حارم يوسف اغا نمره١٠ وتحررة خلاصة إلى ناظر قضا الباب والجبول سعيد اغا نمره٧))

كانت ادلب، إحدى المدن الأهم في الشمال السوري في انتاج الحصر، ولعل هذه الوثيقة سنة ١٨٥٤هـ/١٨٣٨م توضح حقيقة كلامنا، في حال صادرات هذه المادة الاقتصادية التي كان يتعيش من انتاجها الكثير من العائلات، والعامل الأول فيها هو (المرأة الادلبية) العظيمة التي ساهمت بذلك كل المساهمة."ورد حافظة الحصر المأخوذة إلى جامع الكبير بمحروسة حلب عن يد السيد خليل قهرمان من عهدة الحاج علي اغا متسلم ادلب بتاريخ غرة شوال سنة ٥٣ جملة الحصر عدد ٢٦٧ فقط مايتين وسبعة وستون حصير عال من نفس ... بلغ قيمتهم غرش ٢٧٠٠ فقط ثمنهم الفين وسبعماية غرش لا غير وذلك عبارة عن ثلاثة الاف ذراع باعتبار ثمن الذراع ستة وثلاثين باره ومشروح على الحافظة من نايب ادلب السيد محمد راغب افندي وايضاً

مشروح عليها من الشيخ عبد الرحمن افندي الموقت الناظر على الجامع الشريف بالوصل الحصر لجامع كما محرر اعلاه ثم تطالعت هذه الحافظة بالمجلس العالي ومحرر بها الفين وسبعماية غرش قيمة مايتين وسبعة وستون حصيره ادلبيه احتياج مفروشات الجامع الكبير الاموي بمحروسة حلب بما فيه اجرة المشال وذلك ثلاثة آلاف ذراع شطرنجي حساباً عن كل ذراع ستة وثلاثون فضة بناء على قرار المجلس أن هذه الحصره المأخوذة للجامع يعطى ثمنها مثل ما هي منشريه من اصحابها صوناً لصلوات الناس من حصول الكراهه وليس كل ذراع بستة وعشرين فضة كسائر الحصر المأخوذه للميري فبموجب ذلك يقتضي قبول هذا المبلغ المحرر في الحافظة الفين وسبعماية غرش على طرف الديوان ضمن المصروفات بالأبعادية وقد تحرر هذا الشرح بناء على القرار السابق ليجري العمل بموجبه في ١١ ج سنة ٢٥٤ محل ختم المجلس".إذن كانت جوامع حلب تشتري حصر ادلب وعلى رأسها الجامع الكبير ومن نوع عالي أي جيدة الصنع.

"عن بيان ثمن اصناف مشتري من ادلب لاجل زراعة سعادة ولي النعم بخانتومان وجبل العيس سمسم كل رطل حلبي غرش ٤ اربعة غروش دره بيضة كل اردب غرش ١٠٩ باره ٤ فقط ماية وتسعة غروش واربعة فضة خروج كل شنبل غرش ٦٠ ستون غرش اصناف حديد كل رطل غرش ١٦ ستة عشر غرش حضرة الافندي المفخم كاتب الديواني السامي السر عسكري المعظم قدم تقرير إلى المجلس العالي بمحروسة حلب الشهبا أنه ورد شقه من علي اغا متسلم ادلب ومرسل صحبتها قايمه عن ثمن اصناف مشتري من أهالي ادلب لأجل زراعة سعادة ولي النعم بخانتومان وجبل العيس محرره صورة القايمة اعلاه بأسماء الاصناف المنشريه وأثمانها واستدعى الافندي المشار اليه موازنة اثمانها وإن كانت بمحلها فيصدر خلاصه بصرف الأثمان لأربابها فلدي المذاكره رؤي أنه يلزم حضور ارباب الخبره بذلك والاستعلام منهم والمخابره معهم بخصوص موازنة الاثمان ويعمل بمقتضى الحال وبعد حضورهم تبين من تقاريرهم أن أصناف المذكورة أثمانها الأصلية الرايحبة بين الأهالي إن كان بادلب أو بحلب فهي بالزيادة عن مشترى الخزينة

السرعسكرية ولا شك ولا ريب بأن الفرق الحاصل ما بين ثمن مشترى الخزينة وبين تقرير ارباب الخبرة هو المجهول رعايته للخزينة المشار إليها.)) ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) .

ولعل هذه الوثيقة توضح لنا مدى اعتماد الحكم المصري على انتاج ادلب من الصابون، لحاجة الجيش إليه، وكونه الأفضل في الجودة والسعر في سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م. وليشحن إلى أنطاكية مركز العسكر المصري ..

نمره١٩ أصناف مصابن ادلب قدموا معروض لسعادة حكمدار بك واحيل للمجلس يتضمن أنهم يقدموا الصابون اللازم إلى العساكر الجهادية المقيمين في عنتاب (وكذلك) للعساكر المقيمين بالمعرة والى أن صدر أمر لمتسلم ادلب بإرسال ثلاثة عشر ألف اقة صابون وكسور إلى انطاكية بسعر الواقع الاقه بخمسة غروش وربع وأنه ليس لهم قدره على اداء ذلك كونها محتاجه لمبلغ وافر وهم بدهم يشتروها من التجار مشترى وأنه يصير لهم مغدورية بذلك واستدعوا النظر بعدم مغدوريتهم فغب الكشف من قيودات المجلس وجد بالحقيقة بتاريخ ٢٧ جا سنة ٥٤ صدر خلاصة إلى متسلم ادلب بشراء ثلاثة عشر الف اقة صابون وكسور اللازمة لعساكر انطاكيه عن مدة سنه بسعر الاقه خمسة وربع فلدى المذاكره رؤي أن قول اصحاب العرض أنه يحصل لهم مغدوريه باعطاء الصابون إلى عساكر المقيمين بانطاكيه فهذا الصابون مشتراها منهم بسعر واقعها حيث بوقتها جلبوا دلالين الصابون وارباب الخبره وتصحح ثمن الصابون الاقة بخمسة غروش وربع بسعر الواقع فلم يبقى مغدرويه بذلك لمقدميه بل انما مقتضى العدالة يقتضي اصحاب العرض يسلموا الصابون بادلب ويشيلوه اهالي انطاكيه إلى الايات المقيمه بطرفهم ثم من حيث هذا الصابون المطلوب يجمع ثمنه مبلغ وافر فيقتضي كلما أخذ منهم شيء بمقدار عشرة آلاف غرش فيدفع لهم ثمنها شيئاً فشيء كي لا يتنغصوا التجار من تأخير الثمن وإن كان فيه مطاليب ميريه على ادلب فيلزم متسلمها يعطيهم ثمن الصابون والآ فيؤخذ ثمن الصابون من الخزينة العامره وينبغي اصدار خلاصة كي يشرح عليها حكمدار بك إلى متسلم ادلب باعطاء الصابون المطلوب من امناء مصابن ادلب لطرف انطاكيه بسعر الاقة خمسة غروش

وربع حسب القرار سابقاً شيئاً فشيئاً وعند شراء الصابون يتحرر من متسلم ادلب المومئ اليه إلى متسلم انطاكيه بارسال كراجيه(حمالين) يشيلوا الصابون لانطاكيه ويبادر متسلم ادلب المومئ اليه بصرفية الثمن على الوجه المشروح وقر الرأي عليه بالمجلس العالي في ٢٤ج سنة٥٤ مجلس ٢٤ منه"....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) .

وفي وثيقة أخرى سنة ١٢٥٣هـ انتشار الخانات..لقد ورد في الوثائق المصرية ذكر لخانات ادلب سنة ١٢٥٣هـ /١٨٣٧م " بأن خاناتها قد زاد إيرادها السنوي ٥٨٠٠ مارتى بعهدة خلف آغا تابع متسلم حلب , في موضوع مالي ولإرسالها إلى الخزينة العامرة وتحريراً سنة ١٢٥٤ هـ " ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) لقد ورد في وثيقة كمرك(جمرك) أن هناك عجز عن العام الماضي ١٤٠٥٠ بيز إدلب والتي هي بعهدة محمد آغا بازي .وحصل العجز كذلك في مقاطعة الدفعة والسقال وتم العرض على مجلس حلب , وظهر أن المقاطعة تضبط أقل مما قر عليه المزاد , لذلك تمت الموافقة على صاحب " المزاد الخواجة مخايل غضبان وبدون كفيل لأن حاله مستقيم وهو مضمون وينبغي إصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك للخزينة العامرة بتحرير شرطنامة الدمغة والسقال وبيز ادلب على ملتزميهم حسب الأصول .. " (المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) يبدو أن أهالي ادلب قد ظلوا يقدمون الشكاوي عن واقع حالهم الاقتصادي ،بالإضافة إلى الشكوى السابقة في عدم وصول (الإعانة) الخاصة كما هو مستحق كذلك قدم " حدادين قصبة ادلب معروض محال منطرف(هكذا كتبت هي وغيرها من التعابير) سعادة حكمدار بك يتضمن أن قبل تاريخه قدموا اعراض بطلب ثمن الحديد الذي لهم وبوقته ارسلوا للخزينة لاجل عمل حسابهم وقد تحرر الحساب بثمن مسامير البيطاريه المأخوذه منهم بحساب كل ألف بسمار بخمسة عشر غرش, والحال أن ثمن الرطل مقطوع بخمسة عشر غرش لأن الف البسمار تطلع زياده عن ستة آلاق حديد وثمن آقه حديد الخاميه بأربعة غروش الا ربع وإذا حوسبوا على سعر الألف بخمسة عشر غرش يصير لهم مغدوريه واستدعوا النظر بذلك فلدي المذاكره روي

من حيث ان بتاريخ ٩ ص سنة ٢٥٢ كان انقطع ثمن رطل مسامير البيطاريه بخمسة عشر غرش ثم بعده بتاريخ ٧ ر سنة ٢٥٢ لما استدعى ناظر شونه المهمات قطع ثمن المسامير المذكوره فبوقته لما كشف عن الثمن المقطوع بتاريخ ٩ ص سنة ٥٢ عن كل رطل بخمسة عشر غرض ووجد موافق صدور خلاصة لناظر شونة المهمات على هذا الموجب ولكن بالخلاصه المذكوره تحرر بها أن ثمن كل ألف بسمار بخمسة عشر غرض والحال أن اصل الثمن الرطل بخمسة عشر فهنا حصل السهو بتحرير الخلاصه على حساب الالف بخمسة عشر غرش كما اتضح الآن من كشف قيودات المجلس وحيث بالحقيقة حصل مغدورية لأصحاب العرض بذلك والآن اصحاب العرض المذكورين حضروا وقرروا أن اشغالهم تطلت ورضيو أن يخصم لهم ثمن البسامير الالف بخمسة عشر غرش إلى غاية تواريخ الرجع التي بيدهم ومن بعد ذلك فيكون الحساب على الرطل الحلبي بخمسة عشر غرض فعلى هذا بما أن أصحاب العرض رضيو بذلك فيلزم اصدار خلاصة ليشرح عليها حكمدار بك الى الخزينة بحلب باجراء حساب حدادين ادلب على ثمن المسامير بموجب الرجع التي بأيديهم باعتبار الألف وبتادي الثمن لهم ثم من بعد هذه الرجع يجري الحساب باعتبار الرطل الحلبي خمسة عشر غرش وأيضاً بما أن أغلب لزوم التطابيق والبسامير إلى الايات الخيالة فيلزم اصدار خلاصات مشروحات إلى حضرات امراء الايات الطوبجيه و٣ جي الاي سواري وخلاصة إلى متسلم ادلب باعطاء علم وخبر ذلك لهم بأن ثمن البسامير الذي صدر به خلاصات بتاريخ ٧ ر سنة ٥٢ بثمن الالف خمسة عشر غرش فهو سهوا ويعتبر الثمن المقطوع بتاريخ ٩ ص سنة ٢٥٢ على حساب الرطل الحلبي بخمسة عشر غرش وقر الرأي عليه وهذه الخلاصه للخزينة في ١١ ر ١ سنة ٢٥٤ مجلس ١٠ ر ١ سنة ٥٤ وتحرر خلاصه لخالد بك نمره ٣ وتحرر خلاصه إلى ٣ جي مير الاي سواري نمره ١ وتحرر خلاصه لمتسلم ادلب نمره ٦ " توافق ١٨٣٨م ....(المصدر الوثائق في قصر عابدين في كتاب أسد رستم) .

سادساً- ادلب بعد خروج المصريين: ويبدو أن أهالي إدلب لم يكونوا مع إبراهيم باشا لتنفذ السلطة العثمانية فيها لذلك كتب الشيخ صالح المرتيني سنة ١٢٥٧ هـ مقالة " هاجم فيها إبراهيم باشا ووالده محمد علي رافضاً إلباس المسلمين الثياب الضيقة ذات الأزرار ونسخ العمامة والثياب التي تزين لابس الوقار، فصار المسلم أشبه شيء بالإفرنجي، وإنهم يقبضون على الشبان، إلى أن دخلوا بلدتنا المسماة بإدلب الصغرى، فصادفوا فيها حلول ركاب سير دار المملكة الآتي لمعاونة وزير عكا المتقدم ... ورتب الجزية في كل عام وسماها إعانة الجيش على الحرب ... فتؤخذ من الفقير في كل سنة من القروش خمسين ومن الغني ذي الثروة خمساً من المئتين ..)). وظل يهاجمه ((في أخذه الأحجار ليبني بها قشلاً [ثكنة عسكرية] وإصطبلات للدواب حتى صارت رحباتها مواضع المزابل والأقذار ..))يبدو أن ادلب بعد خروج إبراهيم باشا منها ، وتأييدها للدولة العثمانية قد حظيت باهتمام السلطة العثمانية عسكريا، إذ بدأت ترسل إلى هنا بعض الضباط لتدريب العساكر ومنهم الضابط توفيق برتبة بنباشي (تعادل اليوم نقيب/رائد) وما زال أحفاده في إدلب (الصورة١٤٣) كما أن الذي يدخل سلك الخدمة العسكرية ، قد تطول خدمته إلى خمس سنوات (الصورة١٤٤) .وفي عام ١٨٩٦ – ١٨٩٧ / ١٣١٤ هـ تقع الحرب بين الدولة العثمانية واليونان، وتكون الدولة العثمانية في حالة عجز اقتصادي، لذلك فرضت إعانة أسمتها إعانة التأسيسات العسكرية، ولحق قضاء إدلب ٥٣١٢٥٠ قرشاً .



(الصورة١٤٣)ضباط عثمانيون بينهم توفيق بنباشي-الصورةعام١٨٨٠م

(الصورة١٤٤)وثيقة عسكرية عثمانية..

القسم الخامس: من الحرب العالمية الأولى إلى قيام الوحدة مع مصر ١٩١٤ ـ ١٩٦١ م.

أولا - وضع المنطقة في مطلع القرن العشرين : عاشت المنطقة في وضع سياسي مستقر في أواخر القرن التاسع عشر، ولكن اقتصادها بدأ بالضعف، نتيجة تحول الخطوط التجارية عن ولاية حلب بعد فتح قناة السويس، فميناء اسكندرونة لم يعد ميناء المنطقة الرئيس، لذا هاجر الكثير من أبنائها وخاصة المسيحيون بإدلب إلى الأميركيتين ومصر ولبنان، وبدأ يقل عدد الخانات، والمصابن ،وكل المؤسسات الاقتصادية - انظر بحث الحياة الاقتصادية تفصيلاً - المهم ما أن يدخل هذا القرن حتى ينتشر مرض الهواء الأصفر عام ١٩٠١م في إدلب، وجسر الشغر، وكم روى السكان حكايا عن هذا الوباء، وهم لا يدرون ما هو، وبدأ من شهر آب إلى تشرين الثاني وتوفي القليل في إدلب وتقلص فيها أولاً ...، وفي عام ١٩٠٦ وكما ذكرنا في الجدول حدوث البرد الشديد وزوابع الثلج عام ١٩٠٦م وموت الأشخاص على الطرقات في

إدلب وجسر الشغر وفي



١٩١٤م   (الصورة ١٤٥) تجمع العسكر في ادلب للمشاركة في الحرب العالمية الأولى

(حرب السفر برلك) يتقدمهم ضباط وصف ضباط الجيش ووجهاء ادلب , وهم :١- القائم مقام أحمد نظيف بك ٢- المفتي طاهر أفندي العياشي ٣- الحاج طاهر افندي أبو المواهب الكيالي ٤- جرجي أفندي رئيس ديني مسيحي ٥- الحاج نعمان أفندي عبد الكريم(ريحا) ٦- عضو مجلس المبعوثان العثماني نوري آغا جحا ٧- الحاج عبسي آغا دويدري ٨- مأمور البنك صالح أفندي جمالي ٩- محمد أفندي الشيخ عارف الكيالي معاون مدير المال ١٠- الشيخ صالح حميداني وولده الصغير ١١- مأمور أخذ العسكر أحمد راتب ١٢- محمود باشا الكيالي ١٣- أحمد أفندي فنري ١٤- كاتب التحريرات صفوت أفندي ١٥- مدير المال ثابت أفندي ١٦- عضو مجلس المبعوثان يحيى بك بكباشي زاده ١٧- وحيد آغا المعلم ١٨- أبو النور أفندي الكيالي ١٩- مأمور التلغراف شوكت أفندي ٢٠- مأمور بدل الطريق حمدي بك٢١- الشيخ مصطفى أفندي شيخ سمبكة .

عام ١٩٠٩ م تحدث الطامة الكبرى بالصقيع الذي أصاب زيتون إدلب . وكذلك في شتاء ١٩١١م هبطت درجة الحرارة إلى ١٥ تحت الصفر ...، وفي عام ١٩١٤ م تعلن الحرب العالمية الأولى والتي أطلق عليها الأهالي اسم حرب(السفربرلك) وهي تعبير تركي وتعني السفر هنا حرب ولحقت

بها بر = الحرب البرية، ثم لك أداة تركية تلحق الصفات فتجعلها مصادر كالمصادر الصناعية في العربية . وذهب الكثير من أبناء إدلب إلى هذه الحرب حيث كان تجمعهم في موقع الكسيح الآن في الحي الجنوبي الغربي (الصورة ١٤٥) بجانب القشلة ويكون في وداعهم وجهاء إدلب وأعيانها والموظفون الكبار وضباط وصف ضباط الثكنة العسكرية (القشلة) وقد التقيت بـ ناجي عاشور - قبل وفاته - والذي كان يملك محلاً في السوق القديم لبيع الحلويات، وحدثني بلهجة رومانية فهمتها منه قال " إنني كنت من الذاهبين إلى السفر برلك لا أدري إلى أين ؟ ! وقد عدت بعد إنتهاء الحرب من رومانيا على أقدامي إلى إدلب بعد انتهاء الحرب " .. لقد تم وضع نصب تذكاري لشهداء ادلب في موقع المعركة(جناق قلعة) . ولم نتمكن من قراءة الأسماء كون الصورة المرسلة من صديق(الصورة١٤٦) ما إن بدأت الحرب حتى بدأ الأهالي يشعرون بفتكها في اقتصادهم، إذ ارتفعت أسعار الحبوب، وصار الناس يأكلون ما لا يؤكل عادة وقد كانت المنطقة في حالة بؤس شديد قبل الحرب وخلالها وقل عدد الرجال للهجرة والسفر إلى الجبهة في أرجاء الإمبراطورية العثمانية [١] وفي عام ١٩١٦م شح المطر، وعاش الناس في خوف ، لذا ارتفعت أسعار القمح، وازدادت الطامة الكبرى بوضع سورية تحت الانتداب الفرنسي .

---

[١] ما زالت بعض العائلات تروي عن ذهاب أبنائها وعدم عودتهم فبيت حاج خلف ذهب منهم خمسة وعاد واحد . وآل قوصرة فقدوا منهم اثنين .



(الصورة١٤٦) النصب التذكاري لشهداء ادلب في الحرب العالمية الأولى(السفر برلك) في جناك قلعة في تركيا

ثانيا- انحسار النفوذ العثماني، وعهد الاستقلال: يعلم كل مطلع أن تركيا قد خسرت في الحرب العالمية الأولى الكثير من ولاياتها، وبدأت المنطقة تعيش عهداً جديداً من الاستقلال الوطني ، ولتقرير مصير سورية جاءت اللجنة الأميركية بالاستفتاء أو لقاء ممثلي ووجهاء المدن الرئيسية في عام ١٩١٩م في شهر تموز وقد نشرت مجلة المصباح الحلبية : " ثم دخل وفد ادلب برئاسة المفتي برهان الدين أفندي (العياشي) والأستاذ كامل أفندي الكيالي فقدموا مطالبهم التي هي روح قرار المؤتمر، ثم تكلم الأستاذ كامل أفندي الكيالي فقال : وإنا نضيف احتجاجنا الشديد على الضغط العظيم الذي قامت به الإدارة الفرنساوية المحتلة في المنطقة الغربية الساحلية،وفي جميع الأقضية التابعة لولاية حلب فإنها أقامت الجنود في الطرق العامة وفي مقاطع الأنهر منعاً للوفود من جهة لجنتكم المحترمة، وتبين أنها وضعت الرشاشات، و نمرت الأعيان، وضبطت أملاكهم، وسجنتهم. كل ذلك لإكراه الأمة على طلب ما لا ترضاه هذه الأمور الثابتة التي نقدم إليكم من بعض مندوبي السواحل فنطلب محافظة حقوقنا الثابتة وتحقيق رغائبنا " ."



(الصورة ١٤٧)المواطنون يقترعون في معرة النعمان (الذي يضع ورقة الإقتراع الوجيه حكمت الحراكي)

(الصورة ١٤٨) ورقة الاقتراع في طلب الاستقلال

وأما وفد حارم(الصورة١٤٧- ١٤٨) الذي قابل اللجنة الأميركية برئاسة (إبراهيم بك هنانو) وشرح أعمال فرنسا التي تأتيها في قضاء حارم وقال إبراهيم بك :إن بعض من لا أخلاق له من الأغراب المتوطنين في قضاء حارم والذين أهلكوا الحرث، والنسل إذا صوت طمعاً في وعود فرنسا فإن تصويته لا قيمة له لأنه غريب الديار، والجنس ،ونحن نتكلم باسم جميع الأهالي من سكان حارم، وتوابعها ،وهذه مضابطنا التي تشهد بأننا مفوضون من قبلهم في المؤتمر السوري، يقصد المنعقد في دمشق ، وبما منحنا من هذا الحق نرفض ذلك التصويت المزور، ونطلب عدم الاعتماد عليه .نحن المفوضين من سكان قضاء حارم نشكو إليكم ما نقاسيه من سياسة الشدة ،والإرهاب التي يعاملنا بها حكام فرنسا من سجن، ونفي، وتغريب ليتوصلوا بذلك إلى أن لا نقابلكم، ونكاشفكم بآمالنا السياسية، وإننا نقدم إليكم هذه الوثائق كبرهان نؤيد به ما ندعيه (أولاً) لما لم يمكن استمالتنا لانتداب فرنسا عمد حكامها إلى أكبر الوظائف وعهدوا بها إلى رجل يستخدمونه لأمانة حريتنا (ثانياً) كل من يميل ويسعى لاستقلالنا السوري تعاقبه الإدارة الفرنساوية بالأعمال الشاقة وتسجنه في سجن شبيه

بالقبر وقد أمر الحاكم الافرنسي إبراهيم بك هنانو بترك وطنه لدسيسة (فسادة) وقد أوهمه أن هذا بأمر القيادة العامة وهو محض اختلاق . وقد سجنوا أناساً كثيرين وطردوهم من بيوتهم وأملاكهم (ثالثاً) شعروا بأن هذا غير كاف في قتل الشعور فعمد الحاكم الفرنساوي إلى استعمال الوسائل التي تأباها الإنسانية , ومنها إكراه الأهالي على ختم سرقة كبيرة ترك فوقها فراغ لتسطير ما يراد بدعوى تطبيق أختامهم وهذا من الغش الذي لا يرتكبه شريف فأرجوا أن تنظروا إلى وثيقة رقم ٣ و ٤ وتطبقوا أختامهم فإن الأهالي لا يعلمون من هذه الخدع شيئاً (رابعاً) أوقفت القوارب ومنعت المرور والسفر ولم نعلم بوجودكم في إسكندورنه إلا بعد عودتكم منها , وقد استأجرت الغرباء الذي لا يهمهم مصلحة الوطن فباعوا واشتروا على حسب أهوائهم ولم يوجد من يمثل الأهالي غيرنا فنحن نقدم إليكم هذه الرغائب لتحكموا بوجدانكم الأميركاني " هذه الوثيقة التي تنشر لأول مره , بعد ما نشر الكثير , تقدم لنا بدايات الكفاح الوطني لإبراهيم هنانو وجرأته الوطنية , وتقديمه الحقائق الدامغة مع معرفته بألاعيب الاستعمار .الشعور الوطني يعبر عنه بالتظاهر السلمي وهو روح الديمقراطية عبر الحوار وقد بدأ أهالي ادلب في نشر هذا الشعور ومطالبتهم بالاستقلال الكامل وكما نشر في صحيفة المصباح الحلبية عن (المظاهرة في ادلب) في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٩م . " أقيمت مساء اليوم في ادلب مظاهرة سلمية عظيمة بلغ فيها عدد المتظاهرين الوافدين من عموم أنحاء القضاء ٢٠ ألفاً من فرسان ومشاة على اختلاف المذاهب والأديان و ألقيت الخطب الحماسية وأبرق المتظاهرون إلى دولة الحاكم العسكري يسترحمون أن يعرب عن أمانيهم لدى الحلفاء وهذه صورة الاحتجاج المرفوع : إننا نعرض بلسان مائة ألف من أهالي قضائنا إبلاغ معتمدي دول الحلفاء المعظمين معاضدتنا للأمة السورية بالاحتجاج على كل قرار معاهدة تخالف آراء الأمة " .

يدخل العرب ، ومعهم البريطانيون دمشق في /١/ تشرين الأول /١٩١٨/م ،وبعد عشرة أيام غادرت فصائل عربية دمشق لتسترد حمص، وحماة

،ووصلت حلب في /٢٦/ منه، وقبل تمام الشهر كانت سورية بحدودها الطبيعية محررة، ولكن في عام /١٩١٦/ م تعقد اتفاقية سايكس بيكو القاضية بتقسيم الأقاليم العثمانية غير التركية، وإنشاء دولة عربية في سورية، ولكن لفرنسا الحق في تقديم المستشارين والموظفين الأجانب، وتنفيذاً لهذه المعاهدة تبدأ طلوع الفرنسيين احتلال الشمال عام /١٩١٨/ م والسواحل السورية من الإسكندر ون وحتى صور، وعيِّن الكولونيل الفرنسي(بيابان) حاكماً عامّاً، كما ونصت المعاهدة أن تكون حارم وإنطاكية للفرنسيين ,((مع أنه بعد الهدنة الموقعة بين الحلفاء والأتراك في ١٩١٨/١٠/١٣ تظل شراذم من الجيش التركي في حارم وإنطاكية لم تستطع اللحاق بالجيش المنهزم , فتفسخت وتخللتها الفوضى , وانقلبت إلى شبه عصابات تسلب وتنهب وتؤذي الأهلين .)) وفي الجانب الآخر عندما ظهرت طلائع جيش التحرير الذي يسيِّره الأمير فيصل لتعقب فلول الجيش العثماني, وإقامة حكومة عربية في الربوع السورية ونشر علمها في كل من حمص ،وحماه، والمعرة، وإدلب، وجسر الشغور، واللاذقية , وتأمين الجهاز الإداري لتسيير الأعمال الحكومية ((لأن قضاء إدلب وجسر الشغور وحارم غرباً جعلت مناطق عربية يتولى ادارة شؤونها العليا من الوجهة السياسية والدبلوماسية الأمير فيصل)) [١] وكما هو وارد في الوثائق الثلاث النادرة الأولى بخط الملك فيصل وتوقيعه والثانية بتوقيع أخيه الشريف ناصر (الصورة ١٤٩) " لحضرة العلامة المفضال السيد بدر الدين الكيلاني: نبشركم بخفوق علم الحكومة العربية على الربوع السورية بأجمعها بظل مولانا والدي المعظم أمير المؤمنين وملك العرب السلطان الشريف حسين نصره الله . وبالنظر لما ألقي على سمعي من علو همتكم وغيرتكم المحمدية, فقد أوفدت إليكم ناقل هذا الكتاب السيد عمرالأتاسي لأجل نشر علم الحكومة العربية على ربوع حمص وحماه , وقد عهدت إليكم برياسة الحكومة في قصبة حماه وسلمية والعمرانية ولست أشك بسعيكم ومفاداتكم في تأييد كلمة هذه الحكومة العربية

---

[١] غالب العياشي في كتابه (لإيضاحات السياسية)ص١٣

الإسلامية الموطدة الأساس العالية الكلمة والمؤيدة بعون الله ونصره , والسلام عليكم وعلى جميع أخواني من السادة الكيلانية وعموم الأسر الكريمة في حماه كما أنتظر منك المخبرة بما يلزم . ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٦هـ التوقيع فيصل بن الحسين) وأما الأمر الوارد من قيادة الجيوش العربية الشمالية والمؤرخ في ٢٣ تشرين الأول ١٩١٩ فقد تضمن مايلي :
" حضرة حاكم حماه المحترم : قد رأيت الكثير من أبناء العرب المتخرجين من المدارس العالية هنا بدون شغل شاغل , وبما أننا في حاجة عظيمة لتأسيس حكومة بأسرع ما يمكن لئلا نظهر بحالة الفوضى أمام الملأ يجب أن تجمعوا هؤلاء وتستفيدون من آرائهم والبعض منهم توظفوهم في الأقضية وبالأخص لمعرة النعمان وإدلب وجسر الشغور واللاذقية. وأكرر لكم الإسراع لهذا ولأن ضياع الدقايق في هذا الوقت , مما يؤثر على حياة الأمة العربية في الحال والاستقبال والسلام عليكم التوقيع - قائد الجبهة

(الصورة ١٤٩-) الوثائق العربية الثلاث.الأولى بخط الملك فيصل ، والثانية الشريف ناصر،والثالثة رئيس الحكومة العربية في حماة ، وملحقاتها(في٥تشرين الأول١٩١٨م)

الشمالية – الشريف ناصر " . والوثيقة الثالثة تتضمن تعيين حاكم عربي في معرة النعمان :"حضرة الشهم الكريم السيد سامي الحراكي المحترم : بناء على عهد مولاي الأمير فيصل إلي بتأسيس الحكومة العربية في حماه وسلمية والعمرانية والأمر من قائد الجبهة الشمالية سيدي الشريف ناصر المحررة صورتها أعلاه . فقد عينتك رئيساً لحكومة فيصل في معرة النعمان , فآمل المباشرة بتنظيم القوة الإجرائية أولاً وما يليها من شعب الحكومة مع السعي المتواصل في حفظ الأمن ولإقامة الحق ونشر العدل في الأمور كلها..وهذه الراية العربية الكريمة سلمتها إليك بيدك,فانشر علمها على ربوعكم وانهض بكلك لخدمة أمتك العربية تحت ظل سيدها أمير المؤمنين وسلطان العرب الحسين ابن علي أيده الله بنصره.وخابرني بما يلزم والسلام عليك ٢٠ محرم الحرام ١٣٣٧هـ بتوقيع خاتم و رئيس الحكومة العربية بحماه وملحقاتها محمد بدر الدين الكيلاني"من الوثائق الثلاث نستخلص ما يلي :



(الصورة١٥٠)الملك فيصل مع شقيقه زيد



(الصورة ١٥١)الوثيقة العربية الأولى بعد العهد العثماني الخاصة بإدلب لتشكيل حكومة مؤقتة في٢٠محرم الحرام١٣٣٧ه=٢٦تشرين الأول١٩١٨م



(الصورة١٥٢)المفتي الشيخ برهان الدين العياشي..أول من شكل الحكم العربي في ادلب(١٢٧٢-١٣٥٠ه-١٨٦٥-١٩٣٢م)

١- الحكومة العربية في مراسلاتها تؤكد على وحدة الصف وكلمة العربية واعتمادها على الأسر العربية العريقة ٢- إدلب وجسر الشغور ومعرة النعمان

قد كانت تابعة لحماه وحاكمها هو المفوض بتعيين حكام هذه المناطق. ٣- يقصد بالعمرانية التواصل مع الشيخ صالح العلي كممثل لها .

٤- إن أول حاكم عربي لقضاء إدلب هو (برهان الدين العياشي) من أبنائها ، فالوثيقة التالية الموجهة إليه كمفتي قضاء إدلب وبقية الوجهاء ((وإن قضاء إدلب قد حاز على النعمة التي كان ينشدها للتخلص من حكومة الترك الغاشمة ، لذلك عهد إلى السيد حكمت الحراكي أن يكون مندوبا من قبلنا لنشر اللواء العربي في جميع ربوعكم فينبغي أن تؤازروه وتؤلفوا هيئة حكومة موقتة تحت رياستكم .... والأمل منكم أن تنتقوا الموظفين من خيرة الرجال ...)) التوقيع باسم قائد الحملة الشمالية الشريف ناصر . (الصورة ١٥٠-١٥٢) ولو أردنا تحليل هذه الوثيقة لوجدنا إدلب لم تحرر بعد ، بل طلبت المساعدة ، وتمت المشاورة بين العائلات العربية بإدلب ، والقوات العربية المتمركزة في حماه ، ومنهم كامل الكيالي أحد وجهاء إدلب ، والعاملين دائما لرفعة شأنها ، وكانت نتيجة مباحثاته بتكليف من المفتي عياشي بعد تلقيه الرسالة السابقة ، أن أرسله مندوبا عنه لأخذ زمام المبادرة لتحرير إدلب واستتباب الأمن فيها وسماع توجيهات القيادة في حماه ، وكان هذا الكتاب الذي حمله معه الكيالي إلى مفتي إدلب ((حضرة سيدي الهمام السيد برهان الدين مفتي إدلب الأكرم : هذا وبه رجونا المبادرة لنشر العلم العربي على ربوع بلدتكم والقيام بما يلزم حسبما أودع من لدن سيدنا ومولانا الأمير الشريف ناصر الدين أيده الله وبه أعرضت عن العزم بالتشرف بتأديتكم للقيام بهذه الخدمة وبما أنه جدّ لي ثقل منعني الآن عن التشرف وقد تشرفنا بقدوم حضرة السيد الفاضل كامل الكيالي فقد رجوناه أن ينوب عنا ليبلغكم الأمر المعطى من لدن مولانا الأمير المشار إليه المشعر بلزوم ترؤسكم للحكومة العربية بإدلب ، وتشكيل إدارة موقتة بما يناسب الحال وتوطيد الأمن وتشكيل الدرك والشرطة موقتا بما يناسب الحال ،حسب اللزوم ، صادف ذلك قبول المومى إليه فعليه تكرموا بالمباشرة بذلك وأعلموا حاكم لواء حماه السيد بدر الدين الكيلاني بالقضية وخابروه بما يلزم وأدام بقاءكم مولاي ٢١محرم الحرام ٣٣٧ وكيل رئيس حكومة المعرة العربية . توقيع حكمت الحراكي)) ويبدو أن قضاء إدلب حرر سلماً بجهود ودبلوماسية أبنائه ،

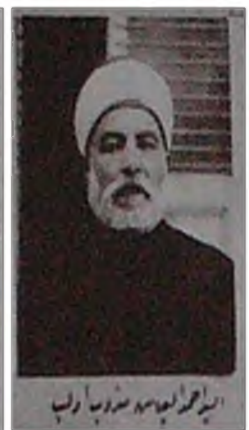
إذ لم تفدنا الروايات المتواترة ولا الوثائق عن وقوع معركة أو نزاع مع الأتراك ، إذ حين عرفوا أن السلطة ستؤول إلى القوات العربية وإلى أبناء المنطقة ، غادروها وتم تحقيق ما يلي بسرعة حسبما هو مدون بجانب الوثيقة السابقة بخط العياشي وتوقيعه ((بعض مواد تلقيناها تحريراً وشفاهاً من مستشار قائد الجيش العربي :

١- تشكيل الدرك (الشرطة) بالنظر الحالي ووسعة القضاء (شمل القضاء) على أن يكون معاش الخيالة سبعة ليرات والمشاة أربعة ليرات .
٢- تشكيل شرطة بما يناسب حال المدينة (نظام بوليسي) على أن يكونوا من ذوي الهمة والشرف .
٣- وضع اليد على جميع عنابر الحبوب والزيتون والصابون العائدة للخزينة وحفظها تحت الختم .

٤- وضع اليد على المال ... ؟ وصندوق بنك الزراعة والديون العمومية ، ومحافظة ذلك للخدمة التامة.٥- التبليغ لنشر العلم العربي على جميع خواص ونواحي القضاء .

٤- تعيين ما هو مخصوص لأجل قيد الاستدعايات التي تتقدم للحكومة وقبض ثلاثة قروش قيمة الطابع بقي بول (الطابع أو الدمغة) المقطوع والحجاز و قيد ذلك بدفتر مخصوص وحفظه .٦- إبقاء المحكمة الشرعية على حالها السابق وتوكيل ذات فاضلات بوظيفة القضاء موقتة لحين الإيعاز الرسمي . ٦-تشكيل بريد بيننا وبينكم لأجل إيصال الرسائل لحركة اللواء .٨- انتخاب هيئة إدارة الحكومة العربية المؤقتة تحت رعايتكم من خيرة الرجال .
وأما الزعيم هنانو فقد كان على رأس مئات من الرجال من مسقط رأسه كفرتخاريم ومن القرى والقصبات المجاورة، حيث التقى بسمو الأمير ناصر ابن عم الأمير فيصل في قضاء المعرة ، وعهد إليه بتطهير منطقتي حارم وإنطاكية من فلول الجيش التركي، ولتثبيت الأمن والنظام فيهما ، لذلك حشد الجموع وسار إلى إنطاكية، بعد أن أقام في الريحانية مركز قضاء حارم حينذاك ، وأقام فيها حكومة عربية تدير شؤونها، كما منع الاضطراب والفوضى داخل إنطاكية ، إذ في /١/ تشرين الثاني /١٩١٨/ م ، يحاول بعضهم تمزيق العلم العثماني، ولكنه ينكر هذا التصرف وحين يرفع العلم العربي يلقي الكلمة التالية: ((إن هذا العلم قد أظل الإسلام والعروبة ستة قرون

فحق عليهم أن يظل محترماً... وأن الشعب التركي الذي لا زال يستظل به ،هو أخ الشعب العربي وإن تفرقا)). وفي قوله هذا سياسة يتجنب بها الحرب الأهلية، والفرنسيون قد احتلوا إسكندرون، وهم قادمون لاحتلال إنطاكية . ولم تمض أيام حتى تلقى من الأمير ناصر أن يشخص إلى حلب وأناب عنه في إنطاكية ابن عمه عزة هنانو، وأدرك أن الجنرال الإنكليزي اللنبي بدأ يطبق معاهدة سايكس بيكو ورضي أن تسلم حارم وإنطاكية لفرنسا حتى الانتهاء من مؤتمر الصلح، قد تمّ استدعاؤه من قبل اللنبي ونفذه ناصر لمنع وقوع اشتباك مسلح يلجأ إليه هنانو وصحبه . وحين وصلت القوات الفرنسية إلى إنطاكية تحاول إنزال العلم العربي، يرفض عزة هنانو ابن عم إبراهيم والذي كلفه القيام بالأعمال الإدارية فيها، ويكاد يحدث الصدام، وحين تنصاع حكومة حلب للأمر بإخلاء حارم وإنطاكية للفرنسيين، تنسحب قوات هنانو من إنطاكية وحارم إبعد دخول القوات العربية حلب في ٢٥ تشرين الأول عام ١٩١٩م وإدلب في٢٧منه ...كان الزعيم إبراهيم هنانو يراقب هذا الوضع المضطرب..وفي ١٨ /١/ ١٩٢٠م سافر فيصل إلى الشمال ودعا إليه زعماء الثائرين ، وطلب إليهم الجنوح إلى السكينة فنزلوا على إرادته ، دعوا إلى انتخاب المؤتمر السوري العام شارك فيه أبناء المحافظة وفازممثلون وهم(إبراهيم هنانو عن حارم وحكمت الحراكي عن المعرة ،وصبحي بركات عن إنطاكية ،وعن إدلب:أحمد عياشي(هو والد غالب العياشي نائب إدلب في عهد الإستقلال) وزكي يحيى(بنبا شي) وفؤاد عبد الكريم(من ريحا)(الصورة١٥٣-١٥٥) وعقد رسمياً في دمشق ١٩١٩/٦/٣ لتمثيل البلاد أمام لجنة الاستفتاء، وسن دستور لسورية ،ثم اجتمع في٧/ ٣ /١٩٢٠ ليعلن استقلال سورية وبايع الملك فيصل على عرش سورية ..ولك نكيف شكلوا الحكومة في ادلب؟إبعد انحسار النفوذ العثماني في ادلب







(الصورة ١٥٣)أحمد العياشي مندوب ادلب

(الصورة١٥٤) زكي يحى مندوب ادلب

(الصورة ١٥٥) فؤآد عبد الكريم مندوب ادلب(من ريحا)

عام١٩١٨م.. تنادت وجوه ادلب إلى حل, خاصة بعد سماعهم بدخول القوات العسكرية الفرنسية إلى الساحل السوري .... تواصلوا مع المفتي برهان الدين العياشي وكما شرحنا في كتابنا (من إبلا إلى ادلب) وهنا. لقد حصلنا على وثيقة جديدة أخرى نشرتها صحيفة(العاصمة) التابعة لحكومة فيصل, وتؤيد ادلب عهده الجديد.. هم ذهبوا إلى المؤتمر السوري العام في عام ١٩٢٠م (ليست سورية كما هي اليوم، بل الطبيعية ،وتضم شرق الأردن ولبنان وفلسطين)هم مثلوا ادلب، ومعهم إبراهيم هنانو عن حارم) وكلف أحمد عياشي شخصياً ليبلغه قرار المؤتمر إذ انتخبوا الملك فيصل ملكاً على سورية. الصور التي وزعت مع تواقيعهم ،وبينهم توقيع ابراهيم هنانو(الصورة١٥٦) .هذه ثاني وثيقة نحصل فيها على توقيعه .الأولى نشرناها في كتابنا (الثورة العربية في الشمال السوري- ثورة ابراهيم هنانو)الصادر عن وزارة الثقافة ٢٠٠٨م في دمشق(نفد). وننشر أول صورة توزع للملك فيصل بعد انتخابه ملكاً على سورية(الصورة ١٥٧) وفي ادلب تم تشكيل حكومة في ذلك ونشرنا الصورة في كتابنا (من إبلا إلى

ادلب)ونعيد نشرها ل٤أهمية المناسبة!

	
(الصورة ١٥٦) وثيقة تواقيع المشاركين في المؤتمر السوري لانتخاب الملك فيصل ..فيها توقيع العياشي، وهنانو	(الصورة١٥٧)الملك فيصل (ملك سورية) في أول صورة رسمية له

ملحق: للأسف وزعت صور المشتركين في المؤتمر مع أسمائهم، لكن حظ احمد عياشي طبع تحت اسمه (عباس)بالخطأ ..كثيرون كتبوا الاسم الخطأ .نصحح لهم هذا! وفي إدلب تقام الحكومة المحلية الوطنية ،وتم الاحتفال في السراي القديمة قرب حمام الآغا، وشرق مسجد شهاب... فرحة بهذا الاستقلال والذي لم يدم طويلاً (الصورة١٥٨) . لكن هذه الصورة قد عثرنا عليها فيما بعد أخذت قرب السراي القديمة. ضمت شخصيات لم نتعرف عليها بعد، غير أن الجالس أرضاً وبيده ولد صغير هو غالب العياشي(نائب إدلب فيما بعد). (الصورة ١٥٩) وأول قائمقام رسمي يعين فيها عمر زكي الطرابلسي(١٦٠) وكما سيرد . لقد أعدوا للإحتفال بتتويج الملك فيصل في ادلب كما يجب،المهم حصولنا على الجديد في ذلك،موثقين بما وجدناه في الصحيفة الرسمية باسم (العاصمة)والتي صدرت في دمشق.وردفيها نصوص البرقيات المرسلة من وجهاء ادلب(الصورة١٥٩) إلى الملك فيصل .ننقل بالحرف ذلك.عام

١٩٢٠م..بعنوان(***الاحتفال في إدلب***) ((أقمنا حفلة تكريم وتعظيم ليومنا المسعود الذي أعلنا فيه استقلالنا , ونتوج فيه ملكنا المعظم بتاج آبائه العظام , بلغ عدد الوفود ما ينوف عن المائة ألف في موقف واحد على اختلاف المذاهب والمنطق . كلنا نهتف باسم جلالته وراية استقلال سورية ترفرف فوق رؤوسنا والخطب تتلى . لم نر مثيل لهذا اليوم المبارك . كلنا مرتبطون بعرش مليكنا المعظم حتى الموت. نسترحم رفع عريضتنا لأعتاب مهابته مسترحمين قبول خالص عبوديتنا مقرونة بتهانينا راجين من المولى تأييد شوكته أبداً وسرمداً سيدنا الأفخم . باسم عموم أهالي قضاء إدلب . رئيس البلدية محمد نوري آل الأصفري)) .

احتجاج أهالي إدلب في التآمر على وحدة سورية:حين علم أبناء ادلب بما يحاك للتآمر على وحدة سورية واستقلالها ،تسارعوا للإحتجاج ،موقعين على وثيقة الإستقلال.،مع سعيهم إلى تشكيل(هيئة الدفاع الوطني في ادلب):وكذلك نشرت صحيفة المصباح الحلبية بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٢٠م وتحت عنوان (هيئة الدفاع الوطني في ادلب) " اجتمع منذ أيام في قضاء ادلب الوجوه و الأعيان وانتخبوا لجنة هيئة الدفاع الوطني فحاز الأكثرية حضرات الذوات السيد محمد أفندي الكيالي رئيس بلدية سرمين والسيد نوري أفندي الأصفري رئيس بلدية ادلب وأحد وجهاء معارة مصرين وقد اجتمعوا وتفاوضوا وفي النية أن يقرروا كثيراً من المسائل الهامة التي تعود على الوطن بالنفع الجزيل وفقهم الله لما فيه خير البلاد " .وهكذا يمكن القول إنهم تآلفوا وتحالفوا وازداد وعيهم في تشكيل هيئة تمثل الدفاع عن قضاء ادلب , وبشكل ديمقراطي في أجواء عملية الانتخاب الحر من ثلاثة بلدان في قضاء ادلب ..المهم حصولنا على الجديد في ذلك، موثقين بما وجدناه في الصحيفة الرسمية باسم (العاصمة)والتي صدرت في دمشق.وردفيها نصوص البرقيات المرسلة من وجهاء ادلب إلى الملك فيصل .ننقل بالحرف ذلك.عام ١٩٢٠م..(خاص بادلب)" برقية سموه لا سواه – احتجاج أهالي إدلب إننا نعرض بلسان مائة ألف أو يزيدون من أهالي قضاء إدلب ملتمسين إبلاغ حكومتنا ومعتمدي الحلفاء المعظمين معاضدتنا لأمتنا السورية,بالاحتجاج على كل قرار أو معاهدة تخالف آراء

الأمة ورغائبها بضرورة المحافظة على وحدة بلادنا السورية واستقلالها التام الناجز . وإن الأمة العربية عازمة كل العزم على الدفاع في سبيل وحدة البلاد حسبما أعربت عنه بصورة قانونية اللجنة الأمريكية المنتدبة من قبل مؤتمر الصلح , وإنهم على اختلاف المذاهب والمشارب متفقون على رفض كل قرار يمس بكرامة الأمة العربية .عضو : عبد الغفور – عضو إدلب : محمد صبحي – عضو البلدية : سيد محمد منير (فنري) رئيس البلديه : محمد نوري (أصفري) .المفتي محمد برهان (الدين العياش) – من الأعيان : مصطفى خربوتلي– عضو ادلب الياس – عضو ادارة إدلب : أحمد نوري – رئيس بلدية معارتمصرين : محمد فريد – رئيس بلدية : فؤاد (عبد الكريم ؟)



(الصورة ١٥٨) الحكومة العربية المحليّة في ادلب وبعض الوجهاء إحتفاءً باستقلال سورية وتتويج الملك فيصل في ١٩٢٠/٣/٨م في الوسط القائمقام عمر زكي الطرابلسي إلى يساره ١- المفتي برهان الدين العياشي ٢- نوري أفندي الأصفري ٣- الطبيب حلمي أفندي الحكيم ٤- الطبيب حكمت أفندي الحكيم ٥- راسم الأخرس مأمور الزراعة ٦- عبد اللطيف الأميري المدعي العام ٧- الشيخ شفيق أفندي الملا الكيالي قاضي الجسر سابقاً ٨- صادق آغا المعلم ٩- الشيخ سامي الكيالي قاضي الشرع في مدينة حلب وتوابعها سابقاً ١٠-

الواقف على يسار برهان الدين العياشي فهو عبد القادر أفندي أصفري كاتب الرسائل سابقاً ١١- وبجانبه الأمير الشايش إلى يمينه ١- العلاّمة الشيخ طاهر الملا الكيالي نقيب أشراف إدلب ٢- الشيخ أحمد العالم الكيّالي قاضي إدلب ٣- منير آغا الفنري ٤- قائد الشرطة أحمد أقف = أفندي ٥- اسكندر أفندي مأمور الديون العموميّة ٦- يحيى بك بكباشي ٧- عمر آغا قره محمّد ٨- أمين أفندي أحد القوّاد ٩- ابراهيم فهدي مأمور الريجي ١٠- الواقف على يمين الشيخ طاهر الملا الكيّالي فهولطفي أفندي أحّد القوّاد العسكريين ١١- وبجانبه الأمير عبد الكريم الشايش والد الأمير الشايش



(الصورة ١٥٩)تجمع المحتفلين بادلب بمناسبة تشكيل الحكومة.في الوسط غالب العياشي جالساً وبيده طفل١٩٢٠/٣/٨م



(الصورة١٦٠)عمر زكي الأفيوني الطرابلسي.

ـ من العلماء : محمود ـ من الأعيان : محمد خربوتلي ـ من أعيان أريحا : مصطفى عبد الجواد , محمد يوسف , سيد محمد خليل , سيد أحمد ـ من العلماء كامل ـ رئيس بلدية : سمير محمد طيار ـ شيخ عشيرة عدوان صطام ـ عضو بلدية أريحا محمود نديم ـ الدكتور حكمت (الحكيم من ادلب) ـ شيخ عشيرة البكارة محمد الحمد ـ مختار قرية الجينه طه بن جنيد ـ مختار قرية كلى مصطفى طالب ـ من أعيان المسيحيين ابراهيم وكيل الرئيس الروحاني الياس غنوم ـ شيخ كفرجالس عثمان ـ شيخ كفرلاته مصطفى ـ شيخ منطف محمد علي عبد الحميد بركات ـ شيخ سرجة ـ مختار معرة الاخوان ـ مختار العربان ـ شيخ قرية الفوعة المعلم ... ؟ - شيخ النيرب محمد نمر ـ عالم الفوعة ابراهيم تقي ـ معلم الفوعة حسن تقي ـ من الوجهاء محمد فنري , عمر قاسم آغا , مختار ديب , محمود زكور , يوسف حجو ـ

من أشراف الأهالي محمد بركات – مندوب عن قضاء حارم محمد نجيب (شعبان آغا ملس) – مختار أول محلة منلا نجيب قريد– عضو بلدية ادلب صادق (معلم) – مختار مورين زكي – مختار ابين – مختار بنبه – مختار مرديخ– مختار الغزى يسين – مختار محلة محمد نورى – مختار كفر نوران الحاج ابراهيم – مختار الكفر علي توفيق ثابت – عن القضاء المذكور : عبد الرحمن)) هذه وثيقة هامة لمن يريد التأريخ لسورية ،والمنطقة، في دلالاتها على الوعي الوطني ،ضد المؤمرات التي كانت تحاك ...(الصورة١٦١)

إلى أبناء الوطن: بهذا النداء خاطب وكيل الحاكم العسكري العام في سورية مصطفى نعمة(أصله من ادلب) المنشورأمامكم.. مع قرار الملك فيصل في تكليفه بمهامه .تم عرضه في صحيفة العاصمة دمشق(الصورة ١٦٢) عام ١٩١٩م/١٣٣٧هـ .هو نفسه اشرنا إليه في كتابنا(من إبلا إلى ادلب) ..لقد ورد في صحيفة (العاصمة) الرسمية بدمشق الصادرة في عهد الملك فيصل بعنوان (الحاكمية العسكريه) عهد سمو الأمير المعظم إلى صاحب السعادة السيد مصطفى نعمه بك بوكالة الحاكمية العسكرية العامة. وقد باشر مهام هذا المنصب منذ صباح يوم السبت " وتلاه هذا البيان (إلى أبناء الوطن العزيز إن الحكومة تبذل قصارى جهدها لتوطيد الأمن العام

الاحتفال في ادلب
أقمنا حفلة تكريم وتعظيم ليومنا
المسعود الذي اعلنا فيه استقلالنا وتوجنا فيه
مليكنا المعظم بتاج آبائه العظام . بلغ عدد
الوفود ما ينوف عن المائة الف في موقف
واحد على اختلاف المذاهب والمناطق . كانا
نهتف باسم جلالته وراية استقلال سورية
ترفرف فوق رؤوسنا ... والخطب تتلى . لم نر
مثيل لهذا اليوم المبارك . كلنا مستعدون
بعرش مليكنا المعظم حتى الموت ...

(الصورة ١٦١) نص البرقية المرسلة من وجهاء ادلب بمناسبة الإستقلال(عن صحيفة العاصمة في دمشق)

(الصورة١٦٢) نص القرار بتشكيل الحاكمية العسكرية العامة وتكليف الإدلبي(مصطفى نعمة) بها ،مع كلمة له

والقيام بواجباتها مستندة على حمية الوطنيين ومعاونتهم لها في هذه الأيام والمواقف الحرجة .إلا أن بعض المشاغبين قد تناسوا جائب حميتهم وسعوا وراء إقلاق الأفكار في العاصمة في الوقت الذي يستلزم إتمام السكينة . فاستلفت – لأول مرة – نظر الجميع إلى ذلك , وأدعوهم إلى معلونة الحكومة في المحافظة على المصلحة الوطنية العامة والله الموفق والمعين في ١٥ كانون الأول ١٩١٩ م . وكيل حاكم سورية العسكري العام : مصطفى نعمة .وهكذا يظل الأدالبةالسباقون،صدقوا ،أو لاتصدقون أن((الأدالبة في كل عرس لهم قرص))فبعد أن ساهموا في دخول القوات العربية ،قد عين الحاكم العسكري في سورية من ادلب..لكن تم منح(أوسمة لأبناء ادلب والمحافظه)إذ ورد في صحيفة العاصمة (الرسمية) الصادرة في عهد الملك فيصل منحه وساماً للعاملين في لواء الفتح (أي ساعدوه في دخول سورية) واسمه (وسام معان) لجنود جيش الثورة لكل من العريف عبد الجليل بن أحمد من إدلب , والعريف يوسف بن حسين من جسر الشغور , والجندي يسن بن عبد العال من إدلب . وقد صادق عليه سمو الأمير زيد في ١٤ شباط ١٩٢٠ ارتبط التجنيد في حكومة فيصل في كل من " حلب – ادلب –المعره– ولكل من لجنة ادلب – المعرة رئيس ملازم – رئيس – قصيد – جندي – موزع جندي " سبحان مقلب الأحوال ١؟! كانت ادلب من المؤيدة الأولى للحكم العثماني، وحصل الكثير من أبنائها على اوسمة ،وكلمتهم نافذة في العاصمة اسطنبول.!!!

حول الشعور الوطني ومساعدة سورية الجديدة: عاش أبناء المنطقة شعوراً وطنياً لدعم مسيرة الحياة الجديدة التي حصلت عام ١٩١٩م في الاستقلال عن الدولة العثمانية، وبناء الدولة السورية في مواجهة الوا قع الجديد.لقد صدرت صحيفة (المصباح) الحلبية في عهد الملك فيصل ..صدر العدد الأول في ٢ أيار /١٩١٩م كانت صحيفة (المصباح) الحلبية لمؤسسها الكيالي من أبناء ادلب فضل شحذ الهمم لدعم الدولة الجديدة.(الصورة١٦٣)..... نقدم بعضاً مما طرحوه حينذاك((وفي عدد آخر العدد ٢٩/١٢ أيار ١٩١٩ م مقال حول الشعور الوطني لابن الكيالي هكذا كتب عدة مقالات بتوقيع (ابن الكيالي).. ويقام بحلب حفل يفتتحه الشيخ طاهر أفندي الكيالي دعي أبناء حلب وريفها إلى

التبرع ومساعدة الدولة السورية الجديدة وذلك في شهر أيار ١٩١٩ م وكان قد تبرع هنانو بــــ ٣٠ ليرة وحصان قيمته ٧٥ ليرة. وألقى "عبد الحميد افندي الكيالي الادلبي خطبة و قصيدة للشاعر كامل أفندي الكيالي الادلبي (في العدد ١٨ تاريخ ٦/١٧ والعدد ١٩ في ١٩١٩/٦/١٩ م) ..)) تفيد الوثيقة مدى الشعور الوطني حينذاك.. يتبرعون لبناء البلد والوطن..



المصباح

فاتحة المصباح

(الصورة ١٦٣) صحيفة المصباح الحلبية يصدرها الأدالبة من آل الكيالي-١٩١٩م

ملحق: الأخير هو أحد وجوه ادلب الكبار والمعروفين في حبه لإدلب ،حتى إنه أراد وضع تاريخ لإدلب ،لكن المنية وافته دون تحقيق حلمه، وقد تابعنا مسيرته في ذلك، والحمد لله!!!

لقد صدرت صحيفة (المصباح) الحلبية في عهد الملك فيصل ..صدر العدد الأول في ٢ أيار /١٩١٩م..وفي أحد الأعداد يرد ذكر.. ومما وجدته في هذه الصحيفة ما يتعلق بما يسمى الآن محافظة ادلب" حضور وفدين يمثلان قضاء سمعان ثم ادلب إلى أبو الظهور – شرق ادلب- لاستقبال سمو الأمير فيصل في محلية أبو الظهور – (أي محطة القطار) وهو قادم من دمشق إلى حلب .. وإلى حلب حضر وفد من جسر الشغور ومن حارم برئاسة ابراهيم هنانو (العدد ٩ ص ٣ في ٢٢ أيار ١٩١٩م).وكانت أبو الظهور تابعة لــــ حاكم جبل سمعان لذلك ألقى حاكمها كلمة أيضاً ،أما خطاب سمو الأمير فيصل في أبو الظهور فقد تضمن...))

في جسر الشغور تشكل النادي العربي ويحضره ثلاثون شخصية ويلوم كاتب المقال حلب لعدم حضور عدد مناسب لهذا النادي بحلب .. بل يتابع أبناء الجسر تواصلهم فهذا اسماعيل آغا النجار رئيس بلدية قضاء الجسر يقدم إلى حلب وفي عدد آخر العدد ٢٩/١٢ أيار ١٩١٩ م مقال حول الشعور الوطني لابن الكيالي هكذا كتب عدة مقالات بتوقيع (ابن الكيالي).. ويقام بحلب حفل يفتتحه الشيخ طاهر أفندي الكيالي دعي أبناء حلب وريفها إلى التبرع ومساعدة الدولة السورية الجديدة وذلك في شهر أيار ١٩١٩ م وكان قد تبرع هنانو بــــــ ٣٠ ليرة وحصان قيمته ٧٥ ليرة. وألقى "عبد الحميد افندي الكيالي الادلبي خطبة و قصيدة للشاعر كامل أفندي الكيالي الادلبي (في العدد ١٨ تاريخ ٦/١٧ والعدد ١٩ في ١٩١٩/٦/١٩ م) "(خاص بادلب) حين علم أبناء المنطقة بالمؤآمرة لاحتلال سورية ،تنادوا في استنكارهم مرسلين برقيات الإستنكار ،كما في هذه((" برقية سموه لا سواه – احتجاج أهالي إدلب إننا نعرض بلسان مائة ألف أو يزيدون من أهالي قضاء إدلب ملتمسين إبلاغ حكومتنا ومعتمدي الحلفاء المعظمين معاضدتنا لأمتنا السورية,بالإحتجاج على كل قرار أو معاهدة تخالف آراء الأمة ورغائبها بضرورة المحافظة على وحدة بلادنا السورية واستقلالها التام الناجز . وإن الأمة العربية عازمة كل العزم على الدفاع في سبيل وحدة البلاد حسبما أعربت عنه بصورة قانونية اللجنة الأمريكية المنتدبة من قبل مؤتمر الصلح , وإنهم على اختلاف المذاهب

والمشارب متفقون على رفض كل قرار يمس بكرامة الأمة العربية .))عضو : عبد الغفور – عضو إدلب : محمد صبحي – عضو البلدية : سيد محمد منير (فنري) رئيس البلديه : محمد نوري (أصفري) .المفتي محمد برهان (الدين العياش) – من الأعيان : مصطفى خربوتلي– عضو ادلب الياس – عضو ادارة إدلب : أحمد نوري – رئيس بلدية معارتمصرين : محمد فريد – رئيس بلدية : فؤاد (عبد الكريم ؟) – من العلماء : محمود – من الأعيان : محمد خربوتلي– من أعيان أريحا : مصطفى عبد الجواد , محمد يوسف , سيد محمد خليل , سيد أحمد – من العلماء كامل – رئيس بلدية: سمير محمد طيار – شيخ عشيرة عدوان صطام– عضو بلدية أريحا محمود نديم – الدكتور حكمت (الحكيم من ادلب) – شيخ عشيرة البكارة محمد الحمد – مختار قرية الجينه طه بن جنيد – مختار قرية كلى مصطفى طالب – من أعيان المسيحيين ابراهيم وكيل الرئيس الروحاني الياس غنوم – شيخ كفرجالس عثمان – شيخ كفرلاته مصطفى – شيخ منطف محمد علي عبد الحميد بركات – شيخ سرجة– مختار معرة الاخوان – مختار العربان – شيخ قرية الفوعة المعلم ... ؟ - شيخ النيرب محمد نمر – عالم الفوعة ابراهيم تقي – معلم الفوعة حسن تقي – من الوجهاء محمد فنري , عمر قاسم آغا , مختار ديب , محمود زكور , يوسف حجو – من أشراف الأهالي محمد بركات – مندوب عن قضاء حارم محمد نجيب (شعبان آغا ملس) – مختار أول محلة منلا نجيب قريد– عضو بلدية ادلب صادق (معلم) – مختار مورين زكي – مختار ابين – مختار بنبه – مختار مرديخ– مختار الغزى يسين – مختار محلة محمد نورى – مختار كفر نوران الحاج ابراهيم – مختار الكفر علي توفيق ثابت – عن القضاء المذكور : عبد الرحمن .

ثالثاً- الإنتداب الفرنسي: قد أوضحنا في التفاصيل اكثر في كتابنا(من إبلا إلى ادلب) و(الثورة العربية في الشمال السوري) تفاصيل موسعة ،لكن هنا نتطرق بما جرى في ادلب ، و ما حولها .بعد احتلال الفرنسيين الأراضي السورية يُكلف (و)كما ذكرنا هنانو ورفيقه محمد زين العابدين بجمع الرجال والأموال للدفاع عن سلامة البلاد وطرد الفرنسيين .. إذن هو طلب الجهاد، وليس كما

يروى أو نشر بأن والي حلب رشيد طليع، قد طلب منه الجهاد بإيعاز من الحكومة الفيصليّة ، إذ يذكر مرافقه الشغوري "أنه بعد مشاورته بعض الساسة العرب، قرر تشكيل شراذم قليلة العدد سريعة التنقل لخلق فوضى في منطقة الاحتلال الفرنسي وبث الذعر في نفوسهم ومرتزقتهم، وتشكلت أول حضيرة [جماعة] في كفرتخاريم (١) تبعتها جماعات أخرى، وتمكنت من تسليح نفسها بالقنابل والبنادق وأطلقت يدهم لتحريض الأهلين على عدم دفع الضرائب . وأمر هنانو بتوسيع رقعة عملها العسكرية، وفي كفرتخاريم تم تشكيل لجنة تشريعية قضائية رباعية (٢) مهمتها جمع المال لتشكيل أربعين مجاهداً مسلحاً، قسموا إلى أربع حضائر(٣) وتمكنوا خلال أربع ساعات من جمع ٥٠٠ ليرة . وحتى لا تكون حكومة حلب بعيدة عن الثورة أوفدت الملازم إبراهيم الشغوري [هو من كفرتخاريم] إلى منطقة العمليات لتدريب المجاهدين، وقد أثبت كفاءته ، واستلم أمانة سر قيادة الثورة عند إبراهيم هنانو، كانت القيادة بيد عبد الرحيم الأفندي وبعد اصابته بذراعه سلمت إلى نجيب عويد وأصبح عددهم خمسين مجاهداً (أربعون من كفرتخاريم وعشرة من سلقين) وهي ثورة على اتصال دائم بثورة كفرتخاريم ويأتيها السلاح عن طريقها وحكومة حلب ، ولكن المساعدة وقد " منع الإنكليز الشريف حسين من إرسال المال إلى ابنه زيد في سوريه في ربيع عام ١٩٢٠م خشية وصول هذا المال إلى هنانو[٢] " وظلت مستمرة إلى أن احتلت حلب في ٢٣ / ٧ / ١٩٢٠م وكذلك إدلب و. لم يقف الزعيم مكتوف الأيدي على ما حل بسورية وعاصمتها دمشق فدعا إلى " اجتماع تاريخي في إدلب حضره بنفسه، وألقى فيه بياناً ألهب النفوس وحثهم على إضرام نار الثورة في جميع أنحاء المناطق

---

[١] وهم محمد علي جمعة، مصطفى أبو درويش، مصطفى عويد، علي المغربي، صالح الشغوري، جميل عباس وعبد الرحيم الأفندي وكان رئيسها والذي أصيب بذراعه فيما بعد وخلفه نجيب عويد

[٢] هم نجيب عويد، عزة هنانو، إبراهيم الصرما، محمد درويش الكيالي .

[٣] سمي كل واحد منهم رقيباً، وهم الحاج درغام درة، محمد علي جمعة، محمد حسين زهراء، عبدو حسن زنوب. وكلهم بأمرة قائد الفصيلة عبد الرحيم الأفندي . ثم انضم إليهم عشرة فلاحين من سلقين .

[٢] د. رافق بحث في مجلة دراسات تاريخية عدد ٢٠/١٩ عام ١٩٨٥ ص٦٨

" وهي التي أرسلت ممثليها من المجاهدين في إنطاكية وجبل الزاوية وأريحا وأورم الجوز ومعرة مصرين والريحانية والعمق وجسر الشغور وحارم . ومن أبرز الشخصيات التي حضرته صبحي بركات (من إنطاكية) يرافقه سكرتيره الخاص مصطفى قريد وعمر البيطار وعبد العزبز آغا هارون عن لاذقية و مصطفى الحاج حسين و عارف الآغا ومحمد دربالا عن جبل الزاوية وشعبان آغا عن ملس وعمر آغا الدويدري و وحيد آغا المعلم ومنير آغا الفنري والأستاذ كامل الكيالي والدكتور حكمت الحكيم عن مدينة إدلب والحاج سعيد النائب عن أريحا والحاج محمد الخربوطلي عن أورم الجوز والحاج خطيب بدلة عن معرة مصرين وعبدو بدران عن الريحانية وحسيب النجاري ومحمد الأهدلي عن جسر الشغور . وتم الاجتماع(الصورة١٦٤) في دار قائمقام إدلب المرحوم عمر زكي الأفيوني الطرابلسي ،حضره قائد الدرك بإدلب هاشم بك جمال . وبعد المناقشة أقروا ما أدلى به هنانو من اقتراحات ومنها سفره إلى تركيا مع بعض رفاقه، لطلب المساعدة بالسلاح والذخيرة .

وتفرقوا للقيام بالثورة وشن الغارات على الفرنسيين، وأصدر مفتي الثورة فتواه بالجهاد في ٢٥ تموز ١٩٢٠.والغريب في الأمر أن الكثير من المؤرخين لسورية قالوا سـقطت الحكومة العربية بإعلان استسلامها ولم يدركواأن هنانو في ثورته، لم تكن ثورة لمجرد الثورة بل هي استمرار للحكومة العربية بدمشق، وإلا لما شكل حكومة في أرمناز، ولما تعاقد معه صلاح الدين عادل بك قائد الفيلق الثاني التركي باسم الحكومة العربية



(الصورة١٦٤)اجتماع في ادلب لإعلان الثورة رسمياً –آب١٩٢٠م بقيادة ابراهيم هنانو(*)

السورية، والحدود مفتوحة للتعاون العسكري . وتم التوقيع في ٧ أيلول ١٩٢٠م وكما ذكر الشغوري : (وبعد يومين حملنا ما يمكن حمله من عتاد وعدنا أدراجنا إلى سورية)... وفي ١٦/أيلول /١٩٢٠م ، أعلن الزعيم هنانو الثورة على الفرنسيين رسميا وأذاع الزعيم المنشور التالي مطبوعاً:(((من العرب إلى العرب ... ما بالكم ترضخون صاغرين لحكم المستعمرين الجائر، وأنتم خير أمة خلقت لأن تحكم بالعدل، ولا تحكم بالظلم..)) أثار هذا الخبر(في تولي جسر اشغور من قبل الثوار) السلطة الفرنسية،فقامت بتسيير حملة قوامها لواء مفرز ٢٥٠٠ جندي من حلب لاستعادة الجسر ومن الطبيعي ستمر بإدلب لذا قرر الزعيم مداهمتها قبل وصولها إلى الجسر, وأرسل من يكشف خط سيرهم، كما أرسل لمجاهدي كفرتخاريم (للحضور الى إدلب)وملاقاتهم هناك لكي يعرقلوا سيرها . كلف نجيب عويد تنفيذ هذه المهمة، فتابعها حتى وصلت إدلب، وفيها علم الفرنسيون أن المجاهدين قد تركوا الجسر إلى كل المنطقة فقرر قائد الحملة الإتجاه نحو كفرتخاريم . وأما عويد فقد موه نفسه و اختلط مع أعوانه بإدلب، واصطف مع الأهالي المتفرجين على أفراد الحملة عند مغادرتهم إدلب ويقول الشغوري في مذكراته " أنه في ليل ٢٩ تشرين

الثاني[1]التقى بنجيب عويد ودخلواأطراف مدينة إدلب في الغسق مستفيدين من الظلام . وقرروا مهاجمة الحملة حين مغادرتها إدلب من الخلف أو من أحد الجانبين " ومن الجدير بالذكر التنويه بما قام به الشهيد الوطني المرحوم عبد القادر النجار بإعلام الثوار عن نية الحملة الفرنسية التوجه إلى حارم لتعقبهم، ولكن أحد الخونة يشي به إلى الفرنسيين فيعدموه فيما بعد بإدلب وأما معركة إدلب فقد وصفها لنا الملازم الشغوري وكذلك الشيخ يوسف السعدون " قبل بزوغ الشمس بدأ الجنود الفرنسيون يغادرون الثكنة في إدلب نحو كفر تخاريم وما كاد آخر جندي يجتاز موقع وادي العقيبة [قبل الملعب البلدي الآن] حتى انصبت النيران من الخلف ومن الجانب الأيسر فاختل النظام وعاد بعض الجند إلى داخل المدينة للاحتماء، كما تمركزت السرايا الأمامية وردت على النيران بأشد منها، وقد تسلق من كان في المؤخرة من الجند أسطحة المنازل المشرفة على مواقع المجاهدين، وركزوا رشاشاً أمطرهم وذهب شهيداً كل من البطلين سعد عباس ومحمد الزردي كما أصيب في يده الرقيب محمد ممو، وما أن شفي حتى عاد للنضال، كما أصيب المجاهد ثابت المصري .وقد قذفوا إدلب حوالي ثلاث ساعات قتل فيها أحمد القلعجي قائد درك إدلب وهدمت الأماكن والجدران كما أسر الفرنسيون معاون قائد الدرك بإدلب مصطفى حكمت العياشي وساقوه أمام الجيش إلى قلعة حارم وسجن فيها ثلاثة أشهر كرهينة حرب . انسحب المجاهدون يحملون شهيديهم وجريحيهم إلى أشجار الزيتون كشراذم وبسرعة انطلقوا، وهم يطلقون على الجند الفرنسيين حتى أصابوا بعضهم، وظلت المناوشات تشتد وتضعف حتى وصلت الحملة إلى جبال حفسرجة قبيل الغروب " وأما سعدون فيصف لنا توجهات " الزعيم حين عين الجهة التي يأتي منها نجيب إلى إدلب وهي من شمالي المدينة وهو سيزحف عن طريق جبل الزاوية - اريحا ليأتي إدلب من الجنوب وبرفقة ثوار من كفرتخاريم، والقصير، وبعض من ثوار جبل الزاوية " وأما نجيب عويد فقال موجزين " كان معي حين دخلت إدلب من الشمال ثلاثين مجاهداً . وكنت قد

---

[1] العياشي ذكر الحدث في ٢٦/تشرين الأول صفحة ٢١٥ , و ذكر الجندي الحادثة في ٢٠ / ١ / ١٩٢٠ ص ٦٨ وفي ص ٧٦ أكد الحدث ٢٩ / تشرين الثاني ١٩٢٠ وهو الأصح بموجب مذكرات المجاهدين وسير الأحداث .

ظللت وأنا في طريقي في قرية ملس عند شعبان آغا أن يمدنا بالمسلحين الذين عنده . فقال اذهب أنت أمامي وأنا ساتبعك بمائة مسلح والوعد بقرية الشيخ علي قبل إدلب بـ ٣ كم، فذهبنا وانتظرنا طيلة النهار والليل حتى الصباح، ولم يحضر أحد من قبله، ولما كان ذلك النهار المعين لنا من قبل إبراهيم بك لدخول بلدة إدلب، اضطررنا للذهاب بهذه الفئة الثلاثين وإن كانت قليلة العدد، فوصلنا إدلب مع طلوع الشمس، ودخلنا البلدة من الجهة الشمالية، فوجدنا اثنين من خيالة العدو، فقبضنا عليهم، ورديناهم معنا، ثم جعلنا حرساً من بعضنا على منافذ المدينة، وتقدمنا، فرأينا فرقة من الجند تتأهب للسفر عن المدينة، ويوجد عندها من الخيالة ما قدرناه بأربعمائة خيال، هذا بصرف النظر عن المشاة، و عندهم ستة مدافع، فوضعنا البواريد داخل العبي، واختلطنا بالمتفرجين من أهل البلدة . فلما رفعوا الأثقال على ظهور الدواب وباشروا السير على الطريق الغربي الموصل إلى كفرتخاريم، انتظرنا مؤخرتهم، حتى باشرت السير فأخرجنا البنادق من تحت العبي، وأطلقنا عليهم، طلقة رجل واحد، فتساقطوا على الأرض تساقط أوراق الشجر في آخر تشرين الثاني وفر الأهلون المتفرجون واحدهم ينادي عقمت النساء أن يلدن مثل هؤلاء وارتد من هو قريب من الساحة وحمي وطيس الحرب، وتكاثر علينا الجند، وبلغت الأرواح الحناجر، واستشهد منا أربعة أحدهم ابن عمتنا سعيد عباس، وقتل من الجند ثلاثة وستون قتيلاً، ودامت هذه المعركة في إدلب ثلاث ساعات، ولم يحضر من يناصرنا من جميع الأطراف حتى ولا من أهل البلدة . وبعد ذلك جاءت طلائع الثوار الذين يرافقون إبراهيم هنانو فيهم بعض الطماعة ممن صحبه من أهل القرى وبعض الصهاونة [أي من منطقة الحفة في اللاذقية لأن قلعة صلاح الدين هناك كانت تدعى قلعة صهيون - فايز] فلما وصل ومن معه إدلب وعلم أن فرقة من الجند زحفت تغريباً تقصد كفرتخاريم تابع سيره على إثرها لصدها عن بغيتها ". ولنتابع حديث نجيب عويد " وهنا دخل بعض هؤلاء الطماعة بيوت بعض المسيحيين، واستلبوا بعض الأمتعة، وفروا والناس مشغولون بحرب العدو ومتابعة الأمر الذي أوجب السخط من الثوار وغيرهم على هؤلاء السلابة " فمن هم هؤلاء (السلابة ؟) إنهم بعض الثوار المنشقين وعلى رأسهم نورس طيبة الذي نهب دار حكومة إدلب، وحرق

سجلاتها الرسمية، ثم قام بمثل ذلك في المعرة، فاعتقل إلى حلب وأعدم . وقد تبين أن الاعتداء على المسيحيين بإدلب كان وراءه جواسيس فرنسا، فعمت الفوضى بإدلب وسرق بعضهم، واتهم الثوار أنهم وراء هذا حتى جاء هنانو إلى خربة مرتين (غرب إدلب)، وعاقب المعتدين ورد المسلوب كما ذكر الشيخ يوسف السعدون في مذكراته وغيره، إذ أُرسِل القائد هاشم جمال (قائد الدرك بإدلب سابقاً) لإعادة الأمن في إدلب بالتعاون مع بعض وجهاء إدلب وجمع ما نهب ووضع أمانة لدى الوجيه منير آغا الفنري الذي حافظ على بيوت المسيحيين مع رجاله المسلحين ومن جراء ذلك جرح في رأسه , إثر معركة نشبت بينه وبين المعتدين على بيوت المسيحيين وانتهى الأمر بأن دفع أهاليها غرامات التعويض . بعد معركة إدلب هذه التي جرت في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠، تتلقى تعليماتها من الزعيم قائد الثورة بالإضافة إلى قوة احتياطية في كل قرية، وقصبة تلتحق بالمجاهدين، كما تحصل معارك بين إدلب وحفسرجة، وكفرتخاريم، وسلقين ،وغيرها كثيرن ويطول عرضها، لكن ما يهمنا هو أن المجاهدين في منطقة الحفة باللاذقية، قد اصطدموا معهم ثلاثة أيام، فتقرر قيادة حلب العسكرية إرسال حملة ضخمة انقسمت إلى رتلين، أحدهما انطلق من إدلب في الجنوب،وقد ضم سرية من كتيبة الرماة الأفريقيين التاسعة عشرة، و ثلاث سرايا رشاشات، وكوكبة سباهي بقيادة اليوتنان كوهر البطارية الحادية عشرة مدفعية ٧٥ مم بقيادة اليوتنان شوديار والرتلان هدفهما تطويق ثورة هنانو، الأولى يتصدى لها الشيخ يوسف السعدون ... الثانية علم بحركتها المجاهدون، عندما اجتازت إدلب إلى الغرب " وعلمنا أنها ستجتاز مضيق دركوش، لكن هنانو ترصدها حتى وصلوا إلى الجبل الوسطاني، وهنانو ينتظر ... " ولكي لا نطيل على القارئ، فإن هذا الموضوع له بحث آخر إن شاء الله .هذا الوضع المقلق للفرنسيين، دفع بالجنرال جيوشهم بقيادة الجنرال (دولاموت) في منطقة الحدود التركية، فجمع قواته الاحتياطية وألف جيشاً بأمرة الكولونيل (ده بيوفر) في شهر كانون الأول ١٩٢٠ لأنه علم أن الزعيم إبراهيم هنانو قد استولى على جسر الشغور، وأسر سرية من الرشاشات التابعة لفيلق الرماة الأفريقيين الثاني والعشرين بعد أن دافع رجالها عنها كل الدفاع، وبدت المنطقة كلها في ثورة، بل بلغ الحماس بالثوار الزحف

نحو إدلب وحلب لتحريرهما من الفرنسيين . لذلك قرر الجنرال دولاموت إرسال التجريدة الجنوبية لترابط في إدلب، بتاريخ ٥ كانون الأول ١٩٢٠ ولننقل وصف الموقف الفرنسي في التقرير المنشور في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق " ولكن الكولونيل ده بيوفر لم يتردد بل عزم جريئاً على أن يجبه العدو فيزحف إلى الشمال ويسحق هناك جيش هنانو، ثم يتصل بعدئذ بجيش جديد، حيث يقطع عليه خط الرجعة جيش آخر كان ينتظر وصوله من اللاذقية ... وكان من نتيجة هذه الخطة أن تورط الجيش في منطقة جبلية جرداء، في حين كانت ذخائره محمولة على العربات . وتحتم إذن أن توسق البغال فوراً . أعطي الأمر إلى الجيش المرابط في الحمام في سهل العمق، أن يبادر إلى وسق الدواب أيضاً وينطلق دون مهل إلى كفرتخاريم لموافاة جيش الجنوب " .
وأما قائد الحملة الكولونيل ده بيوفر فقد قدم إلى إدلب قبل وصولها بيوم واحد، وفيها أعلموه، أن المنطقة كلها تحت السلاح، فالثوار المجاهدون يفوقون القوات الفرنسية بمراحل، وأنها على أفضل حال من التنظيم والتدريب والمعنويات العالية . وظن ده(بيوفر) أن الفرقة التركية تقف إلى جانب الثوار ومجهزة بالرشاشات والفرسان، ومدفعية ذات ثلاث بطاريات من الجيش التركي النظامي، بينما الواقع قوة المجاهدين لم تكن تملك غير مدفع واحد . وظن أن قوات هنانو تتألف من سبعة ألوية، منها لواء الفرسان (لواء كفرتخاريم) الذي يقوده الزعيم إبراهيم هنانو، واثنان من منطقة صهيون [الحفة الآن في لاذقية] ولواء من جبل الأكراد، ولواءان من الأكراد، ولواء من جبل الزاوية، وكوكبة من القوات الوطنية، بحيث بلغ مجموعها خمسة آلاف من المشاة المدربين وثلاثمائة فارس تتألف منهم كوكبتان، وكان ذلك الجيش منتشراً في وادي نهر العاصي، منتظراً الزحف على إدلب وحارم ! وأما الفرنسيون بإدلب فقد كانوا مجهزين بمئة وتسعين بندقية وثمانين سيفاً، وبطارية من عيار ٧٥ ملم، وثلاث سرايا من الرشاشات . وكان كل ظنهم أن قوات المجاهدين تفوقهم . وكان الكولونيل " ده بيوفر " يرى استحالة الزحف بقواته الضئيلة هذه على جسر الشغور، وإنه إذا انثنى جيش الفرنسيين إلى حلب، كان رجوعه بمثابة دس النار في البارود، وإنه ليس لديه أية قوة احتياطية . وقد عزم الكولونيل " ديبوفر " أن يجابه الثوار بقواته الضئيلة،

فيزحف إلى الشمال ليسحق جيش إبراهيم هنانو ثم يتصل بعدئذ بجيش الشمال فينطلق بمجموع قواته إلى جسر الشغور، ويدفع الثوار إلى الجبل حيث يقطع عليه خط الرجعة جيش إفرنسي آخر كان ينتظر وصوله من اللاذقية، إلا أن جيش اللاذقية لم يصل، وكان من نتيجة هذه الخطة الفاشلة أن الجيش الفرنسي قد تورط في منطقة غورو السعي لإنهاء الثورة مهما كلف الأمر ولنتابع التقرير الفرنسي " وفي صباح السابع من كانون الأول غادرت تجريدة ده بيوفر إدلب متوجهة إلى كفر سرجة [أي حفسرجة] . وكانت المعلومات التي وردتنا أمس ذلك النهار تشير إلى وجود بعض عناصر العدو متحصنة عند منتصف الطريق، في النواحي الغربية والجنوبية الغربية والشمالية، وقد جاء الواقع مصداقاً لتلك الأنباء . فلم تأزف الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعون، حتى انهالت على فرسان الطليعة نيران عنيفة، وإذا نحن أمام قوات إبراهيم هنانو وتدفق الرصاص على المؤخرة من تخوم إدلب. وهوجم جناحنا الجنوبي، بينما كانت زمر من العدو تغير على جناحنا الأيمن . فدارت رحى معركة عنيفة وضع فيها الكولونيل ده بيوفر جميع ما تيسر له من القوات، حتى أنه أنزل السائقين أنفسهم إلى صفوف القتال . وكانت تضغط على المؤخرة قوات خبيرة بأساليب المناورات ومتحرقة للقتال ... واستتمت حلقات تطويق جيشنا . فحدا اليأس بالقائد أن يعتزم مهاجمة الذروة التي تستقر عليها قوات هنانو، وتقف حائلاً دون مرور الجيش . وقرر أن ينجد الطليعة بإحدى سرايا المشاة، وبسرية رشاشات، وبكوكبة من الصباحيين، وأن يعمل بعد ذلك على استجماع قافلة الذخيرة وسائر الجيش، بعد انتزاع ذلك الموقع، يقوم بالمحاولة نفسها على الموقع الذي يليه ... "وبعد أن يفيض الكتاب بمهارة وبسالة هذه القوى التي وضعت لتنجد الطليعة من قبضة عدد من المجاهدين لا يتجاوز المائة، وكانوا قد نفذوا عمليتهم بصورة باهرة، فبل أن ينسحبوا إلى خط قتال جديد، يستطرد التقرير قائلاً : " وقد تكررت تلك المحاولات طوال سبعة أيام ... كان جيشنا يتخلص فيها من الكمائن والإغارات بفضل البأس والجرأة . على أن الخطر ما برح محدقاً به أي إحداق . فهناك في كفرتخاريم قوات وافرة من فرسان العدو، كما أن في إدلب يرابط جيش وطني آخر . مما اضطر القائد أن يرجع عن فكرة الزحف المستقيم، وقصد بذلك أن يتقي سدود

العدو، ويؤمن على جناحيه في عصمة تلك السفوح الوعرة المنال والمرتقى . وبعد جهود شاقة وصل الجيش إلى تلتيتا . ولكن جماعات من الرماة كانوا متمنعين بين الصخور في ضواحي القرية ومزودين بذخيرة وافرة، فنفرهم جنودنا بقذائف الهاون والقنابل اليدوية، " ... وللتوضيح أكثر يمكن القول : " وفي صباح ٧ كانون الأول عام ١٩٢٠ م غادرت حملة (ده بيوفر) إدلب متجهة إلى (حفسرجة) وكانت قوات ابراهيم هنانو متحصنة عند منتصف الطريق في النواحي الغربية والشمالية، وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين انهالت على فرسان طليعة الفرنسيين، نار عنيفة وكانوا أمام قوات هنانو . لقد هاجم المجاهدون مؤخرة الحملة الفرنسية من تخوم إدلب والجناح الجنوبي، بينما كانت فئات من الثوار تطلع على جناح العدو الأيمن، فدارت رحى معركة عنيفة زحم فيها الجنرال (ده دبيوفر) جميع ما تيسر له من القوات، حتى أنزل سائقي السيارات أنفسهم إلى صفوف القتال، وكانت تضغط على مؤخرة الفرنسيين قوات نظامية خبيرة بأساليب المناورات ومتحرقة للقتال تدعمها بطارية من عيار (٧٥) م كانت منكشفة، فأسكتتها مدفعية الملازم (شودبار) واستتمت حلقات الإحداق بالجيش الفرنسي من قبل المجاهدين، فاعتزم القائد مهاجمة الذروة التي تستقر عليها قوات إبراهيم هنانو وتقف حائلاً دون مرور الجيش . ولدى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين بدأ هجوم القوات الفرنسية على مراكز المجاهدين واندفعت الطليعة تدعمها الرشاشات والمدفعية دعماً قوياً، فانطلقت بالحراب، فتراجع المجاهدون نحو الجنوب، وامتطى الصباحيون ظهور الجياد حالاً وانحرفوا نحو الميسرة وأحدقوا بالمجاهدين، فاضطروا إلى الانسحاب إلى إدلب . وإثر البلبلة التي وقعت في صفوف المجاهدين وقوات الأتراك النظامية الذين أصبحوا في شاغل عن المهاجمة، تمكن الجيش الفرنسي من التخلص من الخطر، واستطاع الجيش أن يصل إلى مشارف حفسرجة . أما فصيلة الدرك السورية التي كانت ترافق الجيش الفرنسي فقد توارت عن العيان، ولم يصمد فيها غير الليوتنان كولونيل توفيق الشركس، والملازم عثمان بك الشركسي قائد المتطوعة في حروب الغوطة وتسعة رافقوا الحملة حتى النهاية . وفي اليوم السابع تخلص الجيش الفرنسي من حفنة المجاهدين وتطويقهم، على أن الخطر ما برح محدقاً به أي

إحداق، المجاهدين وتطويقهم، على أن الخطر ما برح محدقاً به أي إحداق، فهنالك في كفرتخاريم قوات وافرة من فرسان المجاهدين يرابطون مع جيش القائد بدري بك التركي من إدلب وتفادياً للخطر فقد رجع الجيش عن خطة الزحف المستقيم على كفرتخاريم، في ١٠ شباط ١٩٢١م تسيّر القيادة الفرنسية بحلب حملة أخرى بقيادة الكولونيل ديبوفر إلى منطقة إدلب لاستعادة هيبتها، ولعلمها أن هنانو قد جعل قرية كللي [شمال إدلب] مركز قيادته . كانت حملة مؤلفة من أربعة آلاف جندي، طوق القرية بجنده، ثم عاثوا فيها سلباً ونهباً، باحثين عن كل رجل وقبل ختام الحديث عن المعارك، ننوه إلى البطولات الفردية التي قام بها بعضهم، إذ توقفت الثورة، ولم يصدر عفو عام عن الثوار، فماذا يفعل المجاهد ؟ هل يسلم نفسه، أم يظل مستمراً في جهاده ؟ ! ومن اختار الثانية أطلق عليهم اسم جَتا وهي من أسماء المغول . منهم الشهيد محمود استنكاوي من مواليد إدلب عام ١٨٩٥، شجاع مقدام، خاض مع هنانو معظم المعارك ,حمل رسالة من هنانو إلى ثوار الحفة للتضامن مع بعض. استسلم للفرنسيين بعد توقف الثورة، علهم يعفون عنه، لكنهم أرسلوه إلى حلب مع رفيق جهاده مصطفى غانم من إدلب لمحاكمته، ولما كانت الأدلة بإدلب، أعادوه لاستكمال التحقيق، وفي الطريق يحتال على الجنود، ويستولي على سلاحهم بحيلة انطلت عليهم، وفر في براري إدلب يتابع أعماله ولكنهم تمكنوا منه في معركة جرت بين تل دينيت والشيخ فضل عام ١٩٢٧ واستشهد بعد تمكنه من قتل ثمانية من جند الفرنسيين . ونقلوا جثته إلى أمام دار الحكومة للإرهاب وتم دفنه بإدلب . ومنهم محمد علي عفارة الملقب بـ حمشو وهو الذي رافق مجاهدي الشمال إلى جبال الساحل مع عقيل السقاطي وخيرو القصاب وصبحي اللاذقاني وثوار جبل الزاوية . نذكر منها في عام ١٩٢٣م[1] حاصرت قوة إفرنسية عند(تل دينيت)شرق إدلب ثلة من المجاهدين (١٢) وفي رواية أخرى (٢٠) أفلت ثمانية والباقي قاوموا من طلوع الفجر حتى المساء، وأصيب نجيب البيطار (من منطقة الحفة - لاذقية) برصاصة في

---

[1] ذكرها الجندي ص ٢٠ عام ١٩٢٦ والبقية يروونها عام ١٩٢٣ .

رأسه سقط على إثرها شهيداً مع المجاهدين مصطفى قاسم الجباس من إدلب (الصورة١٦٥) [٢]ومصطفى الريحاوي من أريحا ومصطفى التركماني .



(الصورة ١٦٥)الشهيد مصطفى قاسم الجباس. مواليد ادلب١٨٩٠-١٩٢٣م



(الصورة ١٦٦) تجمع المعسكر الفرنسي قرب ريحا عام١٩٢٠م(يظهر سور ريحا)

ولكي يرهب الفرنسيون أهالي إدلب، نقلوا جثثهم إلى ساحة البازار بإدلب وعلقوها على أعواد المشانق ثلاثة أيام، ولم تسمح السلطات الفرنسية بتسليم الجثث إلى أهاليها، ثم دفنوا في جورة بالقرب من السراي (دار الحكومة القديمة) وهي الآن الحديقة الجنوبية فمتى نعلق لوحة فيها للذكرى !، ومن الذين نجو من التطويق عزيز بن محمد البيطار وسليم القاورمة من الحفة،مشتبه به، أو سلاح، انتقاماً منهم[١] في إدلب : بعد تراجع الثورة استغل

---

[٢] مصطفى قاسم الجباس : لاحقته القوات الفرنسية مرات ، فلجأ إلى كلس في تركيا وتزوج شقيقة أحد الضباط الأتراك فانجبت له طفلا (صار مجاهدا) ومن هناك كان يؤمن الزخيرة والسلاح ، ويزور أهله سرا بإدلب ومرة ألقت القوات الفرنسية القبض على كل أفراد عائلته التحق بالثورة في بدايتها وخاض المعارك في حارم وجبل الزاوية . وهو والد مصطفى الجباس الذي استشهد عام ١٩٤٨م في مجدل شمس .

[١] اصطحبوا معهم ٢٧ رجلاً وقاموا بإعدامهم بأمر من قائد الحملة ويروي غالب العياشي في كتابه الإيضاحات ص-٢٢٦/٢٢٨- " هنانو يبذل المستحيل للصمود أمام المستعمرين ...فأوفد الرسل الى الأماكن التي تتمركز فيها قوات الثوار

الفرنسيون هذا الوضع للانتقام، وكانت إدلب الضحية الأولى أمامهم ، وقد روى لنا نائب إدلب غالب العياشي (صفحة ٢١٨) ولخص الجندي بعضاً من فظائعهم فيها بقوله : " لقد حل بمدينة إدلب نكبات كثيرة وتعرض أهلها للعسف والجور من قبل الحملات الفرنسية التي كانت تستطرقها بصورة مستمرة .
وفي السابع من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٢ م وصلت إلى إدلب حملة عسكرية يقودها الكولونيل (مسيت) تتقدمها فصيلة من (العربان) (الصورة ١٦٦)وكان خبر وصولها قد اتصل بالمجاهدين فانسحبوا من المدينة، فاستقبل وجوه إدلب قائد الحملة بالترحيب، وقد تأثر بعاطفة استقبالهم، وكان مزمعاً على قذف إدلب بالقنابل انتقاماً منهم، فرابط الجنود حول البلدة، ثم فرض على الأهلين غرامة حربية قدرها ثماني آلاف ليرة ذهبية تدفع خلال أربع وعشرين ساعة، مع تقديم جميع ما يحتاجه الجيش من لوازم وإعاشة طيلة مكوثه في إدلب، وقد تداول الوجهاء فيما بينهم، واستحال عليهم تقديم الغرامة بالمدة المحددة، فأمر القائد باعتقال الوجهاء ورؤساء الدين وتكبيلهم بالحبال، بعد خروجهم من مضافة منزل نوري الأصفري وساقهم إلى رابة [هي تلة الرمادة الشرقية] حشرهم فيها، وهم مستلقون على الأرض كالأنعام بحراسة الجند السنغالي، والمدافع الرشاشة مصوبة إلى رؤوسهم . وبعد وساطات رضي القائد بتنزيل الغرامة إلى النصف، وأمهلهم مدة ثماني وأربعين ساعة لجمعها وتأديتها، مع تقديم الإعاشة إلى الجيش حتى علف الحيوانات،. وبعد أن قطع المعتقلون على أنفسهم ذلك العهد أفرج عنهم(منهم أحمد هارون ،وعمر آغا دويدري،ووحيد دويدري) وخرجوا تواً إلى بيوتهم ومن ثم لعقد الاجتماع لتلبية الطلب فوراً.فشكلت لجنة لجباية الغرامة وتقديم الإعاشة. وبعد أن تم تنظيم القوائم بأسماء المترتب عليهم دفع المبلغ أخذ أعضاء اللجنة يهيجون ويموجون في الأزقة والشوارع. وقد وجد هناك من باع فراشاً وماعوناً لتسديد ما رتبته عليه اللجنة بأسرع وقت ممكن إلى أن جمعت الغرامة في الوقت المعين بعد بذل الجهود الجبارة وقدمت بواسطة نوري الأصفري للكولونيل (مسيت) وبعدها أنصرف أعضاء اللجنة لجمع الإعاشة للجيش المرابط حول المدينة. وظلوا يطوفون على الأهلين ثلاثة أيام بلياليها يجمعون من البيوت والحوانيت الكميات الوافرة من المواد الغذائية. كالسكر والرز والصابون

والسمن والزيت والدخان والحبوب والدقيق والأحطاب والمواد المشتعلة والشمع وعلف الدواب من شعير وتبن وغير ذلك من المواد. وبعد أن تم لهذه الحملة ما طلبت ونالت تركت إدلب وانصرفت إلى جهات أخرى. وخلال مدة إقامة الحملة في إدلب تقدم الوشاة والجواسيس إلى قائد الحملة وأبلغوه عن أفراد كانوا قد اشتركوا في نهب إدلب فاتخذ تدابير جائرة، وقام بالتحقيق مستنداً إلى أقوال المتطوعين من الخونة والجواسيس، فقبض على عدد كبير من الأهلين الأبرياء، وسيقوا مشياً على الأقدام إلى حلب وزجوا في غياهب السجون مدة طويلة لقوا خلالها أشد أنواع التنكيل . ونحن لا ندري الأسباب التي حدت بقائد الحملة لاتخاذه هذه الوسائل الوحشية، بعد أن قام الزعيم هنانو بإعادة المنهوبات إلى أصحابها، والتعويض عليهم سوى التشفي والبطش بالأبرياء، ولإظهاره سطوة الجيش أمام الثائرين والأهلين، ورغم كل ذلك، فإن الثورة لم تعدم المؤازرة، فقد قام السادة كامل الكيالي الذي بذل الجهود الجبارة ،والأموال الطائلة وسعى لإيجاد مكتب للتطوع يتعاون معه ومحمد علي المنلا , والحاج محمد الخربوطلي، وبعض أعوانهم بمناصرة الثورة، والتحق عدد من الرجال الذين تحمسوا إثر اضطهاد الفرنسيين لبعض الأبرياء وتعذيبهم، وكان ذلك حافزاً لهم للقيام ضد فرنسا والثورة عليها . لقد تبارى قواد الحملات الفرنسية بارتكاب الفظائع الوحشية ضد الأهالي الأبرياء، فلم يتورعوا عن النهب والسلب لإشباع نفوسهم الدنيئة . لقد اشتهر الكولونيل (ديبوفر) بأعماله الوحشية ومظالمه وعسفه، فقد سبق له أن مثل هذه الأدوار عندما تولى قيادة الحملة في الفرات ،إذ في ٣ شباط سنة ١٩٢٢ م جاء إلى إدلب على رأس حملة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي ورابط حولها، ودخل البيوت واستولى على ما فيها من أثاث فاخر، وخاصة أنواع السجاد المولع باقتنائه، والمعروف أن قواد الحملات قد بعثوا بما نهبوه إلى فرنسا لبيعه بأثمان باهظة، واقتناء ما يروق لهم من النفائس في بيوتهم، وكانوا يجلبون تجار السجاد إلى بيوتهم لتقدير أثمانه وكانوا إلى جانب كونهم قادة، تجاراً لتصريف المنهوبات... وباعتبار إدلب قضاءً فقد كان يطلق على حاكمها العسكري الفرنسي المستشار والذي وصفه غالب العياشي بأنه يتدخل "في شؤون الناس الخاصة والعامة .. ويختارون فئة من الأشقياء ومحترفي الإجرام فيوزعون عليهم السلاح..

ويحميهم المستشارون (أي ضباط الاستخبارات في الأقضية).. فكان المســتشــارون في الأقضية يحررون المضابط والعرائض ويسلمونها إلى أعوانهم وأنصارهم الخونة لإكراه الأهلين على توقيعها لتأييد مآربهم الاستعمارية...". " إثر انتهاء ثورة هنانو، استسلم المجاهدون إسماعيل هرموش من إدلب، ، ومحمود الدايح ؟ ونجيب البيطار من قضاء القصير وكانوا اشتركوا فعلاً بالثورة وأيدوها، ثم منحوا وثائق رسمية بعدم التعرض لهم، غير أن المستشار (كوله) السفاح قبض عليهم، وأعدمهم برصاص مسدسه، وذلك في ٢٩ كانون الأول سنة ١٩٢٢ م وهذا مثال من وحشية الفرنسيين المستعمرين وغدرهم وفظائعهم." ونضيف أن إسماعيل هرموش كان وطنيا شجاعا ، وهو أول شهيد من إدلب فحزنت عليه كل الحزن. وفي عام ١٩٢٧م يشنق ثلاثة من المجاهدين ويروي الطبيب محمد نعمة في مذكراته تحت عنوان "ثلاث جثث مشنوقة لأبطال ثائرين على فرنسا" . كنت وراسماً[١] متجهين إلى المدرسة وقبل وصولنا إلى السراي العتيقة التي تحولت سجناً وجدنا جمعاً من الناس غفيراً تعلوهم ثلاث جثث كل واحدة معلقة ومشنقة هرمية ذات أرجل ثلاث . وقد فزع راسم من هذا المنظر ورجع إلى داره مسرعاً ....وأجهدت نفسي أن أندس بين الناس الذين كثر لغطهم حتى وقفت تحت هذه الجثث الثلاث المشنوقة وصرت أتأملها وهي.... إلا من خرق بالية وضعت على عوراتها...كان يحرس الجثث عدد من الجند الإفرنسيين ذوي الطرابيش الحمر وقد دججوا بالسلاح والحراب وأيديهم مشرعة ليبعدوا الناس الذين يقتربون. وقفت أتأمل الجثث عن كثب، لقد كانت رقابهم مشدودة إلى حبل غليظة فالتوت رؤوسهم على أكتافهم وقد اسودت منها الوجوه وجحظت الأعين وفغرت الأفواه ذات الشفاه الغليظة الزرقاء.رأيت على بطن إحدى الجثث فوهة انبثق منها... بطول شبر وتدلى حتى قارب العانة، ورأيت وجه الجثة الثانية مشوهاً، فقد تهتك جلد الخد الأيمن وكشف عن عظام الوجه والفك واقتلع العين اليمنى وخسف الصدغ...وتأملت الجثة الثانية فوجدت الكتف

---

[١] هو الصيدلاني راسم قريد والسرايا العتيقة هي خان الرز * لقد عرفنا من الصيدلاني راسم قريد اسم اثنين محمود استنكاوي من إدلب، ومنصور القاق من سرمين *

اليسرى تكاد تكون تقتلع من مكانها ....واسعاً عميقاً يمتد منها إلى الصدر...وسمعت كلمات من الحشد: شهداء .. أبطال .. رحمهم الله .. هذا فلان لقد قتل خمسة من الجنود الإفرنسيين، بعد اصطدامه بهم في مشارف سرمين ..ويتعالى صوت جماعي يقول : الله أكبر ... ويرتبك الجنود ويصابون بالذعر خوفاً من أن يهجم عليهم الجمع الحانق، الذي يعطف على هؤلاء الأبطال الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل الله وفي سبيل أوطانهم ..إن كرهاً شديداً للإفرنسيين انغرس في قلبي منذ هذه الحادثة، وكرهت كرهاً أشد الشباب السوريين الذين انضموا تحت لوائهم وقد أغراهم الراتب الوافي والزي العسكري الذي انخدع به الناس ..)) وفي صفحة ٣٥٩ يروي لنا نائب إدلب غالب العياشـي تحت عنوان (المستشارون يتخذون الكلاب أداة للفتك بالشعب) على أثر تلك الحوادث الآنفة الذكر ذهب المستشار " كوليه" من إدلب وجاء خلفاً له المستشار "ريساك " بينما كان عارف بن محمد الحاج سليم الخباز من أهالي إدلب جالساً في إحدى المقاهي وإذ بوغت بقوة من جند المستشار ومعهم قائد الدرك يبحثون عن عمه حسن حاج سليم فلم يجدوه , بل وجدوا المذكور فنادوه وأخرجوه من المقهى وأوثقوا يديه وساقوه إلى مكان قريب من الفرن الذي كان يعمل به وهنا أدخلوه إلى مكان مهجور وبعد لحظة جاء المستشار ريساك بعد مداولة معه أنه بريء من الوشاية .... أشار ريساك على جنوده بمتابعة تعذيبه بقساوة ووحشية لم يسجل التاريخ مثيل له , ولم يكتف المستشار الطاغية بالتنكيل والتعذيب به بل جاء بكلبه الشرس وسلطه عليه بعد أن جرده من ثيابه , وراح الكلب الضخم ينهش جسمه نهشاً بينما ذلك المسكين يستغيث بمراحم فرنسا ويستنصر العدالة.... وقد فاضت روحه في النهاية بين أنياب الكلب وضربات السوط ..فإلى دعاة الحرية والمدنية من الأفرنسيين إلى أولئك وهؤلاء نسجل لهم في هذه الصفحات تلك المأساة ليحكموا بما يقتضيه الوجدان.. ولما وجد المستشار وقائد الدرك أنهما أصبحا أمام جريمة شنعاء افتضح أمرها فكروا تحت جنح الظلام بجلب الطبيب الشرعي وقتذاك الدكتور محمد حلمي الحكيم وإكراهه على إعطاء تقرير طبي يقضي بأن عارف الخباز رمى بنفسه من السطح على كومة من الأحجار فتهشم جسمه ومات من تأثير الصدمة ... ولكن الدكتور كان قد أحيط علماً بما جرى ففر من منزله واختفى

.... أما والده فقد أبرق إلى المقامات العليا احتجاجا على الظلم وأقام دعوى لدى المحكمة العسكرية الافرنسية .. ولما علم المستشار بهذا حرر مضبطة تشير إلى أن هذا الشخص من أرباب السوابق بالثورات وهو أحد الأشقياء الذين التحقوا بالعصابات لمحاربة الأفرنسيين ..... وأثناء سير القضية في المحكمة اقتنعت بحجة المستشار الواهية فبرأته! واكتفت السلطة الفرنسية من الوجهة الإدارية بتبديل مقره من إدلب وأقالت القائد علي حسني الباشا من وظيفته... وهكذا فقد ذهب عارف الخباز ضحية الظلم والعدوان ....)) وقد نشر صورته عن صحيفة فرنسية نشرها المستشار ريساك ليبرر جريمته ويقنع رؤساءه ، وأنه سقط من تلقاء نفسه ... كما روى الطبيب محمد نعمة هذه الحادثة بقوله (وذاعت قصة أخرى في البلد . قصة ابن الخباز (عبد الجواد) الذي قتله المستشار الفرنسي في داره الكائنة في الحي الغربي ..لقد أفلت عليه كلبه الضخم الذي كنت أراه يتبعه وهو سائر في طريقه إلى السراي . هذا الكلب الوحشي ذو الفم العريض والأسنان الطويلة الحادة ..لقد مات ابن الخباز متأثراً من نهش الكلب وتجريحه، ولم يسمح المستشار لأهله أن يخرجوا بجنازة حافلة ولا بمأتم يقام في داره أو على قبره ..كنت أرى جنود الإفرنسيين المرتزقة وهم يرتدون البزات العسكرية وعلى رأس كل واحد منهم طربوش أحمر، يغدون ويروحون أمام مدرستنا ويدخلون الثكنة التي رفع على عمود أمام بابها دائرة سوداء بقطر نصف المتر تقريباً رسم عليها ديك [١] ، وهذا على ما اعتقد شعار الجنود الذين يشغلون الثكنة. وهمس أحد رفاقي في أذني حينما كنّا نتأملها قائلاً : إذا ضرب هذا الديك بالرصاص خرج الفرنسييون من بلادنا.. وهززت برأسي مؤمناً بهذا الرأي ولكن أنى لنا نحن الأطفال أن نحصل على سلاح نصوّبه إلى هذا الديك ؟ كما كنت أراهم في أيام كثيرة يخرجون المساجين من السجن المبني حديثاً ويجعلونهم رتلاً يزيد عددهم على المائة سجين، وقد صوبوا بنادقهم ذات الحراب الحادة إليهم كي لا يفر أحد منهم، ويمرون هكذا أمامنا متجهين إلى أماكن العمل الشاق : لتعبيد طريق أو إزالة ركام الأتربة والأوساخ من بعض الطرقات .إن الضباط الإفرنسيين كانوا

---

[١] الديك رمز لفرنسا، أو كان شعاراً لها في مستعمرانها.الثكنة العسكرية هي في موقع بناء المحافظة والقصر العدلي ،وسيرد الحديث عنها في الجزء الثاني

قلة لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، وباقي الجنود كانوا كما قلت مرتزقة من أبناء البلاد نعرفهم بسيماهم ونقف معهم أحياناً نكلمهم فيجيبوننا بلهجتهم القروية، وقليل منهم كان من أصل أرمني أو شركسي ." في شهر تموز عام ١٩٣٠ تم تسريح رئيس شرطة بلدية إدلب علي مارتيني لمواقفه الوطنية وغض بصره عن تصرفات من كان ملاحقاً من قبل الاستخبارات الفرنسية وذلك بعد حضور المفتش الإداري والمالي لبلديات حلب و إدلب (دوسولونار) وتأكدنا من ذلك في مدحه (نيقولا بكر) عقب تسريحه رئيس شرطة البلدية وذلك من خلال هاتين الوثيقتين في سجل المخابرات الفرنسية في المصنف رقم واحد :الموضوع : طلب تسريح رئيس الشرطة للحكم عليه بجرم شائن وتعيين مكانه في إدلب في ٢٨ / تموز ١٩٣٠ ((سيدي الرئيس ، علمت بأنه تم إصدار حكم ستة أشهر سجن على السيد علي مارتيني رئيس شرطة البلدية لأخطائه وقيامه بالتزوير. ولقد تم توقيفه و أرى أنه يتحتم تسريحه فوراً بسبب جرمه الشائن . ولي الشرف أن أطلب إليكم اقتراح من يحل محله . وتقبلوا بقبول فائق تقديري)) المفتش الإداري والمالي لبلديات حلب وإدلب (دوسولونار) رقم ٢٦٣٥ / ى ونسخة ترفع إلى السيد المندوب المساعد للمفوض السامي لولاية حلب على سبيل العرض ورقم ٢٦٣٦ / اى ونسخة ترفع إلى رئيس مكتب الاستخبارات بإدلب على سبيل العرض . وأما الوثيقة الثانية فموضوعها طلب معلومات عن موظف سابق في بلدية إدلب رقم ٣٥٧٢ / اى بـ . في ٣٠ أيلول ١٩٣٠ : ((السيد قائد الدرك بولاية حلب تفضلتم بكتابكم رقم ١٦٠١ / ٨ تاريخ ١٨ / من هذا الشهر طلب معلومات عن السيد نيقولا بكر الموظف سابقاً في بلدية إدلب لي الشرف بإعلامكم بأن المومأ إليه كان موظفاً ولمدة خمسة أشهر ونصف في هذه البلدية من آذار وحتى ١٥ آب ١٩٣٠ وقد عهد إليه بوظيفة كاتب ومترجم لدى المفتش كما كلف بعمل مراقب تحقق ، وقد تقدم باستقالته لأن راتبه البالغ / ٧ / ل . س ذهب لا يكفيه و لا يسعني إلا الثناء على طريقة عمله طيلة مدة خدمته القصيرة . وكان قبل ذلك يعمل مترجماً لدى مكتب الاستخبارات في جسر الشغور الذي ألغي . ولقد

عينته في بلدية إدلب بناء على توصية رئيسه الملازم الأول ويلبي التوقيع دوسولونار[1] ...

ادلب تعزي بوفاة الزعيم ابراهيم هنانو: فارق الحياة في صباح الخميس في ٢٥ شعبان ١٣٥٤ هـ / ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ م في قرية ستي عاتكة[بين حارم وسلقين] وبعد وصول النعي إلى إدلب اهتزت بأركانها وأذن المؤذنون وفي اليوم التالي أقيمت صلاة الغائب عقب ظهر الجمعة ، وألف وفد برئاسة نعمان أفندي نعمة وأعضائه غالب أفندي العياشي وأنور أفندي دويدري ، وجيه أفندي عياشي ، حكمت أفندي الحكيم والنائب نوري بك الأصفري ، وأرسلت برقيات منها : " عمّ الحزن إدلب فأغلقت حداداً على الراحل العظيم عزاؤنا أيقظ في النفوس من الطموح للمجد والتضحية في سبيل الحرية . الدكتور أنور دويدري "" (الصورة١٦٧-١٦٨)





---

[1] الوثيقة الأولى رقمها ٩٠ ص ٩٣ تاريخ ١٩٣٠/٧/٢٨ والثانية رقمها ١٩٩ الصفحة ٢١٠ تاريخ ١٩٣٠/٩/٣٠ في سجل وثائق المخابرات الفرنسية والموجود في مركز الوثائق التاريخية بدمشق))

(الصورة ١٦٧)الزعيم ابراهيم بن سليمان (الصورة١٦٨) الطبيب أنور دويدري هنانو(١٨٦٩-١٩٣٥م) (١٩١٠م - ١٩٨٢م)

ما بعد الثورة : كان من مبادئ الاستعمار الفرنسي تقسيم سورية إلى دويلات كدولة حلب، لكن المخلصين من أبناء المنطقة قد عارضوا هذه السياسة وعلى رأسهم إبراهيم هنانو، والطبيب حكمت الحكيم من إدلب، وكان نائباً عن إدلب في مجلس دولة حلب، وظل من المناضلين مع الوطنيين في حلب حتى تمت الوحدة بين دولتي حلب ودمشق . إذ نص القرار على اتحاد دولتي دمشق وحلب، اعتباراً من أول كانون الثاني ١٩٢٥م ، وأن تؤلفا دولة واحدة تسمى "الدولة السورية" ضمن الحدود لدولتي دمشق وحلب، وعاصمتها دمشق، على أن يحتفظ بحقوق وواجبات الحكومة المنتدبة. وطالما كانت "الكتلة الوطنية" هي وجه سورية السياسي فقد انضم إليها، وأسس فرعاً لها في إدلب وتجدّد انتخابه عن إدلب في. أدوار المجلس النيابي ١٩٣٦، ١٩٤٣، ١٩٤٧م .في سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م يقوم رئيس حكومة سورية الشيخ تاج الدين أفندي الحسني بجولة في المنطقة يرافقه والي حلب محمد نبيه المارتيني زار فيها معرة مصرين حيث ألقى مدير الناحية كلمته والشيخ إبراهيم الفوعيني والأستاذ رشيد أفندي اليونس واتجه إلى إدلب، وليكون القائمقام [مدير منطقة اليوم] على رأس كبار الموظفين وأعيان المدينة ويروي شاهد عيان من مرافقيه الحدث(وقد شاهدنا عشرات الألوف من الخلائق تسير أمامها مشايخ الطرق والطبول تقرع والزمور تنفخ ترحيباً بالرئيس الجديد، والعبلات ترقص على ظهر الهوادج، فساروا جميعهم في ركاب الموكب حتى المدرسة. وهناك نزل فخامته مع رفاقه. ألقى نقيب الأشراف كلمته متمنياً على فخامته الضرب على أيدي الأشقياء الذين يسطون على الزيتون فينفقون ثمنه على دور البغاء[1]، كما رجاه أن يأمر بإقصاء هذه الدور خارج المدينة، صيانة للأخلاق . ثم تقدم الشاب المهذب كامل أفندي الحكيم مدير المدرسة، وألقى خطاباً جميل المعنى واللفظ كان له الوقع الحسن. وأما تدشين سراي

[1] - كانت دور البغاء بإدلب قد سمح لها من قبل السلطات الفرنسية من أجل عساكرهم، لكن بعض الأهالي ترددوا إليها، وتقع في الغرب من سطوح البير، وتم إغلاقها فيما بعد بمساعي الشيخمحمد نافع شامي، والشيخ طاهر منلا الكيالي نقيب الأشراف حينذاك ، رحمهما الله !

الحكومة (الصورة ١٦٩) فقد ألقى دولة الوالي خطاباً أكد فيه على أهمية متنزهات جبل الأربعين، وحسن إنجاز سراي إدلب ولـجميل سعادة وصفي بك الساطي رئيس مهندس الأشغال العامة، وسعادة مستشار المصلحة المسيو فيوله، لما أبرزاه من الهمة، وما بذلاه من دقة، واعتناء في حسن إنجاز هذا البناء.(سترد تفاصيل عنها في بحث الحياة العمرانية في الجزء الثاني) ودعا الموظفين إلى العمل بالواجبات العامة، ثم ذهبوا إلى جبل الأربعين وفي مائدة الجبل. تم السماع لقصيدةألقاهاالأستاذ سامي الكيالي،وهي قصيدة من نظم فضيلة برهان الدين أفندي العياشي مفتي إدلب، فكان لها الوقع الجميل، ثم ألقى رئيس الوزراء كلمة نوّه بتقدم المنطقة الشمالية من الوجهة العمرانية وشكر المندوب المعاون المسيو لافاستر" . ومن القصائد التي ألقيت أمامه:

بقدومكم الديار ابتهجت سروراً ** وسمت منازلها عزاً وحبوراً

تنازلتم بتشـريفكم لافتتـاح دار ** بأيامكم للعدل شـيدت فخورا

فلا زالت البـلاد بفضـلكم ** ترقى وفيها تبنى الديار تعمرا

إدلب المخلص لشخصكم المحبوب الكريم "زين العابدين الفنري"

شرفت تاج الدين رحـب ديـارنا** وشغلت فكر بنيها عن نشر الثنا

ذهلت بشخصك عن ضحاها وأخرست** أوصـافك الغراء منها الألسـنا



(الصورة١٦٩) حفل تدشين دار الحكومة في ادلب ١٩٣٠م

اسمح إذا لم تقض وصفك حقه ** فعلى كلا الحالين أنت لها
المنى لازلت في شرف الوزارة تقتني** حب القلوب وذاك نعم المقتنى

إذا لم يكن رأس الحكومة سـيّداً** يكون لها تاجـاً فلا خـير ينجم

حتـى إذا آن الأوان بخيـرها** علا رأسها التاج الكبيـر المعظم

من قصيدة نظمها الشيخ سامي الكيالي قاضي إعزاز (حين تولى الشيخ تاج السلطة يمدحه فيها).كما زار حارم وسلقين فنزل في دار علي آغا الرستم .



(الصورة١٧٠) شاكر الشعباني وزير المالية في دار الحكومة عام ١٩٣٠م

شاكر الشعباني،و نبيه بك المارتيني في إدلب :دشنت السراي/ دار الحكومة عام ١٩٣٠م بحضور رئيس الحكومة.. لكن أول رسمي زارها هو وزير المالية شاكر الشعباني عام١٩٣٠م فأقيم له استقبال حافل في مدخل السراي ، كونه أول مسؤول يزورها(الصورة ١٧٠) تلاه والي حلب(نبيه بك المارتيني)في شهر كانون الأول ١٩٣٢م.تم استقباله في مدخل السراي(دار الحكومة)

وهوفي الوسط مبتسماً ،و طويل القامة مرتدياً معطفاً شتوياً طويلاً و يضع طربوشاً وماسكا بيده قفازاً (الصورة ١٧١). وتم عرض لفرقة الفنون الشعبية في ادلب(الصورة ١٧٢)

إدلب تفقد ثلاث شخصيات هامة:في عام ١٩٣١ فقدت إدلب ثلاث شخصيات هامة : القاضي عبد الكريم شامي والد الشيخ نافع (الصورة ١٧٣) والشيخ العالم الصوفي عبد الفتاح جحا ، والشيخ الشاعر عبد الرزاق جبيرو، والد الشيخ محمد خير، جد الأديب عبد الرحمن جبيرو.

هنانو في المنطقة: وفي هذه السنة ١٩٣١م يحضر هنانو إلى تفتناز ،



(الصورة ١٧١).نبيه المارتيني والي حلب في ادلب١٩٣٢م.يمسك قفازاَفي يده اليسرى ،ومعطف شتوي



(الصورة١٧٢)فرقة الفنون الشعبية في ادلب١٩٣٢م

ويحضر من إدلب لإستقباله قرابة ألفي شخص وتتلقاه الجموع العظيمة وفي هذا اللقاء الوطني يلقي الشيخ محمد نافع شامي (الصورة ١٧٤) كلمة مشبعة بالحماس الوطني،خطفها منه الصحافيون تضمن ختامها (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) موربًا فيه الزعيم هنانو ، على إثرها أجبروه على الاكتتاب في الكتلة الوطنية ومن أركانها في إدلب نوري أصفري وحكمت الحكيم، ولكن الخلاف يدب بينهما ويسعيان إلى عزله، بإصدار بيان في إحدى الجرائد أنهم عزلوا الشيخ نافع من الكتلة، رغم أنه ليس راغباً بالنيابة وروى الشيخ نافع

شامية " وبرزت في البلاد فكرة تجميع الشعب على ضرورة تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي, وتكتل لهذه الغاية رجال أشداء نظموا العمل, والسعي للغاية المذكورة, وعرفوا باسم (الكتلة الوطنية) وبحسب مشاركتنا لهم بهذا الهدف انسحب علينا اسم الكتلة, وأصبح النادي [يقصد النادي الأدبي الرياضي] مكتباً لهم , ثم أنشأوا في البلاد تنظيماً عسكرياً تحت اسم الحرس الحديدي يرتدى لوناً موحداً من اللباس يأتمر بأمر قائد واحد هو تحت تصرف الكتلة الوطنية في كل بلد , وتجري لهم زيارات ومقابلات برحلات منظمة ويقوم على تدريبهم عسكرياً اختصاصيون في كل بلدة وكان ذلك عام ١٩٣٦ ...... "



(االصورة١٧٣) الشيخ القاضي عبد الكريم شامي-توفي ١٩٣١م



(الصورة١٧٤) الشيخ محمد نافع شامي في شبابه(١٩٠٧-١٩٩١م)

كما كان من أركان الكتلة الوطنية نعمان نعمة ووحيد دويدري ووجيه دويدري واحمد حمدي فنري وفاضل رشيد والمحامي أنطوان غنوم وغالب العياشي الزميل الحميم لهنانو الذي منحه الثقة ليذيع أخبار الكتلة على الصحف ,وسعى بعد وفاة هنانو لتأسيس مكتب لها في إدلب فأثار هذا نقمة الفرنسيين عليه , وحاكموه , فحكم عليه بالسجن سنة مع ثلاث منع إقامة , وأخلي سبيله عام ١٩٣٦ بموجب العفو العام وفي عام ١٩٣٢م تساقط الثلج، وتكدس في الأرض

ثلاثين سم، وأثر في الحياة الزراعية. وفيها توفي المفتي الشيخ محمد برهان الدين العياشي ، فحزنت عليه المنطقة بكاملها ، إذ كان إحدى شخصياتها المحبوبة ، وكان أول حاكم عربي لإدلب من قبل الملك فيصل وكما ذكرنا سابقاً ، وقد رثاه عبدالحميد نعمة (الصورة١٧٥)

لئن مت يا فخر الأماجد لم تمت مآثرك العظمى تنير وتسطع

تضيء لنا نوراً ومجدك أرفع

وقد كنت بدراً في سماء بلادنا

[illegible]

لئن مت يا فخر الأماجد لم تمت — مآثرك العظمى تنير وتسطع

وقد كنت بدراً في سماء بلادنا — تضيء لنا نوراً ومجدك أرفع

غيره

يا رمس قد واريت بحراً زاخراً — في العلم والمجد الأثيل هماما

قد كان نجماً يستضاء بنوره — وسما بنا أوج السماء مقاما

فاختاره المولى لدار نعيمه — [illegible]

[illegible] حل الحور [illegible] مقبلاً — برهان أبشر في الجنان مقيما

[illegible]

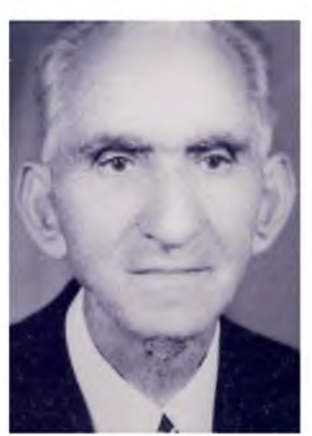
(الصورة١٧٥) الشاعر الشيخ عبد الحميد نعمة يرثي المفتي عياشي

حفل ديني في مدرسة ادلب :الحفل في مدرسة انموذج إدلب بمناسبة ليلة القدر ٢٩ رمضان ١٣٦٣ هـ ١٧ أيلول ١٩٣٤ م الصف الأمامي من اليمين مدير البنك ؟ الخوري بطرس رومي ، القاضي ؟ نائب إدلب نوري أفندي أصفري ، القائمقام صفوح بك العظم ، المستشار الفرنسي ريساك بالبدلة البيضاء وعصاه الرسمية ثم قائد الدرك ..؟ ومدير الطابو من كفرتخاريم . الصف الثاني من اليمين وراء الخوري الشيخ صالح غجر ، الشيخ محي الدين الكردي ، الشيخ حسن الكيالي .. الشيخ نافع شامي (خلف أصفري والقائمقام) وحيد أفندي السم ، ثم الحاج مصطفى أفندي مزنرة . هاشم آغا دويدري . والحاج سليم آغا دويدري .))(الصورة ١٧٦) وأما الحركة الكشفية ، شعارها (وأعدوا) بدأت نشاطها في حارم أولاً ، إذ كان قائدها الأستاذ عبد الحميد حميداني من إدلب ، وانتسب إليها طلاب المدارس طوعاً لمن يرغب ، ثم توسع نشاطها الى بقية المناطق..



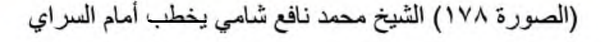
(الصورة١٧٦) لحفل في مدرسة انموذج إدلب بمناسبة ليلة القدر ٢٩ رمضان ١٣٦٣ هـ ١٧ أيلول ١٩٣٤ م

وفي إدلب تشكل فوج إدلب أيضاً بقيادة الأستاذ عبد الحميد حميداني ، والذي كان له الفضل في إنشائه بمدرسة أنموذج إدلب (ص ١٧٧) ،الذي كان تلميذاً عنده حينذاك " وجعل منه فرحة المدينة وزينة المحافظة وزهراً للوطن في تلك الأيام التي كانت فيها سورية تسير نحو الاستقلال بعد معاهدة ١٩٣٦ م " وقعت في يدي مؤخراً وثيقة موجهة من المكتب العربي بدمشق عام ١٩٣٧م إلى رجالات إدلب السيد نعمان نعمة والأستاذ محمد نافع الشامي تبدأ بـ ((تحية العروبة ! وبعد ، فاعتماداً على إخلاصكم للفكرة القومية العربية وجدارتكم في العمل ......)) الوثيقة تؤكد على إيقاظ الوعي القومي وتنميته في نفوس الشعب ، مع الابتعاد عن النزاعات السياسية المحلية . إذن إدلب هي نقطة شعاع مضيء في الوعي القومي العربي ، ولولا ذلك لما تم فتح مكتب عربي فيها !وليعلم الجميع أن أول علم عربي سوري رفع يوم الاستقلال في كفرتخاريم والثالث في إدلب والرابع في جسر الشغور .



(الصورة١٧٧)الأستاذ عبد الحميد حميداني(١٩٠٧-١٩٨٠م)





(الصورة ١٧٨) الشيخ محمد نافع شامي يخطب أمام السراي

الحوار الحاد بين شامي والمستشار الفرنسي: ((التقى الشيخ محمد نافع شامي بآخر مستشار فرنسي في إدلب (هبرار)،– والشيخ نافع عرف بصلابته

في الرأي- (الصورة ١٧٨) لمناقشته، وتقع مناقشة حادة بينهما، والذي طلب من القائمقام اعتقاله بعد المناقشة ـــ إذ قال له المستشار وبحضور الترجمان:أنتم سبب الإضراب وما دوافعكم إليه، إنكم ضعفاء كجرة الفخار، ونحن ككرة الحديد، وإذا تصادما، ستنكسرون. فأجابه الشيخ – رحمه الله – بعلياء:(لقد وصلنا نحن المسلمين إلى جبال البرينه بفرنسا، والناس يرفضون حكمكم ويطلبون الاستقلال والحكم الوطني ! إن القوي ما ولد قوياً، والضعيف ما ولد ضعيفاً،وسيأتي اليوم الذي سيصبح فيه الضعيف قوياً والقوي ضعيفاً)ويوعز المستشار للقائمقام بإيجاد وسيلة لإعتقاله بحجة تحريض الأهالي على الإضراب واعتقلوه في السجن الإنفرادي بضعة عشر يوماً .وكذلك اعتقل الفرنسيون غالب العياشي بتهمة الدعاية ضد الحلفاء وتم ارساله الى معتقل قضاء حارم . وبعد ثلاثة أشهر سقطت فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية واحتلت فرنسا من قبل الألمان، وانقسمت الحكومة الفرنسية إلى حكومة ممالئة للألمان هي حكومة فيشي ، وأخرى معارضة في المنفى . ولما كانت إنكلترا في حالة حرب مع ألمانيا فقد وقفت إلى جانب الحكومة المعارضة للاحتلال الألماني لفرنسا . وأما السلطات الفرنسية المنتدبة، فقد انصاعت إلى الحكومة الفرنسية في باريس . ولكي تطبق إنكلترا معارضتها لها، حاولت بكل الوسائل الدبلوماسية والعسكرية الضغط عليها . وكانت سورية حصتها عام ١٩٤١، إذ في ليلة(١٥ /١٦) عشرة من جمادى الثاني ١٣٦٠ هجري /٨ تموز ١٩٤١ قامت الطائرات الإنكليزية بضرب قصبة إدلب بالقنابل المحرقة والمتفجرة بطرفها الغربي بين الزيتون – وهي تقصد الثكنة العسكرية الفرنسية مع أنها كانت قد ضربت دمشق وحلب مسبقاً، حتى إن بعض أهالي حلب قد جاءوا إلى ادلب، خشية من تكرار القصف وفي إدلب الساعة ٣.٥ عربية طلع الأهالي إلى البرية هاربين خوفاً من القنابل إلى بين الزيتون وفي يوم الأربعاء ٢٢ جمادي الثاني ١٣٦٠ هـ / ١٦ تموز ١٩٤١ دخلت جيوش الإنكليز إلى حلب وإدلب وجميع أنحاء سورية[١]. لقذف مكان وجوده في ليل ١٨ /

---

[١] هذه رواية ربوع ولكن العياشي يرويها كما يلي " حين مر الجنرال دانس ممثل حكومة فيشي الفرنسية ونزل في بيت المترجم جنوب ادلب علمت قوى الإنكليز فأرسلت الطائرات ايلول/١٩٤١ ولكنها اخطأت

التحرك الشعبي من أجل الإستقلال: حين وقع العدوان الفرنسي في البلاد السورية في شهر ايار سنة ١٩٤٥ م، اشترك جميع أهل بلدة كفرتخاريم بمقاومة الفرنسيين يتقدمهم السادة خليل عبد القيوم ومحمد عبد القيوم ونافع عويد وأحمد عويد ومحمد عويد وسامي النسر ومحمد درويش الماضي ونافع كنجو، وكانت عواطف الأهلين تتأجج ناراً بفضل ما أبداه المجاهد الكبير السيد نجيب عويد قائد ثورة هنانو وفي سلقين تولى المجاهد المعروف الشيخ يوسف السعدون إدارة الحركات الشعبية ضد الفرنسيين . وفي حارم، أسهم الشيخ سليمان عبد الحميد مفتي حارم في توجيه أعمال المقاومة ضد الفرنسيين على أوسع نطاق . وكانت أول الثكنات العسكرية التي استسلمت للقوى الوطنية بعد معارك دامية ضارية هي ثكنات كفرتخاريم، جسر الشغور، إدلب، الجزيرة، دير الزور، جرابلس، حلب . لقد تحرك كل المجاهدين لينسقوا مع بعض في سبيل تحقيق أملهم [١] وبسرعة نقلت أسلاك البرق هذا النصر في كفرتخاريم، وأخذوا يستعدون لمناصرة كل منطقة تطلب منهم المؤازرة، وقد وردت إليهم الرسالة التالية من قائمقام جسر الشغور آنذاك المرحوم عبد الله التامر موجهة إلى الشيخ يوسف سعدون "حضرة المجاهد الكريم الشيخ يوسف السعدون وتحية الوطن والدين وبعد : تلقيت برقية من الجنرال / القائد العام الإنكليزي لمقابلته غداً الساعة الثانية عشر (ظهراً) في إدلب وعرض مطاليبنا عليه، لذا ولما كان لمجاهدي الشمال عظيم الفضل وكبير الأثر في أداء الرسالة التي تعهدنا بها رأيت والله الموفق ان ترافقني ولذا آمل أن تكون بعون الله عندي صباحاً في الجسر على أن تبلغوا إخواننا المجاهدين بانتظار ما سوف تحملونه إليهم من قرارات . وان يلبوا نداء الوطن . والحركة لخلودهم إلى السكينة والهدوء، ريثما ينجلي الموقف . هذا ولا يسعني إلا أن أحملكم أعباء تبليغ جميع المجاهدين أسمى احترامي وتقديري لبطولتهم في الجهاد إلى الملتقى القريب إلى الساعة التي يختفي فيها كل فرنسي من البلاد بإذن الله

---

[١] ذكر يوسف السعدون شعوره حينذاك بقوله مخاطباً روح هنانو (أيها الراحل لقد أينعت شجرة جهودك وإخلاصك وتمكن رجالك من قطف ثمارها فنم هادئاً قرير العين) .

واسلموا جميعاً ". أحد رفاقكم قائمقام الجسر عبد الله التامر . وبسرعة عبأ أصحاب الغيرة والنخوة من أبناء كفرتخاريم وسلقين وحارم أنفسهم متجهين الى جسر الشغور وتمكنوا من تحريرها، وثم قرر الوطنيون التحرك لتحرير الثكنة العسكرية في إدلب ،وروى لنا العياشي في كتابه (....اتفق عدد ضئيل من الأشخاص على اقتحام الثكنة وحددوا موعداً لذلك, ولما علم الجواسيس والخونة المتفرنسون بالأمر اخبروا السلطات الافرنسية عن طريق ايفاد اشخاص ارسلوهم لهذه الغاية. لأن اسلاك البرق قد تعطلت ليلاً في مدينة إدلب كلها وكان ذلك بواسطة الشباب الوطني والفدائيين ومنهم المجاهد السيد أمين بكرو والسيد عبدو عيسى فاحتاط الأفرنسيون للأمر واعدوا العدة له بارسال قوة جاءت لإدلب ولدى وصولها أخذت تطلق الرصاص من مدافعها الرشاشة وحاصرت البلدة بالدبابات والمصفحات من كل جهاتها وهددت بطائراتها الثلاث جموع الأهلين المحتشدة بالشوارع بانقضاضها وتحليقها فوق المدينة عن كثب . ولكن ذلك ما كان ليرهب أو يخيف الشباب الوطني الثائر على العدوان بل زاده إقداماً وجرأة وشجاعة وإيماناً. وقرروا بعد الاتفاق مع بعض الضباط السوريين داخل الثكنة، منهم فيصل الأتاسي وقائد الدرك أحمد نادر ياغان على مهاجمتها في١٧حزيران١٩٤٥م/٨رجب١٣٦٤هـ[١]ووقعت معركة عنيفة مع القوات الفرنسية، وآزر القوة الوطنية شباب من سراقب يتزعمهم محمد محمود الخالد وبعض الضواحي (الصورة١٧٩)، رمى الضابط الفرنسي من الشباك،وتحريرالثكنة: حين ثار أبناء ادلبوريفها لتحرير ادلب من الفرنسيين, نوجز ما يلي : وحين لاحظ الفرنسيون اشتداد المعركة، قرر القومندان (دوفيليتري) ومرافقه الملازم (فينيل) الخروج من الثكنة لمقابلة القائمقام [مدير المنطقة] في دار الحكومة المجاورة، وفي طريقهما قتل الملازم فينيل رجلاً بمسدسه ضمن السراي ((فما كان من الأهالي الموجودين في السراي إلا أن استفزهم هذا العمل المنكر واثار ثائرتهم وروح الحمية فيهم والأخذ بالثأر.. وفي مقدمتهم المحامي الأستاذ وحيد الخربوطلي والحاج هاشم

---

[١] ذكر الأستاذ علي رضا التاريخ في شهر أيار /١٩٤٥ م بل هي في كفرتخاريم ولكن رواية شاهد العيان ابن إدلب الشيخ ربوع هي الأصح.بينما رواية الشيخ شامية رفع العلم السوري فوق الثكنة الساعة الحادية عشرمن نفس النهار الذي بدأ فيه القتال الثلاثاء ١٨ / ٦ / ١٩٤٥ وكذلك العياشي.... ص ٤٨٩ و ٤٩٠ ..

قصاص، وفريق من آل قره محمد، وشاباش، والمعدل، فصعدوا لمكتب القائمقام واقتحموا بابه الموصد فعمد القائمقام (الصابوني) لصد الأهالي





(الصورة١٧٩) تجمع المجاهدين أمام الثكنة العسكرية قبل اقتحامها, بينهم مؤلف الكتاب غالب العياشي

(الصورة ١٨٠) ساعة الضابط الفرنسي

ومنعهم من الدخول وهذا مازاد من عنف الأهلين واشمئزازهم منه, وإصرارهم على اقتحام مكتبه وبالفعل تمكنوا من خلع باب المكتب والدخول على الضابطين وانهالوا عليهما وعلى رئيسهما بالضرب بالكراسي والعصي إلى جانب اطلاق بعض العيارات النارية للإرهاب . فذهل الضابطان لهذا الموقف الحرج وبعد هنيهة من هذه المعركة دخل الدركي- الشرطي- (مصطفى سميسم) من أهالي بنش بين صفوف الأهلين المحتشدة وسرعان ما صوب بندقيته نحو الضابطين، وأطلق على الأول، والثاني الرصاص فأرداهما قتيلين .. وعلى الإثر انقض عليهما بعض الشباب، والأهلون من ورائهم وحملوهما ،ثم القوا بهما من نافذة مكتب القائمام إلى الشارع(الصورة١٨٠) .

وبقي القتال متواصلاً بين الأهالي، والافرنسيين المحاصرين في الثكنة حتى الساعة الحادية عشرة ساعة استسلام الحامية الفرنسية . ورفع الإشارة البيضاء فوق الثكنة، فهدأ اطلاق الرصاص واستكانت الحالة واقتحم المجاهدون ابواب الثكنة وسلم الجند انفسهم واسلحتهم للقوة الوطنية وأنزل العلم الأفرنسي , ورفع العلم السوري فوق الثكنة وقد كان لمقتل هذه الضابطين عظيم الأثر

وكبير الوقع في نفوس الأفرنسيين وهكذا انتهت المعركة بهذه السرعة بعد أن استشهد من الأهالي شخص واحد وأصيب ستة أشخاص منهم جندي.))وفي رواية أخرى كانت المفاوضات بين الأهالي والفرنسيين وتدخل فيها عدنان نعمان نعمة[١] بواسطة موظفين كبيرين من دمشق. حمل عدنان ورقة مطاليب الشعب, ودخل إلى الغرفة ليفاوضهم باللغة الفرنسية التي يتقنها, ولكن ثورة الأهالي لم تهدأ وصعدوا الدرج إلى الطابق الثاني, وطلب القومندان - أطلق عليه الأهالي اسم المستشار – إغلاق الباب وكان بجوار عدنان فرنسيين, يرفع أحدهم المسدس لضرب الأهالي ولكن عدنان يمسك المسدس بيده من الآخر, ويصيب زميله الفرنسي قبل فتح الباب من قبل الأهالي فثار الشعب يتبعهما إلى غرفة القائمقام واقتحموا باب غرفة القائمقام بعد كسره، وانهالوا عليهما بالضرب، وأمسك بهما الأهالي، وضربوهما حتى قتلا ورموهما إلى الشارع، أمام مدخل دار الحكومة ليراهما الناس(الصورة١٧٧) . وروى لنا الشيخ نافع شامية " أن عدنان نعمة بن نعمان (والذي أصبح محامياً لامعاً فيما بعد) أقدم على رمي اثنين من الجند الفرنسي من الشباك" وأما الأهالي فقد هللوا وكبروا بينما جنود الثكنة استمروا بالقتال. ولكن المناضلين وقفوا لهم صفاً واحداً حتى تم رفع العلم الأبيض فوق الثكنة . واستسلم الجند مع أسلحتهم وأنزلوا العلم الفرنسي، ورفع الأهالي العلم السوري فوق الثكنة مهللين الله أكبر . واستشهد من المناضلين واحد، وأصيب ثمانية بجراح، وقتل ولد عمره ثماني

---

(١) كان والد عدنان نعمان نعمة(١٨٩٨-١٩٦٧) من العائلة الوطنية الكريمة والتي لها أياد بيضاء على إدلب - وكما سيرد في الجزء الثاني فهم كما ذكرنا العقيد مصطفى نعمة مدير الأمن العام في حكومة فيصل – كان نعمان صديق هنانو ومن عصبته الوطنية ومن أصحاب سعد الله الجابري ومن رجالات الحزب الوطني. كان تاجراً كبيراً يخزن الأسلحة للثوار والجتى, مرة قام الفرنسيون بحملة مباغتة إلى بيته, لكن زوجته خبأت الأسلحة بالجب (البئر), ماعدا السلاح الخاص والثمين خبأته في لفة الطفل. أما ابنه عدنان فقد سجن مع المناضلين وهو طالب جامعي بتهمة التحريض على الأحزاب والمطالبة بالحقوق السياسية.مارس المحاماة عام ١٩٤٧ إلى وفاته (١٩١٩-١٩٦٧) في مجلة الضاد الحلبية أيلول ١٩٧٥ ذكر لمحمد سيرجية الحلبي والموظف بإدلب ١٩٤٥ أنه غامر بوظيفته، وقاد الشعب في إدلب وجبل الزاوية لاحتلال الثكنة الفرنسية، وشارك في إجلاء أول قافلة للمستعمر عن أرض الوطن .!

ســنوات فقط كما ذكر الشــيخ ربوع في مذكراته [1] . وهكذا يمكن القول إن إدلب كانت من السباقين إلى إخراج المستعمر ولتحتفل فيما بعد بعيد الجلاء عن القطر في ١٧ / ٤ / ١٩٤٦ ونقدم وصفاً حياً ليوم الجلاء بإدلب كتبه حينذاك الصحفي الكبير منير الريس. : (ما كاد يبزغ فجر اليوم السابع عشر من نيسان على إدلب حتى هبت المدينة إذ تحتفل باليوم العظيم يوم الجلاء والاستقلال الناجز والحرية المطلقة من القيود فازدانت المنازل والشرفات بالأعلام والسجاد وصور أبطال هذا الاستقلال، هنانو، والأتاسي، والقوتلي، وغيرهم من الأفذاذ.وما أزفت الساعة الثامنة حتى انتظمت العبلات وأخذت تسير بين دق الطبول ونغمات المزامير والأهازيج الشعبية تشق عنان السماء وطافت كشافة المدرستين الاكمالية والابتدائية شوارع المدينة وأحياءها بموسيقاها بين زغاريد النساء، وهتافات الجماهير.وفي تمام الساعة التاسعة أطلقت المدافع إيذاناً بحلول الاحتفال الرسمي، وعندئذ انتظمت الجموع أمام دار الحكومة في المقدمة رجال الدرك البواسل والكشافة وتلميذات المدارس اللواتي ظهرن بحللهن الزاهية ونظامهن البديع وافتتح الاحتفال بالنشيد السوري .ثم تكلم القائمقام فألقى خطاباً بليغاً هنأ فيه أبناء الأمة بهذا العيد الأغر وذكرهم بأن جهادهم لم ينته بعد إلا ليبدأ من جديد وأن الجهاد في العهد الجديد يتطلب عزماً أكيداً ونضالاً صادقاً، وانصرافاً من الأمة إلى أعمالها ليتسنى لهذا الوطن الوليد أن يترعرع ويتربع المقام اللائق به بين الأمم العربية الشقيقة وبقية الأمم الغربية عامة.فكان لخطابه أبلغ الأثر في النفوس وأكبر الأثر في القلوب .ثم تكلم قاضي الشرع الأستاذ الشيخ طاهر الكيالي فارتجل خطاباً بليغاً تحدث فيه عن فظائع الفرنسيين، وكيف حفروا قبورهم بأيديهم، وقد أثار خطابه حماساً عظيماً في الجماهير، وتبعه الأب نعمت الله الرئيس الروحاني فتكلم عن هذا العيد وافتتحه بقول أمير الشعراء :

في مجلة الضاد الحلبية أيلول ١٩٧٥ ذكر لمحمد سيرجية الحلبي والموظف بإدلب ١٩٤٥ أنه غامر بوظيفته، وقاد الشعب في إدلب وجبل الزاوية لاحتلال الثكنة الفرنسية، وشارك في إجلاء أول قافلة للمستعمر عن أرض الوطن .!

ثم ألقى الأستاذ شهير أصلان قصيدة طيبة كان لها وقع طيب في السامعين، ثم ألقى الشاب السيد فهمي المعلم كلمة حماسية موفقة .ثم سارت الجموع وفي المقدمة القائمقام وأركان الحكومة في إدلب إلى أمام الثكنة معقل الطغاة المستعمرين بالأمس . وبعد أن انتظمت الجموع وقف أستاذ المدرسة الإكمالية السيد أحمد نعسان آغا (أبو وضاح) (استاذي في الإعدادي –اللغة العربية ،خريج مكتب عنبر في دمشق،عين معلماً عام١٩٣٤م)(الصورة ١٨١) وألقى خطاباً رائعاً قارن فيه بين عهد ذقنا فيه مرارة الاستعمار، وعهد ننعم فيه بلذة الاستقلال ونعيمه .ثم تلا السيد فائق العياشي قرار المجلس البلدي القاضي بتسمية الثكنة العسكرية [١]باسم "ثكنة هنانو" وبتسمية الشارع الذي يبتدئ من الثكنة ،

ويتجه غرباً باسم شارع فيصل .ثم مثلت رواية صغيرة ودبكة عربية من قبل طالبات المدرسة غنين فيها أغاني ممتازة شعبية . أما أفراح الليل فما كانت روعتها تقل عن روعة المهرجان في النهار، فقد طافت الكشافة بموسيقاها ومشاعلها شوارع المدينة تحيط بها جماهير الأهلين .وكانت الزينات الكهربائية والأسهم النارية والشعل المختلفة رائعة باهرة وظلت الأفراح مستمرة إلى الصباح.واستمرت الأفراح الشعبية على هذا المنوال طول اليومين التاليين أيضاً، وانتهت بالدعاء أن يوفق الله قادة الأمة المخلصين لتدعيم كياننا واستقلالنا . ولا بد لنا من التوجه بالشكر والامتنان للجهود التي بذلها قائمقام القضاء وقائد الدرك فيه وكبار رؤساء الدوائر وفضيلة القاضي الشرعي ومديروا المدارس لتنظيم الحفلات الرائعة،



الصورة (١٨١) الأستاذ أحمد نعسان آغا(١٩٠٨-٢٠٠٤م)

(١) موقع الثكنة الآن هو قصر المحافظة والقصر العدلي

والمحافظة على النظام والأمن، فكانت حقاً من أيام إدلب الخالدة).

رابعاً- ما بعد الاســـتقلال :عاشت إدلب ومنطقتها عهد الاستقلال , لتهنأ بثمرة ثورة هنانو , ولتبدأ حياة جديدة , ولتقيم احتفالاً كل عام بهذه المناسبة أمام دار الحكومة ، وفي الشارع الرئيسي المسمى (شارع القوتلي)وكان أول قائم مقام(مدير منطقة) بعد الاستقلال السيد عز الدين الصابوني ...وقد أصبحت إدلب تمثل في الحكومة الوطنية الأولى : التي تشكلت عام ١٩٤٦م:

١-الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية ٢-جميل مردم بك رئيس الوزراء ٣- الطبيب حكمت الحكيم (من ادلب) وزير الاقتصاد(والصحة) ٤- أحمد الشراباتي وزير الدفاع ٥-سعيد الغزي وزير الداخلية.
في حديقة المتحف الوطني بدمشق. (الصورة ١٨٢)..



(الصورة ١٨٢) الحكومة الوطنية الأولى ١٩٤٦ م ١- الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهوريّة السوريّة ٢- جميل مردم بك رئيس الوزراء ٣- الطبيب حكمت الحكيم (من ادلب) وزير الاقتصاد (والصحة) ٤- أحمد الشراباتي وزير الدفاع ٥- سعيد الغزي وزير الداخليّة في حديقة المتحف الوطني بدمشق

وتقلد الطبيب حكمت الحكيم نائب إدلب في الحزب الوطني منصب وزارة الاقتصاد الوطني من ٢٨/كانون الأول ١٩٤٦ م إلى ١٩٤٨/٨/١٩ م ونائب رئيس المجلس النيابي ١٩٤٧، كما ترأس مجلس النواب عام ١٩٤٨ بصفته نائباً للرئيس من ٨/٢٨/إلى انقلاب حسني الزعيم ٣٠/٣/ ١٩٤٩ م، ترحيباً به

في ادلب،إذ ساد الأمن في عهده ..في عام ١٩٤٧م يزور ادلب الرئيس شكري القوتلي مع سعد الله الجابري، يرافقه الطبيب النائب حكمت الحكيم (الصورة١٨٣) إلى يمينه، والمفتي شريف المارتيني إلى يساره... و.يظل الشعب يقيم احتفلاته بالاستقلال في كل عام(الصورة١٨٤)



(الصورة ١٨٣) الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهوريّة السوريّة يخطب أمام دار الحكومة في ادلب١٩٤٧م



(الصورة ١٨٤) الاحتفال الرسمي والشعبي بالعيد الوطني في ادلب عام ١٩٥٢ م أمام دار الحكومة, يظهر في الوسط فوزي الكيالي مدير ثانوية المتنبي (وزير الثقافة فيما بعد) يليه مصطفى أصفري مدير المدرسة الابتدائية بينهما للخلف عبد القادر فنري وخلفه الخوري جرجي غالي

مساهمة أبناء ادلب في حرب فلسطين : حين أعلن فوزي القاوقجي عن تشكيل جيش الإنقاذ وإرساله إلى الحدود الفلسطينية تطوع الطبيب أديب الأصفري فيه، وشكل مشفى ميداني لعدة أسابيع , وذهب الكثير من أبناء

المنطقة متطوعين في هذا الجيش منهم المجاهد عمر الأبرش[1] من معرة النعمان ، ومن إدلب عبد الغفور حميداني- قائد كتيبة- (الصورة١٨٥) ومصطفى عبد اللطيف أسود وجميل عبسي قوصرة ونجدت بن رأفت حميداني وعبد العزيز زكور.. حصلنا على وثيقة جديدة هذه الصورة ،وهم من اليمين(محمدرسلان من بنش–استشهد-أحمد سليمان عوض وأ حمد هاشم كشايا من ادلب. والمجاهد أمين بكرو الذي أسر في إحدى المعارك في قلعة صفد (الصورة١٨٦) واستشهد فريد قريدهناك (الصورة ١٨٧) كما استشهد مصطفى ابن الشهيد مصطفى الجباس في مجدل شمس برصاص وقذائف العدو الصهيوني عام ١٩٤٨ م . وننوه إلى أن النائب غالب العياشي قد تطوع مع فرقة إدلب وحماه ليسيرا معاً نحو القتال في كل من مستعمرات (جب يوسف, عين زيتين, تل نبي الله يوشع, تل الفخار, المالكية, صفد, قدس وغيرها.....) وفي عام ١٩٤٨ ساءت الأحوال في سورية والألم من أوضاع فلسطين, وفي جلسة سرية كانون الثاني ١٩٤٩ في المجلس النيابي تقدم النائب غالب العياشي وأخذ يشرح وضع فلسطين شرحاً دقيقاً ويظهر مالديه من حجج ووثائق وبراهين ثابتة تدين المسؤولين وتدل على تدخل الأيدي وتلاعبها بمقدرات البلاد والعبث بأموال الأمة التي صرفت عن طريق وزارة الدفاع " أحمد شرباتي" وعندها غضب السيد الشرباتي لهذه الحقائق واشتد حنقه وجرت بينه وبين العياشي مشادة ومخاصمة عنيفة أدت إلى تبلبل الموقف في تلك الجلسة ودعت إلى تأجيلها وانفضاضها ,وقد انتشر أمر هذه الحادثة في أرجاء دمشق وعلم بها الطلاب الجامعيون فأعدوا العدة. وفي اليوم الثاني خرجوا في مظاهرة كبيرة اشترك فيها الشعب الدمشقي وأتوا إلى المجلس النيابي ينددون بالخونة وسيرتهم ويهتفون للمخلصين. فخرج العياشي لملاقاتهم وتكلم امامهم بوصفه نائباً في المجلس وشرح لهم الموقف على علاته.

---

[1] - ظل منذ يفاعته يجاهد .. واعتقلته السلطات الفرنسية وهو في العقد الثاني وحكمت عليه بالإعدام وخفف الى السجن المؤبد لصغر سنه ، وبعد صدور العفو إفرج عنه التحق بثورة ١٩٣٦ بفلسطين كما شارك سعيد العاص في بطولاته . في عام ١٩٤١ شارك بثورة رشيد الكيلاني في العراق . في عام ١٩٤٥ شارك بمعارك جبل الزاوية وحماه . كرّمه الرئيس حافظ الأسد

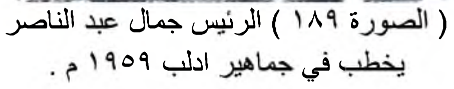
في عام ١٩٥٧ م تشرين الأول حشدت تركيا قواتها على الحدود ، وبدأ الأهالي يستعدون للحرب , إذ طليت المصابيح في الشوارع للتعتيم , والناس تدربوا على السـلاح واسـتخدام القنبلة الزجاجية , ونحن ذهبنا إلى غرب إدلب بعد العقيبة(مكان الملعب البلدي) لنحفر الخنادق , وكان عمري ثلاثة عشر سنة ،وكنت أحفر بجوار خوري إدلب , وفي ١٩٥٧/١٠/١٥ وزع علينا السلاح والزجاجات المملوءة بالمواد المشتعلة , الشبيهة بزجاجات مولوتوف ضد الآليات وصنعت القنافذ ذات الرأس الحاد ضد الآليات .

ادلب في عهد الوحدة:في ١٩٥٨/٢/٢٢ تحققت الوحدة بين سورية ومصر , ومن بين الموقعين على الوحدة مع الرئيس شكري القوتلي كل من عبد الحميد دويدري نائب إدلب ونجدة النجاري نائب جسر الشغور ، وفرح شباب إدلب كل الفرح , وكنت أحد المراسلين للرئيس عبد الناصر مهنئاً ,



(الصورة١٨٨)الطبيب محمد أديب أصفري (١٩٢١ – ١٩٨٣م) من الداعين إلى الوحدة مع مصر





(الصورة ١٨٩) الرئيس جمال عبد الناصر يخطب في جماهير ادلب ١٩٥٩ م .

فأرسل لي صورته الشخصية , ثم فقدت . في بداية عهد الوحدة مع مصر أصبح النائب عبد الحميد دويدري رئيس اللجنة التنفيذية للإتحاد القومي في إدلب، والمحافظة . ((...حين وصلها خرج المواطنون عن بكرة أبيهم يستقبلون البطل المظفر، والقائد الملهم عبد الناصر، وضيفه الكبير الماريشال تيتو والأمير محمد البدر ولي عهد اليمن وصحبهم الأكارم . وكانت الأعلام العربية واليوغسلافية واليمنية ترفرف على مدينة إدلب , وقد حمل المواطنون آلاف اللافتات الترحيبية, وارتفعت الهتافات بحياة سيادة الرئيس ..



(الصورة ١٩٠) الجماهير في ادلب ترحب بالرئيس جمال عبد الناصر (ابن الزير صاحب القبعة يحاول رفعه) .



(الصورة ١٩١) الرئيس جمال عبد الناصر يحيي جماهير ادلب بجانبه الرئيس تيتو .

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في إدلب : أيها الأخوة المواطنون التقائي بكم اليوم وفي الأيام الماضية بإخوتكم في جميع مدن الإقليم السوري.... إن هذا اللقاء له أهمية كبرى. وفي الحقيقة لقد كنت في حاجة إلى هذا اللقاء لأدعم قوتي بالقوة التي لمستها فيكم.. وإلى بعد عام من زيارتي لهذا الإقليم, كنت في حاجة لأن ألقاكم, وأشعر بالقوة وبالعزم وبالروح العالية والتصميم.. وإن الشعارات التي سمعتها في مدينتكم هنا, ليست مستحيلة التحقيق بعد أن رأيت هذه القوة وهذا العزم وهذا التصميم وهذا الإيمان .وإننا أيها الأخوة بالوعي الذي لمسته, نستطيع أن نحقق المجتمع الذي يشعر فيه كل فرد بالحرية والعدل

والمساواة ... والذي يبنى على العدالة الاجتماعية .. المجتمع الذي يشعر فيه كل فرد بأننا قد حررنا إرادتنا, وحصلنا على استقلالنا وخلصنا من الاستعمار.. ولن نتمكن أيها الأخوة أن نحمي هذه الأهداف وهذه المبادىء التي تحققت في وطننا إلا إذا حررنا إرادة الفرد .. إن هذه أيها الأخوة هو ما نعنيه من إقامة ديموقراطية اجتماعية, وإقامة عدالة اجتماعية. أما بعد أن حررنا الوطن والأمة, فإننا نعمل الآن على تحرير الفرد, وإننا بهذا نسير إلى السبيل الذي يتمناه كل فرد منكم والله يوفقكم السلام عليكم))



(الصورة ١٩٢) الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس تيتو بين معلمات ادلب، و التلامذة



(الصورة ١٩٣) حسين الشافعي نائب رئيس الجمهوريّة الذي زار ادلب عام ١٩٦٠ م .

ومن **كلمة الرئيس اليوغسلافي في إدلب** :" رأيت إخلاصكم لزعيمكم ولايسعني إلا أن أهنئه وأن أهنئكم بأن يكون لكم هذا الزعيم وهذا الزعيم الذي يحبكم ويبادلكم المشاعر والإحساس ويسعى جاهداً لإسعاد جيلكم الناشىء.إن هذه الشعارات.. كانت نفس الشعارات التي تتردد في بلادنا هي الحرية والإيمان و الإتحاد و القوة .فبالوحدة تتطلع بلادكم ويتطلع شعبكم إلى مستقبل أفضل فسيروا إلى الأمام لتحققوا النجاح " من كلمة الأمير بدر " إنني لا أستطيع أن أعبر لكم عما يختلج في جوانحي من أحاسيس . وإني أحمد الله

لأعبر لكم عن المشاعر والأحاسيس ولأذكر لكم أننا في اليمن معكم بأرواحنا ودمائنا إلى المستقبل الزاهر الذي بنيناه بأيدينا والذي وضع حجره الأساسي الرئيس جمال عبد الناصر.وقال الأمير بدر إن الواجب علينا أيها الأخوان أن نحافظ على ذلك وأن نكون صفاً واحداً والله يوفقكم."[١]

الفصل السادس- الحياة الإدارية

أولاً: في العهد القديم :

لم يرد في النصوص حول تبعيتها الإدارية، غير ما ورد في الوقائع والحوليات بشكل عام.(هذه عرضت في كتابنا-من إبلا إلى ادلب)لكن نشير الى ذلك، بما يلي: تناوبت تبعية المنطقة حسب المنتظم السياسي في الشمال السوري. ففي عصر إبلا هي تابعة لها(الصورة١٩٤), وفي عصر لا حق تابعة لمملكة يمحاض في حلب ، وفي آخر إلى مملكة ألالاخ (تل عطشانة)في سهل العمق وبعدها إلى مملكة حزرك في تل آفس.. وحين جاء اليونانيون(الاغريق المقدونيون, ثم السلوقيون) وشكلوا المملكة السلوقية، أو المملكة السورية, كانت عاصمة المنطقة في سلوقيا (١٩٥) على البحر المتوسط, ثم تلتها أنطاكية في العهدين السلوقي، والروماني أصبحت المنطقة تابعة لأنطاكيا العاصمة السياسية لسوريه في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي. لعل التشابه في اختيار عاصمتي سورية المتجاورتين يوقعنا في إشكال ،ولنتحدث عن المملكة السورية في العهد السلوقي بعد الاسكندر المقدوني القرن ٣-١ق م.

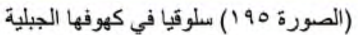
---

[١] جريدة " الجمهورية" المصرية عدد ١٨٩٧ السنة /٧/ أول آذار ١٩٥٩ وجريدة آخر دقيقة الحلبية عدد /٨٣١/



(الصورة ١٩٤) مجسم ابلا مع سورها





(الصورة ١٩٥) سلوقيا في كهوفها الجبلية

وكيف تم اختيارهم لموقع سلوقيا العاصمة الأولى قبل أنطاكية ،هي تطل على البحر، وفي سفح جبل, سهل الدفاع عنه, كونه محمي من الداخل .أما موقع أنطاكية، فهو كذلك محمي من الداخل، كونها وقعت في سفح جبل سيليبيوس (حبيب النجار الآن) وأمامها نهر العاصي كسور دفاعي طبيعي. الاثنتان كان فيهما سور وأبراج دفاعية أشار إليهما الرحالة.(الصورة١٩٦-١٩٧)



(الصورة ١٩٦) انطاكية في مطلع القرن العشرين



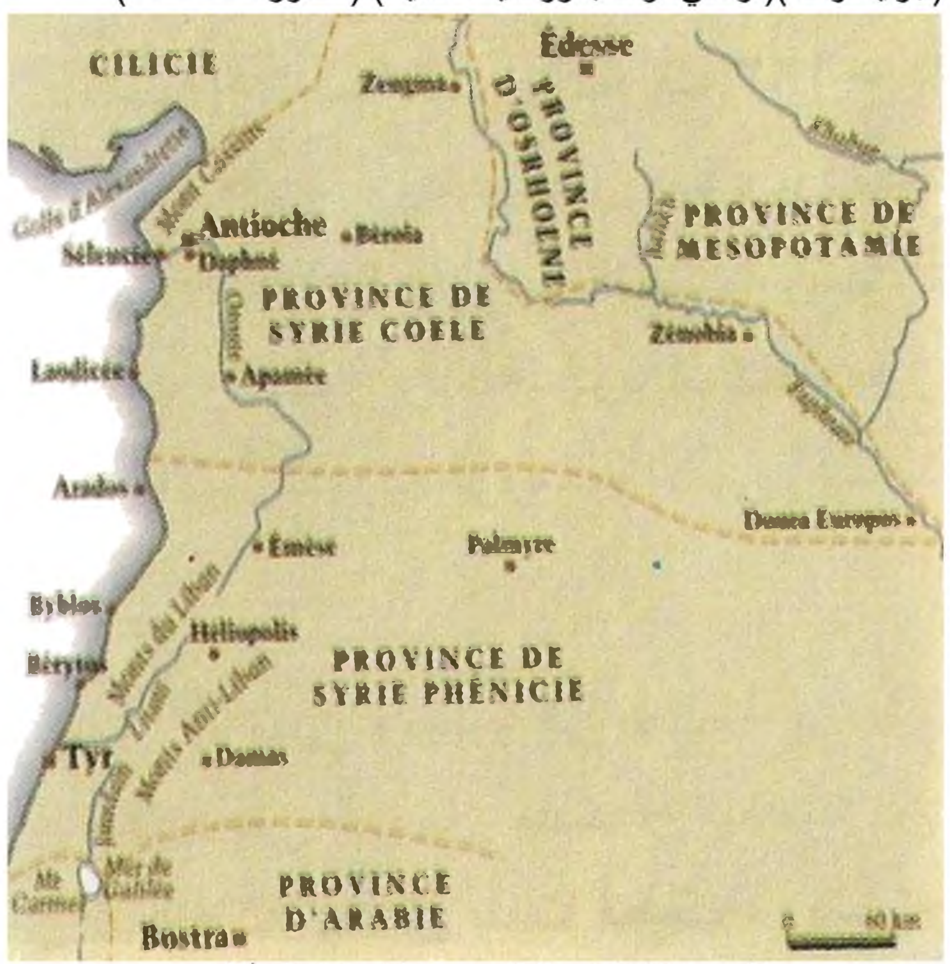
(الصورة ١٩٧) انطاكية مع سورها- رسم لرحالة عام ١٦٣٠م

في الأولى ملاحة بحرية, وفي الثانية ملاحة نهرية. كل منهما لها طبيعة خلابة, ومياه غزيرة ففي سلوقيا نهر, ما زالت مياهه القليلة, إضافة إلى القنوات الإصطناعية(نفق تيتوس) (الصورة ١٩٨)


(الصورة ١٩٨) نفق تيتوس في سلوقيا- ق٢م

وفي أنطاكية التي طفحت بالمياه من نهر العاصي غرباً, ونهر بارمينوس شرقاً, إضافة إلى القنوات المتصلة مع ضاحيتها الجنوبية دافني/ حربية الآن.عم السلام ونهضت البلاد خاصة في المجال الاقتصادي, وأصبحت عملة أنطاكية هي المتداولة ..يمكن اعتبار النصف الأول- القرن الثالث(عهد الأسرة السيفيرية ا لسورية) هو عهد رخاء وسلام, ..ذكرنا في كنابنا(من إبلا إلى ادلب) مايلي((..إلى أن جاء سبتموس ســـفيــروس(١٩٣ – ٢١١ م) ليضع حداً لذلك، ولكي لا يحاول أي حاكم من حكام الولاية السورية تنصيب نفسه امبراطوراً، عمد إلى تقسيم الولاية إلى ولايتين هما : سورية الشمالية، أو المجوفة وعاصمتها إنطاكية وتمتد من أقصى الشمال حتى سهول العاصي . وسورية الجنوبية، أو الفينيقية، وعاصمتها حمص، تبدأ من البحر إلى تدمر، وتضم صور وبعلبك (الصورة١٩٩) وقد سبق لهذا الإمبراطور أن كان قائداً للفرقة الرابعة في المنطقة عام ١٧٩ م وسخر منه أبناء إنطاكية حين أقام فيها في هذا العام . وأما لاذقية فقد كانت تغار من إنطاكية، فأيدت سفيروس، مما دفعه إلى معاقبة إنطاكية بتخفيض مكانتها الإدارية إلى مرتبة قرية تابعة للاذقية والتي جعل منها العاصمة .. وهكذا يمكن القول إن المنطقة أصبحت

في عهده تابعة للاذقية ، و بفضل زوجته السورية المنشأ – من حمص – (جوليا دومنا)(وتعني *دومنا* بالرومانية ، السيدة) (الصورة٢٠٠-٢٠١)



(الصورة ١٩٩) خريطة تقسيم سورية في ق٢م إلى أقاليم

كذلك في القرن٤-٦م عهد سلام ورخاء إذ نهضت البلاد في كل المجالات. يمكن القول إن إدلب الشمالية قد كانت لها علاقات تواصل مع أنطاكية زمن حكم التدمريين أكثر من حلب, كون إدلب هي على الطريق التجاري بين تدمر العاصمة (الصورة٢٠٢.) وأنطاكية.. تأثرت إدلب بالزلازل،والنوائب عبر العصور، كـ مرض الطاعون الذي انتشر في المنطقة ٥٤٢م فقل عدد السكان .ثم فيما بعد في الفتح الاسلامي تابعة إلى جند قنسرين (قرية أو تل العيس

غرب حلب). وقسمت إدارياً إلى كورة معرة مصرين ،وكورة مرتحوان (معارة الاخوان اليوم شمال ادلب) وكورة سرمين ..بعدئذ أصبحت تابعة لزمن طويل إلى حلب في العصر الوسيط ، وظهرت تبعية إدلب إدارياً في أواخر العهد المملوكي, بما يسمى بالغربيات وكما سيرد..



(الصورة ٢٠٠) تمثال نصفي للامبراطور سبتيموس سيفير



(الصورة٢٠١) جوليا دومنا



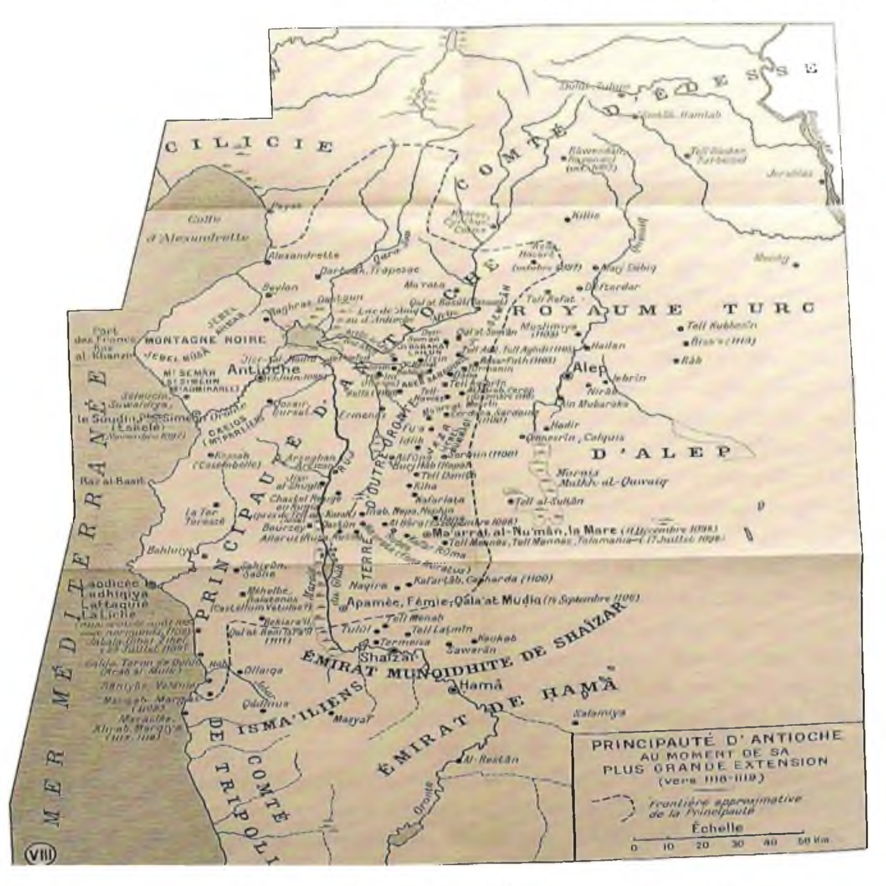
(الصورة ٢٠٢) تدمر صورة عامة

ثانياً- في العصر الوسيط:

أطلق على غرب المنطقة في العهد الإسلامي الأول، ثم الأموي، والعباسي اسم العواصم ،وهي الحصون الموانع والولايات المحيطة بها، واعتبرت هاب غرب إدلب بـ ٧ كم من العواصم ..في زمن الحروب الإفرنجية تناوبت المنطقة بين حلب ،وأمارة أنطاكية ،وبلغت أكبر توسع لها عام١١١٩م(الصورة ٢٠٣)

لكن بعد تحريرها تصبح تابعة إلى حلب،وكما ورد في الفصل الخامس..ورد في الحوليات مفهوم(جبل السماق والحفة) نقول،أو الجدير بالذكر أن غرب، وجنوب غرب إدلب(كموقع جبلي) سمي بجبل السماق، ولكن في نفس الوقت سمي بكورة الحفة. عرفها ياقوت ((في غربي حلب فيها عدة قرى وقيل أن الثياب الحفية إليها تنسب)) " وقد أخطأ محققوا كتابه أنها حفة لاذقية، كما ذكر ابن العديم تقع شرق جبل السماق، بل اكتشفنا موقعها غرب وشمال إدلب الصغرى، ففي وثائق قرية مرتين ذكرت (الحفة) كموقع

يشار إليه في السجلات العقارية سنة ١١٣٧ هـ ،وأما قراها كما ذكرها ابن العديم فهي ((مرتحوان و كورة معرة مصرين وكلتاهما في زماننا قريتان من الجزر من أعمال الحفة غربي حلب ..)).



(الصورة ٢٠٣) خريطة امارة انطاكية الافرنجية ق-١٢م

وكذلك أرجح فيها اسطمك – أو اصطمك (اليوم مسطومة) بحاصد – بدبله – مرتين – هاب – حربتا – بكفالون – إدلب الكبرى – إدلب الصغرى. .. وننوه أن هذه المنطقة قد سميت في العهد الأيوبي والمملوكي ومطلع العهدالعثماني ب (الغربيات) أي غرب مملكة حلب - وهذا هو الاسم القديم

يعود ثانية . وفيها تقع أجل ولاياتها وهي ولاية سرمين، وولاية الفوعة ،وكما سيرد...وأما ناحية الجزر الجغرافية، فهي كما حددتها وثائق العصر الوسيط، فيما يسمى الآن ناحية معرة مصرين وما يجاورها للجنوب والشرق ،وللشمال ،وغرب إدلب قال ياقوت عنها((كورة من كور حلب قال فيها حمدان بن عبد الرحيم من أهل هذه الناحية وهو شاعر عصره بعد الخمسمائة بزمان:

لكن زماني بالجزر طيب زماني، ففيه أبكاني

يا حبذا الجزر كم نعِمتُ بيـــــن جنان ذوات

وقد نشر لامانس بحثاً قيماً عنها بالإفرنسية عام ١٩٠٦م مقارناً بين النصوص العربية.. وبالإضافة إلى معرة مصرين من قراه يحمول - دير مرقس - بيت راس - حربنوش - عرشين القصور - أتارب . ومعنى الجزر لغة عكس المد . والقبائل العربية لم تستوطن المدن بسرعة[١] . وبرأيي سمي بالجزر لأن بعض القبائل العربية قد تجزرت فيه أي ظلت حذرة السكن في المدن الأثرية القديمة في الجبال المجاورة، لأنهم أهل وبر لا حضر وكما سيرد.. أي بمعنى استوطنت هنا .. وقد وضع حمدان الأتاربي في كتابه " المصباح " - مخطوط مفقود - أخبار بني تميم وأيامهم .. ويحوي خلاصة تاريخ المنطقة الشمالية من الشام ومنطقة الجزيرة وقصة التوضع القبلي القيسي فيها ..وقد ظل الاسم محفوظاً إلى الآن في قرية جزرايا في محافظة حلب - منطقة جبل سمعان.. ولكن في وثائق العهد العثماني ذكر لقريتين جوماي الجزر وقرية جزير في ناحية أو قضاء معرة مصرين / ١٢٥٣ هـ / وأخرى معارة الجزر /٩٦٣ هـ / في قضاء سرمين، ولعلها هي التي تدعى الآن معارة النعسان وهذا اسمها القديم . وننوه أن هذه المنطقة قد سميت في العهد الأيوبي، والمملوكي، ومطلع العهدالعثماني ب(الغربيات)..

---

[١] انظر فصل الحياة السكانية .

-ذكر ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ /١٤٨٥ م) "حصن زردنا في بلد ادلب " وتفسيرنا أن اسم (بلد ادلب) يرد هنا كأقدم وثيقة بين أيدينا ترقى إلى العهد المملوكي

ثالثاً- العهد العثماني ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م - ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م:

١- تمهيد: بعد دخول السلطان العثماني سليم الأول سرمين عام ١٥١٦ م , و هي إحدى أكبر مدن المنطقة حينذاك و استلامه مفاتيح المدن , و ولاء الكثير من زعماء و شيوخ المنطقة له , جعل من سرمين المركز الإداري الأكبر , و لكنها ظلت تابعة إدارياً إلى حلب , إذ كانت حلب في أوائل القرن السابع عشر قد أصبحت " إياله " تنقسم إلى ٧ ألوية و تضم ١٠٤ مقاطعات من درجة زعامت و ٧٩٩ مقاطعة من درجة تيمار و العساكر المفروضة على المقاطعات ٢٥٠٠ ثم أصبحت تسمى فيما بعد ولاية حلب [١] . و الوحدة الإدارية كانت (عمل) ففي وثيقة ذكرت سرمين عمل سنة ٩٥٣ هـ / ١٢٤٦ م و أخرى سميت قضاء سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م لوجود قاضٍ فيها, و أيضاً سمي القضاء بـ قصبة مع أنها بالأصل وحدة مالية , تليها الناحية التابعة للقضاء و تليها القرية ثم المزرعة [٢] .من كان يتولى ؟ ! لم يكن الشعب يختار حكامه , بل هم يمثلون السلطة المركزية العثمانية في القسطنطينية (إسطنبول اليوم) و كان الحكام أيضاً يمثلون صفة عسكرية إقطاعية كما يلي :

١ – **الوالي** : يقطن في حلب و قليلاً ما تدوم سلطته أكثر من سنة . و كان يلقب بالباشا أو الوزير .
٢ - **الكتخدا** (أو الكيخيا) و هو نائب الوالي و وكيله و يشرف على الريف .. و غيرهم لا مجال للبحث هنا .
أما في الريف فالقضاء يشمل النواحي , و الناحية تشمل القرى و المزارع , و تعتبر الناحية الوحدة الإدارية الأولى , و يحكم القضاء نائب و قاضي , و يحكم الناحية أمين الناحية و القرية شيخ القرية، أو رئيس القرية يقف إلى جانبه أعيان القرية , و كذلك في القضاء يقف أعيان القضاء إلى جانب القاضي أو النائب .

سرمين مركز القضاء: إن سرمين قد كانت المركز الإداري الرئيسي في المنطقة , فالوثائق العثمانية الأولى ذكرت قضاء سرمين تتبعه النواحي التالية

و قراها :- قرية حربنوش و قرية تفتناز من عمل سرمين، وقرية بيبره من عمل سرمين، و قرية تيزر من عمل سرمين٩٤٣ هـ و قرية إدلب الكبرى في قضاء سرمين ٩٦٥هـ .. ومن الوثائق الأقدم حول قرية ادلب الصغرى في أنها تابعة إلى سرمين ما ورد في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((رقم السجل ١ صفحة ١٢٩ وثيقة ١٣٢٢ تاريخ الوثيقة: ٦ ذي القعدة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م . أقر الحاج أحمد بن عبد الله المصري أنه أفسد الجاريتين الزنجيتين وما معهما من بقجتين قماش من دمشق ووضعها قرب قرية ادلب الصغرى من عمل سرمين وسجل ذلك بطلب السيد محمد بن حيدر من محلة جب أسد الله)) .يبدو أن مقام الشيخ اسماعيل في بنش قد ينسب إلى العائلة الوارد ذكرها في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((السجل: ٩ صفحة: ٣٢ وثيقة: ١٤٣ تاريخ الوثيقة: ٢٨ /ربيع الآخر/ ١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م . أقر الشيخ أحمد بن الشيخ محمد و الشيخ نجم الدين إسماعيل من أهالي قرية نبش من قضاء ادلب الصغرى بأن عليه للسيد قاسم جاويش بن أبي بكر مبلغاً وقدره (١٧٠) غرشاً من ثمن (١٧) ملوكاً من الشعير لمدة ثمانية أشهر بشهادة السيد كمال المرسل بهذا الخصوص)) . كانوا يستخدمون كلمة الحير وهي المنطقة الوعرة / الكلسية وتحدد تبعيتها كما في في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((رقم السجل: ٤ صفحة: ١١٣ وثيقة: ٦١٧ تاريخ الوثيقة: ١٧ شعبان ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦م . باع عمر بن عبدو بن إبراهيم من إدلب الصغرى من قضاء سرمين لمحمد بن شهاب الدين الدلاّل، ما هو في ملكه وذلك جميع حير الزيتون بأراضي القرية المعروف بحير السناسل بمبلغ ٦٥ سلطاني دفعت بالكامل وتم استلام البستان)) .

ومن الوثائق الأقدم حول قرية ادلب الصغرى في أنها تابعة إلى سرمين ما ورد في ((رقم السجل ١ صفحة ١٢٩ وثيقة ١٣٢٢ تاريخ الوثيقة: ٦ ذي القعدة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م . أقر الحاج أحمد بن عبد الله المصري أنه أفسد الجاريتين الزنجيتين وما معهما من بقجتين قماش من دمشق ووضعها قرب قرية ادلب الصغرى من عمل سرمين وسجل ذلك بطلب السيد محمد بن حيدر من محلة جب أسد الله)) .

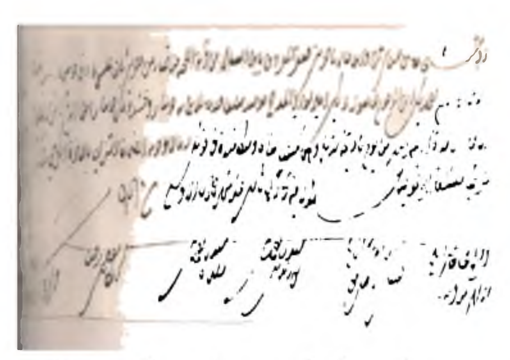
في المحكمة وكالة خاصة و وكالة مطلقة (عامة) وكما ورد في ((رقم السجل: ١ صفحة: ٢٤٣ وثيقة: ٢٤٠٦ تاريخ الوثيقة: أواخر جمادى الثاني / ٩٦٢ هـ / ١٥٥٥م . وكل السيد علي بن محمد المغربي , المدعو محمد بن عبد الرحمن المغربي , في خلاص جميع حقوقه ومتروكاته من عمه علي بن أحمد المتوفى بقرية ادلب من عمل سرمين, وكالة مطلقة مقبوضة, وأقامه على

ذلك مقام نفسه ورضي بقوله وفعله. وعليه حرر)).وفي سجلات محاكم شرعية حلب -موضوع الوثيقة حسن سلوك رقم السجل ٥ صفحة ٢٣٥ رقم الوثيقة ٨٤١ تاريخ الوثيقة: ٥ جمادى الأولى ٩٩٠ ه- الخلاصة : لما سال الحاكم من الجماعة الحاضرين عثمان أغا بن عبد الرحمن الزعيم ومحمد جاويش بن إبراهيم ومحمد بن عثمان وقاسم بن محمد من قرية انقراتة من قضاء سرمين وسليم بن محمد من قرية جزان وبلال بن سالم من قرية بنش التابعين لقضاء سرمين عن سيرة الشيخ عساف بن إبراهيم السرميني واخبروه بان الشيخ عساف رجل جيد مستقيم محسن للضيف إخبارا مرعياً مقبولاً .- ملاحظات تذكر الوثائق إن القرى المذكورة من قضاء سرمين بينما هي من ناحية سرمين مركز قضاء ادلب وتتبع إداريا لقضاء حلب
ملاحظات تذكر الوثائق إن القرى المذكورة من قضاء سرمين بينما هي من ناحية سرمين مركز قضاء ادلب وتتبع إداريا لقضاء حلب .

٢- **قضاء معرة مصرين**: قد تعددت وضعيتها الإدارية من ناحية إلى قضاء غير مرة، وكما ورد٩٤١ هـ - قرية إشعاف في ناحية معرة النسرين(أي معرتمصرين) ٩٦٩ ه- ناحية معرة نسرين في قضاء سرمين, و لكن فيما بعد تحولت معرة نسرين (معرة مصرين) إلى قضاء .ففي سجلات محاكم شرعية حلب موضوع الوثيقة ملكية عبد رقم السجل ٥ صفحة ٢٧٤ رقم الوثيقة ٩٩١ تاريخ الوثيقة: ٢٠ جمادى الأولى ٩٩٠

الخلاصة : شهد حامد بن محمد التركماني وحسين بن الحاج علي التركماني بحضور محمد جلبي بن محمود كاتب أمين بيت المال الضابط للعبد بان العبد الأسود مرجان بن عبد الله النوبي الأصل الخالي من اللحية الذي في وجهه قرب شحمة أذنيه شطب هو عبد للحاج علي بن محمد وملكه وقد ابق منه من قرية ادلب الصغرى قضاء معرة مصرين عند ذهابه لشراء الصابون شهادة شرعية مقبولة شرعاً .وتم استلام البستان)) وفي وثيقة سنة٩٩٥هـ تذكر الشيخ عبد الرحمن بكفالوني وقرية ادلب الصغرى تابعة إلى قضاء معرة مصرين (الصورة ٢٠٤)

(الصورة ٢٠٤) وثيقة الشيخ عبد الرحمن بن ياسين البكفالوني – قرية ادلب الصغرى- قضاء سرمين ٩٩٥هـ



(الصورة٢٠٥) قرية ادلب الصغرى – قضاء معرة مصرين ٩٩٠هـ

قد تصبح الناحية قضاء وكما حصل في ناحية معرة مصرين،وكما ورد في((سجلات محاكم شرعية حلب -موضوع الوثيقة ملكية عبد رقم السجل ٥ صفحة ٢٧٤رقم الوثيقة ٩٩١ ه -تاريخ الوثيقة: ٢٠ جمادى الأولى ٩٩٠ ووثيقة تذكر قضاء معرة مصرين ،ومن قراه اللجينة ،واسم ابن النيال سنة ٩٩٠هـ)) (الصورة ٢٠٥)

قد كانت إدلب قرية في مطلع العهد العثماني تسمى بعدة أسماء : إذليب – إدليب – ادليب الصغرى (بالياء) و تابعة لقضاء سرمين , و من قرى هذا القضاء : ادليب الصغرى – ادلب الكبرى – حراجه – اقميناس – تار - المنابيع أو ينابيع – اسفن – دانيت –تيرز – بنش – فوعه – تعوم – تفتناز .

٣-إدلب من قرية إلى مركز قضاء : بعد الازدهار الاقتصادي في إدلب الصغرى من خلال صناعة الصابون و مشتقاته تحولت إلى قضاء، و لعل أقدم وثيقة تذكرها قضاء هي المؤرخة في ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م [١] و يتشكل قضاء إدلب الصغرى من عدة قرى و مزارع و يضم ناحية الروج و ناحية باريشا .ذكرت الوثائق الأولى (في النصف الأول) القرى التالية : بنش و إدلب الكبرى و بكفالون و مزرعة واحدة هي فندعون (بين ١٠٣٩ – ١٠٥٠ هـ) ناحية الروج:كان هناك مايسمى بذلك في مطلع العهد العثماني في سجلات المحاكم الشرعية في حلب.مثال((موضوع الوثيقة كفالة رقم السجل ٥الصفحة ١٠ورقم الوثيقة ٣٨تاريخ الوثيقة: ٢٧ محرم ٩٩٠ هـ الخلاصة : حضر عبد الله بن بكري وصنبو بن محمد ومحمد بن احمد من قرية فيلون من ناحية الروج التابعة لقضاء سرمين وكفل كل منهم بنفس الآخر وكفلهم زين الدين بن

يوسف من قرية ادلب الصغرى من قضاء سرمين وكفل الحاج جمال الدين بن محمد المشهور بالبلار من قرية ادلب الصغرى بنفس زين الدين كفالة شرعية (الصورة ٢٠٦)أما ناحية الروج فيتبعها قرى : تلميس(بلميس الآن) – كسرعدا – سح حسام , و المزارع : قلبه و مروان بين فترة ١٠٣٩ - ١٠٤٢ هـ / ١٦٢٩ – ١٦٣٢ م . أو يضاف قرى أخرى لناحية الروج كقرية قسطون سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٣٠ م و مزرعتا سح و تل مراد [٢] .و أما ناحية باريشا فيتبعها قرى : كفرتخارين و كفر مارس و كوكنايا و مزرعة كفردارين (١٠٤٢ هـ / ١٦٣٣ م)[١] ثم تحولت هذه الناحية إلى قضاء حارم .و لم يكن قضاء إدلب الصغرى مستقراً , بعد أعوام يعدل التوزيع الإداري مرة أخرى , ففي سنة ١٠١٧ هـ تصبح قرية بنش تابعة لقضاء سرمين , أو يضاف قرى أخرى لناحية الروج كقرية قسطون سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٣٠ م و مزرعتا سح و تل مراد [٢] . و في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري يضاف لقضاء إدلب قرية الفوعه (١٠٧٥ هـ) قرية مرتين (١٠٧٣ هـ) كفر عروق (١٠٧٧ هـ) تفتناز (١٠٨٢ هـ) قرية كفتين التابعة لقضاء إدلب المعمورة (١٠٩٦ هـ) قرية بطما (١٠٦٥ هـ) و مزرعة ماعز (١٠٦٥ هـ) قرية يلاط (١٠٩٠ هـ) بهودة (١٠٩٠ هـ) قرية بكفالون و قرية معترم و قرقنيه و معرطبعين و قرية ترمانين (١٠٧٤ هـ) نقدم وثيقة في سجلات المحاكم الشرعية في حلب سنة١٠٧٣هـ قرية بكفالون وادلب الصغرى(الصورة ٢٠٧)

(الصورة ٢٠٦) قرية فيلون التابعة لناحية الروج – قضاء سرمين٩٩٠هـ

(الصورة ٢٠٧) قرية بكفالون في قضاء ادلب الصغرى ١٠٧٣هـ

أما في القرن الثاني عشر الهجري فيتبع قضاء إدلب الصغرى القرى التالية : بدرم و ستوم (١١٥٢ هـ) تفتناز و تعوم (١١٥٢ هـ) اشمارون (١١٥٨ هـ) . و في عام ١١٥١ هـ أضيف إلى ناحية روج (شبيب زعامت) و هي عين شيب غرب إدلب . يبدو أن مقام الشيخ اسماعيل في بنش قد ينسب إلى

العائلة الوارد ذكرها في ((السجل: ٩ صفحة: ٣٢ وثيقة: ١٤٣ تاريخ الوثيقة: ٢٨ /ربيع الآخر/ ١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م . أقر الشيخ أحمد بن الشيخ محمد و الشيخ نجم الدين إسماعيل من أهالي قرية نبش من قضاء ادلب الصغرى بأن عليه للسيد قاسم جاويش بن أبي بكر مبلغاً وقدره (١٧٠) غرشاً من ثمن (١٧) ملوكاً من الشعير لمدة ثمانية أشهر بشهادة السيد كمال المرسل بهذا الخصوص)) . و في سنة ١١٥٢ هـ يصدر السلطان العثماني مرسوماً (فرماناً) بفك ارتباط قريتي تفتناز و تعوم من قضاء سرمين و المشكل منهما قضاء إدلب الصغرى , إذ في عام ١٠٩٩ هـ ألحقت هاتين القريتين إلى قضاء سرمين , لذلك رفع نائب إدلب الحاج أحمد عريضة يطلب فيها إعادة تشكيل (قضاء إدلب الصغرى) من قريتي تفتناز و تعوم و اعتبار المتولى على أوقاف الشهيد محمد باشا الكوبرلي فيهما هو إبراهيم خان زادة إسمعيل , و إعادة قيود المالية و الأوقاف إلى قضاء إدلب الصغرى [١].

و سميت إدارياً إدلب بـ قصبة إدلب (أي مركز القضاء أو مركز الناحية) كما في الوثيقة المؤرخة في ١٠٧٣ هـ [٢] . و قد يتنازع قضاء إدلب مع غيره لذلك لا بد من تدخل السلطات العليا لحل هذا الواقع إذ يرسل السلطان كتاباً " إلى قاضي حلب و إلى قضاة و حكام أقضية إدلب الصغرى و معرة المصرين عدم مداخلة قضاء معرة المصرين بقرية اشمارون و إبقاء ربطها بإدليب الصغرى " في سنة ١١٥٨ هـ .و قد تتنازع قريتان متجاورتان , و كل منهما يتبع قضاء كما في قرية دادخين التابعة لقضاء إدلب و قرية كفتين التابعة لقضاء معرة مصرين سنة ١١٩٨ هـ, و سبب الخلاف أن كفتين قد كانت لإدلب الصغرى و أفرزت عنها لتتبع قضاء معرة مصرين سنة ١١٤٤ هـ و السجلات السابقة سجلت بتبعيتها لإدلب الصغرى , فمن الأحق بفصل و حل مشكلات المطالبة بالرسوم الزائدة المترتبة عليهم [١] .

محاسبة رئيس شرطة إدلب: ورد في سجلات الأوامر السلطانية (أي المرسلة من السلطان) لولاية حلب رقم ٢٤وثيقة ٨وجود منصب رئيس شرطة إدلب في سنة١٢٠٨هـ/١٧٩٤م ويدعى سليمان الذي ((تواردت عليه الشكوك والتهم بأخذه وسلبه ما حصل عليه, حيث أودع مع ولديه في سجن قلعة حلب بحجة أمور سياسية وقد نشأ ذلك من إغماض العين والمسامحة لأموال إدلب وكان ينبغي تأدية عشرة آلاف قرشاً إلى خزينة الولاية بموجب التعهد المعطى، ولكن لم يتم قبض المبلغ بسبب وفاته. وكان الواجب يلزم بقبض واستيفاء المبلغ لشصالح الدولة, وهذا يقتضي على المحصل أخذ كافة المبالغ الخاصة

للميري(أي الحكومي) وذلك بمعرفة الشرع والمباشر(منصب يعادل اليوم مدير التنفيذ) كما ينبغي من مولانا القاضي الاشتراك والمبادرة بتنفيذ الأمر والعمل بموجبه.من مقام القسطنطينية إلى قاضي حلب))مبدأ المحاسبة كان موجوداً حتى ولو توفي الشخص ويتولى ذلك القاضي, وسلطة القضاء هي الأعلى في مثل هذه المسائل ،أو بلغة عصرنا مبدأ الرقابة القانونية قد كان موجوداً, وها هو الكتاب المرسل من السلطان للمتابعة ... ورد في كتاب (تاريخ حلب الطبيعي للأخوين راسل ١٧٥٠ م) مايلي((وتقع جسر الشغور تحت حكم آغا يمتد حكمه إلى ادلب كذلك، وقد عينه الباب العالي مستقلاً عن أي باشا آخر. ويقال إن أكثر من نصف القرى التي كانت مسجلة سابقاً في سجلات الإقليم قد هجرت تماماً.)) أشار بيركهارد الذي زار المنطقة عام ١٨١٢م "إلى أن آغاوات عينتاب وادلب والشغور والإسكندرونة يبعثون أتاوات للتجديد لهم في السلطة" هذا القول يؤكد لنا السعي لتثبيت السلطة عاماً آخر، ويفعلون ذلك أسوة أيضاً بوالي حلب الذي لن تطول ولايته سنة أخرى، غير القليل منهم، وممن يدفعون ستمدد ولايتهم أيضاً... بعض القرى الداثرة في قضاء ادلب قرية زرونة المذكورة في سجلات المحكمة الشرعية في حلب سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م , وقرية الحسامية سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م .من الوثائق المؤرخة في سجلات المحكمة الشرعية في حلب

موضوع الوثيقة: وكالة عامة مطلقة / فراغ حصة رقم السجل: ٣١٨ رقم الصفحة: ٢ رقم الوثيقة: ٤ تاريخ الوثيقة: ٢٨ /ذي الحجة/ ١٢٩٩ هـ - الخلاصة: حضر السيد حسين باشا بن عبد الرحمن, الولي الشرعي على ابنه أحمد صديق, قائلاً: أنه قد فرغ ما هو جار بتصرف الصغير, وذلك جميع الحصة وقدرها ربع المشاع من جميع أرض القرية المديونة, التابعة لقضاء إدلب والجبول, والمقدرة بـ(٨٠٠٠) دونم, المعروفة باسم (رسم علم) ببدل قدره (٤٠٠٠) غرش. ووكل السيد حسين باشا بفراغ الربع لمحمد بن علي الشعبان بالبدل من قبله مع قبض المبلغ كاملاً, بموجب الوكالة. وعليه حرر. من المجالس المحلية ما كان يسمى مجلس إدارة ادلب وفيه تجرى المعاملات ومنها العقارية ففي وثيقة كما ورد ((رقم السجل: ٣١٥ رقم الصفحة: ٣١ رقم الوثيقة: ٤٧ تاريخ الوثيقة: ١٨ شعبان ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣م . القاضي: أحمد شكري أفندي . في المجلس المعقود في الدار في محلة زقاق الخل خارج باب النصر لدى الكاتب المأذون له بالاستماع من قبل الحاكم حضر الخواجة نعوم ولد فتح الله من طائفة نصارى الموارنة وقرر أنه بحسب تصرفه بموجب أوراق الطابو في القطع الأرض الأميرية وعددها ٢٦ قطعة بتصرفه بالربع

منها في ناحية معرة مصرين من قضاء ادلب، مع الربع من الكرم. بأنه فرغ ذلك من الأخوة الثلاثة أولاد الخواجة انطون ولد فتح الله ببدل قدره ٣٥٠٠ غرش، وقبض منهم ذلك. وأنه وكل لذلك السيد عبد القادر أغا بن مصطفى أغا، ولإجراء الفراغ عنه في مجلس إدارة ادلب فراغاً قطعياً تطبيقاً لنظام الطابو وكالة عامة)) ... في سنة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م ضمت ريحا و الجسر إلى إدلب و عين قائمقاماً على إدلب محمد حسام الدين أفندي القدسي [٢] ، و سبب ضم الجسر إليها لتكون أقرب إلى العسكر بإدلب ،و لحصول أكثر من تمرد في الجسر على السلطة العثمانية .في عام ١٨٨٨ م كان سنجق حلب المركزي يشكل ١٤ قضاء و ٤٥ ناحية و٢٧٥٠ قرية و ١٧ مزرعة . و قضاء إدلب فيه ٤ نواحي و ٢٣٨ قرية تابعة للقضاء في ولاية حلب .
يحكم القضاء (قائمقام) يساعده أربع مدراء يقطن في إدلب مركز القضاء، و سكانه ٤٧٧٥٤ نسمة كما يلي[١] : ٤٥٥٠٠ - مسلمون و ٢٢٥٤ مسيحيون و عدد المدارس ١٠٤ منشأة عدد طلابها ٢٠٨٢ طالب كما يلي : ٩مدارس فيها ٧٥ طالب لتعليم الشريعة الإسلامية و ٢مدارس رشدية فيها ٨٥ طالب (التعليم العالي) و٩١ مدارس للصبيان (مدارس ابتدائية فيها ١٨٩٢ طالب) و٢ مدارس مسيحية فيها ٣٠ طالب ، و من المنشآت العامة فيها (قناق الحكومة) و ثكنة عسكرية .. يتشكل قضاء إدلب الإداري من ناحية واحدة هي أريحا بالإضافة إلى إدلب و القائمقام ولي الدين أفندي له نائب و مجلس الإدارة يتشكل من رئيسه و هو القائمقام و ٤ أعضاء و لم تذكر انتخاب أحدهم , بل يعينون . بينما سالنامة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م فتذكر يتبع القضاء ٣ نواحي هي أريحا و سرمين و معرة مصرين يتبعها ١٠٥ قرية . . و عدد سكان القضاء ٥٠١٨٥ نسمة ..
في عام ١٨٨٨ م كان سنجق حلب المركزي يشكل ١٤ قضاء و ٤٥ ناحية و ٢٧٥٠ قرية و ١٧ مزرعة . و قضاء إدلب فيه ٤ نواحي و ٢٣٨ قرية تابعة للقضاء في ولاية حلب . يحكم القضاء (قائمقام) يساعده أربع مدراء يقطن في إدلب مركز القضاء و سكانه ٤٧٧٥٤ نسمة ..التشكيل القضائي الأقدم لدينا من خلال السالنامة العثمانية – و هي التقويم السنوي للدولة العثمانية الخاص بولاية حلب – فترقى لعام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠ م .
يتشكل قضاء إدلب الإداري من ناحية واحدة هي أريحا بالإضافة إلى إدلب و القائمقام ولي الدين أفندي ،له نائب، و مجلس الإدارة يتشكل من رئيسه ،و هو القائمقام و ٤ أعضاء، و لم تذكر انتخاب أحدهم , بل يعينون . بينما سالنامة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م فتذكر يتبع القضاء ٣ نواحي هي: أريحا، و سرمين، و

معرة مصرين يتبعها ١٠٥ قرية ...و لدى الرجوع إلى سالنامة ولاية حلب لسنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م نجد قضاء إدلب يتشكل من ٣ نواحي : أريحا (٥١ قرية) و سرمين (٣١ قرية) و معرتمصرين (٢٣ قرية) . كما كانت تدعى ريحا قصبة و بنش قصبة و عدد سكان القضاء ٥١٨٩٣ نسمة .تشكل مجلس إدارة القضاء من رئيس و هو القائمقام أحمد لطيف أفندي و ٤ أعضاء طبيعيين " من النائب مصطفى أفندي والمفتي محمد طاهر أفندي ومدير المال عارف حكمت أفندي وكاتب الرسائل عبد المنان أفندي " و ٤ أعضاء منتخبة (حاجى أمين أفندي و وحيد أفندي و نقولا أفندي و أنطون أفندي) أي ستة مسلمين ومسيحييْن . وأما أعضاء مجلس الناحية فيسمى دون انتخاب من ٤ أشخاص يرأسهم مدير الناحية .بعد عام ١٩٠٦ م / ١٣٢٤هـ أريحا مركز ناحية، بينما سرمين و معرتمصرين تصبحان قصبة [1] .و تضاف بنش دون ذكر واقعها الإداري . و عدد سكان القضاء ٥٠١٨٥ نسمة . من المجالس المحلية ما كان يسمى مجلس إدارة ادلب وفيه تجرى المعاملات ومنها العقارية ففي وثيقة كما ورد ((رقم السجل: ٣١٥ رقم الصفحة: ٣١ رقم الوثيقة: ٤٧ تاريخ الوثيقة: ١٨ شعبان ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣م . القاضي: أحمد شكري أفندي . في المجلس المعقود في الدار في محلة زقاق الخل خارج باب النصر لدى الكاتب المأذون له بالاستماع من قبل الحاكم حضر الخواجة نعوم ولد فتح الله من طائفة نصارى الموارنة وقرر أنه بحسب تصرفه بموجب أوراق الطابو في القطع الأرض الأميرية وعددها ٢٦ قطعة بتصرفه بالربع منها في ناحية معرة مصرين من قضاء ادلب، مع الربع من الكرم. بأنه فرغ ذلك من الأخوة الثلاثة أولاد الخواجة انطون ولد فتح الله ببدل قدره ٣٥٠٠ غرش، وقبض منهم ذلك. وأنه وكل لذلك السيد عبد القادر أغا بن مصطفى أغا، ولإجراء الفراغ عنه في مجلس إدارة ادلب فراغاً قطعياً تطبيقاً لنظام الطابو وكالة عامة[1])) .,.

---

[1] -الحصري – ساطع : البلاد العربية و الدولة العثمانية ص ٢٣٣ – ٢٣٤
عمران : ريف ولاية حلب – غير مطبوع .

رابعاً- عهد الملك فيصل، والانتداب الفرنسي:

بعد خروج العثمانيين من إدلب كلف الشيخ برهان الدين العياشي برئاسة حكومة إدلب مؤقتاً ,و في عهد الاستقلال , و بعد تشكيل أول حكومة سورية في ظل حكم الملك فيصل ,وتتبع محافظة حلب. تولى قضاء إدلب عمر زكي الأفيوني الطرابلسي الذي انضم إلى الثورة العربية في الشمال السوري (ثورة إبراهيم هنانو) فيما بعد..والتي ألفنا عنها كتابنا(الثورة العربية في الشمال السوري-ثورة ابراهيم هنانو) (الصورة٢٠٨)



(الصورة ٢٠٨)غلاف كتابنا عن ثورة هنانو

و في عهد الاستقلال , و الانتداب الفرنسي , تشكلت الوحدات الإدارية كما كانت في السابق و لكن تحت اسم دولة سورية و يتبع قضاء إدلب ناحية سرمين، و ناحية معرة مصرين، و ناحية أريحا , ثم تم فصل ناحية سرمين عنها و إحداث ناحية سراقب عام ١٩٣٢ م بديلاً عنها, ثم أصبحت سرمين ناحية مرة أخرى عام ٢٠٠٥ م .

خامساَ- ما بعد الثورة : كان من مبادئ الاستعمار الفرنسي تقسيم سورية إلى دويلات كدولة حلب، لكن المخلصين من أبناء المنطقة قد عارضوا هذه السياسة ،وعلى رأسهم إبراهيم هنانو، والطبيب حكمت الحكيم من إدلب، وكان نائباً عن إدلب في مجلس دولة حلب، وظل من المناضلين مع الوطنيين في حلب حتى تمت الوحدة بين دولتي حلب ودمشق . إذ نص القرار على اتحاد دولتي دمشق وحلب، اعتباراً من أول كانون الثاني ١٩٢٥م ، وأن تؤلفا دولة واحدة تسمى "الدولة السورية" ضمن الحدود لدولتي دمشق وحلب، وعاصمتها دمشق، على أن يحتفظ بحقوق وواجبات الحكومة



(الصورة ٢٠٩) وفد ادلب إلى دمشق للمطالبة بإحداثها محافظة ١٩٤٩م

ص ١٥٨ – وفد منطقة إدلب الى دمشق للمطالبة بإحداث محافظة إدلب .الصورة في دمشق ٧ تموز ١٩٤٩ م / ١٢ رمضان ١٣٦٨ هـ الجالسون من اليمين ١- المحامي محمد صالح أصفري ٢- المحامي زين العابدين فنري ٣- المزارع محمد عبسي دويدري ٤- الطبيب حكمت الحكيم ٥- الوجيه صادق آغا المعلم ٦- سماحة المفتي الشيخ حسن الكيالي ٧- الوجيه أمين الكيالي

الواقفون من اليمين ١- التاجر عبد الكريم شيخ نعمة ٢- الاستاذ يحيى المارتيني ٣- الوجيه سلوم إلياس غنوم ٤- الوجيه مصطفى قريد ٥- المزارع عبد القادر كنجو بركات ٦- النائب عبد الحميد دويدري ٧- الوجيه احمد حمدي فنري ٨- الوجيه محمد صبحي بركات ابو النعسان ٩- الوجيه عبد القادر فنري ١٠- المزارع محمد المحمود الصطوف (سراقب)

المنتدبة. وطالما كانت "الكتلة الوطنية" هي وجه سورية السياسي فقد انضم إليها، وأسس فرعاً لها في إدلب وتجدّد انتخابه عن إدلب في أدوار المجلس النيابي ١٩٣٦، ١٩٤٣، ١٩٤٧م . من الطبيعي أن يسعى أبناء ادلب إلى جعل قضاء إدلب (وهو أكبر قضاء في سورية) مركز محافظة،كون الفرصة قد سنحت بوجود الطبيب النائب حكمت الحكيم في منصب هام، وإن اعترض على ذلك نواب قضاء حارم (كبرمدا وكيخيا) ... هذا الحلم الذي راود سابقاً الشيخ كامل الكيالي في مقالته الهامة في كتاب جدنا الشيخ الطباخ عام ١٩٢٣ م ،وتوفي دون تحقيق حلمه .وقد سافر وفد من شخصيات إدلب وريفها إلى دمشق في شهر تموز عام ١٩٤٩ للمطالبة بإحداث محافظة إدلب (الصورة

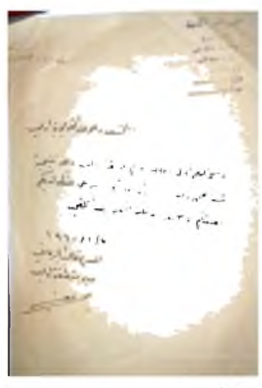
٢٠٩) ولكن مطلبهم لم يتحقق إلا في عام ١٩٥٧ م صدر القانون رقم ٤٦٨ بإحداث محافظة إدلب يكون مركزها مدينة إدلب (الصورة ٢١٠)ولما تأخر تنفيذه بدأ بعض شخصيات إدلب


قانون رقم (٤٦٨)
تاريخ ١٨ /١١/ ١٩٥٧
أقر مجلس النواب واصدر رئيس الجمهورية القانون الآتي :
مادة ١ - يحدث في الاقليم ... العربية محافظة ...
محافظة ادلب) يكون مركزها مدينة ادلب ...
... حدود هذه الاقضية - حدود المحافظة ...
ينفذ هذا القانون بعد استصدار قانون بتعديل ...
الوزارات المختصة ورصد الاعتمادات لذلك .
الوزراء ... مكلفون بتنفيذ احكام هذا القانون .
دمشق في ١٨ /١١/ ١٩٥٧ رئيس الجمهورية

(الصورة ٢١٠)قانون إحداث المحافظة ١٩٥٧م

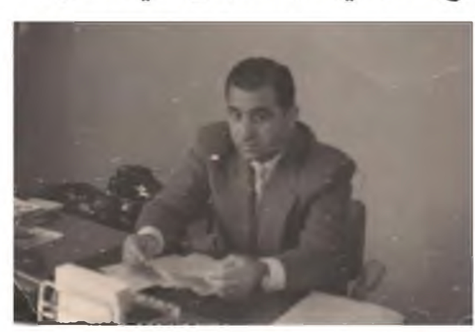
- بلاغ -
رقم ١٢ / ب
رقم ٣٤ / ١٥
كان قد تقرر وضع القانون المتضمن احداث محافظة ادلب
موضع التنفيذ اعتبارا من ١/٧/١٩٦٠ فاننا نطلب من الوزارات
العامة والادارات العامة أن تلحظ في ميزانيتها للعام المالي ١٩٦٠ -
١٩٦١ الاعتمادات اللازمة لما يضمن تنفيذ ذلك بالنسبة لكل منها.
دمشق في ٥ / ٤ / ١٩٦٠
رئيس مجلس الوزراء

(الصورة ٢١١)البلاغ بوضع المحافظة تنفيذاً ١٩٦٠م



(الصورة ٢١٢)كتاب مدير المنطقة بتنفيذ المحافظة ١٩٦٠م

السعي لتحقيقه كما روى لنا الحاج صبحي سيد عيسى في مذكراته أنه بتاريخ١٩٥٩/١/٢٨ " أن السيد عبد الحميد دويدري قد وجه الدعوة لخمسين شخصاً للاجتماع في منزله في لزوم البحث بضرورة تنفيذ مشروع محافظة إدلب وغيره ورأس الجلسة مفتي إدلب حسن كيالي, وتم تشكيل لجنة دائمة وجمع المال للمتابعة ثم دعا إلى اجتماع ثان في ١٩٥٩/٢/١٣ , وإرسال وفد إلى دمشق ومعه



(الصورة ٢١٣) المهندس عبد الغني جمال أول محافظ في ادلب ١٩٦٠ م

((مضبطة موقعة من الأهالي يبين فيها مطاليب المنطقة وينظمها السيد أحمد قطيع وأعضاء الوفد المقرر : مصطفى بعث وعبد الرحمن غزال واسماعيل فنري وأديب أصفري وأنور حمادة وهاشم قوصرة ونبيه دويدري " وتأجل سفر الوفد لعلمهم بقدوم الرئيس ناصر إلى سورية , وعرض مطلبهم عليه,

وتم تحقيق مطلبهم عام١٩٦٠م(الصورة٢١٠) وبعد إحداث المحافظة يرسل المقدم غالب الجزماتي مدير المنطقة الكتاب التالي :الى نائب إدلب عبد الحميد دويدري ((نرسل إليكم أول مغلف باسم محافظة إدلب وهو نتيجة طيبة للجهود المباركة بشأن إحداثها فيرجى حفظه لديكم بصفتكم في طليعة العاملين لتحقيق هذا المطلب" ١٩٦٠/٢/٧م ونفذ في عهد الوحدة مع مصر بصدور بلاغ رئيس الوزراء بإحداث المحافظة موضع التنفيذ اعتباراً من ١٩٦٠/٧/١م (الصورة-٢١١-٢١٢) وكان أول محافظ يعين هو عبد الغني جمال, إذ باشر مهامه في ١٩٦٠/٥/٢٤ م(الصورة ٢١٣) م.

الفصل السابع

الحياة السكانية(القسم الأول)

أولاً- الأصول والفروع : من سكن هنا .. ؟ أي شعب وأية قبائل .. ؟ هذه المسألة خاضها الباحثون في تاريخ سورية ..وما يهمنا هذه المنطقة التي سكنها العموريون من العنصر الكنعاني العروبي منذ النصف الأول في الألف الثالث ق.م(١) ،ولكن دخلها العنصر الحوري بعد سنة ألفين ق.م . وغلب عليهم اسم الإبلائيون، وقدر عدد سكان إبلا ربع مليون من العروبيين العموريين. تلاهم الآراميون في نهاية الألف الثاني ق.م ، ثم الموجة العربية بهجرة بعض القبائل العربية إلى هنا ، وكما ورد في النصوص الأدبية المسمارية حتى الألف الأول ق.م [١] ، وبعده خاصة في الفتح الإسلامي ، وفي أيام الخلافة الأموية، ثم العباسية. وكذلك تعرضت هذه المنطقة لهجرة بعض السكان إليها من شعوب غير عربية. وبنسبة قليلة من بلاد اليونان في غزوة الإسكندر ، وبعده أيام حكم السلوقيين ثم الفرس والرومان ، ولكن هؤلاء لا تقارن هجراتهم بغيرها ، فهي هجرة تحكم وسيطرة ، وعددها قليل ، وليست توطناً أحدث تأثيراً في بنية المجتمع أو في لغته ، بل ظلت التأثيرات العروبية هي الأقوى في اللغة، والعادات، ونظرة فاحصة لهذه التلال ، ولعرضنا الكثير من أسماء المواقع الداثرة ، وللوثائق الاقتصادية خلال العهود ، وللأوابد الأثرية المتبقية ، والتي نكتشف فيها كل جديد ، تشير بدلالة قاطعة إلى كثافة سكانية ، وما محفوظات إبلا بما تضمنته إلا دليل على ذلك .. ظلت هذه الكثافة متحققة ، طالما ظل الإنتاج الزراعي وفيراً ، والثروة الحيوانية في ازدياد ، والاستقرار في ديمومة .. صحيح أن الآشوريين قد دمروا بعض الحواضر ، وهاجر بعض سكان المنطقة منها في الألف الأول ق.م ، لكنها استعادت هذا الاستقرار في العهد الروماني ، إذ حصل فيها التوسع في توطن السكان في سهل إدلب والجبال المجاورة (جبل السماق-جبل الأعلى – باريشا – حلقة – الزاوية) ((وبلغ ذروته في النصف الأول من القرن الثالث ليتوقف حوالي عام ٢٥٠م وهي الفترة المسماة " عهد سيادة النظام والسلم الرومانيين.. " وحصل التوقف في فترة انتشار الطاعون المعروف باسم " وباء القديس قبريانوس " .. والمرحلة

---

(١) العموريون : هم الذين سكنوا غرب نهر الفرات .

(٢) عن جورج تات في بحث له .

الثانية في عام ٣٤٠ – ٣٥٠ م ووصل إلى مداه في القرن الخامس ، لينحسر في القرن السادس حوالي ٥٤٠ – ٥٥٠ م. فبين عامي ٣٣٠ و ٥٥٠ م تضاعف عدد أبنية السكن أربع وخمس مرات حسب المنطقة [٢])) ، ولكن أضيف لرأي (تات) رأياً آخر,إن الزيادة السكانية قد تحققت بفضل حكم الأسرة السورية السيفيرية في روما , وكذلك في عهد فيليب العربي(الصورة٢١٤) خلال هذا الزمن , فله الفضل الأكبر في نهضة المنطقة، وازدياد عدد سكانها, وكذلك هذا النفوذ الديني بعد انتشار المسيحية في المنطقة، والاعتراف بها ، دفع السكان للاستيطان فيها حول الأديرة ،والكنائس المنتشرة فيها ، إذ وجدنا عدة قرى كانت في أصلها منشأة ديرية، كما في دير حراجة شرق-جنوب ادلب(الصورة٢١٥) في تحوله إلى قرية ، في المنطقة قد عاشت ثانية ، حين تم إحياء المسيحية فيها ، من دين تتم طقوسه في السر إلى دين شعبي ، ساد فيها بسرعة مذهلة ، قد لا تصدق في القرنين الخامس والسادس .. وهذا أمر أغفله الباحثون الأجانب متعمدين إلغاء الدور الديني الحضاري فيها ، واهتمامهم بالدور الاقتصادي .. وهذه الأديرة والكنائس في عددها وقربها من بعض ، دليل أكيد على الكثافة السكانية ، وقد يحصل نزوحات سببتها الكوارث الطبيعية ، كالزلازل، أو الحروب – انظر بحث النكبات والزلازل في كتابنا من إبلا إلى إدلب تفصيلاً،وهنا في الفصل الأول – وكما فعل نقفور فوقاس حين أخذ معه إلى بلاده معظم أهالي معرة مصرين. كما جاء حينها بعض الأرمن ليسكنوا الناحية الشمالية من ناحية الجزر وإلى الغرب منهافي حارم ،و حتى أرمناز.

هذا وقد تم في أواخر حكم المرداسيين حضور بعض التركمان إلى المنطقة ، تلاهم السلاجقة الأتراك ، ثم الفرنجة .. عام ١٠٩٨م .. صحيح أنهم احتلوا المنطقة واستوطنوا فيها ، ولكن لم نجد ما يشير إلى مواقع استيطانهم السكاني بكثافة ، غير ما ورد ، أنهم بنوا حصناً في زردنا، أو حصن سرمدا، وسكان المنطقة لم يتفاعلوا معهم ، بل بالعكس، وكما حصل توطن سكاني من قبل الأمويين سابقاً ,و كذلك في عهد الحمدانيين ,ثم الأيوبيين والمماليك, كالمقابر التي اكتشفناها في بحاصد(الصورة ٢١٦) وبكفالون قرب ادلب ،وغيرها .. وكما ورد في بحث الحروب الصليبية في كتابنا من إبلا إلى إدلب ، أن التركمان جاؤوا ودافعوا عن مدن هذه المنطقة وحصونها .. !!


(الصورة٢١٤) تمثال نصفي للإمبر أطور فيليب العربي


(الصورة٢١٥) بقايا دير حراجة قرب ادلب-رسم الفنان عصام السيد يوسف


(الصورة٢١٦) شاهدة قير مملوكية في بحاصد قرب ادلب

ثانياً- الأصول العربية في المنطقة :

الحياة السكانية في جوهرها، وأصولها العروبية ، ظلت العربية لغة سكانها السائدة ، يتخللها الكثير من الكلمات الإبلائية، والآرامية، وكما سيرد في فصل الحياة الثقافية. من الذين أتوا إلى المنطقة بنو تنوخ، وبنو كلاب، والغسانيون حوالي ٤٩٠ م ، ويذكر أن التنوخيين أتوا إلى حاضر قنسرين، ونزلوا في خيم الشعر ، ثم ابتنوا به المنازل .. حتى أن أبا عبيدة بن الجراح حين أتى المنطقة جمع عرباً من تنوخ وغيرهم ... وأرسلوا إلى خالد بن الوليد قائلين : إنهم عرب وأنهم حشروا مع الروم،ولم يكونوا على رأي حربهم فتركهم وشأنهم [١]
وقد أفادنا المؤرخ (ابن العديم) الكثير عن أصول السكان في المنطقة فقال : ((إن كورة سرمين أهلها من قيس واصطمك (مسطومة الآن) وسكان جبل السماق (أي الجبل المطل على الروج) أسديون من بني كاهل وبنو عوف سكنوا في ضياع أرض معرة مصرين ... وأكد في صفحات أخرى أن القبائل العربية بمعرة مصرين وجبل السماق وبنحليا أسديون من بني كاهل[٢] ، وهذا يؤكد لنا أن إدلب الكبرى،، وما حولها، والتي كانت تابعة لسرمين في زمن ابن العديم (٥٨٨ – ٦٦٠ هـ) هم عرب قيسيون ومن بني أسد كما سيلي.
ويضيف ابن العديم : ((وكذلك بنو عوف بن حرب بن خزيمة ابن لؤي بن غالب فتشاءمت وتجزرّت ، ومنهم بأرض حلب خلق كثير أهل مدرلاوبر – ويقصد أهل حضر وليس الخيام – وهم أهل ذاذيخ وكفربطيخ [٣] وغيرها من الضياع بأرض معرة مصرين وهي تعرف بهم إلى اليوم (أي في زمانه)

---
١ عن كتب الفتوح الإسلامية , وابن العديم في بغية الطلب
٢ نفس المصدر
٣ نفس المصدر السابق

بضياع العوفيين. وقلت ونسبهم بنو عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤي – وفيه يجتمعون مع النبي (ص) بن غالب بن فهد بن مالك بن النصر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. ويوضح

أن قبائل أسد بن خزيمة قد تفرعت وعمائرها وأفخاذها إلى يومنا هذا (أي إلى زمانه) وأن منهم من جزّر ، ومنهم من أخذ نحو الشام السفلى نحو أرض حلب وما والاها منهم بها إلى اليوم أهل مدر و وبر ، وبهم تعرف الأرض فيقال نُقرة بني أسد طرف البر ، وكان نزولهم سنة سبع ومائتين للهجرة فهم بها إلى اليوم. ويؤكد في نهاية حديثه إنهم أي من بني أسد لم يبق من ينزل بيوت الوبر، بل مساكنهم المَدَر لا تحيز وأضاف عن النسابة إن قبائل ذوران بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. فريق منهم قاطنين غربي حلب بمعرة مصرين، وجبل السماق بنحليا، وبتباسون وما والاها[1] ، وهم أهل مد ر ،ولابر .. وأنهم تديروا هذا الإقليم ٢٠٧ هـ وقال : وأما كاهل بن أسد فولد ثلاث قبائل عظام : بنو أذينة ، وبنو هراوة وبنو حرموا .. ومنها تفرعت قبائل كاهل وبطونها .. وكان منهم بطن بجبل السماق، وبالجزر، وغير ذلك. قلت : وأظن الكاهلة هي منسوبة إلى كاهل ابن أسد والله أعلم" ويبدو أن القبائل العربية التي نزلت هنا في المنطقة كثيرة، إذ يذكر ابن العديم مرة أخرى: أن من نزل من ولد نمير بن عامر بن صعصعة ... فتشاءم وجزّر، وذلك أنه نزل فريق كبير بأرض حلب بجبل السماق وهم فيه من حد ريحا إلى النيرب ،إلى معرة مصرين ،إلى سرمين إلى تيزين إلى العمق وأوقية إلى حد حريم حلب فهذه من جشم من بكرن ومواليهم خلق كثير أهل مدر ووبر[2] ،وكذلك حين ذكر من نزل هنا من حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأنه نزل كنانة كلب ظاهر حلب إلى حد جبل بني عليم، وهم أهل وبر لا مدر. قلت وإلى عليم بن جناب بن كلب بن وبرة ينسب جبل بن عليم، ومنهم عمرو بن محمد معاذ البريدي من معراثا البريدية كما تعرضت المنطقة إلى هجرة بعض القبائل منها إلى مناطق أخرى بإيعاز من السلطات ، فالخليفة هارون الرشيد حرض بعض العشائر بالرحيل إلى لبنان ، لدعم بني أرسلان ضد المردة الموارنة ، وذلك في الربع الأول من القرن التاسع،وما عشيرة بنا هذه سوى عشيرة التنوخيين، ومنهم الأمراء

---

[1] - نفس المصدر السابق
[2] - نفس المصدر السابق

اللمعيون[1]. وكذلك فإن لجوء محمود بن شبل الدولة بن صالح المرداس (في زمن الحروب الصليبية) إلى سرمين دليل على أن ساكنيها من قبيلة بني كلاب العربية [4] وذكر النسابة إن ممن نزل منهم بنو عامر الأكبر ... ومن أحفادهم الأمير العباس والذي كان والي جند قنسرين وما والاها .. وكذلك صالح بن مرداس بن ادريس ،وانتهت الأمرة له في المنطقة ، وحدث أن قبض عليه مرتضى الدولة بن لؤلؤ وسجنه بقلعة حلب،فهرب منها، وجمع بني كلاب ، وقصد ابن لؤلؤ فخرج إليه إلى تل حاصد ولقيه فأسر ابن لؤلؤ فاشترى نفسه معه، فأعاده إلى حلب ... ومنها هذه المنطقة – في حكم عقبة بعده إلى أن ملكها أبو المكارم مسلم بن قريش العقيلي في سنة ٤٧٢ هـ . وزالت دولة بني مرداس وبقيت أمرة العرب في بني كلاب إلى زمن ولاية الملك الظاهر ثم أزاحهم عنها آل طيء ومن عرب البقارة يوجد في ناحية معرة مصرين قرية تسمى عشيرة البكارة [2] وأما كحالة في مطلع القرن العشرين ذكر((أنه كان يقيم منهم بناحية كفرتخاريم وقال إنهم فرع من الحديديين يقيم جنوبي حلب يعد ٦٠ خيمة[3].وكذلك الريف الشمالي

في هذه المنطقة تعرض لهجرات منه وإليه والجميع يعرف إن كثيراً من الموحدين الدروز في لبنان أصلهم من هنا ، ومثالنا على ذلك ((العماديون، والمنتسبون إلى إحدى القبائل العربية التي كانت تسكن بجوار الموصل ،ثم رحلوا إلى جبل الأعلى بجوار حلب، وأقاموا في قرية اسمها مرطحوان ، ومنها إلى قرية هناك تسمى تلتيتا. انتقلوا بعدها إلى مقاطعة العرقوب في لبنان ... كان قدومهم إلى لبنان في زمن المعنيين[4]..)). ونضيف إن الحمدانيين جاؤوا من الموصل ، وهم عرب من قبيلة تغلب ، تنفذوا في المنطقة وخاصة في نواحي معرة مصرين،، وجنوب إدلب في قرية بحاصد الدائرة ... وكذلك بنو مرداس الذين ينسبون إلى قبيلة بني كلاب ، وهم مع الحمدانيين ، دانوا بمذهب الشيعة الإمامية ، وكما سيرد تفصيلاً في أبحاث أخرى ، قد تمركزوا في سرمين وبعض ضياعها ، وهذا ما يفسر وجود دار دعوة إسماعيلية – فيما بعد – في سرمين، أو قرى تتبع المذهب الشيعي الإمامي كـ البارة – كفرلاثا – (معرة مصرين – بحاصد سابقاً) وكـ فوعا – وكفريا حتى الآن.

---

[1] - بطرس ضو تاريخ الموارنة _ عدة مجلدات

[2] - جولة اثرية

ثالثاً- المتغيرات السكانية في الحروب الصليبية: قد يتساءل أحدنا عن سكان المنطقة في الحروب الإفرنجية؟ نقول له: إن السكان قد ظلوا ثابتين في أراضيهم ،وقراهم، وهم يعلمون أن الحرب كر،وفر, ومع ذلك لم يهاجروا, بل ثبتوا, والفرنجة تبد لوا, إذ لم تكن وجهتهم هنا, بل إلى فلسطين. صحيح أقاموا القلاع في كل من زردنا، وأتارب ،وإنب، وسهل الروج، وغيرها كثير, لكن لا تشير وثائقهم بتوطين سكان جدد من قبلهم, بل العكس هاجر المسيحيون الموارنة من هنا إلى لبنان .مثلاً قضاء كفر طاب(غرب خان شيخون بـ ٣كم) قد كان مركز أسقفية لهم. الآن مزرعة لآل النجم. العكس حدث.. جاءت قبائل عربية واستوطنت هنا كـ قبيلة بني عليم(سمى القسم الشمالي من جبل الزاوية بجبل بني عليم نسبة إليهم) والأهم كان فلاحنا يقول: لمن سأدفع الضريبة ؟للفرنجة في إمارة انطاكية, أم لإمارة حلب! و موارنة أرمناز قد غادروها(مع الأقلية الأرمنية) وأ رمن حارم قد غادروها, وكذلك نصارى تل منس. ومن يقول :بأن سكان المنطقة قد أسلموا بسرعة بعد الفتح ،فهو غير مطلع, بل إسلامهم جاء متأخراً.

كثير من القبائل العربية هنا قد ظلت في ظل الإمارات، رغم تعدد مذاهبها(أقصد المسيحيون والمسلمون) في ظهور الاسماعيلية في المنطقة, وكذلك الدروز, قد زاد في عدد السكان ،وهذا بحث لم أنشره بعد؟!

رابعاً-العهد العثماني : في القرنين الأولين من هذا العهد حدثت كثافة سكانية لازدهار ولاية حلب اقتصادياً ، وفي القرن السابع عشر في النصف الثاني منه ، ازدهرت المنطقة، ولكن في القرنين التاليين ، لم تستقر القوى السكانية لانتشار بعض الأوبئة، أو الأمراض ، أو تهرباً من دفع الضرائب لسوء المواسم الزراعية ، وكما أشرنا إلى ذلك في كثير من الوثائق خلال أبحاثنا ، كالوثيقة التالية سنة ١١٧٢ هـ إذ يبس شجر الزيتون من شدة الشتاء القاسي ، بالإضافة إلى القحط و الغلاء المستفحل في قصبة سرمين. وقد أشار الرحالة الفرنسي فولني ١٧٨٣م إلى هذا الواقع الاقتصادي ، بهجرة الكثير من سكان قرى المنطقة ، وأكبر هجرة تمت في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، حين ازدهرت إدلب الحالية اقتصادياً ، وحازت على امتيازات خاصة بها كوقف للحرمين الشريفين ، وإعفائها من الرسوم والأعشار ، طالما هي وقف ، فقد قصدها أكثر من عشرين قرية مجاورة لها للاستيطان فيها. في أواخر القرن الثامن عشر ، ضعفت المنطقة اقتصادياً ، فهاجر الكثير من

سكانها إلى حلب ولبنان والأمريكيتين. ومن كبار العشائر في المنطقة الحديديون ومنهم الأبى إلى الشرق من إدلب إلى جنوب مطخ قنسرين ، ((وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر عهدت الدولة العثمانية إلى الحديديين بحراسة الطريق بين حلب وسراقب ، كما كانت تعهد حراسة ما بعد سراقب إلى الموالي. فكان الحديديون يتقاضون رسوم مرور من القوافل .. وقد أشار أحمد وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام إلى وجود الحديديين في تل طوقان وفي طويحينية في ناحية أبو الظهور وفي البويطي (البويضة) وفي قضاء إدلب ص١٩٧- ذكر إن قسماً من العدوان في عري وبرج هاب في مشيخة أحمد بن محمد الأمين السليم. وفي ناحية سراقب في قرى أملاك الدولة المجاورة لمستنقعات المطخ بعض الحديديين كالأبى شهاب الدين في مشيخة أبي جاسم والإبراهيم في مشيخة متعب بن خليف الصالح وبعض لواحق الموالي كالراشد، والسعران ،والأسود، والبدر، والجباري، والدليم ،ثم الشطيحات،والحويوات من الولدة، ثم البوليل والنعيم، والبو شعبان. وفي المطخ شرقي ناحية سراقب قسم من الأبى شعبان في تل خطري، ومن النعيم في أبي الخوص، ومن الموالي في تل الأغر)) واطلعنا في الوثائق إشارة إلى عشيرة الهيب من عربان كروهن في قصبة معرة مصرين عام ١٢٥٧هـ /٤١-١٨٤٢م .

خامسا- سكان إدلب الكبرى: ليس لدينا أي إحصاء عن سكانها غير ما يمكن استدلاله ، أو من بعض الوثائق التي اطلعنا عليها ، أو ما روي لي تواتراً .. ولكن سكانها كانوا إبلائيين في زمن إبلا ، أو آراميين في زمن الآراميين ، وطالما أنها تعرضت لغزو الآشوريين (٧٣٨ ق.م) فقد سبوا سكانها ، أو هرب بعضهم إلى مناطق أخرى ، لكن سرعان ما عادوا إلى استيطانها ثانية في القرون الأولى بعد الميلاد ، وظلت آهلة بالسكان إلى أيام الفتح الإسلامي ، وإن سكانها أكثر عدداً من إدلب الصغرى, باعتبار الثانية أصبحت منشأة ديريّة, وهذه موقع قرية قائمة فيها الحياة السكانية كغيرها من القرى.. وسكن فيها من القبائل العربية بنو غسان والتنوخيون والأسديون فيما بعد ، لكن سكانها بدأوا يهاجرون منها إلى الصغرى منذ أواخر العهد المملوكي ، نظراً لتأثرها بالحروب الصليبية اقتصادياً ، ولنشوء إدلب الصغرى صناعياً ، وكذلك ظل الناس يهاجرون منها إلى أواخر القرن الثامن عشر كما أكد "بوركهارد" حين زار إدلب عام ١٨١٢م،والوثائق تؤكد وجهة نظره. ويروى أنه ظلت امرأة تقطن فيها وتحتفظ بذكرياتها في أواخر القرن التاسع عشر.

ويروى تواتراً إن بعض العائلات سكنت فيها كآل مرجانة(من المسيحيين) وآل كيالي، و مرجان ،و قوصرة، و برهوم، وقصاص ، وثبت من الوثائق العقارية وجودهم فيها. ولكن الوثائق التي اطلعت عليها أشارت إلى بعض العائلات التي اندثرت أو مازالت منها عائلة حميدي وثيقة٩٩٠ هـ والشيخ اسحاق بن الحاج ناصر المشهور بالجعيوزي (١٠٣٩ هـ/١٦٢٩ م) وجبارة باسم بيت جباري ١٠٧٣ هـ ودرغام بن الحاج علي ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م والحاج يوسف ١٠٧٣ هـ وناصر بكتاش ولهم فيها وقف ١٠٩٦ هـ.

سادساً – سكان إدلب الصغرى (إدلب الحالية) :لا نحب الخوض في هذا الموضوع كثيراً أو التفصيل فيه , لحساسيته و خصوصيته المحلية , و لا نحب أن يقول أحدهم قلت عن هذه العائلة كذا،أو كذا , سواء مدحاً، أو ذماً , فنحن أمامنا بعض الوثائق , و عليها اعتمدنا , دون اتخاذ موقف المادح، أو العكس , فالحقيقة التاريخية ملك للتاريخ , و مهمة المؤرخ إظهارها إلى الوجود , سواء أرضت هذا،أو غضب ذاك . و اضطررت للحديث في هذا الموضوع بإيجاز، و رغبة مني جمع بعض ما جمع , و تثبيته في طوايا هذا الكتاب . و حين أقول تواتراً ،أي ما رواه لي بعضهم عن أجدادهم، و قد أتينا في كتابنا(من إبلا إلى إدلب)على ذكر أن سكان إدلب الصغرى كانوا في أول أمرهم من النصارى المنوفيزيين (اليعاقبة) و هم السريان الأرثوذكس، و في أصلهم من بني غسان، و التنوخيين و كذلك في الكبرى كان بنو غسان فيها .. لو قدرنا حسب المعطى التاريخي , و الدراسة الأثرية المقارنة لقدرنا عدد سكان قرية دلبين في القرن السادس الميلادي أربعمائة نسمة .. و ظل هذا العدد يقل لتعرضهم إلى الاضطهاد الديني المذهبي من قبل بيزنطة، و الملكانيين .. فهاجر منهم من هاجر إلى مصرن و العراق، و بعضهم إلى لبنان . و في العهد الإسلامي ظل بعضهم، و لو بنسبة أقل إلى أن جاءت الحروب الصليبية , لتضطهد البقية الباقية , منهم من هاجر، و منهم من أسلم , فخلت قرية دلبين، أو ديرلب من سكانها . و بعد انتهاء الحروب .. بدأ بعض سكان القرى المجاورة بالهجرة إليها في منتصف القرن العاشر الهجري و يمكن القول إن أول حي فيها كان حي الصليبة ثم الشمالي ... في الصليبة سكن أهل القرى المجاورة , وفي الحي الشمالي سكن أهل قرى إدلب الشمالية، تلاه الحي الشرقي، ثم الجنوبي و مؤخراً الحي الغربي . لكن الهجرة الأكبر إليها تمت في النصف الثاني من القرن عشرا لميلادي، أي في العهد العثماني، و تلتها الهجرة الكبرى الثانية إليها في الستينات من القرن العشرين حين أصبحت

مركز المحافظة ... إن الامتيازات التي منحت لها في العهد العثماني على غيرها من القرى دفع الكثير من سكان القرى المجاورة بالهجرة إليها , و ليس هذا السبب الأقوى ،بل هو ضعف القرى المجاورة ،و عجزها عن تسديد الديون المترتبة عليها , إما لجهة مال الميري (أي مال الدولة) أو لجهة أرباب الإقطاع و النفوذ أو لجهة العساكر السلطانية المتنفذة , و ما أكثر الوثائق التي تعرضت إلى هذا الموضوع، و الأوامر السلطانية الآمرة بعودة الأهالي إلى قراها , و تقسيط الديون عليها , و كما سيرد في بحوث القرى كـ بكفالونن و تار، و حفسرجة، و غيرها .. و هذا أمر سلطاني تاريخه جمادى الأولى ١١٤٦ و موجه إلى القضاة في إدليب و دركوش و الشغور، و جميع الرعايا القاطنين بالمواقع المذكورة، و التنبيه على عدم نقلهم من قراهم و عدم تكليفهم دفع الأموال مرات عديدة بطريق الربا باعتبارهم دفعوها من خمس سنوات . و أمر سلطاني آخر في سنة ١١٥٤ هـ موجه إلى قضاة المعرة – إدلب – الشغور بلزوم إعادة عشائر الأكراد (في مناطق كلس) و إعادة تسكينهم في مناطقهم الأصلية و يفهم من هذا الأمر أن الأكراد جاؤوا من كلس إلى إدلب للعيش فيهان و أمروا ثانية بالعودة إلى مناطقهم(و من خلال الوثائق تبين لنا هجرة بعض العائلات إليها من القرى المجاورة غير إدلب الكبرى آل معدل من قرية منابيع قضاء سرمين وثيقة ١١٣٩ هـ - آل عاشور، و عاشوري من قرية كفر نوران قضاء معرة مصرين سابقاً – آل جبيرو من أتارب قضاء جبل سمعان وثيقة ١١٤٠ هـ باسم جبير . و يبدو أن المرسوم السلطاني المؤرخ في ١١٤٦ هـ قد صدر نتيجة هجرة سكان بكفالون إليها في سنة ١١٤٠ هـ، و كما وجدنا في الوثائق المؤرخة في هذا العام منهم آل عبيد، و سيد يوسف،و شحادة ،و ناصر الدين، و كردي، و يحيى و رجب و ١٠٧٣ هـ و كذلك الكيلاوي = كلاوي الآن . و من قرية الحراجة عبيد و علوان وثيقة ١١٤١ هـ، و من قرية بحاصد – انظر بحثها – و التي كانت إحدى المواقع التي توطن فيها الحمدانيون، و تمذهبوا بمذهبهم الشيعي و في أصل سكانها من بني غسان من أسماء القبور فيها " زين الدين وثائق بن أبي المعالي الغساني ٦٥٦ هـن و أقدم قبر فيها ٤٠٠ هـ أبو المعالي لقب ساد زمن الحمدانيين، و الغساني نسبة إلى قبيلته الغساسنة . أما سكانها حسب تقديرات الرحالة الذين زاروها منهم (جلبي عام ١٦٧١ م) قدرها بعشرة آلاف، و فيها ١٣٤٥ أرض معمرة تلاه(برسنز عام ١٧٦٧ م) قدرها بثلاثين ألف نسمة بعضهم نصارى،و قليل من اليهود ،والأرمن و (بوركهارد ١٨١٢م) بـ سبعة آلاف و (غي ١٨٤٥ م) بـ ستة آلاف و(طومسون– ١٨٤٦م) بـ ٨ آلاف و(يوليان –

١٨٨٨م) بـ عشرة آلاف بينما(معجم باشي)العثماني عام ١٨٨٨ بـ ثمانية آلاف و فيهم ٩٠٠ نصارى نو قبلهم عند البستاني و في كتاب آثار الأدهار بـ ثمانية آلاف عام ٧٥ـ ١٨٧٧ .(كوينية زارها عام ١٨٨٨م) و ذكر عدد سكانها ١٣٤٠٠ نسمة ،و كذلك السالنامات العثمانية التالية تشير إلى هذا الرقم . يمكن القول :إن سكانها بلغ أوج عددهم في منتصف القرن الثامن عشر و هو عصر ازدهار إدلب اقتصادياً، و اجتماعياً , بعد اهتمام آل الكوبرلي بها نو ناظري الأوقاف الكبار كـ بشير آغا، و شخصيات ذات فاعلية مؤثرة فيها كـ حسين آل نعمة، و غيره ..

كما نلاحظ قلة عدد سكانها في القرن التاسع عشر , و خاصة بعد ضعف نفوذ آل الكوبرلي في مطلع هذا القرن و ضعفها الاقتصادي أيضاً . و الأمر ذاته حصل في مطلع القرن العشرين . ذكر الإحصاء العثماني عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م سكانها ١٥٤٠٥ و في عام ١٣٢١ هـ ١٤٠٠٠ و في عام ١٣٢٤ هـ ١٣٣٣٠ و في عام ١٩٢٣ عند الغزي ١١٢٩٨ نلاحظ تراجع عددهم , و يعود السبب إلى هجرة سكانها خارج القطر إلى الأمريكيتين في مطلع القرن العشرين و مرض الهواء الأصفر في إدلب و جسر الشغر أي الكوليرا و المجاعة التي تلتها حتى قيل إنه كان يموت كل يوم ٢٠ – ٢٥ شخصاً و يرفض بعضهم حمل الميت و كذلك البرد الشديد و الثلج عام ١٩٠٦ م و المجاعة الواقعة عام ١٩١٨ و الناس يأكلون قشر الجبس من الشوارع و قشر الفواكه أو الخضر و ضرب مثل يقول (خذ نحاس و أعطني حنطة) و كذلك حول حرب السفر برلك هي الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ قيل (الرايح مفقود و الجاي مولود) حتى الحاج كان يقام له حفلة لعودته بالسلامة .. هذا الوضع المضطرب دفع الكثيرين بالهجرة .. و نقف قليلاً عند الغزي الذي ذكر تفاصيل عن سكانها , و لا ندري هل أخذها قبل حرق السجلات الرسمية من قبل نورس طيبا عام ١٩٢١ – حين داهم دار الحكومة و نهب ما فيها أم فيما بعد ؟! لكن المهم تعداده للمحلات تفصيلاً[٢٣] و لو جمعناهم حسب الأحياء لكان الأمر كما يلي : المنطقة الأولى و كانت تسمى بالحي الشمالي = أربع محلات هي زاوية أبي النور ٦٤٧ – الحربة ٦٦٦ المبلط ٧٥٢ القصاص ٦٤٥ = ٢٧١٠ . المنطقة الثانية أربع محلات هي في الحي الشرقي : الكيالي ٦٦٧ الجوهري ٩١٢ الفالح ٦٩٥ محمد نوري ٣٣٦ = ٢٦١٠ نسمة المنطقة الثالثة و هي الحي الجنوبي خمس محلات الأميري (حمام الميري الآن) ٦٤٥ الشيخ إسماعيل ٦٨٧ العريان ٦٣١ الجامع الكبير ٦٣١ الشيخ فتوح ٧٤٩ = ٣٣٤٣ . المنطقة الرابعة و هي الحي الغربي خمس محلات

الفنري ٦٣٠ المنلا (الآن الملا) ٥٦٩ عمر (الآن العمري) ٦٠٩ النصارى (الآن المحلة المسيحية) ٥٢٤ المرتيني ٣٠٣ = ٢٥٣٥ و لعلنا لو نظرنا إليها نظرة تأملية من حيث توزع السكان في الأحياء لوجدنا إن أكثرية السكان كانوا متواجدين في الحي الجنوبي، و الذي يقع جنوب الدير، و مكان إدلب الصابون، و الذي هو سابقاً حي الصليبية , و كذلك سميت المحلات بأسماء العائلات عشرة، و الزوايا،و المساجد خمسة و باسم رسمي ثلاثة. مما يدل على أن الوجود العائلي يثبت الوجود الرسمي و هذا أمر طبيعي في حركية المجتمع السكاني . كذلك لو نظرنا إليها نحفر في ثناياها عن الماضي لوجدنا محلة الجوهري تحتل المركز الأول في عدد سكانها، و آخرها محلة المرتيني . و هذا يدل على أن سكان الحي الغربي قد جاؤوا متأخرين سواء المسيحيون من الحي الشمالي، و من إدلب الكبرى،و المرتيني من قرية مارتين المنسوبين إليها ، و أكد هذا بعض كتابات المساكن في الأحياء(٢٤) .. و مقارنة عدد سكان إدلب عام ١٩٢٢ البالغ عددهم ١١٢٩٨ مع سكان قضاء إدلب ٤٢٦٥٨ لوجدنا إن سكانها يعادل تقريباً ربع سكان القضاء . و في هذا الإحصاء لسكان دولة حلب كان عدد الذكور أقل من الإناث و كان يوجد غرباء عددهم ١٥٣ و هم اليهود المقيمون في قضاء إدلب . كما أشار جدي الشيخ الطباخ إن نفوس قضاء إدلب كما استخرجه من دائرة النفوس عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م بـ ٤٣١٧٣ نسمة . و في عام ١٩٣٤ زار إدلب أحمد زكريا و قال سكانها ١٥ ألف نسمة و في عام ١٩٤٣ الذكور ٩٤١٢ و الإناث ٩٣٠٧ أي ١٨٧١٩ بينما الإحصاء الفرنسي لإدلب عام ١٩٤٣ ذكر وجود ١٩٠٠٠ نسمة(٢٥) . و في عام ١٩٥٦ أصبح عدد سكان القضاء ١٠٥٨٧٤ و إدلب ٣٢٢٠٠ كما أشارت إلى ذلك الدكتورة رجاء وحيد دويدري , و أن نسبة زيادة السكان في هذا العام خصبة بالمقارنة مع سنة ١٩٥٠ سنة حدوث الصقيع الذي حمل الكثير من أهاليها بالهجرة للمدن الأخرى , و كذلك هجرة الطلاب، و الدارسين إلى حلب ،و أشارت أيضاً مفيدة بيطار في بحثها الجغرافي عن إدلب إلى عوامل الهجرة بعد الحرب و خروج المستعمر الفرنسي إلى استغلال بعض اللصوص , و عدم وجود الأمن لسرقة بيوت المسيحيين، مما أدى إلى هجرة أكثر المسيحيين إلى حلب . و لكن بعضهم عاد فيما بعد . كما جاء بعض الأرمن إليها في العهد الفرنسي للعمل الوظيفي فيها . ونشير إلى أن عدد سكانها عام ١٩٦٠ بلغ ٣٦٦٩٨ نسمة و في ١٩٦٤ = ٣٩٢٤١ (٢١٦١٢ ذكور ١٧٦٢٩ إناث) و في ١٩٦٨ = ٤٢٠٠٠ ن و أما الإحصاء السكاني في عام ١٩٧٠ فقد بلغ ٣٤٥١٥ نسمة و عام ١٩٧٧ ٥٠٩٦٧ منهم ٢٦١٦٩

ذكور و ٢٤٧٩٨ إناث . و في عام ١٩٨١ بلغ عددهم ٥١٨١٧ نسمة . نلاحظ مما سبق ازدياد عدد سكانها للهجرة المتزايدة إليها بعد جعلها مركز المحافظة , و إقامة المنشآت الحكوميةن و المصانع فيها , فهاجر إليها الكثير من سكان الريف و هي نقلة حصل مثلها في النصف الثاني من القرن / ١٧ و الربع الأول من القرن / ١٨ أي ثلاثة قرون تمر على هذه النقلة الحضارية عمرانياً و سكانياً , لتحصل أخرى مثلها , و في واقع مختلف بعض الشيء , الأولى سببها عجز عن دفع الضرائب و التسهيلات الممنوحة لمن يستوطن فيهان و الثانية البحث عن فرص أفضل للعمل و التسابق على مراكز النفوذ و لنأخذ الآن عينة من دائرة نفوس إدلب في الثمانينات :

العام	ولادة	وفاة	زواج	طلاق
١٩٨١	٣٧٠٥	٦٦١		
١٩٨٢	٤١٨٣	٧٥٨		٥٣
١٩٨٣	٤٦٢٩	٧٣٨	٨٦٦	٤٥
١٩٨٤	٥٢٧٣	٧٠٥	٩٢١	٧٦
١٩٨٥	٥٦٠٠	٨٠٠	٩٧٧	٨٠
١٩٨٦	٥٢٦١	٦٤٠	٧٥٥	٥١

نلاحظ الولادات أكثر من الوفيات بخمسة أمثال، و أكثر. هذا يدل على حيوية الشعب الإدلبي , كما نلاحظ تراجع عدد الوفيات بالمقارنة مع نسبة زيادة الولادة نظراً للتقدم، و الوعي الصحي ،و رعاية السلطات للمواطنين . كما نلاحظ زيادة الطلاق في عامي ٨٤ و ١٩٨٥ للتضخم النقدينو متطلبات المعيشة المرتفعة في هذه الأعوامن و لضعف التماسك الاجتماعي , فإدلب تعيش مرحلة تراجع اجتماعي، و ضعف أسروي منذ الثمانينات و حتى نهاية القرن العشرين , و الأكثر يقول " اللهم أسألك نفسي " و العياذ بالله !! و لنأخذ الآن عينة أخرى في عام ١٩٨١ حسب تعداد السكان و توزعهم في الأحياء كما يلي الحي الجنوبي ١٧١٥٤ الحي الغربي ١٦٢٦٤ الحي الشمالي ١٢٩٤٨ الحي الشرقي ٥٤٧١ .إذن يمكن القول الحي الجنوبي هو الأكثر سكاناً،و هكذا كان في الربع الأول من هذا القرن – راجع ما سبق – و الحي الأقل سكاناً هو الشرقي، و بنسبة تراجعية قوية , بينما الحي الغربي احتل المرتبة الثانية بعد أن كان أقل حي مسكون في الربع الأول , و يعود هذا إلى تقدم إدلب عمرانياً بعد الستينات باتجاه الغرب ،و الجنوب، و ظل هذا حتى أواخر هذا القرن ساعة إعداد هذا البحث ١٩٩٨ . و كذلك نشير إلى هجرة الفلسطينيين

إليها بعد حرب ١٩٤٨ و سكنهم بعض الزوايا مؤقتاً , ريثما تتحسن أوضاعهم المادية،و المعنوية ،و هكذا كان .. و في عام ١٩٩٩ بلغ عدد سكان إدلب ١٠٣ ألف نسمة .

سابعاً :أصول بعض العائلات: هذا موضوع قد يثير الحساسية عند بعضنا , فجميعنا أبناء آدم .. و لكن للتاريخ يتحتم علينا و لو بالإشارة إلى بعض العائلات , التي نتطرق إليها بعض الشيء , أو يتوقعها بعضهم , و لحب بعض الناس معرفة أصولهم ... و من خلال الوثائق العثمانية المخطوطة، و التي اطلعت عليها , بعضها تم عرضها في طوايا هذا الكتاب، و أخرى في كتابنا(من إبلا إلى إدلب) يمكن القول : من العائلات القديمة بإدلب، و التي سنتعرض إلى أصولها فيما بعد هي : جحا – فنري – عياشي – رحال – يازجي – المعلم – كيالي – بالق – زكور – فالح – سميع – يحيى – حسين نعمة – قره محمد – رحابي – قطيع – عبيد (جُلّق) – قحفظان – نعمة – النص – عثمان – جمالي – سفلو – اربيع – جوهري – شيخ إسماعيل – حربا – قصاص – أصفري – قوصرة – كردي – قريد – معدل – جباس – شعار – رنة – حميدان – سيد يوسف – عرابي – بعاج – رمضان – كشكو (كشكش) – نجار – ابن قاسم – حسين – البطل – جلبي – شيخ الحدادين – يحيى – مارتيني – برش و من العائلات التي كانت بإدلب أو هاجرت منها أو تغير لقبها :جبلاد (وثيقة تاريخها ٩٩٠ هـ) – الكوبرلي – الزهراوي – مكي – ابن الأقرع – ابن قابل – الكاملي – جلّق (جلّيق) – رستم – هرا – ملقوف – زغيب – كوتشكار – حرملة – جبان – بشه (و هي تركية و تعني الأخ الكبير) – العصائبي – ابن جانم – ابن عيسى – السلموني (منهم مفتي) – ابن بدران – بقسماوي – بق بهنس كورد (أي كردي ١٢٦٠ هـ) هروش (من الجائز هي نفسها عائلة هرموش) – بنو مراد – الخاتمي – الكيلاوي – شرف – وفا – حسن – عرابي – حسين – مخول (مسيحية) .
و من العائلات المكناة بألقاب تركية أو تركمانية : يازجي (كاتب) و قره محمد و بكباشي و بازرباشي و بشنقلي .
بشنقلي : و هي عائلة أصلها من بلاد بشناق و هو كاسم البوسنة و الهرسك. و يبدو أنها أتت منذ أيام الكوبرلي .
أبو زيد آغا و باكير آغا : من الانكشارية العثمانية .
بيلساني : يقال من تدمر من عرب نعيم ! أصلهم بيلسان بدون ياء .

مارتيني، أو مرتيني : في حجتهم الشرعية الموثقة لنسبهم يمتون إلى النبي المصطفى محمد / ص / من خلال نسبهم للإمام علي بن أبي طالب , الحجة صادرة في مجلس المحكمة الشرعية بإدلب الصغرى سنة ١٢٣٧ هـ لكن أصلها مؤرخ في ١٠٣٤ هـ و هي تثبت صحة نسب عمر أفندي مرتيني و يؤذن لذريته و له بوضع العمامة الخضراء الهاشمية و الخرقة الطاهرة الزكية كما هو معتاد للسادة الأشراف . و تذكر أن عمر والد أحمد أفندي و والده قد هاجرا من قرية مرتين و مصدقة في القسطنطينية (إسطنبول) . و الحالية تؤكد ذلك إذ صدقها نقيب الأشراف بإدلب الحاج حسن أفندي عياشي زادة . و عليها خاتم السيد حسين الكاملي النائب بقصبة إدلب الصغرى . و حضر الشهود حسن جلبي هروش، و محمد بن السيد حسن أفندي كاملي زادة، و عمدة العلماء الكرام السيد محمد أفندي ... و السيد الحاج طه أفندي شاميه، و السيد الشيخ عبد القادر جحا زادة، والسيد الشيخ صالح حميداني، و السيد محمد آغا جحا زادة ،و السيد عمر أفندي كاملي زادة ،و الشيخ محمد أبو النور أفندي كيالي، و السيد جلبي رحابي، و السيد باكير بن باكير باشا، و السيد محمد بن شاكر أفندي، و السيد سليمان بن البطل، و السيد درويش عثمان فلاحة، و السيد محمود نعمة، و الحاج أحمد جلبي قريد، و حررها علي حاتمن و المحضر عمر قب منايه . هذه الوثيقة الهامة توضح لنا زمن بدء الهجرة القوية إلى إدلب منذ مطلع القرن الحادي عشر الهجري – قبل الكوبرلي – و كذلك أسماء عائلات بإدلب , و إن آل مرتيني كان لهم دورهم الاجتماعي المؤثر في تثبيت حجة شرعية كهذه , و قد ذكرهم الشيخ كامل الغزي (١٩٢٣ م) بأنه قد تولى الكثير منهم منصب الإفتاء و منهم العلماء و الوجهاء و أشار إلى وجهاء الأسرة كالشيخ شريف و الشيخ بركات و الشيخ هاشم .. و سنتعرض إلى ذكر بعض وجهائهم الفنر أو الفنار و أخيراً الفنري – فنري : قال الغزي ١٩٢٣ إنها عباسية الأصل و أشار إلى وجهائها حينذاك منير أفندي و الحاج صبحي أفندي و هما أصحاب منزل القرى الضيوف . و كذلك الكامل الكيالي قال إنها عباسية . لكن بعضهم حين ترجم لهم قال هم من بلاد الروم أي عائلة عثمانية كـ الفناري (٧٥١ – ٨٣٤ هـ) محمد بن حمزة بن محمد بن شمس الدين أنصاري ،أو الغزي الرومي العالم بالمنطق . و أنه أكمل تحصيله العالي في قرامان ثم مصر . و قرامان هذه هي الآن مناطق أنقرة العاصمة التركية . و كان في قضاة حلب سنة ٩٢٥ هـ زين العابدين أفندي الفناري و ٩٢٩ عبيد الله أفندي بن يعقوب الفناري (٢٦) و يبدو أنهم جاؤوا إلى إدلب بعد حلب، و صار لهم نفوذ خاصة في مجال تملك الأراضي .


شجرة نسب آل جحا

جحا أو جحي : هم من العائلات القديمة ، ذكرتهم الوثائق العثمانية بفلان المعروف بابن جحا، و كما سيمر في بحوث أخرى . ذكر الغزي ١٩٢٣ م من وجهائها الحاج رفعت آغا ،و طاهر آغا أنجال مصطفى آغا، و نوري آغا، و كان أحد أعضاء المجلس العمومي في حلب أيام الحكومة العثمانية ،وهم يمتون بصلة النسب إلى آل البيت (الصورة مكررة)

المعلم : و تكتب الآن معلم وصفها الغزي (١٩٢٣ م) بالسخاء و قرى الضيوف و من وجهائها الحاج طاهر آغا بن الحاج محمد آغا بن الحاج هاشم آغا . يقال إن جدهم الكبير يعود إلى زمن السلطان سليم الأول حين كان في مصر و فيها نقيب أشراف و هو جدهم عاد معه،و اسمه محمد نقيب جلبي معلم. استلم التزام الضرائب بإدلب و ظل فترة ... و حصل في زمن سليمان أفندي أن قام العامة عليه و خوزقوه في الرمادة الغربية و أخوه حمود في الرمادة الشرقية و بذلك انتهى نفوذ آل المعلم بإدلب و الباقي خشي على نفسه فهاجر منهم إلى ريحا و عاشوا في بيت عبد الكريم فترة طويلة – و هذه الرواية عن كبار سنهم ..وورد في أكثر من وثيقة اسم(النقيب)وهو جدهم صاحب المراكز المرموقة،وكذلك لقب (الجلبي)ينسب إليهم.
كردي : يعودون إلى زمن حضور الأكراد إلى المنطقة ،منذ ايام صلاح الدين.
قريد : يقال أصلهم من حمص إلى إدلب الشمالية ثم الحالية .لهم فضل في بناء مسجد
النص : من العائلات القديمة إلى أيام الكوبرلي ... تمتعوا بنفوذ قوي في المجتمع،خاصة درويش آغا النص.كان لهم خان شمال جامع الأقرعي،كماتشير الوثائق إلى ذلك..بيوتهم كانت في سوق البازركان(القماش)

رنه : أصلهم نصارى و أسلموا , و ضرب المثل بهم (لا قهر بيت القوصرة و لا كفر بيت رنه) .
حربا : من العراق كما قيل ؟أو قد يكونوا في أصلهم من(حربتا –غرب ادلب)وما زالوا يملكون الأراضي هناك،كان لهم نفوذ في ادلب ،في اواخر

القرن١٩م ،خاصة في الحي الشمالي،عرفوا بنشاطهم ،وحبهم ، وعمل الخير،بنوا زاوية ،وسبيل،وكما ورد في كتابنا .
بركات : يقال أصلهم من قرية حسفايا شرق ادلب ،و هم عرب موالي ؟
جباس : من قرية سرجة في جبل الزاوية. وتملكوا أراض في نجارة (بنجارة) في قضاء سرمين
الأصفر – أصفري : ذكر الغزي (١٩٢٣ م) إنها عمرية النسب و كذلك الكامل الكيالي إن نسبها متصل بعمر الفاروق . و من وجهائها نوري أفندي و كان رئيس بلدية إدلب و من أصحاب الأملاك الكثيرة . و إنه في وقته من أعضاء المجلس العمومي في حلب ثم أصبح نائباً عن إدلب في زمن الانتداب الفرنسي ١٩٣٢ م . و في رواية أخرى إن أصلهم من الهند، و هم ذاتهم كانوا يكنون بـ دهلوي أصفري و هي دهلي – دلهي عاصمة الهند في عصور مختلفة .
قوصرة : أصلهم من عشيرة بني غسان ينسبون للأمير ابن جرّار الغساني . سكن بعضهم إلى الشرق من سرمين في جند قنسرين حوالي ٤٩٠ م , و كان لهم دورهم في موقعة حليمة ٥٤٤ م . استعان بهم الخليفة العباسي المتوكل إذ عين " يعقوب بن إبراهيم قوصرة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م نائباً للديار المصرية في عهده والياً على بريدها , و كانت على يده نكبة قاضيها محمد بن أبي الليث ،و آخرين أساؤوا التصرف في مال الدولة " , ثم أعيد إلى بغداد ليتولى منصب الحجابة للمتوكل , و استمر في هذا المنصب إلى أن مات ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م - الزركلي في الأعلام ٩ / ٢٥٣ و تاريخ ابن الأثير البداية و النهاية ١٠ / ٣٢٥ و المنجد في الأعلام مادة قوصرة . بعد وفاته عادوا إلى المنطقة و سكنوا فيها , بعضهم استقر في بحاصد جنوب إدلب ،و الآخرون في إدلب الشمالية ..
و إن (آل الأشقر) المسيحيون في لبنان يمتون لهم بصلة النسب، و عندهم شجرة العائلة المنسوبة لآل غسان .
الجوهري – جوهري : ذكر الغزي (١٩٢٣ م) أنها من أسر إدلب القديمة . و يوجد جوهري في نابلس في الأردن كما ذكر المرادي في سلك الدرر حين ترجم لعبد الله الجوهري و والده الشيخ الفقيه عبد الغفور و أنه كان شافعياً (٣ / ٨٨) و أرجح أن آل الجوهري هم الذين حولوا أبناء إدلب إلى المذهب الشافعي، مع أن الدولة العثمانية كان مذهبها الحنفي لوجود مسجد باسمهم، و زاوية، و لكثرة العلماء ،و المفتيين منهم سابقاً .ينسبون إلى جدهم

الأعلى(مكاوي-مكي)والذي سمي الجامع باسمه(جامع مكي) لكن غلب عليه اسم جامع الجوهري.تمتعوا في القرن١٩م بنفوذعلمي وخيري في البلد..
حميدان – حميداني : أصلهم من رام حمدان هاجروا إلى إدلب في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (عن الكامل)للكيالي . ذكر الغزي من وجهائها محمود أفندي المدرس العام في جسر الشغور . و نضيف إن الأستاذ عبد الحميد حميداني (أبو أسامة) الذي عاصرناه حاول في أخريات حياته وضع كتاب عن إدلب، و لم ينجز، و لم نطلع عليه !!.كانوا من المتقدمين في العلم، والكتابة عن غيرهم ،ظهر بينهم فضلاء خدموا البلد ،وكما ورد في عدة وثائق تم عرضها في الكتاب،من السكان الأصلاء في الحي الشمالي.
سيد عيسى : أصلهم من حمص و يمتون بصلة النسب للإمام علي (ر) بموجب حجة شرعية عندهم .. إي إنهم من الأشراف، و كانوا في العهد العثماني يضعون العمامة الخضراء على رؤوسهم .
سفلو – اربيع : عائلة واحدة سكنوا في أول أمرهم المحلة الشرقية بإدلب، ثم انتقلوا إلى الحي الغربي . يقال إن أصلهم من الجزيرة .. و عندي وثيقة تقول عنهم (سفلوا) بالألف المعروف بابن القصاب. جدهم ا لأعلى عثمان (شومان) الذي سمي الزقاق باسمه في الحي الغربي'وسكنوا فيه مع بيت قوصرة وصناع وباطوس ،وبعض المسيحيين كبيت هلالة ومرحانة وغنوم
بطحيش : من عكا كما ذكر المرادي في سلك الدرر .
زيداني : من عكا كما ذكر المرادي . ذكرتهم وثيقة تاريخها؟ هـ باسم زيدان و أراضيهم غرب إدلب .
بعث : من دمشق كما ذكر المؤرخ المرادي في سلك الدرر .
النداف : هم من بيت العروس ؟ !
ربوع : أصلهم من قرية تلاته (كفرلاتا) في جبل بني عليم – جبل الأربعين ،وهي أكبر قبيلة عربية سكنت الجبل، ودافعت عنه ضد الفرنجة ،لذلك سمي القسم الشمالي من جبل الزاوية باسمهم – جبل الأربعين و يمتون بصلة النسب لبيت قواس ...معظم العائلات أصلها منهم..روى لي بعض كبار السن أ ن آل ربوع لقبوا ب دعدوع وربوعة ،إذ كانت عندهم بقرة وحسب العادات يلقبونها ربوعة ،وهو أراد اخفاء اسمه، ولقبه الناس بربوعة، ثم ربوع .
زكور : يقال إن أصلهم لـ محمد الشوربجي من حاشية السلطان العثماني , يغضب عليه فيغادر مع ابنه إلى هنا، و يدعى زكور الذي تمت العائلة له !؟ وورد معي ذكر الشوربجي في وثائق ادلب.

يحيى : يقال إن العائلات برهوم، و غريب، و نعمان، و نِعمة جلب، يمتون إليهم بصلة النسب ! .
عياشي : نرجح أنهم يمتون إلى النبي محمد / ص / من خلال نسبهم للإمام علي / ر / و ذلك من خلال الحجة الشرعية لآل مرتيني إذ ذكرت نقيب الأشراف بإدلب الحاج حسن أفندي عياشي زادة عام ١٢٣٧ هـ ،و الأشراف هم كل من يمت إلى آل البيت فكيف بنقيبهم !!؟ و كذلك رسالة الأمير ناصر بن الشريف حسين لمفتي إدلب برهان الدين عياشي أنهم من الأسر العربية العريقة ...
كوريني: أصلهم من كورين غرب ادلب ،جاؤو إلى ادلب في النصف الثاني من القرن١٩م

الزير : يقال أصلهم من بلاد نجد من عائلة بني ربيعة . هاجر أحدهم إلى طرطوس و لخلاف مع غيرهم هاجر أولاده إلى حمص و قضاء اللاذقية و الآخر إلى إدلب بعد عام ١٥٠٠ م و ليتزوج من بيت جمالي و توفي فيها حوالي ١٦٠٠ م .وردت وثيقة تذكرهم في ادلب الشمالية .لم يكن هناك محاكم تخصصية، بل شرعية،ومن أهم الوثائق التي اطلعت عليها هي في سجلات المحكمة الشرعية في حلب،والقليل في حماة . عندي وثائق عن عائلات إدلب الشمالية كبيت غزال وقصاص في إدلب الكبرى(وهي الشمالية) إحداها لابن الزير سجل وكفل عند تجار حماة، مصدرها المحكمة الشرعية في حماة ((وفي السجل ٢٢ الصفحة ١٨٨ في سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م في قضية دين ورد " سبب تحريره بعد أن كفل الرجل عبد الله بن علي المعروف بابن الزير من أهالي قرية ادلب الكبرى وإحضار الرجل المدعى عليه بن عبدو بن أبي الحسن من القرية المزبورة (المذكورة هكذا) والمبلغ الذي في ذمته وذمة أخيه محمود بموجب حجة شرعية للحاج محمد الصباغ القاطن بحماة وقدره ٤٠ سلطانياً كفالة شرعية ... " طبعاً يستقر المبلغ لصالح المكفول بحكم شرعي وما ورد في الوثيقة . كما تفيدنا في أن أبناء ادلب الكبرى قد كانوا يقيمون علاقات تجارية مع أبناء حماة و ابن أحد تجارها الكبار المعروف بابن الزير قد كفل تاجراً أصغر من أبناء قريته لصالح تاجر بحماة , وظل يحاول تحصيل ديونه ومبلغ ٤٠ سلطانياً مبلغ كبير حينذاك , مما يؤكد على غنى أبناء ادلب الكبرى ،ليكفل أحدهم مثل هذا المبلغ. ..
تأملوا معي تاريخ هذه الوثيقة ٩٨٨ هـ والعثمانيون دخلوا عام ٩٢٥ هـ إدلب

الكبرى (الشمالية..) أي بعد دخولهم بنصف قرن،مما يشير إلى توطن السكان فيها...
من العائلات القديمة(البلار) في قرية ادلب الصغرى (الحالية) وكما ورد في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((رقم السجل ٥ صفحة ١٠ رقم الوثيقة ٣٨ تاريخ الوثيقة: ٢٧ محرم ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م . حضر عبد الله بن بكري وصنبو بن محمد ومحمد بن احمد من قرية فيلوهن من ناحية الروج التابعة لقضاء سرمين وكفل كل منهم بنفس الآخر وكفلهم زين الدين بن يوسف من قرية ادلب الصغرى من قضاء سرمين وكفل الحاج جمال الدين بن محمد المشهور بالبلار من قرية ادلب الصغرى بنفس زين الدين كفالة شرعية)) .
تواصل مع أحمد الكاملي ثلاثة أسر هي: نعمه وبطل وكيالي .
تعتبر عائلة العصايبي من الأسر القديمة في ادلب لكنها دثرت وغيرها كثير..
قيل ل الكوبرلي(ايهما لم يحدد؟)بنتان احداها تزوجت من بيت العياش، وأخرى من بيت الفنري ومن هنا جاءت ثروتهم اذ تملك آل الكوبرلي ٧٠%من ادلب .الذي تزوجها من الفنري كان يعمل في قصره(وهو خان الوزيرين-وفعلاً هم ورثوه)وفي رواية أنه منح ١٥%من اراضي الوقف لبيت الفنري.

ثامنا: تفسير أسماء بعض العائلات[1]**:** بإمكاننا القول إن معظم أسماء العائلات في أصلها إبلائية سريانية , لكون المنطقة في أصولها الحضارية إبلائية آرامية – سريانية , و لتأصل عادات، و عبارات، و كلمات العروبية القديمة في الحياة الثقافية، و الاجتماعية الأسروية , تداخلها تفاعلات حضارية أخرى , و هذا يحصل في كل مجتمع حي .
حربا : و تكتب حربه = سريانية و تعني المكان القفر أو الخرب في الصحراء , و قد يكون معناها الحربة أو السيف . و نرجح أصله إبلائي لورود حربات في لغة إبلا , كموقع لبلد أو قرية .(برأينا هي غرب ادلب في خراب يسمى حربتا- راجع كتابنا من إبلا إلى ادلب)
بَلْشة أو بلشي = سريانية : ضر، و أذى نأو اليد التي يتشكى منها , و تعني المصيبة، و النزاع .

[1] - (١) تم الاعتماد في تفسير هذه الأسماء على عدة مراجع و مصادر سيضمها كتابنا (دليل أسماء بلدان محافظة إدلب و قراها).

زغل = سريانية : الداهي من الخبث ،و الخبث ،و في العربية الغش، و الزيف . و حين ننزعج من شخص نقول له : حاج تزغول، أو تزوغل .
برش – برشة = عربية : نقاط في الجسد تخالفه لوناً، و الصفة منه الأبرش . و في الوثائق العثمانية عائلة برش , و هو اسم جبل باريشا في العهد العثماني الأول , و توجد قرية باريشا فيه ،و تعني بالسريانية مقدم الرأس، أو الشيء .
قوصرة : عربية و تعني معجم مفردات اللغة , و الفتاة ذات العنق الطويل و الأشهر وعاء من سعيف النخل كان يضع العرب فيه التمر، و للإمام علي / ر / بيت من الشعر يقول فيه :

أفلح من كانت له قَوْصرَّة   يأكل كل يوم منها مرَّة

و هناك جزيرة قوصرة قرب صقلية فتحها العرب المسلمون سنة ٨١ هـ .
دويدري – دويدر سابقاً أصلها دوا - **دار** : دوا جمع دواة و هو الموظف العامل في الديوان .
قرة – محمد : تركية أسْود = محمد الأسود .
الفنري – فنري : في أصلها الفنار، و هي تشير إلى الضوء،و المنارة، و يوجد في اسطنبول حي الفنار،و هو حي خاص بالمسيحيين الأرثوذكس يقيم فيه بطريرك تركيا .
أصفري : سموا بذلك لكثرة الدنانير الذهبية الصفراء بين أيديهم .
بشنقلي : أصلها من كلمة بشناقن و هو اسم البوسنةن و الهرسك سابقاً . و يقال إن أصلهم ضابط تركي تزوج إدلبية ، و كان لهم زقاق بيت حاج قرب طاحونة بيت عبدان القديمة .
شقيفة : سريانية من شِقف جمع شقيفة و تعني قسم جانب – ناحية و كذلك تعني الحصن الصغير المحفور في لحف الجبل .(مثل شقيف دركوش)
عبد الحنَّان : بتشديد النون , ذو الرحمة من الأسماء الحسنى , سريانية . و عبد مفهومة للجميع أي عبد الله .
زير : فارسية و تعني الشجاع المقدام، و قصة الزير سالم معروفة ،و هي اسم للأسد أيضاً، و كذلك تعني ذهب، و كذلك تعني اصطلاح موسيقي من العربية عن الفارسية : الوتر الذي يقابل البم .
شماس : خادم ديني و هو دون القسيس و معاونه في أثناء القيام بالخِدم الكهنوتية نو جمعه شمامسة – سريانية .
شاوي : سريانية و في عرف أهل الشام , هو الذي يتعهد توزيع الماء على المزارعين و تنقيته .
شويش : سريانية و عربها العرب من أصل شوَّش و تعني بلبل .

غريب : سريانية في أصلها غرَب و تعني صفصاف .
مَرْجان : معرب و بالسريانية معناها مرجانة , لؤلؤة درة , جوهرة . و في إنجيل متى ٧ : ٦ " و لا تلقوا جواهركم قدام الخنازير " و في القرآن في سورة الرحمن " يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان " . و في إدلب آل مرجان إسلام و آل مرجانة مسيحيون !!
بالش : فارسية و تعني وسادة , و في التركية ياصدق .
مشيمش : جائز جاءت من اسم شمش و هو أحد الآلهة القدامى الآشوري , و هو اسم إله الشمس الذي كان يعبد في العالم العربي القديم . و يعتبر إله الشمس الرافدي و إله الحق و النبوءة . و بالسريانية شمِش : خدم . و يوجد قرية مشمشان في منطقة جسر الشغور . و في لبنان قرية شمشمايا (في عالية) = شمس الماء بالسريانية .
حَتى : أصلها حثى – حثيون و هم الشعب الذي سكن هنا .
نعمة و نعمان : جائز جاءت من الاسم الثاني للإله الفينيقي نعمان , و قد جاءت عن طريق السريانية .
حجلة : جائز جاءت من اسم إله القمر (عجل بول) أحد الآلهة التدمرية !
عليان : جائز جاءت من اسم إله النبات عليان بن بعل في الأدب الكنعاني الأوغاريتي و هو نظير أدونيس و تموز ! و هي سريانية في أصلها عليا = عالٍ . و يوجد قرية عليا في منطقة إدلب .
يازجي : تركية و تعني كاتب .
عياشي : جائز أصلها من أياش ؟ و هي قصبة من يصنع بها الصوف في نواحي أنكورية (أنقرة) من بلاد قرمان و منها القاضي أحمد أفندي الأياشي (انظر البوريني في تراجم الأعيان) . و يقال أنه في زمن المغول إلى المنطقة لجأ إليهم الناس طلباً للعيش و المأكل , فأعطوهم ما عندهم فقيل بيت عياشي
مارتيني – مرتيني : جاءت من مارتو العمورية و تعني الغرب و بالسريانية و تعني سيدات و هي جمع مؤنث لكلمة مرتو أو هي بمعنى سيد التين _ راجع دليل بلدان محافظة إدلب و قراها مادة مرتين _ .
أقجة أو **قجة** : تركية بمعنى مبيض .
مرديخي : إن اسم مرديخ هو موقع إبلا الواقعة فيه باسم تل مرديخ , و في أصلها اسم الإله القومي مردوك في بلاد بابل , و في أصله إله الزراعة , و يرمز إليه بالثور و خواره الرعد ! .

الكيّالي : نسبة إلى الكيل مرتين : مرة أن وزن فعّال يفيد النسبة , و مرة : بزيادة ياء النسبة , فهو كسمّاني .
بازرباشي : تركية بمعنى رئيس السوق = بازرباشي .
كتخدا : من التركية عن الفارسية : و كيل الوالي .
شعيب : اسم لنبي في القرآن الكريم.
شْعَيِّر : من العربية = الشَعير . نبات من الحبوب .
عاشور و **العاشوري** : جابي الغلال قديماً سمي بذلك لأنه يجبي العشر أو اسم آلهة الخصب في ابلا عشارا و منه يقال البقرة معشرة أي ستلد أي دليل الخصب ما يؤكد التأثير الثقافي لإبلا .
البطل : عربية = الشجاع .
بيلساني : أصلها بيلسان : و هو شجر كثير الورق قصير , زهره أبيض صغير على شكل العناقيد , و منه يستخرج دهن البلسم . و زهره مفيد لآلام المعدة . و هي كلمة عربية .
داكل : لعل أصلها داك و يقولون في العامية داك عليه حدا يعجزو , و يقولون : داك الكَل , و ويش منّك و مالديُكة , و لم نجد لها أصلاً . و لعلهم بنوا فعل داك من الديك : الشديد في خصومته أو هي تركية دَكل أي ليس من الغوغاء .
دشلي : هي زَرَديّة القندرجي , أو الدولاب المسنن يسير آخر مسنناً . و في التركية ديشلي : ذات الأسنان و ورد اسمها في وثائق إبلا داشلي اسم لإحدى سيدات القصر و لابد أن هذا الاسم هو متوارث من أيام إبلا .
دعبول : بنيت على فعلول للتلطيف من دعبل بمعنى المدعبل الصغير أو اللطيف .
جلب : أصلها جُلْبَة و هي القطعة من فضة و غيرها , تضم الحربة بسنانها .
زيدان و زيداني : من مصادر زاد و كان يطلق على الخبز .
علّوش : هي من الأسماء من عَلي السريانية .
كوراني : و الكور : نسبة إلى آلهة إبلا كورا في أصلها إله القمر , و هي تعني تقسيم إداري كناحية في القديم.
عنداني : قد يكون أصلها من عندان !؟ في منطقة جبل سمعان، و إن معنى الاسم عائد إلى أيام إبلا تحت اسم **عداني** أو موقع عدينو في دانيث ، وهي دينيت شرق إدلب .
شاباش : في لغة أوغاريت تعني الآلهة الشمسية و التي كانت تدعى في إبلا سِيبش .
شلاش : من الأسماء في إبلا شالاش و هي زوجة إله الغلال (دجن) .

زين و زينو : من الأسماء في إبلا زوينو إله القمر، و نفس المعنى في بقية اللغات. ترمز إلى الجمال و الحسن في الأشياء و السلوك ! .
عفارة : سريانية الخصاصة، و هي ما تبقى في الكرم بعد قطفه .
حبوش : سريانية = صومعة . و في لبنان قرية تدعى حبوش في صيدا .
رْحيّم : سريانية = الصديق . و في منطقة اعزاز يوجد قرية كفر رحيم .
حسينو : جايز أصلها جاء من كلمة حسنو السريانية = قلعة الحصن .
بطحيش : في لبنان قرية بيت بطيش ن و عائلة بطيش في لبنان و خاصة بكفر دبيان.. ؟
زعرور : هو اسم لثمر شجر معروف . أصلها بالسريانية زعورا .
الحكيم (مسيحيون) : لقبوا بهذا الاسم لممارستهم مهنة الطب الشعبي .
برهوم : بر في السريانية ابن و هوم ..

ملحق- ألقاب السلاجقة المستخدمة إلى اليوم في أسماء العائلات :

ابن الشحنة :وهي وظيفة سلجوقية،وهو المسؤول عن إدارة المدن.العميد (في دمشق)هو المتعاون مع الشحنة في إدارة الولاية.

العارض :الذي كانت وظيفته الإشراف على ديوان الجند...

بيت شاوي: وتعني ناطور الماء..

.

تاسعاَ-سكان ادلب في الوثائق: تم عرض الكثير في مضمونها فيما سبق،وما سيلي، حسب سير البحث ،لكننا ارتأينا عرض ماوقع في يدينا،إكمالاَ للفائدة ،وهو النص الألصق بحياة الناس.. وثائق اخرى: ورد في وثيقة ١٢١٩هـ / ١٨٠٥م أسماء عائلات من ادلب كـ محمد الادلبي وعمر ابن عمر العايق الادلبي في موضوع فسخ خطبة ورد مهر مقبوض كما ورد في ((السجل: ١٥٧ رقم الصفحة: ٤٧ رقم الوثيقة: ١٢٣ تاريخ الوثيقة: ١٤ /ربيع الأول/ ١٢١٩ هـ . ادعى أبو بكر بن محمد الادلبي, الوكيل عن ابنته لصلبه زينب, على عمر بن عمر العايق الادلبي. قائلاً: إن المدعى عليه قد خطب ابنته من مدة (٤) سنين وسلم لها مهراً قدره (٤٠٠) غرش, ولم يجري بينهما

النكاح, ودفع أيضاً (١٥٠) غرش, وهي لا تريد الزواج منه الآن, لذلك يريد رد ما قبض من المهر, ويطلب عدم التعرض للفتاة. وعند سؤال المدعى عليه, فأقر بالخطبة والمهر والمبلغ المدفوع مع الهدايا, وأن مجمل ما دفعه (٦٠٠) غرش, فلم يصدقه المدعي, فطلب من المدعى عليه بينة, فعجز عن ذلك, ولم يحلف اليمين. فأقر الحاكم بأنه لا يحق له إرغامها على الزواج, وله أن يسترد ما دفعه فقط, وأمره عدم التعرض للموكلة. وعليه وقع التحرير)) .

آل الكوبرلي ،والعياشي، والفنري:قيل لهم صلة وثقى بآل الكوبرلي (ايهما لم يحدد؟) بنتان، إحداهما تزوجت من بيت العياشي، وأخرى من بيت الفنري، ومن هنا جاءت ثروتهم اذ تملك آل الكوبرلي ٧٠%من ادلب .الذي تزوجها من الفنري كان يعمل في قصره (وهو خان الوزيرين- وفعلاً هم ورثوه إذكان لهم حصة في الخان) وفي رواية أنه منح ١٥%من أراضي الوقف لهم.
ورد في سجلات المحكمة الشرعية بحلب في السجل ٣ صفحة ٥٩٠ سنة ٩٩٥هـ. ذكر((لإدلب الصغرى التابعة لقضاء سرمين وكنية ابن الحاج عيني والحاج محمد المعروف بالبصيص كليهما من قرية ادلب الصغرى (الصورة) وأقره في مجلس الشرع الشريف الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ ياسين البكفالوني والمبلغ ١٥٠٠ دينار. وأنه قد تم إبراءه من جميع الدعاوي))
تفيدنا بأن الأشخاص يكنون بـ ابن فلان والعملة الأهم هي الدينار قبل انتشار القروش / القروش فيما بعد.
- **آل الأقرع** (الأقرعي)ومن عائلات ادلب الأقرع (الأقرعي) و المسمى باسمهم جامع الأقرعي والمجاور لساحة البازار كما ورد في ((سجل حلب ٢٧٤ رقم الصفحة : ٥٣ رقم الوثيقة : ١٠٠ تاريخ الوثيقة : ٢٧ شعبان ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥م . القاضي: السيد أحمد علي أغا إمامي زادة . حضر علي بن مصطفى خاروف أصالة ووكالة عن زوجته خديجة بنت إبراهيم خاروف الادلبي وزوجة ابنه شرف بنت محمد بن سعيد واعترف بحضور الحاج صالح الأقرع الادلبي بأنه كان بينه وبين صالح أخذ وعطاء فتحاسب معه في غرة ذي القعدة عام ١٢٧١ فظهر في ذمته له بعد الحساب ٢١٠٠ غرش أرهن وسلم عنده وهو استرهن منهم اثنا عشر قيراط من جميع الدار في محلة الغرايين بقصبة ادلب المشتملة على بيتين وقبة وحوش سماوي وجب ماء ومنافع وحقوق شرعية وأنه الآن أصالة ووكالة باع نصف الدار للمعترف بحضوره بثمن ٢١٠٠ غرش بنظير الثمن ومقاصصة شرعية مقبولة من

الطرفين قبولاً تاماً مصدقاً)) . ومن عائلات ادلب الأقرع (الأقرعي) و المسمى باسمهم جامع الأقرعي والمجاور لساحة البازار كما ورد في ((سجل حلب ٢٧٤ رقم الصفحة : ٥٣ رقم الوثيقة : ١٠٠ تاريخ الوثيقة : ٢٧ شعبان ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥م .القاضي: السيد أحمد علي أغا إمامي زادة . حضر علي بن مصطفى خاروف أصالة ووكالة عن زوجته خديجة بنت إبراهيم خاروف الادلبي وزوجة ابنه شرف بنت محمد بن سعيد واعترف بحضور الحاج صالح الأقرع الادلبي بأنه كان بينه وبين صالح أخذ وعطاء فتحاسب معه في غرة ذي القعدة عام ١٢٧١ فظهر في ذمته له بعد الحساب ٢١٠٠ غرش أرهن وسلم عنده وهو استرهن منهم اثنا عشر قيراط من جميع الدار في محلة الغرايين بقصبة ادلب المشتملة على بيتين وقبة وحوش سماوي وجب ماء ومنافع وحقوق شرعية وأنه الآن أصالة ووكالة باع نصف الدار للمعترف بحضوره بثمن ٢١٠٠ غرش بنظير الثمن ومقاصصة شرعية مقبولة من الطرفين قبولاً تاماً مصدقاً)) . سرورنا مضاعفاً حين حصولنا على وثيقة توضح حقيقة جامع الأقرعي بإدلب المجاور لساحة البازار , فقد مرَّ اسمه في وثائق عثمانية (أقرع أوغلى) أي ابن الأقرع لكن من هو ؟ إلى أن وقعت بيدي هذه الوثيقة الهامة في ضابطية ادلب المؤرخة سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م والمذكور اسمه فيها (حسن بن الحاج مصطفى بن الأقرع) وحدد فيها ه ..ورد في وثيقة ١٢١٩هـ / ١٨٠٥م أسماء عائلات من ادلب كـ محمد الادلبي وعمر ابن عمر العايق الادلبي في موضوع فسخ خطبة ورد مهر مقبوض كما ورد في ((السجل: ١٥٧ رقم الصفحة: ٤٧ رقم الوثيقة: ١٢٣ تاريخ الوثيقة: ١٤ /ربيع الأول/ ١٢١٩ هـ . ادعى أبو بكر بن محمد الادلبي, الوكيل عن ابنته لصلبه زينب, على عمر بن عمر العايق الادلبي. قائلاً: إن المدعى عليه قد خطب ابنته من مدة (٤) سنين وسلم لها مهراً قدره (٤٠٠) غرش, ولم يجري بينهما النكاح, ودفع أيضاً (١٥٠) غرش, وهي لا تريد الزواج منه الآن, لذلك يريد رد ما قبض من المهر, ويطلب عدم التعرض للفتاة. وعند سؤال المدعى عليه, فأقر بالخطبة والمهر والمبلغ المدفوع مع الهدايا, وأن مجمل ما دفعه (٦٠٠) غرش, فلم يصدقه المدعي, فطلب من المدعى عليه بينة, فعجز عن ذلك, ولم يحلف اليمين. فأقر الحاكم بأنه لا يحق له إرغامها على الزواج, وله أن يسترد ما دفعه فقط, وأمره عدم التعرض للموكلة. وعليه وقع التحرير)) .

" **آل الكيالي في المحلة الشرقية**: هذه العائلة الكبيرة المتوزعة قد كانت تسكن في إدلب الشمالية في الحي الجنوبي الشرقي. أما إدلب الصغرى(الحالية) فقد

سكنوا في الحي الشمالي والشرقي ولهم فيها زقاق خاص بهم وسيباط وسبيل .وأماجدهم الأعلى في قرية ترنبة –ناحبة سراقب،و هو الشيخ اسماعيل الكيالي(٥٧٣-٦٨٥هجري) دفين قرية ترنبة في ناحية سراقب - محافظة ادلب .المكان نفسه وقف في أصله موقع لكنيسة. قد نشرنا بحثاًعنه في كتابنا (الأوابد العربية الإسلامية في محافظة ادلب)الصادر عن وزارة الثقافة في دمشق عام ٢٠٠٦م .(.الصورة٢١٧) لآل االكيالي في الترنبة قرب المدفن حوالي عام ١٩٦٠م .يظهر المفتي حسن الكيالي الثاني من اليسار خلفهما البقايا الأثرية...هي العائلة الأكبر ،والتي توزعت في سورية،لكن غالبيتهم سكنوا في كفرتخاريم وقرقنيا وكفر دريان (بنوا المسجد ولهم مقامات فيها وفي بردقلي القريبة منها(الصورة٢١٨)..وكذلك توزعوا في حلب ،ولاذقية....وفي سرمين الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الكريم الكيالي دفين زاويته في سرمين.
دفن ظاهر سرمين من جهة القبلة نحو ميل حسب وصيته ،فدفن في الصحراء منفرداً, ثم بني عليه المقام العامر الآن)) تسمى الآن الزاوية الكيالية ويقال فيها علي الكيالي وعبد الرؤوف الكيالي؟


(الصورة٢١٧) وفد آل الكيالي في ترنبة- تظهر بقايا البناء البيزنطي


(الصورة٢١٨) مقام الكيالي في بردقللي

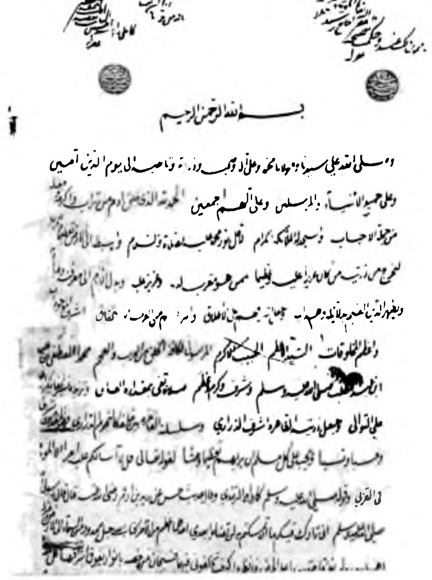
آل الكيالي يحصلون على الأوسمة: يبدو أن هذه العائلة قد كانت مقربة جداً من السلطات العثمانية, إما لنباهة رجالاتها, وضلوعهم في علوم الدين, أو لأنهم من أصحاب النسب الشريف، وحصول الكثيرين على لقب(الأشراف) وإعفائهم من الخدمة العسكرية ،ومع ذلك كانوا متواضعين, فلم يعرف عنهم معاداة أحد, أو استغلال المناصب لمآرب شخصية, وما التي ذكرها(بوركها رد) حوادث عام١٨١٢م عام١٨١٢م

وكما ذكرنا في كتابنا(الرحالة ص وكتابنا(خطاب إلى أبناء ادلب)- لا تؤثر على النهج العام الذي ارتسموه في سير فضلائهم, وأعمال رجالاتهم . ومسابقة العصر في إنجاز عصري، ومتابعة موكب الصحافة, الوسيلة الأولى حينذاك للتواصل مع الشعب هذا هو الكيالي يؤسسون أول صحيفة عربية في حلب عام١٩١٩م مباشرة بعد الاستقلال عن الدولة العثمانية, مع أن ولاء من سبقهم قد كان للعثمانيين, إنها حركية التحول الاجتماعي,تواصل مع أحمد الكاملي ثلاثة أسر هي: نعمه وبطل وكيالي فرمان سلطاني يمنح لأدلبي : في عهد السلطان عبد الحميد الثاني تم منح الشيخ طاهر ملا الكيالي فرمان هما يونى تقديراً لعلمه وفضله وتخصيص راتب شهري سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م . تم ذلك باقتراح من أبي الهدى الصيادي إليه (ابن خان شيخون) شيخ الإسلام في اسطنبول.. سافر الشيخ طاهر إلى هناك سنة ١٣٠٦ هـ و١٣١٠و١٣١٣ هـ بموجب برقية وردت من الصيادي إليه. كما منح نيشان في ذلك.تضمن الفرمان شعار السلطان عبد الحميد خان واسم ادلب كيالي زاده مولانا طاهر أفندي زيد فضله . توقيع رفيع هما يوم..)

لقد كان لآل نعمة التنفذ والمكانة الاجتماعية المميزة عبر عدة عقود ولعل هذه الوثيقة آخر وثيقة تذكرهم في العهد العثماني الوثائق المؤرخة في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((رقم السجل: ٦٠٢ رقم الصفحة: ٢ رقم الوثيقة: ٢ تاريخ الوثيقة: شوَّال / ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧م . حضر في المجلس الشرعي المنعقد في المحكمة الشرعية بحلب محمود بن حسين نعمة, وادعى على الحاج أحمد الإدلبي من محلة الصفصافة. وقال: إن خالتي الحاجة عائشة بنت عبد السلام، كانت في ١٢ شعبان ١٣٣٥ هـ أوصت بأن يفرز ثلث مالها وينفق بعد موتها في المبَّرات والخيرات، وأقامتني وصيّاً علي تنفيذ وصيتها, وبعد وفاتها انحصر إرثها في إخوتها وتركت عقارات وأموالاً وحصصاً، وإن أخاها المذكور عبده يعارضني في تنفيذ الوصيَّة, وذكر المدعي أسماء شهوده، فاختار القاضي منهم رجلين شهدا طبق ما ادَّعاه. وقالا: إن الوصيَّة تمت بحضورهما. ثم صارت تزكية الشاهدين سرَّاً وعلناً من قبل إمام محلَّة الصفصافة ومختارها، فشهدا بعدالتهما, وبأنهما مقبولا الشهادة, وبناء على ذلك ثبتت الوصيَّة وأمر القاضي المدعى عليه بالإفراج عن ثلث التركة)) .
صادق آغا المعلم كان رئيساً للحزب الوطني في ادلب ؟وله نفوذ كبير،كما كان رئيس البلدية وهو الذي سعى الى شق وترتيب الشارع الرئيسي المسمى (شارع القوتلي)ويمتد من الأسواق الى الجنوب باتجاه السرايا الحديثة ،ويتصل

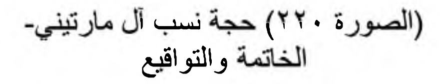
به الى الغرب شارع الملك فيصل (ثكنة هنانو) ونائب ادلب عام ١٩٤٣م كان لهاشم اغا معلم (باني المصبنة الكبرى)ثلاثة اولاد محمد وحسن افندي و وحيدآغا ،الثاني هو عالم كتب كتبا بخط يده ،لم يقع في أيدينا نسخة منها لآل الجوهري نفوذ ديني في ادلب ظل قرنا كان آخرهم الشيخ محمد الجوهري ،ولكنه اشتهر بينهم بالعلم الروحاني كنا قد نشرنا ترجمة الشيخ عبد الرحمن جوهري سابقاً والأن اسم مفتى ادلب محمد أفندي الجوهري عام١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م. وهناك غيره من أفاضل هذه العائلة.

نسب آل المارتيني: هي حجة ١٢٣٧هـ /١٨٣٢م تبدأ بـ بسم الله الرحمن الرحيم وفوق أختام مثل السيد حسين الكاملي, وهو من آل الكيالي.. وأعظم المخلوقات محمد المصطفى ابن عبد المطلب.. وجعل ذريته الطاهرة أشرف الذراري.. يذكر الحديث إلى تارك فيكم كتاب الله.. وهذه حجة شرعية.. لما كانت الشجرة المحمدية.. فرعها في السماء وأهلها من الأعزة الكرماء.. عمدة العلماء والمدرسين الكرام السيد عمر أفندي بن الحسيب النسيب إمام عصرة وفريد دهره العالم الألمعي والكامل اللوذعي حلال مشكلات الأيام مرجع الخاص والعام السيد أحمد أفندي بن الحسيب النسيب عمدة العلماء وخلاصة الأتقياء السيد أحمد أفندي الشهير بالمرتيني بن الحسيب... بركات بن... السيد حسين... شهاب الدين البعاجي المهناوي المتصل نسبه.... عبد القادر الجيلاني قدس سره وكما هو موجود في النسب العالي الذي هو بيد السيد عمر أفندي...



(الصورة ٢١٩) حجة نسب آل مارتيني- المقدمة





(الصورة ٢٢٠) حجة نسب آل مارتيني- الخاتمة والتواقيع

الذي حضر لمجلس الشريعة الغرا بمحكمة إدلب الصغرى لدى الحاكم الشرعي... انهى وقرر بمواجهة عياش زادة(تعني ابن العياشي) الحاج حسن أفندي المولي نقابة السادة الأشراف بقصبة إدلب الصغرى قائلاً إن آباءه الكرام وأجداده الفخام نتجوا بقرية مرتين المجاورة لقصبة إدلب الصغرى, و لكن والده السيد أحمد أفندي ووالد والده هاجروا من قرية مرتين المرقومة(أي المذكورة) وتوطنا في قصبة إدلب... وأن نسبه يتصل إلى سيدنا سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين رضي الله عنهما.. ثم يتابع إلى إنها حجة شرعية مؤرخة في سنة(١٠٣٤=١٦٢٥م) أربع وثلاثين ألفا... وإنها موقعة من قبل نقيب الأشراق بالممالك العثمانية... وبثبوت صحة نسب عمر أفندي... وقع وحرر في اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول شهور سنه ١٢٣٧هـ ١٨٢٢م يليها تواقيع ١٨شخصاً عرفنا منهم شامية وكاملي وجحا (اثنان)و الشيخ صالح حميداني و الشيخ محمد أبو النور أفندي كيالي و رحابي وباكير باشا وسليمان بن البطل وفلاحة وجلبي وقريد وغيرهم(الصورة٢١٩ -٢٢٠) ..هذه الوثيقة: تفيدنا بما يلي :

١-كيف كانت تسجل الحجة الشرعية الموثقة بشهود معروفين
٢- دور السادة الأشراف، حتى صار هناك منصب نقيب الأشراف، وهم الذين كانوا يضعون العمامة الخضراء
٣-ترينا حينذاك من هي العائلات في إدلب
ورد في وثيقة ١٢١٩هـ / ١٨٠٥م أسماء عائلات من ادلب كـ محمد الادلبي وعمر ابن عمر العايق الادلبي في موضوع فسخ خطبة ورد مهر مقبوض كما ورد في ((السجل: ١٥٧ رقم الصفحة: ٤٧ رقم الوثيقة: ١٢٣ تاريخ الوثيقة: ١٤ /ربيع الأول/ ١٢١٩ هـ . ادعى أبو بكر بن محمد الادلبي, الوكيل عن ابنته لصلبه زينب, على عمر بن عمر العايق الادلبي. قائلاً: إن المدعى عليه قد خطب ابنته من مدة (٤) سنين وسلم لها مهراً قدره (٤٠٠) غرش, ولم يجري بينهما النكاح, ودفع أيضاً (١٥٠) غرش, وهي لا تريد الزواج منه الآن, لذلك يريد رد ما قبض من المهر, ويطلب عدم التعرض للفتاة. وعند سؤال المدعى عليه, فأقر بالخطبة والمهر والمبلغ المدفوع مع الهدايا, وأن مجمل ما دفعه (٦٠٠) غرش, فلم يصدقه المدعي, فطلب من المدعى عليه بينة, فعجز عن ذلك, ولم يحلف اليمين. فأقر الحاكم بأنه لا يحق له إرغامها على الزواج, وله أن يسترد ما دفعه فقط, وأمره عدم التعرض للموكلة. وعليه وقع التحرير)) . كان في ادلب سنة ١٢٥١هـ أمين الفتوى الشيخ مصطفى بن محفوظ في وثيقة شكوى من قبل مصطفى بن السيد محمد برش اوغلى من أهالي قصبة ادلب ومحمد بن محمد ريحاني بحق السيد درويش بن يحيى نعمة من أهالي ادلب.
وفي النزاعات الشخصية يتم التصالح عند القاضي، وخاصة في حالات وكما ورد سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م في كتاب موجه من القاضي (أن أحمد بن سعيد قحفظان الادلبي بأنه قتل حسن بن محمد حسين بنجر في مزرعة الزيتون في قصبة ادلب بالخنجر عمداً، وشهودهم حسين بن علي جقاللي بهنسي كورد وحسين بن سليمان بهنسي, وكفل قحفظان كل من ابراهيم أحمد ادلبي والحاج صالح بن مصطفى أقرع (نسب جامع السوق إلى هذه الأسرة باسم جامع الأقرعي) وقد دفعوا ديّة مبلغ ٢٢٥٠ قرشاً وتصالحوا"
عائلات ادلب: يسألني الكثير من أبناء ادلب وغيرها عن عائلات إدلب , هذا البحث قد أعددت بعض أوراقه , ولكن أخشى نشره , حتى لا ترمى السهام نحوي , نظراً لحساسيته , فهذا مؤرخ حلب الغزي لم يتحدث عن عائلات حلب في كتبه الثلاث , بل في الرابع ولم ينشره , وأكد لي منذ ربع قرن أستاذي د. عبد الكريم رافق أن فيه أبحاث عن عائلات حلب , وأحجم ورثته

عن نشره خشية إحراج بعضهم , وإني أحس بذات الإحساس , عائلة تقول: لم تذكرنا؟!! وأخرى تظن أنها الأقدم في إدلب .. وقد نشرتُ وثيقة في كتابي من إبلا إلى إدلب ص ٢٥١ – ٢٥٣ يمكن الرجوع إليها , فيها الكثير من العائلات القديمة التي تضامنت ضد موقف معين تاريخها ١٢٠٥ هـ /١٧٩١ م واليوم أقدم وثيقة هامة فيها إشارة إلى أهم العائلات التي كانت بمثابة (وجهاء) إدلب سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م وهي صادرة عن ديوان الوالي بحلب , وهي في أصلها دعوى قدمتها بعض العائلات إلى قاضي حلب , ورفع نتيجتها إلى الوالي في رفض الدعوى المقامة على أهالي إدلب من قبل شيخ إدلب السابق في صرف أموال لصالح البلد مؤكدين براءة ذمتهم بموجب إثباتات الرقم ٩٥٠٠٠ قرشا وهو مبلغ كبير حينذاك (مثلا كانت قيمة المنزل حينذاك سبعة آلاف قرش وسطيا) وأما أسماء المدعين فستنشر في كتابنا (إدلب البلدة المنسية !) و يهمنا إن وجوه ادلب كما أسماهم كتاب القاضي ،والذين يمثلونها لدى حلب هم : أفندي عياش زادةن وبركات أفندي مرتيني زادة ومحمد آغا فنري زادة، ومحمد آغا جحا زادة ،وزادة تعني آل , وأفندي لصاحب المقام الاجتماعي الرفيع' وخاصة المتعلم عن غيره . عياش الآن عياشي، و مرتيني ،وفنري، وجحا معروفة . نحن نرجع إلى الوثائق , فمن لديه وثيقة فليقدمها إلينا لننشرهامشكوراً...

عاشراَ- السكان في السالنامةالعثمانية، وغيرها: عاشت ادلب ذروة نهضتها العمرانية والاقتصادية في منتصف القرن ١٧م ،مما أدى إلى هجرة سكان القرى المجاورة, والتي تتجاوز العشرين, فتضاعف عدد سكانها في القرن١٨م إلى الضعفين، وبعد أن كانت قرية أصبحت بلدة فيها كل المكونات في ذلك أسواق، وخانات، وورش صناعية ،كل هذا أدى إلى زيادة سكانها.. و حسب تقديرات الرحالة الذين زاروها منهم (جلبي عام ١٦٧١ م) قدرها بعشرة آلاف و فيها ١٣٤٥ أرض معمرة تلاه برسنز عام ١٧٦٧ م قدرها بثلاثين ألف نسمة بعضهم نصارى و قليل من اليهود والأرمن و(بوركهارد – ١٨١٢م)– بـ سبعة آلاف و (غي – ١٨٤٥م) بـ ستة آلاف و(طومسون – ١٨٤٦ م) بـ ٨ آلاف و(يوليان – ١٨٨٨) بـ عشرة آلاف بينما كتاب(معجم باشي)العثماني عام ١٨٨٨ بـ ثمانية آلاف و فيهم ٩٠٠ نصارى و قبلهم عند(البستاني) و في كتاب آثار الأدهار بـ ثمانية آلاف ١٨٧٥– ١٨٧٧ .(كوينية زارها عام ١٨٨٨) و ذكر عدد سكانها ١٣٤٠٠ نسمة، و كذلك(السالنامات

العثمانية التالية) تشير إلى هذا الرقم . يمكن القول إن سكانها بلغ أوج عددهم في منتصف القرن الثامن عشر، و هو عصر ازدهار إدلب اقتصادياً و اجتماعياً , بعد اهتمام آل الكوبرلي بها، و ناظري الأوقاف الكبار كـ بشير آغا ، و شخصيات ذات فاعلية مؤثرة فيها كـ حسين آل نعمة ، و غيره .. كما نلاحظ قلة عدد سكانها في القرن التاسع عشر , و خاصة بعد ضعف نفوذ آل الكوبرلي، و الاقتصاد في مطلع القرن العشرين،..

ورد في سالنامة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م عدد سكان قضاء ادلب ٣٧٨٦٠ نسمة موزعة على ٥٢٠٧ خانه و الإسلام ٣٦٣٣٤ نسمة في ٥١٢٤ خانه و عيسوي (مسيحي) ١٥٠٠ في ١٣٣ خانة وموسوي (يهود) ٢٦ في ١٠ خانة (بيت) (الصورة٢١٧-٢١٨).وفي منطقة جسر شغور ٣٩٤٦٠ نسمة في ٥٤٤٤ خانة والإسلام ٣٣٢١٥ نسمة في ٤٥٧٤ خانه و المسيحيون ٦٢٥٠ نسمة في ٧١٠ خانه . وفي منطقة حارم ١٠٨٧٦ نسمة في ٣٠٨٥ خانه الإسلام ١٠٨٧٦ في ٣٠٨٥ خانه أي لا يوجد فيها طوائف أخرى . ورد في كتاب سالنامة ولاية حلب العثمانية ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . (الصورة ٢٢١-٢٢٢)

((أما ناحية أريحا فيسمى المسؤول عنها (مدير عز الدين أفندي) وتنتهي بأن قضاء ادلب فيه ثلاثة نواحي و ١٠٥ قرية وأما عدد سكان القضاء حينذاك بموجب إدارة نفوس في قيودها في جداول النفوس :

يكون	ذكور	إناث	
٤٩٠٥٣	٢٤٥٣٤	٢٤٥١٩	إسلام
٠٠٤٩٧	٣٢٣	١٧٤	روم أرتودقس
٤٩٥٥٠	٢٤٨٥٧	٢٤٦٩٣	يكون

نلاحظ أن نسبة الذكور تقارب نسبة الإناث لدى المسلمين بينما عند المسيحيين الذكور ضعف النساء .ذكر الإحصاء العثماني عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م سكانها ١٥٤٠٥ أما سالنامة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م فتذكرالسكان١٥٤٠٥نسمة نفوس القضاء ٤٩٦١٢هم إسلام وروم وبروتستان)) و في عام ١٣٢٣ هـ ١٤٠٠٠ و في عام ١٣٢٤ هـ ١٣٣٣٠هـ و في عام ١٩٢٣ م عند الغزي ١١٢٩٨ نلاحظ تراجع عددهم ,

(الصورة٢٢١) وثيقة السالنامة١٢٩٠ه/١٨٧٣م

(الصورة ٢٢٢) سالنامة ولاية حلب لسنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨-١٨٨٩م

و يعود السبب إلى هجرة سكانها خارج القطر إلى الأمريكيتين في مطلع القرن العشرين و مرض الهواء الأصفر في إدلب و جسر الشغر أي الكوليرا و المجاعة التي تلتها حتى قيل إنه كان يموت كل يوم ٢٠ – ٢٥ شخصاً و يرفض بعضهم حمل الميت و كذلك البرد الشديد و الثلج عام ١٩٠٦ م و المجاعة الواقعة عام ١٩١٨ و الناس يأكلون قشر الجبس من الشوارع و قشر الفواكه أو الخضر و ضرب مثل يقول (خذ نحاس و أعطني حنطة) و كذلك حول حرب السفر برلك هي الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ قيل (الرايح مفقود و الجاي مولود) حتى الحاج كان يقام له حفلة لعودته بالسلامة .. هذا الوضع المضطرب دفع الكثيرين بالهجرة .. و نقف قليلاً عند الغزي الذي ذكر تفاصيل عن سكانها , و لا ندري هل أخذها قبل حرق السجلات الرسمية من قبل نورس طيبا عام ١٩٢١ – حين داهم دار الحكومة و نهب ما فيها أم فيما بعد ؟! لكن المهم تعداده للمحلات تفصيلاً[٢٣] و لو جمعناهم حسب الأحياء لكان الأمر كما يلي : المنطقة الأولى و كانت تسمى بالحي الشمالي = أربع محلات هي زاوية أبي النور ٦٤٧ – الحربة ٦٦٦ المبلط ٧٥٢ القصاص ٦٤٥ = ٢٧١٠ . المنطقة الثانية أربع محلات هي في الحي الشرقي : الكيالي ٦٦٧ الجوهري ٩١٢ الفالح ٦٩٥ محمد نوري ٣٣٦ = ٢٦١٠ نسمة المنطقة الثالثة و هي الحي الجنوبي خمس محلات الأميري (حمام الميري الآن) ٦٤٥ الشيخ إسماعيل ٦٨٧ العريان ٦٣١ الجامع الكبير ٦٣١ الشيخ فتوح ٧٤٩ = ٣٣٤٣ . المنطقة الرابعة و هي الحي الغربي خمس محلات الفنري ٦٣٠ المنلا (الآن الملا) ٥٦٩ عمر (الآن العمري) ٦٠٩ النصارى (الآن المحلة المسيحية) ٥٢٤ المرتيني ٣٠٣ = ٢٥٣٥ و لعلنا لو نظرنا إليها نظرة تأملية من حيث توزع السكان في الأحياء لوجدنا إن أكثرية السكان كانوا متواجدين في الحي الجنوبي و الذي يقع جنوب الدير و مكان إدلب

الصابون و الذي هو سابقاً حي الصليبة , و كذلك سميت المحلات بأسماء العائلات عشرة و الزوايا و المساجد خمسة و باسم رسمي ثلاثة ،مما يدل على أن الوجود العائلي يثبت الوجود الرسمي و هذا أمر طبيعي في حركية المجتمع السكاني و كذلك لو نظرنا إليها نحفر في ثناياها عن الماضي لوجدنا محلة الجوهري تحتل المركز الأول في عدد سكانها و آخرها محلة المرتيني . و هذا يدل على أن سكان الحي الغربي قد جاؤوا متأخرين سواء المسيحيون من الحي الشمالي و من إدلب الكبرى أو المرتيني من قرية مارتين المنسوبين إليها – و أكد هذا بعض كتابات المساكن في الأحياء[٢٤] .. و مقارنة عدد سكان إدلب عام ١٩٢٢ البالغ عددهم ١١٢٩٨ مع سكان قضاء إدلب ٤٢٦٥٨ لوجدنا إن سكانها يعادل تقريباً ربع سكان القضاء . و في هذا الإحصاء لسكان دولة حلب كان عدد الذكور أقل من الإناث و كان يوجد غرباء عددهم ١٥٣ و هم اليهود المقيمون في قضاء إدلب . كما أشار جدي الشيخ الطباخ إن نفوس قضاء إدلب كما استخرجه من دائرة النفوس عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م بـ ٤٣١٧٣ نسمة . و في عام ١٩٣٤ زار إدلب أحمد زكريا و قال سكانها ١٥ ألف نسمة و في عام ١٩٤٣ الذكور ٩٤١٢ و الإناث ٩٣٠٧ أي ١٨٧١٩ بينما الإحصاء الفرنسي لإدلب عام ١٩٤٣ ذكر وجود ١٩٠٠٠ نسمة[٢٥] . و في عام ١٩٥٦ أصبح عدد سكان القضاء ١٠٥٨٧٤ و إدلب ٣٢٢٠٠ كما أشارت إلى ذلك الدكتورة رجاء وحيد دويدري , و أن نسبة زيادة السكان في هذا العام خصبة بالمقارنة مع سنة ١٩٥٠ سنة حدوث الصقيع الذي حمل الكثير من أهاليها بالهجرة للمدن الأخرى , و كذلك هجرة الطلاب و الدارسين إلى حلب و أشارت أيضاً مفيدة بيطار في بحثها الجغرافي عن إدلب إلى عوامل الهجرة بعد الحرب و خروج المستعمر الفرنسي إلى استغلال بعض اللصوص , و عدم وجود الأمن لسرقة بيوت المسيحيين مما أدى إلى هجرة أكثر المسيحيين إلى حلب . و لكن بعضهم عاد فيما بعد . كما جاء بعض الأرمن إليها في العهد الفرنسي للعمل الوظيفي فيها . و أشارت إلى أن عدد سكانها عام ١٩٦٠ بلغ ٣٦٦٩٨ نسمة و في ١٩٦٤ = ٣٩٢٤١ (٢١٦١٢ ذكور ١٧٦٢٩ إناث) و في ١٩٦٨ = ٤٢٠٠٠ ن و أما الإحصاء السكاني في عام ١٩٧٠ فقد بلغ ٣٤٥١٥ نسمة و عام ١٩٧٧ ٥٠٩٦٧ منهم ٢٦١٦٩ ذكور و ٢٤٧٩٨ إناث . و في عام ١٩٨١ بلغ عددهم ٥١٨١٧ نسمة . و نلاحظ مما سبق ازدياد عدد سكانها للهجرة المتزايدة إليها بعد جعلها مركز المحافظة , و إقامة المنشآت الحكومية و المصانع فيها , فهاجر إليها الكثير من سكان الريف و هي نقلة حصل مثلها في النصف الثاني من القرن / ١٧ و الربع الأول من القرن / ١٨

أي ثلاثة قرون تمر على هذه النقلة الحضارية عمرانياً و سكانياً , لتحصل أخرى مثلها , و في واقع مختلف بعض الشيء , الأولى سببها عجز عن دفع الضرائب و التسهيلات الممنوحة لمن يستوطن فيها و الثانية البحث عن فرص أفضل للعمل و التسابق على مراكز النفوذ و لنأخذ الآن عينة من دائرة نفوس إدلب في الثمانينات :

العام	ولادة	وفاة	زواج	طلاق
١٩٨١	٣٧٠٥	٦٦١		
١٩٨٢	٤١٨٣	٧٥٨		٥٣
١٩٨٣	٤٦٢٩	٧٣٨	٨٦٦	٤٥
١٩٨٤	٥٢٧٣	٧٠٥	٩٢١	٧٦
١٩٨٥	٥٦٠٠	٨٠٠	٩٧٧	٨٠
١٩٨٦	٥٢٦١	٦٤٠	٧٥٥	٥١

نلاحظ الولادات أكثر من الوفيات بخمسة أمثال و أكثر و هذا يدل على حيوية الشعب الإدلبي , كما نلاحظ تراجع عدد الوفيات بالمقارنة مع نسبة زيادة الولادة نظراً للتقدم و الوعي الصحي و رعاية السلطات للمواطنين . كما نلاحظ زيادة الطلاق في عامي ٨٤ و ١٩٨٥ للتضخم النقدي و متطلبات المعيشة المرتفعة في هذه الأعوام و لضعف التماسك الاجتماعي , فإدلب تعيش مرحلة تراجع اجتماعي و ضعف أسروي منذ الثمانينات و حتى نهاية القرن العشرين , و الأكثر يقول " اللهم أسألك نفسي " و العياذ بالله !! و لنأخذ الآن عينة أخرى في عام ١٩٨١ حسب تعداد السكان و توزعهم في الأحياء كما يلي الحي الجنوبي ١٧١٥٤ الحي الغربي ١٦٢٦٤ الحي الشمالي ١٢٩٤٨ الحي الشرقي ٥٤٧١ إذن يمكن القول الحي الجنوبي هو الأكثر سكاناً و هكذا كان في الربع الأول من هذا القرن – راجع ما سبق – و الحي الأقل سكاناً هو الشرقي و بنسبة تراجعية قوية , بينما الحي الغربي احتل المرتبة الثانية بعد أن كان أقل حي مسكون في الربع الأول , و يعود هذا إلى تقدم إدلب عمرانياً بعد الستينات باتجاه الغرب و الجنوب و ظل هذا حتى أواخر هذا القرن ساعة إعداد هذا البحث ١٩٩٨ . و كذلك نشير إلى هجرة الفلسطينيين إليها بعد حرب ١٩٤٨ و سكنهم بعض الزوايا مؤقتاً , ريثما تتحسن أوضاعهم المادية و المعنوية و هكذا كان .. و في عام ١٩٩٩ بلغ عدد سكان إدلب ١٠٣ ألف نسمة

كما نلاحظ قلة عدد سكانها في القرن التاسع عشر , وخاصة بعد ضعف نفوذ آل الكوبرلي في مطلع هذا القرن وضعفها الاقتصادي أيضاً . والأمر ذاته حصل في مطلع القرن العشرين . ذكر الإحصاء العثماني عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م سكانها ١٥٤٠٥ وفي عام ١٣٢١هـ ١٤٠٠٠ وفي عام ١٣٢٤هـ ١٣٣٣٠ وفي عام ١٩٢٣ عند الغزي ١١٢٩٨ نلاحظ تراجع عددهم , ويعود السبب إلى هجرة سكانها خارج القطر إلى الأمريكيتين في مطلع القرن والعشرين ومرض الهواء الأصفر في ادلب وجسر الشغور أي الكوليرا والمجاعة التي تلتها حتى قبل إنه كان يموت كل يوم ٢٠ – ٢٥ شخصاً ويرفض بعضهم حمل الميت .

الهجرة من ادلب، وإليها: من الوثائق المهمة ما ورد أيضاً في البلاغ الموجه من مقام والي حلب إسمعيل باشا إلى قضاة و نواب و متولين و أغوات و أعيان و شيوخ البلدان و القرى المذكورة .. سرمين – معرة المصرين – إدليب – شغور – حلقة – باريشا – حارم – دركوش . بشأن العمل على إرجاع الفلاحين أو النازحين بسبب فقرهم، و عدم استطاعتهم تأدية الديون المترتبة عليهم ،و لزوم مساعدتهم و تطييب خاطرهم ،و اطمئنانهم ،و مساعدتهم . حرر في ١٣ شوال ١١٦٢ هـ[٢١] لكن هل تتوقف هذه الهجرة ؟ بل يبدو أن الأمر صار معكوساً إذ يبدأ بعض سكان قصبة إدلب بالهجرة منها , و من الأسباب ما يعود إلى ضعف نفوذ آل الكوبرلي , أو متولي/ أو ناظري الأوقاف فيها , أو ازدياد الضرائب على سكانها مما أدى بالسيد إسماعيل جابي إدلب إلى رفع عريضة إلى السلطان العثماني مفادها((إن كثيراً من سكان قصبة إدلب و ملحقاتها نزحت عنها إلى حلب و المعرة و أدنة (أضنة بلدة كبرى في تركيا الآن) مما أدى إلى خلل في دفاتر تحصيلات إدلب و تناقص حصة صرة الحرمين الشريفين , و لتلافي الأضرار الناتجة عن هذه الهجرة , يجب إجبار المهاجرين العودة إلى مساكنهم الأصلية , و إن تعذر ذلك بتحصيل ما يؤدونه من الضرائب و الأموال سابقاً على أن يجري العمل بمعرفة ضابط تولي أوقاف الحرمين الشريفين و يجيبه السلطان بأمر موجه إلى قاضي حلب و إلى قضاة إدلب و أدنة و المعرة و غيرها حول نزوح بعض أهالي إدليب و منطقتها . فيأمر بإرجاعهم إلى مسكنهم و إن استطاع فليحصّل ما عليهم[٢٢] ...ورد في سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٢ وثيقة ١١٧٤ حضور آل المعدل إلى حلب وأنهم من "أهالي قرية منابيع التابعة لقضاء سرمين" في قضية دين مع أبناء قريتهم سنة١١٣٩هـ/١٧٢٧م وقد دفعوا نقداً تكاليف

قريتهم وهم متكافلون ومتضامنون، وهنا إشارة إلى التراجع الاقتصادي في هذه القرية، مما دفع بأهاليها إلى الهجرة. ومن عائلات ادلب سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م بيت رستم الادلبي. ومن سكان ادلب بيت رستم سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م واسم ادلب المعمورة قد ذكر سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م. ولعل أقدم وثيقة عن ادلب الكبرى في سجلات محكمة حماه الشرعية في السجل رقم ٩ وثيقة ٤١٥ تاريخها ٩٦٥هـ/١٥٥٨م ممايشير بدلالة إلى صلاتها التجارية معها حينذاك، وكما ورد في وثائق أخرى. ومن سكان معارة الخاسكي التابعة لقضاء سرمين غريب وعجاج وسعد في قضية دين سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م وأن أبناء القرية يتضامنون ويتكافلون.. وفي أخرى ذكر لوفد من أهالي معارة الخاسكي في سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م عليهم دين، وأنهم يدفعون للمحصل السلطاني، كما (دفعوا ذمة صوباشي قريتهم مصطفى بك بن أحمد عن جميع الدعاوى. ومرة حضر وفد من قميناس قضاء سرمين لدفع ديون عنهم (دين شرعي) للوالي وتكاليف السالبانات وثمن شعير، وأنهم دفعوا عليق دواب المسافرين الواردين إلى قريتهم" هنا إشارة إلى سير القوافل سرمين – قميناس – أريحا سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م. وفي سجلات المحكمة الشرعية بحلب برقم ٥٢ وثيقة ١٣٢٥ ذكر لـ "حضر لمجلس الشرع الشريف السيد محمد ... والسيد ناصر الدين والسيد علي بن السيد يوسف والسيد أبو زيد بن عبد الحافظ والسيد مصطفى بن ناصر الدين وعلي بن عكاشة وابن شحادة وابن طعمة وسليمان بن عبيدو و...و... ومحمد بن برهان الكيلاوي (الآن كلاوي) ومحمد شرف الدين الجميع من أهالي قرية بكفالون التابعة لقضاء أريحا، واعترفوا أن عليهم ذمة لعثمان أفندي محصل الأموال السلطانية ١١٦١٦ غروشاً وأربع شاهيات ونصف بطريق الدين الشرعي لطرف الميري بعضه ثمن حنطة وشعير وعدس وجلبان وكوشنه والمبلغ مؤجل عليهم لعشرة أشهر، وعليهم ذمم لمصطفى آغا وحسن آغا.. وذمة لصوباش قريتنا الحاج على الكردي ١١٤٠هـ"= ١٧٢٨م هنا إشارة إلى سكان بكفالون، وإلى ضعفها الاقتصادي بعد ازدهارها في القرنين ١٦-١٧م، بالمقارنة مع وصف الرحالة اوليا جلبي العثماني لها حين زارها عام ١٦٨٣م.وقد ورد ذكر لقرية تل حديا قضاء سرمين سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م ومن أهاليها الشيخ حسن بن خليفة في ذمة دين على القرية. ومن سكان بكفالون في وثيقة سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م ابن يحيى وابن طعمة في وضع الثاني يده على جميع قطع الأراضي الثلاث الكائنات بمزرعة فيلون التابعة للقضاء" وهنا فيلون مزرعة وبكفالون قرية، واليوم العكس. ومن وفود القرى التي تأتي إلى المحكمة الشرعية بحلب لحل

مشكلاتهم وفد "من قرية تعوم قضاء ادليب الصغرى المعمورة بأن عليهم ذمة للحاج عثمان آغا، وأخرى لصالح وقف المرحوم المبرور الوزير السابق قوجة محمد باشا، تزعم الوفد ثلاثة مشايخ من القرية سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م وكان هناك في (قرية التورنبة قضاء سرمين جفتلك) ومن سكان قرية الحراجة قضاء سرمين المعمورة بيت علوان وكذلك من سكان بلدة "ادليب الصغرى المعمورة قويدر وفخر الدين وعبد الكريم وأحمد بن رمضان المعدل وهم جميعاً مزارعون في أراضي قرية الحراجة.. اتفقوا برضاهم مع أحمد آغا ضابط القرية بطريق المالكانة على أن يدفع له كل سنة مبلغ ٧٦٠ غرشاً بدلاً عن تعشير محصولات القرية الصيفية والشتوية .. وهو يدفع ما عليهم من طرف الميري" وصدق الاتفاق "فخر المدرسين والسادات الكرام السيد محمد أفندي تفتنازي زادة" سنة ١١٤١هـ/١٧٢٩م. هنا قرية الحراجة قد كانت عامرة طالما هنا ذكر لـ قرية وضابط القرية، ولعل أحد أهم أسباب النزوح منها هو بداية ضعفها الاقتصادي في النصف الثاني من القرن ١٨م مع غيرها من القرى المجاورة، ونزوحهم إلى إدلب المعمورة ولعل إحدى أقدم الوثائق لدينا عن بيع العبيد في سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م بأنه "باع يد صعب /نجم العبد الزنجي صحيحاً سالماً من جميع العيوب" وكذلك ورد اسم المعمورة ليس لادلب فقط بل لسرمين ولأريحا في وثيقة سنة ٩٥٩هـ/١٥٥٢م أريحا المعمورة ووثيقة سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م سرمين لمعمورة ويتبع لها قرية معارة الجزر، ولم يعد لهذه القرية وجود الآن أو عدل اسمها فيما بعد! ولكن المهم فيها ذكر لوقف محمد باشا. وفي وثائق حلب الشرعية ذكر لـ طاحون على نهر العاصي في نفس دركوش (فيها ٣ حجر عاماً سنة ٩٦١هـ).. لقد ورد الكثير من القرى التابعة لقضاء سرمين في مطلع العهد العثماني، ولم يعد لها ذكر فيما بعد كـ اشهاب وحضان سنة ٩٦١هـ/١٥٥٤م يبدو أن قرية بكفالون قد كانت تابعة لقضاء ادلب الصغرى سنة ١٠٧٣هـ/٦٢-١٦٦٣م في سجلات محكمة حلب الشرعية مع ذكر لسكانها كـ رجب وحسني وناصر ووفا، وأن لهم ذمة على أهالي القرية مبلغ ٢٠٠ غروش أسدية. وكذلك ورد اسم (قرية كفرتخيرين التابعة لقضاء حارم) سنة ١٠٧٨هـ في سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٧ وثيقة ٣٢٠٠ وتوافق عام ١٦٦٧م.في عام ١٨٨٨ م كان سنجق حلب المركزي يشكل ١٤ قضاء و ٤٥ ناحية و ٢٧٥٠ قرية و ١٧ مزرعة . و قضاء إدلب فيه ٤ نواحي و ٢٣٨ قرية تابعة للقضاء في ولاية حلب . يحكم القضاء (قائمقام) يساعده أربع مدراء يقطن في إدلب مركز

القضاء و سكانه ٤٧٧٥٤ نسمة كما يلي[١] : ٤٥٥٠٠ مسلمون , ٢٢٥٤ مسيحيون)) .

سكان إدلب في الأحوال الثلاث: الأولى- بعد منتصف القرن١٧م تضاعف عدد سكانها ليصبح ثلاثين ألفاً, فبعد أن كانت قرية تابعة إلى قضاء سرمين, أصبحت بلدة، ومركز قضاء مستقل وسميت بـ(ادلب المعمورة) في نهوض اقتصادها السريع, وهجرة سكان القرى ا لمجاورة إليها. عاشت ادلب ذروة نهضتها العمرانية والاقتصادية في منتصف القرن ١٧م ،مما أدى إلى هجرة سكان القرى المجاورة, والتي تتجاوز العشرين, فتضاعف عدد سكانها في القرن١٨م إلى الضعفين.
الثانية - في النصف الثاني من القرن١٩م تراجع اقتصادها, وهاجر بعض سكانها، وأصبح عددهم عشرة آلاف.الثالثة في عهدالوحدة مع مصرلتصبح ادلب مركز المحافظة،وليهاجر إليها كل طالب وظية في الدوائر الجديدة ،والمعاهد العلمية المستحدثة
في هذه الأيام السود, أصبحت ادلب شبه خالية من سكانها الأصليين وأصبح الادلبي يشعر أنه غريب فيها ، فلم يعد يشاهد أصحابه, ولا حتى أقرباءه, معظمهم قد غادروها؟ قد أدى هذا إلى ضعفها الاقتصادي الشديد, وازدياد حالات الفقر والسرقة

في المحكمة وكالة خاصة و وكالة مطلقة (عامة) وكما ورد في ((رقم السجل: ١ صفحة: ٢٤٣ وثيقة: ٢٤٠٦ تاريخ الوثيقة: أواخر جمادى الثاني / ٩٦٢ هـ / ١٥٥٥م . وكل السيد علي بن محمد المغربي , المدعو محمد بن عبد الرحمن المغربي , في خلاص جميع حقوقه ومتروكاته من عمه علي بن أحمد المتوفى بقرية ادلب من عمل سرمين, وكالة مطلقة مقبوضة, وأقامه على ذلك مقام نفسه ورضي بقوله وفعله. وعليه حرر)) .

الفصل السابع

الحياة السكانية (القسم الثاني)

البحث الأول – المسيحيون، وكنيسة إدلب[1]:

أولاً- تمهيد : يمكن القول إن المسيحية في ادلب ،ومنطقتها قد وجدت منذ مطلع انتشار المسيحية في المنطقة بجهود دعاتها الذين أتوا من أنطاكية لنشرها في الشمال السوري , هذه الأديرة المنتشرة في المنطقة , دليل أكيد على ما نقوله ونؤكده مراراً على أن منطقة أنطاكية قد كانت المهد الثاني للمسيحية بعد فلسطين ،كما كانت من قبل موئل الثقافة الكلاسيكية(اليونانية - الرومانية)

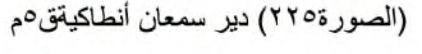
في ثنايا كتابنا هذا سيجد القارئ عرضاً لأهم الأديرة ،والتي كانت بمثابة مدارس لتعليم ونشر الديانة المسيحية , كما كانت مناراً ونبراساً لأبناء المنطقة , فحذا الكثير سلوكياتهم ونسكهم ,





(الصورة ٢٢٣) دير مار يونان في كفر دريان٥-٦م

(الصورة٢٢٤) بقايا عمود سمعان



(الصورة٢٢٥) دير سمعان أنطاكيةق٥م

وانتشرت الرهبانية وحياة النسك والتزهد , والجلوس على عواميد مرتفعة كطريقة تعبيرية عن مذهب أخذوا به وسُموا بالعموديين , كـ عمودي كفردريان في جبل باريشا(الصورة٢٢٣) أو عمودي جبل الشيخ بركات

---

[1] -*هذا البحث مهدى إلى الأخ المرحوم يوسف خربوط الذي تعاون معي في تزويدي ببعض المعلومات الموثقة بلقائي معه في ١٩٨٤/٤/١٠م حين زارني لقد كان يتمتع بفكر تنويري متميز على غيره – فكان قدوتي في ذلك – والأهم أنه حين عين مختاراً لـ حي المسيحيين , بذل جهده لتعديل ها الاسم إلى مختار حي الحرية وتحقق ذلك , ونحن نوافقه الرأي , فأصبح الناس يتعايشون , بغض النظر عن مذهبه أو معتقده , ألستم معي في أنه قدم مثلاً حياً للمتنورين في ادلب ... هذه المدرسة التي أؤمن بها، وأدافع عنها في سلوكي، وكتاباتي، فإلى روحك الطاهرة يا معلمي أقدم هذا البحث تلميذك فايز قوصرة.

القديس سمعان العمودي(الصورة٢٢٤) والمسمى الجبل باسمه جبل سمعان,وهناك جبل سمعان آخر غرب إنطاكية حيث سنجد ديراً في قمته , و عموداً جلس عليه سمعان أنطاكية زمناً (الصورة ٢٢٥) .
لقد أدت المسيحية إلى نشر فكرها في الحياة الاجتماعية،والعمرانية , فهناك الكثير من النقوش التي ترمز إلى السيد المسيح، وإلى الصليب، والإنجيل على سواكف الكنائس، والأديرة،والبيوت (الصورة٢٢٦).يمكن القول إن الكنيسة الأرثوذكسية هي الأقدم , ولغة تعني المستقيمون في الرأي , واصطلاحاً هم أتباع الكنيسة الشرقية , أو اليونانية , أو الروم الارثوذكس , وهي جمع أروام, وهو اسم أطلقه العرب على البيزنطيين ،والروم أيضاً . هذه المنطقة قد كانت من الناحية الكنسية تابعة لكنيسة أنطاكيا والتي انشطرت على أثر المجمع الخلقيدوني (٣٥١م) إلى مذهبين : المذهب الخلقيدوني التابع للمجمع, والمذهب المنوفيزي الذي رفض قرارات المجمع . وقد ألف هذا الشطر المنوفيزي في القرن السادس كنيسة مستقله دعيت الكنيسة اليعقوبية, نسبة إلى الأسقف يعقوب البرادعي ثم انشطرت الكنيسة الخلقيدونية إلى شطرين أيضاً :الموارنة والروم وذلك في الثلث الأول من القرن الثامن (٧٢٨م) .وقال مؤرخ كنسي لأنطاكيا :إن السريان والموارنة والملكيين (الأرثوذكس والكاثوليك) هم شعب واحد ومنهم أيضاً النساطرة، واليعاقبة ،وتسموا بالسريان الأرثوذكس، ويؤلفون ثلاث بطركيات (أنطاكيا والقدس والاسكندريه) وقد كان معظم بطاركتهم من اليونانيين إلى أواخر القرن التاسع عشر , ففي سنة ١٨٩٩م أُنتخب البطريرك السوري ملاتيوس الدوماني منهياً النفوذ اليوناني , على إثر ذلك تعربت الكنائس الأرثوذكسيه .
الروم الأرثوذكس لهم بطركيتان,الأولى في أنطاكيا، والتي انتقلت إلى دمشق , والأخرى في القدس ويدعون بالمسيحيين الشرقيين .مسيحيو إدلب من الأرثوذكس التابعين لبطريركية أنطاكيا ومطرانية حلب للروم الأرثوذكس . يسود هذا المذهب في أكثريته بين مسيحيي معرة مصرين (لم يبق غير عائلة واحدة في منتصف القرن العشرين) ومعرة النعمان (خمس عائلات) وفي مدينة جسر الشغور، وقرى جديدة – غسانية – حلوز , وفي البرج جنوبها, وفي اليعقوبية أرمن ارثوذكس .





(الصورة ٢٢٦) نقوش ورموز مسيحية-عن فوغويه ١٨٦٢م زمن زيارته

ثانياً – عرض تاريخي موجز: بعد فتح العثمانيين هذه البلاد عام ١٥١٦م عاملوا (أهل الذمة) وهم العناصر غير المسلمة، أو الكتابيين معاملة تقتدي بسير من سبقهم من العرب المسلمين حين قاموا بفتح سورية , فوضعت عليهم الجزية وهي بمثابة البدل الذي يدفع اليوم إعفاء من الخدمة العسكرية , مقابل حمايتهم من كل أذى , وتحدد نسبتها سنوياً , كما أنهم رحبوا بكل من يدخل في الدين الإسلامي , ويلتحق ببلاطهم وجيشهم مقابل منحه حقوق المواطنة كاملة .وهكذا تمكنوا بهذا الأسلوب من جذب الكثيرين نحو الإسلام , وبعد أن كان المسيحيون يشكلون الأغلبية في المنطقة أصبح المسلمون هم الأكثر عدداً , فكونوا قرية جديدة هي قرية إدلب الصغرى , وكما ذكرنا آنفاً ،وتحول كل من الدير (العمري) إلى مسجد جامع في العهد المملوكي, وتبعه موقع الجامع الكبير الذي كان وقفاً كمقام الخضر مار جرجس .كان مسيحيوا إدلب الكبرى في رغد من العيش , وإمكانيات اقتصادية لا بأس بها , معظمهم كانوا ملاكين كباراً للأراضي الزراعية الخصبة المجاورة , وهناك أرض تسمى أرض الخوري بجوار موقع ادلب الكبرى , وقد تبين أنهم قد سكنوا في الحي الجنوبي والجنوبي الشرقي ,وهم من العرب الأصلاء وخاصة (بنو غسان) , وكان لهم بئر خاص يشربون منه يدعى بئر العصافير , ولهم كنيسة خاصة بهم وعثرنا على بقاياها كعمود باقٍ إلى اليوم , وبموجب الوثائق الأخرى كان آل الكيالي يسكنون في هذا الحي الشرقي الجنوبي , لذلك حين هاجروا إلى الحي الشمالي في إدلب الصغرى , قد كانوا أيضاً مجاورين لهم , كما كانوا في ادلب الكبرى , وهذا طبيعي في الحياة الاجتماعية العتيقة , كل يجاور من يعرفه , للتماسك والتضامن الاجتماعي حينذاك .. أما اليوم فقد فقدت هذه الصفة الاجتماعيه عنا بكل أسف ..!!

ثالثاً – انتقالهم إلى ادلب الصغرى: بعد نهوض ادلب الصغرى (الحالية) اقتصادياً، وعمرانياً في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي , وصدور المراسيم بإعفائها من الرسوم الأميرية والتكاليف الضرائبية– بفضل نفوذ آل الكوبرلي فيها لأكثر من مائة عام – بدأوا بالهجرة إليها، واختاروا الحي الشمالي ,وهو الحي الأقرب لأراضيهم المجاورة لإدلب الكبرى ,

تجمعوا في زقاق الزهر القريب من بيدر آل حربا .. وسكن القليل منهم في الحي الشرقي بإدلب الصغرى حين كانوا يزاولون العمل في المعاصر، والمصابن، وتجارة الصابون ،والصباغة . ومن الوثائق القديمة حول بيع المسيحيين لدورهم ما ورد في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((رقم السجل ٨ رقم الصفحة ٣٧٢ رقم الوثيقة ٢٠٨١ تاريخ الوثيقة: ١١ جمادى الآخر ١٠٠٥ هـ/ ١٥٩٧ م . القاضي حسام أفندي بن حسن . أقر مانيا بن غيبة وأخوه موسى من قرية ادلب الصغرى بأنهم باعوا لجلال الدين بن محي الدين جميع الدار في المحلة المذكورة، وتضم ثلاثة بيوت عراقية نوطبقة، وجب ماء ،وحوش سماوي، وكرمهم بثمن ٦٠ دينار قاصوه بها من الدين الشرعي الذي عليه مقاصة شرعية بيعاً، وشراء شرعيين)) .لكنهم ظلوا في زقاق الزهر،يقع زقاق الزهر مجاوراً لجامع الشيخ خليل , وحين قطن فيه المسيحيون دعي الزقاق باسم (زقاق النصارى) وحين غادره المسيحيون ظل اسم الزهر غالباً عليه , وفي هذا الزقاق كان لهم دار يقيمون الصلاة وشعائرهم فيها ،وأشار(بوركهارد) حين زار إدلب عام ١٨١٢م إلى وجود كنيسة في إدلب ،ولعلها هي هذه الكنيسة ... وقد اطلعنا على وثيقة عند آل القصاص (من سكان هذا الحي) تعود لعام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م تذكر زقاق النصارى في المحلة الشمالية (المجاورة لجامع الشيخ خليل) , بوجود دكان على رأس زقاق النصارى، كان قد تهدم منذ عشرين عاماً، وهو وقف لجامع الشيخ خليل (المجاور) ولا ينتفع به ،و هكذا تشير، ولابد أن هذا الدكان قد كان مستأجره أحد مسيحيي الزقاق ،وحين بدأت محاولاتهم تغيير مكان سكنهم بعد مضايقتهم من قبل (الفوضويين) كما وصفوا بذلك. بعد زوال نفوذ آل الكوبرلي وبَيع أوقافهم (أو سُرقتها ؟) أضحت ادلب إلى فوضى إدارية , وتراجع اقتصادي , أدى إلى حوادث دموية بين الأعوام ١٨١٢-١٨١٦م , ثم تلاها حوادث أخرى تعرض لها الكثير , ومنهم مسيحيوا إدلب الصغرى في الحي الشمالي من قبل ما سمي حينذاك (الفوضويون) . وبما أن عمر الكيالي [١] نقيب الأشراف, ثم متسلم ادلب , أي حاكمها الإداري، قضى مدة مديدة معترضاً هؤلاء الفوضويين , كيف لا ؟ و المسيحيون قد سكن الكثير منهم في زقاقهم المسمى الآن (زقاق النوري في الحي الشمالي) , لذلك لجؤوا إليه

لحمايتهم من هؤلاء الفوضويين وقد بذل جهده لإطفاء الفتنة ,وتمكن من ذلك ليسجل موقفاً حضارياً، ووطنياً غير مسبوق في تاريخ ادلب في العشرينات من القرن التاسع عشر ... ونتساءل لماذا التجؤوا إلى آل الكيالي ؟! الجواب كان لهذه الأسرة نفوذ كبير على المجتمع كذوي علم، وتصوف, ولهم كلمتهم في الدولة العثمانية, كونهم من ذوي الأشراف ولهم صلة بآل البيت , وعمر الكيالي تولى نقابة الأشراف , لذلك لا يعترض عليهم أحد , ويستظل بحمايتهم من يأمن شر الآخرين , وهم ساهموا فيما بعد لبناء كنيسة لهم .

رابعاً – بناء الكنيسة : لعل هذه الأحداث أحد الدوافع إلى السكن في الحي الغربي , وهو الأحدث في عمران ادلب , وكذلك هناك دافع آخر هو صدور مرسوم في سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م أصدره الصدر الأعظم (رئيس وزراء الدولة العثمانية) مرسوماً يحدد فيه شروط بناء الكنائس المهدمة أو ترميمها . ولعلهم بعد هذا التاريخ قد فكروا بشراء أرض ،مع سعيهم في التواصل مع السلطات ،وظلوا يراسلون السلطان إلى أن تحقق أملهم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني،و كما سيرد...ظل سعيهم لبناء كنيسة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر , وإن كان من سبقهم لشراء أرض في غربي البلدة سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م في عهد الخوري نعمة بن ابراهيم . لو قمنا بتحليل وثيقة شراء أرض الكنيسة الموثقة في سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م لوجدنا البيع من قبل " بنتي الحاج حسن آغا خطيبي زادة والمشتراة من قبل الخوري نعمة بن ابراهيم زيون الذمي بشراء ٢١.٢٥ قيراطاً من أرض الكنيسة الكائنة في المحلة الغربية إحدى محلات ادلب الصغرى مع ما اشتملت عليه من المرافق والمنافع وجباب ماء ... ومع الساحة الخربة الملاصقة لها من جهة الغرب [وهي الآن بناء مدرسة] وساحة ملاصقة لها شرقاً [أصبحت ملكاً للكنيسه الإنجيلية] وشرقاً طريق سالك , وشمالاً طريق خاص مشترك بين القيسارية والكنيسة [هنا إشارة إلى وجود خان باسم القيسارية] وغرباً هناك ملك لـ جرجي بن دغيم الذمي , وقد تم دفع ٨٦٠٦ قرشاً معلومة وصرة دراهم مجهولة ..."

بما كان يوم تاريخه بذيله حضر عمدة العلماء وزبدة الفضلاء السيد الشيخ محمد افندي جوهري

لسادات الفخام السيد الحاج حسن افندي عياشي زاده الاصيل عن نفسه والوكيل الشرعي عن قبل

زاده الثابتة وكالته عنه في البيع وقبض الثمن الآتي بيانهما بشهادة كل من الرجلين العدلين

بيانهما وحضرة زبدة الفضلاء الكرام السيد محمد اغا افندي سليمان زاده الاصيل عن نفسه

محمد طاهر افندي عياشي زاده الاصيل عن نفسه والوكيل الشرعي عن قبل والدته فخر المخدرات الحاجة

خديجة بنت المرحوم الحاج حسن اغا خطيب زاده الثابتة وكالته عنهما في البيع وقبض الثمن ال

...عرفون بذواتهما معرفة تامة وهم جناب السيد عبد القادر اغا قدري زاده وجناب السيد محمد

سيد محمد سعيد جلبي بن المرحوم السيد الحاج محمد جلبي معلم زاده الاصيل عن نفسه والوكيل الشرعي عن قبل

ومن قبل زوجة اخيه السيدة نفيسة بنت المرحوم الحاج احمد جلبي معلم زاده الثابتة وكالته عنهما في

كل من الرجلين العارفين بذواتهما معرفة تامة وهما جناب السيد محمد افندي جوهري زاده المفتي وج

جميعا اصالة ووكالة بعقد صحيح شرعي ولفظ صريح مرعي ماهو ملكهم وبايديهم وتح

صدور هذا البيع من حامل هذه الوثيقة الشرعية الخوري نعمة ابن ابراهيم زيتون الذمي وهو

المبيع جميع الاحدى وعشرون قيراطا وربع قيراط وثمن القيراط من اصل اربعة وعشرين قيراطا

من ... ادلب الصغرى مع ما اشتملت عليه من المرافق والمنافع وجواب ماء المعدة باربعة وثلاثين

... صفقها من جهة الغرب المعدة باحدى وثلاثين ذراعا وربع ذراع طولا وثلا

... صفقها ايضا من جهة الشرق المعدة باحدى وثلاثين ذراعا وعشر قراريط طولا وتسع و...

... وشرقا ايضا طريق سالك وشمالا طريق خاص مشترك بين القيسارية وال

... جرجي ابن دعيبس الذمي بجميل ... كافة الحقوق والرسوم بثمن من الد

... قروش معلومة وصرح ذلك مجهولا لما اشير اليها وغيبت في المجلس بعد قبض

المقبوض قبضا تاما وبيعا باتا تاما مشتملا على الايجاب والقبول من الطرفين والقبض والاقباض

... ذلك من الفريقين في حال الصحة والسلامة وكمال العقل والعافية من غير اكراه ولا اجبار

... تخلى البائعون عن المبيع اصالة ووكالة وتسلمه المشتري بالشراء الشرعي وصدر بينهم الابراء ال

... جميع الاحدى وعشرون قيراطا وربع القيراط وثمن قيراط من الكنيسة مع ما اشتملت عليه من المرافق

... ملكا خاصا خالصا من املاك المشتري الخوري نعمة ... فيها منازع ولا مشارع

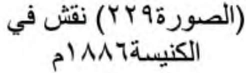
... وحرر في اليوم السادس ... من شهر ذي الحجة الحرام ختام شهور سنة اربع وسبعين و...

(الصورة ٢٢٧) وثيقة شراء أرض كنيسة ادلب سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م



(الصورة ٢٢٨) حجر تدشين كنيسة ادلب١٨٨٦م





(الصورة٢٢٩) نقش في الكنيسة١٨٨٦م

.(الصورة ٢٢٧) كذلك نلاحظ حضور الشيخ محمد أفندي جوهري زادة مفتي إدلب مع الحاج حسن أفندي عياش زادة أصالة ووكالة ،وهناك شهود من محمد اليازجي ومحمد طاهر أفندي عياش زادة ومحمد راغب أفندي سليمان زادة وعبد القادر آغا فنري زادة ،ومحمد عارف أفندي عياشي زادة، وعمر جلبي معلم زادة .سعوا إلى تسييج هذه الأرض بالحجارة , إلى أن يتم حصولهم على موافقة السلطات لبناء كنيسه فوق هذه الأرض , ولم يتمكنوا من الحصول على هذا الإذن أول الأمر , مما شجعهم على الانتقال إلى الأرض المجاورة للأرض المسورة لبناء منازلهم حولها , فشكلوا حياً خاصاً بهم , يبدأ من زقاق الرنة جنوب شرق الأرض المسورة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر , وبعضهم لم ينتظر الإذن , فبدأ بالعمار في الليل , وليجد الآخرين من العوام يهدمها نهاراً !!

لقد ظلت الأمور على هذه الحال , بين أخذ ورد حتى تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم (١٨٨٦-١٩٠٩م) وفي عهده حصلوا على فرمان (مرسوم) ببناء كنيسة خاصة بالروم الأرثوذكس بإدلب الصغرى , وبإمكانيات متواضعة تمكنوا عام ١٨٨٦م من تدشين كنيستهم في عهد المطران اليوناني دوروثيوس ، والخوري جرجى بن الخوري الياس زعير , وقد نقش على حجر التدشين فوق مدخل الكنيسة

بســـم الله الــوحـيد ** بـــفرمــــان الحميد

للأرثوذكس كنيسة ** هـــي الـــمينا الوطيد

برياسة دوروثـيوس ** سنة ١٨٨٦ مسيحية

وفي الداخل في أعلى الكنيسة نقش آخر مربع بداخله شكل قرص تحيط به في زواياه الأربع أقراص على شكل وريدات , وفي داخل القرص نقشت جملة (الله وسطها فلن تزعزع) وعلى اليمين في الأعلى رسم لشجرة أرجح هي نخلة ترمز للسيد المسيح ومريم .(الصورة٢٢٨-٢٢٩) وفي الكنيسة جثمان خوريين هما، وكما كتب فوق مرقديهما :

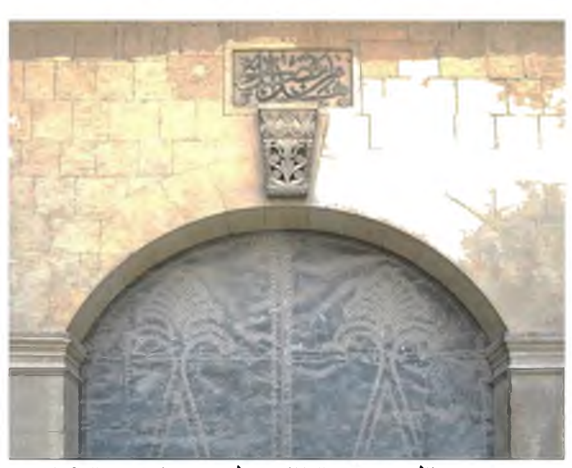
١- هنا يرقد + بالرب / المرحوم الخوري بطرس رومي / ولد عام ١٨٦٣ سيم عام ١٩٠٠ توفى ١٩٤٠ .

٢- هنا يرقد + بالرب / المرحوم الخوري جرجي خوري / ولد عام ١٨٤٠ سيم عام ١٨٧٨ توفى ١٩٣٠ .

وسميت الكنيسة باسم كنيسة السيدة العذراء للروم الأرثوذكس, وظلت تحت إشراف رعاة يونان , إلى أن تبدل الكرسي الأنطاكي إلى العرب برعاية البطريرك ملاتيوس الدوماني في عام ١٨٩٩م . وآخر كاهن للكنيسة هو الخوري ابراهيم نافع فرح الذي سيم عام ١٩٨٦م .

خامساً :استقرارهم في الحي الغربي : نعود إلى القول إنهم بعد بناء كنيستهم في الحي الغربي استمروا في السكن في الحي الغربي مجاورين لها , وبدأوا ببيع أراضيهم المجاورة لقرية ادلب الكبرى , ويشترون بدلاً منها أراضٍ في الحي الغربي , وقليلاً في الجهة الجنوبيه من باب طويقة كـ آل غنوم ومرجانة . وبدأوا يمارسون التجارة في الأقمشة والعمل في صياغة الذهب والتجارة به , والتي ظلت حكراً عليهم إلى الستينيات من القرن العشرين , ثم بدأ المسلمون يمارسون التجارة بالذهب دون صياغته كالمسيحيين .هناك فئة أخرى كانت أغنى تحصلت على أراضٍ عند سطوح المعصرة المجاورة لحمام الصالحية

غرب جنوب إدلب ،وإلى باب طويقة كآل كباد ،وفهدي، وغنوم , ولنجد خانات صغيره لتجارة الحبوب وغيرها في الثلاثينات من القرن العشرين . (الصورة ٢٣٠-٢٣١) يمكن القول إن انتقالهم قد تم من الحي الشمالي والشرقي إلى الغربي بشكل نهائي في حوالي عام ١٩٢٠م , بعضهم اتجه إلى الصناعة في الحي الغربي ،كمعصرة زيتون وطاحونة حبوب (آل غنوم) وفيما بعد مصنع ثلج , وكذلك صناعة الخمور . أصبح الحي الغربي أحد الأحياء الجميلة والنظيفة والهادئة , تجاوره المتنزهات , ومن يرغب من أبناء الأحياء الأخرى التمتع , فعليه قضاء السهرة في إحدى الحانتين الموجودتين في آخر هذا الحي , والمرخص لهما ببيع الخمور . إذا جلس أحدهم لشرب الخمر فلا بد له من التندر , حالفاً بالطلاق مرات دون أن تدري زوجته بذلك , وهكذا يتملص من تعرضه لضرب الصرماي (حذاء إدلب الشهير) من يد حماته القوية , وإذا غنى (بصوته الجميل !) يرفعه منشداً ما يحلو له , فلا يعترض أحد عليه , غير طيور الصباح المغردة في بستان غنوم المجاور . وما زال اسم شارع الخمارة سائداً إلى مطلع القرن العشرين ...



(الصورة ٢٣٠)مدخل خان كباد-١٩٣٠م



(الصورة ٢٣١)التاجر الإدلبي جرجس كباد

سادساً – تعدادهم السكاني :أما عددهم السكاني فلا تفيدنا الوثائق العثمانية عنهم إلا في أواخر القرن التاسع عشر , ولكن نصوص الرحالة تفيدنا قبل ذلك . أقدم نص لـ (برسنز) الذي زارها عام ١٧٦٧م ذكر أن: بإدلب الحاليه ثلاثين ألف نسمه معظمهم من المسلمين ،والمسيحيين ولم يميز عددهم, غير أن(بوركهارد) الذي زارها عام ١٨١٢م قائلاً : " إن فيها ثمانين عائلة مسيحية يونانية (أي أرثوذكسية) وثلاث أرمن يونان (أي أرثوذكس) , لهم كنيسة , وثلاث خوارنة , وهم تحت رعاية بطريرك اليونان بدمشق " .وبالمقارنة بين النصين يمكن القول إن (برسنز) وهو أجنبي يهمه معرفة عدد أبناء ملته , ولكنه لم يتمكن من إحصائهم , نظراً لتوزعهم بين ادلب الصغرى وادلب الكبرى , إلا في مطلع القرن الثامن عشر . لذلك استطاع بوركهارد الحصول على عددهم (بشكل أدق) لاستقرارهم في ادلب الصغرى فقدرهم بهذا العدد, ولو قدرناهم وسطياً لبلغ عددهم أكثر من ٦٠٠ نسمة , بعد بوركهارد زار القس طومسون المنطقة ونام بادلب عام ١٨٤٦م والتقى الكاهن اليوناني – اي الأرثوذكسي - في إدلب وقدم له شكوى من مضايقة المسيحيين من السكان وهم تقريباً ١٠٠ عائله مسيحية .وقد ذكر(غي Guy)عام ١٨٤٥م أن " عدد سكان ادلب ستة آلاف (٥٢٠٠ مسلمون + ٨٠٠ نصارى أرثوذكس) .و(إيلي سميث) زار إدلب عام ١٨٤٨م وجد " فيها تسعين عائلة يونانيه وعشرة أرمنية ،الذين كانت لهم مدرسة .وفي الدائرة القديمة عام ١٨٧٧م عدد سكان إدلب (٨آلاف نسمة فيهم ٩٠٠ نفس من الروم والباقي من المسلمين) .من هذه النصوص يمكن القول إن المسيحيين كانوا في (حالة توتر) بعد تعرضهم لـ (الفوضويين) عام ١٨١٦م ،وما بعد ... وكذلك عددهم لم يتناقص , بل ازداد بعد (بوركهارد) في زيارته عام ١٨١٢م , والدليل تقارب إحصاءات وردت في نصوص ثلاثة في وقت متقارب , ورغم (المضايقات) قرروا إيجاد الحل في تغيير مكان سكناهم من الحي الشمالي إلى الغربي – وكما سيرد – (تابع وثائق السا لنامة في هذا الفصل)وهناك ذكر لعددهم لدى جبرائيل وسليم الخوري في كتابهما (آثار الأدهار) يوجد في قضاء إدلب ٣٧٠٩ بيوت فيها ١٢٣٥ بيتاً للمسيحيين عام ١٨٧٥م في المدينة مائة بيت للروم (أي أرثوذكس) والبستاني في موسوعته (دائرة المعارف قدرهم بـ ٩٠٠ نسمه من

ثمانية آلاف , من أصل سكان القضاء ١٧٤٩٨ نفساً منهم ٩١٨ مسيحيين عام ١٨٧٧ , تلاه المعجم العثماني الصادر عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م بأن فيها ٩٠٠ نسمة أيضاً من النصارى .مما تقدم يصح القول: إن تنقلهم قد بدأ إلى الحي الغربي مع زمن بناء كنيستهم .لقد أدى الوضع الاقتصادي المنهار بإدلب في أواخر القرن التاسع عشر , وخلاف بعض العائلات , إلى هجرة الكثير منهم , رغم مراكزهم الثقافية والإدارية والتجارية , لطموحهم المتأصل فيهم , وحبهم للتمدن والرقي , فأبى بعضهم الرضاء بالقليل , فهاجروا إلى حلب، وبيروت، والتي فيها حتى الآن عائلة باسم الادلبي ،ومنها هاجروا إلى الأمريكيتين .. وأكثر أهالي إدلب المسيحيين قد استوطنوا في الأرجنتين في مدينة (توكومان) وفي البرازيل في مدينة (سان باولو) وأثبتوا وجودهم هناك وتفوقهم على غيرهم .. وحبذا لو أقمنا رابطة مهمتها الاتصال معهم وشد أحفادهم إلى الوطن الأم وبذويهم .ومن نافلة القول : إن عددهم قل إلى النصف – مع حساب الزيادة المتوقعة في المواليد – فبعد أن كان عددهم تسعمائة نسمة في عام ١٨٨٨م أصبحوا في عام ١٨٩٦م ٦٣١ نسمة في قضاء إدلب (أي إدلب ونواحي ريحا وسرمين ومعرة مصرين) وكما يلي (٤١٥ ذكور + ٢١٦ إناث روم) بدلاً من تجاوزهم الألف نسمة , بل قل إلى ٤٤٨ نسمة عام ١٩٠٣م وكما ذكرت السالنامة العثمانية (في قضاء إدلب وفيه ريحا وسرمين ومعرة مصرين) منهم ٣٥٨ روم ارثوذكس من ٢٦٢ ذكور + ١٢٣ إناث و ٦٣ بروتستانت من ٣٨ ذكور + ٢٥ إناث في قضاء ادلب .أما سالنامة عام ١٩٠٦م فذكرت عددهم في قضاء إدلب ٦٣٠ روم أرثوذكس من ٣٢٤ ذكور + ٣٠٦ إناث وعدد البروتستانت ٦٥ من ٤٠ ذكور + ٢٥ إناث .لقد حدثت هجرة مطلع الحرب الأولى هرباً من الجندية ..وفي عام ١٩٢٣م كان بإدلب مائة بيت للنصارى (هكذا يدعون في الوثائق), أي ما يعادل ٥٠٠ نسمة , ولكن وحسب النفوس ٥٢٤ نسمة كما ورد في حي النصارى بعد تشكيل الدولة السورية في العشرينات .بينما بلغ عددهم عام ١٩٢١-١٩٢٢م في قضاء إدلب ٥٩٩ من الروم الارثوذكس منهم ٢٩٤ ذكور + ٣٠٥ إناث . بينما في ريحا والتابعة لقضاء إدلب حينذاك بلغ عددهم ٢٩ نسمة .هذا العدد المتراجع كانت له أسبابه :أولاً -تغير المجتمع وعدم استقراره ,فمن الحرب العالمية الأولى ,

إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية , إلى المملكة السورية برئاسة الملك فيصل والتي لم تدم طويلاً , إلى الاحتلال الفرنسي , كل هذا أدى إلى هز كيان المجتمع واستقراره .ثانياً - قيام الثورة في الشمال السوري ضد الاحتلال الفرنسي، واستيطان الفرنسيين بإدلب ،وخاصة في ثكنتها العسكرية (القشلة) .ثالثاً -الحادثة الأهم في الاعتداء وسرقة حيهم في ٧ كانون الاول ١٩٢٠ م من قبل (الجتى) بالهجوم على ادلب ومقتل حسيب الشماس ، كذلك تم الهجوم على بيت الجنكل (قصير) في تهجمهم ، دام ذلك حتى ١١ كانون الاول ، وانتهى بوصول الطائرات الفرنسية داعمة قواتهم التي عززت في ادلب لطرد عصابات الجتى . المصدر الاساسي ذكر هذا ، بينما الروايات الاخرى قالت : داهموا بيوت المسيحيين .. انها المبالغة في كل شئ ولكن الواقع يغاير ذلك ، وبعد تحرينا الحقيقة نقدمها لكل باحث ونحن اولهم .

سابعاً- في عهد الانتداب الفرنسي: جاءت إلى إدلب عائلات أرمنية لاستخدامهم كموظفين وعمال فنيين , ثم لتبني والي حلب نبيه بك المارتيني الأرمن المهاجرين، وتوطينهم في حلب , ومنهم من جاء إلى إدلب بتشجيع منه كونها بلده الأصلي .بعد الاستقلال حصلت هجرة ثانيه إلى حلب، وبيروت والأمريكيتين , بينما سابقاً هاجروا إلى أمريكا الجنوبيه فقط ،وكما أسلفنا .

ثامناً - واقعهم في وثائق إدلب الصغرى : ورود الأمر العالي من السلطنة العليه (أي كتاب توصية من السلطان) دعوى الحرمة سارة بنت حنا ولد الياص النصرانية على أخويها ياغوب والسياجي ولد يحنا الهالك (أي المتوفى) وإن ساره هي التي قامت بالإدعاء بعد وفاة والدها ،وانحصر إرثه بها وبأخويها المدعى عليهما، وفي والدتها نصرة بنت مهنا وترك متروكات طبخ صابون وقلي وزيت وحرير ونحاس وغزل ودقنى وفرش ولحف وبسط ومخدات وأثاث ومتاع وديون في ذمم الناس وانها سابقاً اقتسمت مع أخويها بالاكراه من زوجها منصور وله رزق – منصور ولد رزق القازنجي – وهي تطلب حصتها مما هو مسطر في دفتر القسام وتطلب ما أخفياه أخويها عن القسام من طبخ صابون، وحرير، وغزل ،وفرق دراهم نقود ..أجابا أنه في

سنة ١١٢١هـ اقتسما التركة مع من كان من طرفها زوجها بموجب وكالة معه ولم يبق لها إلا الديون مع الناس وإذا حصلوها يعطوها حصتها منه وذلك بموجب حجة شرعية وبإمضاء مولانا محمود أفندي القاضي بادليب سابقاً مؤرخه بشوال سنة ١١٣٤هـ" . ومن مضمونها أنه ورد فرمان عالي من السلطنة العلية وإن سارة وكلت ابنها رزق ولد منصور القازنجي وادعى على أخواله باغوب والياص .. " وهي عنا عزلتا وكالتها لزوجها ولابنها بعد أن حصَّلت حصتها من الديون واصطلحت مع أخويها وهما اصطلحا معها (وكما تذكر الوثيقة) على ٤٠٠ غرش قبضتها واوقفت دعاويها الإرثية عليهما , ولما قرئت الحجة عليها أنكرتها وأن زوجها هو من أكرهها على ذلك وهي كانت مكرهة , فطلب منها بينة الإكراه وبعد ثلاثة أيام حضرت وقالت لابينة لها بالإكراه وطلبت شهود الحجة فحضروا للشهادة وأكدوا تاريخ الحجة لدى القاضي بادليب سابقاً أحمد أفندي وقرر الحاكم الشرعي منع الحرمة سارة من التعرض لأخويها " ١١٤٦هـ /١٧٣٤ م .(الصورة٢٣٢-٢٣٣) من الشهود على ذلك هم حضرة حسن آغا الضابط بادليب والحاج عبد الرحمن أفندي المفتي والحاج حسين جلبي بن الشيخ نعمة والحاج يوسف جلبي بن عطا الله الأرمنازي والشيخ محمد حسن شيخ قسطون والحاج محمد بن رمضان شيخ بشلامون وقلعجي من حلب وآخرون . كذلك يتولى القسام العسكري والمسؤول في ضابطية ادلب ليس شؤون المسلمين فقط , بل النصارى سواء في النزاعات الشخصية أو قضايا حصر الارث كالوثيقة التي " ادعت فيها الحرمه سارة بنت حنا ولد الياص النصرانيه ... والدتها نصره بنت مهنا ماتت سنة ١١٣٣هـ وانحصر ارثها فيها وبأخويها " وأقامت الدعوى على أخويها سنة ١١٤٦هـ / ١٧٣٤ ـ ١٧٣٥م ,

(الصورة ٢٣٢) وثيقة ادعاء سارة١١٤٦هـ

(الصورة ٢٣٣) وثيقة إثبات حق سارة في ضابطية ادلب١١٤٦هـ

ولكن أن سارة هذه قد أقامت دعواها ليس كغيرها أو كما هو سائد , بل جاءت بكتاب (واسطة كبيرة) من السلطنة الطرافة العثمانية في اسطنبول , وهذا يؤكد أمراً مهماً في تاريخنا أن المواطن يستطيع مهما كانت مكانته أو صفته (مسلم أو مسيحي) يستطيع رفع تظلم لأعلى سلطة في العهد العثماني , وليس كما علمونا في المدارس عن ظلم السلطات العثمانية، فقد كان تاريخنا (يزيف) لتحقيق تيارات فكرية شوفينية , دون التحقق والمنهجية العلمية ,

وثانياً- هي قد حاولت كثيراً حل إشكالها الإرثي مع إخوتها , فكيف لا تلجأ إلى السلطات العليا , ولكن الغريب أن مشكلة شخصية يدفع أمرها إلى السلطان ملفت للنظر

(الصورة ٢٣٤) وثيقة سرقة بيت نصراني في ضابطية ادلب١١٤٦هـ

, فإما هي لها أناس هناك ،أو هو خط عام كان سائداً حينذاك , وليرد " الأمر العالي من السلطنة العلية (أي من السلطان العثماني)(الصورة٢٣١-٢٣٤)ولعل من الوثائق القديمة التي وصلتنا عنهم في سجلات ضابطية ادلب الوثيقة حول سرقة بيت نصراني تاريخها١١٤٦هـ(الصورة٢٣٥) وأما الوثائق القديمة، والمسجلة لدى ديوان الولاية بحلب تقدم لنا الكثير،مع أنها وثيقة تبحث في مشكلة بيع منزل لمسيحي , ولكني أعتبرها مهمة , كونها قدمت لنا صورة حقيقية عن واقع تحركهم السكنيوهي : وثيقة قاضي حلب بخصوص الدعوى

المقامة بعد وفاة النصراني أنطون بن مخول كشك أوغلي من مدينة إدلب وأن وريثته هي زوجته سعدة بنت أوسب وبناتها مريم وفضة ومدول ونقلة وأشقاء المتوفى كل من عبدو وسليمان ونصرة واختير سليمان لإقامة الدعوى ضد عمر بن السيد عبد القادر خطيب أوغلي أن أنطون المتوفى كان قد اشترى منزلاً من قبل عمر في سنة١٢٤٩ هـ/١٨٣٣م واقع في إدلب في المحلة الغربية معلوم الحدود والمشتملات بمبلغ ٢٦٠٠ قرشاً وببيع قطعي واستلام .. وبعد مرور سبع سنوات من وفاة أنطون انتقلت التركة إلى الورثة ,وأقدم عمر إلى المحكمة مدعياً أنه وقع في غبن فاحش جراء بيعه لأنطون رغم إعطائه الورثة براءة ذمة , وتبين كذلك أنه أعطى لأنطون براءة ذمة شرعية . طلب للشهادة من المقيمين بادلب سعيد بن حمد محشايا أوغلي وأحمد بن حاج عبيد معمار أوغلي كما طلب للشهادة محمد بن دهنه ومحمد بن ملقوف وخالد تفتنازي وسلمون بن حسن الذي هم بالأصل من أهالي ادلب ،وسكنوا مؤخراً في مدينة حلب ،فأفادني الجميع بكذب الادعاء من البائع عمر وسقط حكم شرعي بإسقاط دعواه سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م " . هذه الوثيقة تفيدنا بما يلي : إن المسيحي (النصراني) أنطون هو من إدلب ،وبالتوافق مع الوثائق الأخرى كان يسكن في الحي الشمالي , وبدأ كغيره من المسيحيين القاطنين في الحي الشمالي يسعون إلى (التبدل الاجتماعي) والسكن في الحي الغربي الأحدث عمراناً عن غيره من الأحياء , كونه في أصله (واجهة إدلب) الاقتصادية , إذ تتجمع فيه الخانات ،والمتاجر التوزيعية ،ودوائر السلطة المدنية .أما تاريخ الوثيقة الأولى في شراء المنزل ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م وهي ليست بعيدة عن زمن أحداث (الفوضويين) التي أساءت إليهم , وكانت سبباً أولياً في تغيير مكان سكناهم .إن عمر بائع المنزل قد شعر بالغبن , مع أنه قبض المبلغ كاملاً , وهذا سببه ارتفاع أسعار البيوت والأراضي في الحي الغربي , نتيجة سعي المسيحيين للسكن بجوار بعضهم , فحاول فسخ العقد دون جدوى .ورود أسماء عائلات هاجرت من إدلب إلى حلب , ولكنها ظلت في تواصل مع أبنائها , والدليل حضورهم المحكمة وشهادتهم .ورود أسماء الكفلاء أو المدافعين عن حقوق المسيحيين بأن لا يهضم حقهم , وهؤلاء من المسلمين, وهذه إشارة واضحة للوحدة الوطنية , والدفاع عن الحقوق المدنية , بغض النظر عن

المذهب، أو المعتقد , وتتكرر مثل هذه الظاهرة فيما بعد .بعض العائلات يضاف إليها كلمة اوغلي = ابن وبعضها عدل اسمها كـ سعيد بن حمد محشايا وهم يدعون اليوم باسم حمشدو , وغيرهم كثير تعدلت كنياتهم أو دثرت كـ ملقوف .أما ثاني أقدم وثيقة وصلتنا عنهم ترقى لعام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م وهي مسجلة في سجلات الأوامر السلطانية عند والي حلب عبارة عن كتاب من القاضي إلى الوالي تقول الوثيقة " أنه حضر لمجلس الشرع الشريف بحلب عمرا آغا بن الحاج أحمد من أهالي قصبة إدلب , وواجه الذمي فتوح بن جبور بوية جي . وأن الأول أقرض الثاني مبلغ ١٠٥٠٠ قرشاً ليدفعه خلال سنتين مع ربح قدره ٢١٠٠ قرشاً = ١٢٦٠٠ والمذكور لم يدفع , علماً أنه يمتلك منزلاً يقع في المحله الشمالية من مدينة إدلب معلوم الحدود والمشتملات , ودكان يستخدم لمسح الأحذية , ونصف كرم زيتون في ضواحي إدلب .. ثم قال إن والد المذكور فتوح والمدعو جبور كان عرض عليه بيع المنزل المذكور لقاء مبلغ قدره ٩٠٠٠ قرشاً , بديلاً عن الدين ،وجرى ذلك عن طريق نائب إدلب، وتمرير سند موقع ،ومختوم بتصديق هذا النائب , لكن فتوح لم يقبل به , وأصر عمر آغا على استرداد باقي المبلغ ٣٦٠٠ قرشاً وفتوح قال إنه أعطى لعمر خلال خمس سنوات مقدار عشرة آلاف لقاء كل سنة ألفين, وخلال الثلاث سنوات الأخيره قبض مبلغ ٣٦٠٠ قرشاً كمرابحة , فيكون المجموع ١٦٣٠٠ , لكن المبلغ الذي استقرضه هو ١٢٦٠٠ لذلك فإنه يطالب بمبلغ ٥٨٠٠ مع النفقات . ولم يستطع فتوح (إظهار البينة) وعجز , فتدخل بعض الوسطاء للصلح , وتم بسعر ٧٠٠ بدلاً من ١٠٠٠ فيبقى على الذمى ٢٥٠٠ فقط مقسطة على خمس سنوات " . تليها وثيقة أخرى أيضاً((من قاضي حلب إلى الوالي لكي يدفع هذا الذمي فتوح لعمر مبلغ ٤٢٠٠ قرشاً على قسطين , وذلك بكفالة كل من الشيخ محمد يازجي أوغلى والسيد عبد الوهاب إنطاكية لي وكيلاً عن السيد سعيد سعيد المعلم والسيد يحيى آغا بغدادلي وكيلاً عن الحاج خرفان , ثم التقى هؤلاء الثلاثة مع الذمي فتوح وطالبوه بالمبلغ , وأجابهم إن بملكيته نص مزرعة زيتون يطلق عليها مزرعة اليهود البالغ مساحتها ٢٠٠ أوجلق (أي متر مربع) وهي في حالة الشيوع وتقع بجوار مدينة ادلب , كما أن لديه دكان لمسح الأحذية أيضاً بنصف حصة وأنه باع

هاتين الحصتين إلى الصرافين اليهوديين السيدين (بنطو بن يعكوب) بمبلغ ٤٢٠٠ قرشاً , حيث استلم من المبلغ ٢٥٠٠ قرشاً وبقي عليهم ١٧٠٠ قرشاً , وقد طلب اليهود بأن يعطيهم بعض الوقت ليتوفر لديهم بعض الوقت كي يتوفر لديهم المبلغ , وليتم دفعه إلى فتوح , ثم تم التراضي باستلام ٢٠٠ قرشاً من فتوح فوراً , والباقي ١٧٠٠ تؤجل حتى استلام المبلغ من اليهوديين (من قاضي حلب حررت في ١٥ جماد الآخر ١٢٦٤هـ) .توافق١٨٤٦م.تفيدنا هذه الوثيقة بما يلي :

١- من المهن التي كانوا يمارسونها صناعة الأحذية وصبغها.
٢- - أنهم ملاك أراضي، ودكاكين .تعاملهم المالي مع المسلمين واليهود حتى لو اضطروا إلى الاستقراض بالفائدة .
٣- مخاطبتهم بكلمة الذمي .
٤- تؤكد الوثيقة ما أوردناه توطنهم في الحي الشمالي فـ " بن جبور يمتلك منزلاً يقع في المحلة الشماليه " وكذلك (دكان يستخدم لمسح الأحذيه) .
٥- من مهن اليهود الصرافة , إثنان منهما يدعيان بنطو بن يعكوب وكذلك كان لليهود أراض دعيت باسمهم (مزرعة اليهود) .
٦- كفل ابن جبور اثنان ابن يازجي وابن أنطاكية لي (وكلاهما في أصولهما عثمانيان) كما أشارت إلى وجود أحد أبناء بغداد وهو السيد يحيى آغا بغدادلي (أي البغدادي). ولكن بعد سنتين اي سنة ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م يبت في الدعوى المقامة ضد جبور في " ثبوت إدعاء عمر آغا بن الحاج حمد على الذمي فتوح بن جبور الادلبي بلزوم دفع مبلغ ٧٠٠٠ قرشاً بعد فسخ شراء المنزل في المحلة الشمالية العائد للذمي

تاسعاً- دورهم في الوظائف العامة : لقد أشرنا إلى مكانتهم ودورهم الهام في بناء البلدة , وعمرانها اقتصادياً وإدارياً, فالوثائق تشير إلى أن (حنا آغا) كان عضواً في مجلس ادارة قضاء ادلب عام ١٨٧٠م , والمتشكل من أربعة أعضاء هو من بينهم , ولقب آغا لا يتحصله غير ذوي الجدارة والمكانة ! في عام ١٨٩٦م أصبح مجلس إدارة القضاء إثنان هما : نقولا أفندي وأنطون

أفندي كعضوين منتخبين , من بين ثمانية أعضاء أربعة طبيعيين , وأربعة منتخبين , بالإضافة إلى رئيس مجلس إدارة القضاء وهو القائم مقام – راجع بحثنا الإداري – وأما في محكمة البداية فكان عضواً فيها جورجي فهدي أفندي وفي البلدية عين جورجي أفندي كمأمور للديون العامة .في عام ١٩٠٣م كان في مجلس إدارة القضاء إبراهيم أنطون أفندي والياس شماس أفندي كعضوين منتخبين بين أعضاء المجلس الثمانية (أربعة منتخبون وأربعة طبيعيون) وظلا إلى ما بعد عام ١٩٠٦م , وفي محكمة البداية جورجي فهدي أفندي كعضو فيها مع برهان الدين أفندي [ولعله هو برهان الدين العياشي مفتي إدلب فيما بعد ؟] يساعدهما باش كاتب ابراهيم خليل أفندي وكاتب ثاني يدعى منحل – وهو معلم في الكنيسة – ويبدو أنه كان يقوم بعدة أعمال لكي يكسب عيشه , وكما سيرد . في إدارة النقل – وما زلنا نتحدث عن عام ١٩٠٣م – تولى الياس أفندي شماس منصب عضو فيها مع أربعة آخرين إلى جانب عضويته في البلدية , وأما في إدارة الديون العامة فكان باش كاتب وأمين الصندوق حنا أديب أفندي .في إدارة الأرزاق – كالتموين الآن – كان المحاسب استفان أفندي , والملفت للنظر أن اسم شماس يرد في المناصب الثلاث مختلفاً بالتسلسل , فهل هو شخص واحد أم اثنان , إذ ورد اسمه كعضو في مجلس إدارة القضاء الياس شماس أفندي ,وفي البلدية كعضو باسم الياس أفندي شماس وفي ادارة النقل كعضو باسم الياس أفندي شماس , ونرجح أنهما إثنان , الأول تولى منصباً أعلى من الثاني باسم الياس شماس أفندي والثاني باسم أفندي شماس المتولي منصبين متجانسين في أداء المهمة , ومن غير المعقول أن يتولى واحد ثلاثة مناصب !! في عام ١٩٠٦م يظل عضوا مجلس إدارة القضاء المذكورين في عام ١٩٠٣م في منصبيهما , بينما يكون جرجي أفندي عضواً في محكمة البداية مع وحيد آغا يعاونه منحل (المسيحي) برتبة كاتب ثاني .وأما في البلدية فكان عضواً فيها بطرس أفندي ودقتور– هكذا كتبت – قسطي أطناش أفندي ، وفي إدارة الديون العامة ذكر فيها ابراهام أفندي ككاتب ثاني – وقد يكون يهودياً لأن هذه الدائرة لها ارتباط وثيق بالمال – وليس مسيحياً ! وفي إدارة الأرزاق كان المحاسب فيها مسيو إميل , ونلاحظ هنا أن الأمور الماليه في الإدارات للمسيحيين , وكذلك في البنوك ,

وخاصة صناديقها كانت تسلم للمسيحيين , لبراعتهم فيها ولتحرج السلمين في العمل بالمصارف .أما العمل في المجلس الزراعي وفي أمانة الصندوق يعمل فيه ككاتب محاسب يوسف أفندي البروتستانتي ومعه رفيقه منحل الارثوذكسي .. لقد ظل العمل في المصارف مقتصراً عليهم إلى منتصف الخمسينات من القرن العشرين كما في مصرف سورية والمهجر – حاليا باسم المصرف التجاري السوري – إلى أن شارك المسلمون العمل فيه , وأنا أحدهم لمدة سنتين ! . أما الخدمة العسكرية فيبدو أن السلطات العثمانية قررت جلبهم كغيرهم بعد إلغاء ضريبة الجزية , فأضافت في عام ١٩٠٦م إلى مكتب النقل المدني كلمة (العسكر) والذي كان فيه عضو (نصراني) هو الياس شماس أفندي , الذي هو أيضاً عضو في مجلس إدارة القضاء . - وننوه هنا إلى أن كلمة قضاء يقصد بها التنظيم الإداري، أي إدارة المنقطة وليس قضاء المحاكم – مع غيره من أعضاء المجلس المنتخبين أو الطبيعيين

* *

عاشراً - دخولهم الحرب العالمية الأولى(السفر برلك) : منذ عام ١٩٠٣م إلى ١٩٠٦م , والذي سيتولى بمعرفته جلب من تفرض عليه الخدمة العسكرية من جميع السكان[1] , وقد حصلنا على صورة تعود إلى الحرب العالمية الأولى , يظهر فيها تجمع العسكر في وقت دعوتهم إلى حرب (السفر برلك) هذا الاسم المطلق على الحرب العالمية الأولى , وقد تجمعوا في موقع مجاور للقشلة (الثكنة العسكرية) في مكان يدعى الكسيح فسمي الحي باسمه (انظر بحث الأحياء) . حيث تجند فيه المسيحيون والمسلمون والإسرائيليون (٢) , مثلهم رئيس طائفتهم الخوري جورجي أفندي وهو نفسه ابن الخوري الياس زعير .

---

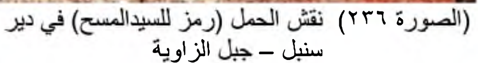
[1] - ذكر الغزي أن التجنيد قد كان مفروضاً على المسيحيين والإسرائيليين سنة ١٣٢٨=١٩٠٩/١٩١٠ انظر جـ٣ ص ٥١٨ من كتابه

حادي عشر- التعليم :وأما في التعليم فقد وجد لديهم في وقت سابق , وخاصة داخل الكنيسة أو في غرفة بجوارها قد تسمى مدرسة لتعليم الصبيان , ولكن بعد بناء الكنيسة ذكرت الوثائق وجود (مكتب لتعليم الروم) في سالنامة عام ١٨٩٦م , ولكن في سالنامة عام ١٩٠٣م ذكر وجود (مدرسة روم ارثوذكس) أي تحول الاسم من مكتب (غرفة) إلى مدرسة بأكثر من غرفة , وعدد طلابها ٢٧ طالباً يشرف عليهم المعلم منحل , ومدرسة أخرى خاصة بالبروتستانت عدد طلابها ٢٣ طالباً يشرف عليهم المعلم يوسف أفندي , وهو نفسه يعمل في وقت واحد في المجلس الزراعي وفي صندوقه .الملفت للنظر تقارب عدد الطلاب بين المدرستين , وهذا يعود إلى جهود البروتستانت في ترسيخ تعاليمهم بين أتباعهم , فأدركوا أن التعليم هو الطريق الأمثل لهم , ولذلك كانت أكثريتهم متعلمة عن غيرها , وسلكت درب الخدمة الوظيفية .. وفي المدرسة الرشدية – نسبة للسلطان رشاد – والتي كانت تسمى مكتبة رشدي ملكي أيام العثمانيين , وهي كمدرسة إعدادية بلغ عدد طلابها الذكور ٣٢ كان المعلم الأول فيها منحل يليه المعلم الثاني عبد الحميد أفندي , ومنحل هذا شغل عدة مناصب كمعلم في مدرسة الكنيسة وعامل في البنك الزراعي – الصندوق – , وفي عام ١٩٠٦م يظل في منصبه في المدرسة الرشدية , ولكن بدرجة معلم ثاني وكاتب ثاني في محكمة البداية , بينما يفقد منصبه كمعلم في مدرسة الكنيسة , إذ يكلف شماس بولص أفندي بالتدريس فيها وعدد طلابها ثلاثون , ومما يلفت النظر أيضاً , أن جميع طلابها من الذكور , بينما مدرسة البروتستانت بلغ طلابها الذكور عشر والإناث ستة , ومعلمهم يوسف عبود أفندي , وبالمقارنة النسبيه في عدد الطلاب نجد عددهم في المدرسة البروتستانتيه أكثر يعود للسبب الذي ذكرناه سابقاً , أو أنهم كانوا يستقبلون طلاباً من الفئات الأخرى ,لإمكانياتهم الأفضل !!



(الصورة٢٣٥) واجهة كنيسة ادلب للأرثوذوكس





(الصورة ٢٣٦) نقش الحمل (رمز للسيدالمسح) في دير سنبل – جبل الزاوية

في عام ١٩٤٦م وبسعي من الخوري نعمت الله يتمكنون من الحصول على ترخيص مدرسة للروم الارثوذكس بإدلب بموجب مرسوم جمهوري من قبل الرئيس شكري القوتلي , وسمح لها بفتح أبوابها للجميع وليس لفئة خاصة بهم .. بعد حرب السويس عام ١٩٥٦م واستشهاد جول جمال (من أبناء اللاذقية) قدموا توصية لتسمى باسمه بموجب قرار وزاري (مدرسة جول جمال الوطنية الخاصة بإدلب) .(الصورة٢٣٥-٢٣٦)من أبناء إدلب المسيحيين الأوائل : من المحامين أنطوان غنوم وميشيل غنوم وجورج خربوط , العميد المهندس ليون شماس ومن الأطباء عبد الكريم فهدي وجورج غنوم و فؤاد زيادة وليون فهدي , الدكتور البروفيسور عبد الكريم رافق وهو أستاذي في الجامعة، ومنه تعلمت تحليل الوثائق وسنفرد له بحثاً مستقلا في أعلام ادلب , ومن المهندسين جورج زيادة وعيسى بيطار والياس حكيم ومن المدرسين ابراهيم شفيق موسى ونهاد جبور ومفيدة بيطار.ومن النساء فأول طبيبتين كانتا إكرام خربوط وغادة غنوم، ومنهن السيدة جانيت كباد التي تولت رئاسة الاتحاد النسائي ،ثم عضو قيادة فرع حزب البعث العربي الاشتراكي .

ثاني عشر- مقابرهم : أما مقابرهم فلم تفدنا الوثائق شيئاً عن مكانها في إدلب الكبرى , وقد تكون في موقع أرض تسمى أرض الخوري شمالاً ...في إدلب الصغرى الحالية , والتي كانت تدعى في العهد البيزنطي دلبين [دير دْلبين في الوثائق الكنسية] فقد ظهرت بقايا مقبرتهم في مكان مقبرة المسلمين في الحي الغربي إلى الشمال , حين أزيلت المقبرة في الستينات من القرن العشرين ,

فظهرت في السوية السفلى مقابر على شكل نواويس تشابه تلك المنتشرة في الجبال وعليها نقش لصليب ضمن قرص ورسم لحجر فيه حرفا ألفا A و أوميغا ω باليونانية , وهي ترقى للقرن ٥-٦ م , فالوقف يظل وقفاً سواء كان مسيحياً أو إسلامياً . وأما مقبرتهم الثانية فقد كانت في الحي الجنوبي في موقع القشلة (الثكنة العسكرية) – مقر العدل الآن - وكانت تدعى مقبرة النصارى , ظلت قائمة إلى أوائل العهد العثماني , و حين إزالة القشلة تم اكتشاف وجود مدفنين بداخلهما قوارير زجاجيه قيل إنها ترقى للقرن الثاني الميلادي ؟ وهي في متحف ادلب الآن , وأرجح هي كذلك منذ العهد الوثني ثم المسيحي إلى الإسلامي مؤخراً المملوكي , ولما كانت أرض الوقف تظل وقفاً تعاورت(تبادلت) عليها اليهود , وظلت ملكاً عاماً إلى أن استولى عليها إبراهيم باشا المصري ليبني عليها القشلة العسكرية .أما المقبرة الشرقيه فقد كانت خلف سور البلدة شرق الجامع الكبير – مكان مقبرة المحراب وهي في موقع الثانوية الصناعية اليوم – يحملون موتاهم بعد خروجهم من الباب الشمالي للبلدة ويسيرون إلى الشرق الجنوبي إلى عام ١٩٢٢م , وزوال معظم معالم السور , وشعورهم بالمعاناة في نقل المتوفى من الحي الغربي بعد توطن معظمهم فيه , في مرورهم عبر أحياء البلدة وأزقتها ,و قرروا شراء أرض في الجهة الغربية من البلدة , وقد كنت أدرس جنوبها في أحد البساتين – وهي قد كانت في موقع الحديقة العامة القسم الجنوبي– وكان هناك عمود اسطواني الشكل عليه قضيب معدني كسارية , كان يستخدمه الفرنسيون لرفع العلم الفرنسي . أول من دفن فيها في ٩ أيار ١٩٢٣م جرجى بن ابراهيم خال وإبراهيم فرح في يوم واحد.. وفي الستينات من القرن العشرين قرر المجلس البلدي إزالة معظم المقابر الداخلية الإسلامية والمسيحية , فتم استملاك أرض المقبرة عام ١٩٧٥م , ولتنقل إلى الجهة الغربية بالقرب من طريق حارم , وأول من دفنت فيها الحاجة ديبة بنت عيسى قصير في ١٩٧٦/١٠/١٢ م .

ثالث عشر –عاداتهم، وتقاليدهم : لا تغاير عادات المسلمين و الآخرين , بل تجدهم هادئين دون إحداث مشكلات اجتماعية أو اقتصادية , حائزون على ثقة الجميع , محبوبون , دمثوا الأخلاق لطيفوا اللسان , بعضهم يحب النكتة الراقية

, ميالون للمساعدة , فلا تجد فقيراً بينهم , يحبون العمل وطموحون (هجرتهم إلى امريكا) ويتقنون صنائعهم أما نساؤهم فلا يختلفن عن نساء المسلمين في اللباس , وإلى وقت ليس بالبعيد (في الستينات) كن يتحجبن , بل ما زالت عجائزهن يتحجبن ويرتدين الملاءة السوداء , والتي يرتديها النساء المسلمات مع تعديل بسيط , وروح تعاونهن مع المسلمات في كل المناسبات حتى في الذهاب إلى حمام السوق مشتركات , وذاكرتي تستعيد أن أمي – المسلمة – كانت ترتب الذهاب مع النساء المسيحيات ليشكلن مجموعة مشتركة في الذهاب إلى حمام السوق , وخاصة يوم الأربعاء, ويجلبن معهن الفواكه والكبة النية والتبولة والشعيبيات والتين اليابس والجوز والأشياء الخاصة بالحمام (اللكن – وعاء للبيلون– والمئزر يسمونه ميزر – وبيلون بأنواعه كـ بيلون بورد والحنة والمناشف وما يسمى بـ بقجه) - وفي رمضان يتقيدون بآدابه فلا يدخنون أمامنا احتراماً لشعائرنا - , أما الرجال فقد كانوا يرتدون القنباز أكثر من الجنتيان , واليوم فالجميع يرتدون اللباس الإفرنجي كغيرهم موقع البستان في أصله أرض ملك آل غنوم وقد كنت أتردد إليه كونهم جيراننا وأقطف منه الفواكه وخاصة التوت الشامي ومن طبائع المسيحيين في إدلب الهدوء و الاحترام وحفظ السر، فإذا كنت فارط اللسان وسمع منك كلاما بحق غيرك، فهو لا ينقله، بل يصمت، بلا تعليق...ومن احترامهم لعادات المسلمين وطقوسهم في رمضان أنهم لا يأكلون أمامهم أو يدخنون!!أما البيض الملون واستخدامه في العيد لدى مسيحيي ادلب فله رمزه العتيق في تراثنا الشعبي والديني والأثري- انظر بحث المسطومة في الجزء الثاني- البيضة ترمز لقبر السيد المسيح وخروج الفرخ/ الكتكوت من البيضة كـخروج المسيح من القبر بعد أن تتم أيامه، لذلك يلوِّن المسيحيون البيض في هذا اليوم كرمز للحياة المتجددة بقيامة السيد المسيح، وفألاً حسناً بالعام المقبل، وهو يعني الولادة كما يعني القيامة، لذلك سنجد في آثارنا هذا الرمز كما في صينية/ طبق الفضة في المسطومة – وكما سيرد- في عام ٥٧٤ – ٥٧٨ م ، وهناك نحوت تمثل البيض المحيط للصليب ضمن قرص في كثير من الرموز المسيحية في آثارنا.لعل رسم نحت الحمل في آثارنا يشير إلى السيد المسيح لأنه الحمل المذبوح كما قال ارميا "وكنت أنا كـحمل أليف يُساقُ إلى الذبح" (الصورة

١٢)ولو عدنا إلى تقاليد المنطقة في تاريخنا العتيق لوجدنا وليمة التضحيات المقامة في تدمر، بإعداد وليمة مقدسة في غرفة المائدة التي سيدخلها الكهنة الكبار وعلية القوم، ويدخلون إليها ببطاقات صغيرة من الفخار ... وتصف المقاعد على شكل نعل الحصان وفتحته نحو الباب.. وكان للوليمة في تدمر دور أساسي في الحياة. عيد الربيع ارتبط اسمه مع أعياد المسيحيين وهذا دليل التآخي والتعايش مع بعض، إذ كان الناس يستيقظون باكراً حتى لا (يرمي المسيحيون خملهم عليهم) والمقصود إن الحياة ربيع والتبكير إلى البراري للاستمتاع بالربيع، تحضر التبولة والبزر وكبة النية والشعيبيات والقيمق، يجلسون تحت أشجار الزيتون في حواف البلد، ويمضون النهار في الجو الجميل، أما الأولاد فيلعبون فرحين بالهواء الطلق مع أهلهم، وبذلك يكون أبناء ادلب المسلمين قد شاركوا المسيحيين فرحتهم يومها لا يكنسون (حتى لا يخرج النمل) ولا يطبخون وكل شيء معد سابقاً!!!

رابع عشر- الأوقاف المسيحية : لعل أقدم وثيقة حول أوقافها هي الواردة في الوثائق السريانية في متحف لندن في ذكر دير دلبين وهو موقع مسجد العمري، مع المنطقة المجاورة له الى الخلف - الآن ساحة عامة - ، أيضاً إلى الشرق من الجامع الكبير ، بوجود مقبرة لهم سابقاً ومقام داخل الجامع الكبير باسم (جاور جيوس /وهو الخضر عندهم)، وكذلك موقع المقبرة الغربية بوجود مدفن بيزنطي . هذا قبل الفتح الاسلامي . فيما بعد ورد لهم وجود في الحي الشمالي بما يسمى زقاق الزهر المسمى سابقاً زقاق النصارى وكانت لهم اراض في ادلب الكبرى وادلب الحالية ، في الحي الغربي أصبح لهم أراضي / بشراء أرض لبناء الكنيسة كوقف ، مع أرض أخرى الى الغرب لتكون مقبرة لهم .. وقد كنت أدرس بجوارها حتى أزيلت في الستينيات من القرن الماضي، وليحل مكانها طريق ومنتزه عام . ومؤخراً تم بناء جديد لصالح الأوقاف مدرسة ملحقة بالكنيسة (جول جمال)ومحلات تجارية وبيوت . في القرن السادس الميلادي كان لهم أراض وقف جنوب (إدلب) مباشرة بما يسمى موقع الدير , وإلى الجنوب أكثر على طريق مسطومة موقع مدفن (أبو الحسن/حسان)البيزنطي , شاهدت بقاياه الدالة إلى هذا العصروفي القرن

السادس الميلادي كان لهم أراض وقف جنوب (إدلب) مباشرة بما يسمى موقع الدير .

خامس عشر- المسيحيون في ادلب الكبرى: كان أبناء ادلب الكبرى(هي شمال الحالية) يتضامنون ويكفلون بعضهم مسلمون و مسيحيون ...يبدو أن مسيحيي ادلب حين كانوا يحجون إلى بيت المقدس يطلقون عليهم لقب الحاج كما ورد في سجلات المحكمة الشرعية في حلب ((رقم السجل ١ صفحة ١٣٧ وثيقة ١٤٧٧ تاريخ الوثيقة: ٢٣ ذي القعدة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م . كفل السيد لأحمد بن السيد عبد الله الحسيني والحاج زين الدين بن إبراهيم والحاج عيسى بن اسكندر ورجب بن أحمد بنفس الحاج محمود بن خضر من قرية ادلب الكبرى بحيث كلما طلبه احضروه وسجل ذلك بطلب عبد القادر بن عمر)) .

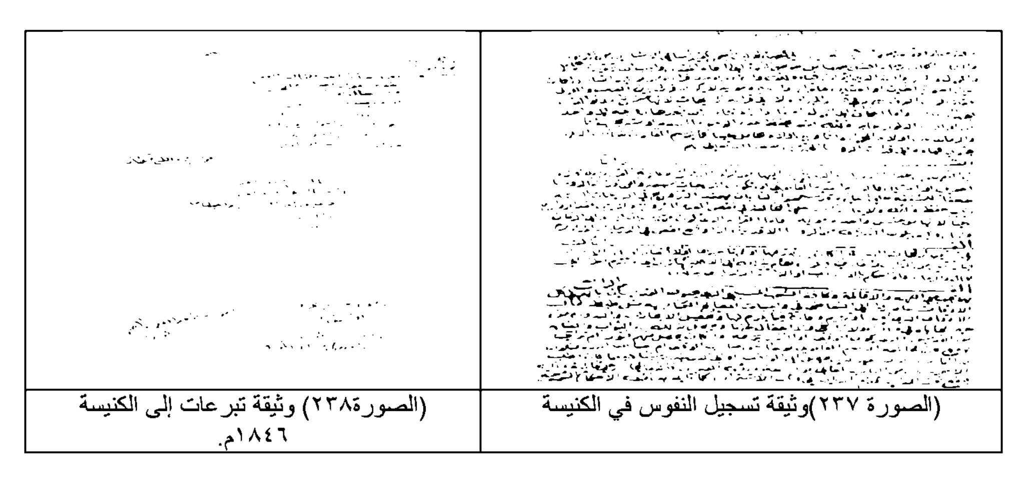
سادس عشر- الجزية عليهم : بالإمكان القول إن مسيحيي ادلب قد كانوا يدفعون الجزية أسوة بغيرهم والمقررة عليهم سنوياً، ولا تفيدنا الوثائق تفصيلاً عن المبلغ المقرر عن كل فرد ولكن من المتعارف عليه "إن المماليك كانوا يأخذون قطعة ذهبية واحدة وبعض الكسور، هي تكاليف جمعها عن كل أسرة ذمية، وظل هذا طيلة القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وكانت تختلف من مقاطعة إلى أخرى، في القرون الأولى من الحكم العثماني، ولم تتساوى بها مختلف المقاطعات، إلا في القرن السابع عشر بفضل (كوبرولو مصطفى باشا) الذي طبق الأساس الإسلامي فيها ،فقسم المسيحيين إلى ثلاث فئات الغنية ويدفع أفرادها ٤ دنانير ذهبية (شريقي =٤٨ درهم فضة) والمتوسطة ويدفع أفرادها دينارين ذهبيين (شريقي =٢٤ فضة) والفقيرة ويدفع أفرادها دينار واحد ذهبي (شريقي =١٢درهم فضة).في سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٤م صدر"((أمر سلطاني حول أخذ الجزية المترتبة على الرؤوس المفردة وتحصيلها وايداع الأموال للخزينة، كما هو مشروح منذ عهد الصدر الأعظم الأسبق الشهيد مصطفى باشا كوبريلي زادة ولعامي ١١٤٧-١١٤٨ وبمعرفة المحصل المدعو اسماعيل من رؤساء الحجاب ،ومن العابرين من الطوائف المذكورة، وبراءة العجم وإعفاء المعلولين والصغار،والعلماء غير القادرين على الكسب ،والعمل وعدم المضايقة، وتقسيط الجزية على

المغتربين، ومجازاة المحتالين الذين يتخلفون ويعملون على تغيير أصناف الدفع، وفقاً للشرع الحنيف وعلى مذهب أبو حنيفة لدى القضاة".))توضح لنا هذه الوثيقة بعض أسس التعامل وتحصيل أموال الجزية المفروضة على نصارى المنطقة، وبما أن ادلب الصغرى قد كانت معفية من الرسوم والأعشار فقد هاجر مسيحييوا ادلب الكبرى وبكفالون وغيرها إليها.. وهذه أحد أسباب نهوضها الاجتماعي وازدهارها الاقتصادي. ولعل المرسوم الصادر سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م "حول(نصارى قرى بكفالون وكفر هند) (في ناحية سلقين) وسائر أهالي القرى حول المبلغ اللازم تحصيله خمسة وثمانون وتسعة قروش، يوضح لنا أسباب هجرة نصارى بكفالون إلى ادلب الصغرى، ثم يتبعه مرسوم آخر لاحق في شهر رجب من نفس العام موضحاً لبقايا الذمم العائدة لأهل الذمة من الأموال الأميرية أي لهم ١٦٨٠ قرشاً وتعطى لهم تقسيطاً بعد ربطها في الوقوعات المعزولة من بكفالون وكفر هند وغيرهما من الأهالي الفقراء أصحاب الذمم والمتبقية من الحساب و ٣٤١٦ قرشاً لتغطى تقسيطاً مع ربطها الحاصل من المبالغ المذكورة في التحصيلات والباقية في هذه الحالة ٩٦٦٧٦ قرشاً وهكذا"...))وقد ورد في سجلات الأوامر السلطانية لولاية حلب رقم ١٢ وثيقة ١٥٧ من عام ١١٨٥ هـ/١٧٧١ م ذكر ضريبة الجزية المفروضة على الذميين في ولاية حلب ومنها ذكر لإدلب و الشغور الحد الأعلى على كل واحد ١٠/٥ قرشاً والأوسط كل واحدة ٥ قرشاً والحد الأدنى ٥,٢ قرشاً)) يبدو أن المسيحيين ظلوا يدفعون الجزية إلى عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م وكما ورد في تقرير قاضي حلب استناداً إلى كاتب الميرى والجزية والعوارض والجمرك في ادلب مبلغ (١٤٤٠ غرش عن مال الجزية) بينما (من الرها ٧٠٠٠ ومن انطاكية ٦٩٣٠ ومن كِلِس ٣١٢٠) وأنه أخذهم من المحصل ومن هذه النسبة نقارن ونعرف عدد المسيحيين في هذه البلدان.وبما أن ادلب الصغرى قد أعفيت من الرسوم والأعشار، فقد قرر هؤلاء النصارى مغادرة بكفالون إلى ادلب الصغرى، راضين فقط بدفع الجزية، وفي هجرتهم نقلوا بعض مقتنياتهم الثمينة ومنها الأيقونات المودعة في كنيسة ادلب الآن.وقد ورد في سجلات الأوامر السلطانية لولاية حلب رقم ١٢ وثيقة ١٥٧ من عام ١١٨٥ هـ/١٧٧١ م ذكر ضريبة الجزية المفروضة

على الذميين في ولاية حلب ومنها ذكر لإدلب و الشغور الحد الأعلى على كل واحد ١٠/٥ قرشاً والأوسط كل واحدة ٥ قرشاً والحد الأدنى ٢,٥ قرشاً))
يبدو أن المسيحيين ظلوا يدفعون الجزية إلى عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م وكما ورد في تقرير قاضي حلب استناداً إلى كاتب الميرى والجزية والعوارض والجمرك في ادلب مبلغ (١٤٤٠ غرش عن مال الجزية) بينما (من الرها ٧٠٠٠ ومن انطاكية ٦٩٣٠ ومن كِلِس ٣١٢٠) وأنه أخذهم من المحصل ومن هذه النسبة نقارن ونعرف عدد المسيحيين في هذه البلدان.

سابع عشر- من مخطوطاتهم: هناك مخطوط تاريخه ١٨٤٣م كتبه الخوري عبدالله بن موسى فرحات من قرية أنكزيك (الغسانية اليوم) غرب جسر الشغور/ محافظة ادلب بعنوان(طرق الايضاح) محفوظ في مطرانية الروم الأرثوذكس في لاذقية. لديهم مخطوط يوضح التعاليم الكنسية- في أقسام -أعده الخوري جرجي إلياس مصدقه الفقير جرجي شماس وآخر عام ١٨٦٠م مع ذيل بكتابة أحدث .كتب القيام بدور المحكمة الشرعية من قبل الكاهن ومعاونيه ، يبدأ بـ(باسم الأب وابن والروح القدس و الإله الواحد) (ورأس الحكمة مخافة الله والقناعة كنز لا يفنى) في أول واقعة اسم يوسف فرح . يرد ذكر لمسيحيي معرة مصرين إذ يراجعون كنيسة إدلب في حل مشكلاتهم الإرثية .
الأهم ورود ذكر (الحوش الكاينة في بندر إدلب الصغرى في زقاق الزهر الكاين في المحلة الشمالية) تذكر بيت متور الحموي وبشور وخال عام ١٨٦١م وتواريخ تالية عام ١٨٨٦ غنوم ومرجانة وكالو قسنطين خربوط ودغيم وجنان ونعمة زيادي . عام ١٨٤٥/ تلقوا كتاباً من كنيسة حماة لتحديد زمن الأعياد والمناسبات الخاصة بهم ،وكان الكهنة يتقاسمون النصف من عطاءات الأوقاف / التبرعات والنصف الآخر الكنيسة حسب جدول بذلك .))
توضح هذه الوثيقة مكان سكنهم في الحي الشمالي في زقاق الزهر ومكان كنيستهم السابقة.في الصفحة٢ ورد((دفتر مبارك مخصوص في كنيسة الست في قصبة ادلب))يسجل من تعمدوا،وقضايا الميراث،وأصول الزواج.هو بخط حسن،وصياغة بسيطة..وأنه أخذ عن الأبهات المحترمين الخوري جرجس زعير،والخوري نعمة زيون ،والشماس عبد الخالق دغيم. ، ورد تارخ١٨٤٥م

مع إضافة تاريخ هجري إليه،وخاتم تصديق.هو السجل الرسمي المستخدم في كنيسة الحي الشمالي في ادلب،قبل انتقالهم إلى الحي الغربي..وجدنا صفحة مواليد عام ١٨٤٥م(الصورة ٢٣٧-٢٣٨) ووثيقة تبرعات نصفها للكنيسة ،ونصفها للكهنة، ورد في نهايتها((ايمان.تعاون.عطاء.صمود.صبر.واحتمال مالايطاق))



(الصورة ٢٣٨) وثيقة تبرعات إلى الكنيسة ١٨٤٦م.	(الصورة ٢٣٧)وثيقة تسجيل النفوس في الكنيسة

هناك بعض من المسيحيين ممن كانوا يتملكون عقارات في سرمين وكما ورد في ((رقم السجل: ٥٠٠ رقم الصفحة:٥٣-٥٤ رقم الوثيقة: ٥٣ تاريخ الوثيقة: ٢١ / ذي الحجة / ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م . أقر إلياس بن انطون من طائفة اللاتين, ومن أهالي محلة توما. قائلاً: أنه متصرف بطريق الملكية في جميع الربع من القرية الكائنة بناحية سرمين التابعة لقضاء إدلب, والمشتملة على: أراضي أميرية, وقد فرغ ونزل عن حق تصرفه في جميع الحصة من القرية المذكورة ببدل قدره ٤ آلاف قرش وقد قبض وتسلم جميع المبلغ. وقد وكل محمد آغا اللبابيدي بالفراغ وفي الاعتراف بقبض المبلغ, وأقامه مقام نفسه وقبل به وكيلاً. وعليه حرر)) .(سجلات محكمة حلب الشرعية)



(الصورة ٢٣٩)المحامي أنطوان غنوم



(الصورة ٢٤٠) شهادة تخرج المحامي أنطوان غنوم في جامعة دمشق ١٩٢٩م

قاضٍ ادلبي في انطاكية: كان التواصل الدائم بين أبناء ادلب وأنطاكية, ليس في التجارة وتبادل الخبرات خاصة في تجارة و صناعة الصابون ,بل حتى في الثقافة والتعليم ,إذ عين محمد خير جبيرو معلماً فيها عام ١٩٢٦م كذلك عين الحقوقي الادلبي انطوان الياس غنوم(الصورة٢٣٩-٢٤٠) قاضٍ عقاري فيها ليعمل مدة سنتين حوالي ٣١- ١٩٣٢ هذا المنصب أعطاه اسماً واسعاً هناك لأن أبناء انطاكية كانوا حينذاك يطالبون الحكومة السورية بتعيين قضاة فيها. المحامي انطوان غنوم أتذكره جيدا فهو جارنا حين بنى والدي أول محطة محروقات في ادلب في ساحة أمام منزله أواخر حدود مدينة ادلب في الغربن في مكان بوابة ادلب الغربية (قليلاً إلى الشمال من الحالية) لوطنيتة وتآزره مع هنانو وصحبه , أصبح عضواً في حزب الكتلة الوطنية. له مآثر أهمها تلك الحادثة الهامة بدفاعه عن شيخ عرب البكارة في ناحية العرشيني خلال الحرب العالمية الثانية , إذ كان الفرنسيون يعيشون حالة قلق وفوضى وشك مع كل من يتعامل مع الإنكليز أو الألمان ،اتهموا الشيخ مع ثلاثة من أتباعه بالتواصل مع الالمان , وهي ملفقة , كونهم رفضوا التعامل مع الفرنسيين , أحيل الشيخ إلى المحاكمة , فما كان من أنطوان إلا الدفاع عنه, فأنقذه من حكم الإعدام . التهمة الموجهة له من ان القوات الانكليزية القادمة من اسكندرون لتعزيز القوات الفرنسية الموالية للحلفاء قد عبرت الطريق من حارم ...فما كان من الفرنسيين

إلا رمي ورقة تذكر عدد الجنود والمعدات العسكرية في غرفة الشيخ سعيد أبوأحمد , فكانت حجة لهم للقبض عليه واتهامه بالتعاون مع الألمان . دفاعه هذا جعلهم يراقبونه. فلما سنحت الفرصة بعد مضايقات مستمرة , أرسلوا أحد عملائهم ليكيل الضرب عليه وهو ذاهب إلى مكتبه . في أواخر حكم المستعمر الفرنسي سجن في إدلب لمدة أسبوع , فكان سجنه هذا إنذار لكل المواطنين في التحرك لطرد المستعمر الفرنسي، وحصل الاستقلال بجهود هؤلاء الأبطال.

كهنة إدلب عبر التاريخ: ليس لدينا غير اسمين ، الأول في الوثائق السريانيةالواردة سابقاً تحت اسم الراهب (دانيال/دانييل)واسم الراهب (حسان)تواتراًفي اسم زقاق حسان ،ومدفن الشيخ أبو الحسن/حسان البيزنطي الواقع جنوب ادلب،الذي ذكره الرحالة(بوركهارد)حين زار ادلب عام ١٨١٢م.الجدول الموثق:

الخوري ابراهيم خوري	١٧١٦ ــ ١٧٥١
الخوري جرجي بشور	١٧٥٥ ــ ١٧٨٢
الخوري حبيب خوري	١٧٨٢ ــ ١٨١٠
الخوري جرجي الياس زعير	١٨١٢ ــ ١٨٤٧
الخوري نعمة زيون	١٨٤٧ ــ ١٨٧٨
الخوري بولص جرجي زعير	١٨٧٨ ــ ١٩٣٠
الخوري أنطون خوري	١٩١٢ ــ ١٩١٥
الخوري حنانيا بيلوني	١٩١٤ ــ ١٩١٦
الخوري إيليا خوري	١٩١٦ ــ ١٩١٩
الخوري بطرس رومي	١٩٢٠ ــ ١٩٤٠
الخوري نعمة الله خوري	١٩٣٩ ــ ١٩٤٧
الخوري الياس غالي	١٩٤٧ ــ ١٩٥٢
الخوري جبرائيل نمير	١٩٥٢ ــ ١٩٥٦
الخوري ابراهيم نمير	١٩٥٦ ــ ١٩٨٠
الخوري نوري مخيبر (فوتيوس)	١٩٨١ ــ ١٩٨٥
الخوري ابراهيم فرح	١٩٨٦ حتى تاريخه

هم من أوائل من مارس الطب في ادلب ،ففي الوثيقةالعثمانية لمزاولة الطب من قبل المسيحي جورجي افندي دغيم سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م (الصورة٢٤١) الصادرة من نفوس ادلب محلة خرستيان (وهي تعني المسيحيون) هم نفسهم يسمون بيت الحكيم اليوم....فوض الياس خربوط بالشؤون الإدارية للكنسية عام١٩٧٤م من قبل مطرانية حلب شهادة في شهادة: أشهد بأن هذا الشاعر(المغمور)التلمنسي (نسبة إلى تل منس شرق معرة النعمان)الشيخ قاسم في قصيدته عام١٩٥٧م بحق يوسف خربوط(أبو الياس)قائد الدرك بالمعرة.،هو يشهد به في قصيدة نقدمها إلى القراء كشهادة الشهادة في الإثنين! (الصورة ٢٤٢-٢٤٣)



(الصورة٢٤١)وثيقة دغيم ١٩٠٣م



(الصوورة ٢٤٢)المتنور المختار يوسف خربوط (١٩٢٥م – ٢٠٠٤م)



(الصورة٢٤٣)قصيدة الشاعر قاسم التلمنسي

البحث الثاني - البروتستانت في ادلب: يأتون الفئة الثانية للمسيحيين في إدلب بعد الأرثوذكس .البروتستانت لغة تعني المنشقين , واصطلاحاً أتباع المذهب الإصلاحي الكنسي الذي دعا إليه (مارتن لوثر) في ألمانيا .بدأت إرسالياتهم التبشيرية دخولها بلاد الشام في أوائل القرن التاسع عشر , وسميت كنيستهم بـ الكنيسة الإنجيلية الوطنية , وفي بيروت مركز الكنيسة الأم لكل من سورية

ولبنان .بدأ التبشير في ادلب منذ عام ١٨٥٤م بفتح مدرسة لهم بواسطة المرسل Mr.Brown مستر براون , مرسلاً إلى حلب (وادلب) , وهو من كنسية اسكوتلندا المشيخية المتحده , بعدئذ تسلم العمل في ادلب إلى الإرسالية الأميركية في اللاذقية عام ١٨٦٨م للمستر دودس Dodds , وفي عام ١٨٨٢م تسلم العمل من إرسالية اللاذقية الدكتور مارتن الساكن في انطاكية , ثم تسلم الدكتور كندي ادلب في ٢٧ آب ١٩٣٨م وبعده تسلم القس لتل Little .. هناك وطنيون بذلوا جهودهم في المدرسة منهم المعلم عيسى الحوراني من عام ١٨٦٨م إلى ١٨٨٢م , وعندما ترك العمل للدكتور مارتن كان عدد أعضاء الكنيسة الانجيلية ١١ عضوا.أما في ادلب وفي أثناء بناء الكنيسة عام ١٨٧٥م , حدث خلاف عائلي بين آل بيطار وزيادة من جهة , وعائلات أخرى , أدى إلى صدام سقط فيه أنطون زيادة قتيلاً , مما أدى إلى انشقاق هاتين العائلتين عن الطائفة الأرثوذكسيه واتبعتا الطائفة الانجيليه البروتستانتيه .. أصل المشكلة خلاف بين عائلتي بيطار وزيادة من جهة ، وعائلات أخرى ، فتحول إلى صدام على إثره سقط أنطون زيادة قتيلاً (هو عم والد الطبيب فؤاد زيادة) فانشقت العائلتان بيطار وزيادة عن الطائفة، والتحقت بالطائفة الإنجيلية البروتستانتية وباعتبار موقع الكنيستين (سابقاً موقع واحد) اتفقوا على إعطائهم قسم من الأرض، فبنوا كنيستهم حوالي عام ١٩٣١ م وحولوا قسم فيها إلى مدرسة لتعليم أبنائهم. تتابع على رئاستهم الدينية منهم أنطونيوس جرجور من عام ١٩٢٩ - ١٩٧١ (٤٠ سنة) وهو من أهالي حمص الحضر التابعة لحمص. بعده عازار كوزاك من عام ١٩٧٢م وهو من قرية نبع كرير في منطقة صافيتا. في عام ١٨٧٥م وأثناء بناء الكنيسة كان المسيحيون في معرة مصرين كجالية كبيرة وآخر عائلة كانت فيها كبيرها يسمى سليم الياس صائغ وعمره جاورجيوس وعيده في ٢٣ نيسان.بلغ عددهم – وكما ذكرنا آنفاً – عام ١٩٠٣م ٦٣ شخصاً . ومن أشهر معلمي هذه الطائفة يوسف عبود (أبو نجيب) , إلى أن توفي عام ١٩١٨م أثناء الحرب العالمية الكبرى , وكان عدد الطلاب في عهده ٢٣ طالباً . ثم جاء المعلم جورج بيكوني ليعلم بدءاً من عام ١٩١٩م , ولم يبق غير مدة وجيزه وكذلك من أتى بعده كـ حنا إبراهيم ١٩٢٤-١٩٢٥م وأسعد قهوجي ١٩٢٦-١٩٢٧م .. هذا الاضطراب سببه

الأول هذا التحرك السكاني وعدم استقراره , مما أدى إلى عدم وجود مقر دائم للمدرسة , إذ كانوا يستأجرون بيتاً أهلياً . وفي شهر أيلول عام ١٩٢٨م جاء الدكتور صموئيل كندي الذي تمتع بصفة ميدانية , وهمه الأول بناء مدرسة وكنيسة خاصة بهم , فدعا إلى اجتماع أول في الكنيسة ١٩٢٩/١١/١٧م وتقرر إنجاز العمل في أقرب وقت , وتحقق ذلك في عام ١٩٣١م , بنوا مدرستهم في الحي الغربي مجاورة لكنيسة الروم الارثوذكس بإشراف القس أنطونيوس جرجور والذي ظل مشرفاً من عام ١٩٢٩م إلى عام ١٩٧١م , ثم تسلم بعده القس عازار كوزاك من أهلي قرية نبع كركر التابعة لمنطقة صافيتا – محافظة طرطوس – إلى عام ١٩٨٩م , ثم تولى بعده القس جميل شماس رعاية الكنيسة ،ومدرسة خاصة بالبروتستانت عدد طلابها ٢٣ طالباً يشرف عليهم المعلم يوسف أفندي , وهو نفسه يعمل في وقت واحد في المجلس الزراعي وفي صندوقه..



(الصورة٢٤٤)طالبات مدرسة البروتستانت حوالي ١٩٣٥ م



الصورة٢٤٥) طالبات مدرسة البروتستانت حوالي ١٩٣٥ م مع معلماتهن

صورة لطالبات المدرسة تعود إلى عام١٩٣٥؟ (الصورة٢٤٤-٢٤٥)

الصف الأمامي من اليسار إلى اليمين : سعاد رافق(أم نقولا كباد) ٢ - انطوانيت غنوم٣- منيرة جرجور٤ - بنت رشدي

الصف الخلفي من اليسار١- سامية زيادة ٢- أوديث بيطار٣- بنت رشدي٤- ماري يوسف زيادة ٥- سعاد شهلا ٦- أفديك شهدا..

الصورة الثانية وهي تشمل الصف الخلفي من اليسار١-انطوانيت غنوم ٢- منيرة جرجور٣- ماري جرجس شهدا ٤-أتدوك بيطار.الصف الأمامي من اليسار ماري انطون زيادة٢- نسيمة جرجور٣- ثلانين زيادة ٤-غير معروف ٥- سعاد خربوط(أم عابد) ٦-غير معروف ٧- حسميك رشدي ٨-مسز لتل(أي السيدة لتل زوجة القس لتل)٩- سامية زيادة

وأما المدرسة (هي في مكان بناء الكنيسة-الصورة٢٤٦) فقد حدث تحول فيها في إعداد معلمين وطنيين ،أو جلب معلمين لها كـ الياس مدلى والمعلمة ماري الأرمنية وفيليب صباغ من الاسكندرونة , وأخيراً بدأت معلمه من ادلب تمارس عملها كمعلمه وهي سامية بيطار، وفيما بعد أديب حنا ،وأخته منيرة،وساميه إلى عام ١٩٣٨م . وقد بلغ عددهم المسجل لدى الحكومة عام ١٩٢٩م ١٠٩ نسمة , وفي عام ١٩٤٥م قل عددهم إلى ٦٤ نسمة , وفي عام ١٩٥٠م فقط ٦٥ نسمة , وبين الأعوام ١٩٥٨-١٩٦٠م إلى ٣٦ نسمة , وهذا العدد قلَّ لهجرة بعضهم إلى حلب وخارج القطر . عددهم العام٦٣(٣٨ذكور و ٢٥ أناث)..يوجد أتباع لهذا المذهب في الغسانية بمنطقة جسر الشغور, وهم أيضاً تابعون جميعا لسينودس الإنجيلي , ومركزهم الرئيسي في بيروت . واليوم يبلغ عددهم من ثلاث أسر : بيطار – زيادة – هلال .كان لهم مقبرة فيها محضر موجود في الكنيسة وفيها بعض القبور الدواثر. و من المسحيين الذين عاشوا معنا و عشنا معهم بيت(هلا له)، إذ قطنوا في الحي الغربي مباشرة بجوار منزل جدي في الدار التي ولدت فيها ،و عميدهم عيسى هلاله من مواليد ١٨٨٥ و الده الياس و أمه نورية الساكن محل المسيحيين س ٨٦ و كما هو مسجل في الصورة عن بطاقته الشخصية (باسم تذكرة هوية) (الصورة٢٤٧- ٢٤٨)



(الصورة ٢٤٦)واجهة الكنيسة الإنجيلية الوطنية



(الصورة٢٤٧)بطاقة شخصية –عيسى هلالة مواليد١٨٨٥م

و ان مهنته صائغ و قد و جدنا على بطاقته /مجلس النواب و كذلك انتخابات بلدية ادلب / رئاسة البلدية ١٩٥٦ م . عرفت هذه الأسرة جيدا بطيبتها و هدوئها و بسمة رجالها ،و تضحية نسائها بوقوفهن مع نساء حارتنا و خاصة ابنته نورية المسماة باسم جدتها، و الياس باسم جده أيضا الذي عمل محاسبا لدى و الدي لعدة سنوات ،و الأهم حصوله على وسام فلسطين (الصورة ٢٤٨-٢٥٠)

(الصورة٢٤٨)وسام الياس هلالة

(الصورة٢٤٩) شهادة منح وسام فلسطين إلى الياس هلالة



(الصورة٢٥٠) كتاب رئاسة الأركان

الجمهورية السورية -رئاسة الاركان العامة – دائرة السجل و الاحصاء رقم ٢٠٤٢/ م س التاريخ ١٠/٢/ ١٩٥٣م إلى الجندي السابق الياس عيسى هلالي رقم ٦٣٦٣ من ادلب نرسل أليكم وسام فلسطين التذكاري العام ١٩٤٨م , الممنوح اليكم بموجب الأمر الاداري رقم ١٥٣٢/١٢٢/١ تاريخ ١٩٥٢/٤/٦

تخليداً لانتصارات الجيش السوري في معارك فلسطين... رئيس دائرة السجل و الإحصاء الرئيس أنور مصري مع الخاتم و التوقيع و نقدم صورة عن الوضع و كتاب عن الجيش السوري من اللواء الاول فوج المشاة رقم ٣١٨٨/م شهادة منح وسام جرحى الحرب نحن المقدم فؤاد أسود آمر فوج المشاة الثاني نشهد بأن الجندي الياس هلال رقم ٦٣٦٣منح وسام جرحى الحرب بموجب المرسوم رقم ٧٨٣ الصادر عن مجلس الوزراء في ١٩٤٩/٩/٢٧ الخاتم و التوقيع)) و في الواقع كنت أشاهد يد الياس حين يمسك دفاتر الحسابات -عند والدي- إن هناك تشوهاً في أحد أصابعه و لعل هذا من بقايا اصابته في حرب فلسطين ، و ان كنت لم أعرف ذلك الا فيما بعد!!

***

البحث الثالث- اليهود في ادلب : إن إدلب قد نهضت اقتصاديا في منتصف القرن ١٧م ، وطبيعي اليهود يحاولون التنفس في اقتصادها.. وكان زقاقهم قرب خان القيصرية شرق ساحة البازار (الآن الساحة العامة) يمكن القول إنهم بدأوا يغادرون ادلب بعد ضعفها الاقتصادي في أواخر القرن التاسع عشر، فلم يعد لهم مجال لنفوذهم بعد.بعد شراء والدي للتلة التي كانت متصلة بالسور الغربي ،عند بوابة طويقةعام١٩٥٥م ،قررإزالتها، وبناء عقار مكانها ومحطة محروقات..شاهدت وجود قبرين لليهود في شرقيها، والمتصل بسطوح المعصرة ،وفيما بعد عثرت على وثيقة تشير إلى مقبرتهم..ومن وثائق الأوقاف في سجل ضابطية ادلب هذه الوثيقة التي توضح لنا الكثير من معالم ادلب العمرانية , وفيها ورد في سنة١١٤٥ هـ /١٧٣٢ م . الحاج حسين جلبي بن الشيخ نعمه / البلار / الكلزي ... نصف معصرة زيت الزيتون مع نصف المطراف الكائنتين بالمحلة الغربية بادلب الصغرى بجميع ما اشتملت عليه من منافع ومرافق ومخازن المحددة قبلة طريق سالك وشرقاً مقبرة اليهود)) في وثائق ضابطية ادلب وردت وثيقة عن يهودي يدعى " ابرهام ولد شبيبة اليهودي " يقوم بالإدعاء استناداً إلى " حجة حنا ولد عبيد والوكيل عن صهره بنت ابرهام الوارثه الهالكي (المتوفي) بقصبة ادلب ميخائيل ولد بترس ولد شحادة الوارث لابن عمه ميخائيل الهالك الأصيل عن نفسه والوكيل عن قبل أخيه نعمه ولد سمعان الوارث لابن عمه ميخائيل ولد بترس ولد شحادة الوارث لإبن عمه ميخائيل الهالك الأصيل عن نفسه والوكيل عن قبل أخيه

نعمه ولد سمعان الوارث لابن عمه ميخائيل .. والوكيل من قبل ما ؟ بنت بترس الوارثة لأخيها شرعاً لاصيل من نفسها والوكيل عن قبل اخواتها الثلاثة وهن هيلانه وساره ومرتا بنات بترس الجميع من طائفة نصارى الروم الثابته وكالته عرض بموجب حجة شرعية ممضاة بإمضاء مولانا علي أفندي المولي خلافة بمحكمة بانقوسا بمدينة حلب المحروسة مؤرخة بتاريخ خامس عشر محرم سنة تاريخه قابلا أبرهام اليهودي في تقرير دعواه على حنا الوكيل المزبور أنه قبل تاريخه كان دفع إلى ميخائيل الهالك المزبور(المذكور) مائته وثلاثة وثمانين درهم فضه روباص(فضة خام) ليصيغها له رخت(؟) ومات ميخائيل ولم يشتغل له الفضة رختا وهو يطلب ذلك من تركته شرعا وسأل سؤال الوكيل وابشولش(؟) ذلك فلما سئل الوكيل حنا أجب بالوكاله (بالعكس فطلبت منه ابرهام المدعى بنية تشهد له بمدعاه فأحضر للشهادة جرجس ولد ابرهام وبخيش ولد نصير فشهدوا بمواجهة حنا المدعي عليه الوكيل المزبور قائلين شهدان ميخاييل ولد بتى ولد شحادة الذي كان صايغا

(الصورة ٢٥١) وثيقة ادعاء اليهودي١١٤٦هـ" /١٧٣٣م.في وثائق ضابطية ادلب

بقصبة ادليب أقر واعترف في حياته قبل هلاكه بستة أيام متقدمه قابلا أشهد واعليَّ أن ابرهام ولد شبيبة اليهودي دفع لي ماية وثلاثة وثمانين درهم فضة لاصيغها له رختا وهي باقية عندي إلى الآن لم أوصيغها له نحن نشهد لدرختا مائتي لكي على اقرار شهادة حكم مولانا الحاكم المومى إليه لابرهام اليهودي بماية وثلاثة وثمانين درهم فضه وباص وأمر حنا الوكيل به معها في مال ميخائيل الهالك حتى حجة شرعيهخ وامر صريحا وعما سواه ١٨ محرم ١١٤٦هـ" /١٧٣٣م (الصورة٢٥١)

من مهن اليهود الصرافة ،وكما ورد في الوثيقة المؤرخة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٦م, إثنان منهما يدعيان بنطو بن يعكوب وكذلك كان لليهود أراض باسمهم (مزرعة اليهود) بجوار ادلب ورد في سالنامة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م عدد سكان قضاء ادلب ٣٧٨٦٠ نسمة موزعة على ٥٢٠٧ خانه و الإسلام ٣٦٣٣٤ نسمة في ٥١٢٤ خانه و عيسوي (مسيحي) ١٥٠٠ في ١٣٣ خانة وموسوي (يهود) ٢٦ في ١٠ خانة (بيت) .(الصورة.٢٥٩)

الآن نقدم صورة رسم لهم بذقون طويلة، وقبعةً في مرحلتين، وقنباز أبيض, بخطوط منقطة، وزنار في الوسط يلف خصره ،وعباءة كرداء طويل خشن، في أكمام فضفاضة طويلة. وهي أقدم وأول صورة تنشر لهم في العربية،مأخوذة من كتاب الرحالة في القرن١٨م.(الصورة٢٥٢)

- من مهن اليهود الصرافة , إثنان منهما يدعيان بنطو بن يعكوب وكذلك كان لليهود أراض دعيت باسمهم (مزرعة اليهود)



(الصورة٢٥٢) يهودي في لباسه الرسمي

***

البحث الرابع - الرقيق والجواري : الرق ومنه الرقيق وهو المملوك والجمع أرقاء , والاسترقاق هو اتخاذ الرقيق , والنخاسة هي ذات المعنى،والجارية هي التي تصبح عند صاحبها او في خدمته ، ويعرف الأرقاء بالموالي أو ((ما ملكت أيمانكم)) في القرآن , وتحرير الرقبة أو فكها يعني تحرير الرقيق .

تجارة الرقيق: ظلت تجارة الرقيق , ووجود الجواري في ادلب كبضاعة رائجة إلى أواخر القرن ١٩ م , فهناك وثيقة حصر إرث لمنير آغا الفنري بوجود ثلاثة جواري , توزعت بين الورثة ،رغم صدور قانون بإلغاء الرقيق عام ١٨٨٥ م.

ورد في آثار محافظة ادلب ذكر ل(عبد ربساس والعبدة ايرين)في مدفن ضمن خراب فركيا في جبل الزاوية وتعود إلى القرن ٢م (الصورة٢٥٣) هنا الأشارة إلى قدم الرقيق في كل العهود..عرضنا وضعهم في الوثائق.. كان التجار يدأبون على تنظيف الرقيق قبل عرضهم في الأسواق , وعادة يترك الرجال عراة, بينما يسمح للنساء بارتداء الملابس , ومن حق المشتري أن يطلب منهن الرقص والغناء والكشف عن أسنانهن , وطبعاً كان يتم العرض للبيع في الأسواقوفي مكان واسع , ولكل منهم سيد يتبعه وفي ادلب لابد أن يكون مكان عرضهم / عرضهن في ساحة البازار / النبع أو في سوق البازركان (الصورة٢٥٤), ويأتي الوجهاء لفحص الرقيق والجواري في الكشف عن أسنانهن مع عيونهن ولسانهن وآذانهن خلوهن من الأمراض (الصورة ٢٥٥) وبعد مراقبة الرقيق يتم الشراء بشرط إعادته بعد ثلاثة أيام إذا اكتشف فيه / فيها عيوب لم تظهر مباشرةً ويعاد الثمن إلى المشتري دون خسارة شيء، ولكن ماهي هذه العيوب ؟! هي التبول ليلاً أو الشخير .. ومع الزمن يصبح هذا الرقيق ،أو الجارية جزءاً من الأسرة ،بل يأكلون من أكلهم ،ويلبسون مثل لباسهم ،إلا في حالات استثنائية ،كأن يكون سيدهم ذا مكانة ،أو رتبة ,فيكون لباسهم مختلفاً , وأحياناً قد يعتقهم ويزوجهم من شخص ثقة وكأنه / كأنها إحدى بناته ليؤمن مستقبلها الاسرى المتين، وكما ورد في إحدى الوثائق .. ورد في كتاب تاريخ حلب الطبيعي للأخوين راسل ١٧٥٠ م
((عندما يتم شراء الجواري وهن صغيرات، وهو أمر نادراً ما يحدث، تتم تربيتهن كما تربى فتيات العائلة، ولكنهن إذا بلغن الخامسة عشرة من العمر أو

أكثر، يعتبر أنهن تجاوزن سن الدراسة النظامية، فيبدأن بتحسين وضعهن في المستقبل للفرص العارضة.

A. B. C. D.

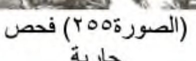
ΕΙΡΗΝΗ ΔΟΥΛΗ — ΑΗ ΑΘΒΑΒΕΑ ΑΗΑΘΒΑΘΕΑ ΘΥΓΑΤΗΡ — ΑΒΕΔΡΑ ΥΑC — ΤΥΧΗΑΓΑΘΗ

(الصورة٢٥٣) كتابة عبد ربساس في فركيا –جبل الزاوية



(الصورة ٢٥٤) بيع الرقيق في السوق





(الصورة٢٥٥) فحص جارية

يتم شراء الجواري وهن في سن معينة لاستخدامهن كخادمات وضيعات، أو لاتخاذهن كشريكات في المخدع في المستقبل. وفي الحالة الأولى، تثبت الكثيرات منهن أنهن خادمات ممتازات ووفيات، وليس لهن أقارب يغروهن بالخروج من البيت، ويتعلقن بالأسرة التي رمتهن المصادفة وحدها إليها بإخلاص، ورغم أن الجاريات يكن في حوزة سيدهن، فإن حمايتهن من أية انتهاكات تتم نتيجة عادات راسخة ولاعتبارات أخرى. وإذا حملن فيبقين جاريات، إلا أنه لا يحق لسيدهن بيعهن مرة أخرى، وتتمتع ذريتهن تقريباً بنفس حقوق الوراثة التي يتمتع بها الأطفال الشرعيون، وإذا كانت الجارية ملكاً لإحدى سيدات الحرملك، سواء كانت مشتراه أو مقدمة كهدية، فإنها تعامل على قدم المساواة تقريباً مع بنات العائلة، وإذا ما تعرضت لأي ضرر، فإن ذلك يعتبر إهانة شديدة لسيدتها. أما البنات اللاتي تملكهن نساء، واللاتي يتم شراؤهن وهن صغيرات، فتتم تربيتهن بعناية، وفي بعض الاحيان، يصبح لهن وضع مشرف في الحرملك. وقد يتزوجن من شخص من عائلة أخرى في حال قبول سيدتهن، ويحصلن على حريتهن، ويواصلن ارتباطهن بالعائلة. غير أن نسبة كبيرة من تلك الجواري يبقين عذراوات بقية حياتهن، ويتبعن مصير سيداتهن، ورغم أنهن يعتقن عند وفاة سيدتهن، يبقين على ارتباط بواسطة أطفالهن تعبيراً عن الامتنان. عندما يتوفى شخص ما، تصبح جواريه (ما عدا اللاتي أنجبن أطفالاً) من ممتلكات ورثته، غير أنه توجد درجات محددة من صلات القرابة تبعدهن عن مخدع الخلف أو الوريث، وفي بعض الأحيان يمنح الأعيان الجواري اللاتي ليس لديهن أطفال من معيليهم المفضلين، كدلالة على الاحترام والتقدير، إلا أن ذلك يتم عادة بموافقة المرأة التي تحصل على حريتها وحصتها من الزواج. ومن الناحية الأخرى، يقدم التجار الأغنياء أو آخرون

ممن لهم مصلحة لدى كبار المسؤولين جارية عذراء، وإذا حالف تلك الجواري الحظ وأصبحن من المحظيات، يعبرن غالباً عن شعورهن بالامتنان بتقديمهن خدماتهن لعائلة سيدهن الأول. كما يقدم الأعيان الجواري إلى بعضهم البعض كهدايا إلا أن هذه العادة أقل شيوعاً، وتعتبر أكثر خطورة، وقد أصبح ذلك من السياسات الشائنة. يفضل الكثير من الأشخاص من الطبقة الراقية والتجار الأغنياء، الزواج من جارية على الزواج من امرأة حرة. وهم يفضلون بذلك الاستغناء عن المال، بل وجميع مزايا التحالفات والارتباطات العائلية الأخرى من أجل عدم الرضوخ للشروط التي تفرضها عليهم تلك النسوة، إذ تميل المرأة الحرة لأن تكون متعجرفة ومشاكسة، ويفرض ذووها في بعض الأحيان شرطاً في الزواج بألا يضم امرأة أخرى إلى مخدعه. إن حق الرجل في تطليق جواريه وبيعهن أو التخلص منهن بشكل اعتباطي، قد يكون أحد أسباب الحفاظ على سلطته في جو من الغيرة وتضارب المصالح بشكل كبير بين أعداد كبيرة من الحريم. وتعزى كذلك أسباب أخرى لاستتباب السكينة في البيت. ولكل من الزوجات والسراري الرئيسيات شققهن ووصيفاتهن الخاصات بهن. ويشتركن في استعمال مطبخ واحد، إلا أنهن يتناولن طعامهن على موائد منفصلة. ويقمن بزيارة بعضهن، وتنمو بينهن مشاعر الود. وهن يستقبلن أقاربهن في شققهن، ويتبادلن الزيارات بشكل منفصل: ولا تجتمع جميع السيدات في الحرملك الواحد، أو يدعين خارج البيت مع بعضهن إلا في مناسبات خاصة.إن وضع الرق في تركيا يختلف عما هو متصور في أوروبا، إذ يتم شراء معظم الرقيق وهم صغار ويربون مع أطفال الأسرة، وإذا ما اكتشف فيهم ذكاء فطري، فإنهم يحصلون تقريباً على نفس القدر من التعليم.يقوم عدد من التجار الذين يتخذون من هذه التجارة حرفة لهم، ببيع الرقيق الأبيض على حدود جورجيا، وينقلونهم إلى أصقاع مختلفة من السلطنة، وخاصة إلى الأستانة، ويجلب بعضهم إلى حلب في كل سنة من أرضروم مباشرة، ويعتني بهم التجار عناية كبيرة خلال فترة بقائهم في حوزتهم.)) ومن الوثائق الأقدم حول قرية ادلب الصغرى في أنها تابعة إلى سرمين ما ورد في ((رقم السجل ١ صفحة ١٢٩ وثيقة ١٣٢٢ تاريخ الوثيقة: ٦ ذي القعدة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م . أقر الحاج أحمد بن عبد الله المصري أنه أفسد الجاريتين الزنجيتين وما معهما من بقجتين قماش من دمشق ووضعها قرب قرية ادلب الصغرى من عمل سرمين وسجل ذلك بطلب السيد محمد بن حيدر من محلة جب أسد الله)) .كما ورد وصف للجواري باسم (جارية عربية ثمنها ٨٠٠ غرش) في تركة (رأس الأدلاء الحاج محمد الأسود في أريحا) سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م بينما (ترك مصبنة قدر ثمنها بـ

٥٥٠٠غرش.) يمكن القول ان ثمنها يعادل سدس قيمة هذه المصبنة حسب جمالها ومستواها .

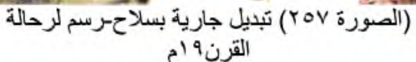
لعل هذه التجارة قد كانت رائجة، وقام بعض الرحالة برسم بيع الرقيق وهنا نقدم بعض صورهم. (الصورة ٢٥٦-٢٥٧) قد يتساءل المرء لماذا هذه التجارة رائجة؟ ومن أين يأتون بالرقيق؟ لقد كانت رائجة لأنها تدر دخلاً جيداً على التاجر والدولة كونها تدر عوائد على بيت المال، وحدد قانون نامة ولاية الشام لسنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م، مقدار ما يؤخذ عن كل عبد أو جارية، ويأتون بهم من عدة أماكن بلاد الأفلاق والكرج (رومانيا) والمجر وروسيا وألبانيا والنوبة (جنوب مصر والحبشة) .. وأكبر تجار الرقيق من العسكر الانكشارية، وكثيراً ما باعوهم للتخلص من عبئهم الاقتصادي، أو عتقهم بدافع ديني وإنساني ،ونحن بدورنا نسلط الضوء على هذه التجارة في ادلب والتي كانت سائدة فيها إلى وقت متأخر ،إذ ذكرت وثيقة مهر سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م وجود جارية بين إعداد جهاز العروس – انظر بحثنا الحياة الاجتماعية في ادلب- وقد ورد في وثيقة حصر إرث مصطفى آغا فنري ١٢٥٨هـ/١٨٣٧م تملكه لجواري وعبد مع تقدير قيمتها الجارية فاطمة ١٥٠٠ قروش وخيزران ١٧٥٠ ونسيم ١٠٠٠ وطرنجة١٧٥٠ وثمن عبد الله الرقيق ١٢٥٠ أي يملك جواري أربع ورقيق واحد، والأجمل أو أفضلهن بـ ١٧٥٠ وأقلهن بـ ١٠٠٠ قروش ويتوزع ورثته هذه الجواري.

وحول بيع الجواري والمماليك في ادلب: من الوثائق الأقدم حول الجواري والعبيد في قرية ادلب الصغرى ما ورد في ((رقم السجل ٥ صفحة ٢٧٤ رقم الوثيقة ٩٩١ تاريخ الوثيقة: ٢٠ جمادى الأولى ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م . شهد حامد بن محمد التركماني وحسين بن الحاج علي التركماني بحضور محمد جلبي بن محمود كاتب أمين بيت المال الضابط للعبد بان العبد الأسود مرجان بن عبد الله النوبي الأصل الخالي من اللحية الذي في وجهه قرب شحمة أذنيه شطب هو عبد للحاج علي بن محمد وملكه وقد ابق منه من



(الصورة٢٥٦) رسم لجارية – القرن١٨م





(الصورة ٢٥٧) تبديل جارية بسلاح-رسم لرحالة القرن١٩م

قرية ادلب الصغرى قضاء معرة مصرين عند ذهابه لشراء الصابون شهادة شرعية مقبولة شرعاً)) .توضح لنا هذه الوثيقة تكليف العبد بمتابعة أعمال سيده في ادلب لشراء الصابون ... ورد كذلك في سجلات المحكمة الشرعية أن "عمر بن أحمد الادلبي يواجه صالح بن محمد الادلبي في قضية شراء مملوك أبيض اللون عجمي الجنس بـ ١٥٥ قرشاً من مدينة أرضروم" ١١٣٨هـ/١٧٢٦م. ومن الوثائق المهمة والنادرة في موضوع" بيع جارية الشرع الشريف الرجل المدعو محمد بن عبد السلام الدرنده لي بمواجهة الرجل المدعو حسين بن الحاج علي كدايه من أهالي قصبة سرمين الواضع يده على جميع الجارية البيضا العجمية المدعوة خديجة بنت عبد الله الغايبة عن المجلس. وقال في دعواه إني من مدة سنة ماضية قبل تاريخه بذيله قد سلمت بقصبة ادلب الصغرى من الرجل المدعو عثمان بن علي الاسيرجي مملوكي الأبيض الكرجي الجنس المدعو مصطفى لبيعه بثمن قدره مايتان وخمسون غرشاً المرقومة وبقيت المزبورة في يده، ثم إن عثمان المذكور باع الجارية المرقومة في غيابي بغير إذني من المدعى عليه المذكور، وإني الآن أطلب رفع يد المدعى عليه المزبور عن الجارية المرقومة وتسليمها إلي وألتمس سؤاله عن ذلك، فسئل المدعى عليه المذكور عن حقيقة هذه الدعوى فأجاب قايلاً إن الجارية المزبورة كانت ملك المدعى المزبور وملك عثمان المرقوم، وإن عثمان المذكور من مدة سنة ماضية قبل تاريخه بذيله قد باع الجارية المزبورة مني فاشتريتها منه بمالي بنفس بثمن قدره ماية ماية وخمسون غرشاً قبضها مني بيعاً باتاً وسلم الجارية المذكورة إلي والمدعى محمد المزبور حاضر، وإن محمد المرقوم أجاز البيع المسطور وصدق على صحته، ثم إن محمد المذكور في العام الماضي في شهر رمضان المبارك قد أقر عليّ بقصبة سرمين المزبورة (المذكورة)بحضور حاكمها الشرعي هو فخر القضاة

اسحاق أفندي بخشي زادة إن الجارية المذكورة ملكه و ملك عثمان المرقوم شركة بينهما وانّ عثمان المزبور باعها مني بالثمن المسطور وهو غايب ولم يجز البيع المذكور وطلب فسخ عقد البيع المرقوم شركة بينهما،وإن عثمان المزبور باعها مني بالثمن المسطور وهو غايب ولم يجز البيع المذكور وطلب فسخ عقد البيع المسطور واجبته إن عثمان المرقوم لما باع الجارية المرقومة مني كان المدعى حاضراً وأجاز البيع المذكور وطلب فسخ عقد المسطور وأجبته أن عثمان المرقوم لما باع الجارية المرقومة مني كان المدعى حاضراً وأجاز البيع المسطور وصدق على صحته في اصدقني على ذلك. فأثبت دعواي إجازة البيع وتصديقه بمواجهته بشهادة عمر جلبي بن الحاج أبي بكر وصالح جلبي بن عبد الرزاق من أهالي قصبة سرمين المرقومة ومنع اسحاق أفندي المومى إليه عن التعرض لي بسبب ذلك بموجب هذه الحجة الشرعية المشاهدة بيدي المؤرخة باليوم العاشر من شهر رمضان المبارك لسنة سبع وثلاثين وماية وألف الممضاة بامضا اسحق أفندي المشار إليه في صرف المدعى المزبور على ذلك كله فطلب من المدعى عليه حسين المرقوم بينة عادلة تشهد له بدعواه المزبورة على الوجه المحرر فأحضر الشهادة بذلك السيد يحيى جلبي بن الحاج غنام وحسين بن حسن الصواف المقبولي الشهادة شرعاً فشهداً بعدم الاستشهاد الشرعي بمواجهة المدعى المزبور قايلين نشهد أن المدعى محمد المزبور في العام الماضي في شهر رمضان مبارك قد ادعى بقصبة سرمين بحضور اسحاق أفندي المومى إليه بمواجهة حسين المذكور إن الجارية المرقومة ملكه وملك عثمان المزبور وأن عثمان المذكور باعها من حسين المزبور في غيابه بدون أذنه وطلب فسخ عقد البيع المرقوم وأجاب حسين المزبور أن عثمان المرقوم لما باع الجارية المذكورة منذ كان المدعى محمد المزبور حاضر وأجاز البيع وصدق على صحته فما صدقه محمد المرقوم على ذلك ثم إن المذكور أثبت دعواه أجازت البيع والتصديق بمواجهة محمد المرقوم بشهادة عمر جلبي بن الحاج أبي بكر وصالح جلبي بن عبد الرزاق المذكورين ومنعه اسحاق أفندي المشار إليه عن التعرض لحسين المرقوم بموجب الحجة المسطورة وجرى ذلك كله بحضورنا شهادة شرعية مقبولة منهما بعد التزكية الشرعية قبولاً تاماً محكوماً بموجبها حكماً شرعياً ثم منع الحاكم المشار إليه المدعي محمد المزبور عن التعرض للمدعى عليه حسين المرقوم بسبب ذلك حيث كان الأمر كذلك منعاً شرعياً مؤلاً فيه وكتب ما وقع وحرر بالطلب في اليوم التاسع والعشرين من رجب العز ولسنة ثمان وثلاثين وماية وألف. عدة تواقيع منها فخر المحررين مصطفى أفندي كاتب

قسمة العسكرية الحاج محمد جورباجي الحاج خليل بن صالح بشه.(الصورة٢٥٨.) ومن الوثائق المتعلقة بـ بشير آغا ناظر الأوقاف في إدلب والمسمى الجامع باسمه مسجد بشير آغا , حول حصر إرث حصل في ١٠ رجب ١١٢٩هـ/١٧١٧م في " انتقلت الحرمة صفية بنت عبد الله معتوقت فخر الأماجد والأكارم الحاج بشير آغا المنحصر إرثها في معتقه المزبور(المذكور)وفي زوجها محمد بن محمود القصاب " مع تعدد للمواد .هذه الوثيقة تفيدنا إلى إحدى صفات بشير آغا بـ " فخر الأماجد والأكارم " وأن عنده عبدة / رقيق / قد أعتقها وتزوجت وما قد ملكته هو من خيراته (الصورة٢٥٩) .. ومن وثائق العبيد في أريحا ما ورد في ((رقم السجل ٥ صفحة ٥٣ رقم الوثيقة ٢٠٩ تاريخ الوثيقة: ١٦ صفر ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م . شهد للنقل والتمويل في مجلس الجرح والتعديل محمد بك بن يوسف السردار بحلب سابقاً وخضر بن اسكندر غب الاستشهاد والدعوى الصادرين عن احمد بن إبراهيم بان الغلام الأبيض برويز بن عبد الله القبرصي الأصل الأمرد الذي قرب خروج لحيته القصير القامة الاشهل العينين الذي قيمته ٤٠ دينار وهو الآن في يد حسن بك بن عبد الله الموجود بأريحا هو ملك للمدعي وانه راح من عنده مع حسن بك في السنة الماضية وقد حلف اليمين الشرعي على ذلك وتم إرسال كتاب إلى أريحا بذلك)) . هنا إشارة إلى جلبهم من قبرص أيضاً ..

(الصورة ٢٥٨) وثيقة بيع جارية١١٣٨هـ

ومن الأدلة على غنى أبناء المنطقة ليس الإنفاق للزوجة الموسرة بل حتى لخادمتها كما ورد في ((رقم السجل: ٤ صفحة: ٤٠٨ وثيقة: ٢٢٨٥ تاريخ الوثيقة: ٢٥ /ذي الحجة/ ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨م . فرض المنلا محمد بن محمد من قرية مجدليّا تابع أريحا لزوجته فخري بنت قاسم جلبي (١٠) قطع فضية في كل يوم برسم نفقتها ومصروفها, وسمح لها بالاستدانة على حسابه للإنفاق على نفسها وعلى خادمتيها. وشهد الشهود بذلك)) .

يبدو أن تجارة الرقيق بإدلب قد كانت مزدهرة إما لأن سوقها يقصدها أثرياء الريف , أو أن أهلها قد كانوا أثرياء , وهذا هو الأصح , فتجارة الزيت والصابون والأحذية والخزف وغيرها قد رفعت مكانتهم الاقتصاديه , فتباروا في شراء الرقيق ولعل هذه الوثائق التي وقعت في أيدينا تعطينا الفكرة الأصح على أن وجهاء ادلب وأثرياؤها قد كانوا يقتنون الجواري والرقيق .

في سجل ضابطية ادلب قرأنا " دعوى الحاج أحمد بن الحاج يوسف سفلوا ومحمد بن سليم بمواجهة مصطفى بن عبد الله بن شيفي التبرزلي الأصل (أي من تبريز) العجمي قائلين في دعواهما عليه أنه كان مملوكا إلى السيد حسين أفندي الوكيل عن قبل باكير آغا ضابط ادليب سابقاً ،وأنه لما عزل حسين أفندي كان لهما في ذمته ديناً شرعياً ماية وعشرة غروش فباع منهما في مقابله مالهما في ذمته من الدين، باعها هذا مصطفى مملوكه وإنهما دفعا قيمته في يده وهي دفع إلى استاذه قيمة الماية وعشرة غروش وأنه ثبت في مجلس الشرع أنه حر وأبرزا من ايديهما فتوى شريفة صادرة عن عمدة العلماء المحققين مولانا ابراهيم أفندي المفتي بادلب صورتها في رقيق بالغ قال لزيدانا رقيق فاشترني فاشتراه زيد ودفع الثمن للرقيق فدفعه الرقيق إلى بائعه ثم بعد أيام اذا قال الرقيق أنا حر وأقام البينة وبايعه لا يعلم مكانه فحصل الزيد الرجوع على الرقيق بالثمن حيث أثبت حريته أمن لا لجواب نعم لزيد الرجوع علي الرقيق بذلك كذلك في الفرازية والله أعلم .... ١١٤٥هـ=١٧٣٢م " (الصورة٢٦٠)

(الصورة٢٥٩) وثيقة حصر ارث لجارية (الصورة٢٦٠)وثيقة بيع عبد١١٤٥هـ وثائق ضابطية ادلب

دعوى مصطفى بن عبد الله سيفي من مدينة تبريز العجم الأشهل العينين الواسع الحواجب الأصفر العينين المربوع القامة بمواجهة مالكه السيد صالح بن يوسف من أهالي محلة باب النصر قائلاً في تقريره أنه كان مملوكاً للسيد حسين أفندي وكيل باكير آغا ضابط ادليب سابقاً , وأن السيد حسين أفندي المزبور أعتقه وحرره وأخرجه من ماله ثم إنه بعد العتق والتحرير باعه إليه حسين أفندي إلى الحاج أحمد سفلوا القصاب وإلى محمد بن سليم بمائة غرش وعشرة غروش في مقابلة مالها في ذمة السيد حسين أفندي كون أنه حاكم عرف لم أقدر بالدعوى بالعتق وإلى الآن حر وسأل سؤالاً السيد صالح والجواب عن ذلك فلما سئل السيد صالح المدعى عليه أجاب بالإنكار فطلبت من مصطفى المدعي بينة تشهد له لما قرره ... ذي القعدة ١١٤٥هـ توافق ١٧٣٢م " . شهود .. (الصورة ٢٦١)

الأرمن في المنطقة: هم قدماء في الشمال السوري من أيام الملك ديكران وكما ذكرنا في كتابنا من إبلا إلى إدلب الصفحة ١٢٦((يأتي الملك الأرمني ديكران ليكتسح هذه المنطقة وظل يحكمها إلى عام ٦٩ ق . م وليعود الحكم السلوقي ثانية إلى عام ٦٤ ق . م دخول القوات الرومانية إلى المنطقة بقيادة بومبي وليحتلوها وكما سيرد ...)) و في الحوليات العربية رواية((عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م تحتل أنطاكية من قبل الفرنجة و ياغي سيان حاكم أنطاكية يفر منها باتجاه أرمناز القريبة من معرة مصرين هكذا الرواية فيلتقيه حطاب أرمني و يقطع رأسه)) توزعوا في منطقة حارم وحتى الأن يقولون((مقبرة الأرمن)) المجاورة لحارم..والآن نقدم وثيقة رسمية لتواجدهم في حارم أواخر القرن١٩م.. أما أرمن جسر الشغور فهم في أصلهم ما يطلق المارونيون عليهم في تاريخهم بالجراجمة. أهم قراهم الحالية اليعقوبية والقنية في منطقة جسر الشغور- محافظة إدلب ..ذكر (بوركهارد)الذي زار ادلب عام١٨١٢م أن((في ادلب ٣ عائلات أرمنية)) .في مطلع شبابي تعرفت على عائلة أرمنية في ادلب ،هم ثلاثة إخوة ،بينهم (موريس بابا داكيس)الذي عمل معي مصورا في صحيفة ادلب الخضراء ...

الفصل الثامن- الأوابد الإسلامية

القسم الأول - المســـــــاجد

تمهيد: لا تشير الوثائق التي توفرت لدينا إلى وجود المساجد في إدلب الكبرى ، ولكن الروايات المتواترة تشير إليها ، فسكانها بنوا فيها المساجد والزوايا, ولم يبق الآن غير بعض المزارات التي سنذكرها، ففي جنوبها كان يوجد مسجد وشاهدت بقاياه . وفي غربها موقع يدعى (الحير) كان فيه جامع وبقربه بئر ماء . ووجدنا في جامع (جبلاد) في إدلب الحالية بقايا أثرية جلبت من جامع بإدلب الكبرى وكذلك مئذنته .... وأما إدلب الصغرى فلم يبن فيها مسجد إلا في العهد المملوكي ، إذ تشير الوثائق إلى وجود علماء فيها في القرن التاسع الهجري ، وكانت مقصد العلماء في المناطق الأخرى ، فلا بد أن بعض المساجد والزوايا التي بنيت فيها ترقى الى هذا العهد ... ونرجح أن سكان دير ليب (دير دلْبين) قد حولوه من كنيسة الى جامع (العمري), وكما ورد في كتابنا (من إبلا إلى إدلب- الفصل الثاني) بعد ضعف التيار الديني الديري في المنطقة, وهجر الديرانية لأديرتهم ، واعتناق معظم السكان الديانة الإسلامية[١] . كما تم بناء جامع في طرف حي الصليبية دعي بالجامع الكبير كمنافس لـ جامع – كنيسة العمري ومازالت مئذنته السامقة قائمة حتى الآن منذ إتمام بنائها في العهد المملوكي .

وفي العهد العثماني وبعد ازدهارها الاقتصادي والعلمي تم بناء المساجد كجامع جبلاد، والحمصي، والأقرعي، وبشير آغا . في عام ١٦٧١ م زارها (اوليا جلبي) قائلاً " إن فيها ١٤ محراباً ثلاثة تقام فيها خطبة الجمعة ...وفي قلب السوق مكان بطراز الجامع أرضيته ترابية ،وتقام فيه صلاة (الجماعة) ثم عاد وقال (إن في قلب السوق جامع قديم) [٢] . والمحاريب التي ذكرها يقصد بها الزوايا والمساجد ، وأما المساجد الثلاثة والتي تقام فيها خطبة الجمعة فهي العمري والكبير والأقرعي, وأما جامع السوق القديم فهو الأقرعي, وأما

---

[١] سيرد تفصيل ذلك في كتابنا(جولة أثرية في جبل باريشا) وغيره

[٢] جلبي – سياحت ٣٨٥/٩ .

المساجد العشر فقد عرفنا منها : جامع الحمصي – زاوية الرز – جامع خليل – جامع جبلاد – جامع المبلط . أما (برسنز ١٧٦٧ م)ذكر أنه تجول فيها وأحصى أحد عشر مسجداً بمآذنها .وأما (فرث الألماني)فذكر وجود /١٤/ مسجداً ١٨٩٠ – ١٨٩٦ م / ١٣١٤ هـ. يرتفع العدد الى ١٧ جامعاً و ٣٨ مسجداً و(٧) تكايا في السالنامة العثمانية ويبدو هذا الرقم غير دقيق ، إذ سالنامة ١٣٢٤ هـ /١٩٠٦ م وماتلاها تشير الى وجود ((١٠ جامع شريف و ٢٧ مسجداً و١٥ تكية وزاوية ...))

بينما(الغزي – ١٩٢٣ م) ذكر وجود ١٤ جامعاً و٣٠ مسجداً . والطباخ - ١٩٢٤ م- ١٣ جامعاً تقام فيها الجمعة [٣] ولاحظنا ضعف حركة بناء المساجد في العهد الإفرنسي بل تم هدم بعضها كـ العياشي... وفي الستينات من القرن الماضي شهدت المدينة حركة بناء العمران في كل المجالات ومنها المساجد ، ولكن الزوايا تم هدمها ولم يبن محلها مسجد غير زاوية العريان ، وأما في التسعينات منه فقد شهدت البلدة بناء مساجد حديثة وواسعة كما هو في الجدول المرفق :

---

[٣] فرث ص ٣٧٦ كردعلي ٥١/٦ الغزي ٥٢٠/١ طباخ ٢٧٤/٣ .

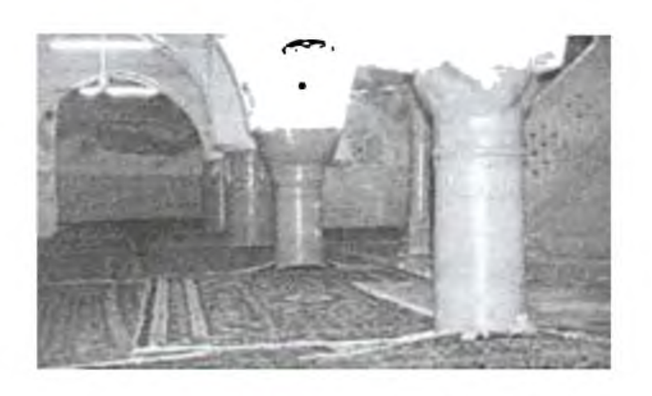
الاسم الحالي للمسجد	الاسم القديم	تاريخ بنائه	تاريخ تجديده
الجامع الكبير	مقام مارجرجس(الخضر)	مملوكي	١٢٢٣هـ/١٨٠٨م
جامع العمري	ديرلب(دلبين)	مملوكي	١٩٩٠م
جامع الحجاز(الساحة)	جامع جبلاد	٩٥٠هـ	١٩٩٦م
جامع الحمصي	قريد الحمصي	٩٥٠هـ	١٣٦٥هـ/١٩٤٦م
جامع خليل		١٢٠٠هـ/١٧٨٥م	
مسحد الرز	مسجد الوزيرين	١٠٧٣هـ/١٦٦٣م	هدم١٩٨٠م
جامع المبلط	الزهراوي	١٠٦٨هـ/١٦٥٧م	١١٢٠هـ/١٧٠٨م ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م
جامع الشيخ فتوح	جامع فتوحي/نعمة	١١٢٠هـ/١٧٠٨م	١٣٤٠ه-١٣٧٦ه
جامع بشيرآغا/برغل	جامع بشير آغا	١١٣٤هـ/١٧٢٢م	٢٠٠١م
مسجد الصباغة	مسجد حسين نعمة	١١٤٥هـ/١٧٣٢	١٩٩٢م
جامع الأقرعي	مسجد الأقرع	١١٤٥هـ /١٧٣٢م	
جامع الجوهري	جامع مكي	١١٤٦هـ/١٧٣٣م	
مسجد اسماعيل	مسجد الشيخ اسماعيل	١١٥٠هـ/١٧٣٧م؟	
جامع قريد	جامع قريد	١٢٦١هـ/١٨٤٥م	هدم١٩٦٥م
جامع الصليبة	جامع العبد	١٢٩٠هـ/١٨٧٣م	
جامع العياشي	جامع العياش	القرن١٩م؟	هدم١٩٤٠م

أولاً- جامع العمري :

يقع في المنطقة الرابعة ، أحد المساجد القديمة بإدلب والذي يرقى الى العهد المملوكي، ألى أيام الملك الظاهر بيبرس(١٢٦٦م) ، ففي عهده تحول كثير من المواقع الدينية الأخرى الى مساجد ، وكما حصل في سرمين أو ريحا الجامع الكبير فيها كان في أصله كنيسة الدير (دير دلبين) أو (ديرليب) ثم (دير لب) فيما بعد .ذكر الشيخ ربوع نقلاً عن مخطوط قديم ((جامع العمري كان معبداً، وأن آثاره طمرت في الأسفل، وقد نزعوا الكثير من العواميد والتي كان فيها ٣ صفوف واسمه دير لب))

وقيل كان فيه كتابة بثلاثة أحرف ترمز للأب الابن والروح القدس . وسبب تسميته بالعمري، وهي في أصلها كلمة تشير الى متعبد المسيحيين , وليس الى أيام عمر بن الخطاب ، كما يخطئ الكثير في إشارتهم الى أسماء المساجد القديمة ،فمعظم السكان، وحتى القرن الرابع الهجري في أكثريتهم مسيحيون . ومن وثائق الأوقاف في سجل ضابطية ادلب هذه الوثيقة التي توضح لنا الكثير من معالم ادلب العمرانية , وفيها ورد أقدم ذكر لهذا الجامع " مولانا ابراهيم أفندي المفتي بإدلب .... ١١٤٥ هـ /١٧٣٢ م . الحاج حسين جلبي بن الشيخ نعمه / البلار / الكلزي ... وشمالاً طريق سالك وإليه الإغلاق (باب السور) .. قبلة معصرة الحاج عبد الكريم أفندي وشرقاً دكان وقف جامع العمري وشمالاً طريق وإليه الباب ... "

.كان يدرّس فيه في الستينات من القرن الماضي (الشيخ عبد الغني حمادة)ويلقي خطبة الجمعة (الشيخ حكمت معلم)أستاذنا في المرحلة الثانوية .(الصورة ٢٦٩) الثلاثينيات زمن دراسة تشالنكو ، وهم لايدرون أنه موقع معبد ديني وثنى ،ثم مسيحي وكما أوضحنا ذلك بالشواهد الأثرية في كتابنا هذا من قبل، جدد عام ١٩٩٠ م



الصورة (٢٦١) ادلب حرم جامع العمري بعواميده
القديمة قبل هدمه

وقد اكتشف فيه حين هدمه عام ١٩٨٨ م جرة فخارية من العهد المملوكي وهي في متحف إدلب ... كانت مئذنته تشبه المآذن الأخرى القديمة كجامع الجوهري، أو بشير آغا . أما الآن ففيه مئذنتان حديثتان - رغم صغر مساحته – ويصعد إليه بدرج (٢٦٢)

ثانياً- الجامع الكبير : يقع بين الحي الشرقي والجنوبي في المنطقة الثالثة . يرقى الى العهد المملوكي الأخير ، ويعد أكبر المساجد القديمة تبلغ مساحته دونماً واحداً وثلاثين متراً =١٠٣٠م². (الصورة٢٦٣-٢٦٥) أرجح في أصله كنيسة لوجود،أو يروى إن القبر الذي كان موجوداً شرقي الباحة للشيخ (ولّو) هو جدث أحد القديسين النصارى ؟؟! ولكنه في



(الصورة ٢٦٢) مئذنتا جامع العمري
بعد تحديثه

حقيقته مقام القديس (جاورجيوس) ،والذي أزالوه بعد التوسع..حددنا تاريخه من مئذنته المثمنة ،ذات ال١٦ضلع،وتنتهي بما يشبه القبة بدلاً من المخروط العثماني المميز، والتي تشابه مئذنة جامع الأطروش بحلب في العهد المملوكي

ولكن الأخيرة ذات موقفين، وهذه بموقف واحد ، وتماثلها في أنها مضلّعة الشكل ، وهي تختلف في شكلها العلوي عن جميع المآذن بإدلب ، وباب المئذنة يرقى أيضاً الى هذا العهد، ورسمه كرسم أبواب مسجد المبلط .



(الصورة٢٦٣)الجامع الكبير في ادلب ــصورة حديثة

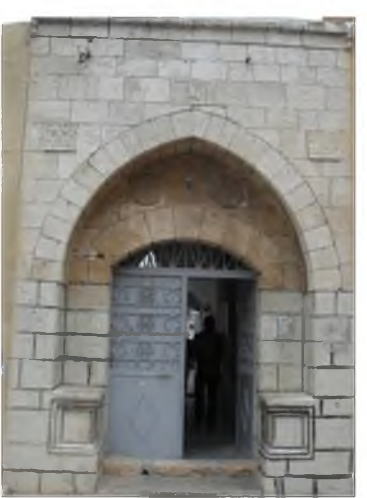


الصورة (٢٦٤) ادلب : الجامع الكبير- العهد المملوكي .
(رسم الفنان عصام السيد يوسف)



(الصورة٢٦٥) الجامع الكبير من الرمادة الشرقية قبل إزالتها-الصورة عام١٩٥٥م

أما مدخله الغربي الرئيسي المقوس (الصورة ٢٦٦) على جانبيه مربعان فيهما زخرف بآثاليل متصلة كشبكة ،وبداخلها مربع وفيه شكل نباتي , وفي الوسط نقر لفظ الجلالة داخل مستطيل , والملفت للنظر أنه هو، ومدخل جامع الأقرعي الوحيدان فيهما مصطبة,



الصورة (٢٦٦) ادلب :
المدخل الغربي للجامع الكبير



(الصورة ٢٦٧) ادلب : نقوش اسلامية فوق المدخل – العهد المملوكي





(الصورة ٢٦٨) نقوش زخرفية في الجامع الكبير

الصورة (٢٦٩) ادلب : كتابة المدخل الغربي للجامع الكبير – العهد المملوكي

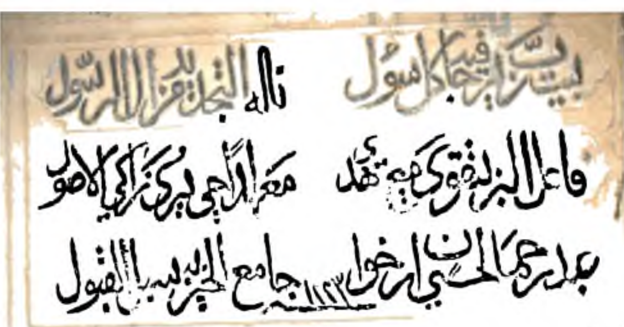
وزخرف تحت التقويسة زهرة في الوسط ضمن شكل دائري من ثلاثة أشكال، قرصان بينهما الكتابة , وهما من أبدع الزخارف الإسلامية في ادلب، وأقدمهما، ،يعودان إلى أواخر العهد المملوكي. (الصورة٢٦٧-٢٦٨) أما الكتابة فهي ضمن مستطيل وزعت في ستة حقول تنتهي في الجوانب على شكل مثلث (الصورة ٢٦٩):

١- لله الحمد أهل الخير في الود / إن يرغبوا في روضة الدرجات .. فتصدوا له بني كتخدا / أتوا سند الله للصلواتطوبى لهم هذا شيد بنا ؟ / حمى الله صاحب الصدقات .

تم فتح ٨مدخل شرقي له عام ١٩٨٦ م وجدد جداره الشرقي الذي كان مجاوراً للرمادة الشرقية , وتم وضع لوحة ليست في أصل البناء فوق المدخل ، بل هي في أصلها لوحة لزاوية وسبيل العريان – انظر بحث الزوايا - (الصورة٢٧٠).



(الصورة ٢٧٠) نقش زخرفي في المدخل الشرقي



(الصورة ٢٧١) لوحة تجدبد الحامع الكبير ١٢٢٣ه



(الصورة٢٧٢)الحامع الكبير نقش مملوكي في البناء

جدد سنة ١٢٢٣ هـ /١٨٠٨ م بإشراف عبد الرحمن الحسني كما هو منقور فوق الواجهة الشمالية للحرم . وهذا التجديد أزال معظم معالمه الأثرية ولم يبق غير بعض الأحجار المزخرفة برسوم وريقات وأزهار ترقى إلى العهد المملوكي(الصورة٢٧١-٢٧٢)

وفي لوحة جميلة مستطيلة موزعة في ستة حقول بينها زخرف نباتي وردي .

١- ربَّ بيت يرجى فيه كل مسول / ناله التجديد من الله لرسول
٢- فاعل البر بتقوى مع هدي / معهداً امي يرى زاكي الأصول
٣- عبد الرحمان الحسني أرخوا / جامع الخير سبل القبول سنة ١٢٢٣هـ

وفوقها سقيفة حديثة , ولكن فوقها نقش حجري على شكل مستطيل بنحت زخرفي نافر , وللأعلى أيضاً حجر منحوت وعليه كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم , وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ولكنها أحدث عهداً في شكل الكتابة , وفوق الباب الآخر للحرم أيضاً سقيفة فوقها فتحة تهوية / طاقة بنحت نافر لشكل تزييني نباتي جميل .(الصورة٢٨٠) كما كان يوجد في باحته قبر الشيخ محمد جبلاد أحد وجهاء إدلب الذي أشرف على ترميمه حتى نفد ماله ،وهو يسعى بالخير له ، فدفنوه هنا تكريماً له ...!!! وهو نفسه باني مسجد ساحة الحجاز، والحمصي .

في كتاب موجه من قاضي حلب إلى الوالي عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥م يشير " إلى أنه تم تكليف حسن أفندي عياش كاملي زادة بإدارة وقف الجامع الكبير في قضاء إدلب منذ الأول من شهر المحرم ١٢٣٧هـ بموجب حجة شرعية على أن يكون له وكيل من أهالي إدلب يعاونه في الإدارة وهو السيد محمد آغا بن الحاج عبد الرحمن جحا زادة بحضور كل من الشهود أحمد بن عبد الله وعربو بن عبد الله محمد من أهالي إدلب ، بمعرفة نائب التجار عبد القادر بن سليمان سباعي زادة وهكذا [٤] " وأما حسن عياشي فقد عاش بين (١٢٠٢هـ / ١٢٨٤هـ - ١٧٨٨م / ١٨٦٧م) .ويروى أن أحد مدرسيه في عهد الانتداب الفرنسي الشيخ بدر الدين الحسني دفين دمشق وأحد المحدثين الكبار ووالد الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الدولة السورية ... السدة : وهي معلقة فوق مدخل الحرم من الداخل , استخدمت لجلوس الأطفال إما للصلاة أو في المناسبات الدينية من أجل الإنشاد , وهي مؤلفة من أرضية خشبية حفرت على شكل شبكة،يوجد مثلها في جامع المبلط..

ونظرة تأملية الى قبابه،و مدخله الرئيسي و مداخل حرمه الأربع ، ومزاريبه الحجرية الجميلة ومنبره المعلق والمحراب ، كل زخارفها مملوكية ، تشبه زخرفة جامع الدرج ،وزخرفة جامع الطواشي في حلب، وجميعها ترقى إلى

---

[٤] سر و ٢١ .

العهد المملوكي (عرف البناء العثماني في القباب بوجود قبة في معظم المساجد،أو قبتين في بعضها)

هو مسجل أثرياً والحمد لله .أضاف المرحوم(أبو وليد دويدري) لوحة في جداره الشرقي فوق المدخل، ومضمون اللوحة في أصلها (من زاوية العريان) على شكل مربع في ستة حقول (طعموا كلوا واشربوا / هذا بخيركم / في ذاهب خلد ؟ / بلا موت والآخر / وقفه السيد محمد شريف عريان في غرة رمضان ١٣١٠هـ) وهكذا توضحت لنا حقيقة تاريخ هذه الزاوية ١٨٩٢م ومن هو قد بناها (محمد شريف عريان) والذي أحدث أيضاً سبيلاً عاماً أسوة بغيره، وكما ورد في بحثنا عن السبل . وفوق مدخل الحرم لوحة مربعة كتب عليها في ستة حقول (١- فزاد هذا المصلى عاتي / وأخلص فيما نوى وارتضى . ٢- به يبتغي عفو رب كريم / ويرجو بفضل القاض فضلا . ٣- وداعي الهداية أيادي فأرخ / حياة المهيمن رضا حسن ١٣١٢هـ " توافق ١٨٩٥م.

ثالثاً- جامع الأقرعي : يقع في المنطقة الرابعة عند ساحة البازار في مدخل السوق القديم, ويطلق عليه أحياناً جامع البازار, أشارت إليه وثيقة رسمية تعود لعام ١٢٦٣ هـ باسم جامع (أقرع اوغلي) أي ابن الأقرع , مسجل في سجلات الأوقاف أن مساحته ٧٧٧ م٢ ومؤلف من ((مسجد للصلاة ورواق ودرج حجر يؤدي إلى مغارة)) وحصل تجديد مدخل الحرم والباحة سنة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م فأزيل الدرج والمغارة . ومدخله الشرقي الرئيسي في السوق فيه مصطبتان، وفي الأعلى نقوش جميلة ،وصدفة حجرية نافرة كبيرة , وفي أعلى الوسط لوحة حجرية نقر عليها (١- الحمد لله الذي جعل إحياء ما تخرب من هذا الجامع ٢-على يد من وفقه الله تعالى في (١٠٠٠) أعيدت له سنة ١٢٣٨ هـ) = ١٨٢٣م ، (الصورة٢٧٣) وحصل هذا بعد زلزال ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢م وفي وسط الكتابة سنة ألف هجرية /١٥٩١ م ، ويبدو أن هذا الرقم يشير إلى تاريخ ورد في الوثائق المؤرخة سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م(في سجل ضابطية إدلب) ذكر((لجامع السوق، وجامع العمري، وجامع الحسين نعمة، ومعصرة حميدان وجامع ابن الأقرع،وجامع الحمصي.. جميعها في

إدلب الصغرى، وخان الوزيرين وهي في معظمها لها وقف)) , وذكر جدي الشيخ راغب في حديثه عن الشيخ احمد المرتيني "إنه كان من العلماء الفضلاء جدد جامعاً بإدلب يقال له الجامع الأقرعي كان قد تخرّب وبنى له منارة حسنة وجعل فيه مدرسة وكان يقيم فيها، ولم يزل على ذلك الى أن توفى سنة ١٢٢٩ هـ" [٥] ويبدو أن ابنه الشيخ عمر المرتيني (١٢٠٠- ١٢٧٥ هـ) أتمه من بعده فجدد واجهته وقد تصدر للتدريس والخطابة فيه حتى آخر حياته .



(الصورة ٢٧٣) ادلب -مدخل جامع الأقرعي جدد سنة١٢٣٨ هـ

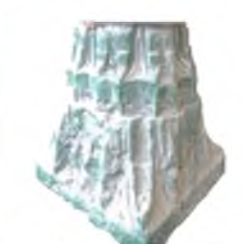
(الصورة ٢٧٤) ادلب- مئذنة جامع الأقرعي-العهد العثماني

وهذا ما دفع الناس الى إطلاق اسم ثان له (جامع المرتيني) وهكذا هو مسجل بالأوقاف باسم ثانٍ ، واذكر إنه كان لهم دكان مجاور له لبيع الألبان والأجبان بالجملة . كما درس فيه الشيخ هاشم المرتيني .مئذنته المضلّعة العثمانية، والمشابهة لمعظم المآذن، والتي ترقى إلى حوالي سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٣م ، فقد أخذ طراز بنائها من مئذنة جامع بشير آغا، والعمري (الصورة ٢٧٤) .وفيه بئر ماء آسن عليه غطاء حجري بنحت نافر (الصورة -٢٧٥-٢٧٦) ,

---

[٥] الطباخ ٣٠٤/٧ .

وفيه من بقاياه القديمة نقوش أخرى كغصن زيتون رمزاً لمدينة ادلب، وصناعة الزيت فيها (الصورة ٢٧٧) وأما تسميته الأقرعي نسبة إلى آل أقرع كما هومثبت في وثيقة الوقف، و مشاهد في النقش الأثري داخل الجامع، والذي كان منقوراً فوق مدخل الحرم سابقاً " صالح بالمصطفى يتضرع / ولباب عفو الله يقرع / سنة ١٢٦٧هـ " /١٨٥١م (الصورة٢٧٨) إذ ورد في الوثائق اسم لهذه العائلة ولكنها انقرضت أو تحول اسمها الى .... ؟! قد كان سرورنا مضاعفاً حين حصولنا على وثيقة توضح حقيقة جامع الأقرعي بإدلب المجاور لساحة البازار , فقد مرَّ اسمه في وثائق عثمانية (أقرع أوغلى) أي ابن الأقرع لكن من هو ؟ إلى أن وقعت بيدي هذه الوثيقة الهامة في سجلات ضابطية ادلب(الصورة من وثائق الأقرعي٢٧٩) . المؤرخة سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م والمذكور اسمه فيها (حسن بن الحاج مصطفى بن الأقرع) وحدد فيها هذا الواقف شروطاً لوقفه " ...



(الصورة٢٧٥) غطاء بئر حجري في جامع الأقرعي



(الصورة٢٧٦)الأغطية الحجرية لبئر الجامع(الحلة)



(الصورة٢٧٧) نقش لغصن زيتون وضفائر جانبية في جامع الأقرعي



(الصورة ٢٧٨) لوحة تجديد الحرم١٢٦٧هـ

حضر فخر الفضلاء الشيخ يوسف الحمداني الخطيب والإمام والمدرس بالجامع المعمور بذكر الله تعالى المعروف بجامع بن الأقرع وحضر معه لقـ ؟ المبيض المؤذن والخادم , وحضر معهما الشيخ لعهد؟ والشيخ محمد الرستمي وهما القادي على السدّة والرئيس وقرر والدي حاكم الشرع الشريف بمحضر من حافظ هذه الوثيقة الشرعية حسن بن الحاج مصطفى بن الأقرع الوكيل عن قبل المتولي على الجامع بشرط الواقف قائلين في إقرارهم وتقريرهم أن الواقف أثابه الله تعالى شرط في وقفه وظيفة للإمام في كلّ يوم عثمانين،

وللخطيب كذلك وللمدرس كذلك، وللمؤذن والخادم كذلك ولرئيس السدّة عثمانياً فضيا ؛ وثلث العثماني، وللقادي عثمانيا فضيا ؛ وثلث العثماني في جميع ذلك بشرط الواقف، وإن هذه الوظيفة لا تقوم بنفقتهم ونفقة عيالهم والتمسوا جميعاً من الحاكم الشرعي أن يزيد لهم الوظيفة المعينة ،وأبرزوا بين أيديهم فتوى شريفة صورتها فيما لو قال امام الجامع والمؤذن للقاضي إذاً المرسوم المعفي على شرط الواقف لا يفي بنفقتي ونفقة عيالي فهل يجوز للقاضي" أن يزيد في معلوم للإمام والمؤذن على شرط الواقف أم لا , أفيد والجواب نعم يجوز للقاضي .

أن يزيد في معلوم الإمام والمؤذن على شرط الواقف ولا يلتفت إلى رضاء أهل المحلة حيث الحال ما ذكر كذا في الفوائد الزينية والله سبحانه العليم كتبه الفقير عبد الرحمن المفتي بإدليب الصغرى عفى عنه فحينئذ بموجب الفتوى الشريفة أذن الحاكم الشرعي عن وكيل المتولي بأن يدفع للشيخ يوسف أفندي الإمام والخطيب والمدرس في مقابلة خدمته كل يوم عثمانين فضي زيادة عما شرط الواقف تضاف العثمانيان إلى وظيفته بشرط الواقفية حالا لوقف وإذ خله ايضاً بأن يدفع من مال الوقف للمؤذن والخادم لكل واحد منهما عثمانين فضي زيادة عما شرطه الواقف تضاف إلى وظيفتيهما بشرط الواقف بإذن له أيضاً بأن يدفع لرئيس السدة ولقارئ القرآن العظيم عثمانين وثلثي العثماني زيادة عما شرط الواقف تضاف العثمانيتان إلى وظيفتهما المعينة بشرط الواقف أنابه الله تعالى إذناً صحيحاً شرعياً كما هو مصرح في الفتوى الشريفة المسطورة , وأمرهم الحاكم الشرعي بالإستقامة والقيام بأمور الخطابة والإنابة والندري والأذان والخدامة وأنهم لا يستحقون الوظيفة إلا بعد القيام بأمور الخدمة وأدائها على النهج المرضي إذنا وأمراً صحيحاً شرعياً .

فلما آل الحال على هذا المنوال أجاب حسن وكيل المتولي بأن الجامع المذكور والحالة هذه تعمق (تعمورا) تاما ولكن إذا اقتضا إلى المرنات ولم يكن من يده من مال الأوقاف شيء يستدين ويصرف من؟ الرجوع على المسقفات والموقوفات وأبرز من يده فتوى شريفة صورتها في متولي على أوقاف حارم كذا أحتاج الجامع إلى ما يصرفه في إصلاح الجامع وليس في يد المتولي شيء

من غلة الفائق فإذا رفع أمره إلى القاضي فإذن له بالاستدانة هل له أن يستدين ويوفي من غلة الوقف ثم يرجع فيما صرفه في غلة الوقف حيث الحال ما ذكر كذا مقاضي خان ؟ والله أعلم كتبه الفقير عبد الرحمن المفتي بقضاء إدلب الصغرى عفى عنه فحينئذ بموجب الفتوى الشريفة إذن مولانا الحاكم المومى إليه إلى حسن وكيل المتولي بأنه إذا احتاج الجامع إلى ما يصرفه في إصلاحه ولم يكن شيئ من غلة الوقف في يد حسن الوكيل المزبور يستدين ليوفي من غلة الوقف , ثم يرجع فيما صرفه من غلة الوقف كما هو مصرح في الفتوى الشريفة إذناً صحيحاً شرعياً وكتاب ما وقع في ختام رجب الفرد ١١٤٦هـ توافق ١٧٣٣م .

شهود / محمد جلبي بن الحاج قاسم جابر زوتيني / السيد الحاج أحمد أفندي الكاملي المفتي / السيد خليل جبلي بن السيد يوسف / ابن السيد ياسين أفندي / ابن السيد حسن أفندي / الشيخ عبد الله البياتي / السيد أحمد بن السيد محمد ديب / السيد محمد بن البيطار / الشيخ اليوسفي محمود عقرف / الشيخ عبد الرحمن بن ياسين / أخو الحاج عبد الكريم (محمود بن أسد أخوه أحمد درويش بن سلوم /عبد الرحمن بن قربوز / مصطفى بشة ترجمان " .. ثم توقيع وغيره ١١٤٦ هـ/١٧٣٣م تفيدنا الوثيقة يما يلي:١- تؤرخ لجامع الأقرعي مع وضوح نسبة الجامع إلى الباني الأصلي..٢-كثرة العلماء فيها ،في هذا إشارة إلي (ادلب الأزهر الصغير)٣-أسماء عائلات لم تعد موجودة اليوم..وأعتبرها من الوثائق الأهم عندي! ومن وثائق الأوقاف في سجل ضابطية ادلب هذه الوثيقة التي توضح لنا الكثير من معالم ادلب العمرانية سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م ... " دكان الشيخ زكريا كاملي وتمامه معصرة الحاج حميدان ،وغرباً ملك بيت سيان مع جميع دكان قريب جامع بن الأقرع المحدود قبله " والى شماليه كان يوجد منطقة اسمها رمينيني، وتعني عندهم دار الأيتام والعجزة ، والتي كانت وقفاً للجامع . ومن أوقافه بشكافا في المنطقة الرابعة تدعى الآن الشيخ زيتون ... وإلى الشمال من المسجد كان يوجد خان (النص)

رابعاً- مسجدالحجاز- الساحة (جبلاد) : يقع في المنطقة الأولى ، سمي بالساحة لإطلالته على الساحة التحتانية – ساحة الحجاز – وهو من أوائل المساجد في العهد العثماني مع جامع الحمصي ، ذكر الغزى إن لـ ((محمد – دون ذكر من هو – وقف مسقفات ٧ وجامع جبلاد وجامع الحمصي في إدلب سنة ١١٢١ هـ))[٦] توافق ١٧٠٩ م ولو حللنا قوله لوجدناه صحيحاً ، إذ مسجل في أوقاف إدلب يتبع هذا المسجد ٧ دكاكين ، وهناك وثيقة "تاريخها ٩٩٠ هـ تذكر أحد وجهاء قرية إدلب الصغرى الحاج جمال الدين بن محمد المشهور بالجبلاد" وبرأينا هو نفسه صاحب هذا الوقف ، وابنه جمال الدين ولو قدرنا أن أباه قد بنى المسجد قبل ٤٠ سنة من هذا التاريخ فيكون إنجازه قد تم حوالي ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م . وقد جدد أكثر من مرة إذ نقر في لوحة باحة رواقه الشمالي (جدد عمارة هذا السيد الحاج محمد نعمة جماد الأول ١١١٨ هـ) = ١٧٠٣ م وهو نفسه (حسين الشيخ نعمة) كما ورد في الوثائق الأخرى, له مدخلان غربي وشرقي والشرقي نقر على لوحة فوقه تاريخ ١٢١٧ هـ = ١٨٠٢ م وأما مئذنته

---

[٦] الغزي ٢/٦٢٠ .

(الصورة ٢٧٩) وثيقة وقف جامع الأقرعي١١٤٦هـ (في سجلات ضابطية ادلب)



(الصورة٢٨٠) ادلب مسجد جبلاد /الساحة عام ١٩٨٠ م-قبل هدمه




(الصورة ٢٨١) مسجد الساحة بعد تجديده١٩٩٠م

فكانت أقصر المآذن (الصورة٢٨٠)لجلب أحجارها من إدلب الكبرى ، ولم يتم بناؤها أكثر لوفاة المشرف ! وفي الداخل وجدنا أحجاراً منقوشة موزعة جلبت من إدلب الشمالية وترقى الى العهد المملوكي ، وكان فيه غرفتان للإمام وللمسافرين لمجاورته خان الفقراء وأما الدكاكين المجاورة فهي وقف له . وكذلك أوقف له الشيخ محمد محي الدين الكيالي (١١٧٥ ــ ١٢٤٥ هـ) قطعاً من أملاكه, وهو الذي سعى إلى رصف الشارع الغربي منه بالبلاط الى جامع المبلط . دَرّس فيه الشيخ نجيب الحميداني (ت ١٢٨٠ هـ) إذ كان يقيم حلقة درس في الحجرة الفوقية ومن تلامذته الشيخ محمد محي الدين الكيالي (ت ١٣٢٠ هـ) كما درس فيه الشيخ صالح حميداني حتى وفاته (١٢١٧ هـ/١٨٠٢ م) ودرس فيه العلامة عمر الشعاري (ت ١٣٠٧ هـ /١٨٨٩م) إذ اتخذ الحجرة العلوية للدروس الخاصة في أوقات السنة من التفسير والحديث والتوحيد واللغة العربية وغيرها . وتخرج على يديه الكثير من العلماء الأعلام ولم يبخل على العامة بقراءته لهم خلال شهر رمضان حسب العادة السائدة في إدلب .والغريب إنه لم يطلق عليه اسم جامع الشيخ حسين نعمة مع أن كامل الكيالي أشار((إلى أن حسين كان قد رمم المسجد الكائن في الساحة التحتانية وأنشأ رواقه الموجه قبلة)) ... وهو الذي كان مشرفاً على الأوقاف سنة ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤م ، وبكل أسف تم هدمه عام ١٩٩٥ عشوائيا ، دون الاحتفاظ بمعالمه الأثرية غير كتابنا هذا فتأمل ...!!!(الصورة٢٨١)

خامساً- جامع الشيخ فتوح : يقع في المنطقة الثالثة في الحي الجنوبي في حارة الحجي, مساحته نصف دونم و ٤م٢ = ٥٠٤م٢, نرجح إن بناءه يعود إلى عام ١١٢٠ هـ/١٧٠٨م تقريباً ، تبرع ببنائه الشيخ حسين نعمة (١٠٩٥ – ١١٧٥ هـ) والذي ساهم أيضاً ببناء بعض أقسام جامع المبلط ولم يبلغ الخامسة والعشرين, كما ساهم ببناء مسجد الشيخ اسماعيل ومقام الولي الكبير الشيخ محمد أبي التوتي (في مسجد الفنر) ومسجد الصباغة , سمى بالشيخ فتوح نسبة إلى الشيخ عمر الفتوحي (١٠٧٠ – ١١٤٥ هـ) الذي كان أول من درس وأرشد فيه ، وظل أحفاده يتولون الخطابة والإمامة فيه الى منتصف القرن العشرين ,وتعرض للتجديد أكثر من مرة ، فقد نقر في لوحة مدخل حرمه إنه" تم إفراد المصلى بتاريخ ١٣١٢ هـ" (الصورة ٢٨٢) ونقر أيضاً في لوحة على الجدار الغربي لباحته تاريخ ١٣٤٠ هـ, ونقر في لوحة مدخله الرئيسي (بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المكان سنة ١٣٧٦ هـ) = ١٩٥٦م ..

وأما مئذنته فتشبه مئذنة جامع الجوهري, وأمّا مدخله فقد قُصف بالطيران , وتمّ تجديده (الصورة ٢٨٣)



(الصورة ٢٨٢) - الكتابة مدخل حرم مسجد الفتوحي ١٣١٢ هـ



(الصورة ٢٨٣) مدخل جامع الفتوحي بعد تجديده ٢٠١٨م

سادساً- جامع بشير آغا : يقع في المنطقة الرابعة في الزاوية الغربية الشمالية في ساحة البازار مساحته ١٢٤٦ م٢ يدعوه العامة جامع الشيخ برغل على اسم أحد مشايخه توفي سنة ١٣٠٠ هـ ،وكما هو مسجل فوق شاهدة قبره، ولفرط حبه طعام البرغل ألصقت به هذه الصفة ، وقد ظل الناس الى منتصف القرن العشرين يحضرون ويوزعون البرغل قرب ضريحه . أما اسم الجامع الحقيقي وكما نقرأ فوق مدخله الخارجي - بشير آغا – وكما هو مسجل في أوقاف إدلب فمن هو هذا ؟ إنه أحد رجالات إدلب الكبار ووجوهها الكرام في السعي لبناء هذه البلدة والخير لها ، لذا ندعو إلى تغيير اسم ساحة البازار إلى ساحة عبد الله بشير آغا ,إذ لم يعد البازار يتم فيه .. إنه كان أحد المقربين جداً من السلطة العثمانية والمتنفذين فيها ، فعين ناظر أوقاف الحرمين الشريفين في إيالة حلب، وظل فيها ٤٢ عاماً وهي مدة لم يحظ بها أحد في التاريخ العثماني أو ولاية حلب ولعل السبب يعود إلى :

أولاً : تقربه من آل الكوبرلي ذوي النفوذ القوي ،وبقيت السلطة بيدهم زمناً – محمد باشا الكوبرلي وأسرته من بعده – وكما هو وارد في المرسوم السلطاني الصادر سنة ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٣م .

ثانياً : ولعل إخلاصه وتفانيه في عمله دفع السلطة العثمانية إلى منحه براءات سلطانية في هذا التاريخ – راجع بحث الأوقاف– وهي في لغة هذا القرن وسام الاستحقاق ، وفي هذا العام كان والياً على حلب الوزير المشير عسكر كوبريلي عبد الله باشا، وكما هو وارد في المرسوم الصادر في ٢٠ رمضان ١١٤٦ هـ وتفيدنا وثيقة مصدرها قاضي حلب وموجهة إلى الوالي سنة ١٢٦٣ هـ تذكر جامع عبد الله بشير آغا [٧] في شارع البازار وذكر الغزى إنه مسجل في وقفيات المحكمة الشرعية بحلب سنة ١١٣٤ هـ إن لـ بشير آغا في إدلب سبعة أراضٍ ومسجد في المحلة الغربية وهذا التاريخ يتطابق مع تاريخ المرسوم بتوليه منصب نظارة الأوقاف . وذكر الغزي أيضاً إن الكبرلي بنى داراً لمملوك له اسمه بشير آغا الذي أنشأ في إدلب جامعاً يضاف الآن الى

---

[٧] سر ٥٣ و ٣٣٦ ذكرت اسمه واضحاً (جامع عبد الله ابشير آغا) .

اسمه له مدفن فيه عدة قبور لأولاده [٨] ولكن لنا بعض التحفظ على هذا النص ، فالغزى يؤرخ له تواتراً عن السكان وهم يحفظون كبرلي واحد بل هم أكثر ، لذا فإن محمد باشا هذا كان قد توفي سنة ١٠٧٢ هـ . ويمكن القول إن بشير آغا لم يكن معاصراً له بل لمن خلفه من بعده وحسب الوثائق التي اطلعنا عليها . وأما قوله أنشأ جامعاً يضاف الآن الى اسمه له مدفن فيه عدة قبور لأولاده ، فهذا صحيح ، وبما أنه استلم منصبه كناظر أوقاف الحرمين في سنة ١١٣٤ هـ ثم استلم الى جانب منصبه الرئيسي هذا منصب المتولي على بعض أوقاف الكبرلي محمد باشا في سنة ١١٤٦ هـ في إدلب الصغرى ، فلا بد أنه الساعي لبناء هذا الجامع ... إذن يمكن القول إن بناءه تم حوالي ١١٣٤ هـ / ١٧٢١-١٧٢٢م .وبعد وفاته سعى ورثته لبناء مدفن خاص به يليق بمكانته فكانت هذه القبة المربعة ٧×٧ م على شكل الكعبة والقبر الآخر يحتوي على الوزير عبد الله باشا كوبرلي الذي توفي في ادلب سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م . حتى إنها بعد ما تحولت لمدرسة دينية كان يطلق عليها (كعبة العلم) وهي مبنية بنموذج عمراني متميز ، وزخرفة إسلامية جميلة ، تحيط بنوافذها ضمن إطار ، وتعتبر من الآثار الإسلامية الهامة بإدلب ، والتي ترقى الى زمن وفاته ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م ، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني تحول هذا المدفن الى مدرسة تعليمية دينية ظلت الى منتصف القرن العشرين، ثم أزيل مدفنه ،ومؤخراً في عام ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م رممها أصحاب الخيرات من أهل الحي ..(الصورة٢٨٤ -٢٨٦) وكان يجاور القبة للشرق شواهد عدة قبور منحوتةعلى الطراز العثماني كما في اسطنبول ، مما يشير الى مكانتهم الرفيعة حال حياتهم ، ونوافق الغزى على أنها قبور أولاده ... أزيلت في الخمسينات [٩] ،وقد شاهدتها حين كنت صغيراً, وبالإضافة للقبة هناك حرمه البسيط جداً ، بينما مئذنته السامقة المضلعة ، تشبه مئذنة جامع العمري ، لكنها أعلى منها .. ومما يثير التساؤل كيف أن هناك قبة أثرية جميلة دون حرم متميز معمارياً ..

---

[٨] الغزي ١/٥١٩ و ٢ / ٦٢٠ .

[٩] هناك قبور أخرى كقبر الشيخ محمد الذهبي بن الشيخ علي المعروف با ..... فراغ توفى ١٣٢٠ والذي كان نذره كبة نية, وقبر عين اليقين بنت الشيخ مصطفى الكامل والدة عمر زكي بك الطرابلسي قائمقام إدلب ١٣٣٨ هـ .

وكذلك مئذنته سامقة (الصورة٢٨٧)لاتتجانس مع هذا الحرم البسيط ، وحين كنت من رواده – كجامع حينا الغربي – كنت في حيرة حول هذا الموضوع سؤال لا



(الصورة ٢٨٤) الواجهة الشرقية للبناء المربع في مسجد بشير آغا-القرن١٧م



(الصورة ٢٨٥) جامع بشير آغا نقش النافذة الشرقية للقبة المربعة

نجد له جواباً غير القول إن هذا المسجد قد تعرض لزلزال ١٨٢٢ م وكما حصل في المسجد المجاور له الأقرعي ، فرمم ثانية بامكانيات متواضعة ، واحتفظ الأهالي ببناء المئذنة ثانية دون الحرم ، بينما القبة مازالت آثار الزلزال عليها ؟!!ولهذا الجامع وقف دكان في سوق الغزل, وهي الدكاكين المجاورة له على شارع البازار .ومن الوثائق المتعلقة بـ بشير آغا ناظر الأوقاف في إدلب والمسمى الجامع باسمه مسجد بشير آغا ,حول حصر إرث حصل في ١٠ رجب ١١٢٩هـ/١٧١٧م في " انتقلت الحرمة صفية بنت عبد الله معتوقت فخر الأماجد والأكارم الحاج بشير آغا المنحصر إرثها في معتقه المزبور (المذكور) وفي زوجها محمد بن محمود القصاب " مع تعدد للمواد . هذه الوثيقة تفيدنا إلى إحدى صفات بشير آغا بـ " فخر الأماجد والأكارم " وأن عنده عبدة / رقيق / قد أعتقها وتزوجت وما قد ملكته هو من خيراته .ومن وثائق الأوقاف





(الصورة ٢٨٦)- ادلب - جامع بشير آغا نقش مدخل القبة المربعة (الصورة٢٨٧مئذنة جامع بشير آغا

في سجل ضابطية ادلب هذه الوثيقة التي توضح لنا الكثير من معالم ادلب العمرانية " وغربا ً ملك بشير آغا مع جميع المحلة المحدود قبلة جامع الحمصي " ١١٤٥ هـ/١٧٣٢ م .

سابعاً- جامع الجوهري(جامع مكي) : يقع في المنطقة الثانية في حي الجوهري مساحته ٨٨٩ م٢ (الصورة٢٨٨)دعي باسم الجوهري نسبة للشيخ علي الجوهري (ت ١١٧٨ هـ) ونرجح بناءه حوالي ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م وهو الذي بدأ بهذا التقليد والذي ظل سائداً حتى الآن إذ كان يقيم في هذا الجامع في كل عام حفلة زاهرة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول لسماع قصة المولد النبوي ، فيدعو الناس على اختلافهم من اليوم العاشر . وفي اليوم الحادي عشر يجمع القراء ويختمون ختمات من القرآن يعقبها صلوات على النبي الى صلاة الظهر وبعدها غداء لمن يحضر ثم بعد العشاء من الليلة الثانية عشرة يجتمع الناس في الجامع لسماع القصة الشريفة من الأوراد وتقرأ قصة المولد وتوزع الحلوى حسب الوقت ثم تهليل وتكبير الى الفجر، وظل مثابراً على ذلك حتى وفاته ، وظلت أسرته تتابع هذا التقليد ،



(الصورة ٢٨٨) ادلب جامع الجوهري , رسم الفنّان عصام سيّد يوسف

(الصورة٢٨٩) وثيقة جامع مكي (١١٤٦هـ/١٧٣٣م

ثم تبع أهل الحي هذا الأثر وأما مئذنته فهي من المآذن الجميلة والقديمة وتشبه مئذنة جامع الأقرعي وبشير آغا والعمري والشيخ فتوح . وله وقف في بنش (أرض المرمعة) وفي المنطقة الثانية العنابة وهي أرض خيري أميري لصالحه درس فيه الشيخ محمد الجوهري (ت ١٢١٢ هـ) ..ورد معنا في الوثائق اسم جامع مكي /مكاوي ..وهذا الاسم لم يعد معروفاً في أيامنا؟لدى المتابعة تبين إنه الاسم القديم للجامع ،فآل جوهري هم أنفسهم يكنون بمكي،وهو جدهم الأعلى..: ورد في كتاب (الكاملي -الكيالي)اسمه جامع مكي ولم يحدد موقعه , ووقعت في حيرة أين هو هذا المسجد , وتريثت في كتابة بحث عنه , فلم يعد هذا الاسم موجوداً لدى الجميع .. حتى الوثائق الأخرى المشيرة إليه لم تحدده جيداً , فهل هو أحد المساجد الحاليه أو الداثرة ؟! ولكن هذه الوثيقة في سجل ضابطية إدليب المؤرخة سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م بنفس الاسم وفي المحلة الشرقية , وأوقاف خاص به في المحلة الغربية قرب

المحكمة , والذي أوقفته السيدة فاطمة زوجة الحاج بشير آغا ناظر الأوقاف في حلب وإدليب , والوارد اسمه في كثير من الوثائق .(الصورة٢٨٩) "حضر الحاج حجازي بن الحاج ابراهيم بن حمدون المتولي على الجامع المعمور بذكر الله تعالى المعروف بجامع المكاوي في المحلة الشرقية بادليب وأقر واعترف بحسب توليته على أوقاف الجامع المذكور قائلاً في إقرار وتقريره إني أجرت بحسب توليتي من حافظي هذه الوثيقة الشرعية الحاج عيسى بن معتوق ومن ابنيه الشيخ محمد وعبيد وهم استأجروا مني بمالهم دون مال غيرهم جميع المدار الخراب الواقع على الأرض مسقفه الكاين في المحلة الغربية قرب المحكمة التي كانت أوقفته الحرمة فاطمة قداين(السيدة صاحبة المقام) زوجة الحاج بشير آغا وهو مندرج في أوقاف الجامع المزبور (المذكور) حده قبلة المحكمة وشرقا طريق سالك وإليه الباب وشمالاً اجارة طويلة من يوم تاريخه إلى تمام تسعين سنة ثلاثين عقد كل منها ثلاثة سنين على أنه الحاج عيسى وابنيه الشيخ محمد وعبيد بعمران المدار المزبور (المذكور) بحيث أن يصاير ينتفع به بإجرة معينة قدرها ثلاثماية وستين غرشاً على أن يدفع منها في كل سنة أربعة غروش لي أو إلى كل من يكون متولياً على أوقاف الجامع المزبور إجارة طويلة صحيحة شرعية مشتملة على الإيجار والقبول من الطرفين والتسليم والتسلم من الجانبين بعد أن أخبر الحاكم الشرعي من ثقاة المسلمين عن تذكر اسماؤهم بذيله بأن هذا الايجار وهو أجر المثل وقيمة البدل وهي أنفع إلى الوقف وأصلح له وان المدار والحالة هذه خراب لا ينتفع به وانه إذا بناه الحاج عيسى وأعمره يحصل فيه الانتفاع التام للجامع المزبور أخيارا صحيحا شرعياً مقروناً باذن حاكم الشريعة المطهرة إقراراً وتقريراً صادرين من المتولي مصدقين من الحاج عيسى وابنيه الشيخ محمد وعبيد المستأجرين وحكم مولانا الحاكم المتوفي اليه بصحة الإجارة الطويلة من الاستئجار حكماً صحيحاً شرعياً مثولا فيه وكتب ما وقع في نصف ذي القعدة ١١٤٦هـ (شهود) السيد عبد القادر بن محمد جلبي حزوا / الحاج عيسى بن الشيخ يوسف / يوسف بن المعلم زين الدين / عمر جبلي الميكائيلي / شيخ زكريا الميكائيلي / اسماعيل بن مراد الحداد / وغيرهم .

ثامناً- جامع الشيخ خليل : يقع في المنطقة الأولى ، في الحي الشمالي في زقاق آل قصاص مساحته ٣٩٨ م٢ ، وتعتبر مئذنته هي الأقصر مع مسجد جبلاد (الصورة٢٩٠) .ليس في مسجد خليل ما يهم اثرياً غير نقش تزييني(٢٩١)، وفيه سدة تشبه التي في مسجد المبلط (٢٩٢) , نعتبره من المساجد العتيقة ،والتي لم يجر فيها إصلاح حديث(الصورة٢٩٣),نرجح يعود بناؤه إلى سنة١٢٠٠هـ/١٧٨٥م دعي بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ خليل الخليلي ت ١٢١٣ هـ,وهو قد كان أميناً للفتوى بإدلب الصغرى ثم أصبح إمامه. إلى جانب اسم خليل لتولي التدريس فيه ، من العلماء الذين لازموا هذا الجامع(محمد الفرضي الكيالي) ت ١٢٤٥هـ, وقع بين أيدينا وثيقة عثمانية تذكر "جامع شيخ خليل ١٢٦٦ هـ"=١٨٤٩ م تذكر وجود دكان وقف له ،قدآل إلى الخراب ،وكلف مصطفى قصاص بتولي إصلاحه٠٠في جدار باحته بعض النقوش والتي وجدنا مثلها في جامع المبلط, وهي في أصلها من إدلب الكبرى ، ومئذنته غير سامقة ، بنيت في الأربعينات من القرن العشرين .. وقع بين أيدينا وثيقة عثمانية تذكر "جامع شيخ خليل ١٢٦٦ هـ"=١٨٤٩ م تذكر وجود دكان وقف له ،قدآل إلى الخراب ،وكلف مصطفى قصاص بتولي إصلاحه (الصورة ٢٩٤)



(الصورة٢٩٠) مئذنة جامع خلبل



(الصورة٢٩١) نقش تزييني في حامع خليل





(الصورة٢٩٢) السدة في جامع الشيخ خليل (الصورة٢٩٣)جامع الشخ خليل –الحرم الداخلي العتيق

(الصورة ٢٩٤)وثيقة وقف جامع الشبيخ خليل١٢٦٦هـ/١٨٤٩م

تاسعاً- جامع المبلط (الزهراوي) : يقع في المنطقة الأولى – الحي الشمالي – فوق أرض كانت تدعى كشادر ... ؟ مساحته ٥٧٠ م٢ . يعتبر أحد المساجد الأثرية في البلدة ، فهو أحد المساجد القديمة فيها إلى أيام الكوبرلي .. .ولكن أبناء إدلب الكبرى حين هاجروا الى الصغرى ، نقلو من أحد مساجدها بعض أحجاره المزخرفة والتي ما تزال بقاياها قائمة ، وترقى إلى العهد المملوكي وهذا يتطابق مع الروايات المتواترة إن بعض مواده أحضرت من جامع إدلب الشمالية . أما تسميته بالزهراوي فيعود إلى أن أسرة الزهراوي كانت من الأشراف في ولاية حلب ، وتولى بعضهم عدة مناصب في نقابة الأشراف في

القرن الحادي عشر الهجري ، ويبدو أنهم قاموا بعملية تمويله نظراً لغناهم ، فغلب اسمهم عليه ،علماً بأن جد المفتي المذكور كان يدعى خليل خليل ت ١٠٣٨ هـ كان قاضياً بإدلب الصغرى في زمن نفوذ آل الزهراوي (١٠) وبجهودهم تم بناؤه ،إذ ورد في وثيقة وقف آل الزهراوي سنة ١٠٦٦ هـ/١٦٥٥ م و قف مصبنة في الحي الشمالي – انظر بحث المصابن والأوقاف –آل الكوبرلي، نرجح بناؤه يعود إلى مابعد عام ١٠٦٦هـ / ١٦٥٥م سنة وقف آل الزهراوي المصبنة في الحي الشمالي - انظر بحث المصابن و بحث الأوقاف – إذ ليس وارداً بتبرعهم بوقف مصبنة في الحي الشمالي دون مسجد، لعل هذه المصبنة قد أقيمت قبل المسجد بسنتين . ومن المتعارف عليه تبرعهم ببناء مسجد في هذا الحي , ونرجح البناء قد تم بعد سنتين أي سنة ١٠٦٨ هـ/١٦٥٧ م . ويبدو أن آل علي باشا هم الذين تولوا الإشراف على أملاك وأوقاف آل الزهراوي في منتصف القرن التاسع عشر، ومنهم الحاج مصطفى بن علي باشا ، المتولي على أوقاف الجامع المذكور الشهير بجامع الزهراوي في المحلة الشمالية بإدلب الصغرى كما أشارت الى ذلك وثيقة تعود لسنة ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م

.وأما أصل مئذنته المضلعة ، فمن مئذنة جامع الحمصي حين تم هدمه وبناء آخر مكانه ، بنيت سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ – ١٩٤٦ م وهي تشبه مئذنة جامع بشير آغا ، وفي باحته وعلى جدار الرواق الشمالي علقت لوحتان حجريتان(الصورة٢٩٥) نقر عليهما :

طلة باب جامعنا الذي يزهو برونقه على الجوامع

قيلا حسين بناه متبرعاً فثوابه باق وليس بضايع

وقد كانت هذه اللوحة فوق الباب الشمالي وتم تحبيرها ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
وأما اللوحة الثانية فقد نقر عليها :

جزى الله المعنى كل خير حسينا فهو في الخيرات طامع

بنى لله بيتاً أفاق حسنا على كل الجوامع

ويرغـب في الثـواب لنيل	جنات السـر اللوامع
له طيب الثـنا في كل جمع	وإن ثناه قد ملا المسامع
بجــود دايــم قد أرخوه	وإن بناه كل الخير جامع



(الصورة ٢٩٥) إدلب - جامع المبلط, نقش، و كتابات حسين نعمة

تم بناؤه في غرة ربيع الأول سنة ألف ومائة وعشرين وتطابق عام ١٧٠٨ م .. وتحيط هاتين اللوحتين نقوش اسلامية جميلة بإطار زخرفي لأشكال بيضوية متصلة ضمن دوائر تسع ليس بينهما تجانس في الترتيب فيها ورديات ونجوم متداخلة ، وهي في أصلها كانت موجودة في واجهة عقد باحة المسجد ، ونقلت الى هذا المكان عند القيام بتحسين الأروقة الخارجية عام ١٩٧٠م ، وكذلك يوجد مثلها في الجدران والركائز المجاورة وأيضاً في جامع الشيخ خليل موزعة بدون تجانس لجلبها من إدلب الكبرى . أما داخل الحرم فهناك ثلاثة بقايا أثرية ليست موجودة في جميع المساجد :

أ- **المحراب :** هو من أجمل محاريب مساجد ادلب في نقوشه الجميلة المحيطة به أفاريز داخليه وخارجيه , وفي أعلى الكوة الداخلية شريط زخرفي جميل , وفي أعلى المحراب لوحة عليها كتابة لم نتمكن من قراءتها لتشويهها بالدهان غير كلمات مثل (حسين) ... (الصورة ٢٩٦)



(الصورة ٢٩٦) محراب جامع المبلّط



(الصورة ٢٩٧) السدة في جامع المبلط



(الصورة٢٩٨)منبر جامع المبلط

يمكن القول إن هذه النقوش فيها تأثير سلجوقي - عثماني واضح , ويبدو أن النقاش هو من خريج المدرسة السلجوقية في النقوش الإسلامية .

ب- **السدة :** وهي معلقة فوق مدخل الحرم من الداخل , استخدمت لجلوس الأطفال إما للصلاة أو في المناسبات الدينية من أجل الإنشاد , وهي مؤلفة من أرضية خشبية حفرت على شكل شبكة وفي الجواني على شكل درابزين محفورة بثلاثة تصاميم مربعة وعلى شكل عواميد . ويبدو أن الذي قام بإنجازه هو نفسه الذي صمم وحفر المنبر .(الصورة٢٩٧)

ت- **المنبر :** لعله أحد أهم المنابر العتيقة في ادلب الكبرى الذي تم نقله إلى ادلب الصغرى ليوضع في هذا المسجد (الصورة٢٩٨) مؤلف من درج خشبي وجانبين بحفر نافر على شكل مستطيل قائم وفي الأسفل فتحات على شكل قبة مسجد , وفي الخلف أيضاً فتحات نصف دائرية وبأسفلها تقويسه على شكل باب , وأما واجهته الأمامية المؤدية إلى الدرج فقد حفر عليها شكل نافر بوريدات , ويعلوه شكل نسميه (التاج) المشكل من مستطيل يحوي فراغات دائرية , في الأعلى زخرف بديع الشكل , وفي نهاية الدرج المنصة عليها سقيفة على شكل قبة جامع .ولم ينقر على المنبر المملوكي الخشبي من صنعه , بل كتب عليه فيما بعد (نقبل

من حسين مابنا) وهو الشيخ حسين نعمة (١٠٩٥ ــ ١١٧٥ هـ) تبرع ببناء بعض أقسامه وهو لم يبلغ الخامسة والعشرين ، وهو الذي تبرع ببناء جامع الشيخ فتوح, كما ساهم ببناء مسجد الشيخ اسماعيل ومقام الولي الكبير الشيخ محمد أبي التوتي (في مسجد الفنر) ومسجد الصباغة . وأما حكايته فإن الشيخ العالم محي الدين الكبير الكيالي ت ١٢٠٨ هـ(قد تصدر للتدريس فيه لقربه من داره ' وكان الجامع متهدماً وأوقافه مبعثرة ، فاهتم به بالسعي لترميمه ، ولما سمع السيد حسين آل الشيخ نعمة ، استأذنه بذلك وجدد قبلية الجامع وبابه ، وكان أمامه فسحة تابعة له ، بوسطها جب ماء ، فحفها ورصفها بالبلاط ، ومن ثم اشتهر بالجامع المبلط الى يومنا هذا ، والمحلة تنسب إليه ، ثم بنى حجرة من جهة الشمال ومن ورائها الميضأة ، وكانت هذه الحجرة مكاناً لرواد العلم [١٢] . وفي مطلع القرن العشرين رممه وأصلحه الحاج أمين بن السيد محي الدين بن الشيخ محمد الكيالي مع جماعة من أهل المحلة ، وبنى بجانب المسجد من جهة الغرب مستطيلة أدخلها على ساحته . وقد هدمت حوالي عام ١٩٥٧ لحاجة أهل المحلة لتوسيع الجامع للصلاة مما تقدم يتوضح لنا إن المسجد كان قائماً قبل هذا التاريخ ١١٢٠ هـ بزمن ... وأما الشيخ محمد بن محي الدين الكيالي (١١٧٥ ــ ١٢٤٥) ــ بعد والده ــ فقد أوقف له قطعاًمن أملاكه ، منها معصرة الى الشمال واردها لصالحه وهي مسجلة حتى الآن في أوقاف إدلب إن من موارده ولصالحه معصرة تحت الأرض ولكن هذه المعصرة لم يعد لها وجود فتأمل !وهذا هو الذي سعى بالخير لرصف الشارع بالبلاط من باب جامع المبلط الى الجنوب حتى باب جامع الساحة الغربي ...وأما حسين هذا فيبدو أنه كان متولياً على أوقاف الكوبرلي مع أخيه عبد الكريم سنة ١١٤٧ هـ ، وله النفوذ القوي لدى السلطة العثمانية، وكما هو واضح في المراسيم السلطانية.

---

[١٢] هذه المعلومات أخذناها عن مخطوط كامل الكيالي ويراجع بحثنا عن الأوقاف حول دور آل الشيخ نعمة في بناء المساجد وتوليهم الأوقاف .

عاشراً- جامع الحمصي : في المنطقة الرابعة مساحته ٥٠٤ م أحد الجوامع القديمة بإدلب..(الصورة ٢٩٩-٣٠٠) ذكر الغزى إن لـ محمد(دون شرح من هو) في إدلب وقف مسقفات ٧ وجامع جبلاد وجامع الحمصي سنة ١١٢١ هـ [١٣] وقد تبين لنا أن محمد هذا هو المشهور بالجبلاد أحد وجوه إدلب في منصف القرن العاشر الهجري . إذ ذكرت وثيقة تاريخها ٩٩٠ هـ ابنه جمال الدين بن محمد المشهور بالجبلاد من قرية إدلب الصغرى في قضاء سرمين . ولو قدرنا أبوه قد عاش قبله بـ ٤٠ سنة لكان بناء هذا المسجد حوالي ٩٥٠ هـ فيكون هو ومسجد الساحة من أوائل المساجد بإدلب في العهد العثماني – انظر بحث مسجد الساحة . جدد هذا المسجد سنة ١٣٦٥ هـ /١٩٤٥-١٩٤٦ م ونتيجة التجديد قلت مساحته ، ونقلت مئذنته القديمة الى جامع المبلط في الحي الشمالي ، وهي تشبه مئذنة جامع بشير آغا وأما مئذنته الحديثة مشكلة بموقفين ، وهي من المآذن الجميلة ، وحين يشعل الضوء في المغرب يتم إطلاق مدفع الإفطار في رمضان . كان فيه قبر لأحد مشايخ حمص والذي سمي باسمه ويقال إنه من بيت قريد الحمصي وقد أشارت إليه الوثيقة التالية بتاريخ ١٢٦٧ هـ الموجهة من قاضي حلب الى الوالي ((من ملحقات أوقاف مدينة حلب التابعة لنظارة الأوقاف السلطانية وقف جامع الحمصي في قصبة إدلب كان يتولاه الشيخ عمر بن عبد الجبار السرميني ، وقد ثبت إهماله لإدارة الوقف ، وظهر العجز في إدارة الأوقاف والتلاعب في مدفوعاته ... وهو غير مؤهل فجرى اختيار أحد المشايخ من أرباب الاستحقاق ، الذي تجاوز سنهم الخدمة العسكرية ، وهو الشيخ محمد بن الشيخ محمد امين عيد ، والمعروف باللياقة والأهلية من كل الوجوه ، للحفاظ علة إعمار الوقف وصيانة وارداته من التلف والضياع وإنه صاحب خبرة في إدارة المحاسبة التي يتولاها منذ ١٢٦٢ هـ الى نهاية ١٢٦٦ هـ أي خلال خمس سنوات ، وإنني إذ أرفع صورة عن ملف إضبارته نلتمس منحه براءة شريفة مجدداً ليكون بديل الشيخ عمر سرميني ... [١٤] . تصدر

---

[١٣] الغزي ٢/ ٦٢١ .

[١٤] س. أ = ٥٦ و ٨٠ .

للتدريس فيه الشيخ ياسين الكاملي (ت ١١٧١هـ) وكذلك الشيخ محمد نافع شامي في الستينات من القرن العشرين .



الصورة٢٩٩) جامع الحمصي صورة الى الستينات في القرن ٢٠م. تظهر بقايا السوق الجديد



(الصورة٣٠٠) المدخل الرئيسي لجامع الحمصي

ومن المتعارف عليه حينذاك في سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٤م حين إبطال خطبة الخطيبين يأتيان إلى ضابط ادلب للإعلان عن فسخ الخطبه فقد حضر " وكيل عن بنت البكر " وقد وردت كلمة البكر غير مرة في الوثيقة ،ولا يكتفي بذلك ولا بد من حضور شهود منهم علي أفندي مفتي زادة ومصطفى بن الحمصي والحاج حسين جلبي العنز والشيخ زكريا جلبي ميكاييلي وغيرهم .. حين جدد جامع الحمصي راح نصفه في الشارع. وقيل كان فيه قبر قبل هدمه ولعله الباني الأول للجامع.ومن وثائق الأوقاف في سجل ضابطية ادلب هذه الوثيقة التي توضح لنا الكثير من معالم ادلب العمرانية " وغربأملك بشير آغا مع جميع المحلة المحدود قبلة جامع الحمصي " ١١٤٥ هـ /١٧٣٢ م . حين جدد جامع الحمصي راح نصفه في الشارع. وقيل كان فيه قبر قبل هدمه ولعله الباني الأول للجامع.

حادي عشرً- جامع الشيخ نعمة : يقع في المنطقة الثالثة غربي جامع الكبير، وهو مهدم الآن، بني حوالي عام ١١٤٥ هـ /١٧٣٢م ورد في الوثائق المؤرخة سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م(في سجل ضابطية إدلب) ذكر لجامع السوق وجامع العمري وجامع الحسين نعمة ومعصرة حميدان وجامع ابن الأقرع وجامع الحمصي.. جميعها في إدلب الصغرى ،وخان الوزيرين ،وهي في معظمها لها وقف ,وبانيه هو الشيخ حسين نعمة (١٠٩٥ -١١٧٥ هـ) صاحب الخيرات في البلدة ،و في تجديده جامع المبلط ومسجد جبلاد في ساحة الحجاز, وبناء جامع الشيخ فتوح كما ساهم ببناء مسجد الشيخ اسماعيل ومقام الولي الكبير الشيخ محمد أبي التوتي (في مسجد الفنر) ومسجد الصباغة . وإشرافه على أوقاف الكوبرلي. ولم يبلغ الخامسة والعشرين. ومن أوقاف (المرحوم محمد باشا الوزير الكوبرلي طاب ثراه ومرقده) الواردة في وثيقة سنة ١١٤٤هـ/١٧٣١م " تأجير دار بالمحلة الشمالية مع كل ما يلحق بها من محلات, ولدى محكمة إدلب الصغرى وبحضور عمدة قضاة المسلمين فخر الموالى والمدرسين الحاكم الشرعي الحاج حسن بن المرحوم أبو بكر حقي باشا بن المرحوم رستم باشا فخر التجار الكرام..

من سكان قصبة إدلب الصغرى. وأشارت إلى المتولي على الوقف وهو الشيخ محمد أفندي بن الحاج أمين أدوقتا ؟ !" وكذلك ذكرت" البازركان (تاجر قماش) الحاج حسين جلبي بن المرحوم الحاج أحمد نعمة من أعيان إدلب بأنه يتولى الوقف بنفسه طيلة مدة حياته للجامع الذي يريد بناءه على سطح (فسحة أو ساحة صغيرة) خانه الذي كان قد بناه أولاً وقفاً لمفتي مكة ومفتي المدينة وفقراء الحرمين".(الصورة٣٠١)

ثاني عشر- جامع الصليبة : يقع في المنطقة الرابعة الى الشرق من جامع الحمصي مساحته ٤١٥ م ، ويدعى أيضاً جامع العبد لوجود قبر ولي يدعى محمد العبد ؟ وهو بسيط في بنائه ولكن فوق مدخل الحرم كتابة ضمن إطار بسيط في تسعة حقول (إن سليمان لقد / أمام للخير مقالا / في بنا هذا المصلى / راجياً نيل المرام / وطالباً من ربه / النجاة في يوم الزحام / لذا ترى التاريخ مؤرخاً/ بالند والمسك ختام / في غرة محرم ١٢٩٠هـ) = ١٨٧٣م

.(الصورة٣٠٢) وقد كان مدرسة تعليمية تخرج منها الكثير وكان الشيخ محمد الخيزراني (ت ١٣٣٤ هـ) قد درّس فيه ...

(الصورة٣٠١) وثيقة هامة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م(في سجل ضابطية إدلب)الجوامع



(الصورة ٣٠٢) لوحة حجر تدشين جامع الصليبية١٢٩٠ه=١٨٧٣م

ثالث عشر- جامع علي عياشي : يقع في المنطقة الثالثة ، في مدخل حي العياشي ، وهو وقف لصالح جامع الشيخ إسماعيل هدم عام ١٩٣٩ – ١٩٤٠ م عند فتح الشارع الرئيسي وبني مكانه محلات تجارية مطلة على الشارع الرئيسي ...

أربعة عشر- مسجد سوق الجديد : بني عام ١٣٢١ هـ / ١٩٠٢ م وهدم في الأربعينيات لتحل مكانه محلات تجارية ومازالت اللوحة معلقة فوق أحد المحلات , بل هو زاوية بنتها السلطات لأتباع المذهب الحنفي , إذ غالبية سكان ادلب من أتباع المذهب الشافعي .

خمسة عشر- جامع قريد : كان يقع في نهاية سوق الجديد والصياغ وفي مدخل سوق القندرجية هدم عام ١٩٦٠ م عند فتح الشارع الرئيسي في البلدة وليبنى مكانه محلات تجارية جديدة ، هي ملك للأوقاف مع امتداد شارع شكري القوتلي لوحته الحجرية الجميلة نقر عليها:

((١-إنما يعمر مساجد الله من / آمن بالله واليوم الآخر .

٢-أحمد في الخير راغب /ولــعفو الله طــالب

٣- قــد بنى لله بيتــاً /خالصاً عن الشــوائب

٤- فجــزاه الله خـيراً /إنــه أكـرم واهـب

٥- إن تــورخ قل جاز/فلـه الخيـر مصاحب)) (الصورة٣٠٣)



(الصورة٣٠٣) لوحة تدشين جامع قريد١٢٦١ه=١٨٤٥م

يمكن القول بأن بانيه أحمد قريد عام ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م ، وهو من العائلات القديمة بإدلب والتي مازالت تقطن البلدة ، وكان هذا الجامع مدرسة دينية سميت(بالخسروية الصغرى) على منوال الخسروية بحلب نسبة الى خسرو باشا ، وذكر الطبيب محمد نعمة أنه تعلم " في جامع قريد في سوق الصاغة، والشيخ فياض هو الذي يعلمهم قراءة القرآن، وفي بعض الأحيان يعلمهم الكتابة نقلاً عن السور القرآنية , وكان الايوان الكبير المفروش بحصر القش يتسع لأكثر من ثلاثين طفلاً

ستة عشر- مسجد الصباغة : يقع في المنطقة الرابعة عند زقاق البوس مساحته ١٦٦ م٢ . ويسمى ايضا مسجد الدباغة لقربه من سوق الصرماياتية . عمّره الشيخ حسين نعمة (ت ١١٧٥ هـ) حوالي عام ١١٢٥ – ١١٣٠ هـ ، هو بسيط في بنائه كأنه حجرة . واحدة ذكره الكيالي باسم مسجد الصباغة ،

انقطع في حجرته أبو السعود الكيالي (١٢٥٠ – ١٣٠٤ هـ) لقربه من داره , ومع ذلك فقد جدد عام ١٩٩٢ م . مسجد زاوية الصباغة له اسم ثانٍ هو الهندي لو جود قبر فيه لأحد علماء الهند الذين استوطنوا في إدلب، وأشرف عليه زمناً..كما سمى مسجد الصباغة باسم أقدم هو مسجد نعمة كونهم هم من سعوا لبنائه من مالهم الخاص، أي يعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

سبعة عشر - مسجد الوزيرين : يقع في المنطقة الرابعة مساحته ١٩٦م[٢] مؤلف من فسحة سماوية ، وغرفة مسجد وليوانين سمي بالرز لمجاورته خان الرز يعود تاريخه إلى زمن بناء خان الوزيرين - الرز المواجه له سنة ١٠٦٥ هـ / ١٦٧٠ م (انظر بحث الخانات) وأشار إليه الطباخ بقوله ((يوجد جامع أمام خان الرز ...)) . هدم عام ١٩٨٠ م لفتح شارع مكانه .

ثمانية عشر - جامع شهاب : يقع في المنطقة الرابعة قرب حمام الميري مساحته ٢٩٤ م[٢] . كان في أصله زاوية، وسجل عام ١٩٤١ م كجامع ليجدد مرة أخرى ... وسمي بالشهاب لأن أصل المكان منزل لبيت شهاب ، قد يكون المكان سابقاً وقف لإسم الزاوية السعدية الواردة في الوثائق ؟.

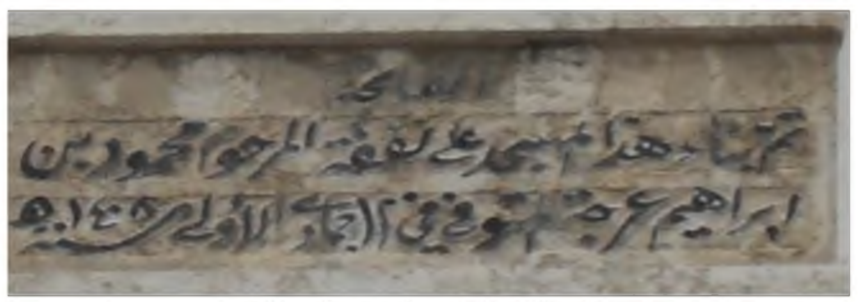
تسعة عشر- مسجد الشيخ اسماعيل : يقع في المنطقة الثالثة مساحته ٢٣٠ م[٢] وقف له جامع علي عياشي ، مؤلف من طابق أرضي ومدخل مكشوف ومحل عبادة وغرفة سكن وفسحة سماوية و ٣ آبار بناه حسين نعمة كما ذكر كامل الكيالي في مخطوطه في ترجمة له " وأنه بناه في القسم الجنوبي من ادلب الذي له بابان غربي إلى زقاق آل الفنر، وباب شرقي إلى الجادة العامة الموصلة إلى فسحة حارة الحجة .. " كما ورد في سجلات الأوقاف . ونرجح يرقى بناؤه للربع الثاني من القرن الحادي عشر الهجري بموجب وثيقة (١١٤٠ هـ) عندنا تذكر حفيده درويش بن عبد القادر بن الشيخ اسماعيل وهو الذي سمي باسمه ، اذ تذكره الوثيقة باسم الشيخ اسماعيل من المحلة الشرقية .

عشرون- مسجد عاشور : يقع بجوار حي العياشي . أزيل مؤخراً

الحادي والعشرون- مسجد يوسف المعلم : يقع في المنطقة الثانية بجانب جامع الجوهري . أصبح مدرسة .

مســـــــــــــــــــاجد حديثة:

- جامع عرجة:في حي الصليبة ١٤٠٥ه(الصورة ٣٠٤)بني في مكان زاوية العريان،بناه محمود بن ابراهيم عرجةهـ١٤٠٥



(الصورة٣٠٤)لوحة تدشين جامع عرجة. ـ١٤٠٥هـ

- جامع صلاح الدين الأيوبي : في المنطقة الخامسة في حي أبو الحسن حوالي ١٩٧٥م .
- جامع خالد بن الوليد : في المنطقة الأولى شيد عام ١٩٨٢ م من قبل آل برهوم.
- جامع المجاهد : في المنطقة الرابعة غرب ثانوية المتنبي شيّد عام ١٩٦٦ م بطابقين.
- جامع الفرقان : في المنطقة الرابعة – الحي الغربي – ضبيط شيّد عام ١٩٧٩ م .
- جامع بدر : في المنطقة الأولى ١٤٠ م^{٢} – طابق أول شيّد ١٩٨٥ م
- جامع الروضة : في المنطقة الخامسة – حي القصور شيّد عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م (الصورة٣٠٥)


(الصورة ٣٠٥) جامع الروضة عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

- جامع عمر بن الخطاب : في المنطقة الثانية شيّد عام١٩٨١ م
- جامع الصديق: في المنطقة الخامسة شيّد عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٦ م
- جامع بركات : على طريق دينيت شيّد في ٩ جمادى الأول ١٤١٤ هـ ١٩٩٣/١٠/٢٤
- جامع أبي ذر الغفاري : في حي القصور, أصبح أحد الجوامع الكبرى لتشكله من طابقين بواجهة جميلة نقش فوقها :(محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على)


(الصورة ٣٠٦) جامع أبي ذر الغفاري ١٩٩٠م

الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) ودائرة فيها جامع أبي ذر الغفاري شيد عام ١٩٩٠م. (الصورة ٣٠٦).

جامع الكسيح : يقع في المنطقة الخامسة بني عام ١٩٦٠م مجاوراً للثكنة العسكرية القديمة , وسمي بالكسيح نسبة للأرض التي بني فيها , لأن هذه الأرض وما يجاورها كانت غنية بالأشجار وتم قطعها (كسحها) فسمي الحي بهذا الاسم (الكسيح) .

- **جامع سعد ابن وقاص:** في المنطقة الخامسة في حي الثورة : دشن سنة١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م (الصورة ٣٠٧)
- **جامع شعيب:** في حي الأشرفية: هو أحد أكبر المساجد الحديثة،تبرع ببنائه أحد ابراهيم شعيب ،المغترب في بلجيكا سنة ـ ١٤١٦ هـ /١٩٩٦م (الصورة٣٠٨)
- **جامع بلال** : في حي ضبيط ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م
- **جامع الحسين**: في حي الجامعة: دشن سنة١٤٠٦هـ
- **جامع الحسن**: في المنطقة الخامسة جنوبا:
- **جامع التوحيد** : في المنطقة الخامسة ١٩٩٤م .
- جامع الأبرار: في المنطقة الخامسة ٢٠٠٤م
- **جامع الحياة:** في حي القصورعمربه فاعلة خير..وأخر جامع يبنى هو جامع أبوعبيدة بن الجراح الأرض من آل رنة ،والعمارة مشتركة مع الأهالي سنة٢٠١٨م
- **ملحق - جامع علي حلاق :** في إدلب عائلة حلاق وهي مشهورة إلى اليوم أصلهم من الحي الشمالي . قد قرأنا في سجل ضابطية ادلب سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م في استئجار دار للوقف بالمحلة الشمالية بأنه يوجد إلى الشرق منها جامع الحاج علي بن حلاق والدار هي وقف له من قبل الست خديجة وقد وقع على الوثيقة مولانا ابراهيم افندي المفتي بادلب والحاج

حسين جلبي بن الشيخ نعمة وأنبلار والكلزي)). واسمه وارد في هذه الوثيقةحسين نعمة هو الذي قام بإصلاحه.هل هو جامع المبلط؟!



(الصورة ٣٠٧) جامع سعد بن أبي وقّاص١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م

(الصورة٣٠٨) جامع شعيب ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م

،فقد ورد خطياً عند كامل الكيالي أنه سمى هكذا كونهم بلطوا أرضه بالحجر مع الزقاق المجاور فسمي زقاق المبلط .وإني شخصياً لا أحب هذا الاسم جامع المبلط مع احترامي لمن يحبون هذا الاسم ،فهو لا يميزه عن غيره حضارياً بهذا الاسم ،فمعظم المساجد بلطت. حبذا لو أعيد اسمه الأصلي جامع الحلاق الوارد في الوثيقة المؤرخة عام١١٤٥هـ/١٧٣٢م...

القسم الثاني : الزوايا والتكايا

الزوايا اسم جمع مفردها زاوية ، أطلق هذا الاسم على كل مسجد صغير فيه شخص يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد في العهد المملوكي ، وفيما بعد يطلق عليها اسم بانيها أو موقفها أو شيخها ، وهي الآن كل مسجد صغير ليس له

مئذنة ، وليس له منبر يخطب عليه لصلاة الجمعة ، ولم نتمكن من معرفة أي زاوية هي الأقدم ، غير زوايا آل الكيالي ، وإن كان بعضها بدون تاريخ يحدد تاريخ بنائها كغيرها ، بل دلنا عليها وجود قبور بعض المشايخ كما سنبين ذلك . ساد الاتجاه الصوفي في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر لنفوذ أبى الهدى الصيادي من أبناء خان شيخون في السلطنة العثمانية – شيخ الإسلام – وصار له أتباع ومريدون ومنهم آل الكيالي في المحافظة في إدلب وسرمين ، كذلك اتخذت الصوفية كوسيلة للإعفاء من الخدمة العسكرية كما هو حاصل مع آل الكيالي وغيرهم وما رســالة الشــيخ طاهر الكيالي لاسطنبول غير دليل على ذلك [١٥] . وننوه إلى أن آل الكيالي قد تمتعوا بمكانة خاصة في الدولة العثمانية , بنسبهم إلى آل الرسول (ص) وعلمهم الديني , فالشيخ عبد القادر الكيالي دفين اسطنبول قد كان له زاوية هناك، وقد زاره ابنه .

ذكر كرد علي في خطط الشام عام ١٩٢٠ م وجود ١٥ تكية وزاوية بإدلب وعملها ، وأما السالنامة العثمانية لعام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م ذكرت وجود ٧ تكايا و سالنامة عام ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م ذكرت وجود ١٥ زاوية وتكية .

وفي مطلع القرن العشرين سعى وجهاء البلدة الى بناء زوايا في أحيائهم ، تثبيتاً لمكانتهم الاجتماعية أو غيرة من غيرهم ، وهذا الرأي بيناه من خلال وجود عدة زوايا بنيت في وقت واحد ، واليوم لم يعد يسعى أحد لبناء زاوية خاصة بحيه ، لضعف الارتباط الاجتماعي وتوزع العائلات بين الأحياء ، ولرغبة بعضهم ببناء المساجد بديلاً عن الزوايا !

١- **زاوية المواهبية الكيالي** :تقع في المنطقة الثانية مساحتها ٨٦٠ م٢ مؤلفة من عدة غرف وباحة واسعة وهي الآن مدرسة رسمية . (الصورة) وقيل إن اسمها أيضاً زاوية زهدي الكيالي ؟ وفعلاً قد وجدنا في غرفة المدفن لوحة مستطيلة الشكل مقسمة إلى أربع حقول في الأعلى مكتوب فيها :(١- فضل الله المصطفى شهادة فضله . ٢- مُعَلمٌ بيتاً وهو للخير

لائق . ٣- فجازى الله الذي يبر القول مؤرخُ. الصورة (زاوية المواهبية الكيالية) ٤- بصحبةآ ل الكيال ليعدوا شهودو)

وفي الأسفل حقلين صغيرين أحدهما مشوه والآخر مكتوب فيه (أحمد ؟ زهدي الكيال) (الصورة٣٠٩ -٣١٠)



الصورة (٣٠٩) إدلب - زاوية المواهبية الكيالية



(الصورة ٣١٠)الكتابة الأقدم في الزاوية

وهذا دليل على أن التسمية صحيحة . وفيها دفن عمر الكيالي مواليد ١١٩٩ هـ , كان نقيباً للأشراف ومتسلماً (حاكماً) لإدلب ، (واعتبرت) مدفناً لآل الكيالي وقد تم بناؤه لوفاة عمه السيد محمد حافظ الكبير ؟ وفي هذه الزاوية نقر على لوحات حجرية في الباحة فوق مداخل الواجهة الجنوبية ما يلي(١- إ ن هذا البنـاء حقاً قد تـم/ زاده الجــامع مجيداً منارة٢ - فجزى الله ساعياً فيه خيراً/ ما أقام الإسلام شـــاد جدا

٣- بين ذكر ودرس علم فأرخ/ للقبور وللجدار لاحت شاره) وفي اللوحة الثانية :

١- نبع الخير بالأفراح بيدي/ دعا بالشرع ومنا مجده ٢- رجل السرور فطاب مثوى / ثــم الملك فيه تقدمه

٣- موتاى ولـدتم زهـــاد/ فــأرخ هاج هلاله.

وفي اللوحة الثالثة : ١ - لله بنـيت للتقى / والذكر بالخير تجدد

٢ - زاهد فأبا برضوان / وعبد الله محـمد

٣ - فمن الله التـوفيق/شـيد أرجو فترشد (الصور ٣١١-٣١٢)

ويبدو أنها ترقى إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري ؟ .


(الصورة ٣١١) النقش الكتابي الأول في الزاوية


(الصورة٣١٢)النقش الكتابي الثاني في الزاوية

لقد تم في الواقع إنجاز حضاري (كـ مجمع خدمي) في هذا الموقع -أولاً- كزاوية دينية وثانياً- كمدرسة وثالثاً - حمام مجاور شمالاً٤- وإلى الشرق داره الواسعة والتي كانت أيضاً مضافة ودار علم .

٢- زاوية الشيخ محمد بن الشيخ يحيى الكيالي (تكية الفقراء):

تقع في المنطقة الثانية مساحتها ٢٦٣ م٢ الى الشرق من مسجد الساحة وخان الفقراء . واجهتها الشمالية تطل على جادة الميشر، مقوسة في الأعلى ومصطبتان يتصل بهما ضفيرتا جدائل بنحت نافر ، وأشكال بيضوية متأثرة بالمدرسة السلجوقية في النحت . سميت بكتية الفقراء لمجاورتها خان الفقراء .تأسست سنة ١٢٩٨ هـ من قبل محمد يحيى الكيالي(ت ١٣٠٥ هـ) والذي كان من قيل رئيساً للبلدية ،وفي أصلها كانت موقعاً لقهوة وداره بجانبها ولما استاء من وجودها سعى الى ابتياعها فتم له ذلك . وأسس أولاً المسجد لإقامة الشعائر الدينية ثم سافر الى إسطنبول وقابل السلطان عبد الحميد الثاني وحصل على فرمان عثماني بإتمام التكية في المسجد مع رصيد ميزانية لها من أوقاف حلب ، وعاد إلى إدلب وأتم عمارة المسجد والتكية ، وهي مهملة الآن وتابعة لأوقاف إدلب (الصورة٣١٣-٣١٥)



(الصورة٣١٣)واجهة زاوية الفقراء



(الصورة٣١٤)
نقش العضادة



(الصورة٣١٥)نقوش زخرفية

٣- زاوية الشيخ محمد محي الدين الكيالي :تقع في المنطقة الأولى مساحتها ٢٥٦ م٢ وهي مجاورة لحمام المحمودية بناها الشيخ محمد بن محي الدين الكيالي (ت ١٣٢٠ هـ) ونرجح ١٣١٠ هـ مع غيرها .



(الصورة٣١٦)القسم الشرقي من زاوية سيف

٤- زاوية الشيخ سيف :

تقع في المنطقة الثانية مؤلفة من غرفتين . وكانت مدرسة كتاب وفيها مدفن يقال إنه للشيخ سيف ؟**(الصورة٣١٦)**

٥- **زاوية عبسي دويدري :** في المنطقة الثانية مساحتها ١٤٩ م٢ نقر على لوحة فوق مدخلها :

١. بنى العبسـي للتدريـس بيتاً /وفيه يبتغي وجه الكـريم
٢. وأخلص لما نـواه وهو يرجـو/فيوضات الملك العلي
٣. ومن يبدع بها إبداع سـوء/رماه الله بالـسوء العميم
٤. وداعي الرشد بالتاريخ نادى/والحمد شاد مدرســة العلوم سنة(١٣١٠ هـ) = ١٨٩٢م . والجدير بالذكر أنها شيدت في عام تشييد زاوية سفلو فأيهما سبق الآخر ؟! (الصورة٣١٧)



(الصورة٣١٧)لوحةزاويةدويدري١٣١٠هـ

٦- **زاوية حربا :** تقع في المنطقة الأولى محلة مبلط نقر فوق مدخلها : (الصورة) ١- بنا هذا المسجد لوجه الله . ٢- العبد الراجي عفو مولاه . ٣- الحاج محمد حربا رحمه الله . ٤- سنة ١٣٠٠ هـ . توافق ١٨٨٣ م

٧- **زاوية التقايا :**في المنطقة الأولى شرق جنوب زاوية حربا مؤلفة من إيوان وغرفتين وباحة وبئر فوق مدخل الحرم لوحة نقر عليها : ١- يرجو من الله حسن الختام .٢- عبد الرحمن اعمام .٣- رحمه الله في ١٢٩٨ هـ . توافق ١٨٨١م

٨- **زاوية الحاج حمود بالق :** في المنطقة الثانية ١٠٦ م٢ وهي عقار من غرفتين للصلاة والتدريس ولها أرض كرم زيتون ولها وقف في صوفان؟

٩- **زاوية بالق :** في المنطقة الثانية ٧٤ م٢ بجانب جامع الجوهري .

١٠- **زاوية الحاج ربيع :** في المنطقة الأولى في موقع محمد نوري/ ٢٦٦ م٢ مؤلفة من طابق ارضي ذي فسحة سماوية ورواق ودرج ولها ارض وقف في جرناز(و سيرد البحث عنها في الجزء الثاني) وأما بانيها فهو الحاج

محمد حسين ربيع احد وجهاء ادلب وكما هو منقور على بابها (بنى هذا المسجد ابتغاء رضوان الله تعالى عام١٣٠٩ هـ) توافق ١٨٩٢م وفي الداخل فوق الباب كتب :محمد قد بنى بيتا لله ....(مكسور) اقدر ٢- حباه الله في الجنان بيتا كما اصبح وبيت الجنة مبشر٣-حلا تاريخه ربيع الله دعا داع الهدى الله اكبر ١٣٠٩ هـ .

١١- زاوية صالح بن حاج محمد عبيد : في المنطقة الثالثة ٣٥٧ م٢بنيت عام ١٣١٩هـ وهي الآن مدرسة للعلوم الشرعية.وتفيد وثائق الأوقاف بأن لها وقف في أرض المكسور (تم هدمها)

١٢- زاوية الجوهري : تقع في المنطقة الثانية، في الحي الشرقي ،جنوبي زقاق آل الجوهري..مهجورة ،ولم يتم الإهتمام بها

كانت دار إفتاء لآل الجوهري(راجع جدول المفتين) ولما آلت إلى الخراب منذ اكثر من خمسة وسبعين عاما أبدى آل الجباس المجاورين وجيران الزاوية شكواهم من وجود حشرات وضررهم منها ، فتقدموا بطلب إلى مصلحة الاوقاف فبيعت أرضها .

١٣-زاوية الحكيم: كانت تدعى زاوية بني مراد أو المرادية وتقع في المنطقة الرابعة مجاورة للجامع الحمصي

شمالاً , تم هدمها عام١٩٩٥م . وقد كان فيها حجر مستطيل نقر عليه (١- ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها . ٢- اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم . ٣- أن يدخلوها إلا خائبين لهم في الدنيا . ٤ - خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم . في سنة ١٢٩٣هـ) . وآخر حجر منقوش اسطواني الشكل نقر عليه (بسم الله الرحمن الرحيم . ١- قد جددت هذا المسجد المبارك وأنشأت . ٢- الحجر فيه خاصةً لمن يلجأ من طلبت العلوم فمن غير أذاً . ٣- أو اتخذها لغير ما أعدت له فعليه لعنة الله والملائكة . ٤- والناس أجمعين في سنة ١٢٩٤هـ).

وقد كانت مؤلفة من طابقين , وحين آلت إلى الخراب سعى الطبيب الشيخ احمد الحكيم (ت١٣١٨هـ) إلى تجديد مسجدها وتم بناء أربع غرف خصصها لسكن الطلاب عام١٢٩٤هـ فسميت باسمه تردد عليها الشيوخ محمد المكاري وحسيب الواحدي وعبدالحميد نعمة والمفتي حسن كيالي

١٤-زاوية العريان: في المنطقة الثالثة ٢٢٥ م٢ كانت تدعى زاوية الباز

؟ لوحتها الحجرية وضعت فوق المدخل الشرقي للجامع الكبير (انظر بحثنا) درس فيها الشيخ هاشم الأصفري (ت١٢٩١هـ).هدمت وبني مكانها محلات تجارية وفوقها بني جامع العريان عام١٩٨٨ م . والمحلة التي فيها تدعى محلة العريان وهوعبدالفتاح العريان ويمكن تحديد تاريخها إلى مطلع القرن التاسع عشر ومضمون اللوحة في أصلها (من زاوية العريان) على شكل مربع في ستة حقول (طعم كلوا واشربوا / هذا بخيركم / في ذاهب خلد ؟ / بلا موت والآخر / وقفه السيد محمد شريف عريان في غرة رمضان ١٣١٠هـ) وهكذا توضحت لنا حقيقة تاريخ هذه الزاوية ١٨٩٢م ومن هو قد بناها (محمد شريف عريان) والذي أحدث أيضاً سبيلاً عاماً أسوة بغيره وكما ورد في بحثنا عن السبل . وفوق مدخل الحرم لوحة مربعة كتب عليها في ستة حقول (١- فزاد هذا المصلى عاتي / وأخلص فيما نوى وارتضى . ٢- به يبتغي عفو رب كريم / ويرجو بفضل القاض فضلا . ٣- وداعي الهداية أيادي فأرخ / حياة المهيمن رضا حسن ١٣١٢هـ " توافق ١٨٩٥م

١٥-زاوية الحاج محمد ديب سفلو: في المنطقة الرابعة٢٨٧م٢ مؤلفة من طابقين الأرضي للصلاةو٢ درج وإيوان ولوحة المدخل نقر عليها (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر في عشرة خلت شوال سنة ١٣١٠هـ) = ١٨٩٣م



(الصورة ٣١٨) .

وقبره في باحة الزاوية(ت١٣٣١هـ) وقد كانت مدرسة شرعية تعليمية تخرج منها علماء وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن ربوع سنة ١٣٣٢هـ. وبجانبها ولي اسمه (الشهيد) وإلى الشرق ببئر الشهيد، وأرجح قد كان مكانها مقام

(الصورة ٣١٨)لوحة زاوية سفلو ١٣١٠هـ)

الشيخ شومان وهم أهل سفلو، إذ قد كانوا يدعون بهذه الصفة

١٦- **زاوية قاسم آغا:** في حي الصليبية.بناها محمد قاسم آغا دثرت عام١٩٧٢م

درس فيها الشيخ طاهر الكيالي وقدحضرت دروس تفسير فيها حين دَّرسنا الشيخ المفتي حسن كيالي بن الشيخ طاهر في الستينات من القرن الماضي .

١٧- **زاوية النورية :** في الحي الشمالي قرب جامع الشيخ خليل وتسمى أيضاً بزاوية الكيالية القديمة ,والمسجلة في الأوقاف باسم جامع أبو النور بناها الشيخ اسماعيل الرابع الكيالي والمدفون فيها عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م . كانت أرض فارغة فاشتراها ليبني مسجداً واستثنى حجرة من حكم المسجد لتكون مقره حال حياته , ومدفنه بعد وفاته .. وقد تم بناؤها سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣ – ١٧٢٤م . وفي سنة ١٦٦٥م جدد باب الزاوية وأقام فوقه المأذنة , ولتصبح الزاوية موئل الجميع , واستقبال الفقراء والغرباء والضيوف . وقد درس فيها إلى وفاته .

وننوه إلى وجود ثلاثة توابيت مغطاة بالقماش الأخضر علامة عليهم وقبره في الوسط بين تابوتي ولديه الشيخ أحمد الكبير من الشمال والشيخ عمر من القبله , و وراء الشيخ أحمد أخوه الثالث الشيخ عبد القادر مما يلي العتبة وفي الباحة قبر محمد أبو النور الكيالي وهو آخر من دفن . وإلى هذه الزاوية تنسب المحلة الكائنة فيها باسم محلة بالزاوية النورية الكيالية, وفي سجلات الأوقاف باسم (جامع أبو النور) .

١٧-**الزاوية السعدية :** وردت في الوثائق ولكن لم نتمكن من تحديدها ،لعدم وجود أي أثر لها ... !

تعليق لابد منه :

تقاس حضارة الامة بتكريمها من قدم لها قواعد بناء حضارتها، ومنها المساجد والزوايا، لذا نقترح إطلاق أسماء كِرَامِهَا ،وفضلائها على الشوارع، والازقة المجاورة لمنجزاتهم منهم (حسين نعمة) صاحب الخيرات في مساجد محمد جبلاد باني مسجد الساحة، وعمر الفتوح ،والشيخ اسماعيل ،والحمصي، ومرمم الجامع الكبير والشيخ فتوح .

القسم الثالث- المقابر والمزارات والمقامات

اولاً- المقابر :

لم نتمكن من معرفة موقع أي مقبرة في ادلب الشمالية، وقد يتمكن غيرنا في ايجاد مكانها، لاتصال الحالية بالشمالية ، والحفريات تؤكد ذلك ولدى الرجوع إلى المخطط القديم لإدلب الحالية والمنفذ في الثلاثينات من القرن الماضي في العهد الفرنسي نجد ثلاث مقابر الجنوبية والشمالية الغربية والشرقية وعن مقابرالنصارى واليهود فسيرد كلٌ في بحثه.

أ-الجنوبية:هي الاقدم والاكبر وكانت تدعى المقبرة الجنوبية الكبرى،لأن توطن سكان ادلب الأولين تم في موقع حي الصليبة_ وكماذكرنا_فكانت تدعى ايضاً جبانة الشهيد..؟

كانت تتصل بمدخل ادلب الجنوبي عند قبري الكاملي وهوالشيخ احمدالكاملي ت ١١٥٢هـ وابنه ياسين ت١١٧٤ هـ كما دفن بقربهما حفيده أبوبكر ت١١٨٥هـ وكانت تدعى المحلة بـ(الحجي) وقد أزيلاعام١٩٨٠م.وأما المقبرة فمحلها الآن ساحة هنانو والى الجنوب شرق أزيلت عام١٩٥٩.وجدوا فيها شاهدة تعود لعام ١١٠٠هـ كان يدفن فيها آل الاصفري, كالشيخ هاشم الاصفري, وآل الفنري كالشيخ يوسف الفنري العباسي ت١٢٠٢هـ وآل الحكيم كالطبيب الشيخ محمد الحكيم ت١٣١٨هـ وكتب على شاهدته من نظم الشيخ محمد الخيزراني من جهة القبلة:

بفضل الله أحمد حزت خيراً فكم أبرأت من قلب سقيم

لذاك الخيرفي التاريخ عـز لك البشرى بجنات النعيم

ومن جهة الشمال قوله:

لقد خطبتك عليّون شوقاً للقياها لقد اسرعت سبقاً
ولم تعلم لفقدك كم فقد نـا عيونا بل وألباب ونطقاً

ب_الشرقية: كانت تقع شرق التلة الشرقية الكبرى غرب مقام المحراب،في موقع الثانوية الصناعية الآن.أزيلت في الستينات وهي تلي الجنوبية في القدم,وكانت تدعى مقبرة المحرابي لوجود قبر الشيخ محمد المحرابي فيها والذي سميت(ساحة المحريب) نسبة له لمجاورتها المقبرة . كان يدفن فيها آل المعلم وآل الجوهري كالشيخ على الجوهري(ت١١٧٨هـ) والشيخ صلاح الدين ومحمد وهلال,وآل حجازي كالشيخ ياسين الحجازي ت ٩٨٠ هـ.كما دفن فيها الشيخ أحمد الأرمنازي والشيخ محمد الغزالي.وقد دفن فيها أول شهيد طيار(عبد اللطيف سليلو)عام١٩٥٢ م

ج-الشمالية الغربية: تقع شمال ساحة البازار بجوار حمام سريابا وبير الشهيد في ارض الست بدرة أرضها وقف منذ العهد البيزنطي وكما ذكرنا في الفصل الثاني من كتابنا من إبلا إلى ادلب اكتشاف مدفن بيزنطي فيها. ثم اصبحت مدفناً للمسلمين في العهد العثماني، حين بدأ سكان ادلب الكبرى بالهجرة إليها وتوطنهم في الحي الشمالي والغربي أقدم وثيقة ذكرتها ترقى لعام ١١٤٤هـ /١٧٣١م باسم (المقابر الجديدة) أزيلت في الستينيات ليقام مكانها ساحة عامة وبعض المباني الحكومية كالمجمع الاستهلاكي والمؤسسة الاستهلاكية...كان فيها قباب الصالحين كقبة الشيخ صالح الكيالي(ت) والتي كانت مزاراً, ولأنها مدفن آل الكيالي كعبد الجواد الكبير، وأبوالنور، وأبوالسعود ،ومحمد محي الدين ،وكامل الكيالي-مؤرخ الاسرة-،وطاهر منلا الكيالي.كان للشيخ محي الدين الكيالي الكبير(ت١٢٠٨هـ)الفضل بإيقاف أرض شرقي المقبرة يفصل بينهما الطريق الموصل إلى الرام مساحتها٥.٢فدان ليدفن المسلمون موتاهم فيها,وأوصى بدفنه في الجهة الغربية الجنوبية,وأصبح قبره مزاراً فيما

بعد. وكذلك أوقف محمد الفرضي الكيالي(ت١٢٤٥هـ) تربة تتاخم الجهة الشرقية لحمام سريابا.وأكثر آل الكيالي دفنوا فيها...ووفاءً لهم نقترح تسمية الساحة الموجودة (ساحة الكيالي).ومن العائلات التي دفنت فيهاآل المرتيني كالشيخ عمر(ت١٢٧٥هـ) وآل نعمة كمحمد نعمة(ت١١٥٥هـ) وحسين الشيخ نعمة(ت١١٧٥)صاحب الخيرات ببناء المساجد وترميمها.وآل الشعار كالشيخ عمر الشعار.وآل قوصرة كالحاج نعسان محمد علي قوصرة مختار الحي الغربي.وآل الخليلي كالشيخ خليل الخليلي(ت١٢١٣هـ) وآل حمادة كالشيخ عبد الغني حمادة (١٨٩٤-١٩٨٠م) وآل حميداني كالشيوخ يوسف ،وصالح ،ونجيب، وغيرهم.

د- **الشمالية الشرقية:** في الحي الشمالي عند مدرسة الغافقي ،وهي صغيرة 'أزيلت

- ومن **المقابر الحديثة** والتي حلت مكانها **مقبرة الرام الشمالية** في أراضي ادلب الكبرى, ويا للعجب إذ تدعى هذه المنطقة في سجلات الاوقاف (وادي السياح) فهل ابن ادلب يتمتع في سياحته حال موته في هذا الوادي لأنه محروم من المكان السياحي في حال حياته, فتأمل معي يا ابن ادلب وهل حظك معي لأنني أُعتبر من أبناء الحي الغربي وستكون سياحتي فيها ؟!!.. اشترتها الاوقاف في الستينيات من القرن العشرين لتحل مكانها الشمالية الغربية ولتكون مثوى لأبناء الحي الشمالي والغربي...والثانية **مقبرة حلفا** (١) في شرق جنوب ادلب ع/ط دانيت لتحل مكان الجنوبية وهي أكثرها تنظيماً من غيرها وفيها دفن الشيخ محمد نافع شامية والثالثة إلى الشرق ع/ط سرمين تدعى **(ضهر المغارة)** لتكون مثوى لأبناء الحي الشرقي هناك مقابر خاصة بالعائلات كآل مرتيني وآل سيد عيسى وآل سيفو....
- **ثانياً- المزارات والمقامات:** المزار قبر أضفى الناس عليه صفة القداسة للمكانة الدينية التي يتمتع بها عندهم .

- بينما المقام مكان تمتع بصفة القداسة أيضاً,حين ارتاده أحد الأولياء والصالحين واقام فيه زمناً مستندين إلى قوله تعالى(ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولايحزنون) ولكن هنا نعالج الموضوع تاريخياً وليس دينياً..وبعد التقصي التاريخي,وجدت بعضهم لايمتون للمسلمين بصلة, بل بعضهم رهبان نصارى ، بقي تقديسهم في آذان الناس تقليداً لأسلافهم, والذين كانوا نصارى ثم أسلموا, وظل هذا الاعتقاد في نفوسهم يتوارثونه تقليداً,وكما هو حاصل في مزار الشيخ يوسف الحراجي في موقع قرية حراجة, ومزار الشيخ أبو الحسن جنوب ادلب الصغرى, ومقام الخضرعند معرة مصرين...وغيرهم كثير.كان الناس يزرعون شجرة (خاصة شجرة التوت) قرب المزار أو المقام لتظلل المكان, ويلبسونها صفة القداسة في أن يربطوا بها قطعاً من الثياب, وهي عادة ورثوها عن أسلافهم الساميين السوريين, وليس لها علاقة بالدين الاسلامي... إذا ذكرت احدى قصائد اوغاريت النزاع السنوي بين إله النبات عليان بعل وخصمه موت وإن زواج آلهة الخصب يرمز إليه بالخضرة الدائمة وأما هياكل العبادة السامية المقدسة فقد كانوا يضعون بجانبها عموداً مقدساً أو شجرة مقدسة تمثل النبات الدا ئم الخضرة التي تسكنه آلهة الخصب , إضافة إلى المباخر بجانبها أو حتى قطع الثياب المربوطة بالشجرة المقدسة(٢)

١ - **مزار المحريب** : كان يقع في المنطقة الشرقية أمام متحف ادلب ,في الساحة المدعوة الآن المحريب وهو محمد المحرابي كما اشار إليه كامل الكيالي في مخطوطه . وفي مصلاه الكبير يصلون العيدين، وصلاة الاستسقاء...

٢- **مزار الشيخ عمر الفتوحي** : يقع في ساحة مسجد الشيخ فتوح وهو مدفن ...

وقد ذكرناه في مسجد الشيخ فتوح.،والمقابر الخاصة

٣- **مزار الشيخ ابو الحسن** : في الجنوب ع / ط ريحا في المنطقة الخامسة ومسجل بالأوقاف بمساحة ١٥٤٤ م٢ وقد أشار إليه بوركهارد ١٨١٢ م كمكان مقدس عندهم، وحين زرته وجدت أنه في أصله مدفن

بيزنطي ، وهوللراهب حسان المنوقيزي ، دفن فيه في القرن السادس الميلادي . وكذلك كان له زاوية أتينا على ذكرها .

٤ - **مزار الشيخ يوسف** : مسجل في الأوقاف في المنطقة الخامسة بمساحة ٢١٥ م٢ وقد أتينا على ذكره في بحث الحراجة. في أصله مدفن الراهب ايسبيوس حراجوس وهو موقع دير حراجوس سيردفي الجزء ٢

٥ - **مزار الشيخ فضل** : مسجل في الاوقاف باسم الشيخ أبو بكر . ولم نتاكد بعد من هو في أصله ؟! بل يقال أنه (فضل بن يعقوب الادرغي) من الفداوية الاكراد الى زمن صلاح الدين.

٦- **مزار الشيخ رداد** : يقع جنوب ادلب الكبرى عند الرام مساحته ٢٢م٢ وفيه مصلى مازال وقفاً ويدعوه الاهالي ردان ايضاً لأنه رد الفرنجة عن البلدة (ادلب الكبرى) في الحروب الصليبية

- ولعله قبر أحد الفداوية المسلمين الذين كان لهم دورهم أيام الملك الظاهر بيبرس ولهم ذكر في سيرته وفي الكتب العائدة إلى هذا العهد ، وقد يكون أحد الشهداء حين حاصر الفرنجة ادلب الكبرى فقتل دفاعاً عنها (٣) فسمى بهذا الاسم وردان كلمة سريانية تعني شيخ الغزل لأن ردن بالسرياني تساوي مغزل كانت الناس تؤمه في الربيع وتقدم له النذور.

٧- **مزار الشيخ داوود** : في الجانب الشرقي من الطريق نحو معرة مصرين . كان يقع في وسط ادلب الكبرى . مازال قائماً في شكله المربع وقبته.ولم نتمكن من معرفة هويته بل يروى انه يدعى الشيخ داوود الطيار لسرعته ومهارته وحركته الطائرة في القتال وهذه بعض صفات المجاهدين الفداوية . ورُوي آخرون إنه كزميله الشيخ رداد لقب بالمجاهد . ونرجح أنه كان أيضاً احد المرافقين للظاهر بيبرس في حملته الأخيرة وإخراج الفرنجة من المنطقة قبل عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م.

٨- **مزار الشيخ موسى** : يقع على طريق باب الهوا الى الغرب قليلاً شمال بهودة ، مؤلف من ليوانين بمدخلين ٥×٤ وغربه القبة التي دفن فيها . ويقال إنه موسى بن حسن النصار من المقربين لابراهيم الحوراني ، من المجاهدين زمن الصليبيين ، أو أنه من بلاد المغرب جاء مع صلاح الدين وتعرض لطعنة في هذا المكان .ولكن الوثائق لم تشر الى اعتماد صلاح

الدين على جنود من بلاد المغرب بل من بلاد الشرق وخاصة الأكراد .. ولعله أحد مشايخ الشيعة من اسمه موسى بن حسن النصار.. وهذا مجرد تخمين ليس إلا ؟! وكان نذره المعاليق كما يقال

٩- **مزار الشيخ يوسف** : يقع في قرية الحصون الدائرة إلى اليسار في منتصف طريق ادلب بنش ما زال قائماً وبلا تاريخ ..

١٠- **مزار الشيخ عبد الرحمن :** يقع في بهودة أزيلت معالمه حين تم فتح طريق باب الهوا .

١١- **مزار سليمان :** يقع في بروما وهو قبه بناؤها من حجر . ويقال أنه أحد المجاهدين في الحروب الصليبية ويجاوره ايضاً الشيخ المجاهد عبد الله ؟

١٢- **مزار ماغون** : يقع إلى الجنوب في مزرعة بإسمه ومسجل في الاوقاف بمساحة ٧٦م٢ باسم كامل ماغون في المنطقة الخامسة . وفي زيارتنا وجدت في المزرعة بقايا معصرة وآبار, وأما المزار فمعا لمه غير واضحة وفيه بقايا أحجار رومانية وبقايا فسيفساء متناثرة ولعله في أصله مكان صومعة ناسك نصراني ثم تحول إلى مزار في العهد االمموكي فالاسم في أصله مملوكي؟!

١٣- **قبر الولي اللبان** : كان يقع في المقبرة الشمالية الغربية وهو الشيخ خليل الخليلي (ت١٢١٣هـ) وكانت له شجرة توت تظلله, ويعلق الناس عليها قطع القماش.

١٤- **مقام أبو التوت** : كان يقع في حارة الحجي غربي زباط آل جحا . اشار إليه كامل الكيالي في مخطوطه (مقام الوالي الكبير الشيخ محمد ابي التوت) ولم يوضح من هو..؟

١٥- **مقام أوولي الشهيد** : كان يقع مجاوراً زاوية سفلو وشرقيه بير الشهيد وهما في أرض الست بدرة , وسمي تبركاً باسم محمد باشا الكبرلي الملقب بالشهيد في الوثائق العثمانية وكما كان يدعى خان الفقراء (الشحادين مؤخراً) بالشهيد نسبةً له وكذلك البئر المجاور للمقام سمي بالشهيد وهو الأرجح ,أوسمي تبركاً باسم أحد الرهبان الشهداء؟!

١٦-**الشيخ خضر** : كان يقع جنوب غرب ادلب(وقد أزيلت معالمه) في أرض الحجة رسمية وهو مار الياس أي السيد الياس او القديس الياس يزورونه للتبرك به .وله يوم خاص به تذهب النساء المسلمات صباح يوم عيد الفصح , ونلاحظ ان الشيخ خضر جنوب معرة مصرين هو ايضاً موقع دير مسيحي .

١٧- **الشيخ شومان** : أشار إليه أوليا جلبي حين زار ادلب عام ١٦٧١م بقوله" في قلب البلدة قبة مدفون تحتها أمير عظيم السلطان" وذكره تحت عنوان "(زيارة حضرة الشيخ شومان)" وفي ادلب كان يلقب بعض من آل سفلو بـ الشومان,وهم الذين كانو يقطنون في الحي الغربي , ولعله هو نفسه من أسلافهم , وأرجح موقع هذه القبة في مكان زاوية سفلو الآن , إذ شاهدت ذلك في الجدار الجنوبي للزاوية بقربها بناء مخروطي الشكل تشعل فيه النار وأهل الحي –حارتنا – كانوا يقولون هذا مقام ولي دون تذكرهم اسمه..فالزمن طوى اسمه الحقيقي , ولكن وثيقة جلبي قد وضحت لنا ذلك !

١٨- **مقام الولي الشيخ بتوت** : يقع غرب ادلب في موقع بشكافا . وفيها خشخاشات كما يقولون .

- ١٩- **مقام أبو التوتي** :يقع في محلة الشيخ اسماعيل مجاوراً لمسجد الفنر .

* *

- **حكاية الست بدرة** : في كل مجتمع حكاية يتداولها الناس ، قد نجد فيها الكثير من المبالغة ، وقد نجد فيها بعض الحقائق نتلمسها بين ثنايا الكلام ... ومن هذه الحكايا (الست بدرة) وكأنها قصة قيس ولبنى أو روميو وجوليت في قالب إدلبي طريف ... وسنعرض بعض الروايات عنها ... إحداها تقول إنها في أصلها رومانية وهي بدرة ابنة ملك روماني احبت شاباً كان يتلمذ عند أحد مشايخ ادلب الكبرى الشمالية وله صوت جميل فوقعت في حبه قائلة له : علمني الغناء قال بشرط إذا أسلمتِ أعلمك فن الغناء فوافقت وكتمت اسلامها لمركزها الاجتماعي وتعلمت منه الغناء ،

ثم يقع أسيراً ... وبعد عشرين سنة يتم تبادل الأسرى ليقال له : إن شيخه وبدرة قد توفيا منذ زمن قصير ويقصد قبر شيخه ويفتحه فيجد فيه جثة بدرة مكانه ، وفي قبر بدرة يجد جثة شيخه مكانها وقيل المثل (كم نصرانياً وجد في قبر مسلم ، وكم مسلم وجد في قبر نصراني) وأما الرواية الثانية فقريبة من الأولى تذكر أنها رومانية (٥) واعتنقت الاسلام عن طريقه وكتمت ذلك لمركزها ... ولكن فيها اشارة الى أنه عبد أحضره معه أحد وجهاء إدلب الشمالية من بغداد في زمن أواخر الدولة العباسية ويتعلم عند أحد مشايخ إدلب الكبرى ... ولكنه يتعرض للأسر كعبد مأسور مدة عشرين سنة في اسطنبول وبعد عودته لإدلب يسأل عن شيخه فيجده ميتاً وكذلك بدرة . الرواية الثالثة فتقول إن بدرة من إدلب الصغرى الحالية ، وهي مسيحية وأما هو فأحد تلاميذ الشيخ وبصوته الطري لهذا يروون جذبها نحوه ، وطلبت تعليمها الغناء فوافق على ان تسلم ... وقالت له يوماً سأموت يوم كذا وكذا (فيها رمز) ولكنه يغيب دون ذكر السبب ... وبعد عودته يسأل عن شيخه فيقولون توفى وكذلك بدرة . ويفتح قبرهما فيجدهما قد تبادلا المكان .. ويروي العوام أنهم كانوا يشاهدون أنواراً تأتي الى مكان دفنها ، فبنوا لها قبراً يليق بمقامها ... وينذرون لها النذور ويشعلون الأضواء في مكانها ... وبذلك أخذت صفة القداسة عند أبناء إدلب . واما قبرها فقد أزيلت معالمه في منتصف القرن . وكان يقع غرب الحي الغربي في موقع ثانوية المتنبي الآن غرب زقاق الأكتع .. وسميت الأرض الى الشرق منها أرض الست بدرة ... والآن لنعد ثانية الى الروايات نجري فيها عملية حفر ثقافي معرفي كما يقول علماء الاجتماع .

١ - إن الموقع أو الأرض المسماة أرض الست بدرة كان فيها المدفن البيزنطي – بئر الشهيد البيزنطي – مقام أو ولي الشهيد وأخيراً قبرها ... إذن بلا شك هي فتاة مسيحية ... هذه نقطة أولى ولكن من هي ؟!

٢ - إن دير دلبين في إدلب الصغرى غير بعيد عن أرض الست بدرة ، وهذا الدير لابد أن يكون فيه راهبات وهي قد تكون احدى راهباته واسمها بدرة أي جميلة أو قمر .. وكان العرب المسلمين – وخاصة شعراؤهم – يتغنون بجمال الديرانيات .. هذا احتمال أولي . واما

الاحتمال الثاني فقد تكون هي إحدى الفتيات المسيحيات في إدلب الصغرى حينذاك لأن إدلب الحالية كانت كلها مسيحية من أتباع المذهب المنوفيزي ، والكبرى فيها المسلمون والنصارى الأرثوذكس .. وفي الحالتين هي تخشى إعلان اسلامها ... هذه نقطة ثانية .. ولكن لِمَ أحبته ؟!

٣ - واما الثالثة : هذا الشاب صاحب الصوت الجميل ، العبد الفقير الذليل ، هل يكفي صوته فقط لجذب فتاة جميلة من غير ملته الدينية ، وذات المكانة الاجتماعية المتميزة (راهبة أو ابنة أحد وجهاء إدلب الكبار) ؟! هذا احتمال ضعيف لايؤخذ به ، ولابد أن هناك سبباً آخر ؟ فما هو ؟ إنه حكاية أبعد من ذلك ! وهذه نقطة أخرى !! ويمكن القول أنه لابد أن يكون نصرانياً جلبه أحد تجار إدلب الكبرى من بغداد كعبد حديث السن وألحقه بأحد مشايخ إدلب الكبرى ليعلمه مبادئ الاسلام – وكان الكثير يتحولون عن دينهم في زمن حكايتنا هذا احتمال فقط !! والاحتمال الآخر لو كان هو مسلماً فليس من مصلحة سيده تعليمه خاصة وهوعبد .. ولم يعرف كرم السادة مع عبيدهم هكذا ... هذا احتمال فقط ؟ والاحتمال الآخر وهو الأرجح إنه لم يكن عبداً بل ابن تاجر كبير في إدلب الكبرى ، أبوه سافر الى بغداد ويجلب العبيد ... والعبد لايتجرأ على الغناء بل لايحسنه ، فهو إذن سيد من سادات إدلب الشباب ، أحب الفتاة الديرانية الجميلة ، والتي كانت كالبدر في جمالها ، ولقبت بـ بدرة تمويهاً لاسمها الحقيقي كي لاتتعرض للأذى من أهلها . وكان يغني من وراء أسوار الدير أو يدندن لها طالباً موعداً معها ... وحين يتنزهان يغنيان ، فتعلمت الغناء أي أحبا بعضهما فبدأا المناجاة ... وأما كلامها المرموز له بـ سأموت يوم كذا وكذا .. أي أنها تفضل الموت على فراقه .. وهكذا عاشت قصة حب جرت على ألسنة العوام .. ولو كان هو عبداً أو هي فتاة وضيعة لما اهتم الناس بها ، ولكن هو أحد أبناء سادات إدلب الكبرى ، وهي ديرانية أسلمت ، فستعيش قصتهما في مخيال الناس .. هذه نقطة تشير الى أمر آخر....

٤- ولكل قصة حب لابد من مأساة تعيشها أو تكون نهايتها ؟! غياب الشاب مدة عشرين سنة ليست بالزمن القصير ؟! وسبب غيابه أسره في اسطنبول ؟ لماذا ؟! زمن القصة يعود إلى أيام الدولة العباسية أو أواخرها ... في هذا الزمن – احتمال فقط – هو زمن دخول البيزنطيين واحتلالهم المنطقة في عهد نقفورفوقاس (٩٦٣ – ٩٦٩ م) هذا الإمبراطور كان يأسر أبناء المنطقة ، وكما فعل مع أهالي معرة مصرين بأسره ألف شخص منهم وأخذهم إلى اسطنبول .. إذن تعرضت قصتنا إلى مأساة أولى هي غياب العاشق – بينما روايات العوام تصفها بالحب – وقبل عودته ماذا سيحصل في غيابه ؟ هذه نقطة ؟!

٥- غيابه الطويل سيجعل الحب يموت أو ينسى ، ومن البديل عنه في امتلاك حبها ؟ أليس غير أستاذه الشيخ ؟ لماذا لأنه أقرب إلى روحها بعده .. فهو أستاذه وإمامه أشهرت إسلامها سراً ، وهو الذي سيحميها بعد غضب أهلها عليها ، فهي قد ارتكبت خطئين الأول : إسلامها والثاني عدم تزوجها بانتظار عودته والى متى ؟! فالحل إجراء عملية تبادل قلبين ... انظر فالرمز الأسطوري عند الناس انه وجد في قبرها وهي في قبره, لماذا هذه الأعجوبة ؟! إنها رمز للخيال الاجتماعي عند الناس ، وتعبيراً عن دهشتهم بزواجه رمزوا لبيع حبها له أو هو بتحطيم قلب تلميذه ، بتبادل الجثتين بين القبرين . وهذه نقطة تقودنا إلى قبل الأخيرة .

٦- ماذا حصل بعد عودة الشاب ، فوجئ أن الاثنين قد ماتا هكذا الرواية في رمزها ؟ ولكنها في حقيقتها انه وجدها قد تزوجت من أستاذه ياللجحود والنكران ! فيلجأ إلى نبش قبرها ويفاجأ بشيخه والى قبره فيفاجأ بها . هذا رمز عظيم في التعبير عن المخيال الاجتماعي الأدلبي في رمزه للحب العظيم المقدس ! ولكن الحقيقة تدفعنا للقول إنه لن يقف أمام قبرها لينبشه بل أمام قبره ليس لنبشه بل لتأنيبه وتقريعه لتلميذه وهذا هو الاحتمال المرجح . إن التعبير العامي (نبش قبرها

فوجده رمز لغضبه ,علة من باعت قلبها لغيره) وهذا احتمال فقط .. وهذه نقطة تقودنا إلى الأخيرة .

٧- إن الروايات تجمع على وجود قبرين للشيخ ولبدرة ... ولكن ما اسمه ؟ وأين قبره ؟! فقط حفظ العوام الحكاية المروية ، بينما كان موقفهم أقوى تجاه بدرة ، فالأرض الواسعة شرقي قبرها تسمى باسمها ولها قدسيتها ، وقبرها ظل موجوداً إلى منتصف القرن العشرين يتبارك به الناس ويتزاوروه في الناسبات..؟ ولماذا اضيفت له قدسية أخرى وهي نزول أنوار من السماء عليه ؟ وكما هو مروي عن بعض قديسي النصارى في المنطقة ؟! .. نقول لقد أقام الناس لها قدسية رمزية خاصة بها ، لأنها بالأصل فتاة ديرانية مؤمنة طاهرة ، أحبت وأخلصت لحبها ، وكتمته زمناً خشية أهلها ومجتمعها – وهذا رمز أيضاً – ثم تفجع بغيابه أسيراً بين الأعداء ، وبعيداً عنها فما الحل غير الانتظار ..... وانتظرت .... وانتظرت ... عشرون عاماً وهي تنتظر ... وتوفيت قبل عودته قديسة طاهرة لم تثنها عن حبها ضغوط شيخه الطامع فيها ! ولاحتى أهلها وأبناء ادلب الصغرى، ويمضي زمن ليس بالقصير تتحول قصتها الى اسطورة ، وقبرها وما يجاوره الى مكان مقدس حقيقي واقعي !!

- ولي تعليق آخر ليس معنى رمز وجوده في قبرها، غير أنها أعلنت إسلامها, وبذلك انهالت الأنوار عليها ليلاً ، فكانت النساء فيما بعد تشعلن أنواراً وشموعاً فوق قبرها ... وهكذا صار الخيال حقيقة ، والحقيقة صارت رمزاً في مخيال أبناء إدلب ... ياللعجب !!!
- **المقابر الخاصة:** هي قليلة ،أقدمها مقبرة آل جحا..وآخرها المارتيني إلى الغرب من ادلب..
- في جامع الشيخ فتوح،وفي باحته للشرق مقبرة آل جحا منهم الشيخ عمر الفتوحي الذي كان يقصد للتبرك به والحاج عبد القادر جحا وعبد الفتاح جحا (شيخ عالم) وفيها قبر نقشه جميل ليس له مثيل بإدلب وهو جدث المرحوم نوري جحا الذي كان نائب قضاء إدلب سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢ م

وعضواً في المجلس العمومي في حلب أيام الحكومة العثمانية ، وأحد وجهاء إدلب في وداع عسكر السفر برلك انظر الفصل الثامن في كتابنا من إبلا إلى إدلب وفي كتابنا هذا بحث الثكنة العسكرية في الفصل الخامس.

- أما المقبرة في باحة المسجد فهي لآل جحا , وهي أجمل قبور بشواهدها، وزخرفها. القبر الأول بني فوقه مصطبة مرتفعة جميلة الشكل، وبنحتها المميز ليس بإبداع نحات الخط فقط، بل بالنحت النافر الجانبين على شكل سلسلة / سنسال والكتابة النافرة (هذا ضريح ابن المرحوم محمد نوري بن المرحوم مصطفى أغا الجحا آذاد أسفله بالوفاة إلى رحمة الله في نصف جماد الأول ١٢٢٦هـ) توافق ١٨١٠م وشاهدة أخرى جميلة بنقشها العلوي على شكل نباتي مزهر وكتابة (الفاتحة هذا قبر المرحوم السيد محمد شفيق جحا توفي لرحمة الله تعالى ١٣٠٦هـ) توافق ١٨٨٨م . (الصورة٣٢٣) وفي لوحة أخرى لشاهدة قبر هي الأغنى كتابة وإتقانا في خمسة أسطر و ١٢ حقلاً " ١- إن طلبي فنفحه ؟ نور عيني / في شجون جلي الدستور . ٢- قلت لما كالبدر غارت تماماً / ولفرط المصاب غاب شعري . ٣- ليت شعري ما حاله وهو خل / بعد مهد الصدود لحد القبور . ٤- فشدتي (ني ؟) هو العف البشر عنه / عند ربي في نضرة وسرور . ٥- ذاك حالي بإذا ؟ المؤرخ كحال / في ريح الفردوس محمد نوري " . شاهدة قبر محمد نوري جحا (الصورة٣١٩-٣٢٠)



(الصورة٣١٩) نقش حول محمد نوري جحا



(الصورة٣٢٠)شاهدة قبر محمد نوري جحا

- وكتابة أخرى (الحاج عبد القادر جحا انتقل إلى رحمة الله تعالى في غرة صفر) وهي أبسط الكتابات وتعود إلى وقت متأخر عن السابقات , بسيطة في النحت وبدون زخرف .(الصورة٣٢١)أما شاهدة محمد شفيق جحا فهي ذات نقش لوريدات في الأعلى(الصورة٣٢٢)
- وشاهدة واضحة كتابتها في أربعة أسطر " ١- هذا ضريح المرحوم المبرور التقي . ٢- الزاهد العابد المرشد السيد الشيخ . ٣- محمد جحا انتقل إلى رحمة الله تعالى في اليوم . ٤- السادس والعشرين من محرم الحرام " .(الصورة٣٢٣)



(الصورة٣٢١) شاهدة قبر عبد القادر جح

(الصورة٣٢٢)شاهدة قبر شفيق جحا

(الصورة٣٢٣) شاهدة قبر الشيخ محمد جحا

- ملحق - النوبة : هي مجموعة من الشباب والمشايخ تُسمى (فرقة النوبة) تحملُ الراية الخضراء, ويضعون عمائم خضراء , مع أدوات موسيقية (كالدف والطبل) , كانت تتقدّم موكب الجنازة, وكذلك تكون موجودة حين عودة الحجّاج في استقبالهم . (الصورة٣٢٤) ننشر صورة لموكب جنازة المفتي محمّد شريف المرتيني عام ١٩٤٨م (الصورة٣٢٥) ذكر الشيخ عبد الرحمن ربوع في مذكراته : (توفي شريف أفندي المرتيني في ٢

جماد الأوّل سنة ١٣٦٧ هـ / ١٢ آذار ١٩٤٨م .. كان رحمه الله تعالى من علماء ادلب, وأُسندتْ إليهاالإفتاء بادلب, وكان رحمه الله تعالى خطيباً فقهيّاً شريفاً ورعاً صالحاً فاضلاً كاملاً تقيّاً عارفاً , سلكَ طريقة آبائهُ وأجدادهُ الكرام في العلم والعمل والزهد والتقوى .. يُحب الفقراء والمساكين, ويجلس معهم,وسلك طريقة الدروشة, ومات عن عمر بين خمسة والثمانين.. حرّر في ١٢ آذار ١٩٤٨ – ٢جمادالأوّل ١٣٦٧ هـ) .



(الصورة٣٢٤)موكب فرقة النوبة في جنازة (الصورة ٣٢٥) جنازة المفتي محمّد شريف المرتيني عام ١٩٤٨م(في الصورةبقايا خان النص)

وثائق حول المقابر :

ومن وثائق الأوقاف في سجل ضابطية ادلب هذه الوثيقة التي توضح لنا الكثير من معالم ادلب العمرانية , ولذلك كنت أحب الإطلاع عليها كلما وجدتها , فمنها يمكننا تأريخ ادلب الذي لم يؤرخ إلا الآن .

الوثيقة : المتولي على وقف جدته ست خديجة / استئجار بالمحلة الشمالية مشتملة على مجلسين مقنطرين ينظرن قبلة ومطبخ ينظر شرقاً وأوضه عراقية تنظر غرباً أو طبقه وجب ماء ودهليز يعتلوه أوضة بمصيف شرقيها دار حسن جلبي بن رستم وشرقاً ورثة يوسف الخباز الحموي وجامعي الحاج

علي بن حلاق وشمالاً طريق وغرباً طريق وإليه الباب بأجره ٨٢٥ غرشاً أجارة طويلة . مولانا ابراهيم أفندي المفتي بإدلب ..

الحاج حسين جلبي بن الشيخ نعمه / البلار / الكلزي .

نصف معصرة زيت الزيتون مع نصف المطراف الكائنتين بالمحلة الغربية بادلب الصغرى بجميع ما اشتملت عليه من منافع ومرافق ومخازن المحددة قبلة طريق سالك وشرقاً مقبرة اليهود ... شمالاً وكذلك غرباً بن أينال مع جميع معصرة شيرج السمسم مع دكانها المستخرج من ؟ الواقعة تجاه خان الوزيرين بما اشتملت عليه من منافع ومرافق والآلات المحددة ... وقف فاطمة خاتون وشرقاً جامع السوق وشمالاً طريق خاص وغرباً طريق سالك وإليه الباب المعصرة مع جميع الدكان الكاين بالسوق قرب القهوة الكبيرة المحددة قبلة وقف جامع السوق وشرقاً ملك ورثة المنلا مصطفى وشمالاً طريق ... وغرباً دكان وقف جامع الحاج حسين نعمة مع جميع دكان الفرن الكائن بالسوق المجدد قبلة دار شاوردي وشلحلح وشرقاً ورثة الكلزي .. وشمالاً طريق سالك وإليه الإغلاق (باب السور) .. قبلة معصرة الحاج عبد الكريم أفندي وشرقاً دكان وقف جامع العمري وشمالاً طريق وإليه الباب ... وغرباً دكان وقف الحاج عبد القادر العصايبي .. طريق سالك وإليه الأغلاق (باب السور) .. دكان الشيخ زكريا كاملي وتمامه معصرة الحاج حميدان وغرباً ملك بيت سيان مع جميع دكان قريب جامع بن الأقرع المحدود قبله وشرقاً طريق وشمالاً الجامع المرقوم وغرباً ملك بشير آغا مع جميع المحلة المحدود قبلة جامع الحمصي وشرقاً طريق وشمالاً كذلك وغرباً بيت الجرد مع جميع الداربـ سكني علي أفندي الواقف ".١١٤٥ هـ /١٧٣٢ م

الفصل التاسع- الأوقاف

أولاً- في المصطلحات الوقفية:

تعريف الأوقاف : هو حبس العقار، أو الأرض عن البيع ،و حصر المغل في يد شخص ،أو أشخاص على مقصد معين , عرف منذ عهد الرومان .

أهميتها : المستشرقون الأجانب اهتموا بدراستها، أما نحن أهملنا هذه المؤسسة الكبرى التي تفيد أوسع قطاعات المجتمع القاطن و العابر . بعد إتساع رقعة الأوقاف في المنطقة، حظيت إدلب و محيطها باهتمام السلاطين و الأمراء و الحكام بأوقافها , لقد انتشرت الأوقاف في الشمال السوري ، و خاصة في المناطق الخصبة , كي تزود خزانتها بعائداتهم الموسمية , فليست إدلب ،او الشغور هي المراكز الرئيسة لأوقافهم , بل في دركوش، و أنطاكية، و ضبياس (شمال اسكندرون)- راجع الرحالة ٢٥٣/٢- ذكر ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ) أن المارستان الجديد في حلب بناه أرغون في سنة خمس و خمسين و سبعمائة ،و وقف عليه قرية بنش العظمى من عمل سرمين (ص ٢٣٥/٢٣٤في الطبعة القديمة) وفي وثيقة رقم ١٨٤ في سجلات الأوامر السلطانية، وتليهاكتاب موجه إلى قضاة ادليب وجبل سمعان و حلب وغيرهم في أنه " أرسل إلينا معتمد الملوك و السلاطين إبراهيم عريضة بشأن قرية معراته المارستان من أوقاف نور الدين الشهيد ١١٥٥هـ " = ١٧٤٢م .

تأكد لدينا أن الملوك و السلاطين في العهدين الزنكي ،و المملوكي أوقفوا عدداً من قرى ريف ولاية حلب ,حاملة أسماءهم كوقف نور الدين الشهيد ،و السلطان الغوري ، والسلطان حسن في وثيقة وقف في الفوعة، و اقميناس سنة ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٩م (الصورة٣٢٦-٣٢٧) لصالح مدرسته بالرميلة في القاهرة , انظر كتابنا (ولاية الفوعة).و هناك وقف للباشاوات ،أو الأسر الدينية الإقطاعية الحلبية، كآل الزهراوي في ادلب، أو الناس العاديين، لكن ما يهمنا أوقاف الحرمين الشريفين , ففي الروج الجواني التابع لقضاء أريحا ،و جميع

زيتون الوقف الواقع بناحية زورات العاصي، و ديركوش، و القصير مع أشجار الجوز هي وقف للحرمين الشريفين .



(الصورة ٣٢٧)مسجد ومدرسة السلطان حسن في القاهرة

سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الخوارج
والمتمردين مبيد الطغاة والمارقين قامع الكفرة والمردة
والملحدين محيي العدل في العالمين منصف المظلومين من
الظالمين سيد الملوك والسلاطين وارث الملك سلطان
العرب والعجم والترك ظل الله الوارف ورحمته السابغة
للبادي والعاكف [illegible]
[illegible]
[illegible]
على رعاياه [illegible] عدله وإحسانه [illegible]
البلاد [illegible]
الأعظم السيفي العالي المولوي السلطاني [illegible]

وثيقة وقف السلطان الناصر حسن نموذج ثالث

(الصورة٣٢٦)وثيقة وقف السلطان حسن٧٦٠هـ/١٣٥٩م

الصرّة الشريفة : يسمى المسؤول عنها ب(أمين الصرة الشريفة) حيث يقسم الصرة إلى نصفين: النصف الأول لفقراء مكة، و النصف الثاني لفقراء المدينة. لوحظ في الوثائق الصادرة في محكمة حلب الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي /النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري أن ملكية أراضي أوقاف الريف تعود في غالبيتها إلى سكان مدينة حلب ..

أنواع الوقف :

١- **الوقف الذري ،أو الأهلي** : هو ما يجري وقفه على الأولاد، و الذراري، و الأحفاد.

٢- **الوقف الخيري** : هو ما جرى وقفه على جهات خيرية مختلفة (كالمساجد و الجوامع و المدارس و الزوايا و التكايا الدينية و الأسبلة/مفردها سبيل/ و للحرمين الشريفين و للفقراء . ليست الأوقاف قوية في ادلب فقط، بل في ريفها والدليل وجود وقف للرسول (ص) فيها ...في تل الرمان غرب ادلب٠٠

٣- **الوقف المختلط** : هو الذي تحول من ذري إلى خيري بعد انقراضهم بناء على توصية الواقف بتحويله إلى الجهات الخيرية السابقة .

في الريف الذري هو الأكثر , و في إدلب الخيري هو الأوسع، و خاصة لصالح الحرمين الشريفين , ادلب٠٠في سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٦م يصدر السلطان أمراً بتولية محمد أغا على أوقاف الشهيد محمد باشا، وتنحية أحمد أغا كونه لم يقم بالتولية حسب الشروط , ولم يرسل ٥٢٠٠ غروش إلى الأستانة العلية (أي العاصمة القسطنطينية / اسطنبول) مع إجراء الحسابات مع المتولي المعزول , وسبب الكتاب من طلب حفيده عبد الله إبراهيم خان زادة حول الأوقاف في حلب و أنطاكية و صيدا و بيروت و طرابلس لعدم قيامه بشروط الوقف .." وهو نفسه يرد في وثيقة ٢٤٧ في السجل ٧ يؤكد على أوقاف جده محمد باشا بقوله " وباعتباري المتولي على هذه الأوقاف فقد فوضت الحاج عبد الرحمن أغا بتولية الوقفية لمدة سنة اعتباراً من رمضان ١١٨٠هـ على أن يقوم بتحضير وتأدية صرة الحرمين الشريفين وتسليمها إلى أمينها لإرسالها إلى مستحقيها بالحجاز وإرسال ٥٢٠٠ قرشاً إلى إدارة التولية الكبرى في الأستانة العلية ... " الحاكم الشرعي يعين المتولين باسم (متولي أوقاف إدلب) يشرف عليها و يضبط ريعها ،و يوزع حصص المستحقين فيها , كذلك يعين النظار (مفرده ناظر) على الوقف , حيث لا يفعل المتولي شيئا إلا بمعرفة الناظر ,هذا بالنسبة للأوقاف الذرية أما الأوقاف الخيرية فيتم تعيين متولين عليها بموجب براءة شريفة سلطانية .كانت سجلات الأوقاف تسجل لدى القاضي الشرعي في حلب، أما في إدلب فلدى ضابطية إدلب , و لكن سجلات محاسبة الأوقاف أو في مصطلحات اليوم (هيئة الرقابة) كانت في أرضروم في الأناضول , التي هي المسؤولة عن المحاسبة و معاقبة المتهاونين

،أو سارقي هذه الأوقاف , و كم كانت ترد شكاوي بحق بعضهم في إهمالها، و لم يقصر أبناء إدلب في رفع الشكوى إلى الأعلى ،حتى أحيانا ضد أشخاص قريبة منهم .

ثانياً- أوقاف محمد الكوبرلي ،وابنه أحمد: نقصد بهم آل الكوبرلي في الأوامر السلطانية ،وتشير بذلك إلى الصدر الأعظم محمد باشا الكوبرلي الذي تولى الصدارة العظمى(أي رئيس الوزراء ١٦٥٦-١٦٦١م ،ثم ابنه أحمد)وهما اللذان كان لهما الفضل الكبير على ادلب ،وغيرها كجسر الشغور ،و دركوش..لا يمكننا عرض منجزاتهم الوقفية هنا ،كل منها في بحثها في العقارات الوقفية .المهم إنهم جعلوا من موارد ادلب ماهو وقف للحرمين الشريفين(مكة والمدينة)لدينا عدة وثائق للوقف بالعثمانية، ولم تتح الظروف لتعريبها...(الصورة ٣٢٨-٣٣١)وهي من الوثائق الأقدم التي لدينا حول أوقاف الكوبرلي.



(الصورة٣٢٨)مرسوم أوقاف الكوبوبرلي



(الصورة٣٢٩)
أوقاف الكوبرلي في ادلب الصغرى١١٣٦هـ

(الصورة ٣٣٠)خان وعمارات جامع وقف الكوبرلي ١٠٧٦هـ

(الصورة ٣٣١)اوقاف الكوبرلي في ادلب الصغرى١٠٧٦هـ

علماً لم تترجم ،وتوضح لنا واقع الأوقاف في عهدهم! تشير إلى خان، وعمارات جامع وقف الكوبرلي في ادلب الصغرى١٠٧٦هـ٠٠٠أهم أوقافهم بازارات(أسواق) خانات، ، وحمام، وجامع ، وقهوة ،ومصبنة، وعقارات في ادلب ،وغيرها.... فالأمر السلطاني الصادر من القسطنطينية باللغة العثمانية موجه " إلى والي حلب الوزير عبد الله باشا وإلى قاضي المسلمين في حلب حول أوقاف والي الأناضول المشير الوزير كوبريلي زادة عبد الله باشا المتولي الحالي على أوقاف جده وعمه، وجعلها حرة حسب الوثائق المخطوطة المتعددة المقرونة بالخط السلطاني و إعفائها من كافة التكاليف، وعدم التعدي على الرعايا الفقراء، وعدم ظلمهم ، مع العلم أن لهذه الأوقاف عائدات، وقد حصلت بعض المظالم أثناء جبايتها وعرض ذلك قاضي إدليب للوزير المذكور ولا سيما ما يتعلق بأوقاف العمق، وحسب هذا الأمر يجب أن يعمل بموجبه (تعفى هذه الأوقاف من سائر التكاليف وتترك حرة)كما ذكرنا ويراعى أثناء جباية العائدات جانب الفقراء لئلا يلحق بهم أي أذى .. حرر في أوائل رجب ١١٤٦هـ) = / ١٧٣٤م وترسل المراسيم والتعليمات من كافة المسؤولين تأكيداً على هذا النهج في حماية أوقاف إدلب، وأهلها من أي تظلم، وكما سيرد في بحث الحياة الاقتصادية وبحوث الأوقاف، ومنها هذا الكتاب المرسل من قاضي حلب إلى والي حلب وكيل الوقف بتاريخ ١١٩٠ هـ " إلى الآغا وكيل أوقاف الصدر الأسبق (كوبرولي محمد باشا)في إدلب . بعد السلام نحيطكم علماً بأن الوقف المذكور مفروز القلم ومقطوع القدم، من كل الوجوه وغير مقيدة برسوماتها، وعدم التدخل بشروطها ،وأمور رعاياها الخاصة ما عدا بعض الرسوم الخارجة [الطارئة] . وذلك بموجب الأمر العالي الوارد إلينا [يقصد أوامر السلطان] وكتابنا المرسل لحضرة الوزير والي حلب المقتضي عدم مخالفة الأمر بالتدخل والتعرض والعمل من أجل بيعها والسلام . قاضي حلب الشهباء) . ولكن هل تبقى الأمور على حالها، طبعاً لا .. سيضعف نفوذ آل الكوبرلي، والسلطان وولاة حلب سينشغلون عن هذا الأمر، وستباع أوقافه، أو تستولي عليها السلطات فيما بعد، كما حدث في خان الرز، والذي كان سراي الحكومة في العهد العثماني، وستؤول ملكيته إلى المالية لتبيعه باسمها مؤخراً ! وكما هو مؤكد في الوثائق والحوليات التاريخية، وخاصة لوحة تدشين خان

الوزيرين (خان الرز) (الصورة٣٣٢)، إن أحمد باشا الكوبرلي ابنه، هو الذي دشنه بتوجيهات من والده محمد وهو الذي دشن أيضاً خان جسر الشغر، بعد جامعها (محمد الكوبرلي) انظر الرحالة ج٢ / ١٤٠ – ١٤٧ (الصورة٣٣٣) -



(الصورة ٣٣٢) لوحة تدشين خان الوزيرين في ادلب١٦٦٠م

(الصورة٣٣٣)جامع الكوبرلي في جسر الشغور

لقد أصدر السلطان فرمان (مرسوم) عثماني بخصوص أملاك بن القبللي (أي الكوبرلي) موجه إلى مولانا قاضي إدليب من أجل تحديد وضبط مجموعة أملاكه يرد ذكر نصف معصرة وأيضاً ورد في متروكات (زليخة بنت محمود) ذكر " المعصرة مع الدكان " سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م من أملاك المتوفى زوجها .وفي الوثائق العثمانية المسجلة في سجلات ضابطية ادليب سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م مكتوب نص :" فرمان (مرسوم) سلطاني بخصوص أملاك بن القبللي محمد (أي محمد باشا الكوبرلي) وموجه إلى قاضي ادليب في ضبط مجموعة أملاكه بعد وفاته وتعيين مباشر لضبط الأمور , وتحصيل ما يلزم من المستأجرين والاهتمام بذلك في وجوب الطاعة والتابعه وفي ذكر لـ مصبنة و ٥ كانلري (٥خانات) وبر (أي واحد) قهوه وأشجار زيتون .. " . ومن أوقاف (المرحوم محمد باشا الوزير الكوبرلي طاب ثراه ومرقده) الواردة في وثيقة سنة ١١٤٤هـ/١٧٣١م " تأجير دار بالمحلة الشمالية مع كل ما يلحق بها من محلات, ولدى محكمة إدلب الصغرى وبحضور عمدة قضاة

المسلمين فخر الموالى والمدرسين الحاكم الشرعي الحاج حسن بن المرحوم أبو بكر حقي باشا بن المرحوم رستم باشا فخر التجار الكرام.. من سكان قصبة إدلب الصغرى. وأشارت إلى المتولي على الوقف وهو الشيخ محمد أفندي بن الحاج أمين أدوقتا ؟ !" وكذلك ذكرت" البازركان (تاجر قماش) الحاج حسين جلبي بن المرحوم الحاج أحمد نعمة من أعيان إدلب بأنه يتولى الوقف بنفسه طيلة مدة حياته للجامع الذي يريد بناءه على سطح (فسحة أو ساحة صغيرة) خانه الذي كان قد بناه أولاً وقفاً لمفتي مكة ومفتي المدينة وفقراء الحرمين .وفي وثائق ضابطية إدليب عن المصابن ورد ذكر أنه حضر عند " حسن آغا بن عبد الرحمن الضابط بإدليب وفي سنة ١١٤٦هـ الحاج يوسف جلبي بن عطا الله من أهالي أرمناز التابعة لقضاء حارم استأجر من حضرت محمد بيك قبللي زادة (أي من آل كوبرلي) مصبنة الواحدة الكائنة بقصبة ادليب بأجرة كل سنة ٦٠٠ غروش .. وأنه بقي فيها ٦ أشهر لا غير لأنه باع قصبته لوالده الحاج عبد الله جلبي الجبريني الحلبي وحضرت محمد بيك باع المصبنة وهو قد أحضر كاتب المصبنة وجماعة من البازر كان (أي تجار الصابون أو تجار سوق القماش وانظر بحث الأسواق) الذين في المصبنة وشهود آخرين كـ الحاج عبد الرحمن أفندي المفتي والحاج حسين جلبي بن الشيخ نعمه " (الصورة في بحث المصابن) أحد أكبر وجهاء ادلب حينذاك – انظر ترجمته – لخبرته في قضايا ادلب الهامه ،وحب المجتمع لخيراته في ادلب والتاريخ ١١٣٧هـ٠ وقع في أيدينا فتوى عتيقة من سنة ١١٤٥ هـ تذكر توزع الوقف على الحرمين الشريفين (بمعرفة مفتي مكة) نسيت مصدرها، لكنها كانت تستخدم في ادلب الصغرى (الصورة ٣٢٤) كتبت بالعربية ،وفي الأخير ثلاثة أسطر بالعثمانية وفي الأعلى حسبة ارث...

كان هناك وقف له مخصصات تصرف على الحرمين الشريفين (مكة و المدينة) و ادلب كانت التوأم مع الشغور (هكذا اسمها الأقدم) وأهم هذه الأوقاف هي الجامع ،والخان ،وقد عرضنا واقعها العمراني، و تاريخهما في كتابينا الرحالة الجزء الثاني، و التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة ادلب .

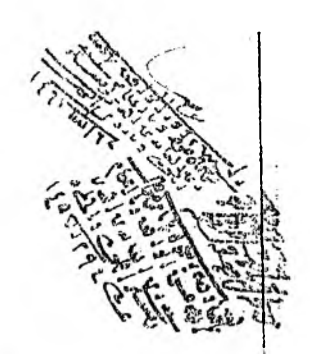
قصدت بالتوأم مع ادلب أن الكثير من الأوامر السلطانية (فرمان السلطان العثماني) كانت تصدر وتذكر وقف الكوبرلي في ادلب و شغور مع بعض . فالمرسوم السلطاني ١١٦١ هـ - ١٧٤٨ م يطلب ((تسليم أوقاف المرحوم كوبريلي محمد باشا من ادليب إلى السيد الحاج عمر ومن شغور إلى السيد كتخداي حاج علي, وكف يد المغتصب محمد بن رستم ومحاسبته عن الأموال الوقفية)).

إذن عدة فرمانات صدرت كحماية الوقف من استغلاله للمصالح الخاصة من قبل السباهية / الجنود المتنفذين الذين استغلوا الأوقاف ، وفي أمر آخر صدر عن السلطان أن متولي وقف الكوبرلي الضابط محمد بن رستم قد تقدم أهالي ادلب وأريحا و الشغور بعريضة ضده ، اتهموه بتحصيل ضرائب لصالحه الخاص في سنة ١١٧٧ هـ / ١٧٤٤ م وانه ظل رئيساً عليهم سبع سنوات طالبين كف يده ، فيستجيب السلطان لطلبهم .يبدو أن آل رستم تولوا الأوقاف زمنا طويلا ، رغم التدقيق عليهم ، إذ هناك أمر سلطاني ورد من القسطنطينية إلى حلب بتاريخ ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م يخاطبهم بلهجة الاحترام الزائد ((إلى الفاضل المتولي على أوقاف ادلب والشغور السيد رستم زاده محمد عند وصول أمرنا العالي إليكم ليكن معلوما أن أعداء الدين يجب أن لا ندع لهم فرصة لإظهار الفساد و الطغيان و خيانة الإسلام وأن هؤلاء الأشقياء يجب أن يتخذ بحقهم (فتوى شرعية) لقهرهم وإعدامهم وتصفيتهم ويطلب ذلك من والي مصر الوزير المشير عثمان باشا السر عسكر ... الخ)) تشير هذه الوثيقة إلى تنفذ آل رستم ودعم السلطة لهم ، وأنّ هناك من ينتهز الفرص لاستغلال الأوقاف ، كما تشير إلى أن محمد بن رستم قد تولى أوقاف الجسر و ادلب مع بعض .لقد أدى التعدي المستمر على الأوقاف إلى تراجع الدولة وموافقتها على بيعها ، وكما ورد في الأوامر السلطانية في عام ١١٩٦ / ١١٩٧ هـ وخاصة أوقاف كوبرولي محمد باشا والتي تولاها في ادلب والشغور قائمقام وضابط الشغور (رستم علي اوغلي أي ابن) الذي تنازع مع عمه الحج سليمان وابن أخيه عثمان ، لأغراض دنيوية وليس وقفية ، ونتيجة هذا النزاع جاء والي حلب يوسف باشا إلى قصبة الشغور للتوفيق بينهم و إتمام

الصلح ، ويتم تقييد متولي الأوقاف (رستم علي أوغلي) وسوقه محضوراً إلى حلب ، ولم ترض السلطات عن تصرف عمه الذي استغل غيابه, فنصب نفسه ضابطاً للوقف بالتعاون مع مفتي ادلب و كاتب الجمرك ، واتهم سلطان مع ابن أخيه عثمان أنهما قد اختلسا من الوقف نحو ٧٢٤٠,٥ قرشاً مع مفتي ادلب ، بالإضافة لأوقاف الرعايا بمقدار٣٠ ألف قرشاً وقد كلف نائب الشغور و قاضي ادلب باسترداد المبلغ لصالح الخزينة , ثم تليها وثيقة ب١١,٥٦٠ قرشاً طولب بها على آغا (رستم) فامتنع متأخرا ومدعياً إفلاسه و كان قد طلب الرحمة ، وذكر قاضي حلب كل ذلك مع طلبه إلى الوالي للاستفسار عن قبائح و مظالم علي أغا.. وأخذه الأموال الوقفية الخاصة برعاياها بعد شهادة الشهود عليه.وفي السجل ٣ في الأوامر السلطانية ،وثيقة ٤٢٠ ورد في " أمر ملكي حول منع ما يتجاوز عن ١٢٠ غروش من محصول الدخان في أراضي قضاء الشغور والعائدة لأوقاف المتوفى محمد باشا كوبرلي وما كان مخصصاً لممر الحجاج وأبناء السبيل في حلب وللخانات لإيواء أبناء السبيل من أوقاف الوزير الأعظم كوبرلي محمد باشا الواقعة في ممرات العربان والتي تتعرض لتعدي العربان والأشقياء صادر في ١١٤٩هـ وحرر في ١١٥٠هـ " = ١٧٣٧م . تؤكد لنا هذه الوثيقة واقع الوقف والتعدي عليه مع سعي السلطات لحمايته , كذلك تضيف إلى فاعل الخيرات محمد باشا كوبرلي مآثر جديدة له في مساعدة الحجاج وغيرهم من موارد أوقافه .وفي وثيقة أخرى ذكرت " شروط التولية على أوقاف الوزير الأعظم الشهيد محمد باشا في مناطق حلب والأقضية التابعة لها في سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦٢م ولمدة سنة عين لها كاتب وجابي وأمين الصرة للنظر في هذه المصالح من قبلنا في الأستانة ... " .وتلتها فيما بعد أخرى برقم ٢٧٢ تحدد شروط التولية ولكن في سنة ١١٧٦هـ في أن أهالي الحرمين الشريفين وما عين لهم من الضرر في السنين السابقة من كتاب وجباة ومشرفين على الأمور والمقادير العائدة للأوقاف المذكورة وما يترتب على خدمتها من المصالح تبلغ خمسة آلاف ومئتي وخمسين قرشاً وهي تحدد راتب الأغا ومصروفات أخرى ... " كذلك تفيد وثائق الأوامر السلطانية أن للشهيد محمد باشا وقفاً في قرية تفتناز وتعوم مع تعيين متول على هذه الأوقاف سنة ١١٥٢ مع تراكم ديون على هذا الوقف في هاتين القريتين بسبب فقر حالهم ,

وقد كانت هذه الإيرادات تودع لصالح الحجاج، ويعين لتلك المهمة مسؤول عن الصرة للحجاج وأن تكون الجباية في حينها بإشراف المتولي قائمقام حلب، واذي تولاه بالإشراف على الجباية (إبراهيم خان زادة إسماعيل) وفي السجل السابع وثيقة ١٦٨ موجهة من السلطان إلى والي حلب وقاضيها سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م " استناداً إلى شرط الواقف من تولي الأمناء التي آلت إلى محافظ بندر الوزير المشير الحاج أحمد باشا بالتولية على أوقاف الصدر الأعظم السابق الوزير الخطير محمد باشا الكوبرلي وما كان بموجبها يدفع أهالي قرية مسطون التابعة إلى قضاء الشغور سنوياً ثلاثمائة قرشاً وأهالي أكحراد السعفية مائتي قرشاً وكلاهما إلى رؤساء عشيرة الموالي من الأوقاف المذكورة ... فقد اقتضى منع أمراء الموالي من تطلبهم إضافات ... " .وفي السجل ٧٦ وثيقة ١٩٠ سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ورد الأمر في شكل بيان متولي أوقاف الشهيد محمد باشا والصرة والحرمين لما كنت بموجب الشروط الشرعية المتولي على أوقاف جدي المرحوم الصدر الأعظم الشهيد محمد باشا في حلب وأنطاكية و صيدا و طرابلس الشام، وتوابعها وما فيها من مدن وضياع وحمامات وسبلان ومسقفات وكان قد جرى تفويض المدعو أحمد أغا بالعهدة بها لمدة سنتين منذ رمضان المبارك ١١٧٩هـ وكان لصرة الحرمين الشريفين الحصة المعتادة من غلات وحاصلات الأوقاف المذكورة قد جرى تسليمها إلى أمين الصرة " . ثم تبحث الوثيقة عن كيفية المعاملة والمسقفات والأجور والرسوم العرفية والأماكن الوقفية ... إبراهيم خان زادة متولي أوقاف جده الصدر الأعظم الشهيد محمد باشا . كذلك هناك شكوى رعايا أوقاف السادة المصريين بخدمة أوقاف الحرمين الشريفين وأن من يقوم بتأدية ما يترتب عليها فإن دوائر البكلريك والمحافظ و البوندة وبعض العرفاء تزهقها وتنكر حقوقها .. خلافاً لأوامرنا السنية (أي أوامر السلطان) تبين أنها معفية في قرى أريحا و عبادية و كفرلاته و كفرنجه ومفردان و جوباش و فوعه و شواقيل و داديخ .. وأن تؤدي إلى جباية من الرسوم العرفية .. ومما هو غير قانوني كالذبيحة و الغذائية و الركوبية التي لا يجوز فرضها إلا بمعرفة القضاة والمتولين على الأوقاف " .وفي وثائق الأوامر السلطانية في السجل ١٢ ترد أكثر من وثيقة تشير إلى التزام الحاج عبد الرحمن بجباية عائدات وقف الشهيد

محمد باشا لمصلحة الصرة الشريفة سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٨م ورفع الملتزم السابق عادل زادة مصطفى نظراً لسوء تصرفه بالأموال , ومع ضبط إيرادات الوقف لمدة ثلاثة أعوام ١١٨٧ ـ ١١٨٨ ـ ١١٨٩هـ " ... كثيرة هي الأوقاف الخاصة بآل الكوبرلي في ولاية حلب فقد ورد في السجل الأول من الأوامر السلطانية وثيقة ٦٩٦ سنة ١١٦٤هـ بوجود " ١٩٧ بيتاً و دكاناً و خاناً هي من أوقاف الشهيد محمد باشا " . وفي السجل الثاني بعض هذه الأوقاف بحلب سنة ١١٣٥ كوقف في السليمانية باسم كوبريلي باشا أو كوبرولي محمد باشا , وقد خصص معظم ريعها لصالح أوقاف الحرمين الشريفين، وكما ورد في عدة أوامر سلطانية كالمرسوم الصادر سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٥م وقد طالب أحفاده بحقوق هذه الأوقاف، وكما ورد في الوثيقة ٢٩٥ في السجل الثاني " تحت إمرة جدي الشهيد المقيدة منذ ١٣٧ سنة صدر ١١٣٧هـ " = ١٧٢٥م . هنا وثيقة من سر ٣ رقم ٥٦ دفتري ٤٣ ونفس السنة يرد أمر سلطاني باطلاع قاضي منطقة العمق حول أوقاف الوزير السابق كبريلي محمد باشا جد المتولي الحالي لمنع المظالم والتعديات التي تقع على الأهالي خلافاً للأمر السلطاني وللسير بالأمور كالسابق وكما جاء مشروحاً بالأمر العالي عند وصول المتولي رافع هذا الكتاب للسدة العلية ١١٤٦هـ " = ١٧٣٣م . طبعاً له أوقاف في المنطقة كلها وفي أنطاكية بعد سهل العمق . كذلك ورد أن له أوقاف في حزانو باسم " أوقاف الصدر الأعظم محمد باشا في حزانو وكله (شمال ادلب) وقراها، واسم ناظر الوقف إدريس أغا في ١٢ شوال ١٢٠٠هـ " .



(الصورة ٣٣٤) وثيقة وقف عتيقة مع حصر ارث١١٤٥هـ

وفي السجل السابع وثيقة ١٦٨ موجهة من السلطان إلى والي حلب وقاضيها سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م " استناداً إلى شرط الواقف من تولي الأمناء التي آلت إلى محافظ بندر الوزير المشير الحاج أحمد باشا بالتولية على أوقاف الصدر الأعظم السابق الوزير الخطير محمد باشا الكوبرلي وما كان بموجبها يدفع أهالي قرية قسطون التابعة إلى قضاء الشغور سنوياً ثلاثمائة قرشاً

وأهالي أكحراد السعفية مائتي قرشاً، وكلاهما إلى رؤساء عشيرة الموالي من الأوقاف المذكورة ... فقد اقتضى منع أمراء الموالي من تطلبهم إضافات ... "

وفي سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٦م يصدر السلطان أمراً بتولية محمد أغا على أوقاف الشهيد محمد باشا وتنحية أحمد أغا كونه لم يقم بالتولية حسب الشروط , ولم يرسل ٥٢٠٠ غروش إلى الأستانة العلية (أي العاصمة القسطنطينية / اسطنبول) مع إجراء الحسابات مع المتولي المعزول , وسبب الكتاب من طلب حفيده عبد الله إبراهيم خان زادة حول الأوقاف في حلب و أنطاكية و صيدا و بيروت و طرابلس لعدم قيامه بشروط الوقف .." وهو نفسه يرد في وثيقة ٢٤٧ في السجل ٧ يؤكد على أوقاف جده محمد باشا بقوله " وباعتباري المتولي على هذه الأوقاف فقد فوضت الحاج عبد الرحمن أغا بتولية الوقفية لمدة سنة اعتباراً من رمضان ١١٨٠هـ على أن يقوم بتحضير وتأدية صرة الحرمين الشريفين وتسليمها إلى أمينها لإرسالها إلى مستحقيها بالحجاز وإرسال ٥٢٠٠ قرشا إلى إدارة التولية الكبرى في الأستانة العلية ... " وفي السجل ٨ وثيقة ١٩ في الأوامر السلطانية لولاية حلب يرد أمر إعفاء للعاملين في وقف محمد باشا موجه " إلى نقباء الحرفيين والتجار و الكسبة و العمال و الضباط , نحيطكم علما بأن خطباء و مدرسي (الروضة المطهرة) و ساكني عقارات وقف الوزير السابق المغفور له الشهيد محمد باشا وقد أعفوا من الرسوم الاستثنائية حسب الأوامر الصادرة من الباب العالي يطلب عدم التعرض لهم ونذكركم بأنه سبق وأن أصدر قاضي حلب مصطفى أفندي تعليماته بهذا الخصوص حرر من الفقير مصطفى صادق القاضي في حلب " ١١٨١هـ / ١٧٦٧م وفي سنة ١٨٨٧هـ يسمى مصطفى بك العادلي متولياً على أوقاف محمد باشا وعلى أن يرسل بعد دفع نفقات موظفي إدارة الوقف المبالغ المتبقية إلى المتولي الكبير في الأستانة تسلم بواسطته إلى أمين الصرة الشريفة والبالغة قدرها ٥٥٠٠ قرشاً " . ومن الوثائق الأهم حول أوقاف محمد باشا الكوبرلي بادلب ما ورد في السجل ١٣ وثيقة ٦٣ في الأمر السلطاني الصادر من السلطان إلى والي حلب " من أوقاف الصدر الأعظم المتوفى كوبرولي محمد باشا في استانبول ومنها في ادلب بولاية حلب الموقوفة منذ زمان التي

تضبط وتصدق رسومها السنوية بكل حرية تامة دون تدخل أو أية اعتراض من أهل العرف ما عدا طرف الوقف الملتزمين بضبطها ومنذ سنتين كان ولاة حلب يشرفون عليها جزئياً وكانوا يعينون عليها مباشرين الذين يقومون بفرض الغرامات والتجريم وإزعاج رعاياها المستفيدين من الوقف إضافة لبسطهم الخلل في أنظمتها وترك رعاياها بحالة سيئة . علماً بأن من حصيلة الوقف المذكور تترتب إرسال ما يخص للصرة الشريفة للحرمين وبالتالي بسبب النقصان في تحصيلات الوقف ولهذا أعطي أمرنا الشريف لمتولي الوقف القائمقام عبد الواحد وهو من أولاد متولي الأوقاف الواقف , بناء على الإشارة المقيدة في محاسبة الأناضولي عن هذه الأوقاف الحائزة على حريتها بالتصرف من كافة الوجوه ما عدا بعض الرسوم الخارجة عنها شريطة عدم التدخل أو التعرض وملاحظة شروطها وفق الأمر الصادر للعمل بموجبه سنة ١١٩٠هـ " توافق ١٧٧٦م . ثم يوجه قاضي حلب الشهباء كتاباً إلى والي حلب وكيل الوقف حول أوقاف الصدر الأسبق كوبرولي محمد باشا في ادلب وأن " الوقف المذكور مفروز القلم ومقطوع القدم من رعاياها الخاصة ما عدا بعض الرسوم الخارجة , وذلك بموجب الأمر العالي الوارد إلينا وكتابنا المرسل لحضرة الوزير والي حلب المقتضى والسلام قاضي حلب الشهباء " .وفي السجل ٧ وثيقة ١٩٠ سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ورد الأمر في شكل بيان متولي أوقاف الشهيد محمد باشا والصرة والحرمين ..لما كنت بموجب الشروط الشرعية المتولي على أوقاف جدي المرحوم الصدر الأعظم الشهيد محمد باشا في حلب وأنطاكية و صيدا و طرابلس الشام وتوابعها وما فيها من مدن وضياع وحمامات وسبلان،ومسقفات وكان قد جرى تفويض المدعو أحمد أغا بالعهدة بها لمدة سنتين منذ رمضان المبارك ١١٧٩هـ وكان لصرة الحرمين الشريفين الحصة المعتادة من غلات وحاصلات الأوقاف المذكورة قد جرى تسليمها إلى أمين الصرة " . ثم تبحث الوثيقة عن كيفية المعاملة والمسقفات والأجور والرسوم العرفية والأماكن الوقفية ... إبراهيم خان زادة متولي أوقاف جده الصدر الأعظم الشهيد محمد باشا . كذلك هناك شكوى رعايا أوقاف السادة المصريين بخدمة أوقاف الحرمين الشريفين، وأن من يقوم بتأدية ما يترتب عليها فإن دوائر البكلريك والمحافظ و البوندة وبعض العرفاء

تزهقها وتنكر حقوقها .. خلافاً لأوامرنا السنية (أي أوامر السلطان) تبين أنها معفية في قرى أريحا و عبادية و كفرلاته و كفرنجه ومفردان و جوباش و فوعه و شواقيل و داديخ .. وأن تؤدي إلى جباية من الرسوم العرفية .. ومما هو غير قانوني كالذبيحة و الغذائية و الركوبية التي لا يجوز فرضها إلا بمعرفة القضاة والمتولين على الأوقاف " .وفي سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٦م يصدر السلطان أمراً بتولية محمد أغا على أوقاف الشهيد محمد باشا وتنحية أحمد أغا كونه لم يقم بالتولية حسب الشروط , ولم يرسل ٥٢٠٠ غروش إلى الأستانة العلية (أي العاصمة القسطنطينية / اسطنبول) مع إجراء الحسابات مع المتولي المعزول , وسبب الكتاب من طلب حفيده عبد الله إبراهيم خان زادة حول الأوقاف في حلب و أنطاكية و صيدا و بيروت و طرابلس لعدم قيامه بشروط الوقف .." وهو نفسه يرد في وثيقة ٢٤٧ في السجل ٧ يؤكد على أوقاف جده محمد باشا بقوله " وباعتباري المتولي على هذه الأوقاف فقد فوضت الحاج عبد الرحمن أغا بتولية الوقفية لمدة سنة اعتباراً من رمضان ١١٨٠هـ على أن يقوم بتحضير وتأدية صرة الحرمين الشريفين وتسليمها إلى أمينها لإرسالها إلى مستحقيها بالحجاز وإرسال ٥٢٠٠ قرشاً إلى إدارة التولية الكبرى في الأستانة العلية ... "السجل ٨ وثيقة ١٩ في الأوامر السلطانية لولاية حلب يرد أمر إعفاء للعاملين في وقف محمد باشا موجه " إلى نقباء الحرفيين والتجار و الكسبة و العمال و الضباط , نحيطكم علماً بأن خطباء و مدرسي (الروضة المطهرة) و ساكني عقارات وقف الوزير السابق المغفور له الشهيد محمد باشا وقد أعفوا من الرسوم الاستثنائية حسب الأوامر الصادرة من الباب العالي يطلب عدم التعرض لهم ونذكركم بأنه سبق وأن أصدر قاضي حلب مصطفى أفندي تعليماته بهذا الخصوص حرر من الفقير مصطفى صادق القاضي في حلب " ١١٨١هـ / ١٧٦٧م وفي سنة ١١٨٧هـ يسمى مصطفى بك العادلي متولياً على أوقاف محمد باشا وعلى أن يرسل بعد دفع نفقات موظفي إدارة الوقف المبالغ المتبقية إلى المتولي الكبير في الأستانة تسلم بواسطته إلى أمين الصرة الشريفة والبالغة قدرها ٥٥٠٠ قرشاً " .ومن الوثائق الأهم حول أوقاف محمد باشا الكوبرلي بإدلب ما ورد في السجل ١٣ وثيقة ٦٣ في الأمر السلطاني الصادر من السلطان إلى والي حلب " من أوقاف الصدر الأعظم

المتوفى كوبرولي محمد باشا في استانبول ومنها في ادلب بولاية حلب الموقوفة منذ زمان التي تضبط وتصدق رسومها السنوية بكل حرية تامة دون تدخل أو أية اعتراض من أهل العرف، ما عدا طرف الوقف الملتزمين بضبطها، ومنذ سنتين كان ولاة حلب يشرفون عليها جزئياً، وكانوا يعينون عليها مباشرين الذين يقومون بفرض الغرامات ،والتجريم ،وإزعاج رعاياها المستفيدين من الوقف ،إضافة لبسطهم الخلل في أنظمتها ،وترك رعاياها بحالة سيئة . علماً بأن من حصيلة الوقف المذكور تترتب إرسال ما يخص للصرة الشريفة للحرمين، وبالتالي بسبب النقصان في تحصيلات الوقف، ولهذا أعطي أمرنا الشريف لمتولي الوقف(القائمقام عبد الواحد) وهو من أولاد متولي الأوقاف الواقف , بناء على الإشارة المقيدة في محاسبة الأناضولي عن هذه الأوقاف الحائزة على حريتها بالتصرف من كافة الوجوه، ما عدا بعض الرسوم الخارجة عنها ،شريطة عدم التدخل، أو التعرض ،وملاحظة شروطها وفق الأمر الصادر للعمل بموجبه سنة ١١٩٠هـ " توافق ١٧٧٦م . ثم يوجه قاضي حلب الشهباء كتاباً إلى والي حلب وكيل الوقف حول أوقاف الصدر الأسبق كوبرولي محمد باشا في ادلب، وأن " الوقف المذكور مفروز القلم ومقطوع القدم من رعاياها الخاصة ما عدا بعض الرسوم الخارجة , وذلك بموجب الأمر العالي الوارد إلينا وكتابنا المرسل لحضرة الوزير والي حلب المقتضى والسلام قاضي حلب الشهباء " .وفي وثائق الأوامر السلطانية في السجل ١٢ ترد أكثر من وثيقة تشير إلى التزام الحاج عبد الرحمن بجباية عائدات وقف الشهيد محمد باشا لمصلحة الصرة الشريفة سنة ١١٨٨ه / ١٧٧٤م ورفع الملتزم السابق عادل زادة مصطفى نظراً لسوء تصرفه بالأموال , ومع ضبط إيرادات الوقف لمدة ثلاثة أعوام ١١٨٧ – ١١٨٨ – ١١٨٩هـ " . وفي السجل ٢٧ وثيقة ٥٨ مصدرها قاضي حلب وموجهة " إلى الأغا قائمقام قصبة ادلب ومتوليها بعد السلام ننهي إليكم بأن من أوقاف المغفور له الوزير الأعظم كوبرولي محمد باشا وأهاليها المأجورين والمحتكرين منهم لخانات الكدش و العوارض أي المنازل وكافة الأشياء الأخرى فهي معفاة من كافة التكاليف أي الضرائب ورعاياها أحراراً منذ أزمنة قديمة , وقد أعطي الأمر شروطها إلى متوليها من كبار رؤساء الأبواب

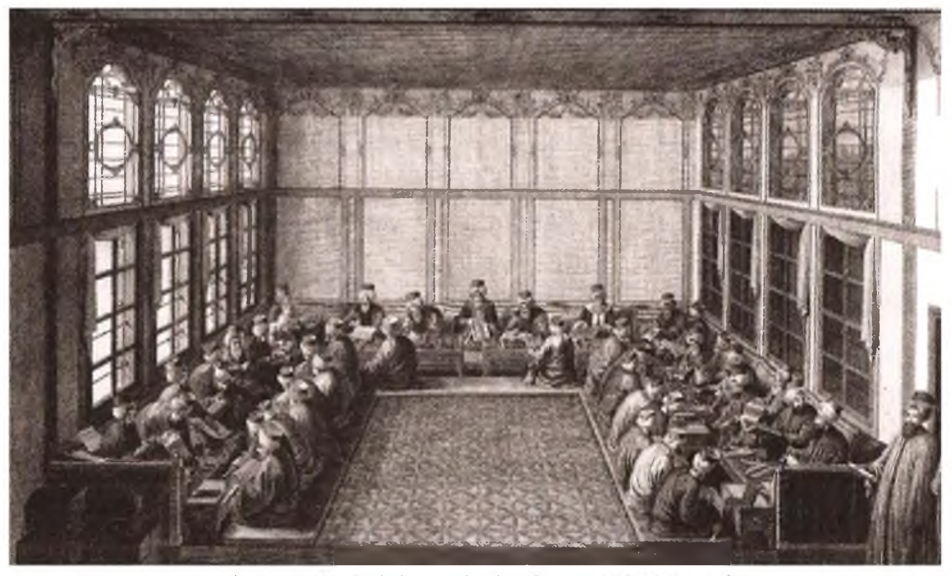
والمقام العالي سعادة محمد سعيد بك وفقاً لاستدعائه والأمر الصادر في حلب الشهباء المسجل والمحفوظ قيده الذي ينص على إعفاء الأهلين من كافة هذه التكاليف , ولم يطلب شيء يزعجهم وللعمل على تنفيذ الأمر وعدم مخالفته والسلام " ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م . وبعدها يرد من السلطان إلى والي حلب تثبيتاً لذلك " هو محمد سعيد بك في منطقة العمق و الشغور وقصبة ادلب وقراها التابعة بعد قيامهم بتجديد و إصلاح قلعتها و العمارات و الجسور فيها أصبح الإعفاء يشملهم عن سائر التكاليف (أي الضرائب المتوجبة) عن المنازل و العوارض دون أن يتعرض إليهم أحد , ولكن بعض الأفراد من الرعايا أقدموا على التعدي وإزعاج هؤلاء و الأشخاص بحالة سيئة .. وبعد صدور الأمر لمشاهدة دفاتر الأوقاف المحفوظة لدى الخزينة المتعلقة بأوقاف المرحوم في قرية تل جانوش المحرر فيها سبعة وثلاثون شخصاً ومقيدة عليهم ثلاثة آلاف وثلاثمئة وثلاثون أقجة (عملة نقدية) من أموال ديموس . وادلب الصغرى مع رسوماتها بما فيها الهبات والتمليك الملحقة بها , علماً بأن سائر هذه التكاليف الواردة مشمولة بالإعفاء العام وفق أمرنا الشريف الصادر في أوائل ذي الحجة ١٢١٠هـ القاضي على الأهلين في قرى المغفور له محمد باشا بعد تجديدهم للقلعة و العمارات و حفظ ممراتها و إسكان الحجاج المسلمين في عماراتها فإنه يحق لهؤلاء إعفاءهم وعدم مطالبتهم بالتكليف و الحذار لمن يتعدى عليهم بعد إعطائنا الشروط الواردة في أمرنا الصادر تلخيصه من قبل حضرة الحاج إبراهيم رشيد ولتنفيذ مضمونه ١٧ ربع الأول ١٢١٣هـ " توافق ١٧٩٨م ٠في السجل ٢٧ وثيقة ٦٨ الأوامر السلطانية .في أكثر من وثيقة وقف تتضمن لقب (جده الشهيد المتوفى محمد باشا) في الأوامر السلطانية ،وتشير بذلك إلى الصدر الأعظم محمد باشا الكوبرلي الذي تولى الصدارة العظمى ١٦٥٦-١٦٦١م وكما ورد في الأمر السلطاني سنة ١٢١٦هـ حول (العقارات الوقفية العائدة للحرمين الشريفين وخراب وعطل بعض العقارات لمرور الأزمان في حلب..) بل كان بعضهم قد استأجر أوقاف الكوبرلي ففي سنة ١٢٦٠هـ "للشهيد محمد باشا (الكوبرلي) وقف في حلب والمستأجر السابق كان الشيخ طه بن الشيخ على كيالي زادة وهي بجوار سوق باب انطاكيه، وقد خربت بسبب الزلزال الكبير خان-مقهى عرصة، ثم أجرت

بالمزاد العلني.. الوثائق الخاصّة بوقف الكوبرلي كتاب التلزيم لبعض ملاك وعقارات الوقف تذكر ((إن وقف المغفور له محمد كبريلي باشا في ادلب الصغرى المتولية لنصف حصة خان الحنطة (سعيدة خانم) وهناك أيضاً دكاكين عبد الحميد بك مع مقهى خانه وأشجار زيتون وكذلك وقف حمام الحاج اسماعيل آغا المعهودة بموجب شروطها لدولة أفندينا حضرة والي حلب اعتباراً من شهر آذار ١٢٤١هـ بمبلغ مقطوع قدره اثنان وسبعون ألفاً وستمئة قرشاً لإلزامها لبعض الأهلين الذين قبلوا توكيل صاحب الدولة وبتفضله على تعيين سعادة الآغا ليتولى ضبط نفقات المطبخ وترتيب الصرة الهمايونيه(السلطانية) وبهذا يمنح أجرة بمثابة خرجية قدرها خمسمئة قرشاً, وترتيب يتناولها شهراً بعد شهر وأن بدلات الالتزام البالغ اثنان وسبعون ألفاً وستمئة قرشاً تدفع على ثلاث أقساط بتواريخها المحددة وتؤدي بتمامها إلى خزانة الدولة وبعد التسليم يتلف هذا التحرير التواقيع درويش محمد / درويش أحمد/ محمد عبد الرحمن/ مصطفى عمر١٢٤١هـ " ١٨٢٦م.وكذلك وضع اليهود يدهم على هذه الأوقاف وكما ورد في سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م (بتأجير قطعة البستان بحلب العائدة لوقف ابراهيم خان زادة والشهيد محمد باشا إلى اليهود الأربعة بالتساوي) وكان السلطان يتابع الاهتمام بأوقاف آل الكوبرلي نظراً لضخامتها ،واتساعها، وخاصة في الشمال السوري، فتصدر عدة أوامر سلطانية في ذلك لكونها مخصصة للحرمين، ففي سنة ١٢٤١هـ تصدر الأوامر العليا في ذلك مع حسبتها بدقة واهتمام في أموال وقف ادلب والشغور المحصلة عن عام ١٢٤٠هـ والبالغة (١٢٠٦٠ قرشاً) للصرة وتسلم لأمينها ابراهيم آغا. وكذلك كان لهم وقف في (سرمين يقع بالقرب من مقام الصحابي أبي أيوب الأنصاري وقف المرحوم الحاج محمد باشا الواقعة في ناحية سرمين وكفر صندال وقراها التابعة..) وبما ان وقفهم قد اهتم به بشكل رئيس ومباشر (ناظر أوقاف الحرمين الشريفين بشير آغا تحت نظارته وقف المرحوم محمد باشا، والمتصرفة بهذا الوقف السيدة أمينة بنت حسين التي انتقلت إلى رحمة ربها وبناء لإعلام مفتش الحرمين الحاج ابراهيم بحق التصرف نيابة من ١١٦٩هـ توليات صاحبات العفة زينب وفاطمة ابنتا شقيقة المرحومة منذ عام ١١٧٠هـ لقاء عشرة أقجات يومية..) أما وثيقة أخرى من

القاضي فتؤكد تنفيذ ما سبق بموجب البراءة العالية، أي السلطانية.. تليها وثيقة أخرى بإبقاء السيدة صفية متولية لوقف المرحوم محمد باشا بموجب ما قد رفعه ناظر الأوقاف بشير آغا مع أخواتها فاطمة وزينب تنفذ سنة ـ١١٧٠ ه والبراءة تحت سنة ١١٧٢هـ ولـ صفية دليل اسمه بمقدار ٣٠ ألف قرشاً وقد كلف نائب الشغور و قاضي ادلب باسترداد المبلغ لصالح الخزينة , ثم تليها وثيقة ب١١,٥٦٠ قرشاً طولب بها على آغا (رستم) فامتنع متأخرا ومدعياً إفلاسه و كان قد طلب الرحمة ، وذكر قاضي حلب كل ذلك مع طلبه إلى الوالي للاستفسار عن قبائح و مظالم علي أغا.. وأخذه الأموال الوقفية الخاصة برعاياها بعد شهادة الشهود عليه.وفي السجل ٣ في الأوامر السلطانية ،وثيقة ٤٢٠ ورد في " أمر ملكي حول منع ما يتجاوز عن ١٢٠ غروش من محصول الدخان في أراضي قضاء الشغور والعائدة لأوقاف المتوفى محمد باشا كوبرلي وما كان مخصصاً لممر الحجاج وأبناء السبيل في حلب وللخانات لإيواء أبناء السبيل من أوقاف الوزير الأعظم كوبرلي محمد باشا الواقعة في ممرات العربان والتي تتعرض لتعدي العربان والأشقياء صادر في ١١٤٩هـ وحرر في ١١٥٠هـ " = ١٧٣٧م . تؤكد لنا هذه الوثيقة واقع الوقف والتعدي عليه مع سعي السلطات لحمايته , كذلك تضيف إلى فاعل الخيرات محمد باشا كوبرلي مآثر جديدة له في مساعدة الحجاج وغيرهم من موارد أوقافه .وفي وثيقة أخرى ذكرت " شروط التولية على أوقاف الوزير الأعظم الشهيد محمد باشا في مناطق حلب والأقضية التابعة لها في سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦٢م ولمدة سنة عين لها كاتب وجابي وأمين الصرة للنظر في هذه المصالح من قبلنا في الأستانة ... " .وتلتها فيما بعد أخرى برقم ٢٧٢ تحدد شروط التولية ولكن في سنة ١١٧٦هـ في أن أهالي الحرمين الشريفين وما عين لهم من الضرر في السنين السابقة من كتاب وجباة ومشرفين على الأمور والمقادير العائدة للأوقاف المذكورة وما يترتب على خدمتها من المصالح تبلغ خمسة آلاف ومئتي وخمسين قرشاً وهي تحدد راتب الأغا ومصروفات أخرى ... " كذلك تفيد وثائق الأوامر السلطانية أن للشهيد محمد باشا وقفاً في قرية تفتناز وتعوم مع تعيين متول على هذه الأوقاف سنة ١١٥٢ مع تراكم ديون على هذا الوقف في هاتين القريتين بسبب فقر حالهم , وقد كانت هذه الإيرادات

تودع لصالح الحجاج، ويعين لتلك المهمة مسؤول عن الصرة للحجاج وأن تكون الجباية في حينها بإشراف المتولي قائمقام حلب، واذي تولاه بالإشراف على الجباية (إبراهيم خان زادة إسماعيل) وفي السجل السابع وثيقة ١٦٨ موجهة من السلطان إلى والي حلب وقاضيها سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م " استناداً إلى شرط الواقف من تولي الأمناء التي آلت إلى محافظ بندر الوزير المشير الحاج أحمد باشا بالتولية على أوقاف الصدر الأعظم السابق الوزير الخطير محمد باشا الكوبرلي وما كان بموجبها يدفع أهالي قرية مسطون التابعة إلى قضاء الشغور سنوياً ثلاثمائة قرشاً وأهالي أكحراد السعفية مائتي قرشاً وكلاهما إلى رؤساء عشيرة الموالي من الأوقاف المذكورة ... فقد اقتضى منع أمراء الموالي من تطلبهم إضافات ... " .وفي السجل ٧٦ وثيقة ١٩٠ سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ورد الأمر في شكل بيان متولي أوقاف الشهيد محمد باشا والصرة والحرمين لما كنت بموجب الشروط الشرعية المتولي على أوقاف جدي المرحوم الصدر الأعظم الشهيد محمد باشا في حلب وأنطاكية و صيدا و طرابلس الشام، وتوابعها وما فيها من مدن وضياع وحمامات وسبلان ومسقفات وكان قد جرى تفويض المدعو أحمد أغا بالعهدة بها لمدة سنتين منذ رمضان المبارك ١١٧٩هـ وكان لصرة الحرمين الشريفين الحصة المعتادة من غلات وحاصلات الأوقاف المذكورة قد جرى تسليمها إلى أمين الصرة " . ثم تبحث الوثيقة عن كيفية المعاملة والمسقفات والأجور والرسوم العرفية والأماكن الوقفية ... إبراهيم خان زادة متولي أوقاف جده الصدر الأعظم الشهيد محمد باشا . كذلك هناك شكوى رعايا أوقاف السادة المصريين بخدمة أوقاف الحرمين الشريفين وأن من يقوم بتأدية ما يترتب عليها فإن دوائر البكلريك والمحافظ و البوندة وبعض العرفاء تزهقها وتنكر حقوقها .. خلافاً لأوامرنا السنية (أي أوامر السلطان) تبين أنها معفية في قرى أريحا و عبادية و كفرلاته و كفرنجه ومفردان و جوباش و فوعه و شواقيل و داديخ .. وأن تؤدي إلى جباية من الرسوم العرفية .. ومما هو غير قانوني كالذبيحة و الغذائية و الركوبية التي لا يجوز فرضها إلا بمعرفة القضاة والمتولين على الأوقاف " .وفي وثائق الأوامر السلطانية في السجل ١٢ ترد أكثر من وثيقة تشير إلى التزام الحاج عبد الرحمن بجباية عائدات وقف الشهيد محمد باشا

لمصلحة الصرة الشريفة سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٨م ورفع الملتزم السابق عادل زادة مصطفى نظراً لسوء تصرفه بالأموال , ومع ضبط إيرادات الوقف لمدة ثلاثة أعوام ١١٨٧ ـ ١١٨٨ ـ ١١٨٩هـ " ... كثيرة هي الأوقاف الخاصة بآل الكوبرلي في ولاية حلب فقد ورد في السجل الأول من الأوامر السلطانية وثيقة ٦٩٦ سنة ١١٦٤هـ بوجود " ١٩٧ بيتاً و دكاناً و خاناً هي من أوقاف الشهيد محمد باشا " . وفي السجل الثاني بعض هذه الأوقاف بحلب سنة ١١٣٥ كوقف في السليمانية باسم كوبريلي باشا أو كوبرولي محمد باشا , وقد خصص معظم ريعها لصالح أوقاف الحرمين الشريفين، وكما ورد في عدة أوامر سلطانية كالمرسوم الصادر سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٥م وقد طالب أحفاده بحقوق هذه الأوقاف، وكما ورد في الوثيقة ٢٩٥ في السجل الثاني " تحت إمرة



(الصورة ٣٣٥) رسم يظهر لنا الديوان السلطاني في اسطنبول

جدي الشهيد المقيدة منذ ١٣٧ سنة صدر ١١٣٧هـ " = ١٧٢٥م . هنا وثيقة من سر ٣ رقم ٥٦ دفتري ٤٣ ونفس السنة يرد أمر سلطاني باطلاع قاضي منطقة العمق حول أوقاف الوزير السابق كبريلي محمد باشا جد المتولي الحالي لمنع المظالم والتعديات التي تقع على الأهالي خلافاً للأمر السلطاني وللسير بالأمور كالسابق وكما جاء مشروحاً بالأمر العالي عند وصول

المتولي رافع هذا الكتاب للسدة العلية ١١٤٦هـ " = ١٧٣٣م . طبعاً له أوقاف في المنطقة كلها وفي أنطاكية بعد سهل العمق . كذلك ورد أن له أوقاف في حزانو باسم " أوقاف الصدر الأعظم محمد باشا في حزانو وكله (شمال ادلب) وقراها، واسم ناظر الوقف إدريس أغا في ١٢ شوال ١٢٠٠هـ " .

وجه قاضي ادلب كتاباً وكأنه استدعاء سمي في الوثيقة (عرضحال) إلى الديوان الهمايوني (الديوان السلطاني) (الصورة٣٣٥)عثمان عنده حجة شرعية تتضمن خاتم وتوقيع المحاسب والأخير راتبه عشرة أقجات... هنا دليل على دور المرأة في إدارة الوقف. لقد ازداد السكان في منتصف القرن الثامن عشر ،هو عصر ازدهار ادلب اقتصادياً واجتماعيا بعد اهتمام آل الكوبرلي بها ،وناظري الأوقاف) وجاء الرد فيها من السلطان «إلى قدوة القضاة والحكام معدن الفضل والكلام مولانا قاضي ادلب زيد فضله» وفُهم منه «في نظام المشيخة الاسلامية فإن أوقاف الصدر الأعظم الأسبق المتوفى كوبريلي محمد باشا وهو جد واضعي اليد على الوقف في جسر الشغور وادلب منذ وقت تسجيل هذه الأوقاف في القضاءين بموجب الخط الهمايوني (السلطاني) على أساس حرية الوقف وقيوده ومتصرفين على الوجه الأصح, ولكن من خلال تدخل حكام حلب ومحصليها من طرف الأشقياء_ يعتدون على الوقف وموارده خلافاً للخط الهمايوني, ومغايراً للشروط المستحقة... واعتدوا على فقراء الوقف ورعاياه وسببوا بغير حق للوقف أضراراً كبيره, ورغم تقديم طلب استرحام سابق, فما زال التعدي لذلك أصدرنا أمرنا (أي السلطان) الشريف العالي للعمل بموجبه بناء على طلب من تقدم من فقراء ادلب والأهالي (عرض حالات) وعلى إثرها فهم منها منذ القديم, وأما قائمقامية الأوقاف المذكور فقد نصبتُ على إدارتها محمد منير زيد قدره وهو صاحب السيرة الطيبة ومن أهل العرض يداري الفقراء ويساعدهم ويعطي حقوق الحرمين الشريفين بوقته» الوثيقة طويلة تستعرض انه ثقة ويسلم أموال الوقف إلى أمين الصرة لتوزع في سايقة الحجاج (اي في رحلة الحجاج)وعلى الفقراء من الأهالي والمساكين وتاريخ الوثيقة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م.

أفادتنا الوثيقة: أ_ أن هناك أسس يتم بموجبها الإشراف على الأوقاف الخاصة بآل كوبرلي.ب_ بدأ التعدي عليها خاصة بعد تسلم من يريد استغلالها. لذلك تقدم أهالي ادلب بالشكوى إلى السلطان ع/ط القاضي وتمت استجابة طلبهم, وبقية الوثيقة تؤكد ذلك في عودة محمد منير لتوقيف الاعتداءات بل قالت "وهو حر مطلق أميناً على توليته" ((وكما كان سابقاً حراً لا يتدخل بشؤون هذا الوقف أحد غير المتولي محمد منير وهو المسؤول عنه في كل شؤونه وأموره واستلام أمواله)) أي أصبح متولي أوقاف الكوبرلي بإدلب مطلق الصلاحية... جـ_ ذكرت أنه يقدم مالاً لرئيس السقائين في الحرمين الشريفين .د_ أهالي ادلب قد كانوا يتذمرون من استغلال أوقافهم سواء من قبل والي حلب والمتنفذين المستغلين لهذه الأوقاف, وهذه إشارة واضحة على بداية تراجع الإشراف على الأوقاف وضبط سجلاتها وكما كانت في زمن المتولي ابشير آغا في القرن الماضي, والسبب ضعف نفوذ آل كوبرلي بوفاة معظم من يمت إليهم, أو تعديل في سجلات الأوقاف لتحقيق مصالحهم. أوامر مرجع س٣٠ و١٢٨هـ_ هنا إشارة إلى فقراء ادلب والمساكين وتلميح إلى إبعادهم عن خيرات(صاحب الخيرات)وكما كان يسمى (محمد باشا الكوبرلي) فلم يعد يسمح بدخول خانات ادلب أو الجسر المجانية لهؤلاء, وألم يكن هناك بإدلب خان دعي بخان الفقراء _انظر بحث الخانات_ ظل مستخدماً مجاناً إلى منتصف القرن التاسع عشر, فسبحان مغير الأحوال، ومع ذلك يأتي من يقول لي: "لماذا تحب آل الكوبرلي.." كل هذه الأفضال والخيرات المكتسبة لصالح ادلب وجسر الشغور وغيرها كثير... لماذا ننساها.؟!ومن الوثائق الخاصة بوقف الكوبرلي (كتاب التلزيم) لبعض ملاك وعقارات الوقف تذكر ((إن وقف المغفور له محمد كبريلي باشا في ادلب الصغرى المتولية لنصف حصة خان الحنطة (سعيدة خانم) وهناك أيضاً دكاكين عبد الحميد بك مع مقهى خانه وأشجار زيتون وكذلك وقف حمام الحاج اسماعيل آغا المعهودة بموجب شروطها لدولة أفندينا حضرة والي حلب اعتباراً من شهر آذار ١٢٤١هـ بمبلغ مقطوع قدره اثنان وسبعون ألفاً وستمئة قرشاً لإلزامها لبعض الأهلين الذين قبلوا توكيل صاحب الدولة وبتفضله على تعيين سعادة الآغا ليتولى ضبط نفقات المطبخ وترتيب الصرة الهمايونيه(السلطانية) وبهذا يمنح أجرة بمثابة

خرجية قدرها خمسمئة قرشاً, وترتيب يتناولها شهراً بعد شهر وأن بدلات الالتزام البالغ اثنان وسبعون ألفاً وستمئة قرشاً تدفع على ثلاث أقساط بتواريخها المحددة وتؤدي بتمامها إلى خزانة الدولة وبعد التسليم يتلف هذا التحرير التواقيع درويش محمد / درويش أحمد/ محمد عبد الرحمن/ مصطفى عمر١٢٤١هـ " ١٨٢٦م.لقد تعرضت الأوقاف لأضرار كبيرة بعد زلزال ١٨٢٢م/١٢٣٧ هـ.. لذلك وفي سنة ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م تتم المتابعة من قبل قاضي حلب.وقد تختلط أوقاف الكوبرلي مع غيرها من الأوقاف ففي سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م ((يعلم أهالي ادلب بخصوص وقف خالصا زادة عثمان أفندي في حلب وأنطاكيا وكلس وادلب علماً بأن بعض الدكاكين داخلة مع أراضيها في ادلب, وان ايراداتها السنوية الف قرشاً تعود للكوبرلي زادة وليس لوقف خالصا عثمان أفندي, وبذلك تم إعلام أهالي ادلب بخصوص الوقف المشار إليه (التوقيع) قاضي حلب)).عمر آغا لإدارة شؤون وقف الحرمين بحلب سنة ١٢٥٦هـ..كان ناظر أوقاف الحرمين الشريفين الرئيس في ولاية حلب هو بشير آغا (قبره بإدلب في جامع بشير آغا ساحة البازار)بعد وفاته ، حصل فراغ فيمن يضبط الأوقاف في حلب و الشغور و دركوش. ولذلك يصدر السلطان سنة ١١٨٤ هـ بتعيين مفتش للأوقاف العائد للآغا المتوفي بشير. العائد لها بدخل في حدود نهر العاصي من معاصر و مساكن و حدائق و أشجار و زيتون و مراعي و جبال ...سنة ١٢٤٢هـ يصدر قاضي حلب أمراً "باستيفاء وقف الكوبرلي قصبة الشغور ٦٠٣٠ أقجة قصبة ادلب ١٦٣٠ قرشاً و لتسلم إلى مأمون الصرة على أغا " وفي سنة ١٢٤٤هـ ورد مبلغ ٢١٧٠٠ بدل التزام وقف كوبريلي زادة في الشغور ."وأحيانا كان يطلب السلطان من متولي أوقاف ادلب والشغور السيد رستم زادة محمد ومخاطبا إياه بكلمة الفاضل ، بأن يضرب الأشقياء ويقهرهم ويعدمهم إن أراد ولتصفيتهم ، وان عجز فليطلب مساعدة من والي (مصر الوزير المشير عثمان باشا السر عسكر) لثقة السلطان به ولأنه من أرباب السلاح وكما حدث سنة١١٨٥هـ / ١٧٧١م .

الأوقاف والزلزال: في سنة ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م يحصل الزلزال الكبير الذي دمر بعض الأبنية الأثرية في جسر الشغور وخاصة سورها وبرج القلعة وخان الكوبرلي ، تؤكد هذه الوثيقة الهامة ، التي وجهها قاضي حلب إلى الوالي سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م (بإعادة تعمير عقار الوقف العائد إلى محمد باشا كوبرلي زاده) في جسر الشغور . إذ استحال هذا الوقف إلى أنقاض ، لذلك عهد إلى احد وجوه حلب السيد إسماعيل آغا شريف زاده باستلامه والاستفادة من عائديته للأبنية الموجودة في قرية ادلب والعائدة للوقف . كما أن عمارة وقفه تكلف ستون ألف قرش . كما أن قيمة الأنقاض في الشغور التي يبلغ وزن الرصاص الذي كان يغطي البناء المهدم مقداره ٦٥٨ رطلاً كما تشير إلى تعطيل المشروع سابقاً لنوايا سيئة عندهم).هنا إشارة إلى الدمار الهائل للزلزال ، والى عدم رغبة بعضهم في البناء ثانية ، رغم أن ترميمه مكلف ، لكنه اقتصادياً مربح ، إذ خان الجسر من اكبر الخانات على طرق الحج ، وعوائده ستغطي أيضا نفقات ترميم أوقاف الكوبرلي في ادلب ، هذه الوثيقة الرسمية تتطابق والكتابة المنقورة فوق المدخل الجنوبي للخان (جدد هذا الخان بالأمر العالي سر البوابين الحاج إسماعيل آغا شريف زاده سنة ١٢٤٢ هـ) .
وكذلك يتطابق مع تقارير الوالي إلى القاضي احدها يقول : ((إن للمرحوم كوبرلي محمد باشا في ادلب والشغور بعض الأبنية الخيرية التي تضعضعت على اثر هزة أرضية ، هي بحاجة لتعميرها من ثمن الرصاص ، وقد تعهد بذلك احد رؤساء الأبواب (أي المقربين من السلطان أو الوجهاء) إسماعيل وتأدية نفقاتها من قيمة الرصاص المستخرج لاستكمال البناء والمبادرة لعمل المطلوب)) .لقد كانت أوقاف الكوبرلي تشتمل على ((المسجد الشريف (الجامع الكبير الآن) والمدرسة والعمارات والخانات وكافة خيراتها التي هدمت بسبب الهزة الأرضية .. كانت حاجتهم إلى مائة كيس لإحياء الجامع والخان ومساكن الفقراء بعد إجراء الكشف بمعرفة مهندس أجنبي والهيئة الأصلية ..... توقيع السلطان)) تلاه كتاب تضمن عمارة المتهدم من أوقاف الكوبرلي في ادلب والجسر تعهدها شريف إسماعيل آغا .

في سنة ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م يصدر السلطان أمراً سامياً ((موجه إلى والي حلب و نواب قضائي مدينتي ادلب والشغور زيد قدرهم)) يتضمن أن الإيرادات السنوية المرسلة إلى أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة كرواتب تدفع هي من وقف المغفور له الصدر الأعظم محمد باشا كوبرلي وولده احمد فاضل باشا قد استغلت ممتلكاتهم ولا ترسل مواردها سنوياً لضمها إلى (الصرة الشريفة) لذلك يجب العمل على تحصيلها من إيرادات الوقف عن عام ١٢٦١ – ١٢٦٢ هـ بالرجوع إلى ديوان الوقف, هنا إشارة إلى وجود حاكم ادلب والجسر باسم نائب والتعدي المستمر على الأوقاف ، وخاصة أوقاف الكوبرلي المتمثلة بشكل رئيسي في الخان والدكاكين والمزارع ، وبالمقارنة مع وثائق أخرى تخص وقف الكوبرلي في المنطقة.٠(راجع كتابنا الرحالة في محافظة ادلب-الجزء الثاني-حول خان الجسر).

بالإمكان القول أن هذه الأوقاف قد بيعت فيما بعد ، أو أزيلت صفتها وبعض أوقاف الكوبرلي بحلب اشتراها يهود حلب ، أو انه لم يحسن التصرف بها كما في جسر الشغور .وفي وثائق الأوامر السلطانية في السجل ١٢ ترد أكثر من وثيقة تشير إلى التزام الحاج عبد الرحمن بجباية عائدات وقف الشهيد محمد باشا لمصلحة الصرة الشريفة سنة ١١٨٨ه / ١٧٧٤م ورفع الملتزم السابق عادل زادة مصطفى نظراً لسوء تصرفه بالأموال , ومع ضبط إيرادات الوقف لمدة ثلاثة أعوام ١١٨٧ – ١١٨٨ – ١١٨٩هـ " . ومن الوثائق الأهم حول أوقاف محمد باشا الكوبرلي بادلب ما ورد في السجل ١٣ وثيقة ٦٣ في الأمر السلطاني الصادر من السلطان إلى والي حلب " من أوقاف الصدر الأعظم المتوفى كوبرولي محمد باشا في استانبول ومنها في ادلب بولاية حلب الموقوفة منذ زمان التي تضبط وتصدق رسومها السنوية بكل حرية تامة دون تدخل أو أية اعتراض من أهل العرف ما عدا طرف الوقف الملتزمين بضبطها ومنذ سنتين كان ولاة حلب يشرفون عليها جزئياً، وكانوا يعينون عليها مباشرين الذين يقومون بفرض الغرامات والتجريم وإزعاج رعاياها المستفيدين من الوقف إضافة لبسطهم الخلل في أنظمتها وترك رعاياها بحالة سيئة . علماً بأن من حصيلة الوقف المذكور تترتب إرسال ما يخص للصرة

الشريفة للحرمين وبالتالي بسبب النقصان في تحصيلات الوقف ولهذا أعطي أمرنا الشريف لمتولي الوقف القائمقام عبد الواحد وهو من أولاد متولي الأوقاف الواقف , بناء على الإشارة المقيدة في محاسبة الأناضولي عن هذه الأوقاف الحائزة على حريتها بالتصرف من كافة الوجوه ما عدا بعض الرسوم الخارجة عنها شريطة عدم التدخل أو التعرض وملاحظة شروطها وفق الأمر الصادر للعمل بموجبه سنة ١١٩٠هـ " توافق ١٧٧٦م . ثم يوجه قاضي حلب الشهباء كتاباً إلى والي حلب وكيل الوقف حول أوقاف الصدر الأسبق كوبرولي محمد باشا في ادلب وأن " الوقف المذكور مفروز القلم ومقطوع القدم من رعاياها الخاصة ما عدا بعض الرسوم الخارجة , وذلك بموجب الأمر العالي الوارد إلينا وكتابنا المرسل لحضرة الوزير والي حلب المقتضى والسلام قاضي حلب الشهباء " . وفي وثيقة أخرى ذكرت " شروط التولية على أوقاف الوزير الأعظم الشهيد محمد باشا في مناطق حلب والأقضية التابعة لها في سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦٢م ولمدة سنة عين لها كاتب وجابي وأمين الصرة للنظر في هذه المصالح من قبلنا في الأستانة ... " .

وتلتها فيما بعد أخرى برقم ٢٧٢ تحدد شروط التولية ولكن في سنة ١١٧٦هـ في أن أهالي الحرمين الشريفين وما عين لهم من الضرر في السنين السابقة من كتاب وجباة ومشرفين على الأمور والمقادير العائدة للأوقاف المذكورة وما يترتب على خدمتها من المصالح تبلغ خمسة آلاف ومئتي وخمسين قرشاً وهي تحدد راتب الأغا ومصروفات أخرى ... " كذلك تفيد وثائق الأوامر السلطانية أن للشهيد محمد باشا وقفاً في قرية تفتناز، وتعوم، مع تعيين متول على هذه الأوقاف سنة ١١٥٢ مع تراكم ديون على هذا الوقف في هاتين القريتين بسبب فقر حالهم , وقد كانت هذه الإيرادات تودع لصالح الحجاج ويعين لتلك المهمة مسؤول عن الصر للحجاج وأن تكون الجباية في حينها باش على الجباية (إبراهيم خان زادة إسماعيل) راف المتولي قائمقام حلب والتي تولاه بالإشراف٠٠ومن أوقاف (المرحوم محمد باشا الوزير الكوبرلي طاب ثراه ومرقده) الواردة في وثيقة سنة ١١٤٤هـ/١٧٣١م " تأجير دار بالمحلة الشمالية مع كل ما يلحق بها من محلات, ولدى محكمة إدلب الصغرى

وبحضور عمدة قضاة المسلمين فخر الموالى والمدرسين الحاكم الشرعي الحاج حسن بن المرحوم أبو بكر حقي باشا بن المرحوم رستم باشا فخر التجار الكرام.. من سكان قصبة إدلب الصغرى. وأشارت إلى المتولي على الوقف وهو الشيخ محمد أفندي بن الحاج أمين أدوقنا ؟ !" وكذلك ذكرت" البازركان (تاجر قماش) الحاج حسين جلبي بن المرحوم الحاج أحمد نعمة من أعيان إدلب بأنه يتولى الوقف بنفسه طيلة مدة حياته للجامع الذي يريد بناءه على سطح (فسحة أو ساحة صغيرة) خانه الذي كان قد بناه أولاً وقفاً لمفتي مكة ومفتي المدينة وفقراء الحرمين".

رابعاً- وقف المشير عبد الله كوبرللي: أقدم وثيقة وقف تشير إليه باسم وقف عبدالله باشا كوبرلي في ادلب١١٣٦هـ ،والتي لم تترجم بعد(الصورة ٣٣٦)كذلك كانت أوقاف عبد الله باشا كوبرلي معفاة من الرسوم،وكما ورد في أمر الإعفاء لوقف كوبرلي زادة عبد الله باشا من جميع التكاليف سنة ١١٥١هـ / ١٧٣٩م، وكذلك في أمر سلطاني آخر موجه إلى قاضي حلب ومتسلمها سنة ١١٥٦هـ / ١٧٣٤م يستثني " من تحصيل عموم الضرائب أوقاف جد وعم عبد الله باشا آل كوبرلي " وفي كتاب آخر سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م يستثني أوقاف عبد الله باشا من (ضريبة اللوندات) لأجل حفظ الأمن " .

كان عبد الله الكوبرلي قد كلف بـ " نقل مهمات عسكرية للصدر الأعظم السابق محمد باشا إلى الأناضول بإمرة السر عسكر الوزير كوبرلي زادة عبد الله باشا وهذه المهمات عائدة لألف جندي من جنود الانكشارية الذين سيخرجون إلى ساحل الإسكندرون، والمهمة هي في تدارك ما يلزمهم من خيم وأعلام وأسلحة وغير ذلك حسب ترتيب هذه الجنود وتقسيمهم إلى أربعين بيرق ويقوم بتأمين هذه المهمات أحد رؤساء الحجاب حامل هذا التوقيع السلطاني محمد سيروزي حرر في ٤ رمضان ١١٤٦هـ القسطنطينية " = ١٧٣٤م .

(الصورة٣٣٧)الأمر السلطاني بإعفاء أوقاف الكوبرلي

(الصورة٣٣٦) وقف عبدالله باشا كوبرلي في ادلب١١٣٦هـ

وتلتها وثائق أخرى في نفس السنة تذكرة " لآمر السر عسكر عبد الله باشا " ولكن الملفت للنظر ورود " أمر صادر إلى والي حلب الوزير المشير السر عسكر كوبرلي عبد الله باشا سنة ١١٤٦هـ " وهذا يفيدنا أنه كلف بولاية حلب , ولكن جداول الولاية لا تذكره، كيف وهو هنا مذكور في أمر سلطاني ؛ نرجح أنه كلف ولم يباشر عمله !وفي العام التالي ١١٤٧هـ ورد تكليفه الإشراف على تحصيل حقوق من وجهاء ادلب (عبد الكريم نعمة، وأخيه حسين بن نعمة) . وفي نفس السنة ترد أوامر ملكية من السلطان في السجل ٣ وثيقة ٢٣٢ حول " إعفاء التحصيل من الأوقاف العائدة لآل المشير كوبريلي زادة عبد الله باشا آمر عساكر الشرق ،مع وجوب تحصيل مبلغ ثمانية آلاف قرش تأميناً لسفريات الشرق ،والمحافظة على الأمن صدر في أواخر ذي القعدة ١١٤٧هـ " = ١٧٣٥م .(الصورة٣٣٧) وأما وفاته فقد أكدتها وثيقة بعدها برقم ٢٨٤ (الصورة ٣٣٨) فقد ورد " أمر سلطاني بتصفية أملاك المرحوم المتوفى عبد الله باشا كوبريلي بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١١٤٨هـ رئيس عساكر الشرق بعد تصفية أملاك الباشا الدفتر دار وتسليمها للوكيل المعيد المدعو عثمان بسبب الديون المتراكمة على الباشا بعد وفاته صدرت

الإرادة العالية بضبط أمواله المنقولة وغيرها في قضاء ادليب " وهذه الوثيقة الهامة موجهة إلى قاضي ادليب , لأنه قد توفي فيها ،ودفن داخل قبة بيت في باحة مسجد بشير آغا – انظر بحثنا عنها في الفصل الثامن - . هذه الوثيقة المؤرخة سنة ١١٣٥هـ الموجهة إلى(مفاخر القضاة والحكام) تشير إلى الأوقاف في أ ريحا وسرمين وحارم ومعرة المصرين وإدلب وجبل الأعلى، وجبل باريشا ،وتيزين وحلقة ،وجبل سمعان ومعرة وباب وجبول، وإدلب، وعمق(ناحية العمق قرب أنطاكية) ووقف شغور)) بقيتها بالعثمانية لم تعرب المفهوم فيها كيفية التصرف فيها بموجب الأوامر السابقة ،والفرمان الصادر في ذلك ،وعدم مخالفة الأوامر(من الوثائق القديمة في ضابطية ادلب)(الصورة٣٣٩)

(الصورة٣٣٨)وثيقة تشير إلى وفاة عبد الله باشا كوبرللي (الصورة٣٣٩)من وثائق ضابطية ادلب

خامساَ- بشير آغا ناظر أوقاف الحرمين الشريفين:

كثيراً ما كان يلقب بشير أغا ب (ناظر أوقاف الحرمين الشريفين الحاج بشير أغا)من قبل السلطان العثماني وله الحق في مخاطبة السلطان مباشرة .. في السجل ٣ وثيقة ١٤٢ ورد تعيين ((الحاج بشير أغا ناظر أوقاف الحرمين الشريفين سنة ١١٤٦هـ)) و هوالمسمى الجامع في ادلب باسمه (مسجد بشير آغا) ما هي الوثائق التي ورد فيها ذكر لـ بشير آغا ناظر أوقاف الحرمين الشريفين في ولاية حلب، والمشرف المباشر على أوقاف ادلب ،وجسر الشغور، وغيرها, وخاصة أوقاف الكوبرلي،وكما ورد في السجل ٤ وثيقة ٧١

بأن " ناظر الحرمين الشريفين لحلب الحاج بشير أغا رفع إلينا عريضة ... سنة ١١٥٢هـ " = ١٧٣٩م .كانت له اتصالات وثقى مع الدولة السلطانية في اسطنبول إذ وكما ورد في كتاب السلطان العثماني الوارد من القسطنطينية بأنه ((عرض على ديواننا السلطاني ناظر أوقاف الحرمين الشريفين الحاج بشير آغا حول الأوقاف الكائنة تحت نظارته والتابعة للحرمين الشريفين وحاصلاتها البالغة ٥ أقجة يومياً.... سنة ١١٣٦هـ)) = ١٧٢٣م.. . وفي الوثيقة ٧٤ يرد أيضاً.. وكثيراً ما كان يرد أوامر من السلطان بعدم التدخل في شؤون الأوقاف وخاصة من قبل السلطات العسكرية كما هو وارد في السجل ٤ وثيقة ٢٠٨ " أمر سلطاني بعدم ترك السلطات العسكرية بالتدخل ووضع أوقاف الحرمين الشريفين و أوقاف السادات المصريين تحت إشراف بشير أغا ناظر الأوقاف ١٦ شوال ١١٥٤هـ " توافق ١٧٤١م . وكثيراً ما كان يسمى بشير أغا بلقب(ناظر الحرمين الشريفين الحاج بشير أغا) من قبل السلطان العثماني وله الحق في مخاطبة السلطان مباشرة ،وكما ورد في السجل ٤ وثيقة ٧١ بأن " ناظر الحرمين الشريفين لحلب الحاج بشير أغا رفع إلينا عريضة ... سنة ١١٥٢هـ " = ١٧٣٩م وفي السجل ٥ وثيقة ٧١٤ أيضاً رفع عريضة إلى السلطان في القسطنطينية وكما ورد " عريضة ناظر أوقاف الحرمين الشريفين بشير أغا تفيد أن متولي مزرعة عره بقضاء ريحا توفي والتزام الوقف لـ خليل بن عبد الله لقاء ١٣٧ غرشاً سنوياً ولكنه لم يحسن رعاية وزراعة القرية وبناء على الاقتراح فقد أعطي الالتزام إلى أحمد أبو المحامد لقاء ١٥٠ قرشاً حرر محرم الحرام ١١٥٩هـ " ١٧٤٦م واليوم مزرعة (عري) هي نفسها فيها عين تنبع فيها المياه ،وتزود ادلب بها، وتقع في سهل الروج الشرقي ،وكنا نسبح في بحيرتها الصغيرة بمياهها الصافية .وفي السجل ٣٩ وثيقة ٧٨٣ حول " إيرادات أوقاف الحرمين الشريفين والناظر عليها بشير آغا عن سنة كاملة هي ١١٦٦ – ١١٦٧هـ وفيها عدد كبير من الأماكن التي يشرف عليها – وشغور و دركوش و ادلب و سرمين و أريحا و معرة النعمان و حارم و زويرات عاصي و معرة المصرين وعن محصول قرى و مزارع ناحية معرةو النعمان ٨٥ وعن محصول قرى و مزارع ناحية الحلقة ٢٥٧ وعن قرى و مزارع ناحية ادلب وملاطية ١٩٤ وقرية قيقون ناحية شغور ٨٠

و أنطاكية وشغور ٣٧٠ " .وفي سجلات الأوامر السلطانية رقم ٣ و ٦٨ ورد براءة سلطانية حول " تولية عائدة لـ الحاج بشير أغا ناظر الأوقاف العائدة للحرمين الشريفين وتعيين مصطفى محمد الأفندي زادة موظفاً للقيام بضبط الأوقاف، و إدارتها براتب يومي قدره ثلاثون أقجة تصرف له من الأوقاف ١١٤٦هـ " = ١٧٣٣م . تفيدنا هذه الوثيقة بوجود منصب مدير الأوقاف في ولاية حلب ويكون تحت إشراف ناظر الأوقاف.تتكرر الأوامر في توليته..وفي سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٦م يصدر السلطان أمراً بتولية محمد أغا على أوقاف الشهيد محمد باشا، وتنحية أحمد أغا كونه لم يقم بالتولية حسب الشروط , ولم يرسل ٥٢٠٠ غروش إلى الأستانة العلية (أي العاصمة القسطنطينية / اسطنبول) مع إجراء الحسابات مع المتولي المعزول , وسبب الكتاب من طلب حفيده عبد الله إبراهيم خان زادة حول الأوقاف في حلب و أنطاكية و صيدا و بيروت و طرابلس لعدم قيامه بشروط الوقف .." وهو نفسه يرد في وثيقة ٢٤٧ في السجل ٧ يؤكد على أوقاف جده محمد باشا بقوله " وباعتباري المتولي على هذه الأوقاف فقد فوضت الحاج عبد الرحمن أغا بتولية الوقفية لمدة سنة اعتباراً من رمضان ١١٨٠هـ على أن يقوم بتحضير وتأدية صرة الحرمين الشريفين وتسليمها إلى أمينها لإرسالها إلى مستحقيها بالحجاز وإرسال ٥٢٠٠ قرشاً إلى إدارة التولية الكبرى في الأستانة العلية ... "

نخلص إلى القول: أن هذه الأوقاف قد كانت تتعرض إلى الإيذاء و التعدي على أموالها للمصالح الشخصية بعد ناظر الأوقاف بشير أغا , فهو قد كان مخلصاً لمصالحها دون شخصه , حريصاً على المتابعة خاصة في ولاية حلب , ولعل أحد أسباب بيعها سوء إدارتها واستغلالها فيما بعد , ومع ذلك يصدر " أمر سامي بإسناد إدارة أوقاف الصدر الأعظم السابق المرحوم الشهيد محمد باشا إلى مصطفى بك عدلي زادة من مناطق حلب و أنطاكية و صيدا و بيروت و طرابلس الشام و الأقضية الأخرى التابعة لها من عقارات وخانات و حمامات و محلات تجارية من أول شهر رمضان ١١٨٩هـ .. مع إرسال ٥٥٠٠ قرش إلى الأستانة لمصالح الوقف من قبل المتولي الكبير للوقف " . تليها وثيقة في

السجل ١٢ رقم ٢٦٨ أيضاً تذكر متولي " وقف جدي محمد باشا " وتضيف " البازارات وجميع المسقفات (أي العقارات)... "

. وفي الوثيقة ٧٤ يرد أيضاً ما يفيد أن هناك أوقاف باسم الحاج بشير أغا متولي أوقاف محمد باشا .. مما يفيد أن هناك أوقاف باسم الحاج بشير أغا...

كفر يحمول : وردت في السجلات العثمانية باسم قرية كفر يحمول منها حوالي سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٤م في مبالغ مقسطة عليها وقدرها ٣١.٥ غروش كمحصلات أميرية . في كتاب موجه إلى قاضي حلب في " أن ناظر أوقاف الحرمين الشريفين الحاج بشير آغا قدم عريضة بين فيها أن أهالي القرى في ناحية سرمين هي يحمول وكلّا و حزانو وكفر صندل ونامون التابعة إلى نظارته (أي إشرافه) والعائدة إلى أوقاف رامي محمد باشا الوزير السابق الأعظم المرحوم قد هجر معظمهم هذه القرى إلى أخرى ولما كان في ذلك خراب هذه القرى وخسارة الأوقاف فيقتضى إعادتهم إجباراً سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م تلتها وثيقة لقرى وردت من القسطنطينية إلى حلب موجهة إلى والي حلب في تقسيط الديون المترتبة على هذه القرى لعشرة سنوات بسبب هجرة المديونين وخراب الوقف .كان ناظر أوقاف الحرمين الشريفين الرئيس في ولاية حلب هو بشير آغا (قبره بإدلب في جامع بشير آغا ساحة البازار)بعد وفاته ، حصل فراغ فيمن يضبط الأوقاف في حلب و الشغور و دركوش.ولذلك يصدر السلطان سنة ١١٨٤ هـ بتعيين مفتش للأوقاف العائد للآغا المتوفي بشير. العائد لها بدخل في حدود نهر العاصي من معاصر و مساكن و حدائق و أشجار و زيتون و مراعي و جبال .سنة ١٢٤٢هـ يصدر قاضي حلب أمراً "باستيفاء وقف الكوبرلي قصبة الشغور ٦٠٣٠ أقجة قصبة ادلب ١٦٣٠ قرشاً و لتسلم إلى مأمون الصرة على أغا " وفي سنة ١٢٤٤هـ ورد مبلغ ٢١٧٠٠ بدل التزام وقف كوبريلي زادة في الشغور ."

ومن الوثائق المتعلقة بـ بشير آغا ناظر الأوقاف في إدلب والمسمى الجامع باسمه مسجد بشير آغا , حول حصر إرث حصل في ١٠ رجب ١١٢٩هـ/١٧١٧م في " انتقلت الحرمة صفية بنت عبد الله معتوقت فخر

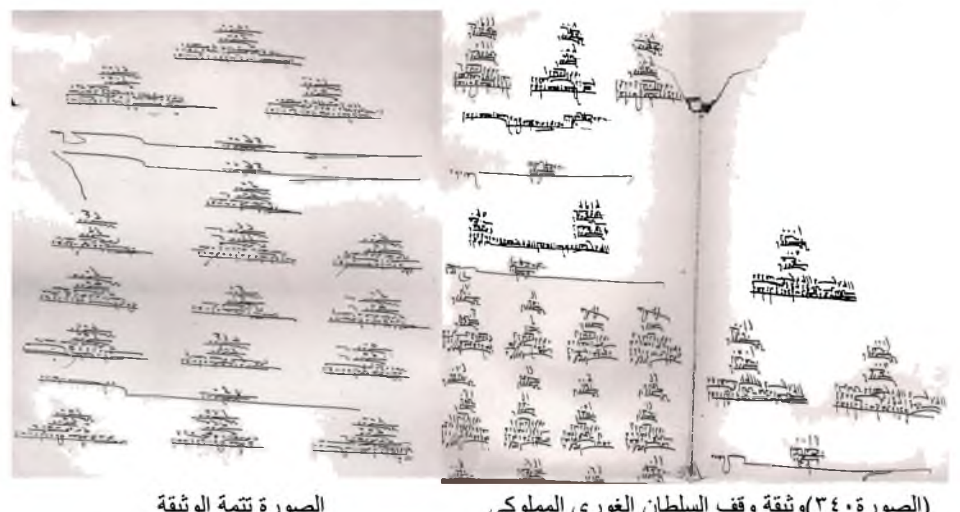
الأماجد والأكارم الحاج بشير آغا المنحصر إرثها في معتقه المزبور(المذكور) وفي زوجها محمد بن محمود القصاب " مع تعدد للمواد .هذه الوثيقة تفيدنا إلى إحدى صفات بشير آغا بـ " فخر الأماجد والأكارم " وأن عنده عبدة / رقيق / قد أعتقها وتزوجت،وما قد ملكته هو من خيراته .(انظر بحث الرقيق والجواري).

كانت أوقاف الحرمين الشريفين بإشراف ناظرها بشير أغا وكما ورد في عدة وثائق تجمع حساباتها في ولاية حلب ففي سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م " بلغت حاصلاتها يومياً خمسة أقجيات ويرفع ذلك إلى المقام السلطاني السيد عبد الرحمن بن محمد الذي وجه إلى محاسبة أوقاف الحرمين الشريفين الذي يتقاضى منها راتباً قدره / ١٥ / أقجة من عائدات الأوقاف السلطانية بمعرفة متوليها " . وكذلك بشير أغا يشرف على أوقاف السلطان غوري (هو قانصوه الغوري الذي توفي٩٢٢هـ/١٥١٦م) وكما ورد في سجلات الأوامر السلطانية رقم ١٢ وثيقة ٢٨٧ تاريخها ١١٨٩ ذي القعدة / ١٧٧٦م في كتابه الذي رفعه إلى السلطان بأن رعايا مزارع وقرى أوقاف المرحوم السلطان غوري في حلب، والموضوعة تحت نظارته يشكون من التكاليف التي تؤخذ منهم بشتى المسميات ،وكذلك ورد في السجل ٣ وثيقة ٤٤٠ تاريخها ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م بأنه " يشرف على أوقاف السلطان غوري في أنطاكية و الشغور و دركوش مع رفع التعدي عليها وعدم تكليف الرعايا الفقراء بالتكاليف غير المشروعة " .وكثيراً ما كان يرد أوامر من السلطان بعدم التدخل في شؤون الأوقاف وخاصة من قبل السلطات العسكرية كما هو وارد في السجل ٤ وثيقة ٢٠٨ " أمر سلطاني بعدم ترك السلطات العسكرية بالتدخل ووضع أوقاف الحرمين الشريفين و أوقاف السادات المصريين تحت إشراف بشير أغا ناظر الأوقاف ١٦ شوال ١١٥٤هـ " توافق ١٧٤١م . ولكن هذه الوثيقة في سجل ضابطية إدليب المؤرخة سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م بنفس الاسم وفي المحلة الشرقية , وأوقاف خاص به في المحلة الغربية قرب المحكمة , والذي أوقفته السيدة فاطمة زوجة الحاج بشير آغا ناظر الأوقاف في حلب وإدليب , والوارد اسمه في كثير من الوثائق

"حضر الحاج حجازي بن الحاج ابراهيم بن حمدون المتولي على الجامع المعمور بذكر الله تعالى المعروف بجامع المكاوي في المحلة الشرقية بادليب وأقر واعترف بحسب توليته على أوقاف الجامع المذكور قائلاً في إقرار وتقريره إني أجرت بحسب توليتي من حافظي هذه الوثيقة الشرعية الحاج عيسى بن معتوق ومن ابنيه الشيخ محمد وعبيد وهم استأجروا مني بمالهم دون مال غيرهم جميع المدار الخراب الواقع على الأرض مسقفه الكاين في المحلة الغربية قرب المحكمة التي كانت أوقفته الحرمة فاطمة قداين(السيدة صاحبة المقام) زوجة الحاج بشير آغا وهو مندرج في أوقاف الجامع المزبور (المذكور) حده قبلة المحكمة وشرقا طريق سالك وإليه الباب وشمالاً اجارة طويلة من يوم تاريخه إلى تمام تسعين سنة ثلاثين عقد كل منها ثلاثة سنين على أنه الحاج عيسى وابنيه الشيخ محمد وعبيد بعمران المدار المزبور (المذكور) بحيث أن يصاير ينتفع به بإجرة معينة قدرها ثلاثماية وستين غرشاً على أن يدفع منها في كل سنة أربعة غروش لي أو إلى كل من يكون متولياً على أوقاف الجامع المزبور إجارة طويلة صحيحة شرعية مشتملة على الإيجار والقبول من الطرفين والتسليم والتسلم من الجانبين بعد أن أخبر الحاكم الشرعي من ثقاة المسلمين عن تذكر اسماؤهم بذيله بأن هذا الايجار وهو أجر المثل وقيمة البدل وهي أنفع إلى الوقف وأصلح له وان المدار والحالة هذه خراب لا ينتفع به وانه إذا بناه الحاج عيسى وأعمره يحصل فيه الانتفاع التام للجامع المزبور أخيارا صحيحا شرعياً مقروناً باذن حاكم الشريعة المطهرة إقراراً وتقريراً صادرين من المتولي مصدقين من الحاج عيسى وابنيه الشيخ محمد وعبيد المستأجرين وحكم مولانا الحاكم المتوفي اليه بصحة الإجارة الطويلة من الاستئجار حكماً صحيحاً شرعياً مثولا فيه وكتب ما وقع في نصف ذي القعدة ١١٤٦هـ (شهود) السيد عبد القادر بن محمد جلبي حزوا / الحاج عيسى بن الشيخ يوسف / يوسف بن المعلم زين الدين / عمر جبلي الميكائيلي / شيخ زكريا الميكائيلي / اسماعيل بن مراد الحداد / وغيرهم ...

سادساً- الأوقاف الأخرى : وفي وثيقة رقم ١٨٤ في سجلات الأوامر السلطانية، وتليهاكتاب موجه إلى قضاة ادليب وجبل سمعان و حلب وغيرهم

في أنه " أرسل إلينا معتمد الملوك و السلاطين إبراهيم عريضة بشأن قرية معراته المارستان من أوقاف نور الدين الشهيد ١١٥٥هـ " = ١٧٤٢م .وهو نور الدين الزنكي المعروف بالشهيد (١١١٨-١١٧٤م)،وقد ظل وقفه محفوظاً إلى هذا العهد.أما معراته فيوجد عدة قرى بهذا الاسم؟ ونعود إلى وثيقة عربية في محافظة ادلب،هي من العصر المملوكي الأخير ،في عهد (قانصوه الغوري) آخر السلاطين المماليك(توفي٩٢٢هـ/١٥١٦م.)تاريخها١١٣٧-١١٣٨هـ=١٧٢٥م (الصورة٣٤٠)هي وثيقة توزيع الموارد التي أوقفها في كل من:ادلب- ريحا- جدعين-حارم – ناحية عمق- ناحية جبول- معرة النعمان – يحمول- معرة المصرين..وغيرها لصعوبة قراءة الخط. المهم هي في عنوانها إلى(مسودة مرحوم سلطان غوري دو حلب) وإلى (بشير آغا) وهو نفسه الذي كان ناظر أوقاف الحرمين الشريفين في ولاية حلب ..وقبره في ادلب(الصورة٢٨٤)



(الصورة٣٤٠)وثيقة وقف السلطان الغوري المملوكي الصورة تتمة الوثيقة

وثيقة وقف تاريخها ٨٩٦هـ/١٤٩١م بعد وفاة وانقراض الورثة وتوقف حصصهم توقف للحرمين الشريفين والوقف في قرية برج هاب (غرب ادلب)وثبت هذا في تاريخ ١٢٢٩هـ/١٨١٥م وقد تحول هذا الوقف إلى التزام,

وقد كان قد تنازع عليه مريم ابنة السيد حسين بن حسين من أهالي قصبة ادلب مع امرأة من كلس ويرد طلب ابنة ادلب)).كثيرة هي وثائق الوقف العائدة إلى العهد المملوكي, وخاصة المتأخر, وهذه الوثيقة قد تمت قبل دخول العثمانيين البلاد بـ خمسة عشر عاماً.. ولكن لم تشر من هو الواقف و شروط الوقف!!!
..ليست الأوقاف قوية في ادلب فقط، بل في ريفها والدليل وجود وقف للرسول (ص) فيها ...في تل الرمان غرب ادلب .وثيقة صوفية تذكر (قصبة اذلب المحروسة - بالذال) سنة ٥٢_١٢٥٠هـ (عندي نسخة لها)مما يشير الى احترام وقوة مكانتها لتسمى بهذا الاسم،فحلب كانت تدعى (حلب المحروسة)ومصر ب(مصر المحروسة)وها هي ادلب تحظى بهذا اللقب. كذلك يضاف هذا إلى الاسماء الاخرى (ادلب المعمورة)و (الأزهر الصغير) وادلب المعمورة في وثيقة سجلات محكمة حلب الشرعية سنة ١٠٧٨هـ واخرى ١٠٨٢هـ و١٠٩٦هـ.

ومن وثائق الأوقاف في سجل ضابطية ادلب هذه الوثيقة التي توضح لنا الكثير من معالم ادلب العمرانية , ولذلك كنت أحب الإطلاع عليها كلما وجدتها , فمنها يمكننا تأريخ ادلب الذي لم يؤرخ إلا الآن .الوثيقة ((المتولي على وقف جدته ست خديجة / استئجار بالمحلة الشمالية مشتملة على مجلسين مقنطرين ينظرن قبلة ومطبخ ينظر شرقاً وأوضه عراقية تنظر غرباً أو طبقه وجب ماء ودهليز يعتلوه أوضة بمصيف شرقيها دار حسن جلبي بن رستم وشرقاً ورثة يوسف الخباز الحموي وجامعي الحاج علي بن حلاق وشمالاً طريق وغرباً طريق وإليه الباب بأجره ٨٢٥ غرشاً أجارة طويلة . مولانا ابراهيم أفندي المفتي بإدلب ..الحاج حسين جلبي بن الشيخ نعمه / البلار / الكلزي .نصف معصرة زيت الزيتون مع نصف المطراف الكائنتين بالمحلة الغربية بادلب الصغرى بجميع ما اشتملت عليه من منافع ومرافق ومخازن المحددة قبلة طريق سالك وشرقاً مقبرة اليهود ... شمالاً وكذلك غرباً بن أينال مع جميع معصرة شيرج السمسم مع دكانها المستخرج من ؟ الواقعة تجاه خان الوزيرين بما اشتملت عليه من منافع ومرافق والآلات المحددة ...

وقف فاطمة خاتون وشرقاً جامع السوق وشمالاً طريق خاص وغرباً طريق سالك وإليه الباب المعصرة مع جميع الدكان الكاين بالسوق قرب القهوة الكبيرة المحددة قبلة وقف جامع السوق وشرقاً ملك ورثة المنلا مصطفى وشمالاً طريق ... وغرباً دكان وقف جامع الحاج حسين نعمة مع جميع دكان الفرن الكائن بالسوق المجدد قبلة دار شاوردي وشلحلح وشرقاً ورثة الكلزي .. وشمالاً طريق سالك وإليه الإغلاق (باب السور) .. قبلة معصرة الحاج عبد الكريم أفندي وشرقاً دكان وقف جامع العمري وشمالاً طريق وإليه الباب ... وغرباً دكان وقف الحاج عبد القادر العصايبي .. طريق سالك وإليه الأغلاق (باب السور) .. دكان الشيخ زكريا كاملي وتمامه معصرة الحاج حميدان وغرباً ملك بيت سيان مع جميع دكان قريب جامع بن الأقرع المحدود قبله وشرقاً طريق وشمالاً الجامع المرقوم وغرباً ملك بشير آغا مع جميع المحلة المحدود قبلة جامع الحمصي وشرقاً طريق وشمالاً كذلك وغرباً بيت الجرد مع جميع الداربـ سكني علي أفندي الواقف ".١١٤٥ هـ /١٧٣٢ م..)) وقد كان سرورنا مضاعفاً حين حصولنا على وثيقة توضح حقيقة جامع الأقرعي بإدلب المجاور لساحة البازار , فقد مرَّ اسمه في وثائق عثمانية (أقرع أوغلى) أي ابن الأقرع لكن من هو ؟ إلى أن وقعت بيدي هذه الوثيقة الهامة في ضابطية ادلب المؤرخة سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م والمذكور اسمه فيها (حسن بن الحاج مصطفى بن الأقرع) وحدد فيها هذا الواقف شروطاً لوقفه " ...(الصورة٢٧٩) ((حضر فخر الفضلاء الشيخ يوسف الحمداني الخطيب والإمام والمدرس بالجامع المعمور بذكر الله تعالى المعروف بجامع بن الأقرع وحضر معه لقـ ؟ المبيض المؤذن والخادم , وحضر معهما الشيخ لعهدو الشيخ محمد الرستمي وهما القاري على السدّة والرئيس وقرر والدي حاكم الشرع الشريف بمحضر من حافظ هذه الوثيقة الشرعية حسن بن الحاج مصطفى بن الأقرع الوكيل عن قبل المتولي على الجامع بشرط الواقف قائلين في إقرارهم وتقريرهم أن الواقف أثابه الله تعالى شرط في وقفه وظيفة للإمام في كلّ يوم عثمانين وللخطيب كذلك وللمدرس كذلك وللمؤذن والخادم كذلك ولرئيس السدّة عثمانياً فضياً وثلث العثماني وللقادي عثمانياً فضياً وثلث العثماني في جميع ذلك بشرط الواقف وإن هذه الوظيفة لا تقوم بنفقتهم ونفقة عيالهم والتمسوا

جميعاً من الحاكم الشرعي أن يزيد لهم الوظيفة المعينة وأبرزوا بين أيديهم فتوى شريفة صورتها فيما لو قال امام الجامع والمؤذن للقاضي إذاً المرسوم المعفي على شرط الواقف لا يفي بنفقتي ونفقة عيالي فهل يجوز للقاضي" أن يزيد في معلوم للإمام والمؤذن على شرط الواقف أم لا , أفيد والجواب نعم يجوز للقاضي .أن يزيد في معلوم الإمام والمؤذن على شرط الواقف ولا يلتفت إلى رضاء أهل المحلة حيث الحال ما ذكر كذا في الفوائد الزينية والله سبحانه العليم كتبه الفقير عبد الرحمن المفتي بإدليب الصغرى عفى عنه فحينئذ بموجب الفتوى الشريفة أذن الحاكم الشرعي عن وكيل المتولي بأن يدفع للشيخ يوسف أفندي الإمام والخطيب والمدرس في مقابلة خدمته كل يوم عثمانين فضي زيادة عما شرط الواقف تضاف العثمانيان إلى وظيفته بشرط الواقفية حالا لوقف وإذ خله ايضاً بأن يدفع من مال الوقف للمؤذن والخادم لكل واحد منهما عثمانين فضي زيادة عما شرطه الواقف تضاف إلى وظيفتيهما بشرط الواقف بإذن له أيضاً بأن يدفع لرئيس السدة ولقارئ القرآن العظيم عثمانين وثلثي العثماني زيادة عما شرط الواقف تضاف العثمانيتان إلى وظيفتهما المعينة بشرط الواقف أنابه الله تعالى إذناً صحيحاً شرعياً كما هو مصرح في الفتوى الشريفة المسطورة , وأمرهم الحاكم الشرعي بالإستقامة والقيام بأمور الخطابه والإنابة والندري والأذان والخدامة وأنهم لا يستحقون الوظيفة إلا بعد القيام بأمور الخدمة وأدائها على النهج المرضي إذنا وأمراً صحيحاً شرعياً .فلما آل الحال على هذا المنوال أجاب حسن وكيل المتولي بأن الجامع المذكور والحالة هذه تعمق (تعمو را) تاما ولكن إذا اقتضا إلى المرنات ولم يكن من يده من مال الأوقاف شيء يستدين ويصرف من؟ الرجوع على المسقفات والموقوفات وابرز من يده فتوى شريفة صورتها في متولي على أوقاف حارم كذا أحتاج الجامع إلى ما يصرفه في إصلاح الجامع وليس في يد المتولي شيء من غلة الفائق فإذا رفع أمره إلى القاضي فإذن له بالاستدانة هل له أن يستدين ويوفي من غلة الوقف ثم يرجع فيما صرفه في غلة الوقف حيث الحال ما ذكر كذا مقاضي خان ؟ والله أعلم كتبه الفقير عبد الرحمن المفتي بقضاء إدلب الصغرى عفى عنه فحينئذ بموجب الفتوى الشريفة إذن مولانا الحاكم المومى إليه إلى حسن وكيل المتولي بأنه إذا احتاج الجامع إلى ما

يصرفه في إصلاحه ولم يكن شيئ من غلة الوقف في يد حسن الوكيل المزبور يستدين ليوفي من غلة الوقف , ثم يرجع فيما صرفه من غلة الوقف كما هو مصرح في الفتوى الشريفة إذناً صحيحاً شرعياً وكتاب ما وقع في ختام رجب الفرد ١١٤٦هـ توافق ١٧٣٣م .))((شهود / محمد جلبي بن الحاج قاسم جابر زوتيني / السيد الحاج أحمد أفندي الكاملي المفتي / السيد خليل جبلي بن السيد يوسف / ابن السيد ياسين أفندي / ابن السيد حسن أفندي / الشيخ عبد الله البياتي / السيد أحمد بن السيد محمد ديب / السيد محمد بن البيطار / الشيخ اليوسفي محمود عقرف / الشيخ عبد الرحمن بن ياسين / أخو الحاج عبد الكريم (محمود بن أسد أخوه أحمد درويش بن سلوم /عبد الرحمن بن قربوز / مصطفى بشة ترجمان " .. ثم توقيع وغيره ١١٤٦ هـ/١٧٣٣م))

وفي سجلات الأوامر السلطانية الموجهة إلى ولاية حلب برقم ٢٠ وثيقة ١٠٧ في " الأمر السامي بلزوم تحصيل إيرادات أملاك الأوقاف العائدة للصدر الأعظم المتوفى رامي الحاج محمد باشا و الموضوعة تحت إدارة أحمد بك في قرى كللي و حزانو التابعة لولاية حلب صفر ١٢٠٤هـ " = ١٧٨٩م . والوثيقة التالية ١٠٨ في نفس الموضوع ولكن الأمر يلزم عثمان والسيد مصطفى بإدارة القريتين .. وقام نائب ادلب السيد علي تنظيم المحضر ... " .وفي سجلات الأوامر السلطانية رقم ٥ وثيقة ١٨٢ الواردة من القسطنطينية إلى حلب وتتضمن التوجه إلى " قاضي ادليب المسمى إبراهيم آغا في عريضة مفادها أن أهالي و أعيان القرى التي تحت نظارته يلتمسون تعيين مأمور مخصص للتولي على الأوقاف المذكورة وحفظها من الناهبين والعابثين بها و إجابة طلبهم ١١٥٥هـ " = ١٧٤٢م .وفي ثائق ضابطة إدلب الوثيقة التالية الدالة على وقف تعليمي((بداره المحدده .... ورثة خليل آغا وشرقاً طريق سالك وإليه الإغلاق (للسور) وشمالاً اخور(؟) السراي وحوش وغرباً ملك السيد ابراهيم ... بأرض ادلب ... ابن البيطار وأولاد المنغم ... وقفاً على الجامع الجديد والمكتب(لتعلم الصبيان) اللذين عمرها الواقف المزبور(المذكور) إثابة لله تعالي الكائنين بالمحلة القبلية الملاصقين للمصبنة القبلية ... تصرف على مهمات الوقف المذكور (من ما ذكر معاصر ودكاكين

وأراضي) ولوزامه من حصر وبسط وزيت وقناديل وشمع , ووظيفة امام ثمانية عشر غرشاً ووظيفة مؤذن وخادم اثني عشر غرشاً .. وما يزيد يصرف على نفسه مدة حياته وبعده فانه يعود الفاضل على أولاده وأولاد أولاده ما تناسل منهم بطناً بعد بطن وقرناً بعد قرن حسب الارث الشرعي فإذا انقرضوا والعياذ بالله ... بعد بطن ... للذكر مثل حظ الأنثيين فإذا ما انقرضوا يعود ما ذكر من فضل الريع إلى فقراء الحرمين .التوليه للوقف هي لـ علي أفندي مدة حياته ومن بعده للأرث من أولاده الذكور .. وإذا انقرضوا تعود التوليه لإمام الجامع المرقوم وكل من كان مفتياً في قصبة ادلب .. ايجار الوقف يتجاور ثلاث سنوات ثم لما تم هذا الوقف على الوجه المشرع نصيب علي أفندي الواقف المرقوم الحاج يعقوب حلبي بن حسين جلبي متولياً على أوقاف الجامع المزبور . الرجوع لمذهب الامام ابو حنيفه في ذلك .هذا الوقف .... لا يغير ولايته ولا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يناقل . رجب ١١٤٥هـ .السيد عبد الكريم أفندي النقيب / ابنه السيد محمد جلبي / الحاج حسين جلبي شيخ نعمه / السيد حسن أفندي سويعي زاده / الشيخ محمد أفندي الفقيه / الحاج عبد الله جلبي خطيبي زادة / الشيخ عبد الله بن البيات / عثمان جلبي بن عمر آغا / السيد عمر جلبي بن الخطيب / الحاج علي جلبي بن الحاج يعقوب / السيد سليمان جلبي بن عزيز / ... / ..)) كانت السلطة تهتم بالأوقاف من بعيد , إذ تركت شؤونها في أيدي المشرفين عليها , وليست مسؤولة عن تمويلها , أصبحت كمؤسسة أهلية تمول من فاعلي الخير بوقف بعض أراضيهم أو أملاكهم لمصالحها إلى الأبد , أو يضع شروطاً للوقف بعد انتهاء ذريته , لقد احترم السلاطين العثمانيون الأوقاف في العهد المملوكي , كوقف في بنش .تحدد الوثيقة غلات الوقف وأسماء المعنيين لإدارته وخدمته مع تحديد أجر كل منهم وكما سيرد الإداري قد يسمى متولي، ومن مهامه تأجير الأوقاف من قبل المتولي على الأوقاف، فهو من حقه فصل الخلاف حول توثيق، ومراقبة أعمال المتولي كتلك الدار المؤجرة بالمحلة الشمالية سنة ١١٤٥هـ .. , والثاني يسمى الناظر و ادلب كان لها ناظر , ولكن بشكل أوسع لقباً ((ناظر أوقاف الحرمين الشريفين)) كون ادلب قد خصصت معظم أوقافها لصالح الحرمين , وهذا مؤكد في عدة أوامر سلطانية , وتعليمات والي

حلب وقاضيها أحياناً يعتدى عليها من قبل المتنفذين , خاصة حين تسوء الإدارة , إذ كانت أوقاف الكوبرلي مطمعاً لكل مستفيد باعتبارها إحدى الأوقاف الكبرى في ولاية حلب , ويتنافس عليها بعضهم خاصة يهود حلب , إذا تنازعوا حولها يلجؤون إلى السلطان في اسطنبول أحياناً ,أو إلى والي حلب مع أنه كان هو أيضاً له حقه فيها , تسجيل الوقفيات في دفتر دار الولاية , وبعد توزيعها في مخصصاتها يوزع الباقي للمشرفين عليها , لقد بيعت أوقاف الكوبرلي بعد زوال نفوذهم أولاً , وثانياً بعد زلزال عام ١٨٢٢ م , إذ آل الكثير منها إلى الخراب , ولا أحد اهتم بإصلاحها باستثناء خان جسر الشغر , وضعف الرقابة وزوال السلطة العثمانية بعد عام ١٨٣٢ م , بدخول القوات المصرية إلى المنطقة , تحول بعضها إلى إدارة خدمات عامة وخاصة, وليس وقفاً خاصاً بالحرمين.بعد خروج المصريين عام ١٨٤٠م لم نعد نسمع بمصطلح أوقاف الكوبرلي , فكل منهم يدعي ملكيته لها , إما بالاستثمار الطويل، أو الاستئجار مقدماً حجته الشرعية في ذلك.أدى هذا الفساد في إدارة الأوقاف بالسلطان العثماني محمد الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩ م) إلى إجراء إصلاحات في تقنين أحسن القواعد في إدارة الأوقاف ..

ورد في سجلات الأوامر السلطانية لولاية حلب رقم ١٢وثيقة ٤٦والكتاب الموجه إلى والي حلب وإلى نائب إدليب(بالياء).. حول الأملاك الوقفية في أن((ناظر أوقاف الحرمين الشريفين رفع كتاباً إلى ديواننا -أي ديوان السلطنة- إن متصرفي وقف السادة المصريين في الشام وفي أوقاف قصبة(ناحية)أريحا وتوابعها في مقاطعته نزل المضيق(خان).. عجزهم عن إدارة الأوقاف ،لذلك يكلف (اسمعيل)على إدارة الأوقاف وملاحقة متصرف ريحا المدعو محمصة أوغلى=ابن بالعثمانية. المعروف باسم شهير عمرمع أتباعه الأشقياء واسترداد مبلغ١٥٠٠قرشاً التي جمعت بشكل غير مشروع... وعلى القاضي مصطفى دري زادة ونائب إدليب ،والمباشر(مديرالتنفيذ) إحضار السيد عمر ورفاقه إلى ادليب والتحقيق معه، وعند التثبت إعادة الأموال التي جمعوها إلى أهلها وعزلهم وتعيين مؤتمنين...١١٨٨هـ))٣ ١٧٤مهنا التأكيد على احقاق الحق والبحث عن أصحاب الأمانة.. وفي الوثيقة ٩٤يتقدم بعض وجهاء اريحا

بشكوى من الحاج اسماعيل آغا ،بأنه قد حصل ١٥٠٠ليرة ذهبية جبراً وبدون حق, كما قام بنهب أموال وأشياء السيد محمد طيفور ويسترحمون النظر في الموضوع من قبل نائب ادلب والمباشر(مدير التنفيذ) الحاج ابراهيم آغا في حدود الشرع... تمت المصالحة بين الطرفين في المجلس الشرعي بحلب بحضور نائب ادلب.. وهذا تقرير رفع من قاضي حلب إلى دولة السلطان ١١٨٨هـ ...وثيقه بخط كاتب وقف ادلب:ظل أهل الخير في ادلب يقدمون عطاءهم...وهذه الوثيقه الهامة التي تعود إلى منتصف القرن السابع عشر(عصر نهضة ادلب) تشير إلى أن علي أفندي بن حسن أفندي بن مصطفى(من آل العياشي) كاتب وقف ادلب قد قرر التبرع بمكتب(مدرسة) مشتمل على تعليم الصغار من ماله ويوقف لها(للمصاريف)جميع معصرة زيت الزيتون مع نصف معصرة المطراف الكائنتين بالمحلة الغربية بإدلب الصغرى، مع مرافق أخرى كـ دكان واقع تجاه خان الوزيرين ...ودكان آخر قرب القهوة الكبيرة مع ذكر لجامع حسين نعمة (صاحب الخيرات الأول في ادلب) مع ذكر لوقف جامع العمري وجامع ابن الأقرع وجامع الحمصي ...))- (الصورة..)هذه الوثيقة تشير إلى واقع الحال في ذاك الوقت ،ومدى حب بلدهم والسعي لنهضتها ..جزاهم الله كل خير ..هم قدوتنا في حب بلدهم .

الفصل العاشر : أعلام ادلب

١-أبو يزيد الكفر رومي الادلبي (٨٨٠-٩٦٠هـ / ١٤٧٥-١٥٥٢م)

ولد في قريته كفر روما سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م وبما أن هذا العالم الفاضل أقدم من وصلنا من تراجم ادلب الصغرى (ادلب الحالية) , جاء مع والده إلى ادلب وكانت تدعى الأزهر الصغير , نشأ فيها وتلقى العلم عن علمائها الأفاضل , منهم عبد الله الميكائيلي الذي علمه اللغة العربية في مبادئها الأولية , وقسماً من الفقه والحديث والتفسير , ثم سافر إلى مصر ليأخذ عن علمائها الأزهريين , إلى أن أتقن علومه ليعود فيما بعد إلى ادلب الصغرى ويتابع رسالته - وكذلك الشيخ شعيب الكيالي أستاذ الزبيدي عالم اللغة العربية وصاحب تاج العروس .

تردد على حماه ملازماً الشيخ القطب علوان الحموي المتوفى سنة ٩٣٦هـ , ثم يعود لينشر في بقاع ادلب الطريقة العلوانيه . أقبل عليه الناس , لعلمه الواسع وسيرته الحسنه , فصار له مريدون وتلامذه , منهم مفتي ادلب حينذاك الشيخ ياسين الحجازي , وصفه المؤرخ الحلبي ابن الحنبلي " اجتمعت به بحلب غير مرة فإذا هو لعيون القلب قرة صالح , حسن الصمت متدين لاعوج في دينه ولا أمت , متحاش عن الدنيا , فاضل في العلوم الدينية " توفى بادلب الصغرى سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢م [٢], ودفن في المقبرة الغربية القديمة [٣].

[١] : كفر روما : قرية تقع إلى الغرب من معرة النعمان فيها بقايا آثار قديمة .

[٢] : ابن الحنبلي : در الحبب ٦٢٢/٤ والكاملي ص ١٥١-١٥٢ والطباخ ٥٠٠/٥

[٣] : هي قد كانت في موقع سوق الخضار والمجمع التجاري مجاورة للرمادة الغربية .

٢-الشيخ ياسين الحجازي (٩٠٠-٩٨٠هـ/١٤٩٤-١٥٧٢م)

ولد سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م في ادلب الصغرى (الحالية) وأخذ العلم عن أبيه الشيخ صالح في حفظ القرآن وقسماً من العربية والعلوم الدينية . لازم الشيخ عبد الله الميكائيلي , وكما قبل سلفه أبو يزيد والمترجم له أيضاً , تعلم على يده دروساً مستفادة في العلوم الشرعية , فأجازه أشياخه, ولم يبخل على أحد بعلمه, فانتفع منه العام والخاص .كان محباً للمطالعة , وله كتب يعلق عليها بيده كـ كتب الفقه في الكتبة المولويه بحلب , كعبارته "هذا الكتاب مما أنعم به القوى المتين على عبده الضعيف ياسين بن الشيخ مصطفى الحجازي المفتي بادلب الصغرى سنة ٩٧٠هـ " وهذا يفيدنا أنه تولى منصب الإفتاء بادلب الصغرى زمناً حتى وفاته سنة ٩٨٠هـ [١] - انظر جدول المفتين - ولم يبق بادلب من أسرته غير نفر قليل ...

دفن في المقبرة الشرقية المعروفة بمقبرة المحراب .

[١] : الكامل للكيالي ص ١٥٤-١٥٥

٣-الشيخ سليمان السحلول (* - ١٠٢٠هـ/ * - ١٦١١م)

هو ابن الشيخ محمد الملقب بالسحلول . من نبغاء ادلب الصغرى البارزين . أدباً ولطفاً وروح اجتماعية مرحة , شافعي المذهب . قادري الطريقه .

أخذ عن مفتي ادلب الشيخ ياسين الحجازي , وكذلك عن الشيخ عبد الله الميكائيلي علامة ادلب في زمنه ... ويعتبر من نساخ المصاحف الشريفه والكتب العلمية , توفي سنة ١٠٢٠هـ/١٦١١م ودفن في المقبرة الغربية الدائرة , وقد عثر على نسخة من خط يده في المكتبه المولوية بحلب (هادي الأمة إلى اختلاف الأئمة) لمؤلفه عبد الرحمن القرعي .. أنه فرغ من نسخه سنة ١٠١٦هـ .

٤-الشيخ خليل بن الشيخ محمد بن الشيخ خليل

(ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨-١٦٢٩م)

تولى منصب قاضي ادلب الصغرى لما عرف عنه من ذكاء متوقد , وفطنة " تستنبط الماء من الجلمد , اصمعي النجابة , المعي الإصابة , حركاته مختلفة بالغرائب المؤتلفة , استولى عليه سلطان الكيف , فازداد فهما بالكم والكيف , سامرته تنسي الغريب أوطانه , ومحاضرته تنشط من البليد عرفانه , بحّ وبحً في الطلب معاد الأدب , إلى أن انتزع منه روحه داعي المنون , ولم يدمل في الغرام جروحه " . [١]

في حلب لازم الشيخ محمد القنبري مدة يتعلم منه فضائل العلم , كذلك لازم الشيخ أبي الجود في شرح المنار وهو كتاب في أصول الفقه .. عرف عنه حبه المطالعة ليلاً ونهاراً ثم عاد إلى ادلب ليلازم علمائها وشيوخها حتى تولى " قضاء ادلب الصغرى , فقيل له في ادلب نحو أربعين قدراً يطبخ في الصابون فقال انظروا إلى حماقة أهل ادلب , حيث لم يضعوا قدراً واحداً أقل المراتب لطبخ البرش ! .

وكان والده صاحب الحكاية العجيبة حيث احترق مع الموز في طلب الكيمياء .

توفي سنة ١٠٣٨هـ ودفن عند باب بانقوسا عند قبر والده في حلب .

[١] : عن العُرضي في معادن الذهب ص ٣٤٦-٣٤٧ (ت ١٠٧١هـ).

٥-الشيخ عمر الفتوحى (١٠٧٠-١١٤٥هـ/١٦٥٩-١٧٣٢م)

ولد بادلب الصغرى سنة ١٠٧٠هـ , سليل هذه الأسرة العريقة , وأحد فضلائها مكانة وعلماً .

أخذ عن علماء ادلب الصغرى كـ عبد الله الميكائيلي والشيخ محمد المحرابي [١] والشيخ محمد البغدادي القصيري العباسي دفين بكفالون . تولى التدريس والإمامة والخطابة في جامع الشيخ فتوح , ونشر الطريقة القادرية , وكان له تلامذته ومريديه , منهم القطب العلامة الشيخ عبد الجواد الكيالي السرميني ثم الحلبي [٢], والشيخ أحمد الشهير بالأرمنازي , والشيخ السلموني وغيرهم ...

بعد صلاة الجمعة يعقد جلسة لقاء مع تلامذته في الجامع المذكور , ويغص المكان بمريديه وغيرهم [٣]. أصبح مفتياً للشافعية , وشيخ مشايخ الجادة القادرية , ومربي المريدين , ظلت ذريته تنشر الطريقة القادرية إلى الربع الأول من القرين العشرين .

توفي بادلب سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م في مدفن عائلته في ساحة مسجد الشيخ فتوح , والذي أصبح فيما بعد مزاراً للتبرك به . – لم يضع مؤلفات، بل يكتب على حواشي الكتب، ولكن اهتمامنا به كونه أصبح فقيهاً للشافعية بادلب، وشيخ مشايخ السجادة القادرية، فأصبح له مريدون، والأهم تصدره للتدريس في الجامع (جامع الشيخ فتوح) مع أن بناءه تم من قبل حسين الشيخ نعمة، وقد ظل أحفاده يعلمون فيه حتى مطلع القرن العشرين لذلك ثبت هذا الاسم – انظر بحثنا عن المسجد- وقد بلغت شهرته بلاد الشام، لذلك أشار إليه المرادي في كتابه سلك الدرر باب العين وفي ادلب تتلمذ عليه الشيخ عبد الجواد الكيالي السرميني والشيخ السلموني المفتي وغيرهم. عرف عنه حبه للمطالعة الدائمة. توفي شيخنا في ادلب سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م، ليدفن في مدفن عائلته في باحة الجامع.رثاه علامة ادلب الشيخ شعيب الكيالي بقصيدة منها :

١-حق لأهل الفضل تندب شيخها عمر الفتوحي كوكب العلماء
٢- بحر من العرفان عم فيضه من أمّ ساحله بلا استثناء
٣-فقدته ادلب فهي تنعي بدره طول المدى في الليلة الظلماء
٤-مني السلام عليه ما جاد الحيا فسقى ثراه الطيب الأرجاء

[١] محمد المحرابي هو نفسه باسمه ساحة المحريب .[٢] راجع سلك الدرر للمرادي في باب العين .

[٣] الكامل للكيالي من ١٤٠-١٤١ .

٦- الشيخ اسماعيل الرابع الكيالي١٠٨١_١١٦٢هـ/١٦٧٠_١٧٤٨م

من مواليد كفر دريان سنة ١٠٨١هـ/١٦٧٠م وهو أول من قدم إلى ادلب من آل الكيالي, ليستوطن فيها, وهو اسماعيل بن عمر الكيالي الرفاعي الحسيني الأستاذ الكبير.

توسع تلامذته ومحبوه في ترجمة حياته وفاءً منهم له, منهم الشيخ خليل المتوفى سنة ١٢١٢هـ وأمين الفتوى في مدينة ادلب ومن ترجمته نقتطف ما يلي((هو شيخنا, وشيخ أشياخنا الذين عم نفعهم العامة والخاصة)) وتعلم في زاوية والده في كفر دريان حتى حفظ الحديث ومصطلحه والفقه وأصوله على المذهب الشافعي وأتقن علم التفسير والكلام والمصطلح, وكالعادة((ألبسه والده الخرقة وأجلسه على سجادة الارشاد في طريق سلفه الصالح, الطريق المحمدي الرفاعي المؤيد بالكتاب والسنة, ثم لقي الحافظ الكبير الشيخ سالم الحفناوي أحد شيوخ الأزهر فأخذ عنه سماعاً ورواية صحيح الإمام البخاري...)) ولكن لم يذكر أين التقاه في ادلب أم في حلب؟!, وإن كنا نرجح ادلب لتردد علماء الأزهر عليها, وقد عرضنا في الرحالة ٤٧/١ لرحالة من علماء الأزهر زاروا ادلب والتقوا علماءها, ولابد ان شيخنا قد التقاهم. حين زار سرمين والتقى ابن عمه الأستاذ الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الكريم الكيالي, وقد حضرته الوفاة, ((فقدمه إليه وقربه وألبسه خرقة الخلافة في المقام. واتفقت الكلمة على أن الشيخ أحمد كان صاحب الولاية الكبرى إماماً محدثاً مفسراً كبير الشأن عالي المقام)) وأكد أن ترشيحه لخلافته على السجادة هو ((إلهام رباني باطني))... بعد أن قوى زاده العلمي بدأ علماء ادلب وضواحيها يترددون عليه((وفي سنة ألف ومائة وثمان وعشرين هجرية نزل (أي استوطن) من ادلب في الطرف الشمالي منها بجوار جامع تلك المحلة المنسوب إلى جدي الشيخ خليل... لازم الجامع ملازمة الجفن للعين للنسك والعبادة ونشر العلوم النافعة وتهذيب النفوس وتثقيف العقول... ولما كَثُر تابعوه ومريدوه وأصبحوا أمة لا تحصى ولا تكاد تستقصى, وكان الجامع يغص في مجتمعاتهم عليه إلى أن يستوعب رحبته, فيضيق لذلك صدر المتولي والخدام والشيخ يتلطفهم)) ويتابع الشيخ خليل روايته كيف اشترى أرض زاويتهم

القريبة من الجامع, ليبني عليها مسجداً _راجع بحثنا عن الزوايا_ وبعد بنائها انقطع شيخنا فيها للنسك والعبادة والإرشاد, وكان يأوي إليها الفقراء والعابرين, مع أن أولاده الخمس عنده, والموصوفين بالكواكب الخمسة, وبلغ وصفهم عند قطب العارفين السيد عبد الجواد الكيالي مفاخراً علماء حلب, إن أولاد خالي الشيخ اسماعيل في ادلب كواكب خمسة, كلهم علماء أولياء ووالدهم البدر التام. وهم السادة: أحمد الكبير وعمر وشعيب وعبد القادر وصالح, فإنهم على أثره, القدم على القدم(ومن شابه أباه فما ظلم). عرضت على الشيخ الفتوى ونقابة الأشراف مرات, فأباهما وأشار بالأولى إلى الشيخ ياسين أفندي ابن الشيخ الكاملي وفي الثانية إلى السيد يوسف أفندي الفنري العباسي, وكانا من المتعصبين على الشيخ بقصد الحسد فلما احرزاها أقبلا على الشيخ وصارا من جملة المترددين عليه عند الطلاب والمريدين. ولما بلغ مولانا المترجم حضرة السلطان محمود العثماني طلبه بواسطة وزير حلب لحضوره والتبرك به, فاعتذر وأرسل نيابة عنه ولده الشيخ شعيب وأوصاه بالترفع عن قبول كل شيء من قبل السلطان ودولته وحذره من المخالفة غاية التحذير, وعمل بوصية والده كما سيأتي في ترجمته. ثم قال الشيخ خليل: وبالجملة فإن سيدنا الشيخ اسماعيل كان آية من آيات الله علماً وعرفاناً وإصلاحاً وكرماً وحلماً وأخلاقاً وتواضعاً. كان مع جلالة قدره وتهافت الأكابر والأصاغر على خدمته يخدم بنفسه ضيفه ويقمّ ساحة الزاوية ويطهر ميضاتها ويملئ الأباريق للمتوضئين قبل دخول الوقت ويبالغ في خدمة الضيف والفقراء ويقول لإخوانه, أما قال سيد البشر (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) أما ورد عنه (اتخذوا عند الفقراء يداً فإن لهم الدولة يوم القيامة). كان تعيشه من مستغلات مزرعته الموروثة له عن أبيه في كفر دريان, ولكن إذا قابلنا ذلك الوارد مع ما كان لوجدناه زهيد, ولكن الله يبارك له بهذا الزهيد. كان يقول لأصحابه عليكم بالإنفاق في سبيل المشاريع الخيرية ولا تقصروا, وفي إعانة الضعفاء ما استطعتم, ولا تخشوا الإملاق, فالإنفاق فيها شرف, ولا شرف في الترف, واتقوا الله. (ومن يَتّقِ الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب).

كان قدس الله سره, كما قال فيه بعض واصفيه:

بحرا ولكنه عذب ومورده   سهل فوارده لا يختشي الغرقا
ما أمّه قاصداً إلاّ واتحفه   من فضله كسحاب بالندا غدقا

ثم بسط الشيخ خليل الكلام على كلامه وحكمه ومواعظه وحسن أخلاقه وغيرته في التأديب والتهذيب والمحافظة على أحكام الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة، وعلى زهده وشرف نفسه وترفعه وعلوّ همته ،وتعظيم الأمراء والعظماء والعلماء شأنه، واتفاق الكلمة على بلوغه مرتبة الولاية الكبرى، وعلى تباعده عن الدعوى والكلام الدنيوي بحيث لا يتكلم به إلا اضراراً أو عند السؤال. ثم قال الشيخ خليل: ولو بسطنا الكلام على حقيقة ما انطوى عليه من العلم والعرفان ومكارم الأخلاق ورفعة الشأن ورسوخ القدم وعلوّ الهمم وماله من المناقب العالية والكرامات المتوالية لاحتجنا إلى مجلد ضخم, فاختم القول هذا الحد بقولي هو:

ملك كريم في حقيقته التي ** قد أفرغت في قالب الإنسان
عينان لم تشهد له في عصرنا ** من مشبه في عالم الإمكان
من أي ما وجهت وجهك نحوه ** تلقاه بحراً فائض الإحسان
لا غرو أن فاق الملا اسما عيلنا ** فجدوه أعيان كل زمان
كيالهم أوفى المكيل ببِرّه ** من فيض مولاه الكريم الشان
للمصطفى خير الخلائق قد سموا ** في نسبة يعنولها الثقلان
فعليهموا معه السلام على المدى ** ما أشرقت شمس على الأكوان

ناهيك بفضل المترجم المشار إليه, إن من جملة إخوانه وأصحابه, إمام وقته الشيخ أحمد الكاملي صاحب المقام المزور في محلة الحَجّة بإدلب البكفالوني الأصل وأستاذ ولده الشيخ شعيب, وعلامة ادلب وفاضلها الشهير الشيخ عمر الفتوحي دفين المحلة المذكورة وأحد الشيوخ القطب الشيخ عبد الجواد الكيالي الحلبي المتقدم ذكره ومنهم القطب المشار إليه, كما أشار إلى ذلك المرادي في تاريخه سلك الدرر في باب العين (عدد ٢٣٩ جزء ثاني), ومنهم الشيخ أحمد الارمنازي أحد علماء ادلب الأكابر، والعلامة الاسقاطي أحد شيوخ الأزهر ودفين ادلب, والشيخ علي الجوهري الكبير, أستاذ ولده الشيخ شعيب, وغيرهم ممن يطول علينا ترجمتهم[٢].

وأما وفاته عام ١١٦٢هـ/١٧٤٨م بعد أن أوصى أن يدفن في زاويته في حجرة استثناها من حكم مسجد الزاوية . هذا وقد تجمع الشعراء لرثائه.

ثم قال الشيخ خليل:_وممن تطفل على موائد الشعراء في رثائه, مع تاريخ الوفاة, هذا الحقير الذي هو من أصغر تلامذته وأقلها بضاعة, فقلت بين الأنين والحنين:

من للعلوم وللرشاد وللهدى ... من للمكارم من يفيض لها الندا
من للنفوس وللقلوب مهذب ... بسلوكه خير المسالك يقتدى
من للطريقة في الوصول به ... لذرى الحقيقة نستضيئ به هدى
من للتلامذ ان شكت أشكالها ... من مرشد ندب يمدّ لها اليدا
قد مات العارفين وتاجها ... وسليل مفردها الرفاعي أحمدا
استأذنا اسماعيل كوكب ادلب ... بحر المعارف والمكارم والجدا
ذاك السميّ لجده الكيال ذي الـ ... ـحوال والمدد العظيم على المدى
فرع البتولـــــــــــــــــــــــ ... فرع ذكي من خير أصل محتدا
يا عين فابك لفقده وتلهفي ... يا مهجتي اسفا عليه محتدا
لا عمر طل او لا تطل فبمهجتي ... حزن يطول لفقده لن يفقدا
حزن يطول مقامه حتى اللقا ... أرخ: بنا نبكي المدى شيخ الهدى

٧-الشيخ أحمد الكيالي الكبير

١١٠٤_١١٨٤هـ/١٦٩٢_١٧٧٠م

من مواليد كفر دريان سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م وهو ابن السيد الشيخ اسماعيل الرابع الكيالي الرفاعي الحسيني, أكبر أولاد أبيه... عاش في زاوية جده في هذه القرية ليتلقى العلم فيها كالفقه والتفسير والحديث. بعد تمكنه العلمي بدأ يخطب ويدرس في جامع قرقنيا ثم باريشا في منطقة حارم.. ثم قرر متابعة والده إلى ادلب ليستقر فيها, ويلازم زاوية الكيالي... مدحه تلميذه الخاص الشيخ محمد السلموني أمين الفتوى بإدلب بقوله((كان سيدي الشيخ أحمد عالماً عارفاً عاملاً بكل ما يعلم من كاتب الله وسنة رسول الله /ص/ والإجماع)) إلى أن قال عن مجالسه ((وكثيراً ما حضر درسه حكام مشورين بالعسف والكبرياء يتلقون وعظه بكمال الإذعان...)) وفي سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م توفي بإدلب

ليدفن في زاوية أبيه. وقد كتب عنه تلميذه الشيخ محمد السلموني حوالي مائة بيت يعدد فيها مناقبه منها:

تباً لعين لا تسيل لفقده	تباً لقلب لا يذوب توقدا
فقد كان أرفق والد بمريه	وأحن من أم الرضيع تعهدا
قد كان أعظم مرشد ومشيّد	لشريعة الهادي بها متقيدا
قد كان فينا ناصحا ومؤدبا	سيما لمنأمّ الحمى مستنجدا
ما مثله من مخلص فيما أرى	حقا ولا فيما سمعت مؤكدا
فمعاهد الارشاد بعد رشاده	تبكي أفول جماله طول المدا
يا أحمد الصلحاء يا شمس التقى	يا بضعة الهادي سميك أحمدا
مني السلام عليك ما جنّ الدجى	وطواه شبهك في القيام تهجدا

٨- الشيخ عبد الرحمن الجوهري
١١٠٥-١١٨٠هـ/١٦٩٢-١٧٦٦م

من مواليد قرية بكفالون جنوب ادلب بـ ٣كم، ثم هاجر إلى ادلب ليتابع تحصيله العلمي مع أخيه الشيخ علي، من اساتذته الشيخ يوسف الحميداني والشيخ عمر الفتوحي، بعدئذ أصبح من اتباع الطريقة الرفاعية بموافقة الشيخ اسماعيل الرابع الكيالي، ثم غادر ادلب إلى سرمين ليأخذ العلم عن علامتها أحمد الكيالي دفين سرمين جنوبها.. ثم شد رحاله إلى مصر ليتابع دراسته في الأزهر الشريف مدة خمس عشرة سنة إلى أن أجيز علمياً ليعود إلى ادلب فتصدر التدريس في كل القطاعات...

حين حلت الفوضى في تعيين مفتي مناسب اتجهت الأنظار نحو الشيخ اسماعيل الكيالي لكنه لم يوافق على تقلد هذا المنصب، ليرشح بديلاً عنه الشيخ عبد الرحمن الجوهري، وتسلم المنصب بالانتخاب، ورفعوا المحضر إلى السلطات، وتمت الموافقة سريعاً. تصدر للفتوى في زاويتهم المسماة بالجوهرية. عرف عنه تحريه والمقارنة بين النصوص. توفي في ادلب سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ليدفن في مقبرة الشيخ محمد المحرابي.

٩- الشيخ أبو بكر الكاملي

١١١٥_١١٨٥هـ/١٧٠٣_١٧٧١م

من مواليد ادلب سنة١١١٥هـ/١٧٠٣م حفيد الشيخ أحمد الكاملي تحصل العلم على يديه وخاصة في اللغة العربية حتى لقب بخليل زمانه. فقدت كتاباته غير مخطوط بيده بعنوان(القابوس الوسيط مختصر القاموس المحيط)(١) في مجلدين، وهو كغيره اتبع الطريقة الرفاعية عن آل الكيالي, وعن الشيخ عمر الفتوحى أخذ الطريقة القادرية وأكد هذا في آخر كتابه القابوس: الادلبي وطناً, الشافعي مذهباً, الرفاعي والقادري طريقة. توفي سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م ليدفن قرب جده. حاشية أركان الدولة كلياً أو جزئياً... وفي الأستانة_ اسطنبول_ نزل في مدرسة غضنفر آغا معتذراً عن النزول في سرايا السلطان, وهناك أقبل عليه الوزراء والعلماء محتفين به داعين له الحضور إلى جانب السلطان, وحين (١)القابوس: القبس: الشعلة من النار, والمقصود بخليل زمانه نسبة إلى أحمد بن خليل الفراهيدي والقاموس المحيط هو أحد أهم مصادر اللغة العربية لمؤلفه الفيروز أبادي.

١٠- الشيخ شعيب الكيالي

١١١٦_١١٧٢هـ/١٧٠٤_١٧٥٨م

مهما كتب عن الشيخ شعيب الكيالي فهو قليل, هو الأوسع شهرة بين علماء عصره من أبناء ادلب, وهو الذي طاف البلاد وعلَّم في الأزهر بإقرار تلميذه مرتضى الزبيدي(ت ١١٧٢هـ) صاحب كتاب تاج العروس على شرح القاموس للفيروز أبادي, في أنه درس في حلقة شعيب الكيالي الادلبي في صحون وأروقة الجامع الأزهر.

من مواليد ادلب سنة ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م والده الشيخ اسماعيل الكيالي بيت العلم والنسب جده الأعلى اسمعيل الكيالي في قرية ترنبه، تردد على زاوية الكيالي للتعلم في حفظ القرآن والعلوم الشرعية والعربية, ومن أساتذته الشيخ أحمد الكاملي والشيخ علي الجوهري والشيخ يوسف الحميداني والعلامة الاسقاطي أحد الشيوخ الأزهرية_ ولعله هو الذي شجع صاحبنا السفر إلى مصر_ بعدئذ تابع تحصيله العلمي في حلب وخاصة المدرسة الحلوية قرب

الجامع الكبير بينما المرادي يذكر أنه((قدم حلب في سنة ثلاث وأربعين ونزل بالمدرسة العثمانية وقرأ على مدرسها الشيخ محمود الانطاكي ومهر في عدة من الفنون)) وقد برزت موهبته في حب العلم وتحصيله في حلب, ولما ارتحل إلى دمشق كانت شهرته قد سبقته وعلماء الشام استفادوا من علومه مقرين بعرفانه. بعد عودته إلى ادلب, تابع نشر علمه إلى جانب أبيه في زاويته, والجدير بالذكر أن السلطان محمود الأول طلب والده اسماعيل للتبرك بحضوره بواسطة والي حلب, لكنه اعتذر لما عرف عنه زهده في الشهرة ،فأرسل نيابة عنه ابنه شعيب, بعد إعداد العدة للرحيل أوصاه والده ألا يقبل هدية سلطانية لا من السلطان ولا من مثل في حضوره تلقاه بالترحاب وغاية الإكرام, وحين لاحظ السلطان سعة علمه وظهوره في المناظرات العلمية على علماء دار المشيخة الاسلامية والتي تضم فحول المتبحرين في العلوم المعقولة والمنقولة, وقد مال إليه وأحبه شيخ الإسلام مصطفى أفندي, ويزوره كل جمعة للتبرك بزيارته والنهل من علمه ويتقرب أكثر إلى فضائل أخلاقه ومكارمه. ومن الطرائف في عاصمة الخلافة ما حدث معه حين((كان ماراً ذات يوم في سوق الكتب فوجد الدلال ينادي على كتاب بيده(بو كتابي كوجك مذهبي) فنظر في الكتاب فإذا المنهج في فقه الإمام الشافعي يوم فقال له: من أين علمت أن المذهب الشافعي صغير؟ قال: هكذا نسمع من علمائنا فاغتاظ الشيخ وأقام النكير على علماء الأستانة, ولما زاره شيخ الإسلام عادته وقد بلغه خبر الحادثة, اعتذر له بأن هؤلاء المتفقهة يهرفون بما لا يعرفون, وأما علماء الأستانة العقلاء فعلى غاية من حرمة المذهب الشافعي, فقال له الشيخ حينئذ يجب عليك منع هؤلاء الجهلاء من التصدي_ للتدريس والتدليس, فأصدر أمره العام أن لا يدرس إلا المجاز بعد أخذ امتحانه وثبوت أهليته عاماً كان التدريس أو خاصاً, ثمّ لما كان الشيخ على أهبة السفر التمسه أحد الوزراء أن يشرح قصيدة أبي الطيب المتنبي في حق عضد الدولة, تلك القصيدة التي مطلعها:

فدى لك من يقصر عن نداكا   فلا ملك إذا إلا فداكا(٣)

فشرحها بيوم وليلة وهي تدخل بأربعين صحيفة, ثم استأذن الحضرة السلطانية في العودة للأوطان، فأذن له بعد أن عرض عليه تحفاً وهداياً ونقوداً فلم يقبل

منها شيئاً، معتذراً له عن ذلك بوصية أبيه ومبالغته في الوصية, فقبل المعذرة ولكنه سأله عن نسبه فأراه إياه فإذا مسلسل الاتصال بالسيد الكبير صاحب واقعة الكيل دفين الترنبا ومنه إلى حضرة فخر الكائنات(صلعم) من ولده سبطه الحسين مطرز الحواشي بتصديق العلماء والنقباء والوزراء, واطلع على ما في يده أيضاً من فرامانات أسلافه السلاطين العظام المتسلسلة من عهد استيلائهم على الديار الحلبية إلى ذاك العصر, الطافحة بالاعتناء والحرمة لهذا البيت الطاهر وامتيازهم عن بقية الرعية بمزايا عالية. فسأل حضرة السلطان المشار إليه إلى شيخ الإسلام, هل إذا كان مثل هؤلاء السادة مشتغلين في نشر العلوم وجمع القلوب على طاعة الله مع صحة نسبتهم إلى سيد الوجود يؤخذ منهم ما يؤخذ من الرعية من الضرائب؟ وكان السؤال بالتركية فأفتاه قائلا (النماز) لا يؤخذ, وعلى هذا تحررت الفتوى وأصدر السلطان رحمه الله أمره الواجب الاطاعة (فرمان) مآل تعريبه: بناء على ثبوت نسب الاستاذ الكبير السيد الشيخ اسماعيل الكيالي من سكان ادلب وأولاده السادة: أحمد وعمر وشعيب وعبد القادر وصالح والسيد والسيد...(إلى آخر السطر بدون ذكر اسم) واتصاله بسيد الوجودات (صلعم) وعلى آله وسلم مع ما هم عليه من الصلاح والتقوى والانعكاف على نشر العلوم وجمع القلوب على طاعة الخالق جلّ وعلا واعتناء أسلافي السلاطين العظام باسلافهم الكرام وبناء على الفتوى الشريفة الصادرة من لدن عمدة العلماء الاعلام مولانا شيخ الاسلام فقد صدر أمري المطاع باعفاء هؤلاء السادة وأبناء عمهم وأتباعهم من كافة التكاليف والضرائب الأميرية (وعدد أنواعها المضروبة يومئذ حتى الأعشار) لانريد منهم إلا الدعاء مع المحافظة على حرمتهم وتعظيمهم بمعنى الكلمة، وأني أوصي وزرائي المتتالية إلى حكومة حلب أن يعتنوا بهذا غاية الاعتناء وأن يأمروا المتسلمين الحكام المرسلين إلى ادلب بذلك والحذر الحذر من المخالفة ثم وقعه بتوقيعه (الهمايوني) السلطاني وسلمه ليد الشيخ قائلاً له: هذا ليس نقداً ولا متاعاً فقد حافظنا على وصية الوالد فأرجوك وإياه الدعاء لي وللمسلمين بتوفيقنا جميعاً لخدمة الدولة والله وتأييد الدين المبين، ثم ودعه وشيعه باحترام وإعظام إلى باب الديوان، وأمر شيخ الاسلام ورجال معيته بتشييعه إلى البحر، فمشوا جميعاً معه إلى أن شيعوه بكمال الاحتفاء والاحتفال.

قال تلميذه الخاص وخادمه: في هذه السفرة الفاضل الشيخ محمد صالح الحميداني والله ما قبل من أحد هدية ولا سعى إلى باب من أبواب الدولة، إلا للحضور السلطاني ورد الزيارة للعلماء والمشيخة بل كان منقطعاً في المدرسة الغضنفرية للمطالعة والتدريس وقد صار له في الاستانة تلامذة ومشايخ أخذوا منه وأخذ منهم وأجازوه وأجازهم. قال: ثم لم عاد إلى ادلب عاد إلى ما كان عليه من الاشتغال في العلوم تدريساً ومطالعة وتأليفاً مع قيامه في خدمة أبيه إلى أن توفى الله والده إلى دار كرامته (١١٦٢) كما تقدم في ترجمته استأذن حينئذ أخاه الكبير الشيخ أحمد بعد أن استجازه علاوة على إجازة والده في طريقهم الرفاعي الأحمدي، بالسفر إلى مصر منها إلى أداء فريضة الحج فأذن له. ومن وقتها توجه وتوجهت لخدمته إلى مصر فنزل في جامعها الأزهر واشتغل بالعلوم استفادة وإفادة إلى أن ظهر في الأزهر أمره وعبق عطره فتخصص له من قبل شيخ الأزهر حجرة مخصوصة وعموداً يدرس بحذائه فبقي هذا حال الشيخ حتى صار له في الأزهر مشايخ وتلاميذ عديدة، وناهيك من تلامذته أحد شيوخ الأزهر الطائر الصيت السيد مرتضى الزبيدي شارح الاحياء والقاموس المحيط. ثم في سنة اثنين وسبعين ومائة بعد الألف أزمع الرحيل إلى أداء فريضة الحج فودعه علماء الأزهر آسفين على فراقه لما رأوا من مكارم أخلاقه وتوجهه، وتوجهت لخدمته، إلى أن أدينا فريضة الحج وكافة المناسك، ثم توجهنا إلى زيارة جده الاعظم (صلعم)، فلما وصلنا إلى موقع (خليص) بين الحرمين المحترمين، قال لي: يا ولدي قد دنت المنية فعليك بتقوى الله في السر والعلانية، ونطق بكلمة الاخلاص وفاضت نفسه الكريمة راجعة إلى ربها راضية مرضية. فبكيت ما شاء الله أن أبكي، وبكى معي أكثر الحجيج لما كانوا يرون من عنايته بالفقراء والضعفاء ومكارم الاخلاق أثناء الطريق، وهناك أودعت جسده الشريف وذلك أوائل ربيع الأول سنة ١١٧٢.
وإلى ذلك أشار تلميذه السيد مرتضى الزبيدي في مادة (كيل) بمناسبة ذكره للسادة الكيالية سكان البلاد الشامية فقال بما مثاله: (ومنهم شيخنا واستاذنا العالم العامل الرباني الصوفي السيد شعيب الادلبي (وذكر خمسة عقود من نسبه) ثم قال: توفي رحمه الله في (خليص) بين الحرمين المحترمين

سنة:١١٧٢. ثم قال تلميذه الشيخ صالح راثياً له من التاريخ حينما فارق جدثه المبارك لا زال مخضلاً بسحائب الرضوان (واشيخاه عليك رحمة الله):

الدين يندب والشريعة والهدى فقد الامام الماجد المفضال
بحر المعارف والعلوم المقتدى غيث المكارم والندا الهطال
فرع البتول السيد السند الذي ما مثله بسلالة الكيال
يا عين فابك عليه ما بكت المدا رس إذ غدت من بعده كخوالي
بخليص جثته ولكن روحه لجوار مولاه ارتقت بمعالي
هو في النعيم منعم لكنني من بعده في حسرة ونكال
روحي له لو يفتدى أرخ فدا مات شعيب قطبنا الكيالي

أخلاقه: قال الشيخ الحميداني: كانت أخلاق أستاذنا شعيب من جهة التقوى والصلاح والخوف من الله أخلاق الصحابي صهيب الوارد فيه الاثر عن سيد البشر (صلعم) (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه). كان من جهة التواضع متأدباً بأدب شاعرنا العربي:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

كان من جهة الكرم والسخاء ومواساة الضعفاء وإعانة الفقراء، على حد قول الشاعر في بعض الأمراء الكرماء:ولو أن ما في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله كان بعيد الشأن عن الفخفخة الدنيوية والتفاخر بالأنساب، ويقول نسب المرء عمله ويتمثل بقول جده باب مدينة العلم في أبياته المشهورة:

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهمو أدم والأم حواء

مؤلفاته: مخطوط "كفاية التايق إلى تدريب الوامق" في الفقه الشافعي شاهدته في المكتبة الأحمدية بحلب برقم ٦٦١ خاص و"رسالة في التصوف والنظم" وبرقم ١١١٤/خاص و(كشف المجازى عن داليه ابن حجازى) في مكتبة الأوقاف الشرعية كمخطوط، وبنفس الكتاب كتاب آخر (شرح قصيدة المتنبي) كانوا قد جلبوه من مدرسته بحلب المعروفة الآن بالشعيبية، وهي الآن شمال محلة الجلوم تقع جنوب العقبة. وفي مكتبة أحفاده شوهدت مؤلفات أخرى (الوامق في معرفة الخالق) وشرحه لصلوات الشيخ عبد السلام بن مشيش

سحاه (البحث والتفتيش في تحقيق صلوات ابن مشيش) وهناك شروحات له على دالية ابن حجازي نقيب أشراف الديار الحلبية تبدأ بـ

أهلاً بنشر من مهب زرود   أحيا فؤاد العاشق المجهود[١]

سماه (كشف النقاب المجازي عن دالية بن حجازي) وأما شعره فموزع هنا وهناك ولم يجمع بعد، اشار إلى ذلك المحبي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م) مشيراً في معظمها بمديح الرسول (ص)..

أهيل الود هل منكم وفاء   وهل جرحي له منكم براء
سلبتم بالنوى قلبي ولبي   وهل للمرء دونهما بقاء
قد استولى على كلي جواكم   ومالي عن تعشقكم غناء
إذا ما لامني اللاحي بلوم   أفوه له بأن قل ما تشاء
هيامي ليس لي منه براح   وصبرى ليس لي عنه انثناء
فكيف وقد جبلت على هواهم   وعهدي لا يغيره الضناء
فهم للروح إن ظمئت رواء   وهم للعين إذا رمدت جلاء
أيا سكان طيبة إن فيكم   يطيب لي التمدح والرثاء
نأيتم عن عيوني واحتجبتم   فهلا كان لي منكم لقاء
فبعد الدار عنكم هدّ حيلي   وشيبني وما تم الصباء
على قلبي تجلى من حماكم   حبيب قد تغشاه البهاء
جميل لا يشابهه جمال   منير لا يقاربه سناء
يعير البدر عند التّم نورا   وهل إلاّ به ذاك الضياء
به الغبراء جاءت ثم قالت   ومن مثلي فهاتي يا سماء
نبيّ هاشمي أبطحي   قريشي يمازجه الذكاء
وما إن جئت أمدحه بنظمي   ولكن فيه للنظم الثناء
به الألفاظ تنفذ والسجايا   لعمر أبيك ليس لها انتهاء
رسول الله ما مدحي بوافٍ   وأين المدح مني والوفاء
رقيت من الكمال إلى مقام   عليّ لا يقاربه علاء
وكيف وقد ملكت زمام حسن   بشطر جاء منه الانبياء
فأحسن منك لم تر قط عيني   وأجمل منك لم تلد النساء
ولدت مبرءاً من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء
محياك الجميل له سناء   لطلعتها حكتك به ذكاء
رسول الله يا غوث البرايا   وملجأها إذا عم البلاء

شعيب قد ألم به خطوب يضيق الصدر عنها والفضاء

ومنها:.....

ضعيف عاجز قلق ذليل له جرع الأسى ابدا غذاء

وقد فقد القوى كلا فاضحى وثكلى في كآبتها سواء

حزين دائما حتى إذا ما جلاه الصبح كدره المساء

ومنها:.....

له دارك رسول الله غوثاً إذا ما بالذنوب غدا يجاء

عليك الله صلى كل آن مع التسليم ما لاحت ذكاء

كذاك الآل والأصحاب جمعاً دواماً لا يرى لهما انقضاء

وله عدة نبويات عشقتها الأرواح والنفوس واتخذتها الأحباب تمائم فوق الرؤوس، وأما غزلياته فقليلة، من ذلك قوله:

وظبي من ظباء الأنس وافى بوجه يخجل البدر الأتما

وخد فيه جمر شاب ثلجا فوا عجبي لجمر جامع الما

لشهد صار ظلما

وجيد زانه خال كمسك وقدّ ما برا إلا وأدمى

ومنها:....

سكرت ولم يكن في الحان خمر سوى إلا لحاظ حين إلي أوماً

فقلت له وقلبي لم أجده لديّ وكيف قلبي منك علما

فقال وكم لمثلك من فؤاد عليه قد وضعت يداً ورسما

ولكن أنت طب نفساً فإني أمين لا أخون العهد ظلما

وله مجاميع محفوظة لدى مكتبات الكيالية- إن لم تفقد- وكذلك عرف عنه حب نسخ الكتب لحسن خطه وعرّفه جدي لأمي الشيخ الطباخ بـ "العالم الفاضل كان أديباً أريباً محققاً هشاً بشاً لطيفاً عفيفاً من رآه تحقق علو نسبه.. وله رسالة في التصوف سماها (الدير المنضود في السير إلى الملك المعبود) وله مختصر في فقه ابن ادريس وتدريب الواثق ومختصر في الفقه..". وله كشف النقاب المجازي عن دالية ابن حجازي والمخطوط عند آل الشطي بدمشق وفي أواخر حياته قرر الحج سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م وهو في مصر ليتصل بمن يعرفه من علماء الأزهر ، وفي طريقه ادركته الوفاة رحمه الله في (خليص) وهو عائد لزيارة الرسول (ص). وقال الأديب قسطاكي حمصي في كتابه: ادباء حلب، في صفته: أنه كان ربعة ممتلئ الجسم أبيض اللون صبيح الوجه أسود العينين مليح الأنف والفم على غاية من الجمال وورث حسن الصوت عن أبيه وجده، وكان يلقب بالزينة كجده، لما اجتمع له في صوته من الحسن والجهارة، وكان

كلما رتّل في الجامع أو في زاويته يجتمع الناس من كل حدب وتصعد النساء إلى السطوح لشغفهم باستماع صوته.

وأثبت قصيدته كاملة، وهي موجودة في مجموعته، وأشير إلى الابيات الناقصة أو التي وردت خلاف ما هو مدون في المجموعة:

١-من بني الكيال قطب   كان للتحقيق ركنا....

القرم من الرجال: السيد المعظم

٢-من صميم الآل آل الـ   مصطفى المبعوث أمنا

٣-وهو ذو الفضل شعيب   كم له فضلا عهدنا

٤-رام تحقيق صحيح الـ   إنتما حساً ومعنى

٥-سأل الوالد اسما   عيل فيها قد سمعنا

٦_هل لنا صَحَ انتساب   بأب قد كان منا

٧_أو بأم فأَبِنْ لي   ليزول الشك عنا

٨_فرأى المختار طه في   نوم مثيراً ادن منا

٩_فدنا منه إذا   استـــــــدناه والمنسوب يدنا

١٠_نقض العمّة عن رأس   شعيب ثم أثنى

١١_ثم في الحالي تعاطى   ردها فكساها حسنا

١٢_ثم حيّاهـ وبيّاه   وناداه ادن منا وناداه هنّا

١٣_لاتشك أنت منا   أنت منا أنت منا

١٤_يالها نسبة حق   وفخار ليس يفنى

وذكر الشيخ حسن الكيالي المنلا مفتي ادلب :" أنه اطلع في مجموعة للشيخ شعيب الكيالي, وبخط يده, على قصيدة استغاث بها بالله تعالى, وقد قال في أولها ما نصه: هذه القصيدة للفقير شعيب الكيالي, نظمتها في غرة محرم الحرام, سنة تسع وخمسين ومائة وألف, وسميتها: السهام الصائبة لأهل البغي والمحاربة:

ببابك ربي قد أنخت مطيتي   وأنزلت ما بي حماك وخلتي

وعولت في أمري عليك جميعه   وأفنيت حولي في رضاك وقوتي

فلا شيء إلا أنت مالك أمره   وأنت عليم بالأمور الخفيةِ

تميت وتحيي من تشاء من الورى   وتنشي حياة من عظام رميمةِ

فسبحانك اللهم تفعل ما تشا   وغيرك لا يقوى لدرء بعوضةِ

وقد سبحتك الطير في الجو جهرة   وهامت بك الحيتان في كل لجةِ

وخافتك في آجامها الأسد رهبة   ودانت لك الأفلاك طوعاً وخرّتِ

ومدت لك الشجعان طراً رقابها   فها هي تحت الحكم والقهر ذلّتِ

فما ثبّت من أمر يتم بلا مرا ومالم تشأ ما تمَ قطّ بحيلةِ
أ مولاي وا غوثاه من كل فاجر ظلوم غشوم للقلوب مفتتِ
وباغ على الأموال يلقي شباكه فيأكل أموال الضعيف بتهمةِ
ويوقعه في ضيق عيش وعسرة ويكسوه بهد العز ثوب مذلةِ
فيا ربّ بالباب الكريم قد احتمى عبيدك فافرج عنهم كل كربةِ
ويا بطشة الجبار شدّي وثاقهم ويا غارة الله البدار لنصرةِ
ويا رب هل بك النصر يرتجى عليهم وهل إلا بحبلك عصمتي
فقد فاز عبد في حماك قد التجا وذل فتى يرجو سواك بشدةِ
سألتك بالذكر الحكيم وما به تنزّل من علم شريف وحكمةِ
واسأل بالمختار طه نبينا وكل نبي قد بعثت لأمةِ
وبالآل و الصحب الكرام ذوي التقى وكلّ وليّ في الورى وولّيةِ
وبالراكعين الساجدين لربهم ومن ينتمي للعلم يوما بخدمةِ
بسرّ رجال الله في كل بلدة بسرّ هداة الخلق أهل الطريقةِ
رجوتك بالقوم الكرام جميعهم ومن منهم يحظى بعهد وصحبةِ
وجئت بهم ربي إليك وسيلة لتنكي أعدائي وتشفي غلتي
وتصرفهم عنا وعن من يلوذ بنا وتكشف عنا كل ضيم وكربةِ
وتمحنا سراً عميماً يعمنا وحصنا بنا يحتاط من كل وجهةِ
وأسأل منك الفوز بي فجد به ومن بصفح من ذنوبي وزلتي
فاني بالتقصير والذنب مولع وأنت غني عن عذابي ومحنتي
وصلّ الهي بكرة وعشية على المصطفى الهادي لأقوم ملّةِ
كذا الآل والأصحاب ما همت الصبا وناحت الأطيار شوقاً وغنتِ

****

وقد خمسّها الشيخ محمد طاهر العياشي مفتي ادلب(١٢٤٠_ ١٣٢٤ هـ).
وأولها:

اليك التجائي في رخائي وشدتي وأنت رجائي يا منائي وعدّتي
لقد جئت في فقري وعجزي وزلتي ببابك ربي قد أنخت مطيتي
وأنزلت ما بي في حماك وخلتي

(١)هي في ٨٥ بيتاً مسجلة في ديوان الشيخ أمين الجندي الحمصي.

١١-عبد اللطيف الادلبي الرمالي
١١٢٢؟_١١٦٢هـ/١٧١١؟_١٧٤٩م

لعل شخصيتنا الآن مختلفة عن غيرها من أبناء ادلب الذي ولد حوالي عام ١١٢٢هـ/١٧١١م؟ ومترجمه المرادي صاحب سلك الدرر قال إنه ولد بعد العشرين من هذا القرن في ادلب الصغرى ونشأ بها ورحل إلى طرابلس الشام, ثم عاد إلى حلب سنة ١١٥٥هـ وقرأ على فضلائها منهم الشيخ طه الجبريني والسيد علي العطار, وكان يكتسب بالرمال لضعف حاله وله فيه معرفة تامة وشوهد له فيه أمور عجيبة منها أنه كان له انتساب ومحبة مع ابن الخنكارلي أحد أعيان حلب وكان المذكور مع مخدوم الوزير عبدالله باشا بجزيرة قبرص وصاحب الترجمة أراد أن يسبر(قال م ح) السبر من باب قتل وفي لغة من باب ضرب تقول سبرت القوم تأملتهم واحد بعد واحد لتعرف عددهم والسبر بالتركي(يوفلاق انتهى) من القواعد كيفية حال المذكور فظهر له أن محلا بمنزله في الجزيرة المذكورة متهدم وانه يسقط وان المحل مرتفع فحرر مكتوباً إلى المذكور وأخبره أن في منزله محلاً عالياً صفته كذا لا تدخل إليه فلما وصل الكتاب امتنع ابن الخنكارلي المذكور من الدخول لذلك المكان لما يعلم من معرفة صاحب الترجمة. فأمضى مدة يسيرة من الزمان إلا وسقط المحل ولم يصب ضرره لأحد من أهل المنزل ،وله من هذا القبيل أشياء كثيرة وكان قوى الحافظة يحفظ متن القدورى وأكثر شرح المنية وغير ذلك ولما أجدى حاله ترك معاناة الرمل[٦] واشتغل يحفظ شفاء القاضي عياض فلما أشرف على إكمال هذا الكتاب دعاه داعي المنية فأجاب ولم يتيسر له الاتمام غير أنه فاز يحسن الختام

وله نظم (فنه قوله مشطراً موجهاً في صنعته)

وشقائق قالت لنا بين الربا | يامن له في الاتصال مرام
منا طريق الاجتماع فان ترد | دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت العوارض مثلنا | نبتا بحمرة شكله إلمام
أم هل يضاهينا النقى بحده | قلت اسكتوا لا يسمع النمام

(وشطرهما الشيخ علي الميقاتي الحلبي فقال)

وشقائق قالت لنا بين الربا | وبنا إلى ورد الخدود غرام
والميل يحدث للنظائر غيرة | نبتا له عند الملوك مقام
ويماثل النعمان آس عذارها | قلت اسكتوا لا يسمح النمام

(وشطرها الشيخ أحمد الحلوى الحلبي فقال)

وشقائق قالت لنا بين الربا | لما زها نوارها البسام

إن كنت من أهل المعارف والذكا دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا نور انحار ينوره الافهام
أم صبغتها أضحى يحاكي صيغنا قلنا اسكتوا لا يسمع النمام

وكانت وفاته في سنة اثنين وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

وفي هامش كتاب المرادى كتب ما يلي ((رحم الله المترجم حيث تعفف عن الاحتيال بالرمل وترك شبكة معاشه الرملية لأنه أثرى يعني زنكين)) ثم كتب بخط عربي_ عثماني كلمات توضح هذا الرأي.

توفي سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م.

١٢- الشيخ عبد الرحمن شحادة ١١١٥-١٢٠٠هـ/١٧٠٣-١٧٨٥م

ولد في ادلب سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م توفي والده قبل ولادته، لترعاه أمه شقيقة الشيخ السلموني أمين الفتوى بادلب، يبدو أن والده كان ثرياً فترك ثروة مختلفة أدارتها أمه بإشراف خاله الذي علمه القرآن والخط والحساب والعلوم العربية، كذلك تعلم زمناً عند الشيخ محمد القرفي الكيالي. دخل شيخنا دوائر السلطة أهمها انتخابه مرات لعضوية المجلس البلدي، ثم حاز على توليه متسلم البلدة أي حاكمها، وظل مدة باذلاً العدل ومساعدة الضعفاء، محباً لأهل العلم والشرف، ومما أوصى به جزءاً من أملاكه على المصالح وخاصة المعابد وخدمة أهل العلم... هاجرت معظم عائلته فيما بعد إلى جسر الشغور. ذكر الشيخ كامل الكيالي حادثة طريفة وقعت معه، حين حضور جبان باشا والي حلب إلى ادلب في عهد السلطان محمود الثاني حكم(١٢٢٢-١٢٥٥هـ/١٨٠٧-١٨٣٩م) لمتابعة (وقعة الانكشارية) "تجول في اسواقها ومعاملها ومنها معامل الصابون فوجد مقدار أربعين طبخة صابون قائمة القباب، وقد ضرب على كل واحدة منها ختم (شحادة) وهذه رمز من صاحب المعمل إلى صاحب الصابون، ثم دخل إلى معمل آخر فوجد مثل هذا العدد قد ضرب عليه هذا الختم فتعجب وقال: إذا كانت شحادة هذه البلدة عندها من الصابون مقدار ثمانين طبخة، وكل طبخة فيها هي عبارة عن اثنى عشر قنطاراً تقريباً، فكيف بأغنيائها؟ فقال له مفتي البلدة الشيخ عبد الرحمن شحادة على الفور: يا سيدي هذا الاسم من باب تسمية النبي بضده، فلكثرة ثروة هذه العائلة لقبوها هذا اللقب، وأثبت له ذلك مباشرة بشواهد حسية . . فتبسم واقتنع في هذا الكلام، مع أنه كان مصراً على تكليف الأهالي بالضرائب الباهظة ليس لديهم القدرة على

تسديدها!" توفي سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م ودفن في المقبرة الغربية قرب قبة الشيخ صالح الكيالي.

١٣-الشيخ خليل الخليلي ١١٣٠_١٢١٣هـ/١٧١٧_١٧٩٨م

كنا قد أتينا سابقاً على ترجمة قاضي ادلب الصغرى الشيخ خليل بن الشيخ خليل المتوفي سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م ولعله هو جد هذا الشيخ لأن اسمه ونسبه كما ذكره خليل الخليلي, وارجع أصلهم إلى بلدة خليل الفلسطينية, وكانوا قد هاجروا إلى ادلب في حدود التسعمائة الهجرية, وبرز منهم نوابغ أحدهم هذا الشيخ والمولود سنة ١١٣٠هـ/١٧١٧م.
أي عاش في عهد نهضة ادلب في كافة المجالات تعلم ما قد يتعلمه غيره في حفظ القرآن ومبادئ الإسلام, وتردد على زاوية الكيالية القديمة, ليتعلم على يد أستاذها الجليل الشيخ اسماعيل الرابع الكيالي الذي أنشأ هذه الزاوية وأولادها الخمسة, وإن فضّل ملازمة الشيخ عبد القادر, وسافر مع شيخه إلى مصر, ليجالس علماء الأزهر, وينهل علومهم العقلية والنقلية, ثم عاد إلى ادلب لينقطع إلى العلم حتى وفاته.
وفي الجامع المسمى جامع الشيخ خليل, بدأ يدرس الجميع طلاب علم وغير طلاب علم حتى حاز على الرياسة في التدريس العام والخاص. أشهر من تعلم عنده الشيخ محمد الفرضي آل محي الدين الكيالي, ولبراعته في الفنون تسلم الافتاء ولقب(أمين الفتوى). وله أربعة مجلدات ضخمة بخط يده, وهي مجموع فتاويه خلال حياته, ولكنها فقدت. ومن طرائف حياته العلمية"بعد أن قفل حاجاً إلى بلدته ادلب مرّ بدمشق الشام فحضر حلقة درس مفتيها إذ ذاك, وكان جلوسه وراء حلقة الطلبة فدخل رجل سأل المفتي سؤالاً عويصاً فأطرق متفكراً, ثم رفع رأسه, وعرض السؤال على الطلبة, وكان أكثرهم من المنتبهين فلم يأت أحد منهم بجواب, فعاد المفتي إلى إطراقه, ثم رفع رأسه وقال للسائل: إئتني في غير هذا الوقت، ريثما أراجع المسألة. فالتفت الشيخ خليل من وراء الطلبة ولم يكن ثمة مما يظهر عليه أنه من أهل العلم، فقال له: أتأذن في الجواب؟ فقال له المفتي: بصورة المستهزئ، تفضل، فقال له الشيخ خليل: هذه المسألة خلافية، وسرد خلاف الأئمة، إلى أن لخص منها، المعوّل عليه في الإفتاء. فانكمش المفتي ودهش الحاضرون. ثم نظر ملياً وقال له: بالله عليك: (أما أنت الشيخ خليل الادلبي) فقال له بلى. فقام إليه حينئذ واستقبله وأجلّه وأجلسه مكانه، واعتذر إليه، وأقبل الطلبة على تقبيل يديه".

وفاته: انتقل صاحب الترجمة إلى رحمة ربه ورضوانه في شهر رمضان المبارك عام ١٢١٣هـ. ودفن تحت التوتة الكبيرة في وسط التربة الغربية الوسطى وقد كتب تلميذه الشيخ محمد الفرضي الكيالي على حجرته الطاهرة المنورة هذه الابيات:

أبشر بنيل مقام ... ما مثله من مقام
في جنة الخلد أضحى ... يزهو بأبهى انتظام
فذاك فضل كبير ... وتلك دار السلام

١٤-**الشيخ محي الدين الكيالي** الكبير ١١٢٠هـ/١٧١٧م ١٢٠٨هـ/١٧٩٣).

هو من مواليد إدلب, وابن أحمد بن اسماعيل الرابع الكيالي تعلم ولازم الزاوية الكيالية القديمة في الحي الشمالي. لازم والده، وتعلم عنه الفقه الشافعي.

مال إلى الصوفية, وصار علماً فيها, ألبسه والده الحزقة الرفاعية, وأجازه بطريقتها الأحمدية المحمدية. ساهم في ترميم جامع الزهراوي/ المبلط- انظر بحثنا عنه- عرف عنه حب الخير, مشاركاً من يساهم فيه, حتى بالمال كرصف الطرقات وترميم المساجد والرباط وحفر جباب الماء في الطرقات, أما ولده محمد الفرضي مكان يعينه في ذلك, كونه صاحب ثروة. حج مرات عدة, زاهداً ماسكاً, متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله. لا يخشى قول الحق مع أقرب الناس إليه, حتى شقيقه عبد الباري حين تولي منصب قضاء الشرع مع نقابة الأشراف داعياً له(التمسك بحدود الله..) وتم انتخابه من الناس.

١٥-الشيخ عبد الباري الكيالي١١٤٠-١٢٠١هـ/١٧٢٧-١٧٨٦م

ولد في ادلب سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م ونشأ فيها وهو ابن أحمد الكبير بن السيد اسماعيل الرابع، وكذلك هو كغيره من الكياليه اتباع الطريقة الرفاعية، فأجازه والده فيها بعد أن علمه العلوم العقلية والنقلية إلى جانب علومه الدينية، فهو شاعر وفصيح في كلامه. تولى نقابة الأشراف ومنصب قضاء الشرع معاً كما تمتع بنفوذ قوي لتولي أخيه أمور الأمن من قبل والي حلب، حتى إنه (طغى) في سلطته على متسلم (حاكم) ادلب.

توفي سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م ودفن في المقبرة الغربية (القديمة) بالقرب من قبة عمه الشيخ صالح الكيالي بعد أن رثاه الشعراء والأدباء ومن بينهم أيضاً ولده عبد الله قال فيه قصيدة مستطيلة منها قوله:

أبتاه يا شيخ الكمال   يا سميّ افلاك الجمال
يا شبل ذي الكيل الوفيّ   ال الوحي فحل الرجال
شيدت شرع محمد   في حكمك الفرد المثال
لا زلت تقضي عادلا   في الناس محمود الخصال
حتى قضيت مسررا   بلقاء ربك ذي الجلال
فعليك ألف تحية   تترى إلى يوم المآل

وكتب على صندوقه ابن عمه السيد ابو السعود الكبير بن السيد عبد القادر الكيالي هذه الابيات، وبها تاريخ الوفاة:

أحيّ ضريحا ضمّ من آل محمد   امام جليلاً ذا شؤون وآثار
أقام منار الشرع طول حياته   بسيرة فاروق العزيمة مغوار
ولما دعاه الله لبى دعاءه   بقلب سليم مخلص السر صبار
فنادى لسان الغيب بشرى فإنه   بمقعد صدق مع اكارم اخيار
لهذا كتبت اليوم أرخه فائزاً   إلى رحمة الباري سرى عابد الباري

١٦-الشيخ صالح الحميداني ١١٤٠_١٢١٧هـ/١٧٢٧_١٨٠٢م

ممن أرخ له الشيخ كامل الكيالي بقوله:

"**ولادته ونشأته:** ولد في ادلب عام ١١٤٠هـ. وهو الشيخ صالح بن الحاج محمد بن حميدان (بالتصغير) العالم العامل الكبير، فقيه زمانه وكلامي أوانه المحدث المفسر الصوفي البحث. نشأ في حجر والده العالم الفاضل العبد الصالح، فتربى بتربيته الصالحة وأخذ عنه في بدايته مبادئ العلوم العربية والفقهية، ثم حضر على أستاذه العلامة الشهير الشيخ شعيب الكيالي، ثم حضر بعد وفاته على اخيه الشيخ عبد القادر إلى أن برع وبهر، فأجازه بالتدريس الخاص والعام فتجرد لذلك مجاوراً الحجرة العلوية في مسجد الساحة، ولازال مكبلاً على إفادة الناس إلى حين وفاته.

صفاته وعلمه وأثره: كان رحمه الله ترابي الطبع ينفر من الكبر والمتكبرين الكريم من البخيل والذكي من البليد. رقيق الحاشية، حسن المعاشرة، فكيه المجالسة حلو الحديث والمحادثة، مع ما هو عليه من الصلاح والورع والتقوى. انتفع بعلومه خلق كثير. وكان أكثر تعيشه من نسخ الكتب. وكان

يطرز هوامشها بتقاريره الرائقة وقد رأيت كثيراً منها في مكتبة حفيد حفيده الشيخ محمود المدرس العام في هذه الأيام في قضاء جسر الشغور. وله حاشية رأيتها عنده أيضاً في الفقه الشافعي قد جمعها من تقريرات دروس استاذه الشيخ شعيب الكيالي، لما قرأ للطلبة كتابه كفاية التايق الذي علقه شرحاً على متنه المسمى بالوامق، فعلقت تلك التقريرات على هذا الكتاب فجاءت حاشية ضخمة تدخل في خمسين كراسة. قد احتوت على دقائق المسائل الفقهية وحلّت رموز الكثير من الغوامض المشكلة، ولكن مع الاسف لم يكن من هذه الحاشية سوى هذه النسخة باقية بأوراق المسودة فعسى أن تدول بها الأيام فتطبع وتنشر. وله أيضاً مجموع ضخم قد جمع بين دفتيه أنواع المباحث من علوم شتى بخط يده، أطلعني عليه الشيخ محمود المومأ إليه، فدهشت من تلك الأبحاث المهمة. يدخل حجمه في خمسين كراسة، ولكن المطالعة فيه عسرة جداً لعدم جودة الخط.

وفاته: انتقل إلى رحمة ربه ورضوانه عام ١٢١٧هـ. ودفن في المقبرة الغربية الشمالية في القسم الجنوبي ا لشرقي بين مراقد أسلافه الصالحين، وقد تسلسل في نسله العلماء والصلحاء، وسنأتي على ذكر أشهرهم إن شاء الله تعالى".

١٧-الشيخ ناصر بن عيسى الادلبي١١٤٢-١٢١٥هـ/ ١٧٣٠-١٨٠٠م

هو الشيخ ناصر بن عيسى بن ناصر الدين الادلبي عرف بذلك لأنه من مواليد ادلب الصغرى سنة ١١٤٢هـ/ ١٧٣٠م تعلم لدى أبو الثناء محمود بن حماد ومصطفى بن سمية وأبو عبد الرحمن بن علي الجوهري المفتي، كذلك تابع دروس أبي مدين شعيب بن اسماعيل الكيالي وأخيه الزين عمر الكيالي. رحل إلى حلب ليستوطن فيها ويتابع علمه على يد علمائها، إلى أن أصبح يعلم في جامع بانقوسا وجامع الحدادين وغيره وكان يلتقي بكبار علماء الشام كـ مفتي دمشق حتى شهد له الكل بعلمه توفي سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م

١٨- الشيخ أحمد الأرمنازي ..._١١٥٩هـ/..._١٧٤٦م

بعض شخصيات ادلب في أصلها قد جاءت من القرى المجاورة كـ بكفالون أو من قرى أبعد كـ شيخنا أحمد الأرمنازي الذي هاجر والده إلى ادلب, فالشيخ أحمد لا يعرف تاريخ ولادته بادلب؟ تعلم على يد فضلائها, ولازم دروس الشيخ أحمد الكيالي السرميني ملازماً له مدة, وكذلك أكثر التردد على الشيخ عمر الكيالي في كفر دريان, وعنه أخذ الطريقة الكيالية الرفاعية, كما صاحب

ولده الشيخ اسماعيل, ومن شدة حبه له أقنعه بالاستيطان في ادلب, فحقق طلبه, أي جاء عمر ليقطن في ادلب... وفق الرسائل المتبادلة بينهما.
قال: بسم الله الرحمن الرحيم: إلى عمدة العلماء العاملين، نخبة السادة الكيالية آل سيد المرسلين، مولانا الاستاذ الأجل السيد الشيخ عمر الكيالي صاحب كفر دريان أمدنا الله ببركاته طول الزمان. الحمد لله الذي ميز العلماء عمن سواهم ومنحهم بالفضائل واجتباهم، ووفق المقتبسين من مشكاة معارفهم وهداهم والصلاة والسلام الأتمان الكاملان الأعطران على مجد العلماء وعزهم من منابر هداته، ومنيل الطالبين غوالي عوالي كرامته، كنز الحقائق وأصل منبع الدقائق وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء ما استفاد طالب ومنح المطالب ورضي الله تبارك وتعالى عن سائر أصحابه أجمعين وعن المقتف آثارهم إلى يوم الدين. وبعد: فإن المدد من العلماء لم ينقطع عمن دونهم إلى يوم القيام والهداية عامة فيهم إلى سائر الأنام فهم الدليل الاعظم إلى مراد واجب الجود وهم القائدون لمن ضلّ أو حار إلى فيحاء الكرم ..... هذا وأن العبد الداعي أحمد بن يوسف الارمنازي محتداً الادلبي موطناً لطف الله به دنيا وأخرى وأجراه على عوائد بره مع من أجرى، لم يزل ذا فكرة حائرة......
توفي بادلب سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م ليدفن في مقبرة الشيخ المحرابي، وقد كتب على قبره الاستاذ شعيب الكيالي هذين البيتين، ضمّن فيهما تاريخ الوفاة، فقال:
لله بدر هدى قد كان مشرقه ** في ادلب بعلوم للورى بهرا
لما توارى شدا التاريخ ينبؤنا** الارمنازي إلى دار النعيم سرى

١٩-الشيخ علي الكيالي ١١٦٠_١٢١٠هـ/١٧٤٧_١٧٩٥م

ولد بإدلب وترعرع فيها وتردد على الزاوية الكيالية ليدرس علم الفقه الشافعي والحنفي, ولكنه مال كغيره إلى الطريقة الرفاعية مقتدياً بوالده عمر بن اسماعيل الرابع. جلس بعد والده للتصدر مكانه في الإرشاد والقراءة... في سنة ١٢٠٠هـ تولى منصب الإفتاء ونقابة الأشراف معاً, ولم يطل في منصبه فاستقال, ليتولى الأولى الشيخ عبد الرحمن الجوهري والثانية ابن عمه عبد الباري الكيالي، زاهداً لأربع سنوات. ولم يخرج من عزلته إلى الحج.. توفي في بقيع المدينة المنورة سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٢٠- محمد أفندي العياشي ١١٧٠_١٢٣١هـ/١٧٥٦_١٨١٥م

لعلنا لا نبالغ في قولنا إنه من الشخصيات التي أحبت ادلب وسعت إلى تماسك أبنائها, ففي عهده حصلت تنازعات بين عائلاتها, والتي أشار إليها الرحالة

بوركهارد حين زيارته ادلب عام ١٨١٢م ذاكراً أن حاكم ادلب هو محمد العياشي. هو محمد أفندي بن حسن بن أحمد العياشي, ولد بإدلب سنة ١١٧٠ هـ/١٧٥٦م تعلم في ظل أسرته, وعاش في سعة من المال, وكان كريماً, ثم أصبح متسلم ادلب(أي حاكمها) عام...؟

مدحه الشعراء :منهم الشيخ علي جانم الادلبي_ انظر ترجمته_ والشيخ مصطفى الكردي الحلبي بقصيدة طويلة مطلعها:

أذكرتني عهد أنس أيها الواشي**بحب ظبي على وصل الجفان ناشى
ودأبه كسر قلبي مع طلاوته** بكسر جفينه لم يركن الحراش
أهابه إذ أرى سلطان بهجته**كضيغم فارس الفرسان رعاش
على الجبين حياء إذ حوى خجلا**فما أحيلاه إذ وافى بتدهاش

إلى أن قال في التخلص:

وقم بنا نلتقي يوما لذى كرم**ذاك الحميد الثنا السامي ابن عياش
وانهض لنحو سجايا عنده حسنت ** وجزر رحيب حماه خاضعاً خاشي
فأنه المنهل المنهل في نشب ** من طاب في نسب منه الجد افاشي

ومنها ما يشير إلى جهوده في رأب الفتنة :

بشراك يا ادلب الفيحابه سندا ** كم كف عنك بكف شر أوباش
كما الفساد أقاموا مع أساتذتهم** لأهل عرض بتبكيت وتغواش
حتى العد أوصلوا للإعتدا وصلوا ** على الأعالي بأعنات وأخداش
فأظهر الله من ابدا به مدداً** لما مضت مدد فيهم بترهاش
فكالمجدد وافي بالصلاح وبالـ ** ـرحمن لهم والتقى في حسن تنعاشى
لذا غدت مثل جنات تلوذ به** حصناً حصيناً بتدبير لتجياش
سديد حزم بآراء بها ثقة** شديد عزم بتجهيز لأجياش
سجية خصه الله الكريم بها ** جبلة الطير مبناها لأعشاش
اعنى أبا الحسن العالي الجناب ومن ** بالحلم شاع ولم يعرف ببطاش
الطاهر الذيل والزاكي الطباع ترى** أوفى عزيز العطايا عنده لا شى
على الشهامة والإكرام منجبل ** ثبت الفؤاد رسوخ لا بغواش
ما ام مثواه ذو ضنك وذو خجل ** إلا استقام بأمن بعد ارعاش
ما جاء قاصداً من ضاق في خجل ** إلا وخاطبه دع مقول الواشى
وادخل حمّى عامراً فيه الجد ودامت** لهم أياد من الأيدي بأدهاش
تراه مستحضراً مهما الضيوف غدت ** صبحاً رواحاً وليلاً أو بأغباش
لا يعتريه انزعاج من تراكمهم ** ولا يعكر منه قدر منكاش
قدوره راسيات قد وهت حدما** في الشكل أجسامهم في لون أحباش

تشكو الرماد الأثافي حيث غمرهم ** والله عمرهم بالسيد الماشي
وهي طويلة جداً اقتصرنا منها على هذا المقدار وكان توجه في قضية له في الشام ولما وصل حماة وحل ضيفاً عند السادة الكيلانية امتدحه الشيخ عثمان الحموي المشهور بقصيدة قال في مطلعها:
أهلا وسهلا بمن تحلو به الشيم ** ومرحباً بالذي ساحاته حرم
بحر النوال مجير الخائفين ومن** تلاهجت بثناه العرب والعجم
محمد خلفه العياش من شهدت** له الكمالات والعرفان والحكم
لا شك سُرت حماة الشام وامتلأت ** عند القدوم سروراً والتفى الألم
تزهو المجالس في اشراق طلعته **كأنه مفرد في وصفه علم
تريد عنه العدا بالذل خاسرة ** يثنيهم عن علاه المجد والكرم
كأن إدلبهم كالجسم وهو لها** روح وان غاب عنها عمها الظلم
إلى أن يقول فلم يزل في سعادات مؤبدة**دهراً على بابه الوراد تزدحم
توفي بإدلب سنة ١٢٣١هـ/١٨١٥م.

٢١-عمر العنز الادلبي

...-١١٧٥هـ/...-١٧٦١م

هو من مواليد إدلب لذلك عرف باسم عمر العنز الادلبي.. وبما أنه قد هاجر إلى حمص فقد ابتعد عمن يعرف بعضاً من سيرته، ولكن هو طبيب وله ديوان شعروقد ورد في وثائق ضابطية ادلب سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٤م ذكر لهذه العائلة في قضية إبطال خطبة خطيبين منهم شهود " علي أفندي مفتي زادة ومصطفى بن الحمصي والحاج حسين جلبي العنز والشيخ زكريا جلبي ميكاييلي وغيرهم .. "

٢٢-الشيخ أبو النور الكيالي ١١٩٠-١٢٥٢هـ/١٧٧٦-١٨٣٦م

أحد مشاهير آل الكيالي حتى سمي بـ الكبير من مواليد ادلب ١١٩٠هـ/١٧٧٦م ونشأ في زاويتهم القديمة المشهورة، وعن والده أبو السعود الكبير بن عبد القادر بن اسماعيل الرابع الكيالي تلقى مبادئ اللغة العربية وقسماً من الفقه وعرضاً من علم الكلام. بعد وفاة والده تابع علمه عند ابن عمه الشيخ محمد القرفي بن الشيخ محي الدين، ثم لدى ابن عمه الثاني العلامة الشيخ محمد حافظ الكبير حتى برع في العلوم النقلية و العقلية، وقد تجاوز من سبقه في حبه للأدب وحسن الخط، حتى عرف بالنساخ ففي متحف المكتبة السلطانية في الاستانة -اسطنبول- مصحف بخطه، إلى جانب مصاحفهم المشهورة، وفي اللاذقية شاهدت عند الباحث ياسر صاري كتاب بخطه عام ١٢٥٢هـ بعنوان الأذكار للنووي ولعله آخر ما خطت يداه. فقدت معظم تصانيفه، ولم يبق غير

رسالة في قصة المولد النبوي والصلوات النورية على خير البرية وديوان أشعاره في ألف ورقة معظمها مدائح نبوية وموشحات وتوسلات إلهية، وكذلك قام بإطراء أهل العلم والفضل، وشارك بمراثي وتهاني رجال مقربين له. ومن شعره:

أما آن أن القاك أقبلت آتياً ** أما أنني المشتاق أرجو التلاقيا

يبدو أن أهل اللاذقية كانوا على علاقة ودية معه فله بخط يده قصيدة معلقة في مقام ولي الله الكبير الشيخ محمد المغربي دفين لاذقية العرب(١) على غاية من جودة الخط والبلاغة ولأهل اللاذقية فيه وفي بنيه اعتقاد حسن أكثر من بلدتهم- انظر رحلة الكيالي عام ١٨١٦م في كتابنا *الرحالة* ١/ ٧٧ إلى اللاذقية- كذلك كانوا يقتنون المصاحف من خطوطهم بأثمان باهظة، تيمناً بها في أنها من يد آل الكيالي، بل بلغ الأمر اعتقادهم ببركاتهم! في سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م توفي بادلب ليدفن في المقبرة الغربية الشمالية بجانب ضريح ابن عمه السيد أبي الجود الكبير... بعدها رثاه الشعراء والأدباء، وقد جمعها ابنه الأكبر الشيخ عبد القادر، ولكن معظمها فقد.. ومن هذه القصائد التي رثته هذه القصيدة:

نجم المعالي اليوم يهوى للثرى **أم بحر نور غاض في الترب الرديم
أم شبل كيال ذي المكيال آل المصطفى ** عنا توارى ياله خطب جسيم
مولى تفرد في مزايا خطها** في صفحة الدهر له الفخر العظيم
فاق ابن مقلة والعماد بفضله** وبخطه وبشعره الدر النظيم
ان كانت الخنسا بكت صخر الفلا **عمرا بمزن فوق وجنتها رقيم
فلتبك دهراً عين انسان العلا** انسان عين المجد بالدمع السجيم
لله طارت روحه مرضية **لما أتى مولاه بالقلب السليم
في مقعد من قربه صدق له** روح وريحان وجنات النعيم
فليهنا ما التاريخ أورى حاله** قد زج بالنور ابو النور الكريم

(١)كان العثمانيون يطلقون عليها لاذقية العرب، وحين غضبت السلطات على أحدهم –من آل الكيالي- نفته من اللاذقية ! ومحمد المغربي من علماء المغرب تردد إلى اللاذقية في مطلع القرن التاسع عشر وتوفي فيها عام ١٨٢٨ م بحي القلعة وبني له مقام وجامع باسمه أشتهر بكراماته ..

عرف الشيخ أبو النور الكيالي بحسن خطه ،لذلك كان ينسخ القرآن والكتب وقد عثرت على ورقة بخط يده (انظر الوثيقة) يقول فيها ((كتبه الفقير محمد ابو النور الكيالي واودع فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ١٢١٦هـ)) يوافق ١٨٠١م /وفي المتن إشارة إلى أن هذا مؤلفه بقوله((اللهم

اغفر لمؤلفه وارحمه واجعله من المحشورين في زمرة النبيين والصديقين يوم القيامة بفضلك يا رحمن آمين .تم الدّلايل بعون الله)) وفي الهامش الأيمن كتب وفي هذه النسخة الخامسة عشر ..مما ينبغي قراءته بعد الدّلايل

كتبت كتابي قبل نطقي بخاطري ** وقلت لقلبي أنت بالشوق أعلمُ

فبلغ سلامي يا كتابي وقل لهم ** مقامكم عندي عزيزٌ مُكرَّمُ

ثم يتابع نثراً بقوله : اللهم اشرح بالصلاة عليه صدورنا ،ويسر بها امورنا ،وفرج بها همومنا واكشف بها غمومنا ، واقض بها ديوننا ،واغفر بها ذنوبنا ،وأصلح بها أحوالنا وبلغ بها آمالنا ، وتقبل بها توبتنا وانصر بها حُجتنا وانِسْ بها وحشتنا ، وارحم بها غربتنا ،وطهر بها ألسنتنا ، واجعلها نوراً من بين أيدينا ، ومن خلفنا ،وعن ايماننا ،وعن شمائلنا ،ومن فوقنا ومن تحتنا ، وفي حياتنا ومماتنا وهكذا .....)) ولم يقع شيء في أيدينا من هذا المخطوط غير الورقة الأخيرة، لنعرف محتواه ،وإن كنت أرجح هو مجموع أدعية وأوردة .وأما فوق الكتاب ((توفيت زوجتي رحمة الله تعالى في أحد عشر خلت من شهر شوال سنة الف ومائتين وخمس وثلاثون))فهل هي زوجته أم مالك المخطوط ؟؟ وكذلك قيد على الهامش ولادة نجل سنة١٢٦٦هـ ولكن في خط مختلف ...ملحق:أبو النور هذا هو المسماة باسمه محلة ابو النور في المحلة الشمالية،مما يثبت لنا أن المحلات سجلت بعد وفاته..؟ (الصورة ٣٤١)



(الصورة ٣٤١) وثيقة أبو النور الكيالي

في سنة ١٢٦٨ هـ سجل في أوراق آل الكيالي أنه في رجب فرض السلطان على أهل الممالك كلهم ثلاثمائة ألف كيس، بلغ كل رأس من البالغين فصاعداً عشرين قرشاً، كثير مع قليل ! وفي سنة ١٢٦٩ هـ تقع حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية ومن أجلها خرج من ولاية حلب ١٥٠٠ جندي وعين قائداً للعسكر علي بك بن يوسف بك اشريف، وامتدحه حين توجهه إلى الحرب الشاعر الأديب أبو النور الكيالي الإدلبي بقصيدة طويلة في نحو ستين بيتاً قال في مطلعها :

خطر بقوام كالسهر ** هيفا بلواحظها تسحر

سلبت لب العشاق بكو** كب مطلعها الزاهي الأبهر

ما همت بغيرك لا وفتى ** ليث الهيجاء بطل قسور

وشريف الأصل شريف الجد ** شريف الاسم على حيدر

خذها يا ذا المفضال ولا ** تنظر للناظم إن قصر

وعلى يسموا ارخ حبا ** وعساكرنا بعلي تنصر

الرحالة الادلبي محمد الكيالي ذكر في رحلته سنة١٢٣٢هـ/١٨١٧م وصفاً لرسائل وصلته من ادلب من بينها قصيدة لابن عمه الشاعر(أبو النور الكبالي) بقوله((والملاذ الأكرم أمدنا الله بإمداده وأرشدنا بإرشاده ونفعنا ببركاته وأعاد علينا من صالح توجهاته وأهدي شرائف التحيات ولطائف التسليمات من أوحد المعالي وبدر فلك السؤدد المتلألئ محمود الصفات والشمائل حميد الشيم والخصائل الجناب الأكرم والحبيب الأفخم ابن العم المحتشم ومن قرة العين شبله المحترم أدام الله لديه أكمل النعم وأعاذكم جميعاً من النقم مع سؤال الخاطر الشريف لا زلتم مصانين عن التحريف

أني وعالم ما في السرور والعلن ** أمسي وأصبح با لشوق والشجن

والبعد أوهن جسمي فارفقوا كرما **بحالتي إن حر الشوق أحرقني

أبيتُ والوجد مستولٍ عليَّ ولم **أجد مع الوجد ليلاً لذة الوسن

وسائل قال هل تهوى فقلت له **نعم سرى طيف من أهوى فارقني

فلم أزل ساهراً أدعي النجوم وقد **أمسيت والشوق يطويني وينشرني

مستوحش القلب باكي العين ذا وله **لنور طلعة بدر كان يونسني

شهم همام إمام زاهد ودع **إلى سلوك طريق الحق يرشدني

نشأت في حجر فضل من مكارمه **ولم يزل بسنا الأمناح يسعفني

أفدي محاسن ذات منه قد شرفت **بالنفس والمال والأولاد والسكن

أقول والقلب مشتاق لبهجته **ومهجتي تلفت والبعد أوحشني

يا جهبذا الفضل ويا ذا المكرمات ويا **فرد المزايا وحيد الدهر والزمن

أقر باري الورى عيني بنظرتكم **بطيب وقت حميد بالسرور هني

كذاك شبل أخيكم ذو الكمال ومن **شوقي إليه نما والصبر عنه فني

ذو العزم والحزم والصدر السليم ومن **إذا امتدحت مزاياه فلم أمن

دمتم وألطاف رب العرش تشملكم **فإن ألطافه من أعظم المنن

ولا برحتم مدى الأيام في مدد **يقيكم من صروف الدهر والمحسن

وفرح الله لي قلباً برؤيتكم **وعودكم برغيد العيش للوطن

ثم إنا عرضنا ذلك الكتب على حضرة الأستاذ الكامل(يقصد الشيخ اسماعيل الكيالي قائد الرحلة) فتصفحها بذلك النظر الشريف الشامل فسُرَّ بذلك وابتهج ولوح بحصول الفرج وبتنا تلك الليلة في مسرة ونشاط وصفاء خاطر وانبساط..)) **الرحالة الادلبي محمد الكيالي كتب في سنة١٢٣٢هـ/١٨١٧م وصفاً للشيخ اسماعيل الكيالي حين عاد إلى ادلب بقوله((وهذه الفريدة الثانية تؤمها بنت فكر ثاقبها وناظمها ابن العم (يقصد أبو النور الكيالي) المتقدم ذكره الذي فاح عبيره ونشره :

تاق النسم إلى الربا متنسما **والصبح وافا بالهنا فتبسما

قم يا نديمي بالسرور إلى المنا **وأدر من الصهباء ما يروي الظما

في روضة قد فتحت أزهارها **والطير قام على الغصون ورنما

عبث النسيم بها ففاح عبيرها ** والزهر كلله الندا فتمما

يا حسنها من روضة قد أينعت ** وهزارها غنا وزاد ترنما

فرحاً بمقدم سيدٍ ذي همة ** معلومة وبكل فضل قد سما

أعنيه إسماعيل مولانا الذي **هو قطب هذا الوقت والحامي الحما

شمس الحقيقة والطريقة مرشد ** للسالكين ومن إليه قد انتما

وله الكرامات التي قد شوهدت ** ولم تخف إلا عن أصم وذي عما

فمريده يلقى النجاة بنظرة ** منه مع التوفيق أني يمما

هو كنز أسرار ومجلى حضرة ال **إمداد منه الفضل أصبح مغنما

طوبى لمن منه يفوز بلمحةٍ ** وبنفحةٍ منها العبيرُ تنسَّما

وبنظرةٍ وبهمةٍ علوية ** يغدو بها في العالمين مكرما

وعلى الخصوص العالم النحرير وال **فرد الشهير فبالمحاسن تمما

الأكرم ابن الأكرم ابن الأكرم **المفضال من أضحى طراز معلما

فرد الكمال محمد الكيال من ** هو بالخلافة منه فاز تكرما

فلقد حوى شرفاً على شرف لذا **تلقاه بدراً بالكمال متمما

وأقامه أعلا المقام ففاز في ** نيل المرام وبالمنايح أكرما

واختاره في السر خير مصاحب **ليعود بالإمداد منه منعما

فنما بذاك السير كوكبه وهل **ينمو بدون سرّيه بدر السما

ولقربه ولفضله ولأنسه ** عمن سواه بالخلافة قدما

ولقد حبا بنقابة عُمُر الذَي **أضحى على أهل الكمال مقدما

صافي السريرة درة في عقد أهلِ **المجد شهم ذو نوال قدهما

قالت له رتب المعالي مرحبا **لما غدا أعلا الذري متسنما

هذا لعمري الفوز والفخر الذي **ركب السعادة في حماه خيما

بشراً كما يا فرقدي صبح الهدى **فالفضل يروي في البرية عنكما

وسواجع الأرواح بالأفراح قد ** غنت وشادي الحي قام مرنما

يا جيرة سكنوا الفؤاد وسادة ** بذلوا الوداد لمن يروم الأنتما

منا القلوب تباشرت وعيوننا **قرت وقد نلنا السرور الأعظما

لقدومكم بعد الغياب فيا له **يوماً به أضحى السرور مخيما

حزنت لفرقتكم دمشق وأصبحت **تبكي وحمص بعدها وكذا حما

ويادلب الأفراح أسفر صبحها **ولسان أهل المدح عاد مترجما

وهواتف البشرى تنادي أرخوا **أن السرور لقد بدا متبسما

لا زلتم أبد الزمان بنعمة ** تترى دواما ما الآله تكرما

بفضائل الهادي الشفيع المرتجي **صلى عليه ذو الجلال وسلما

الرحالة الادلبي محمد الكيالي كتب في سنة١٢٣٢هـ/١٨١٦م حين عاد إلى ادلب .. كان أحد المادحينً للشيخ اسماعيل الكيالي من رحلتهم ابن العم (يقصد أبو النور الكيالي)،ولكن حين توفي الشيخ اسماعيل بعد أيام رثاه((وكذا اقتفى أثره النبيه الأكمل والبارع الأفضل الجوهر الفرد الغالي ابن العم السيد الشيخ أبو النور الكيالي فإنه أيضاً رثى حضرة الأستاذ والسيد السند الملاذ بمرثية صيغت صوغ التبر الأحمر ونظمت نظم الدر و الجوهر قد كسيت حلة الجلال وتوجت بتاج الجمال عظيم شأنها وهي الآتي بيانها وهي هذه فقال :

بدر الكمال لقد تحجب بالخفا **يا عين فابكيه الزمانَ تأسُّفا

ومحاسن عنا توارت شمسها **يا ليت ذاك النور عنا ما اختفا

لله من كرب دها ومصيبة **عنها سحاب الدمع لن يتوقفا

كرب ألمَّ بكل مهجة شاهد **مع غايب ولكل قلب أرجفا

ما مثله عهدت نفوس حلها **سلب الشعور مع القلوب ما اكتفى

ما أولع الدهر الخؤن بفرقة **الأخوان ليس بدونها يبغي أكتفى

أو ما كفى يا دهر توقع حسرة **وتحزنا بقلوبنا أو ما كفا

هل كنت يا دهر الإساءة مغفياً **عن جمع أحباب فتدعى منصفا

دمع يشح من التلهف تارةً **ويشح أخرى لم يكن متوكفا

ذي حالة والله أعظم حالةٍ **قد أشبهت بالحزن قصة يوسفا

الله أكبر أن هذا الكرب لن **تلقى له أهل المودة مصرفا

فترى الأحبة فاقدين الرشد إذ **من عيشهم أضحى يكدر ما صفا

وترى المنازل قفرة والربع من **بعد احتجاب ذوي الفضائل قد غفا

بذلوا نفوسهم الكريمة بالرضا **في طاعة المولى العظيم تشرفا

أسفاً عليهم ما لزمان بمثلهم **يسخو ونمظم الشمل لن يستأنفا

تلك المحاسن قد توارت في حجاب **البين أبَّان القطيعة والجفا

وعلى الخصوص أفول شمس نتيجة **الأزمان من وأفا مقام الاصطفا

شيخ الطريقة والحقيقة مرشد **للسالكين ومن يروم الاقتفا

قطب الزمان ومظهر العرفان إسماعيل ** ذو الإمداد ليس بذي خفا

ذو المورد العذب الذي أن أمه **مرضى القلوب فعنده تلقى الشفا

فرد المزايا أوحد الدهر الذي **قد كان بالله المهيمن عارفا

كم نال من بركات إمداد له **راج ومن بعهود صحبته وفا

من لاذ منه بالجناب يفز به **ويجده شهماً في الشدايد مردفا

يا صاح لذ بجنابه واستوحه **أبداً وعنه لا تكن مستنكفا

فالأولياء لهم الكرامة في الحياة **وبعدها حقاً فهم أهل الوفا

وأبو عليٍ ملجأ الأخوان زوال **أمداد يحمي المستجير الخائفا

أسفاً عليه مدى الزمان وحُقَّ لي **في كل آن أن أرى متلهفا

هيهات نحظى في الورى من بعده **بجميل أخلاق تجل تلطفا

قد كان كنزاً للفضائل جامعا **بل نجماً طالعاً ثم اختفا

ولقد حباه بالنعيم إلهه **وعليه بالفردوس جاد تعطفا

وإلى مقام المصطفين رقى به **لجواد خير العالمين المصطفى

فعليه رضوان من الرحمن ما **جدث بدى فضل غدا متشرفا

أو ما غدا تاريخ بدر كماله **يا عين فابكيه الزمان تأسفا سنة ١٢٣٢

٢٣- الشيخ عمر الكيالي -١١٩٩هـ/١٧٨٤م

من مواليد إدلب, وابن على الكبير.. تعلم في حجر والده، وبعد والده تعلم عند الشيخ محمد بن الشيخ محي الدين الفرضي الكبير, وعلى عمه الثاني شيخ زمانة محمد حافظ الكبير بن عمر. دخل سلك الحكومة. متولياً نقابة السادة الأشراف, حتى صار متسلماً(حاكما) لادلب مدة طويلة ،والسبب استقامته وسلوكه الاداري ،إذ وقف مع الناس بعض النظر عن مكانتهم .أثنى عليه المسيحيون كثيراً, كونه قد حماهم من(الفوضويين) غير مرة, ويساعدهم مادياً في تأمين حاجاتهم حين الفوضى.. رصد قسماً من أملاكه

لأهل العلم, خاصة توفي سنة..؟ ودفن في المدفن الذي كان زاوية لهم تسمى المواهبية الكيالية- انظر بحثنا عنها

٢٤-الشيخ نجيب الحميداني
١٢٠٥_١٢٨٠هـ/١٧٩٠_١٨٦٣م
من مواليد ادلب سنة ١٢٠٥هـ/١٨٢٨م وهو أيضاً سليل أسرة علم ودين, كان والده الشيخ صلاح الدين بن الاستاذ الكبير الشيخ صالح الحميداني. تلقى العلم في علوم العربية والدينية في أسرته الكريمة، ثم لازم الشيخ محمد الفرضي آل محي الدين الكيالي زمناً حتى تحصل على العلوم الكاملة، وخاصة علم الفرائض، ثم أيضاً تابع علمه عند الاستاذ الغزالي. بعد حصوله على إجازة التدريس للخاص والعام في مسجد الساحة، تابع خدماته متبعاً- كغيره الطريقة

الكيالية الرفاعية على الأستاذ الشيخ يحيى الكيالي، وبدأ بتطبيقها في هذا المسجد مخصصاً يوم السبت لقراءة الأوراد وإقامة الذكر.

عاش من نسخ الكتب والمصاحف كـ الشيخ أبو النور الكيالي، توفي بادلب سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م وليدفن في المقبرة الغربية قرب اسلافه.

٢٥-الشيخ عبد القادر الكيالي ١٢١٥هـ/١٨٠٠م- ١٢٧١هـ/١٨٥٤م
ولد في إدلب وهو ابن أبي النور الكبير· تعلم في زاويتهم الكيالية النورية, ولازم مشايخ أبناء عمه كالشيخ محمد الفرضي, ومحمد حافظ الكبير·· حتى أصبح أحد أثمه عصره والحافظ المحدث الكبير, صاحب التصانيف المفيدة· ذهب إلى مصر ليتعلم في الأزهر, ولازم شيخ الأزهر المشهور إبراهيم الباحوري الذي فضله على غيره, وأعطاه أجازة التدريس في ثناء قل نظيره· لما عاد إلى إدلب علم فيها وتخرج على يديه فضلاء منهم الشيخ على البكار أمين فتوى إدلب والشيخ هلال الجوهري المفتى السابق, والشيخ عبد القادر الجوهري قاضيها الأسبق, والشيخ هاشم الأصفري مدرس زاوية العريان, والشيخ أحمد المرتيني الصغير المدرس في جامع الأقرعي, والشيخ علي ميري الفقية الصوفي, والشيخ نجيب الحميداني المدرس في جامع الساحة, والشيخ عمر السرميني الكبير مدرس جامع عاشور, ومدرس سرمين, والشيخ محمد علي الصوان عالم معرة المصرين الفرضي الكبير, وابن شقيقته الشيخ محمد النائب الكيالي الذي انتهت إليه الرئاسة على علماء عصره ،وأولاده الثلاثة أبو السعود ورشيد ومحمد أبو النور, وأخواه الشيخ عارف، وأحمد, ومن أبناء عمه الشيخ أبو المواهب, والشيخ عبد الفتاح, وأخوه الشيخ علي الصوفي المبارك, والشيخ أحمد المنلا الصغير, وغيرهم كثير عرف بذكائه, وسرعة حفظه, قد حفظ الجامع الصغير, ومختصر صحيح البخاري, والأحاديث النووية الأربعين, وغيرها من كتب المتن كـ ألفية بن مالك في النحو, وألفية العراقي في الحديث، وغيرها يشابهه في عصرنا أستاذنا أحمد قطيع فقد كان حافظاً لألفية ابن مالك، وغيرها في النحو علامتنا هذا قد كان واسع الفكر, جيد الفهم في الاستنباط, والاستظهار, لا يجاريه أحد في

المناظرة, حسن التعبير, فصيح اللغة.عا مل طلابه بالشدة مع اللين, ومع ذلك كان محبوباً من علماء عصره متمسك بالكتاب والسنة تحصل على الجاه مع الجميع, ونفوذ الكلمة على الناس.. سافر في أواخر حياته إلى الأستانة (اسطنبول) ومعه ابنه الكبير أبو السعود, وفي طريقه مر في طرسوس(بين أضنة ومرسين في تركيا) حين علم مفتيها بوصوله استقبله مع علماء المنطقة, وفي هذا دليل على صيت علماء إدلب في الأصقاع المجاورة. في الاستانة أيضاً احتفل به علماؤها حين عرفت أم السلطان عبد المجيد (حكم١٢٥٥-١٢٩٣هـ) بوجوده طلبته لعلاجها من مرضها. قرأ آيات لها فشفيت بعد أيام, توفي في الآستانة، فأمرت السلطانة بتشييعه بما يليق به ليدفن في زاوية(بيرم) في محلة جراح باشا. أمرت أن يكتب بالذهب على لوحة الرخام(يا حضرت الشيخ عبد القادر الكيالي) آثاره الكثيرة فقد معظمها, سوى حاشيته على غاية الاختصار في الفقه الشافعي, ورسالتين في فقه المولد النبوي ،وغيرها رثاه تلاميذه ،وإخوانه في العلم، وشعراء زمانه.. منها قول ابن شقيقته العلامة محمد النائب الكيالي، وهي قصيدته التالية:

من للمدارس والمعارف والهدى** من بعد بدر العلم عبد القادر
علم الشريعة بحرها الطامي الذي ** قد عمنا بنواله المتواتر
لله إذ للدرس يجلس مرشدا ** أوإذيخط مقالة بدفاتر
تجد العلوم جرت بجري لسانه** ومناره لمناظر أو محاضر
لله أخلاق له ملكية ** نبوية تسمو بحسن مناظر
لله فيض يمينه فنوالها ** يزري بهتان السحاب الماطر
لا غرو آل البيت هم آل الهدى** آل الثنا آل النوال الوافر
وفقيدنا ذاك الامام الفرد من** أركانه عالي العماد الزاهر
قد ظل في (دار السعادة) ثاويا ** منها بأبهج منظر للناظر
لله لبى إذ دعاه مكبرا ** في عشر شهرعيده في العاشر
ناديت والهفي عليه مؤرخا** لباه فرد الوقت عبد القادر

له مخطوط بعنوان(كفاية الصغار على متن غاية الاختصار) في ٥٧٧ صفحة من القطع المتوسط

-

٢٦- الشيخ عبد الفتاح الكيالي ١٢٣٥هـ/١٨١٩م-١٢٩٦هـ /١٨٧٨

من مواليد إدلب, تعلم عن أبيه العربية, وعلم الكلام, والفقه الشافعي, بعد وفاته تعلم عند ابن عم أبيه الشيخ محمد حافظ الكبير, ثم الشيخ محمد الغزالي, والمفتي صلاح الدين الجوهري. جرئ يحب الوجاهة, لذلك تنتخبه الحكومة عضواً في مجلس دعاويها العمومي, قبل التشكيلات النظامية. جعل من منزله (قوناق – قناق) أي مضافة لخدمة المواطنين، وإظهار كرمه، وحسن ضيافته. توفي في إدلب. من حب الناس له كتبوا مراثي فيه ،منهم أسعد بك العظم أحد وجهاء حماة:

٢٧- الشيخ محمد محي الدين الكيالي ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م- ١٣٢٠- ١٩٠٢م

ولد في إدلب ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م وهو ابن محمود الزاهد الكبير بن السيد محمد الفرضي بن محي الدين الكبير السيد أحمد الكبير بن السيد إسماعيل الرابع. تعلم في حجر أبيه زمناً, ثم لازم دروس الشيخ نجيب الحميداني في حجرة مسجد الساحة تفوق في علوم العربية والفقهية حتى أجازه شيخه اتبع الطريقة الرفاعية مارس التجارة زمناً, مستأذنا والده في السياحة ..سفرته الأولى إلى دمشق, لينزل ضيفاً عند مفتيها المنيني ..حضرحفل(المحمل الشامي) الذي يتم في وداع الحجاج جمل المحمل لا يتحرك، فإذا به يقرأ عليه فيتحرك, ويتسارع الناس للتبرك به, ويكرمه الوالي, ووجهاء دمشق, يحملوه على الأعناق. يمكن القول هو الرحالة الإدلبي الذي أينما حل يكرمونه, فقد سافر إلى مصر, ليكون ضيفاً عند الخديوي اسماعيل باشا (حكم ١٨٦٧-١٨٧٩م) ومصادفة له بنت مريضة بصداع شديدٍ, عجز الأطباء في علاجه, فكلف بقراءتها, وبإذن الله تشفى, مما زاد في اعتقاد الخديوي بكراماته. كذلك رحل إلى الأستانه (اسطنبول) نازلاً في مقام الصحابي(أبو أيوب الأنصاري) عدة أيام(وقد زرناه،نحن وقرأنا عليه الفاتحة)حين علم السلطان عبد المجيد بوجوده طلبه إليه, وأكرم منزلته(بناء على تقرير وإلى الشام وخديوي مصر) اعتقد السلطان وحاشيتة

بكراماته٠٠ صدرت إرادة سنية(أي مرسوم من السلطان) بأن تنجز له زاوية في إدلب(من الجيب الخاص) وذلك بناء على تقرير من الوزير(درويش باشا) هي التي كانت تجاه دار سكناه٠ كما صدرت ارادة سنية بإعفائه, وإعفاء عمه السيد هاشم أبي المكارم، وأبنائهم, وأتباعهم من كافة التكاليف الأميرية إلى عهد السلطان عبد الحميد الثاني في إصدار ارادته السلطانية بربط رواتب شهرية له, وللزاوية باسم(إطعامية) ثم إرادة ثانية بتجديد دار سكناه من الخزينة الخاصة, واقطعه قرية(المقبلة) جنوب غرب إدلب ،كما منح أولاده الرتب والوسامات العالية

منح ولده الكبير محمود نديم رتبة(بلاد خمس) ثم (مير ميران) ووساماً عثمانياً من الدرجة الثالثة, كذلك ولده الثاني منح وساماً عثمانياً من الدرجة الثانية, أما ولده الثالث نجيب فقد أصبح(بيكباشي جندرمة) أمير الألف على عساكر الترك, مع وسام عثماني من الدرجة الثالثة, والرابع الأصغر أحمد جعله ملازماً أول في(سلك الجندرمة) أو الدرك الشرطة اليوم- مع وسام مجيدي من الرتبة الأولى .في سنة ١٣١٠هـ أصدر السلطان بأن يحج كل عائلته (على حسابه أي السلطان) بعد عودته عاد إلى الأستانة، وقابل السلطان ليقدم له هدية ،فأكرمه بإعطائه مبلغاً كافياً من الخزنة الخاصة لتجديد مقام اسماعيل الكيالي في(ترنبة) قرب سرمين, مع راتب شهري للمشرف على المقام المسمى بـ(تربة دارية) بعد خلاف اصطلح مع أبي الهدى الصيادي شيخ الإسلام, صدرت ارادة علية من الباب العالي بتعيين ولده الكبير محمود نديم باشا رئيساً لبلدية إدلب, بقي فيها زمناً طويلا, ثم استقال لم تتوقف رحلاته فقد زار مصر غيرمرة, نازلاً عند حاكم مصر(الخديوي)

, أو إلى الاستانة نازلاً في دار الضيافة المسماة (دار المسافرة) الخاصة في بيشكطاشق
عرف عنه بساطته في العيش, وجرأته في قول الحق .في أواخر حياته انقطع في زاويته يعطي دروساً، ويحتفل كل عام بعيد المولد النبوي الشريف, ويعطي الفقراء المساكين الألبسة والشراب والحلوى في هذه المناسبة، لذلك سميت

باسم ثان(تكية الفقراء) جدد مقام (ترنبة) توفي في إدلب١٣٢٠هـ ليدفن قرب والده في المقبرة الغربية(متاخمة لحمام سريابا) وهي خاصة بالكيالية

٢٨-الشيخ علي بن جانم الادلبي
..._١٢٤٢هـ/..._١٨٢٧م

لا توجد وثائق عن حياته, فقط ما ذكره جدي الشيخ الطباخ بإنه" من الشعراء المجيدين موصوف بسرعة الجواب والاستحضار, وله شعر رائق وبداهة قوية ونكات شهية منها أنه سافر مرة إلى بلده يافا(بفلسطين) ولم يكن يعرف بها أحداً فنزل في مسجدها الجامع في حجرة الخطيب إذ كان الغالب إذ ذاك أن الجامع مأوى الغريب ثم توجه يطوف في أنحاء البلدة لقضاء حاجياته وعند المساء عاد للبيت فوجد الخطيب قد دفع متاعه لرجل خارج الجامع من اصحاب الحوانيت وأوصاه يدفعه إلى الشيخ الادلبي متى حضر،فلما أعلمه الرجل بما فعل الخطيب كتب على باب حجرة الخطيب:

حضرت ليافا ابتغي الجود والندا **وأصبحت في ثوب العفافة ارفل
فقفل ابواب الرجا دون مطعمي ** خطيب بيافا تب ذاك المقفل

ومن قصائده مادحاً السيد محمد افندي العياشي السالف ذكره بقوله:

مطالع الحسن والإحسان والحسنى**لاحت لنا من مجالى وجهك الأسنى
لدى ربوع الرضا ضاءت صباحته**اشراقها عن مصابيح الغنا اغنى
وقد تغنى هزار السعد مذ بزغت** شمس السيادة منها اشرق المغنى
هلم يا منشد الألحان غن لنا** راق الزمان وفي افراحنا دعنا
وهات قرقف أفراحي تطوف بها**هيفاء تزرى غصون الروضة الغنا
لمياء إن خالستنا سحر مقلتها** سحيراً اختلست البابنا منا
خودسقتنا الهوى من كأس وجنتها **عن السوى في الهوى كاساتها صنا
غزالة غازلتنا غزل مقلتها** فن النصابى جعلناه لنا فنا
وافت تعاهدنا حفظ الوفاء لها** كلاً عهود الوفا والله ما خنا
يا ظبية فتنت قلبا له ملكت** به الظبا فتكت من أعين وسنا
لنا قلوب بأسما قط ما ولعت** ولا سليمى و علوى ولا لبنى
لكن لها وله بالأكرمين وهم** أباء احمد بشراهم بذا يمنا
بشر به حسناً كالبدر طلعته** المى ازج جميل اكمل افنا

فالصبح يفتر عن لآلاء غرته** والفجر لما بدا عن فرقه اثنى
انى يضاهى جمالاً والعناية قد** مدته من جده خير الورى انيّ
يا حسن ما وافقت ايام مولده** لدى ربيعين جاءت تزدهى حسنا
لازال ينشأ والأيام باسمة ** من طيبها لا يرى ابهى ولا اجنى
من آل مجد عريض طاب محتدهم ** سموا بعز رفيع أشرف المعنى
جرثومة الفخر تروى عن محامدهم** وسؤدد الفضل في تمداحهم غنا
لما سموا ببنى العياشي عاش بهم** نزيل رحب حماهم عيشه الأهني
قرت بهم عين مرقاة العلا فعلوا** اولى النهي والسهى من قدرهم ادنى
آل البتول بنوا الزهراء زاكية** اعرافهم نشرها قد عطر الدهنا
هم الكرام هم للواردين وهم ** للائذين تراهم منهلا حصنا
هم الكماة حماة الخافقين وهم** لكل بيت رفيع قد غدوا ركنا
الا اباهي به بكر القريض ألا** رامت بأوصافهم تجلى لهم حسنى
وهل أرى كفؤها الا ابا حسن** وهل لها غير ناديه حماً أمنا
نجل ابنه حسن اضحى يؤرخها** فرداً هدى احمد الاوصاف والمثنا

وله غير ذلك من الاشعار، توفي سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م.

٢٩- الشيخ أبو السعود الكيالي:

١٢٥٠هـ/١٣٠٤م-١٣٠٤هـ/١٨٨٦م هو الثاني بهذا الاسم بن عبد القادر الثاني بن أبو السعود الأول.. مواليد إدلب تعلم في زوايتهم القديمة. سافر مع والده إلى الأستانة/ اسطنبول, لكن والده توفي فيها, يقرر شيخ الاسلام تسليمه منصب القضاء في إدلب, رغم صيته الجيد في الوظيفة, لكنه استقال ليتفرغ للتعليم في دروسه الخاصة والعامة٠كان تعليمه في مسجد الصباغة القريب من داره . .عرف بفصاحته, وسرعة بديهته في النظم السريع. ترك آثاراً علمية ظلت عند أحفاده- ولم أطلع عليها بعد- الملفت للنظر أن له كتاب خيالي أملاه على لسان سائح٠ لما حج وضع كتاب مناسك الحج..

بناء على طلب والي حلب حينذاك جميل باشا كتب (مختصر السيرة الحلبية) موجود في المكتبة الأموية في حلب٠ كما عرف بشعره الرقيق حجمه في ديوان(الزهروان) بما أن أبو النور الكيالي قد عرف بحسن خطه, كذلك شيخنا هذا, بل يعرف التركية، والفارسية، ووضع الترجمان الحاوي على مفرداتها.

حين توفي شيعته نصف إدلب, ليدفن في المقبرة الغربية٠ رثاه الشيخ طاهر منلا الكيالي قد باح دمعي بالعهود **لما فقدت أبا السعود

٣٠- الشيخ صلاح الدين الجوهري (ت ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م)

هو من مواليد ادلب ولا يُعرف تاريخ ولادته وإن كان قد عاش في حجر أبيه وأخذ العلوم العربية والفقهية عن أشياخه إلى أن تصدر للتدريس, وظهرت مواهبه في الافتاء فتولى المنصب بالانتخاب من قبل علماء ادلب وفضلائها... وكان يشغل منصبه في زاويتهم المسماة بـ زاوية الجوهري الداثرة الآن .كتب عنه الشيخ كامل الكيالي بقوله" حدثني غير واحد ممن أثق به, ومن كان يتردد عليه, ان الشيخ صلاح الدين كان على جانب عظيم من التقى والورع والعلم والزهد, صوفيّاً بحتاً مباركاً لا يعرف شيئا من أمور الدنيا إلا ما كان له فيه تعلق ضروري من ضروريات المعيشة والحياة, جدياً لا يعرف مزحاً ولا هزلاً ولا حدث بهما،بل يحمل الحديث على الجد والحقيقة. " ويحكى عنه في هذا الموضوع الحكايات الغريبة. منها: أن أحد الشبان المازحين ممن كان يتردد على الأستاذ المترجم لخدمته يقال له (أبو الكنج), سمع من الشيوخ الموما إليه في درس رمضان العام, حديثا: (من فطر صائما كان له مثل أجره...) ففي اليوم الثاني عمد أبو الكنج المذكور إلى جماعة في وسط النهار وكلفهم للإفطار فامتنعوا, فقال لهم: ان مفتينا الشيخ صلاح أفتى في درس البارحة قال: ان من فطر صائما فله مثل أجره فراجعوا في ذلك المفتي المترجم فاستحضر (أبا الكنج) وسأله عن ذلك فقال له: نعم. أما انت قررت هكذا في الدرس, فقال له: المراد بذلك يا ولدي وقت الافطار يعني بعد ما تغيب الشمس ويظهر الليل, فقال له يا سيدي: انت ما شرحت لنا هذا الشرح وانما أبقيت المسألة مطلقة, فاذا الحق عليك في التفسير. فقال له صدقت يا ولدي, فلما عرف أبو الكنج, أن النكتة استحكمت في الاستاذ الموما إليه, قال له يا سيدي: كيف العمل؟ إنني فطرّت على فتواك هذه خلقاً كثيراً. فصاح الشيخ: وا خطيئتاه وصار يضرب بيديه على رأسه حتى رحمه الحاضرون, وقالوا له يا سيدي لا تصدق هذا, يريد المزاح وترويح النفس. فعندما التفت إليه الأستاذ وقال له: سامحك الله يا أبا الكنج وجزاك عني خيراً فقد نصحتني.ولأبي الكنج

مع الأستاذ المشار إليه, نكات ترويحاً للنفس في الأحكام الفقهية كان يأخذها الأستاذ عن طريق الجد لسلامة صدره، ولالتزامه الحقائق في أقواله وافعاله, وحسن ظنه في الناس, ولعمري أنها لأشرف خلال الصاحين, المنقطين عن الدنيا الراغبين في الآخرة.

وفاتـــــــه: انتقل بالوفاة إلى رحمة ربه ورضوانه عام: ١٢٧٢هـ. ودفن بين ضريح أسلافه الصالحين في مقبرة الشيخ المحرابي, رحمهم الله أجمعين(١).

(١) يقول الشيخ الاستاذ حسن الكيالي, مفتي ادلب: أن مقابر آل الجوهري في المحراب الشرقي, والتي أشار إليها المؤرخ قد أزيلت. وأحدث مكانها المسلخ وسوق الهال ومعمل بلاط, ومن الجهة الغربية أحدثت مدرسة صناعية. وتجميلا لهذه البقعة احدثت مستديرة فيها زهور, لتنظيم سير السيارات باتجاه سرمين وحلب.

٣١-الشيخ محمد الجوهري (ت١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)

لا يعرف تاريخ ولادته، وإن كان من مواليد ادلب، وقد عاش فيها جل حياته وهو شقيق المفتي صلاح الدين الجوهري، تلقى علومه العربية والفقهية من الشيخ محمد حافظ الكبير الكيالي، وعلم الفرائض عن الشيخ محمد الفرضي آل محي الدين الكيالي، ثم تابع دراسته لدى الشيخ محمد الغزالي حتى برز اسمه، وتولى منصب الإفتاء في زاويتهم (الجوهرية) وفي الجامع المشهور بالجامع الجوهري، وازدادت شهرته مع الأيام .. عرف بقوة الحافظة وإحاطته بالمنقول من النصوص. توفي سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م بادلب، وليدفن في مقبرة الشيخ المحرابي.

٣٢-حسن افندي العياشي ١٢٠٢-١٢٨٤هـ/١٧٨٨-١٨٦٧م

من مواليد ادلب عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م تحصل علمه في ادلب على مشايخها وعلمائها حتى ارتفعت مكانته الدينية والاجتماعية، إذ عرف عنه رحابة الصدر وسعته في علاقاته الاجتماعية، وكرمه الزائد، لما عرف عن هذه الأسرة من كرم وعلم حتى تولى نقابة الأشراف بادلب ولم يقع بأيدينا القصائد

التـــي امتـــدح بهـــا مـــن قبـــل شـــعراء ادلـــب وغيرهـــا. تـــوفي بادلـــب ســـنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م.

٣٣-الشيخ هلال الجوهري(ت١٢٨٨هـ/١٨٧١م)

لا يعرف تاريخ ولادته بادلب. تعلم في زاوية الجوهري وهي قد كانت دار الفتوى ومدرسة تربعوا على العمل فيها زمناً، وبرز منهم الشيخ هلال وليصبح مفتياً بالانتخاب ولتصدق عليه السلطات في الأستانة (اسطنبول). لقد كان جديراً بهذا المنصب كل الجدارة، متفرغاً له وخادماً لمنصبه، ومن أهم من انتفعوا به الشيخ عمر الشعاري المدرس في جامع الساحة والحاج عبد الرزاق آل جبير المدرس في جامع مكي والشيخ هاشم المارتيني المدرس في الجامع الأقرعي. ولم يكن شيخنا هذا من محبي الشهرة رغم منصبه المتصل بالناس، وكرمه بسخاء يده، وفضل التواضع على كل شيء فاستحق احترام الجميع. توفي سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ليدفن في مقبرة ذويه والمسماة مقبرة الشيخ المحرابي (الشرقية).

٣٤-الشيخ عمر بن أحمد المرتيني ١٢٠٠-١٢٧٥هـ / ١٧٨٥-١٨٥٨م

يبدو أن آل المرتيني قد قدموا ثلاثة علماء في وقت واحد من أسرة واحده , فالعلامة الكبير الشيخ أحمد المرتيني الذي جدد الجامع الأقرعي وجعل فيه مدرسة وبنى منارته حتى سمي باسم (جامع المرتيني زمناً) قد ورثه ولداه ليس في ماله , بل في علمه , وهما عمر وصالح , فكانا نبراساً رفعا رأس البلد , ليس في العمران فقط , بل حتى في تقديم علمهم لأبناء ادلب , فكانوا بررة لمدينتهم . ولد الشيخ عمر سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م بإدلب , ليعيش في كنف أبيه ويتلقى التربية الصالحة , والعلم المضد من علوم اللغة العربية والفقه الشافعي في أصوله وفروعه , والحديث ومصطلحه , ثم يتابع علمه لدى السيد محمد حافظ الكبير الكيالي , حتى حصل على إجازته العلميه في تمكنه من التدريس .

مارس التدريس في حجرة داخل الجامع الأقرعي حتى سميت بحجرة الشيخ عمر المرتيني , وقصده طلاب اليوم بازدياد , وانتفع الجامع

المذكور , وننوه إلى أنه هو بالذات قد تابع إتمام بناء الجامع – بعد زلزال عام ١٨٢٢م – وتصدع بنيانه , فجدد واجهته – انظر بحث المساجد في ادلب - .امتازت شخصيته بالأناقة الزائدة , وفرط الذكاء , فحافظته تعيد ما قد قرأه , ولا يغيب عنه غير القليل , وهو واسع الاطلاع على تواريخ من سبق مع التفاصيل , حتى إنه كان يحفظ مقامات الحريري وأنساب العرب , بل يقوم بالتحليل للأحداث [١] , حتى سمي براسخ العلم والتبصر في عواقب الأمور , فكان مرجعاً لرواده حتى في الأمور الدنيوية وكان إحدى شخصيات ادلب بامتياز .

أما خطه الجميل فقد ساعده على نسخ الكثير من الكتب والمصاحف , كما كتب شرع العلامة العيني على صحيح الإمام البخاري مرتين , وجمع بخطه مكتبة جسيمة , وفي خزائن حلب كان يوجد كتب كثيره بخطه تزيد على الثلاثين . كتب سنة ١٢٦٠هـ كتاب فاكهة الخلفاء وكتاب الدرر المختار على تنوير الأبصار في الفقه الحنفي سنة ١٢٣٧هـ .

قال عنه أحد علماء ادلب الكبار الشيخ طاهر الكيالي أنه كان " بحراً فائضاً في العلم وجبلاً راسخاً في العقل والحزم , وبدراً ساطعاً للعباد في سماء الإفادة والإرشاد , وهو الشافعي الصغير [٢] المنقطع النظير حجة الإسلام [٣] في علوم الدين , وابن خلكان [٤] عصره في التاريخ , وبديع الزمان الهمذاني [٥] في القصص وحسن التعبير " .

توفي سمة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م ودفن في المقبرة الغربية شرقي ضريح الشيخ محي الدين الكيالي عند شجرة التوته – وما زالت ذاكرتي تحتفظ بوجودها في المقبرة – وقد كتب أخوه الشيخ صالح على قبره هذه الأبيات:

يا رعى الله ضريحاً قد حوى	شيخ هذا الوقت فضلا ونظر
كان في ذا القطر بدراً مشرقاً	رحـمــــة للناس بدواً وحضر
بــحـــر علم لم يزل يشهد ما	خــطـــه مـــن كل فن أو أثر

انـــــه الــفــرد الذي ليس لـــه — مـــن نـــظير كائن بين البشر

مـــذ دعاه الشوق قد آن التقا — وإلـــــى الفردوس ناداه القدر

ســـار في موكب أملاك إلى — مـــقـــعد الصدق ويا نعم المقر

وبـــشير العفو نادى أرخوا — إن دار الـــخـــلـــد والاها

عمر ١٢٧٥

وقد ذكر جدي – لأمي – الشيخ راغب الطباخ الحلبي أنه اطلع على حجة " مؤرخه في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ١٢٣٧هـ في إثبات نسب المترجم لدى قاضي ادلب في ذلك الحين وأنه من الأشراف وقد جاء فيها عمر بن أحمد الشهير بالمرتيني بن بركات بن حسين بن شهاب الدين اليعاجي المهاوي قائلاً إنهم نتجوا بقرية مرتين المجاورة لقصبة ادلب الصغرى وإن والده ووالد والده هاجرا من قرية مرتين وتوطنا في قصبة ادلب , وأنه رجل شريف صحيح النسب بموجب هذا النسب الذي بيده المرئي بالمجلس الشرعي المختوم بأختام كثيرة وحجة شرعية مؤرخة في سنة أربع وثلاثين وألف " = ١٦٢٤-١٦٢٥م . -انظر بحثنا عن الحياة السكانية في إدلب - ولعله هو المذكور في وثيقة وجهاء عائلات ادلب سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م بإسم بركات أفندي مرتيني زادة .

---

(١) : والغريب هذه شخصيته ولم يؤرخ لإدلب بكل أسف , وها نحن نسد هذا النقص والحمد لله .

(٢) : يقصد الإمام الشافعي أحمد بن ادريس (٧٦٧-٨١٩م) مواليد غزه , انتقل إلى مكة ثم إلى المدينة . درس الفقه عند مالك , ثم إلى بغداد , ثم إلى مصر , وتوفي فيها . أهم كتبه (الأم) والرسالة . وهو واضع أصول الفقه .

(٣) : حجة الإسلام : لقب أطلق على الإمام الغزالي أبو حامد (١٠٥٩-١١١١م) فيلسوف وفقيه وصوفي ومصلح ديني واجتماعي . ولد في

طوس بخراسان . أهم كتبه (إحياء علوم الدين) و (تهافت الفلاسفة)
.

[٤] : ابن خلكان (١٢١١-١٢٨١م) مؤرخ وأديب عربي , قضى معظم سنين حياته في سورية ومصر . من مؤلفاته (من وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) .

[٥] : بديع الزمان الهمذاني (٩٩٦-١٠٠٨م) أديب ولد بهمذان . تنقل بين عدة مدن , ادعى أنه دون أربعمائه مقامة , له ديوان رسائل وديوان شعر . أشهر كتبه

[٦] (مقامات بديع الزمان الهمذاني) .

٣٥-الشيخ صالح بن أحمد المرتيني

الكثير من الشخصيات الادلبية وجدت في حلب متنفساً لها , اقتصادياً وثقافياً , منهم شاعرنا صالح المرتيني من مواليد ادلب سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م . نشأ فيها وتلقى العلم على يد والده وغيره من فضلاء ادلب ومشايخها , وفيما بعد غادر ادلب إلى حلب سنة ١٢٦٢هـ أي في رجولته , وقد ازداد علماً في الشريعة الإسلامية , واحتل مكانة علمية فيها , ويصبح مدرساً للحديث في الجامع الأموي (الجامع الكبير) وفي المدرسة الصلاحية (البهائية) , وتولى كذلك أوقاف جامع البهرمية .. وكان يسجل في أوراقه من توفى من أعيان الشهباء - حلب .. "

وقد توفى فيها سنة ١٢٨٢هـ/١٨٥٦م تاركاً بعض نظمه .

عرف عنه معاداته لإبراهيم باشا المصري وكتب رسالة سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م بعد خروجه من سورية , وقد صاغها حين كان يعيش في ادلب , وهي تؤرخ دخول إبراهيم المصري سورية وخروجه منها , ويظهر مما سطره بها أنه لم يكن ممتناً من الحركة التي قام بها إبراهيم ووالده محمد علي باشا " وعدهما من الطغاة , ورشقهما بألسنة حداد , وعبارة غاية في المرارة .. ومن أقواله :وفي سنة خمس أو ست وعشرين بعد المائتين وألف

أحدث في جميع ممالكه الحادثة الشنيعة والبدعة السيئة الفظيعة اعني بها البدعة المسماة بالنظام , فألبس المسلمين الثياب الضيقة ذات الأزرار ونسخ العمامة والثياب التي تزين لابسها الوقار , فصار المسلم أشبه شيء بالإفرنجي من أهل الحرب بعد أخذه من بيته موثوقاً مساقاً بالشتم والضرب إلى أن قال :ثم لا زالت هذه أفعالهم في الإفطار وفي كل شهرين أو ثلاثة يقبضون (١) على الشبان من تلك الأمصار , حتى صارت خالية من الكهول والشبان والرجال إلا شيخاً زمنا أو أعمى أو عطيل الحواس والأوصال , فعمت الفاحشة هناك في النساء والأبكار , وأنكحت الحرة نفسها على ملء بطنها خوفاً من العار , وصار الغني في تلك الأطراف من يملك قوت يومه وليلته وثوباً يستر به ما بين سرته وركبته (ثم قال بعد أن ذكر خروج إبراهيم باشا على الدولة العثمانية ومجيئه سنة ١٢٤٨هـ إلى عكا وحصاره ثم فتحه لها واستيلائه على دمشق الشام) ثم عزم أن يتوجه بجيشه العرمرم لتحصيل مدينة حلب فحينئذ شاعت في جميع الأقطار أخباره وانتشرت في الخافقين أحواله وآثاره فتوجهت لملاقاته عساكر مولانا السلطان وسر عسكرهم انج بيرقدار أول وزير من وزراء الدولة قد خان , فتقابل العسكران خارج حمص عند البحيرة فثبت لقتاله نحو الألفين والباقون أخذتهم الحيرة مع أن العساكر السلطانية كان آنذاك من الألوف نحو السبعين وعسكرإبراهيم دون العشرين ألفاً بيقين , فأول من خان وباشر بالفرار سر العسكر انج بيرقدار وفي معيته جماعة من الوزراء وبعض رؤوس هذه الأطراف من الوجوه والأمراء , فولوا على أدبارهم هاربين تاركين ما وراءهم من العساكر والذخائر وللنجاة طالبين إلى أن دخلوا بلدتنا المسماة بادلب الصغرى فصادفوا بها حلول ركاب سردار المملكة الآتي لمعاونة وزير عكا المتقدم ذكرا فحين شاهد منهم السردار الفرار وسوء المنقلب احتوشته مخاوف الدهر , فانحاز بهم وبما معه من الأجناد إلى مدينة حلب ،وقد كانت وجهته الدولة العلية بالذخائر والأجناد إلى مساعدة وزير عكة في رد أولي البغي والإلحاد فلم يزل ممتطياً مطية التواني والكسل حتى نزل بعكة وغيرها من البلاد ما نزل فأقام والوزراء بحلب أياماً قلائل يلتمس من أهلها مدافعة شر إبراهيم الهائل فلم يجبه أحد لمراده واختلف كلمة أنصاره وأجناده فبينما هو في لجج الأفكار غارق وإذا بخبر توجه إبراهيم نحو طارق ,

فبادر ومن معه الرحيل والهرب وإبراهيم في أثرهم يطلبهم أشد الطلب , إلى أن وصلوا إلى قرب بيلان[٢] تصدوا لمحاربته ساعة من الزمان , فغلبهم بسحره القاطع وخداع حربه الشائع فانقلبوا ناكصين على الأعقاب وحاز على ما بقي معهم من الذخائر والأطواب .

(ثم قال بعد أن ذكر توجه إبراهيم باشا إلى قونية [٣] واستيلائه عليها وأسره المصدر حسبما قدمنا) ومنها (أي من أفعاله) أنه عندما حصل له في البلاد الأمن والتمكين شرع في تعداد أفراد المسلمين , إلا الصبيان والنساء وبعضاً من مشاهير العلماء ورتب على كل واحد الجزية في كل عام , وسماها إعانة الجيش على الحرب والاصطدام , فكانت تؤخذ من الذي باللين والرفق والصبر ومن الشريف بالشتم والضرب والقهر , ويعطي المسلم بعد دفعها قطعة قرطاس كي لا يكون بينها وبين الجزية أدنى التباس , فمن كان ذا مال أداها من ماله الذي ملكه , ومن كان فقيراً تكلف الاستعطاء لينجو من العذاب والهلكة فتؤخذ من الفقير في كل سنة من القروش خمسين ومن الغني ذي الثروة خمساً من المئين (ومنها) ما رتبه على أنواع الحبوب وسماه بالشون وعلى جميع الأشجار من كرم وتين ورمان وزيتون (ثم قال) ومنها هدمه لكثير من المساجد والمدارس وإتلاف ما فيها من الزخارف والنفائس وأخذ أحجارها لأن يبني بها قشلا واصطبلات للدواب حتى صارت رحباتها مواضع المزابل والأقذار وروث الكلاب وقد أتخذ كثيراً من المساجد العامرة مرابط لخيول عساكره ومخازن لآلات حربه وذخائره (ثم قال) ولنرجع إلى تتمة ما أحدثوه في بلادنا واقترفوه من تعطل أحوالنا وأسر أولادنا , فقالو أنه لما صفت لهم الأيام بادروا لأخذ الأسلحة من المسلمين على الإطلاق وقطع المرور في الطرق والأسفار إلا بأوراق , فصار لا يخرج الرجل من بلده إلا بورقة يأخذها من الديوان وكفيل من أهله يتعهد بعوده إلى الأوطان , والناس لا يدرون ما قصدهم بذلك ولا يشعرون بما وراء هذا القانون من المهالك , إلى أن دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاث وخمسين وأربع وخمسين بعد المائتين وألف من هجرة سيد المرسلين , وقع القبض على أولاد المسلمين في سائر القرى والأمصار مع الترخيص للعساكر على أعراض المسلمين ثلاث ساعات من

نهار وذلك لأجل نظامهم الذي أسكنهم دار البوار ونادي عليهم بلسان الحال يا أهل البغي الدمار الدمار (إلى أن قال) : ثم لا زال ظلمهم في الأقطار ذائع حتى تلاشت الأمصار وخربت أغلب القرى وما بقي منها فللعدم مسارع والأكثر من الناس قد هجر الأوطان والعيال , وتفرقوا في سائر جهات الأرض و شعف الجبال وانقطعت آمالهم إلا من ذي العزة والجلال (ثم ذكر) مجيء حافظ باشا ومعه من العساكر مائة ألف أو يزيدون ومحاربته لإبراهيم باشا في نزب [٤] وانكساره ووقوعه في قبضة إبراهيم باشا وذلك سنة ١٢٥٥ ووفاة السلطان محمود [٥] في هذه الأثناء وجلوس السلطان عبد المجيد على كرسي السلطنة العثمانية , وتشييده المراكب الحربية إلى أن وقفت قبالة مدينة بيروت وعكا ورمتها بالمدافع دكا دكا , وسلمتا , وبادرت الجيوش المصرية للهرب وانحاز إبراهيم باشا بمن بقي معه نحو الشام وأرسل في طلب ماله من العساكر والأجناد المقيمة في البغاظات (الثغور) والقشل والبلاد وأمرهم بإتلاف ما يتركونه من الذخائر والسلاح وقتل كل من كان عاجزاً عن السير معهم كي لا يعود لوطنه ويرتاح , ولم ينته رمضان سنة ١٢٥٦ ست وخمسين ومائتين وألف إلا وقد خلت منهم الديار ورجع كل أسير إلى وطنه وقرت العين بالعين ثم لم تبرح هذه الفئة الباغية تجول في ميدان الجزع والحيرة مع قطع المدد ونقص العدد وضنك العيش وقلة الذخيرة وهم محصورون في مدينة دمشق الشام من غير محاصر لهم , سوى سيف القدرة والانتقام إلى مستهل شهر ذي القعدة بادروا بالرحيل نحو الإسكندرية , وحينئذ زينت الأمصار فرحاً بخذلانهم وانعكاسهم وقامت مواسم التهاني والأفراح , وبسطت أكف الدعاء لحضرة أمير المؤمنين بالألسن الفصاح " .

كما نظم سنة ١٢٥٧هـ في مذكرته التاريخية عن إبراهيم باشا شعراً من قوله :

عظم الذنب والفساد فأضحى   من على الحق ضائعا وذليلا

واستبيحت محارم الله حتى   صار شيطاننا لدينا خليلا

لله نشـــــكو ولاة فـي البلاد سعوا بالظلم والجور والطغيان والـتلف

آذانهم عن سماع الخير في صمم وقلبهم عن قبول العذر في صدف

لعل شاعرنا المرتيني من أوائل الشعراء الذين نددوا بالظلم أياً كان شكله وجوهره , وإن كان رأينا أنه تجنى كثيرا على إبراهيم باشا , فهو يريد تنظيم سورية إدارياً , وتطويرها إقتصادياً , وتوطين أهلها مدنياً .

عرف عن إبراهيم باشا سعيه الحثيث إلى توطين الكثير من العربان في بادية حلب وادلب , وإنشاؤه المجالس البلديه , ووضع أنظمة عصرية لها ..

وإن تنديده بإنشاء القشله (أي الثكنه العسكرية) فهذا طبيعي في كل دولة تريد بناء مؤسساتها , ولكن السلبيه التي تؤخذ على إبراهيم المصري , هي إستخدامه الكثير من الأحجار الأثرية في بناء الثكنات العسكريه (القشله / القشلات) . وهذا ما حدث في ادلب وخاصة انطاكيه , إذ نزع من سور انطاكيه (العجائبي) كما كان يوصف لدى الرحالة والجغرافيين , الكثير من مداميك أساسه مما أدى إلى انهياره وزواله بعد بضع سنين ..

وأما قشلة ادلب – والتي شاهدتها في صباي – فكانت تقع بين حي الكسيح وساحة هنانو (الصومعة سابقا) ومكانها القصر العدلي و قصر المحافظة اليوم , وهي تاريخيا قد بنيت في عهد إبراهيم باشا المصري حوالي عام ١٨٣٥م ليضع فيها ذخائر العساكر , وكما سيرد في بحثنا عن الحكم المصري في إدلب [٦] . وبما أنه كان موالياً للعثمانيين فهو قد هنأ والي حلب حين دشن بناءاً بقوله :

سيوف لحظك في الأحشاء صائلة وشمس حسنك للأفكار شاغله

تفديك نفـــس محـــــب فيك قائلة يارب إن العيون السود قاتـلة

وإن عاشقها لازال مقتولا

سبحان من زانها في السحر مع حور		حتى غدت فتنة تجري على قدر

أنا الأسير بها كهلا وفـــي صـــغر		وقد تعشقتها عمـــداً على خـــطر

ليقضي الله أمراً كان مفعولا

ومن نظمه كما وجد في بعض المجاميع :

طلعت شموس السعد من بعد المغيب		وصفا الزمان لنا وقدوا في الحبيب

وحـــدائق الأفـــراح أيـــنع غصنها		لـــما تـــبدا صاحب الحسن العجيب

غـــــر الكـــواكـــب مـذ رأين جبينه		قالـــت لـــبدر الـــتهم مـــالك لا تغيب

أفديه من ظبـــى كجـــيـــل لـــواحظ		عـــذب المقـــبل ماجـــد زاكٍ أديـــب

ضاعت عقول أولى النهى لما أنثنى		بمـــلابس التـــرفيل والـــقد الرطيب

لـــــو جاءني مـــنـــه البشير بقربه		ووهبـــته روحـــي لكنت أنا المصيب

(ياقلـــب لا تـــيأس وإن طال المدى		وأعـــلم بـــأن الله ذو فـــرج قـــريب)

أيـــام عـــبـــد يستـــجير بجاه من		ركـــب البراق وكلم الرب المـــجيب

وقد أورد جدي الشيخ راغب الطباخ شعراً لعمر العزازي الإدلبي المتوفى سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م في ورقات أرسلها إليه الفاضل برهان الدين العياشي (مفتي ادلب فيما بعد) فقال :ومن شعراء البلدة النابغين في فن الشعر الشيخ عمر العزازي وله البديعية المشهورة التزم فيها ذكر النوع سماها بـ (الحرز المنيع في مدح الشفيع صلى الله عليه وسلم) مطلعها :

بـــــراعتي وبـــديع المدح من كلمي		مســـتـفـتـحـا بـمـديح الزاكي الشيم

وآلـــه خـــيـــر آل حـــيث ما نـــسبوا		إلـــيـــه فـــي كـــل شـــأن من شؤنهم

ياصاح صح بي فصحبي بان ركبهم وأطلـــقوني طــليق المــدمع السجم

لــمــا تــفــلق ثوب الصبر حان دمي من بعد بعدهـــم ناديــت هـــا نـــدم

هــم ذيـــلـــوني بـــخـيـر لاحق بندا يروي الصدار وهو واف وافر القسم

طـــريق تــطـريف ثوب الــعلم لاح لهم فـــلاح كالعلم المنصوب في العلم

ماشــح بـــل ســح وابـلـهم وصـــــحفهم (هكذا) ما حــرفـوا من أريج السلم والسلم

وضــــل مـــن ظل لفظ الــعدل يــؤلمه فالقلب من لـــذع عــذل قاظ بالألم

يا مـعــنـــى كـلامـــي مـــن يـعيد فلا تـــلـــق جــوارحـــه الا أخـا لخم

نزهــــت قولـــي مـنـــه عن مـــسالــمة رأيـــتـــه بـالرديا غـــير مـــتـــهم

ومنها في معرض المدح ذم لا يليق فهم الـــصــــابرون على اللأواء كالنعم

اني اقتبست من الفرقـــان وصــــفهــم بـــل هـــم أضل من الأنعام والبــهم

و لولا فوات المقصود عما نحتوه من الاختصار لأتيت على آخرها (الحديث للطباخ) وهي زهاء مئة وستين بيتاً وكانت وفاته سنة ١١٧٦هـ [٧] .

رحم الله شيخنا فقد كان علماً من أعلام ادلب في العلم والبناء , والجرأة في قول الحق

[١] : كانت الغاية إلزامهم بالتجنيد الإجباري .

[٢] : بيلان : هو الممر التاريخي المشهور في جبال الأمانوس قبل اسكندرون و فيه تقع بلدة بيلان.

[٣] : قونية : مدينة تقع في هضبة الأناضول في تركيا , وهي عاصمة الروم السلاجقة عام ١٠٧١م , وحاضرة الفن الإسلامي , ومرقد مولانا جلال الدين الرومي , وعندها هزم إبراهيم باشا العثمانيين .

[4] : نزب :هي نزِّيب (نصيبين) في تركيا ما بين النهرين , وقعت المعركة عندها بتاريخ ١٨٣٩/٦/٢٤م وكانت الخسارة الكبرى للعثمانيين .

[5] : السلطان محمود : يسمى محمود عدلي الثاني ابن السلطان عبد الحميد الأول , تولى السلطنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م . توفى سنة ١٢٥٥هـ .

[6] : انظر أيضاً كتابنا من ابلا إلى ادلب ص ٢٧٠ وما بعد .

[7] : الطباخ : سير إعلام ٢٢/٧ .

٣٦-الشيخ هاشم الأصفري ١٢٢٥-١٢٩١هـ/١٨١٠-١٨٧٤م

من مواليد ادلب سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م في أسرة فاضلة، وتلقى العلوم في الحديث والفقه والتفسير وعلم الكلام على يد الشيخ عبد القادر أبي النور الكيالي والمفتيين الشيخ محمد الجوهري وصلاح الدين الجوهري، وكذلك تعلم على يد الشيخ عمر المرتيني الكبير، وأدرك الشيخ محمد القرفي آل محي الدين الكيالي وخاصة في علم الفرائض حتى حاز على إجازة من أشياخه، وتصدر التدريس في الزاوية العريانية بادلب، والتي تنسب المحلة الكائنة بها إليها .. وكغيره أصبح من اتباع الطريقة القادرية وشيخ سجادتها، وخصص وقتاً محدداً لذكرها حتى وفاته.. والقريب أنه صوفي، ولكنه كان صاحب ثروة وسخياً ويساعد الفقراء ووفياً للعهد!
توفي بادلب سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م وليدفن في المقبرة القبلية الكبيرة مع مدافن أسرته.

٣٧-الشيخ محمد طاهر أفندي العياشي ١٢٤٠-١٣٢٤هـ/١٨٢٥-١٩٠٦م

هو محمد طاهر أفندي ابن السيد حسن بن السيد محمد العياشي الادلبي المنشأ والأصل سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م تلقى علمه من مشايخ ادلب وعلمائها كـ الشيخ محمد الفاضل المعروف بالغزالي، والشيخ صلاح الدين الجوهري مفتي الحنفية والشيخ عمر المارتيني وغيرهم ،ارتفع شأنه العلمي حتى تولى نقابة الأشراف بعد والده، ثم تولى الافتاء سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م من مؤلفاته رسالة باسم (أوضح المسالك في سياسة الممالك) والغريب في هذا المؤلف المختلف عن جميع مؤلفات أبناء ادلب، فهي في معظمها دينية – صوفية – أدبية أما أن

يأتي إنسان ويفكر تفكيراً سباقاً على غيره، في وضع مثل هذا العنوان لكتاب لابد وأن يكون كتاباً إصلاحياً متأثراً بالمصلحين الكبار حينذاك كـ خير الدين باشا التونسي (ت١٨٩٠م) الذي لعب دوراً هاماً في الدولة العثمانية في سياسة الإصلاح، وثبتها في كتابه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك). نتساءل هل العياشي قد اطلع على هذا الكتاب أم لا؟ وهل هو متأثر بكتب السلف كـ الإمام الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) وهو في سياسة الممالك، وهل هو كتاب في السياسة ليذكر العياشي كلمة السياسة في عنوان كتابه؟! فيكون بذلك أكثر جرأة من الكواكبي أو التونسي؟! سيظل هذا التساؤل يراودنا طالما لم نضطلع عليه، ولعله قد يكون كتاباً في الرحلات الجغرافية أو الصوفية؟! كلنا أمل في حصولنا على نسخة كتابه ليكون توثيقنا بيناً واضحاً. كما وضع مجلداً باسم (الفتاوى العياشية) بعد وفاته قام بجمعها ابنه محمد برهان الدين العياشي. عرف عنه تواضعه الزائد، ولكنه سليم القلب، حلو المحاضرة ولطيف المسامرة. له كتابات نثرية وشعرية منها.. (وله مخمساً قصيدة العالم الكامل الشيخ شعيب الكيالي الادلبي التي مطلعها: (ببابك ربي قد انخت مطيتي) وأولها

اليك التجائي في رخائي وشدتي وأنت رجائي يا منائي وعدتي
لقد جئت في فقري وعجزي وزلتي ببابك ربي قد انخت مطيتي
وانزلت مابي في حماك وخلتي

فبابك لا يرتد دون وقيعه ومن لاذ فيه لم يخف من مريعه
رجوتك إحساناً فجد في سريعه وعولت في أمري عليك جميعه
وافنيت حولي في رضاك وقوتي

وهي طويلة وله مشطراً

ولما رشفت الريق منها تمنعت وفي القلب من نار الغرام ضرام
فعاودت ابغى العل من منهل اللمافقالت أما تخشى وأنت إمام
اتزعم أن الريق مني محلل لعمرك ما افتى بذاك همام
يميناً لقد أخطأت بالزعم سيدي فريقي مدام والمدام حرام

وله مشطراً

ونائمة قبلتها فتنبهت مسارعة تختال في عادل القد
وجاءت قضاة الحب تبدي شكاية وقالوا هلموا واطلبوا اللص بالحد
فقلت لها إني لثمتك غاصباً وكان ارتكابي الغصب من شدة الوجد
ولا حد فيما تزعمين ادعائه وما حكموا في غاصب بسوى الرد

وفي سنة اربع وثمانين ومائتين والف هجرية اسس في حلب الشهباء جريدة سميت (الفرات)وذلك في أيام واليها جودت باشا فنظم المترجم هذه الأبيات:

لوالي ولاية الشهباء فضل	غنى في الورى عن بينات
رقى للذروة العلياء يسمو	بجودة رأيه والمكرمات
وقد نشر الحديث بلطف طبع	فعم بنشره كل الجهات
إذا ما حدث الأقوام رأو	حديثاً يرتضيه عن الثقات
وباهي بالحوادث في غلو	وبالمعنى البديع وبالروات
لنا التضمين في التاريخ يحسن	فكل الصيد في جوف الفرات١٢٨٤

توفي بادلب سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

٣٨-الطبيب الشيخ أحمد الحكيم ١٢٥٥-١٣١٨هـ / ١٨٣٩-١٩٠٠م

من مواليد ادلب سنة ١٢٥٥هـ/١٨٩٣م ووالده يدعى الشيخ طه بن الشيخ محمد الحكيم , فهو سليل أسرة علم وطب حتى إن ولده قد أصبح طبيباً عصريا محمد حلمي وابن أخيه حكمة وكما سيرد .

درس في (زاوية النورية) وهي الزاوية الكياليه القديمة على يد الشيخ عبد القادر أبي النور الكيالي وتحصل على العلوم الشرعية والعربية , ثم انتقل إلى جامع الشيخ خليل ليأخذ العلم عن الشيخ عارف الكيالي , ولكنه تأثر به في إتباع الطريقة الكيالية الرفاعية .

بعدئذ انقطع إلى شيخه الزاهد حسين آل كحيل , فأجازه في الطريقة الشاذلية الزروقية .. وهذا التيار الصوفي قد انتشر في ادلب - وخاصة الرفاعية في القرن التاسع عشر , و تأثر الشيخ الحكيم بهم , فتابع تيارهم .

كذلك درس عند الشيخ المغربي المقيم الذي جاء إلى ادلب ليعلم فيها , فأفاده بالكثير من العلوم .

عاش كما قلنا في جو من علم الطب الذي كان يمارسه والده لذلك سموا بالحكيم نسبة لجدهم الذي كان يمارس الطب أيضاً , ولا يمكن الفول إنهم قد مارسوه بأسلوب عصري كما هو اليوم , بل بالطب الشعبي ودراسات طبية

محليه وعربيه , إذ كان يراسل الأطباء في حلب وبيروت , ولا يتردد في زيارة أطباء حلب المشهورين في زمنه ليأخذ عنهم الجديد , لأن أطباء حلب قد كانوا ألصق بالأطباء الغربيين الذي جاءوا إلى حلب .

حاز على ثقة أبناء ادلب بشخصيته وطبه حتى إن أكثر المسيحيين كانوا يقصدونه للعلاج , كذلك عرف عنه عطفه على الفقراء والضعفاء .. وفي رمضان يقدم الفطور والسحور ويضرب المدفع لأهل بلدته ويدفع قيمة البارود من جيبه حباً بمشاركتهم إجتماعياً .

ساهم في تجديد زاوية بني مراد بعد تخريبها , فجدد مسجدها وبنى قبواً شمالها وفوقه أربع غرف سكن لطلاب الزاوية , ومن خيراته سعيه لجلب مياه عين مرتين إلى ادلب , دون جدوى , لكنه أصر على مفتي البلد الشيخ برهان الدين العياشي حتى تحقق الحلم سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م .

كيف لا تحب ادلب ابنها الذي تمتع بكياسة وحس صوت , ساعياً إلى ترميم المساجد وينهض لجمع المال إلى الفقراء خاصة عند الشدائد , ولقد روى جدي لأمي الشيخ الطباخ قصة كرمه ومروءته حين حضر إلى ادلب مع والده , وكيف عالجه واهتم به رافضاً المكافأة المالية .

توفي هذا الفاضل سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م فحزنت ادلب عليه كل الحزن , لما كان يتمتع به من أعمال الخيرات وخدمة البلد وناسها , ودفن في المقبرة الكبيرة القبليه – انظر بحث المقابر – وكتب على ضريحه من نظم الفاضل الشيخ محمد الخيزراني قوله :

١- بفضل الله احمد حزت خيرا   فكم ابرأت من قلب سقيم
٢- لذاك الخير في التاريخ عز   لك البشرى بجنات النعيم
٣- لقد خطبتك علّيون شوقاً   للقياها لقد اسرعت سبقا
٤- ولم تعلم لفقدك كم فقدنا   عيوناً بل والبابا ونـــطقا

٣٩-الشيخ عمر الشعاري ١٢٥٢-١٢٠٧هـ/١٨٣٦-١٨٨٩م

من مواليد ادلب سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م وهو ابن الشيخ صالح المتعلم حينذاك على غيره خاصة في قرض الشعر، وأراد أن يكون ابنه مثله حامل علم فشجعه على سلوك هذا الطريق، فتعلم على يد الشيخ محمد الجوهري مفتي ادلب ثم المفتي من بعده هلال الجوهري وعلى الشيخ العلامة أحمد الترمانيني.. حينذاك شاعت أخبار القطب اليماني المشهور الشيخ محمد الأهدلي دفين قرية الشغر[١] فذهب إليه ليكون مريداً ومتعلم منه. بعد عودته إلى ادلب اتخذ من الحجرة العلوية في مسجد الساحة مكاناً للقراءة والدروس وخاصة في شهر رمضان. عرف عنه حبه النكته والمزاح، يؤثر في العامة كل التأثير. توفي سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ليدفن في المقبرة الغربية الشمالية.

(١)قرية الشغر: تقع إلى الغرب من جسر الشغور بـ ١٢كم مجاورة لقلعة شغر- بكاس. انظر كتابنا الرحالة ١٥٦/٢ وكتيبنا (حصن شغر - بكاس).

٤٠- الفنان أحمد الشعار (١٨٥٠-١٩٣٥م)

"هو الحاج أحمد بن الحاج محمد الشعار الملقب بالتنبكجي، ولد في ادلب سنة ١٨٥٠م وانتقل مع والده إلى حلب. ولما شب فتح دكاناً في حي بنقوسة بحلب لبيع العطارة والتنباك ، تعلق بالفن منذ صغره وبرزت قابليته الفنية بأجلى مظاهرها، وتوثقت عرى التعارف بينه وبين الفنان المشهور المرحوم الشيخ أحمد عقيل فأخذ الموشحات وعلم الإيقاع ورقص السماح من مورده الصافي عن اساطينه (البشنك – والحاج محمد الوراق) وغيرهم من الأساتذة. امتاز الفنان المترجم بقوة الحفظ فكان من أعلام الفن ومرجعاً مكيناً للفنانين، وعنه تلقى محمد جنيد وشقيقه أحمد وعمر البطش والشيخ علي الدرويش وأحمد الشيخ شريف وغيرهم الفن فبرعوا واشتهروا. اشتهر بالتلحين، فكانت موشحاته الكثيرة يحفظها أهل الفن بحلب. كان رحمه الله فارعاً في طول قامته ضعيف البنية، ذا لحية طويلة، وردي اللون يرتدي جبة طويلة ويعتم بلفة غبانية عريضة، يعيش من الراتب المخصص له من دائرة أوقاف حلب بواسطة المرحوم الشيخ أبي الهدى الصيادي الرفاعي، كان رحمه الله أديباً في معشره وأخلاقه، إذا حضر مجلس ضم الأمراء والأعيان الجدد تلذذ

الحاضرون بنوادره وحلاوة حديثه وأنصتوا لسماع رواياته العذبة، يهوى المزاح ومعاشرة الأدباء، وفي سنة ١٩٣٥م وافاه الأجل المحتوم رحمه الله ودفن بتربة قاضي عسكر بحلب"[١]

(١)عن كتاب أعلام الفن والأدب لـ أدهم الجندي جزء١ ص ٣٢١

٤١-الشيخ عمر الشعار:

كتب عنه الشيخ عبد الرحمن ربوع في مذكراته ((عالماً فقيهاً ورعاً أسندت إليه أمانه الفتوى بقصبة إدلب, وهو من علماء إدلب وأفاضلها, ومدرسيها, ذا ورع وصلاح تام, ونفع عام للخاص. ولد بإدلب و نشأ بها وفيها مات سنة ١٣٠٧هـ))

الملحق الأول-

مراكز مرموقة لرجال المحافظة

<u>في أواخر العهد العثماني</u> : عضو في مجلس المبعوثان أي نواب في البرلمان العثماني كل من : نوري آغا جحا و يحيى بك بن توفيق بنباشي (بكباشي) من إدلب

<u>الحائزون على رتب وأوسمة وأشراف في المحافظة :</u>

١- قضاء ادلب : كيالي زادة[١] محمود باشا رتبة ميرميران نِشان عثماني ثالث تاريخ ١٣١٧ هـ
نقيب الأشراف قائمقام كيالي زادة طاهر أفندي رتبة ازمير باية مجـردي

١٣٢٣ هـ .

كيالي زادة محي الدين بك ونِشان عثماني رابع ١٣١٦ هـ نِشان مجيدي ثالث ١٣١٦ هـ ورتبة متمايز ١٣١٩ هـ .

كيالي زادة عبد الباري أفندي رتبة بورسة مدرسي ١٣٠٤ هـ .

مرتيني زادة شيخ هاشم أفندي رتبة مدرسي ١٣٠٤ هـ .

جحا زادة نوري أفندي رتبة مدرسي ١٣٠٤ هـ

أريحا لي عبد الكريم زادة حاجي نعمان أفندي رتبة مدرسي ١٣٠٤ هـ .

أريحا لي عبد الكريم زادة شفيق أفندي رتبة مدرسي ١٣٠٤ هـ وفي أخرى ١٣١٢ هـ .

---

(١) زادة : بالعثمانية تعني " ابن " أي محمود باشا بن كيالي .
أخذت هذه المعلومات عن السالنامة العثمانية لعدة أعوام أهمها ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م و ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م .
عثماني = نسبة لعثمان مجيدي = نسبة للسلطان عبد المجيد
نِشان = وسام

أريحا لي خربوتلي زادة أسعد أفندي رتبة مدرسي ١٣١٢ هـ .

أدلبلي عيسى زادة محمد مرعي أفندي رتبة مدرسي ١٣١٢ هـ .

مرتيني زادة بن عمر أفندي بن يسين أفندي رتبة مدرسي ١٣١٢ هـ .

أريحا لي مفتي زادة محمد نوري أفندي رتبة ادرنه لي بايه سي ١٣١٢ هـ

ونيشان مجيدي رابع ١٣٠٩ هـ .

ادلبلي كيالي زادة حاجي طاهر أفندي رتبة ازمير بايه سي ١٣١٣ هـ .ومنح فرمان من قبل السلطان عبد الحميد الثاني بواسطةأبوالهدى الصيادي تقديراً لعلمه ومنح نشان سنة ١٣١٨ هـ .(الصورة٣٤٢-٣٤٣)

كيالي زادة اسحق أفندي رتبة مدرسي ١٣١٦ هـ . ونِشان (وسام) مجيدي رابع ١٣١٧ هـ .

كيالي زادة عبد الجبار أفندي رتبة مدرسي ١٣١٦ هـ . ونِشان مجيدي رابع ١٣١٧ هـ .

كيالي زادة اسماعيل أفندي نِشان عثماني ١٣١٦ هـ .

— **قضاء معرة النعمان :**

١- صيادي زادة مصطفى أفندي رتبة روم ايلي بكلر بكي تاريخ بلا .
٢- صيادي زادة ابراهيم أفندي رتبة مولوي تاريخ بلا .
٣- حراكي زادة حاجي احمد أفندي رتبة ثالثة ١٣١٨ هـ .
٤- حراكي زادة سامي بك رتبة ثالثة ١٣١٨ هـ .
٥- حاجي فارس أفندي رتبة رابعة ١٣١٤ هـ .
٦- موالي شيخي عبد الكريم بك رتبة قبوجي باشي ونشان عثماني ثالث ١٣١٨ هـ .
٧- خانشيخونلي ابراهيم أفندي نجم وسام مجيدي رابع ١٣١٨ هـ .

٨- خانشيخونلي محمد أبرش أفندي نشان مجيدي رابع ١٣١٨ هـ .
٩- حديدي شيخي صالح الجرخ نشان مجيدي رابع ١٣١٨ هـ .
١٠ – عنزة مشا يخندن شيخ فرحان نشان مجيدي خامس ١٣١٨ هـ .

١٠-سيد علي الخزام حضر تلرينك نشان مجيدي ثالث ١٣١٨ هـ .



(الصورة ٣٤٢) عن الفرمان السلطاني الممنوح للشيخ طاهر كيالي سند ١٣١٨ هـ



(الصورة ٣٤٣) الشيخ طاهر ملا الكيالي (١٨٦٤-١٩٤٤م)

١٢- أحفاد ندن سيد محمد علي افندي شيخ احمد الفيل أفندي نشان مجيدي خامس ١٣١٨ هـ .

١٣- شيخ محمد الدرويش أفندي نشان مجيدي خامس ١٣١٨ هـ .

١٤ – صيادي زادة سيد محمد خميس أفندي رتبة مدرسي ١٣١٢ هـ .

١٥- قائمقام احمد نظيف أفندي رتبة متمايز ١٣١٠ هـ .

١٦- نقيب الأشراف قائمقامي صيادي زادة سيد محمد أبو الهدى أفندي رتبة صدر روم ايلي ١٣٠٣ هـ . ونشان (وسام) مرصع إمتياز ١٣١٩ هـ ، وآخر عثماني مرصع ١٣١٠ هـ ، وميدالية التون (ذهبية) كموش ؟ وميدالية يونان (أوربية) لياقت التون كموش ؟

٢- قضاء الجسر :

قائمقام حسين ذكي بك رتبة ثالثة ١٣١٨ هـ ، ونشان مجيدي رابع تاريخ بلا .

نقيب الأشراف حاجي محمد أفندي زادة شيخ احمد أفندي رتبة ازمير بايه مجردي ١٣١٩ هـ .

في المؤتمر السوري: ممثلاً عن البلاد أمام لجنة الاستفتاء وسن دستور لسورية كل من إبراهيم هنانو (منطقة حارم) شوكت الحراكي (منطقة معرة النعمان) زكي يحيى وفؤاد عبد الكريم وأحمد عياشي[١] (منطقة إدلب) شكري الشوربجي (منطقة جسر الشغور) أولى جلساته ١٩١٩/٦/١٧ م ثم عقد من ٣-١٩٢٠/٣/٧ م ليعلن استقلال سورية وتنصيب فيصل ملكاً على سورية باسم فيصل الأول

في حكومة الملك فيصل : العقيد مصطفى نعمت من إدلب مدير الأمن العام.

حاكم دولة حلب: مصطفى برمدا ١٩٢٣ م محمد نبيه بك المارتيني رئيس ديوان المخابرات الفرنسية بحلب ١٩٢٣ ووالي حلب ١٩٢٩-١٩٣٧م .

إبراهيم هنانو :ممثلاً عن منطقة حارم في المؤتمر السوري ١٩١٩ م وزعيم الثورة في الشمال السوري منذ عام ١٩١٩ ، دخل الانتخابات في الجمعية التأسيسية عام ١٩٢٨م عن حلب وفاز مع اخوانه كـ هاشم الأتاسي واختير رئيساً للجنة الدستور في الجمعية الوطنية عضو بارز في الكتلة الوطنية ١٩٣١ وعضو في المكتب الدائم المؤلف من سبعة أعضاء تحت اسم الزعيم إذ اعترف به الحلبيون زعيماً كبيراً لهم وقائداً عظيماً ...

حكمت الحراكي: (معرة النعمان) وزير الإعاشة في ٢٠ أيلول ١٩٤١ ثم في ١٨ نيسان ١٩٤٢ بنفس المنصب ثم في ٨ كانون الثاني ١٩٤٣ بنفس المنصب

---

[١] ورد في جميع الوثائق خطأ احمد عباس نقلاً عن الخطأ الأول ، والأصح احمد عياشي والد غالب العياشي

حكمت الحكيم : نائب إدلب [١] في عام ١٩٤٥ تقلد منصب وزارة الأشغال العامة في وزارة فارس الخوري من ٧/نيسان وإلى ٢٤/آب ثم في ٢٤/ آب وإلى ٣٠/أيلول في نفس المنصب. كوزير للأشغال العامة ووزارة الاقتصاد الوطني من ١٩٤٦/١/٢٨ الى ١٩/٨/ ١٩٤٨ م ونائب رئيس المجلس النيابي ١٩٤٧ وترأس مجلس النواب بصفته نائب الرئيس من ٢٨/٨/ ١٩٤٨ الى ١٩٤٩/٣/٣٠ م .

المناقشون للبيانات الوزارية: رشاد برمدا (حارم)_ عبد القادر برمدا (حارم)_

فاخر الكيالي(كفرتخاريم)_ صادق المعلم (إدلب) _حكمت الحكيم (إدلب) _قدري المفتي (أريحا)

نواب المحافظة في عهد الانتداب الفرنسي وحتى عهد الوحدة مع مصر

عن منطقة إدلب : نوري الأصفري ١٩٢٨و ١٩٣٢[٢] و١٩٣٦ -حكمت الحكيم ١٩٣٦ و١٩٤٣ و١٩٤٧ و١٩٥٣ وحيد دويدري ١٩٣٦و ١٩٤٣

عبد الحميد دويدري ١٩٤٧و ١٩٥٤و ١٩٦٠و ١٩٦١-صادق المعلم ١٩٣٢ و١٩٤٣ – د.محمد أديب الأصفري ١٩٦٠ و١٩٦١ - كامل مصطفى الحكيم ١٩٦٠ غالب العياشي ١٩٤٧و ١٩٥٤ حكمت فنري ١٩٥٣ قدري المفتي ١٩٤٩و ١٩٥٤ حسن مصطفى حاج حسين ١٩٦١ حكمت عبيدين ١٩٦١ رشيد محمود رام حمداني ١٩٦٠ الطبيب فهمي الحكيم ١٩٥٣ . فؤاد عبد الكريم ١٩٢٨ عدد المقاعد عام ١٩٢٨ و١٩٣٢ و١٩٥٣ إثنان و

---

[١] كان من المتعارف عليه حين ذاك في الانتخابات الاعتماد على العائلات بالتواصل مع عميد كل عائلة، إذ أخذني جدي معه إلى بيت الحكيم في الشارع الرئيسي (القوتلي) قائلاً لي نحن اعتدنا أن نصف إلى جانب بيت الحكيم !

[٢] نوري الأصفري: نائب إدلب ومقرر اللجنة الانتخابية في مجلس النواب عام ١٩٣٢ للطعن في صحة الانتخابات ، وبعد دراسته الأوراق مع أعضاء اللجنة .... لم يتقدم إلى المجلس بتقرير ما، ومما قاله في هذا المجلس " من الإطلاع على الأوراق لم تجد اللجنة أن وزارة الداخلية قدمت لها جميع المضابط والأوراق الرسمية للطعن في صحة الانتخابات ، لذلك لن نتمكن من إنجاز عملنا "

١٩٣٦ و١٩٤٣و ١٩٤٧ و ١٩٥٤ ثلاثة مقاعد[كانت منطقة إدلب تضم منطقة أريحا أيضاً]

<u>عن منطقة حارم :</u> نجيب برمدا ١٩٢٨و ١٩٣٢ عبد القادر برمدا ١٩٤٣و ١٩٤٧ سعيد الكيالي ١٩٣٦ رشاد برمدا ١٩٤٧ و ١٩٥٠ و١٩٥١و ١٩٥٣و ١٩٦٠و ١٩٦٢و ١٩٦٣ بشير عادل الكيخيا ١٩٤٩و ١٩٥٤ أشرف كيالي ١٩٥٣ ناطم سعيد الكيالي ١٩٤٩و ١٩٦٠و ١٩٦١وأحمد فاخر كيالي١٩٥٤ الوليد بن أحمد عبد الرحمن ١٩٦١ أحمد حسن الصاري ١٩٦٠

عدد المقاعد عام ١٩٢٨و١٩٣٢و١٩٣٦و ١٩٤٣و ١٩٥٣ مقعد واحد وفي عام ١٩٤٧و ١٩٤٩و ١٩٥٤ إثنان .

<u>عن منطقة معرة النعمان:</u> حكمت الحراكي ١٩٣١و ١٩٣٢و ١٩٣٦و ١٩٤٣و ١٩٤٧و ١٩٤٩ غالب عبد الله بلانة ١٩٥٣ نور الدين النجم ١٩٥٤ حسن منيب اليوسفي ١٩٥٤ أحمد نور اليوسفي ١٩٦١ محمد بديع الجندي ١٩٦٠ شايش عبد الكريم ١٩٦٠ عماد الدين الحراكي ١٩٦١ محمد نجيب قطيني ١٩٦٠ ,عدد المقاعد كل الدورات واحد ماعدا عام ١٩٥٤ إثنان

<u>عن منطقة جسر الشغور:</u> عابدين الرستم ١٩٣٢ عبد المجيد رستم ١٩٥٤ زكي النجار ١٩٣٢ نجدة النجارى ١٩٤٣و ١٩٤٧و ١٩٤٩و ١٩٥٣و ١٩٥٤و ١٩٦١ علي رشيد الخطيب ١٩٦٠ نعسان زكي النجارى ١٩٦٠و ١٩٦١ ,عدد المقاعد كل الدورات واحد ماعدا عام ١٩٣٢و ١٩٥٤ إثنان.

<u>مجلس الوحدة بين سورية و مصر في ٢٠ تموز ١٩٦٠ /مجلس الأمة</u>

بموجب القرار ١٣٧٥ برئاسة أنور السادات:١- عبد الحميد دويدري ٢- كامل مصطفى الحكيم ٣- رشيد محمود رام حمداني ٤- أديب أصفري ٥- ناظم الكيالي ٦- أحمد حسن الصاري ٧- علي رشيد الخطيب ٨- نعسان زكي النجاري ٩- محمد بديع الجندي ١٠- شايش عبد الكريم ١١- محمد نجيب عبد القادر قطيني

نقابة المحامين في حلب عام ١٩٤٥ -١٩٤٦ م :
أمين سر النقابة الأستاذ هاشم المارتيني [١] .
محامون أساتذة في منطقة إدلب :
محمد سعيد تشاتشوق – وصفي السباعي – وحيد الخربطلي – أنطوان غنوم –
حكمت جحا – صالح الأصفري .
في عام ١٩٤٦ م عيّن الدكتور نجيب الأرمنازي في مفوضية لندن (سفارة لندن) برتبة وزير مفوض .
عام ١٩٤٦م كان رئيس ديوان قصر رئاسة الجمهورية الأستاذ صلاح الدين برمدا
عام ١٩٥٠ م رشاد برمدا وزيراً للداخلية ثم أعيد في ١٩٥١/٨/٩ م وفي عام ١٩٥٤ م وزيراً للدفاع الوطني وثانيةً في أيلول ١٩٥٥ م .
عام ١٩٥٩ مصطفى رام حمداني محافظ حمص لمدة خمس سنوات .

**

الملحق الثاني- المقامات والمزارات في وثيقة رسمية:

ورد في (سالنامة ولاية حلب) لسنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨-١٨٨٩م ص ٨٢ أنه في قضاء ادلب مقامات (صحابة وأهل بيت كرام) وهم : تميم الداري وعبد الرحمن أبو بكر وعمرو بن العاص) ولم نعرف أين هو الأول والأخير(في سالنامة١٣٢٣هـ-الداري وابن العاص في قضاء ادلب) , ولكن عبد الرحمن أبو بكر هو في مدخل البارة , وقد أزيل مؤخراً , وكنت قد شاهدته سابقاً ولم أجد كتابه غير ذكريات السكان !

أما الأنبياء , فقد ذكرت في قضاء ادلب (حضرت هود و أيوب وشيت) أيوب معروف في قمة جبل الزاوية المسماة بـ مقام النبي

---

[١] أخذنا هذه المعلومات من الكتب التالية : دليل الجمهورية السورية الى فجر السيادة والاستقلال دمشق ١٩٤٦ م . محاضر جلسات البرلمان السوري وغيرها من الوثائق .

أيوب , إذ كانت ريحا حينذاك تابعة لقضاء ادلب ,والباقي لم نعثر على مكانها ،ولكن أحدهما هو في ناحية سرمين .

كما ورد في سالنامة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م كذلك ذكرت (حضرت يوشع في قضاء معرة) وهو فيما يسمى الآن مسجد النبي يوشع , أما آل البيت وأصحاب كرام فقد ذكرت في قضاء حارم(أبو أيوب الأنصاري وأبو عبيدة بن الجراح) الأول لم نعرف أين والثاني في حارم .وفي سالنامة ولاية حلب لسنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م قضاء ادلب

والمقامات العالية للأنبياء في ناحية أريحا حضرت هود و أيوب وفي ناحية سرمين نون و شيث وخضر عليهم السلام وهذه المقامات العالية لأصحابها كرامات وتميم الداري وعبد الرحمن بن أبي بكر وعمر بن العاص لهم مراقد منورة وأولياء مثل شيخ أحمد شيباني وشيخ محمد وشيخ خطاب وشيخ عيسى وإبراهيم خواص وشيخ أحمد الكاملي ومحمد نوابي ومحمد الكيالي وحضرت عمر الخطا بك حفيدي عبداه وكيالي شيخ علي وشيخ عبد الكريم وشيخ بسطامي ومحمد بذارى وشيخ صالح وشيخ سعيد وشيخ نبهانك ومراقدهم مباركة..)).

عمر هنا هو في كفر دريان من آل الكيالي مذكور في رحلة الكيالي عام ١٨١٦م –الشيباني في ريحا في المسجد المسمى باسمه ..



الملحق الثالث–تقييم بحث الأستاذ مصطفى قطيع عن إدلب:

كتبه في ثماني صفحات بخط يده في تمهيد بسيط وسريع وثانياً السريانية في أسماء المدن والقرى مفسراً كلمة كفر ومعرة وفي أسماء الأدوات الزراعية ، ثم إلى العهد الاسلامي في عدم ذكر إدلب .ذكر معركة دانيت دون تاريخ مقتل الأمير محمد ودفنه في التل ولم نجد لهذا القول دليلاً إلى اليوم ذاكراً أسامة بن منقذ في معركة كفرلاته .كذلك هذه من صنع من؟؟ ذكر عن إدلب الشمالية وجود مزرعة (بيريات) في إنها حصن صغير متقدم فيه بئر عميقة. وهذه نوافقه عليها فقد شاهدناها لكن لم نجد ما يشير إلى وجود حصن.

البحث الثاني عن إدلب قال :إنه في عام ١٩٦٥م عند ترميم الجامع(يقصد جامع العمري) شاهد تماثيل الأبقار وأعمدة لمعبد ومذبح وذلك في أساس المسجد وأعمدته وتحت جدرانه)) نوافقه الرأي كوننا صورنا زخرف المسجد القديم ، ولكن ليس هناك رسوم لبقر، وهي نادرة في آثارنا ،بل هي نقوش معروفة لكل آثاري .قال في سنة ١٩٨٠م شهدنا تحت المقبرة الإسلامية الغربية ثلاث مقابر واحدة رومانية وتحتها مقبرة وثنية ونزلت إليها ، كما نزل إليها كثيرون . لكن جرافة البلدية هدمتها بعضها فوق بعض وأقيم فوقها المجمع الإستهلاكي .نوافقه الرأي كوننا اتصلنا ب د. محمود حريتاني الذي جاء من دائرة آثار حلب ليكتب التقرير الآثري وأعطانا وصفاً في إنه مدفن بيزنطي .لا أوافق قول استاذي (إدلب لم تكن موجودة خلال الحروب الصليبية)) ،بل هي قد ذكرت في وثائق العصر المملوكي باسم (بلد إدلب) وانتهى إلي القول(غير موجودة قطعاً) لكن المكتشفات الأخيرة غيرت هذا الرأي ثم قال هي حديثة

العهد ترجع إلى اواخر القرن السادس عشر فقط)) وقد أقطعها السلطان العثماني إلى محمد باشا الكوبرلي بعد حصار فيينا الثاني)) ثم أورد معلومات بعيدة جداً عن حياة الكوبرلي في إنه فشل في الحصار فنفي إلى هنا ، وأقطع له المزرعة المسماة إدلب) هو من أعظم الصدور (رؤساء وزارة) في الدولة العثمانية ولم يغضب عليه، بل تولى الصدارة العظمى عام ١٦٥٦-١٦٦١م، ثم جاء بعده ابنه أحمد ليتولى الصدارة فكيف يغضب عليه ويتسلم الصدارة ، الذي غضب عليه آخر فيما بعد وحصار فيينا ١٦٨٣م شبع موت محمد باشا الكوبرلي وابنه محمد)لقد ظل نفوذ آل الكوبرلي في المنطقة زمناً طال مائة عام .أما إدلب فلم يكن إقطاعاً له فقط، بل هي موجودة كقرية تابعة لقضاء سرمين منذ مطلع العهد العثماني ، وما قبل استلام الكوبرلي السلطة ب ١٤٠ عاماً .والوثائق الكثيرة العثمانية تؤكد ذلك .

أوافقه الرأي على وجود سور إدلب إلى وقت متأخر ، ووجدوا آثاره قرب الجامع الكبير بعد إزالة الرمادة الشرقية .كذلك أوافقه الرأي أن خان الشحاذين وخان الرز هي لآل الكوبرلي إذ وجدت وثائق جديدة في ذلك أوافقه الرأي على فرمانات الإعفاء لإدلب وخاصةً الصابون بفضل الكوبرلي .ذكر أنشودة في إدلب تشير إلى الكوبرلي هي (يا طالع عادكانته ،والناس بخدماته الله يجير ميماته ،على إيلاف خياته ،والمسبحة من ذهب ،والذرية زرزوري ،يا ليتني زرزور لاطلع لفوق السطوح، نقي الماح الماح ،صيني عاصيني ، والرب عاطيني .أخذونا وجابونا .وعلى القشلة ودونا لما لبسونا .حيف عالشباب .صاح الديك في البستان .الله ينصر السلطان) هو أرجعها إلى زمن الكوبرلي

،ولا نوافقه الرأي لوجود كلمة القشلة التي بنيت بعده بزمن طويل ، الأنشودة تعود إلى أيام السفر برلك .ذكر أن الذي تولى أمور الكوبرلي قائد عسكري هو الآغا عبد الله ، وأنه يسير بين يديه يحمل الفانوس/الفنار فسمى عبد الله الفنار .هذا الاسم موجود لكن فيما بعد ،كان برتبة مشير قائد عسكري يسمى عبد الله باشا الكوبرلي ودفن في إدلب في جامع بشير آغا –انظر كتابنا من إبلا إلى إدلب .أما بيت الفنري فاسمهم موجود قبل الكوبرلي وبعده. ذكر تاريخ توليه الصدارة ١٦٥٠ بل ١٦٥٦ ووفاته ١٦٥٦ بل ١٦٦١م . وحول محمود بن عياش وهجومه على المدينة فهذا غير صحيح بل كان هو حاكم إدلب ،وليس زمن مصطفى الكوبرلي بل بعده بسنين .ذكر تنافس العائلتين آل جحا وعياشي واتفاقهم على آل العياشي للمناصب الدينية، وجحا لمناصب السراي المدنية ،لكن الوثائق تشير إلى غضب السلطنة على آل جحا ،ثم العفو عنهم فيما يبدو، وتولوا أحسن المناصب .كيالي صحيح تولوا مناصب دينية لأكثر من مئتي عام ،ولم يغضب عليهم أحد معلوماته مأخوذة من بحث مفيدة بيطار عن إدلب ، وهو بحث غير تاريخي،بل جغرافي و سريع..

* *

الخاتمة:

في شهر شباط ٢٠١٩م أنهينا إخراج الجزء الأول من كتابنا(إدلب.. البلدة المنسية!) لعلنا قد وفقنا- والحمد لله- في وضع أسس التأريخ لإدلب, التي لم يؤرخ لها بعد!

نأمل أن نكون قد حققنا بعض الحقائق المجهولة, وعرفنا ووثقنا للأجيال القادمة بعض ما هو مجهول, حتى لو وقعنا في بعض الهفوات, التي سيأتي من بعدنا من يتممها, وبذلك تكتمل الصورة. لقد جمعت هنا كل المدارس في التأريخ, ما ورد في الحوليات, وما عثرنا عليه من الوثائق, وما وجدناه ميدانياً قد وثقناه.. نأمل أن يتاح لنا, إخراج الأجزاء الباقية في أقرب وقت.

تنويه, واعتذار:

ورد في كتابنا(التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب) عند حديثنا عن بعض مساجد إدلب أن جامع الشيخ خليل, له اسم ثان (جامع الزهراوي) لكن بعد الربط بين الوثائق تبين أن جامع الزهراوي هو جامع المبلط وليس الخليل.. وقد صححناه في كتابنا هذا

فايزقوصرة-ادلب-سورية-شباط -٢٠١٩م

المصادر، والمراجع

أ – العربية :

١- كتاب وقف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مدرسته بالرميلة – حققته وعلقت عليه هويدا الحارثي. بيروت ٢٠٠١ م.

٢- قوصرة - فايز: التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب- وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٠٦ .

٣- قوصرة - فايز: من إبلا إلى إدلب – حلب ٢٠٠٤ م .

٤- قوصرة - فايز: الرحالة في محافظة إدلب – حلب ١٩٨٤ جزئين.

٥- ابن الحنبلي : در الحبب في تاريخ أعيان حلب. دمشق ١٩٧٣ م .

٦- ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب – دمشق ١٩٩٧ م /٢/ جزء.

٧- ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب. دمشق – ١٠ أجزاء.

٨- حجار- عبد الله : معالم حلب الأثرية. حلب ١٩٩٠م.

٩- زكار- سهيل: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية- دمشق ١٩٨١م.

١٠- ابن العديم:بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق علي سويم.أنقرة-١٩٧٦م

١١- ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب- بيروت١٩٠٩ م.

١٢- ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة- دمشق١٩٩٠م،/٣/ أجزاء.

١٣- زكار- سهيل: الحروب الصليبية، ٢ جزء ، دمشق ١٩٨٤ .

١٤- ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر تحقيق أحمد حطيط – ألمانيا ١٩٨٣ م.

١٥- الحلبي الحسن بن عمر بن حبيب: المنتقى من درة الأسلاك في دولة ملك الأتراك –دمشق ١٩٩٩م.

١٦- الزبيدي: تاج العروس في شرح القاموس- عدة مجلدات.
١٧- أيوب – برصوم: الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية وشرح معانيها. حلب ٢٠٠٠ م.
١٨- الحلو - عبد الله : تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب.بيروت١٩٩٩ م.
١٩- الطباخ- محمد راغب: سير إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ٧ أجزاء: ١٣٤٢ – ١٣٤٥ هـ .
٢٠- الغزي- كامل:نهر الذهب في تاريخ حلب ٣ أجزاء(١٣٤٥-٤١)هـ
٢١- ابن الوردي - عمر : تتمة المختصر في أخبار البشر ٢ جزء ، بيروت ١٩٧٠ م.
٢٢- سجلات الأوامر السلطانية العثمانية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق – المجلدات المذكورة.
٢٣- سجلات وثائق المحكمة الشرعية بحلب في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.عدة مجلدات
٢٤- سجلات الأوامر السلطانية في ولاية حلب/٦٥مجلد في مركز الوثائق التاريخية بدمشق
٢٥- سجلات وثائق المحكمة الشرعية في حماة
٢٦- سالنامة ولاية حلب العثمانية.
٢٧- سبط بن العجمي : كنوز الذهب في تاريخ حلب .
٢٨- فنون المماليك القديمة في سورية علي أبو علف
٢٩- تاريخ للآشوريين القديم ايفاكانجيك

٣٠- تحقيقات تاريخية في الأسماء الجغرافية السورية   عبد الله الحلو

٣١- الآراميون-علي أبو عساف

٣٢- الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية وشرح معانيها - برصوم أيوب

٣٣- اللغة الآرامية القديمة-فاروق إسماعيل

٣٤- الأعلاق الخطيرة-ابن شداد ٣ مجلدات

٣٥- تاريخ سورية القديم- هورست كلينغل

٣٦- التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية- مأمون شوكت

٣٧- التاريخ العثماني   حكمت قفا جملي

٣٨- تاريخ الدولة العثمانية العلية-   ابراهيم بك حليم

٣٩- تاريخ الدولة العثمانية -اسماعيل سهرتك

٤٠- العثمانيون-محمد حرب

٤١- نصوص من أوغاريت -علي أبو عساف

٤٢- نصوص أوغاريتيه-أحمد درويش أحمد

٤٣- مجتمع أوغاريت-شيفمان-دمشق

٤٤- ثقافة أوغاريت-شيفمان-دمشق

٤٥- كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨-١٩٤٨ م-إحسان هندي-دمشق

٤٦- نظام الانتداب الفرنسي على سورية١٩٢٠-١٩٢٨ م-حكمت علي اسماعيل

٤٧- بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن٢٠وجيه كوثراني

٤٨- قصة الحضارة-   ول ديورانت-   ٤٢ مجلد

٤٩-خطط الشام-   محمد كردعلي- ٦ مجلدات

٥٠-تاريخ الإسلام-   حسن إبراهيم حسن   ٤مجلدات

٥١-تاريخ سورية ولبنان وفلسطين-د.فيليب حتي-٢ مجلد

٥٢-جولة أثريةفي بعض البلاد الشامية-أحمد مصطفى زكريا

٥٣- دليل الجمهورية السورية في فجر الاستقلال-دمشق١٩٤٦م

٥٤- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا-يحيى بن سعيد الأنطاكي

٥٥- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية-كلود كاهن

٥٦- الحروب الصليبية- ر.س.سميل

٥٧-الحروب الصليبية- سهيل زكار-٢ جزء

٥٨- أخبار الدولة الحمدانية-علي بن ظافر الأزدى

٥٩- بغية الطلب في تاريخ حلب-   ابن العديم

٦٠-تاريخ حلب-العظيمي

٦١-تاريخ دمشق-حمزة بي علي التميمي

٦٢-مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية-سهيل زكار

٦٣-أمارة حلب-سهيل زكار

٦٤-عيون الروضتين في أخبار الدولتين-شهاب الدين المقدسي-٢ جزء

.٦٥--الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين-تحقيق سهيل زكار

٦٦- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية-كلود كاهن

٦٧-الحياة السياسية وأهم المظاهر الحضارية في بلاد الشام-أمينة البيطار-دمشق

٦٨- دراسات في تاريخ العصر الأموي-نبيه عاقل-دمشق

٦٩-نظرات في التاريخ الأموي -عبد السلام رستم

٧٠-تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين-نبيه عاقل

٧١- سيرة الملك الظاهر بيبرس-دمشق

٧٢- ثورة العساكر في مصر-عبد الكريم رافق-دمشق

٧٣-المجتمع الإسلامي والغرب-هاملتون جب-٢جزء-بيروت١٩٩٧م

٧٤- دراسات في تاريخ بلاد الشام - محمد عدنان البخيت

٧٥-الموقف البريطاني والفرنسي من الحكم المصري لبلاد الشام-محمد النواصرة-دمشق٢٠٠٨م

٧٦- تاريخ الشام ١٧٢٠-١٧٢٨ م -ميخائيل يزبك الدمشقي

٧٧- العسكر في بلاد الشام-نواف رجا الحمود

٧٨- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام-أحمد علي اسماعيل.بيرة

٧٩- ابن الجيعان : القول المستظرف في سفر الملك الأشرف – طرابلس ١٩٨٤

٨٠- ابن بطوطه : رحلة ابن بطوطة بيروت ١٩٦٤ .

٨١-محمل الحج الشامي -منير كمال

٨٢-مختارات من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد-القزويني-٢ جزء

٨٣- الزال والدال بين الدور والدارات والديرة-ياقوت الحموي-٢ جزء

٨٤-- الحموي – ياقوت : معجم البلدان دمشق ١٩٨٣ .

٨٥-الصليبيون في الشرق-ميخائيل زابوروف

٨٦- مدن الشام في العصر المملوكي-ايراما مارفين لابيروس.

٨٧- ماهية الحروب الصليبية-قاسم عبده قاسم

٨٨-وثائق عن الحروب الصليبية-أحمد رضا بيك

٨٩- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة-ابن شداد-عدة أجزاء

٩٠- الحركة الصليبية - سعيد الفتاح عاشور (نقل اليد)

٩١- تاريخ الحروب الصليبية-ستفن رونسمان- ٣ أجزاء

٩٢- الغزّي- نجم الدين: لطف السمر وقطف الثمر جزءان دمشق ١٩٨٢

٩٣-تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق-صلاح الصفدي-٢ جزء

٩٤-أحوال العامة في حكم المماليك-حياة ناصر الحجي

٩٥ كتاب وقف السلطان الناصر حسن – بيروت ١٤٣٢هـ /٢٠٠١م

٩٦-إبلا- قاسم طوير

٩٧- إبلا- تاريخ وحضارةد.عيد مرعي –دمشق-١٩٩٩م

٩٨-إبلا عبلاء-الصخرة البيضاء عدة مؤلفين- مترجم

٩٩-وثائق إبلا-عفيف البهنسي-دمشق

١٠٠- المقبرة الملكية في القصر الملكي في إبلا-باولو ماتيه

١٠١-مملكة إيبلا وعلاقاتها الدولية في الألف ق.م -باولو ماتيه

١٠٢-منعطف التاريخ إيبلا- عمرالدقاق ١٠٣

١٠٣- المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ٧ مجلدات دمشق ١٩٩٢ مركز الدراسات العسكرية .

١٠٤- ريحاوي- عبد القادر : العمارة العربية الإسلامية دمشق ١٩٧٩

١٠٥- ابن الشحنه : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب القاهرة ١٩٠٩ .

١٠٦- الهروي : الإشارات إلى معرفة الزيارات – دمشق ١٩٥٣ .

١٠٧- ابن العديم - عمر بن أحمد أبي جرادة: زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢جزء تحقيق د . سهيل زكار دمشق ١٩٩٧.
١٠٨-الطباخ - محمد راغب : سير إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ٧ أجزاء ١٣٤٢- ١٣٤٥ هـ .
١٠٩-سالنامة ولاية حلب لعدة سنوات باللغة العثمانية .
١١٠- قوصرة : فايز : حارم دمشق الصغري - حلب ١٩٨٨ .
١١١- قوصرة – فايز: الرحالة في محافظة إدلب الأول ١٩٨٥ حلب والثاني ١٩٨٨ .
١١٢- قوصرة – فايز: حصن شغر بكاس - حلب ١٤٠٨هـ١٩٨٨م
١١٣- قوصرة – فايز: من ابلا إلى ادلب - حلب ٢٠٠٤م
١١٤- الجندي - سليم : تاريخ معرة النعمان ٣ جزء دمشق ٦٥-١٩٦٧
١١٥- ابن الوردي – عمر: (تتمة المختصر في أخبار البشر والمسمى تاريخ ابن الوردي) ٢ جزء بيروت .
١١٦- شحادة -كامل: متحف معرة النعمان – دمشق ١٩٨٧ .
١١٧- شحادة – كامل: ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز دمشق ١٩٩٠
١١٨- مجلة الحوليات الأثرية السورية مجلد١+٢- ١٩٥٣ - و ٦/ ١٩٥٦ و١٤/١٩٦٤ – و١٩/١٩٦٩ – و٢٤/١٩٧٤ - وغيرها
١١٩- الشهابي - د . قتيبة : معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية – وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٥
١٢٠- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ٤ مجلدات – دمشق ١٩٨٣م - ط٣
١٢١- كرد علي: خطط الشام – ٤ مجلدات
١٢٢- المحبي: من خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر جزءان دمشق ١٩٨٣
١٢٣- الغزي – كامل: نهر الذهب في تاريخ حلب – ١٣٤٥هـ
١٢٤- ابن الحنبلي: در الحبب في تاريخ أعيان حلب – دمشق ١٩٧٣م
١٢٥- سجلات الأوامر السلطانية لولاية حلب – مركز الوثائق التاريخية بدمشق

١٢٦- سجلات المحكمة الشرعية بحلب - مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
١٢٧- البيطار – عبد الرزاق: حلية البشر في أعيان القرن الحادي عشر. ٢مجلد دمشق ١٩٦١

١٢٨- السريان إيمان وحضارة المطران اسحق ساكا ٤ أجزاء

١٢٩- الألفاظ السريانية في اللغة العربية أفرام الأول برصوم

١٣٠- الممالك الآرامية-غريفوريوس صليبا

١٣١-آثار تدمر-روبرت وود

١٣٢- المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية ١٩٦٩ -١٩٨٩

المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى

١٣٣-سورية الوسطى-المجلد الرابع القسم الثاني-الأب متري هاجى أثناسيو-

فصول مصورة

١٣٤- بحوث مصورة من مجلة Syria الفرنسية

١٣٥- الحياة الدينية في سورية قبل الإسلام (العصر الهلنستي والروماني)

تيكسرور / كاليفه

١٣٦- المعبد السوري-جان دنتزر

١٣٧-سورية أرض التاريخ والآثار والقداسة- باسكال كستلانا

١٣٨-. تاريخ الكنيسة في المدن السورية منذ نشأتها وحتى القرن الرابع-الأب كاستلانا

١٣٩-.-الرهيان العموديون السوريون-باسكال كاسيتلانا وإيناس بينا رفرنانديز

الخطوط الكبرى في تاريخ سورية- أسعد الأشقر-الجزء الثالث

١٤٠-الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر- ابن عبد الظاهر

١٤١- الفتح القسي في الفتح المقدسي-الكاتب الاصفهاني
١٤٢- تاريخ السلاجقة في سورية وفلسطين علي سويم
١٤٣-موسوعة حلب المقارنة-خير الدين الأسدي -٧ مجلدات
١٤٤- من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر-المسعودي
١٤٥-. من كتاب الأخبار الطوال- الدينوري
١٤٦-رسالة ابن فضلان-ابن فضلان
١٤٧-من كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر-المحبي٢ جزء-دمشق
١٥٠-من كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشاء- المقريزي ٥ جزء
١٥١-. من كتاب معجم البلدان-ياقوت الحموي -٤ أجزاء-دمشق
١٥٢- من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية-ابن شداد-دمشق
١٥٣-من كتاب نخبة العصر في عجائب البر والبحر شيخ الربوة
١٥٤-من كتاب فتوح الشام-الواقدي
١٥٥-حضارة العرب-غوستاف لوبون
١٥٦-أحمد رفيق- كوبر يليلر- استانبول١٣٣١هـ
١٥٧- نصوص الرحالة اوليا جبلي -مصورة في اسطنبول
١٥٨- نصوص الرحالة برسنز-مصورة
١٥٩.نصوص الرحالة هنري موندريل -مصورة
١٦٠-. نصوص الرحالة بوركهارت -مصورة
١٧٠- نصوص الرحالة ليونهارت راوولف - مصورة
١٧١-. نصوص الرحالة توت- مصورة

١٧٢. نصوص الرحالة موروونة - مصورة
١٧٣-. نصوص الرحالة بل- مصورة
١٧٤- نصوص الرحالة ري- مصورة
١٧٥-. نصوص الرحالة ليد- مصورة
١٧٦- نصوص الرحالة برتون ودريك- مصورة
١٧٧- نصوص الرحالة لاورتي - مصورة
١٧٨- نصوص الرحالة كورانسيز - مصورة
١٧٩- نصوص الرحالة فولني- مصورة
١٨٠- نصوص الرحالة دولاروق- مصورة
١٨١- نصوص الرحالة ستيزن- مصورة
١٨٢- نصوص الرحالة براون- مصورة
١٨٣- نصوص الرحالة والبول- مصورة
١٨٤- نصوص الرحالة بترمان- مصورة
١٨٥- آلالاخ مملكة منسية- ليونارد ووللي-دمشق
١٨٦- تاريخ سهل العمق- مفيد عرنوق
١٨٧- إنطاكية القديمة-جلا نفيل داوني-القاهرة-١٩٦٧م
١٨٨- إنطاكية في عهد ثيودوسيوس جلا نفيل داوني
١٨٩-معجم المواقع الأثرية في سورية- قتيبة الشهابي
١٩٠- الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي- دوفيك وجاتين سورديل الجزء الأول
١٩١- ثيودوسيوس الكبير-جلا نفيل داوني

١٩٢-. الشرق واليونان القديمة مع تاريخ الحضارات العام- موريس كروزية المجلد الأول١٩٣- حضارة روما- موريس كروزية-المجلد الثاني
١٩٤- شيفمان:المجتمع السوري القديم -دمشق١٩٨٧م
١٩٥- قوصرة- فايز: التاريخ الأثري للأوابد العربية الاسلامية- دمشق٢٠٠٦م
١٩٦- قوصرة- فايز:الثورة العربية في الشمال السوري(ثورة ابراهيم هنانو) دمشق٢٠٠٨م
١٩٧-عبد الله حجار: كنيسة القديس سمعان العمودي وأثار جبلي سمعان وأنطاكية- حلب ١٩٩٥م
١٩٨-سهيل عثمان: معجم الأساطير اليونانية والرومانية- دمشق ١٩٨٢م
١٩٩-محمد عدنان البخيت: دراسات في تاريخ بلاد الشام. دمشق٢٠٠٨م
٢٠٠- نوفان رجا الحمود: العسكر في بلاد الشام بيروت١٩٨١م
٢٠١- توفيق الطيبي: دراسات في تاريخ صقلية الاسلامية .فيه بحث مطول عن جزيرة قوصرة ومعناها اللغوي- ليبيا١٩٩٠م
٢٠٢-لوبون-غوستاف:حضارةالعرب-ط القاهرة١٩٥٦م
٢٠٣-د. قتيبة الشهابي في كتابه هنا بدأت الحضارة سورية تاريخ وصور-دمشق١٩٨٨م .
٢٠٤- المشرق العربي في العهد العثماني-عبد الكريم رافق
٢٠٥- بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة بونابرت-عبد الكريم رافق
٢٠٦- تاريخ حسن آغا العبد
٢٠٧-ادلب-لمفيدة بيطار –رسالة جامعية

٢٠٨-ادلب –رسالة جامعية لرجاء وحيد دويدري
آغا العبد-جميل نعيسه-دمشق
المخطوطات- رحلة الكيالي بعنوان(الحلة السنية للرحلة الشامية). . (ألف هذه الرحلة محمد الكيالي بن عمر بن الجد الرابع إسماعيل الكيالي ولد في إدلب سنة ١١٨٤هـ/١٧٦٩م وتوفي فيها ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م-و(تاريخ كامل الكيالي) في التراجم

*****

ب – الأجنبية :

1- CAHEN – CLAUDE : LA SYRIE DU NORD A L 'EPOQUE DES CROISADES – PARIS – (1940).
2- GOROUSSET – RENE: HISTOIRE DES CROISADES – 3VOLUME – PARIS – 1930.
3- DUSSAUD (R) : TOPOGRAPHIE HISTORIQUE DE LA SYRIE ANTIQUE ET MEDIEVALE – PARIS- 1927.
4- ALI – SEVIM: SURIYE VE FILISTIN – ANKARA- 1995.
5- The Princeton University ،Archaeological Expedition to Syria in 1904 – 5 and 1909. Division IV Semitic Inscription By Enno Littman . Leyeden 1949. And D.II by Butler.

-أحمد رفيق- كوبر يليلر- استانبول ١٣٣١هـ

1- .Berchem– Van: Voyage en Syrie – Caire 1914

2- Corancez – Julien: Sineiet Syrie. Frence Lile 1893

3- Vogué-M : Syrie centrale 2 vol-Paris 1865-1877

4- Chalenko – Goerge: Village Antique de la Syrie du Nord 3 val Paris 1953-58 .

5- J. Sourdel – Thomine: Arabica 1 – 1954

6- - Lussus – Jeun: Inventaire Archéologique De la Region au Nord – East De Hama Tom 1+2

7- Sauvajet: Art Islamic Revue v4–

8- Froment . Lt. Carte Touristique et Archéologique de Caza de Harem، R.Syria XI، 1930.

9- Gelebi- Euliya: Seyahat Niuvas – Istanbul 1928–30 باللغة العثمانية

10- - Syria-Revue : Art Orientale Et D,Archelogie-Paris1980 .

11- Lassus – Jean: Inventaire Archeologique De La Region Au Nord-Est De Hama. Damas 1935-36 2Vol

وغيرهـــــــا من المصادر، والمراجـع ،والمجـــــــــلات،وصفحات النت ..كذلك المراجع المذكورة في الهوامش ..

تنويه للهوامش ..في حال ورود الرمز (سر.أ)هي رمز لسجلات الأوامر السلطانية في مركز الوثق التاريخية في دمشق الرمز(سح)هو لسجلات المحكمة الشرعية في حلب .. أما المأخوذ من سجلات المحكمة الشرعية في حماة ،فقد أشرنا إليها في حينها .سجلات اسطنبول(قسم منها في أنقرة) فهي التي تم عرضها هي من الأرشيف السلطاني ،والتفصيل حين العودة اليها في المستقبل ..اما المراجع فقد تم ذكر ما ورد حسب ظروف الحرب..كسجل أوقاف ادلب في مديرية الأوقاف ،أخذنا منه مانستطيع(قدفقد)وسجلات المساحة زمن الإنتداب الفرنسي

وثقنا ما نستطيع ،فليعذرنا الناقدون للظروف التي نعيشها ..والحمد لله على كل حال..ادلب٢٠١٩م.

***

فهرس الكتاب

**

صدر للمؤلف فايز قوصرة

١-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الأول، حلب ١٩٨٥م.
٢-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الثاني، حلب ١٩٨٨م.
٣-حصن شغر – بكاس (حطين الثانية).
٤-حارم دمشق الصغرى، ١٩٨٨ (نفد).وقد تم طبع نسخة جديدةالكترونياً،مع زيادات
٥-قلب لوزة درة الكنائس السورية ١٩٩٥م، وآخر بالانكليزية.
٦- من إبلا إلى إدلب، ٢٠٠٤م.

٧-ولاية الفوعة –حلب ٢٠٠٨ م تم إنجازه ثانيةpdf
٨-التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب، دمشق، وزارة الثقافة ٢٠٠٦. (نفد).تم إنجازه ثانيةpdf
٩- الثورة العربية في الشمال السوري (ثورة إبراهيم هنانو)، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨م. (نفد). تم إنجازه ثانيةpdf
١٠- إدلب ... البلدة المنسية – دراسة تاريخية ميدانية. في ثلاثة مجلدات(منجزالأول في ٢٠١٩م) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١١-الحلة السنية في الرحلة الشامية-رحلة محمد الكيالي ١٨١٦/ ١٨١٧م من تحقيقنا(منجز)pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٢- أضواء جديدة في تاريخنا الأثري(دراسات في الحواضر السورية) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٣- شهبا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٤-آثارنا في لوحات فوغويه (منجز)pdf في ٢٠١٩م)

١٥-جولة في متحف ادلب (منجز)pdf
١٦- جولة أثرية في جبل باريشا – محافظة ادلب (منجز).
١٧- جولة في متحف معرة النعمان (قيد الإخراج)
- وعي الزمن التاريخي-(منجز)pdf
خطاب إلى أبناء إدلب (كتيب)مطبوع و (منجز)pdf

وله قيد الإعداد :

من سلسلة الجولات:

جولة أثرية في جبل الأعلى – محافظة ادلب(قيد الإنجاز).
جولة أثرية في جبل الزاوية – محافظة إدلب (منجز).
جولة أثرية في جبل الحلقة وسهل الدانا- محافظة ادلب (منجز).
جولة أثرية في جبل الوسطاني - محافظة ادلب(قيد الإنجاز).
جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)
جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)
رحلة مع نهر بردى (قيد الإخراج)
رحلة تاريخية مع نهر العاصي(قيد الإخراج)
رحلة مع نهر قويق(قيد الإخراج)

عرب على عرش روما (قيد الإخراج)
إبلا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)
ملكات عربيات-(قيد الإخراج)
دافني في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)
لقمان في وصاياه وحكمه (قيد الإخراج)

د ليل أسماء مدن ،وقرى محا فظة ادلب (قيد الإعداد)
مملكة أرواد الفينيقية (قيد الإخراج)
حواضر بلاد الشام في أقدم الصور(قيد الإعداد)
جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)
عجائب مريم—تحقيق مخطوطة
صحائف سوداء،وبيضاء (مذكرات فايز قوصرة)

****

بطاقة شكر: نتقدم بالشكر للفنان الادلبي سمير حميدي في رسمه لشخصنا في الصورة المنشورة في الغلاف

فايز قوصرة



إدلب .. البلدة المنسية ..!!